

هاشم محمد سعيد دفتردار المدني
طلائع الفكر والأدب
الجزء الأول

هاشم محمد سعيد دفتردار المدني

طلائع الفكر والأدب

الجزء الأول



للنشر والتوزيع والطباعة
برقيا: مشكاتنا - ص.ب: ٤١٤٦



طلائع الفكر والأدب

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م



جدة - المملكة العربية السعودية - تليفون { الادارة : ٦٤٣٠٧٩٧ (٠٢) / المكتب : ٦٤٢٦٦١٠ (٠٢) } - ص.ب ٢١٤٦

ص.ت ٨٤٢٨ جدة - برقيا : مشكاتا - تلكس SHORCO SJ ٤٠١٢٠٩

الإهْـدَاء

إلى خَادِمِ الحَرَمَين الشريفَين

جَلالَة مَلِك البِلاد المفَدّى فَهد بن عَبد العَزيز أطالَ الله عُمْرَهُ ،

يَا صَاحِبَ الجَلالَة

إنّ مؤلَّفي "طلائع الفِكْر والأدَب" هُوَ قَبْسَةُ إشراقٍ مِنْ معَالِمِ النّهضَةِ الإسْلاميَّة الحَضاريّة الحَديثَة التي رَكّزَ أعلامهَا الخَضراء والِدكُمُ العَظِيم بكلتا يَدَيْهِ مُتَرسّمًا أضوَاء فَجْر الإسْلام الصَّادِق في جَزيرَة العرَب ... ولمَّا كَانَ جِهَادكُمُ للصّعُود بهذهِ النّهضَةِ المُبارَكَةِ إلى مَثَلِهَا الأعْلَى ، مُتَواصِلاً بإيمَانٍ وَبُطُولَةٍ وَعِلمٍ وَفِكْرٍ وَحِكمَةٍ رَفعْتُهُ إلى جَلالَتِكُمُ :

١ - لِيَكُونَ كَلِمَةَ ثَنَاءٍ وَإكْبارٍ لجَلالَتِكُم ،

٢ - وَلِيَسْمُوا باطِّلاعِ جَلالَتِكُمُ عَلَيْهِ ،

٣ - وَلِيَكُون في مَكْتَبَتِكُمُ العَامِرَةِ هَتْفَةَ وَلاءٍ خَالِدَةٍ وَصَدًى لِقَولِ الشّاعِرِ الحَكيم الذي حَالُهُ في إهدَائِهِ يُشْبِهُ حَالِي :

وَأنَا الذّي أهْدَى أقَلَّ بهَارَةٍ حُسْنًا لأحْسَنِ رَوْضَةٍ مِئْنَافِ

غرّة محرّم عام ١٤٠٣ هـ

هاشم محمد سعيد دفتردار

المقدّمة

لك الْحمدُ يا ـ إلّهي ـ يا مَنْ كوَّنتَ الأكْوانَ بعلمِكَ وقدرتِكَ وإرادتِكَ وحدَّدتَ لها حدودَهَا من الأمْكنةِ والأزمنةِ وأقمتَهَا علىَ سُنَنِكَ التَّي فرضتَها عليْهَا وعينتَ لها وظائفَها الخاصةَ بها وحفظتَها بحفظِكَ الموزونِ المُقدَّرِ. فإذَا هِيَ كلُّها آياتٌ دَالاَّتٌ على أَسْرارِ خَصائِصِ وُجُودِكَ الأزلي الأبدي الذي هو فوقَ وجودِ الأَكْوانِ التِّي ابتدعْتَهَا سُبحانَكَ أنتَ واحدٌ أَحَدٌ لا شريكَ لك وَلاَ نِد . .

ولك يا خاتمَ النبيينَ مِن المؤمنين في صلواتِهمُ الخمس آناءَ الليل وأطرافَ النهار السلامُ المقترنُ برحمةِ الله وبركاتِهِ: السلامُ عليك أيهَا النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتِهِ وعلىٰ آلِكَ البررةِ الكرامِ وأصْحابكَ الأَبْطال فأنتَ يا رسولَ اللهِ أُسْوتُهم إلى تَمام مَكارِمِ الأَخْلاقِ وأنت أُسْوتُهم إلى جَـلائِلِ الأَعْمال.

وأنتَ أنتَ المثالُ الْمُحتَذَى فِي الضَّراعةِ والتَّبتـلِ إلى رَبِّ العالمين وخالِقِ الخلقِ أَجْمعين أَجَلْ أنتَ أسوتُهم الداعيةُ في كلِّ ذلكَ ببلاغةِ البيانِ وحكمةِ المقُولاتِ وقـوةِ الْبينـاتِ وأُسْلوبِ البـرَاهين ويقين العِلْمِ والتزامِ الاسْتقامةِ حتى انتصر العلمُ على الجهلِ والحقُّ على الباطِلِ والصدقُ على الكذبِ والخيرُ على الشرِّ والإنسانيةُ على العنصريةِ والايثارُ على الأَثرةِ

والرحمةُ على القسوةِ والدينُ على الأُسْطورية..

وتوحيدُ اللهِ على تَعَدُّدِ الآلِهَةِ المتَخَذَةِ مِنْ أفرادِ الكائناتِ أَجَلْ تَمَّ كلُّ ذلك وانتصَر بِكَ وبالمؤمنينِ الصَّادقينَ انتصاراً صارخاً مِنْ فوقِ أعلى مَنائِرِ البحارِ، وَمِنْ فَوْقِ أَشْمخ قِمَم الجبالِ.

وَكَانَ ما أنزله اللهُ إليكَ مِنْ مُعْجزاتِ الآياتِ المتحدياتِ نهضةَ كلِّ أُمةٍ وزينةَ كُلِّ حَاضرةٍ وَنَضْرةَ كلِّ بَادِيَةٍ ومدينـــة..

فكنتَ يا رسولَ اللهِ الداعيةَ البطلَ الصابرَ المُضحِّي وكنتَ الركنَ الركينَ والدعامةَ المكينةَ حتى أتم اللهُ بِكَ أَسْمى غاياتِ حياةِ الإِنْسَانِ وأعذَبَ آدَابِهَا وأَحْلَىٰ كلماتِهَا.

وكنتَ ـ يَا رَسولَ اللهِ لسانَ الحكمةِ العالِيةِ الموحاةِ إلَيْكَ لِهدَاية النَّاسِ إلى الإِيمانِ الصحيح وإلى الكلمـة الطيبـة والخلقِ الْعَالِي وإلى المـودةِ السَّمْحةِ: وما أروعَ مواطرَ وَحْيِ اللهِ الدَّفاقة بالخصبِ والنَّماءِ وما أَطْيب الثِّمارِ، وما أحلاَها في الأنفسِ الجافّة المحرومة.

وإني قبستُ بما أَتمه اللهُ على يديْكَ يَا رَسولَ اللهِ الأعوامَ الطِّوالَ مِنْ مكارمِ الأَخْلاَقِ وسُموِّ الخلالِ وحسنِ الأعمالِ مَا قَبَسْتُ ودوَّنتُ منه ما دَوَّنتُ وهتفتُ ودعوتُ...!!

وإني رَجَوْتُ مِنَ اللهِ جَلَّ وعزَّ بمَا قَبسْتُ ودوَّنتُ وهَتفتُ ودعوتُ النفعَ لِعبَادِهِ والرِّضَا والطمأنينة لهم. كما انْتفعتُ ورضيتُ واطْمأنَنْتُ..!!

وإِنِّي أرىَ أَعْلىٰ مِنحِ الإِيمانِ العمليّ الصَّادِقِ مِنْحةَ النفسِ الرضيةِ التي تُحِبُّ للناسِ مَا تُحبَّه لها وتكره لهم ما تكرهه لها: إنسانيةً مَثالِيةً عاليةً هي صَبغَةُ اللهِ في وَحْيِهِ وَلا أَحْسَنَ منها..

ولا رَيْبَ أن قُرَّائي فِي شتَّى البلادِ الذين يَروقُ لَهمْ ما أكتُبُ ويُرضِيهمْ

يودُّونَه ويهتفونَ له ويقبلونَ عليه بِسَبَبِ أَنِّي مِنْ أهل ذات فطـرة الإِيمان وصيَانَتِهِ ورعايتِهِ والتقيـدِ بِه في أعمـالهم ونياتهم على نَسَقٍ عالٍ طُلَعَةٍ من العلم المحرَّر مِن الظنونِ والأوهام والأساطير.

وهمْ يعلمون أنَّ مَا أكتبُه منذُ نِصفِ قَرْنٍ لا يَخْرجُ مَنْ هذِهِ الدائِرةِ ولا جرَّةَ يراعٍ أو لمحةَ فِكْرٍ.

وهم يسمعونَ في الإذاعاتِ ما يُلْقىٰ مِنْ أحادِيثِي ويقرأون ما أكتُب مِمَّا أنشرهُ في الصُّحفِ والمجلاتِ مِنْ نِصفِ قَرْنٍ وأسلوبي تخلَّلهُ شخصِيَّتي فلا يقبلُ التزويرَ والزيادةَ والنقصانَ والمختلس مفضوحٌ وأُسلوبي بحمدِ الله خَالٍ من الخسائِس الثلاث خبثِ الأنانيةِ وصغار الحسدِ ولعنةِ بَخْسِ أشياء ما يقدِّمه الكاتبونَ للناسِ.

وهذه الخسائس الثلاثَ تَدلُ على ثلاثةِ أشياءَ حَقِيرةٍ تدلُّ على عَدَمِ الاكتراثِ بالْمسؤُوليَّةِ أمامَ اللهِ وعلى وَضَاعةِ الأصلِ وعلى تَفاهةِ النفسِ والفكر..

ويشهد الله أَنَّ حَديثي كُلَّهَ نَقْدٌ على المنحرفين الملحدين ولا أذمُّ سواهُمْ حتى في الخاطرةِ والنيةِ وَمَا أَحْقرَ مَنْ يَراكَ عظيماً نَافِعاً في خَاطرته ونيتِهِ ويحتقرك ظلماً وعدواناً بلسانِهِ ويَراعِه إنه مِنْ سفلـة الناقدين.

ويشهدُ اللهُ أني لم أتقدمْ إلىٰ أحدٍ بإساءة أو نكرانِ صَنيعٍ أوْ مُدَاجَاة ولكنْ حُبي للناس يجعلني سمحَ النفسِ واسعَ الرضَا أصفحُ حتى لمن أساءَ إلي بدون إسَاءةٍ مِني ولو بطيفِ ابْتسامة..

فحديثي عن الناس كلُّه حبٌ وصدق وسماحة وصفح ورضا ولا أكرهُ إلا الذين يكرهون الإيمان ولكن لا أُعيِّنُ أحداً في الرَّدِ ويشهدُ الله ان كل أمنياتي مما اكتب أن يعود العرب والمسلمون إلى أمجاد سَلفهُمُ الصالِح

بكل ما كانوا عليهْ:

١ ـ مِنْ صدقِ الإيمانِ العملي الملتزم.

٢ ـ ومنْ كبيرِ التضحيات وبذلِ الأنفس والأموال في سبيل الهدَى والاستقامةِ والذودِ عَن هَضْمِ الحق والعلمِ والصدقِ والخلقِ الكريم.

٣ ـ ومن إيثارِ البيانِ العالي الذي يَجْعلُهمُ على دَرَجةٍ مرموقةٍ من الاجْتهادِ في فَهْمِ آياتِ الله وأحادِيثِ رَسُوله الصَّحيحةِ أَوْ مَا يُقرِّبُ مِنْهُ..

٤ ـ ومنَ التزامِ السَّيْر على الكتابِ والسنّةِ الصحيحة دونَ انحرافٍ أَوْ تأويلٍ أو تجريحٍ.

والآنَ بمناسبةِ مقدم العام الجديد عام ١٤٠٥ هـ، أحببتُ أنْ أُقدم إلى جَماهير الشبانِ المثقفين الجَامِعيين أو مَنْ كانوا في مُسْتواهم أو على غرارهم مِن حُبِّ العلم اليقيني الذي أوحاهُ اللهُ علىٰ خَاتِمِ رُسُلِهِ محمدٍ ﷺ.

أجلْ الآن أُقدِّمُ إليهم مِنْ كنوز الحكمةِ التي وَعيتُها طِوالَ دراساتِي التي ما كانت لاتهدأُ ليلاً ولا نَهاراً أقدمها في الأُسْلوب العربي الصَّحيح الصافـي.

وكل أَملِي أن تَظفرَ بما تستحِقُّ مِنَ العنايةِ والرعايةِ حتى تستوي على ذاتِ مكانتها دونَ محاباةٍ أو تحاملٍ ما دمتُ أنشد في أعمالي الهدى والخير للناسِ أجمعين، واللهُ على مَا أقول وكيل.

وإني أعتقد لو أنك قابلتَ بالدراسةِ الخاطفةِ مثلَ وَحْيِ القلم أو النظرات أو حياة محمد لما استطعتَ أن تتذوَّق ما فيهِ مِن الأدب العالي والحكمةِ البالغة والبيانِ السَّاحر العجيب.

وَمَثَلُ النظرةِ الخاطفةِ كَمَثَلِ الغَرْبِ المخـروقِ في السَّوانِي العجلى تمتحُ ما تمتحُ ولكنها لا تملأ حوضاً ولا تسقي غَرْساً. .

هذا كلُّ أملي وهذا صَنِيعي إذَا وقعَ في يَدِي مُؤلفُ جديرُ بالدراسةِ والاعتكافِ والنظرِ المتتابع والرعاية والحفظ.

ويسرُّني أن أفهمهم أنَّ هذا المؤلفَ هُوَ بِمثَابَةِ الطَّلائِعِ لِمَا هو بَينَ يدي كالطّلائِع التي تَسْبقُ الجيشَ العَرمْرم. .

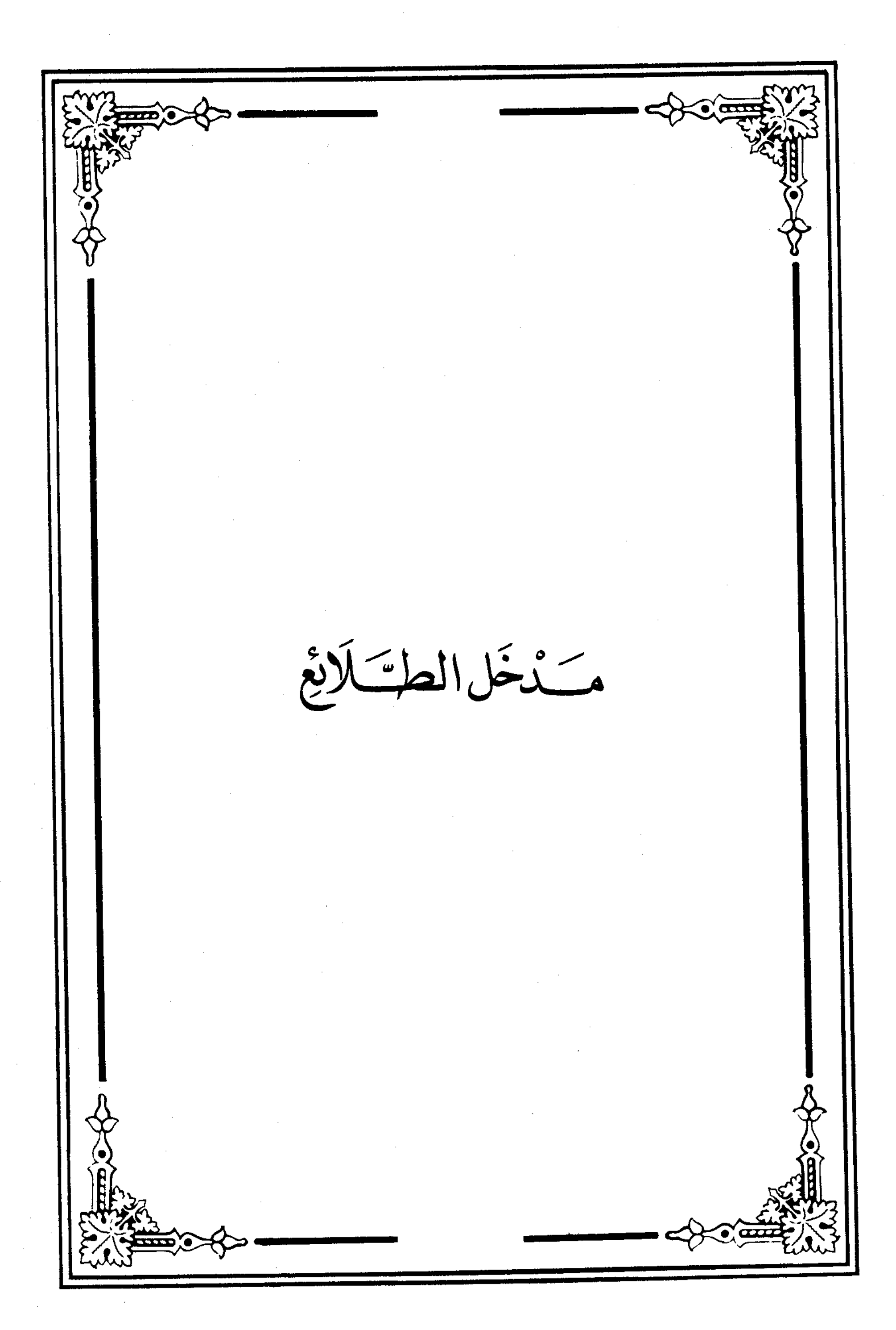
ولذلك أسْميته طلائِعَ الفكرِ والأدبِ وقد قدمتُهَا لِلصَّديقِ العربي الصميم والمسلم الصادق الداعية السيد مُحْسن أحمد باروم مدير عام دار الشروق في جدة، ليتولى إخراجها للناس بما لَدَيْه من إمكانيات وحسنِ إخراج فني دقيق.

وهو إنسان بكل ما عرفتُ مِن معنى الإنسان في كتب الحكمةِ والأخلاق، وصَادِقٌ وأمين ومحـب للإسلام والعرب بحقٍّ فإذَا وجد مؤلفاً في خِدمـةِ الإسلام والتقدم العالي للغة العربية وتأكد مِنْ ذلك فإنه لا يألو جُهْداً في سَبيلِ إخراجه العالي الجذاب أَعانَهُ اللهُ ونصرَه على انحرافِ المنحرفين، وإفكِ الأفاكين وَنَهْبِ الناهبين. والله ولي المتقين.

محرم عام ١٤٠٣ هـ

هاشم دفتر دار المدني





مَـدْخَل الطـّـلَائِع



مـدخل الطـلائع

الكلمـات

١ ـ مكانة الكتاب.

٢ ـ ذكرى صاحب اليوم الوطني.

٣ ـ احسان ملكي كبير.

٤ ـ ليلة مثمـرة

٥ ـ الرياض عاصمتنا.

٦ ـ إحياء الكتاب.

٧ ـ جمال الليالي الشاعرية في سماء جزيرة العرب.

٨ ـ حديث عن الوطن القلب.

٩ ـ طاقة الشمس وجزيرة العرب.

١٠ ـ ما كل بصير ببصيـر.



مكانة الكتاب . .

حياتُنَا الدنيا أَلْوانٌ وألوانٌ وفي كلِّ حضارةٍ يبدُو بعضُ ألوانِهَا ويختفي البعضُ وألوانُهَا مفرغة في دائرة متكاملة كحلقةِ الطيفِ ولكن لا يظهرُ للنظارة من الشرق والغرب إلَّا نصفُ الدائرةِ ومنْ أجلِ ذلكَ أَسْماهُ العربُ قوسَ قُزحٍ لأنَّ القوسَ نصفُ الدائرة.

ولا تظهرُ كلُّ الدائرة على حَقيقتِهَا إلا لِمن انْطلقَ من جاذبيةِ التراب ونظرَ إليها وهو بعيدٌ عن حجابِ الشطرين حينئذ يُشاهِدُها علىٰ حقيقتِها دائرةً مُتكاملة بألْوانِها.

وهنا الهولُ لأنَّ الناظِرَ إليها وَهْيَ فِي دَائِرتِها كاملة إمَّا أنْ تَكونَ عَيْنُهُ زرقاءَ أو سوداءَ أو صفراءَ وعليها نظارةٌ مِنْ لونِهَا فهو محالٌ أن يراها في غيرِ اللونِ الذي تحملُه نظارته ولذلك تجد الشيء الواحد ذات الحقيقة الواحدة تكثرُ حولَه الأقاويلُ ويختلفُ فيه النُّظارُ ولو نَظرُوا إليه بعيونِهم المجردة لما كانَ ثمةَ مِنْ خلافٍ أبداً ولا ضرر من اختلاف لَون العيون ما دامت البصيرة سليمة.

وكم وكم هم الذين ينظرون إلى الحقائق من وراءِ نَظَّاراتهم لذلك تبدُو الحقيقة الواحدةُ ذاتُ ألوانٍ، والقلائلُ الذين ينظرونَ إلى الحقائقِ بعيونهم المجردةِ وهؤلاءِ القلائلُ هُمْ أئمة الهدىَ والدعاةُ إلى الإنسانيةِ الصالحةِ والمودةِ البريئةِ وحينئذ لا قديمَ ولا جديدَ ولكن الحقيقةُ هي الحقيقةُ.

فكمْ مَنْ تصَّورُوا القديمَ جديداً وكم من تصوروا الجديدَ قديماً لجهلِهم

بالحقيقهِ والحقيقةُ هِيَ زينةُ حياتِهم ومتعتُهُمْ بجمالِهَا على علاَّتِهَا وهي الجديدةُ بالنسبةِ إليهم لأنَّ الْحَياةَ كلما جَدَّتْ في بَشرٍ جدت معهمْ لهفاتُهَا وتبعاتُها والجديدُ مِنْ أَلْوانِ الحياةِ تبدُو فيهم حقيقةً مِنْ حيثُ يَنْتهِي القديم.

وألوانُ الحياة الإنسانية يتداولُها الليلُ والنهارُ والبِدَايةُ والنهايةُ وهي غارقةٌ في لُجج معارِفِ الوجود ولا يعلُمها بدايةً ونهايةً وحركةً وسكوناً ذرةً وطاقةً إلَّا الذي كوَّنها تَكويناً هو اللهُ الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ ولـه الخلقُ والأمرُ. وأيُّ لونٍ مِنْ ألوانِ الحياةِ ظَهَر كانَ مِمَّا هُوَ مقرَّرٌ ظهُورهُ في دائرة التكوينِ، والشرقُ لا يرى إلَّا شطرَ الدائرةِ الأولى والغربُ لا يَرىَ إلَّا شطرهَا الثاني ولو أنهما نظرَا معاً بعينِ العلمِ المجردةِ وسُموِّ الإنسانيةِ العاليةِ إلى الدائرةِ مِنْ وراءِ الْجَاذبيةِ لأبْصرَا الحقيقةَ الواحدةَ الجامعةَ وَلَمَا اختلفا ولَمَا افْترقَا ولَمَا ارْتابَ أحدُهُما من الآخر في شيء.

ومن أجْلِ ذلك لن يجمَع الإنسانيةَ ويُوَحِّدَ كلمتَها ويُهذِبَّها في نَفْسِها إلَّا وحيُ اللهِ لأنَّه يجيءُ مِنْ وراءِ الحجب، وحقيقةُ الدائرةِ بينةٌ فيه بكامِلها إسْمعْ ما يقولُهُ اللهُ في وَحْيه:

﴿وما كانَ لِبَشرٍ أَنْ يُكلِّمَه اللهُ إلا وَحْياً أو مِنْ وراءِ حِجابٍ أو يرسلَ رسولاً فيوحيَ بإذنه ما يشاءُ إنه عليٌّ حكيم﴾ [٤٢ - ٥١].

الكتــاب

إذَنْ فلونُ الحياةِ الثابتُ الزاهي على امتدادِ الأبد في جمالِ الواقع الناطق هُو الكتابُ، والكتابُ يَظلُّ حياةً عاليةً حيةً زاهيةً رفَّافةً في وَاجهةِ الأبدِ ألا إنَّ أشرقَ إشرقاتِ العِلْمِ ألَا إنَّ افتنَ مَفاتِنِ الْحياةِ ألَا إنَّ أخلد خَوالِد البيانِ هو الكتابُ والكتابُ لا سِواهُ. وكلُّ ألوانِ الْحَضارةِ تُمْحىٰ وتزولُ وتصبحُ أطيافاً وأحلاماً وذكرياتٍ إلَّا لوناً واحداً لا يُمْحى ولا يحولُ ولا يزولُ

وليس في طاقةِ البشرِ أن يمحوه أو يُحيلوهُ أو يزيلوهُ ذلك اللون هو الكتاب. .

ولولا أنَّ الكتابَ عظيمٌ وعظيمٌ جداً لَمَا اسْمىٰ اللهُ وحيَهُ المنزَل كِتاباً. .

﴿ونزلْنا عَليكَ الكتابَ تِبْياناً لكلِّ شيءٍ وهدًى ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ [١٦ - ٨٩] وكتاب الله إمام الكتب ومقومها.

وسَقطَ الإغريقُ القدماءُ في خَبر كَانَ سَقَطُوا هم وزينةُ مُدنهم وعزةُ سلطانِهم وزخارفُ دُنياهمْ ولكنَّ شيئاً واحداً لم يسقطْ ولنْ يَسْقطَ أبداً أبداً هو الكتابُ فالكتابُ كلُّ شيءٍ في الحياة بل هو الحياةُ، بل بَلغَ الأمرُ حتى في جاهليةِ العربِ فإنهم أكبرُوا الكتابَ أيَّما اكبار حتى دوَّنُوا المعلقات السَّبْع وعلقُوهَا في جوف الكعبة في طرَفِ الذهَبِ.

ونحن الآنَ في تَعاونِ هذه النهضةِ الاجتماعيةِ العربية السعودية التي أقام عِمادَها الملكُ عبدُ العزيز آل سعود نُشاهِدُ قادَتَها وفَّرُوا كلَّ المعونةِ المادّية ليكونَ الكتابُ هو ركنَها الركينَ على كلِّ عهودِ تاريخ الكتابِ العربي حتى أصبحتِ المطابعُ الكبرى تَعُدُّ لَهُ العدَدَ وأصْبحت المكاتبُ الكبرَى تُشيدُ وشركاتُ توزيعه تنتظمُ كلَّ مُدُنِ المَملكة.

ونستطيعُ أن نقولَ ما هي إلا بضعةُ أعوامٍ حتى تَكونَ المكتبةُ السعوديةُ الحديثةُ أَضْخم مكتبةٍ عرفتها الدولُ الإسلاميةُ والدولُ العربيةُ في تاريخها الطويل.

أجل إنَّ الكتابَ الحديثَ في هذه النهضةِ عملاقٌ: وما أَسْمى قممه وأرفعَ منائره وما دام الغذاءُ الجيدُ هو هدف الدَّارسينَ والدارساتِ والمطالعينَ والمطالعات فليس من الضروري الحملات التي تعاود في الصحف كرة وكرة حولَ إفراد الكتاب العبقري الخالد بالطبع دونَ سِواهُ لأنَّ كُلَّ إنسانٍ مثقفٍ يتناولُ الغِذاءَ الصالح النافع ويرفض الضَّارَ الطالح.

أجل ليس مِنَ الضروري تلكم الحملاتُ المتتابعةُ الشّاعِلة سواء في نوادي الأدب أو في الصحافة أو فِي مجالس السمر حولَ الكُتبِ التافهةِ التي تضرُّ الأَلْسنَةَ والأفكارَ والسلوكَ والأخلاقَ والعقيدةَ ووحدة الكلمة.

وكلُّنا نعلمُ أنَّ الإنسانَ المثقَف كُلَّما نَضجَ عقلُه وسمتْ ثقافتُهُ وصحت نفسُه واشتدتْ عزيمتُهُ يَدَعُ الحسنَ ويطلبُ الأحسنَ ثم يدَعُ الأحسنَ ويطلبُ المثلِ الأعْلىٰ لأنَّ الإنسانَ الذي يملُك عقلاً نيراً وقلباً ذكياً وعزيمةً وقَّادةً يَظَلُّ يطْمحُ ويطمح إلى أمْجادِ الخلودِ وكشف حقائق الوجودِ ويأبى أَنْ يحيا كالسائمةِ يأكل ويشرب ويثافن.

وإذا كان الطموحُ أساساً في فطرةِ الإنسان الْعَادِي فما بالك بالإنسانِ الحضاريِّ المثقفِ الطموح.

والإنسانُ المثقف كما يطلبُ الغِذاءَ الصحيَّ الجيدَ الحسنَ المناسبَ لِجَسَدِهِ في نَمائِه وسَلامَتِهِ. كذلك يطلبُ الغذاءَ الصحيَّ الجيدَ الحسَن الذيّ تسمُو به ثقافَتُهُ وتسلمُ مِن العطبِ والانحطاطِ على أَنَّ أوبئَةَ الثقافةِ وبلاياها أدهىٰ وأمرُّ مِن أوبئةِ الأطعمة.

هَبْ أنَّ ألفَ طبيب وطبيب طلبُوا إليك أن تتناول طعاماً موبوءاً كريهاً فإنك حتماً ترفضُه وكذلك لو أنَّ ألفَ باحثٍ وباحثٍ أخذُوا يُمجِّدونَ لك شعرَ الْوْاواء الدمشقي ويفضلُونه على شِعْر الْمُتَنبِّي.

ثم جاء أديبٌ وألف بعضَ مختاراتٍ من شعرِ الْوْاواء وجاء آخرُ وألف بعضَ مختاراتٍ من شعر المتنبي فباللهِ عليك أي المؤلفين يقبلُ عليه المثقفون دراسةً واستظهاراً واقْتناءَ وأي المؤلفين يعرضُ عنه المثقفون إذن فخصومات نقدةِ المؤلفاتِ التي تطالِعُنا بِهَا الصحفُ كلَّ يومٍ لا لزومَ لها بالنسبةِ للمثقفين

أَجَلُ لا لزومَ لها. لأنها لن تقدَم مؤلفاً يستحقُ التأخـر ولن تُؤخِّرَ مؤلفـاً يَسْتحِقُّ التقدم.

فنفسُ المؤلفِ هو الذي يقدمُ ذَاته إن كانَ عبقرياً نافِعاً ويؤخر نفسَه إن كان مُنْحطًّا تافِهاً فكم هم السُّخفاء الذين حاولُوا الحطَّ مِن شعـرِ أحمد المتنبي وتَفْضيلَ أبي فراس عليه.

فكانَ الأدباءُ يسخرونَ منهم ويروْنَهم تافهين مَرْضى يؤثرونَهم بالشَّفقةِ عليهم ويطلبونَ لهم الشفاءَ لأنَّ إيثارَ الأدنى على الأعلى لَيْسَ غَريباً أن يكونَ في بعضِ النفوس فهؤلاءِ الأسرائيليـونِ عافوا الْمَنَّ والسَّلْوىَ وطلبوا الذي هو أدنَى من العدَسِ والبصلِ والفوم فنزلَ فيهم قولُ اللهِ تعالى:

﴿قال: أتَسْتبدِلونَ الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾[٢ ـ ٦٢].

لا تعجبْ إذا رأينا مَنْ يُفضلُ الرواياتِ الخليعَة التافهةَ على الرواياتِ العبقرية كروايةِ مجدولين والفضيلةِ ورفائيل وآلأم فرتر وسيدِ قريش وزينب وأهلِ الكهف وَتِسْ ترجمة فخري أبي السعود.

وَمَهْمَا يكنْ فالاتباعُ للأحسنِ والأجود والأخذِ به وتأييدِهِ والإنضواءِ إليه والهُيامِ به هو الحياةُ الحقيقية والفوزوالنجاح. واتلُ خاشعاً مستفيداً:

﴿واتَّبعُوا أَحْسَن ما أُنزلَ إليكم مِنْ ربكم مِنْ قَبلِ أن يأتيَكُمُ العَذابُ بغتةً وأَنْتمْ لا تَشْعُرون﴾ [٣٩ ـ ٥٥].

نواويس المتاحف:

كلُّ آثارِ الأمم الْبائِدةِ والأجيال الغابرةِ تَدْخلُ في نواويسِ المتاحفِ: السِّلاحِ والثيابِ والمجوهرات والتحفِ والطرف إلا الكتاب فإنه يظلُّ حَيًّا

نَاطِقاً صارِخاً في المكاتبِ الكبرَى العامة والخاصة وتجدُ العلماءَ وطلابَ المعرفةِ والباحثين المحققين يَهْتمونَ بالكتابِ :وهمْ مِنْ أجلِ ذلك يترَدَّدُونَ على المكاتِب العامةِ والخاصة على أنَّ العالمَ المحققَ والأديبَ البحَّـاثَة والشاعر الفذ العبقريَّ لا يستغني عن مكتبةٍ خاصةٍ للمراجعة...

وهكذا تجدُ سوقَ الكتابِ في كلِّ الأَزْمانِ وفي كلِّ الأَعْصار: الاقبالَ عليه متزايداً لأَن الإنسانَ لا يَسْتغنِي بتاتاً عن غذاء فكرهِ ما دام إنساناً حَيّاً حَسَّاساً له عقلٌ وعلمٌ..

أمّا ما تراه من إعراض بعض البشر المثقف نِصْفَ ثقافةٍ، عن مطالعة الكتب الجيدة العالية الخالدة. وَذلك ناجم عن مرض مجموعاتهم النفسيـة وسَخَافة تفكيرهم. وفقدهم لكل طموحات الإنسان الإنسان..

فهم أمواتٌ كأحياء. لأَنَّ حَياة الإنسان هِيَ ذكراه. وهؤلاء لا ذكرَى لهم تظلُّ بعد زَوالهم.

ذكرى صاحب اليوم الوطني

الذكرى المثالية الخالدة لليوم الوطني

١ ـ هيَ نافذةٌ مقدسةٌ في محرابِ السماءِ تطالعُك منها مشارقُ الخلود.

٢ ـ هي قمةُ أمجادِ الإنسانيةِ، وبطولةُ بطولاتِها، وتضحيةُ تضحياتِها وسماءُ سَماوَاتِهَا.

٣ ـ هي أضواءُ حقيقةِ الإيمانِ وهدَى آياتِه في الدعوةِ إلى الله تعالى.

والذكرىَ الجَامِعة الخالِدة مجَّدها اللهُ فِي مُحْكم كتابهْ اكـرمْ به مِنْ تَمْجيدٍ وأعظمْ به من تكريم.. هو تمجيد وتكريمٌ لعبادِهِ البررةِ دُعاةِ الإيمانِ الصحيح. لكي تكونَ كلمتُهمْ واحدةً رهيبةً حنونةً، ولكي يكون ذكرهم ينفحُ الأجْيالَ بالطيبِ والمتعةِ، ويكون ذكرهُم سعادةً وإسعاداً، ويكون ذكرُهمْ متعةً ورفعةً وخلوداً، هو منحة الله لرسله الكرام لكي يَظلوا هُداةَ رشدٍ إلى الأبد.

١ـ ﴿واذكر في الكتاب إبراهيمَ إنه كانَ صدِّيقاً نَبياً (٤١) إذ قال لأبيه يا أَبتِ لم تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يبصرُ ولا يُغْنِي عنكَ شيئاً﴾ [١٩ ـ ٤٢].

٢ ـ ﴿واذكر في الكتابِ إسْماعيل إنه كانَ صادقَ الوعدِ وكانَ رَسولاً نَبيًّا..﴾. [١٩ ـ ٥٤].

٣ ـ ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كانَ صِدِّيقاً نبياً (٥٦) ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ [١٩ ـ ٥٧].

٤ ـ ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربَّه أَني مَسّنيَ الشيطانُ بِنُصْبٍ وعذاب (٤١) اركض برِجْلِك هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب﴾ [٣٨ ـ ٤٢].

وآيات وحي الله تفيض بذكر هؤلاء القمم العمالقة الأبطال الذين قدموا أنفسهم وأموالهم لله رب العالمين ودعموا الإيمان العلمي اليقيني به وهدموا الإلحاد والملحدين، وشَدُّوا أواصرَ كلمةِ التوحيدِ بكلمةِ التـوحيدِ اعتقـادا واجتماعاً وحَضارةً، واستحقوا لذلك أن يذكرَهم لسانُ التاريخِ باسْمِ الهداةِ الخالدين، ورسل الله المختارين.

فأمجادُهُم إنسانيةٌ خالدةٌ عاليةٌ ولولا أنها أمجادٌ إنسانيةٌ عاليةٌ لما رفع اللهُ أسماءَهُمْ في محكم آياتِهِ.

.. أُنظرْ أنظرْ هذَا خاتمُ رُسلِ اللهِ سيدنا محمدٍ الذي أخرجَ اللهُ علىٰ يديه خيرَ أمةٍ أُخْرجتْ للناسِ يقول اللهُ في حقه«ورفعْنَا لكَ ذكركَ»[٩٤ ـ ٤].

وهذا سيدنا إبراهيم الخليل طلب من رب العالمين أن يجعلَ ذكرهُ خالداً على مدَى تداولِ الأجيال:

﴿واجعلْ لِي لسانَ صِدْقٍ في الآخرين﴾ [٢٦ ـ ٨٤].

والأمجادُ التي يستحقُّ صاحبُها أَنْ ينعمَ بالذكرَى الخالدةِ الماجدةِ هِيَ أمجادُ العبقريةِ والإيثارِ والمنافع الدائمةِ للأَجْيال..

ومثلُهَا أمجادُ التضحياتِ والبطولاتِ التي هِيَ معالمُ هِيَ صُويً هِيَ أعلامٌ ترفرفُ فوقَ أعلامٍ تُرفْرفُ بذكرىٰ صاحِب اليوم الوَطَنِي صَقْرِ الجزيرة الملك عبد العزيز فاليومُ الوطني هو يومُ جَزيرةِ العرب الْخالِد. هُوَ يَوْمُ الاجتماعِ والمودةِ الصادقةِ بينَ الإخوةِ أبناءِ الوطن الواحِد، هو اليوم الذي توثقتْ فيه القلوبُ بالقلوب والعقولُ بالعقولِ والأرواحُ بالأرواح.

هذا هو اليوم الوطني الذي لم يكنْ ليخْطرَ في أَطْيافِ الأحْلام بكل هذه الأَمْجادِ والخصب أصبحَ حقيقةً ملموسةً بكل مَا فيه مِنَ العزةِ والكرامةِ والقوةِ والمودة. .

وإني نسقتُ كلمتي هذه أنشودةَ إكبارٍ لِمَا تحقَّق فيه ويتحققُ إنه اليوم الوطني الذي فيه كلُّ مَا يلذُّ الأعين ويسعدُ الأسْماع ويمدُّ الأقلامَ بمَدِّ البيانِ والحكمةِ والاقتدار وما أعظم الذكريات الخالدة التي تعتزُّ بها الأجيال.

والأسباب تلو الأسبابِ من السُّمـوِّ هِيَ التي حدتني أن أرفعَهـا إلى صاحبها الملك الخالد عبد العزيز آل سعود الذي أسعد اللهُ به أبناء أمته بما أظلهم مِنْ ظلالِ الأَمْنِ والمعرفةِ والحضارةِ وعلَّمهم كيف يكونونَ إخـوة أحباباً ومواطنين صَالحين وهذه أكفُّ أبناءِ أمتِهِ تُرفعُ في كلِّ سَحر وتنادي بأفضل الدعاء:

اللهم أَثِبْهْ بأفضلَ مثوباتِ المنحِ مِنْ مِحْراب كرمِ السماءِ يا حَنَّان يَا رَحْمان. .

** . . ** . . **

إحسان ملكي كبيــر

«كلمة كتبت بمناسبة المنحة الملكية
بتأسيس جامعة أم القــرى»

هو إحسان الإحسان. . . .

وإحسان الإحسان - يُمجد العلمَ ويُسعد الحياة ويقصرها على السمو والهدى.

والحق ان الله أتم فضله على جلالة الملك المفدى، فألهمه أن يمنح أهل البلد الحرام بمنحة ماجدة خالدة، هي منحة العلم. ومنحة العلم لا تعدلها منحة.

إلا أنها منحة نادرة في تاريخ الملوك.

أجل هي منحة كريمة لها في التاريخ أبعادها وغاياتها ومنافعها الكبرى الكبرى. ولم لا تكون كذلك، وهي منحة العلم، والعلم ثروة الثروات.

أجل العلم ثروة الإيمان ثروة الحق، ثروة الأمن، ثروة الأمانة، ثروة العمران ثروة الحضارة، ثروة الحفاظ على الحرية، ثروة القوة، ثروة سعادة الدارين.

وما يجود بمثل هذه الثروة العظيمة النافعة إلا ملكٌ عظيم، وأية منحة أنفع من جامعة؟ أجل منح الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود إلى أبناء أم القرى. . جامعة، وهتف الهاتفون.

«هـاهو الملك خالد بن عبد العزيز يمنح أم القرى ينبوعاً من المعرفة ومنارة من النور وسماء من الإيمان ودعامة من الحق.. وإني أبارك أمتنا العربية السعودية المسلمة بمليكها العربي السعودي المسلم..

فما أشبه الروح بالروح، والفكر بالفكر والإيمان بالإيمان والاخلاص بالاخلاص.. والإحسان بالإحسـان.. وهذا حق فقـديماً قـال الحكماء: «الناس على دين ملوكهم».

وكأني بمليكنا المفدى، لما اعتزم أن يتوج أم القرى بمنحة كريمة ذات قدر تاريخي خالد أخذ يقلب الآراء ويعجمها عـوداً عوداً ويتبصـرها في مطالعها مطلعاً مطلعاً.. فلاح له في أحد مطالعها قول الإمام الشافعي:

١ ــ من أراد الدنيا فعليه بالعلم.

٢ ــ ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

٣ ــ ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم.

فسره ذلك لأن الناس جميعاً يسعـدهم العلم وينيلهم أمانيهم. إذن فالعلم هو أنفع منحة وأكرم منحة، وأخلد منحة. لذلك قرر أن يقلد أم القرى العلم ليأخذ كل واحد من أهلها نصيبه من المنحة لأنه لا يخلو، اما أن يريد الدنيا واما أن يريد الآخرة واما أن يريدهما معاً.

لذلك كانت المنحة الملكية «جامعة» لكي ينال العلم الجميـع دون استثناء وكم تعظم المنحة وتبارك من الله جل جلاله إذا كانت مقامة في أحد الحرمين الشريفين وحينئذ تشمل نفحاتها كل السعوديين بل كل العرب بل كل المسلمين على الاطلاق. لأنها منحة متصلة بالله ووحيه ونيل رضوانه والتزام سنّة رسوله ﷺ.

حسبها أن تكون منحة الهدى منحة الإنسانية منحة السعادة للجميع.

هي منحة تجعل العربي عربياً بلسانه وأعماله وتجعل المسلم مسلماً بصدق إيمانه ونبل جهاده وذوده عن العلم والحق والإيمان والخلق الكريم وطرحه للخيانة واستمساكه بالأمانة. وتجعل الإنسان إنساناً حقاً - لا وحشاً كاسراً ولا ظالماً باغياً ولا عنصرياً متآمراً ولا أفَّاكاً متلوناً ولا جماعاً مناعاً. بل تجعل الإنسان دعامةَ سلمٍ ودفق نفع، وصلة رحم، وكشف غمة وطيبَ عيشٍ.

والحق أن العالم اليوم تجتاحه النزوات وتعصف به عواصف التمول وأطماعها وتطغى طغيانها الباغيَ العاسف وتتربص به لذلك مؤامرات أهله بعضهم ضد بعض بالدمار وإراقة الدماء وتمزيق كلمة الشعوب.

لذلك لا يصلحه إلا هذا النوع من الجامعات الإسلامية الراقية، التي تكشف حقائق وحي الله بأضواء العلم اليقيني وبأصوله المعترف بها، وبالواقع المشاهد المحسوس.

وكم من جامعات اقتصرت على دراسة الماديات فكانت معارفها تصعد بالإنسانية نازلاً إلى أسفل درجات الشقاء والأحقاد والاطماع والويلات والاعداد بالمدمرات للبغيْ والأذى والسحق والمحق..

والحق كل الحق أن لا نجاة للإنسانية من أهوال المادة الزاحفة إلا بتأسيس مثل هذه الجامعات الخيرة الإسلامية العالية. أجل هذا هو الحق الذي يرفع الله به الدرجات العلمية بالإضافة إلى درجات الإيمان الصحيح. وهذا عين يقين الواقع واتل خاشعاً متبصراً الآية الكريمة الآتية تلمس ذلك بنفسك لمس مقعدك.

﴿يرفعِ اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أُوتُوا العلم درجات، والله بما تعملون خبيرٌ﴾ [٥٨ - ١١].

ليلـة مثمرة

كنتُ في منزلِ الكاتبِ الكبير العلامة الشيخ عثمان الصالح، ضيفاً ليلةَ الخميس ١٥ صفر الخير عام ١٤٠٠ هـ، لله هو لله هو، مَا أَسْمىٰ شمائله وما أرحبَ دار ضيافتِه. يا لها من دَارٍ إنه أَعدَّ لِقُصادِهَا طُمأنينةَ رَاحةٍ ومتعةَ فِكْرٍ،أجلْ رأيْتُني في مَجـرَّةِ العلمِ والبيانِ. والكتب رابيـة حوالي يمينـاً وشمالاً. وعلى الرفوف وفوقَ المناضد. وأَذِنَ لي بالاطلاع عليها والإفادةِ منها. بحكمِ مَحْتِدِهِ العربي الأصيل وحبهِ للعلمِ وأهلِهِ، وهو يحب المعرفةَ بكلِّ قلبه لكل الناس ناهيك بمواطنيه لأنه يعلمُ يقينَ العلمِ، أنَّ حياةَ الأمةِ لا تَخْلدُ ولا تسموُ وَلاَ تَعْتزُّ ولاَ تسودُ ولا تسعدُ إلا بالمعرفةِ وإنَّ المعرفةَ قوامُها الكتبُ، وما أكثر ما لديه من الكتب. . وتبيِّنت أن الجزيرةَ العربية ستستوي على قمةِ طَوْد حَضاريٍّ مُمْتاز ذي أقدار للصلةِ الوثيقةِ المُحكمةِ بين رجال السيف ورجال القلم.

وكم يطيبُ للقراءِ ما تقدمُه يراعةُ الشيخ عثمان الصَّالح مِنْ ثِمَارٍ جِدّ نافعةٍ، ويسعدُنِي أني واحدٌ من قُرائِه. . .؟.

وإني قضيتُ أكرمَ ليلةٍ، وأبركهَا وأسعدها وأَحبَّهَا إلى نفسي - في دار ضيافتِهِ. أُطالعُ وأُدوِّن وأفكِّرُ، ورأيتُني كأنِي أشاهدُ مَسارحَ التاريخِ مِنْ خِلال هذه المؤلفاتِ بين يديَّ.

وكأنَّ أرضَ البطولاتِ أرضَ الفصحـاءِ أرضَ الأُباةِ السُّمحـاءِ - نَجْد طلعتْ عليَّ بأبطالِها بفصحائِها بكرمائِها. .

أجل رأيتني أشاهدُ كلَّ معالِم نَجد العزيزة العظيمة من أعلى قممِهَا - الرياض - ومن أوسعِ نوافِذها كتب التاريخ.

وفي سُبُحاتِ هذه الليلةِ المباركةِ، رأيتُ يراعَتِي تفيضُ بالبيانِ في بلدِ البيان، ورأيتُني أحملُ هذه الكلمةَ في فَجْرِهَا إلى عظماءِ هذا البلد الكبير قَادةِ السيف والقلمِ بل وإلى كل شَعْبِ الجزيرةِ العربيةِ والعُروبةِ والإسلامِ. وكلي اعتزاز وزَهُوٌ وفخرْ..

الرياض عاصمتنا الحبيبة

يــا ريــاض

لله أنتِ لكِ المجدُ. . لك معالمُ الهدى، لَكِ عَلمُ «**لا إلَه إلَّا الله محمد رسول الله**». . الْعلَمُ الأخضرُ السَّمْحُ الرفَّافُ بأذانِ الفَجْر. .

أنتِ عاصمةُ إنْسانيةِ الإنسانِ أنتِ مُنْجبَةُ الأبطالِ الصَّناديد مُشَيّدي صروحِ النهضةِ الحديثةِ نهضةِ الإيمان الصحيح. أنتِ في قِممِ تاريخِنا الحديثِ أغنيةُ الأجْيالِ، وأنْشُودةُ الأبْطالِ، وقمةُ الأمجادِ العملاقةِ. .

أنتِ أمْنيَةُ أماني الإنسانيةِ على رَفْرفِ الخلدِ، أنتِ طُموحُ طموحاتِنَا، وذكْرياتُ أيَّامِنا ولياليِنا. .

أنتِ مَطَالعُ عُروبتِنَا الْعَرْباء العريقة السَّمْحةِ في جزيرةِ العرب. . . أنتِ زينةُ الأعياد وبسمةُ الأجيالِ، وموكبُ مَواكِب الإيمانِ، وَهُتافُ انتصارِ الأبطالِ لدى احتدامِ مَعَارِكِ الإيمان،للسلامِ للوحدةِ للمودةِ للتفاهم والتعارفِ لدفْعِ ظُلْمِ الظَّالمين الذين جَعَلُوا أنْفسَهمْ ظَالمين. . !!

أيتها العاصمةُ القريبةُ مِنْ كلِّ نفسٍ إنسانيةٍ مؤمنةٍ مُحْتسبةٍ. . والبعيدةِ عَنْ كلِّ نفسٍ وحشية مرتابةٍ فَاجرة. . .

أنتِ عظيمةٌعظيمةٌ في أَنْفسِ العرب والمسلمين والبشر الذين هُمْ بَشَرٌ. .

أنتِ ينبوعُ إنسانيةٍ عاليةٍ تعاملينَ بجلالِ مُثلها العُلْيَا التي أوحاهَا اللهُ

رَحْمةً لكلِّ الناسِ تُعَامِلِينَهمْ بطيب النفس وصراحةٍ الضمير، ونعمةِ التعاون، وأمْنِ الحياة والأحياء.

وما أنتِ عنصريةٌ حقودةٌ تعاملين الناسَ بخبثِ النفسِ، وتمزيقِ العَيْشِ السِّلْميِّ المشتركِ وبَتْرِ التعاونِ وهَدْمِ الحياةِ والأحياء بدسائِس المؤامرات.

وكم أتمنى أن يفكر علماءُ اللغةِ في جَمال معانيك، ولو فَعلُوا لاشْتقُوا لك أكثرَ منَ علمٍ واحد..

نعم أنتِ الرياضَ، وأنت العزيزيةُ وأنت السُّعُوديـة وأنتِ المُفْتَرعـةِ. وحسبي اعزازا اني فكرت في ذلك ودونت وأعلنتُ.

١ : الــريــاض

أجلْ أنتِ أنتِ الرياضُ بحق.

أَمَـا زَينتِ جزيـرةَ العرب بـألوانٍ نـاصِعَةٍ من أَزْهىٰ الـورودِ. زَانَتْها زانتْها..!! ويا لها مِنْ وُرودٍ أُنْظروهَا.. واقْتَبِسُوا..

هَا هِيَ شَقائِقُ النعمان تحلي بَوادِرَكِ.. وشقائقُ النعمانِ رَمْزُ البطولةِ المِقدامة المنتصرة..

وها هي زنبقةُ الفجر تسطعُ في محرابكِ كنجمةِ الفجْرِ.. وزنبقةُ الْفَجْرِ مَطْلعُ صِدْقِ الإيمانِ الصَّافي الْوافِي في كُلِّ أيَّامِكِ.

وها هي أَوْراقُ الْغارِ الدائمةُ الْخُضْرَة تزينُ مِفْرقَكِ.. وأوراقُ الغارِ الدائمةُ الخضرة شارةُ العزةِ والسلطان.

وها هي عَرارَةُ نَجْدٍ النَّفَّاحَةُ تتنفس منتشية بأصالة عروبتك الحرة الأبية. ومجدها المؤثل العزيز الكريم.

وها هي الخزامى مَثَلُ العفافِ والطهرِ يَتَنسَّمُ ملءَ أردانكِ وهو أطيبُ طُيوبِ الورودِ وَبِنَفْحِ طيبه يضربونَ الأمثال..

وها هو الأقحوانُ الناصع يتوهج نَوْرهُ مِن هُنا ومِنْ هنا والأقحوانُ الناصع آيةُ المعرفةِ المحررةِ الصادقةِ التي هي عينُ اليقينُ..

وها هي البنفسجةُ اللازورديةُ النشْوى بإشراقاتِها: والبنفسجةُ أنى تكنْ تُوميءُ إلى الفنونِ العبقرية المبتكرة، وفي طليعتِها باقاتٌ فَتّانةٌ من الشعر الثمل المسحور..

إذن فحق أن يملأَ مسمعَ التـاريخ اسمُـك الريق النضـر ويهتفُ به الهاتفون من أعلىٰ منابرِ الأدب العربي «الريــاض».

٢ : العزيزيـــــة

وأنت العزيزيةُ، وخليقُ أن يَكون إسمُ «العزيزيةِ» مِنْ أعلامِكِ، تخليداً للساعدِ التي جدَّتْ وسَهِدتْ في تجديدِ بنائِك، ورفعِ سَمْكك.

لا مراءَ لامراء إنه ساعد أبر بنيك، وأروع أبطالك، الملك عبد العزيز.

١ ــ أَما أَضْفىٰ عليك شرفَ السيادةِ الجامعة، وجلالَ المكارِم الصارخةِ المتحَدِّية.

٢ ــ أما أعاد لجزيرةِ العربِ سلطانَها الكبيرَ، وجعل صولجانَهـا في يديْكِ، وجعل ذكرك فيضَ الألسنةِ واكبارك ملء النفوس.

٣ ــ أما زيَّنك بزينةِ الحضارةِ. وأمتعَك بمفـاتنِ جمالِهـا وَشيَّد في ساحاتِكِ الفسيحةِ صـروحَ المعرفـة والمدنيـة وأبراجَ المجـامع الكبرى والمصانـع الضخمة.. ودرَّعَـكِ بِشوكـةِ الحق والعدل والإِيثارِ، وصانَكِ بَسْطوةِ الإيمان والموداتِ والمجد.

... وكم هم صادقون الذين لقبوهُ بصقرِ الجزيرة. وها هِيَ وَحْدةَ الكلمةِ التي شرَّفك الله بها على يَدَيْهِ تَقِينَ بلادَ العرب والإسلام بكل ما للوقاية مِنْ حماسةِ عملٍ واعتصام هدىً وعروبةٍ وخلقٍ كريم، فلماذا لا يكونُ من أعلامك اسم «العزيزية» ويكونُ في كل ذلك عزة وعزة... اسمعْ اسمعْ - إذا لم يكنْ بإذنك صَممٌ، واقرأ اقرأ إذا لم يكنْ بعيْنيك عمى..

١ ـ هؤلاء هم الشعراءُ العباقرةُ يتغنونَ بمواهِبك وأمْجادِك وأبطالِك وحضارتك وسلطانـــك.

٢ ـ وهؤلاءِ الكتّابُ النوابغُ ينوهون بمآثرك ويفيضون بأَقْدارك وبُوفُودِك الغادين الرّائحين وبالمؤتمرات تلو المؤتمرات التي تعقد لديك لخيرِ الإيمانِ والحقِّ والعربِ والمسلمين وصالحي البشر.

٣ ـ وهؤلاءِ فحولُ الخُطباءِ المصاقعُ يَهُزُّون مَنابِرك بسحرِ البيان وحكمةِ الاجتماع، ونورِ العلم ويَحُثُّون البشرَ بالتزامِ الإيمانِ من قبلِ أن يَقْذفَ بهم الكفرُ في هاويةِ العدم والمقتِ والازدراءِ.

الا انَّ كل سعودي يزهُو ويختالُ عزةً وكرامةً كلما شاهدَ الطائراتِ تحملُ مفكري العالمِ، وقادةِ الأمم إلى عاصمته «العزيزيَّة».

فما بالكِ بمفكري العرب والمسلمين. الجميعُ يَؤُمُّونَها ... وناهيك بأبناء الجزيرة العرب الأصلاء المشتركين معك بوحدة المصير، وبنعمة الحياة، وبالكرامة والعزة الجامعة كل أولئك لا يتجهمون لَكِ ولا يَطْوون لَكِ الكيدَ والغدرَ، ولا يتمردون إنّما يَصْنعُ ذلك كلُّ دَخيل زَنيمٍ وَعَدُوٍ حَقودِ وعنصريٍّ غدَّارٍ خَوّانٍ، ومتآمر دَسَّاس، هماز مشاء بنميم.

وها نحنُ أولاءِ المواطنونَ نَهْتفُ مِن أعْلى مَنابرِ الْوَطَنِ بصدقِ إيماننا. عاشتْ عاشت العزيزية وخلدتْ خلدت العزيزية وسمت سمت العزيزية.

نهتف ونحن على يقين أن هُتافنا هذا هو آية وحدة الكلمةِ التي هِيَ الحياةُ كل الحياة. التي هي عزَّةُ العزيزيَّـــــة.

السعوديـــة

هي علمُكِ الرَّفاف ذُو الفألِ الْحَسَنِ وما أشبههُ بك، عراقتُه مِنْ تاريخك وكم يَلذُّ لقارىء تاريخك أنْ يفاخرَ بك في كلِّ نَادٍ وأنتِ سَعدُ السعود صِبْغته صبغتُكِ، والشواهد صارخةٌ وملحمـةُ الفداء الأولى التي تَفَجَّـرتْ بركاتُها في سُبُحَات فجرك الصادق، وعمت نفحاتها الندية العالم الإنساني وعالمي المسلمين والعرب وعالم جزيرة العرب خاصة.

إنما كانت سعوديةً محضةً، وكانت في ذاتِ مِحْرابِكِ.. هِيَ معركةُ قُدسٍ قاربتِ القلوبَ وَسَمتْ بموداتها ووحـدت النفوس وطـرحت عنها وحشية ميولها وصَفَّتها مِنْ حَماقات الجاهلية وَصَغارِها، وفَصَلَتْها عن خُبْثِ المتخلِّفين المتآمرين على مَصير الأجيالِ واستمرار حياتِهم...

حسبها قدراً انها معركة إيمان وهدى وصدق، أروت الظماء سلسبيل المودة والآخاء ووثقت وشائج الأرحام وألقت في العراء تحت أشعة الشمس كل خداع مجرم ممزق لشمل الأمة الواحدة ونافث من بين أفرادها وجماعاتها سمومَ الأحقاد والتنافر والتخوف.

وأنت أيتها السعودية عظمت لما استمسكت بوحِي الله ولا قطيعة ولا غباوة ولا جهل ولا انفصام بين المستمسكين بوحي الله تعالى.

وأنت يا سعودية حسبك عصمة في أنفس العرب والمسلمين والناس أجمعين ان عصمتك بوحي الله اكسبت شعبك المسلم صلة الأرحام ووحدة الصفوف، لا للبغي ولا للقطيعة ولا لتمزيق الكلمة لالا..!!

ويشهد الله لو لم تكن لعاصمتنا السعودية سوى هذه الملحمة الجامعة

أمتنا على هدى الله اعتزازاً وفخراً لكفى لكفى. . . فما بالك ولها من ملاحم جمع الكلمة وتدعيم الكرامة والإيمان والسلام الكثير. وعلى قدم الاستعداد.

والعزة لله وأنت أيتها العاصمة السعودية في حراسة الله، وفي محراب قدسه، وتحت أمنه ورعايته والحمد لله.

المفترعة

ولماذا لا يكون اسم المُفترعة بعض أعلامك وكل تاريخك افتراع لبكر الأمجاد العذراء،هذا امامك المجدد الشيخ القاضي محمد بن عبد الوهاب العالم المفكر والعربي الصميم، أوجعه أن تخمد عزائم أبطال الجزيرة العربية عن جمع الكلمة والسمو بمثل الإسلام العليا، وآلمه أن تسكن طموحاتُ الإيمان الحق في قلوبهم. وأحزنه أن يكون كتاب الله يتلى عليهم ولا أسوة ولا قدوة. وهو الذي ينهض بالأموات، ولو كانوا رمما بالية ممزقة في الرجم ،فما كان منه إلا أن هتف بالأمير محمد بن سعود وفي كل نيته وعزيمته أن يضم إلى القلم الشوكة والسلطان في مصاير الدعوة إلى الله، ولسان حاله ينادى صارخاً. .

«هذا يراعي في يدي وهذا سيفك إلى جنبك، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فإلى متى ندع شعبنا يغط غطيط الأموات في كهوف ظلماء. .

أخلق بنا أن تكون عِرانا وقممنا شامخات وأهتف بهم يأتوك من كل حدب وصوب لأن الإيمان كامن في أنفسهم، ونوره يملأ قلوبهم لولا ظلمات الفرقة والشتات».

وكان الأمر كما توقع الإمام المجدد، زحفت الكتائب إثر الكتائب. ورفعت أعلام التوحيد الخضراء ـ وتوالت تضحيات الأبطال في سبيل الله

وتوحيد الكلمة مرة ومرة ومرة.

حتى أدرك أبناء الجزيرة العربية وحدتَهم وشعَّت معانيها المقدسةُ في قلوبهم ووعت عقولهم قيمها وأمجادها وعزتها.

وعلى أضواء هذا الفجر الصادق الساطع نسق العربُ أمورهم في جزيرتهم تحت علم لا إله إلا الله محمد رسول الله..

ووعوا أمجاد وحدة شعبهم العظيم ومصايره وعرفوا معطيات الخير من الشر والهدى من الضلال والوحدة من الانقسام والإيثار من الأثرة والقوة من الضعف والحياة من الموت والعلم من الجهل والكلمة الطيبة من الكلمة الخبيثة، والتواضع من التكبر، عرفوا كل ذلك وافترعوه افتراعاً، كما عرفه سلفهم الصالح وافترعوه. فما أشبه الليلة بالبارحة. فحرسك الله يا عاصمتنا يا مُفترعة.. ويا مفترعة ويا مفترعة..

وكم زهتْ الجزيرةَ العربية وقَدْ سعدَ الحرمان الشريفان ـ مهبطا وحي الله ـ بهذه النهضة المباركة الحديثة وبالدولة الفتية اليقظة الحارسة المؤمنة المحتسبة ولله الأمر من قبل ومن بعد..

إحيـــاء الكتـاب

الكتابُ الجيدُ النافعُ حياةٌ برَّةٌ صالحةٌ وطبعُهُ وإخْراجهُ للناسِ ليحْيوْا بِهِ أَعْمالًا بارةً صالحةً فيها عطاءٌ لَا يُقدَّرُ، وإيمانٌ عميقٌ، ومنافُع كبرى فَوْقَ الأثْمان.

وإذا كان اللهُ جلَّ جلالَهُ، جعلَ إحْياءَ الموتىٰ آيةً على صِدْقِ الرِّسالةِ. فإنه جَعَلَ إحياءَ الكتابِ النَّيرِ الدَّالِ علىٰ اللهِ وعلى الأعْمَالِ الصَّالحةِ آيةً على صِدْقِ الإِيمانِ وَحُبِّ العلم وإيثارِهِ..

والْوُجهاءُ الأَثرياءُ كَثيرونَ، ولكنَّ الْوُجهَاءَ الأثرياءَ الذين يَرْصُدونَ فَيْضَ أموالِهِمْ في سَبِيلِ إحْياءِ الكتابِ الإِسْلاميِّ النافعِ المخطوطِ وطبعه وإخْراجه للناس قليلون..

ولا ريبَ أنَّ كلَ شيْءٍ في هذه الدنيا يفنى وَيَسْتحِيلُ إلىٰ تُرابٍ إلَّا الكتاب. فإنَّهُ يبقىٰ إلى قِيَامِ السَّاعة... لأنه علمٌ والعلمُ لَا يَفْنى...!!

والسببُ أنَّ اللهَ جعل المعرِفةَ والحياةَ صِنْوين بل وزادَ المعرفة حيثُ جعلهَا بَصرَ الحَيَاةِ وبَصِيرتَها ونورَها الساطعَ الكاشفَ لِحقَائِقِ الأشياءِ...

لِذلِكَ أنَّى تَظْفرْ بالمعرفةِ اليقينيةِ الدالةِ على الإِيمانِ الصحيحِ تَظْفرْ بالحياةِ الصالحةِ ذاتِ الإِيمانِ الصَّحيحِ، والعملِ الخَيِّرِ الناهضِ. والكتابُ في واقعِهِ ظَرفُ المعرفةِ وبريدُهَا وَمنارُهَا الوَّهاجُ الكاسحُ ظُلُماتِ الطريق.

لذلكَ كانَ إحْياءُ كِتابِ الإِيمانِ والحقِّ والهدَى ومكارِمِ الأخلاقِ.. في

أيةِ لغةٍ إحياءٌ للإيمان والحقِ والْهُدَى ومكارِمِ الأخلاقِ لأهل تلك اللغة.

وما دامَ عَمَلُ كُلِّ إنسانٍ دَالا على عَيْنِ مَعْدِنِهِ كما قالَ رسولُ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامه عليه: «الناسُ معادِنٌ فخيارُكمْ في الجاهليةِ خيَارُكمْ في الإسلامِ».

وما دام عَملُ عَميدِ أُسْرةِ آل طرابزوني السيد أسعد إجْتهاداً في البحثِ عن المخطوطاتِ الإسلاميةِ الكريمةِ النافعةِ الدِّينة في المكتبات، وطبعها وإخْراجِهَا للناس، فَعَملُهُ هَذَا دَالٌّ على عَيْنِ مَعْدِنِهِ العربي الأصِيل. فالأعمالُ الكريمةُ ثِمَارُ المعَادِنِ الكريمةِ. والْمَثلُ في هذا الشَّأنِ مَثَلُ الأرضِ الطيبةِ والخبيثةِ... وتدبرْ بكلِّ فِكْرِكَ وَوجْدانِكَ قولَ اللهِ جلَّ جلالُه:

﴿والبلدُ الطَّيبُ يخرجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّه. والذِّي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إلَّا نَكِداً﴾ [٧ - ٥٨].

وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الشاعِرُ حكمَتَه الرائعة:

كلُّ شَيْءٍ رَاجعٌ لأَصْلِهِ أَصْغُرُهُ مُتَصِّلٌ بأكْبرِه

وأُسْرةُ آل طرابزوني مِنَ أُسَرِ طَيْبَةَ الكريمةِ ذاتِ الإمْجادِ ويحملُ أفرادُها حُبَّ العلمِ وحبَّ أهلِهِ..

وهذَا عميدُهَا السيد أسعد تُشَاهِدُهُ أبداً يَتَقَّلبُ بينَ المكتَباتِ بَاحِثاً مُنَقِّباً عن المخطوطات الإسلامية النَّفِيسَةِ، وطَبْعِهَا وإخراجِهَا للنَّاسِ لكي يَسْتَفِيدُوا وَيُفِيدُوا..

وقليلٌ جداً أن تجدَ بينَ وجهاءِ البشرِ مَنْ يَحْملُ مثلَ هذا الوعي النابهِ لِقَضيَّةِ العلم والأدَبِ، ومثلُ هذا الإهْتمامِ العَمَلِيِّ الْمُسَارِعِ في طَبْعِ

المخطوطات وإخْراجِهَا للناسِ ذكرٌ خَالدٌ عَزيز. .

وإليكَ بعضَ المخطوطاتِ التي أحْياها اللهُ على يَدَيه لتكونَ دليلاً على حبه للعلم وأهله، والنفعِ العام. .

١ ــ عمدةُ الأخبار، طبع أولاً في دمشقَ، وعليه مقدمة بقلم أمير البيان، الأمير شكيب أرسلان، وَطُبعَ ثانياً في القاهرةِ وعليه مقدمةٌ بقلمِ محمدِ حسين هيكل باشا.

٢ ــ الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي. وقد طبعه مرتين في القاهرة. .

وناهيك بمؤلفات الإمام السيوطي.

٣ ــ الأوائل لأبي هِلاَلَ العسكري.

٤ ــ عبث الوليد. وهو شرح أبي العلاء المعري لديوان البحتري.

٥ ــ السُّلْوانيّات في مسامرة الخلفاء والسَّادات. وهو لحجة الدين محمد بن ظفر الصقلي. وهو كتاب له اعتبار من الوجهة الفنية الأدبية. . . إذ هو واضع الطريقة الحديثة في تآليفِ عَصْرنَا التي اقتبسها الإفرنجُ عن العربِ وهي وضع الصور والرسوم الدالة على المقصود. . . والكتابُ مضى عليه تسعة قرون. وهو دفين في مكتبة «اسكوريال» في إسْبانيا حتى أتاح الله له السيد أسعد طرابزوني فَأخرجه للنَّاسِ. والآن السيد أسعد معني بـإخْراج كتاب التحفة اللطيفة. في تاريخ المدينة الشريفة.

وهو مَخْطوط ضخمٌ مكون من ثلاثةِ أجزاء وقد تمَّ طبعُ جزئين والعمل جادٌّ في طبعِ الثالث. ولا ريبَ أن إخراج مثـلِ هذا المؤلفِ العـظيم بكامِله، فيه نفعٌ عظيم.

وهو يقتضي نفقات باهظة قلما يستطيع أنْ ينهضَ بها رجلٌ واحدٌ، ولكنه بفَضْل الله قد استطاع.

وقد مَجَّد مَعالِي الشِّيخ أحمد الغزاوي هذا العمل العَظيم الذي عكفَ عليه السيد أسعد طرابزوني بقوله:

نَشَرْتَ كنوزاً مِنْ تُراثٍ مُؤَثَّلٍ ... بِهِ كلُّ ذِي لُبٍّ يُشِيدُ ويُرْشِدُ
وَكَمْ لَكَ فينا من جُهودٍ عظيمةٍ ... يُسَجلُّها التاريخُ وهيَ تُخلَّدُ
وَحَسْبُك فَخْراً واعتزازاً وقربةً ... سَخَاؤُكَ فِيها وَهْيَ تِبْرُ وعسجدُ
فَطوبَاكَ حَظٌّ أنتَ فيه مُبَرَّزٌ ... عَظيمٌ وفيه أنتَ لا شكَّ أَوْحدُ
وَمَا مِثلُ أَهْلِ البيتِ نُورٌ لِمُدْلِجٍ ... وَهُمُ بهمُ وَصَّى الرسولُ محمدُ

وَمَنْ أدرىٰ بأسرة آل طرابزوني وأعمالِ عَميدهَا الْماجدِ مِنْ معالِي شاعِرنَا النَّابهِ الشيخ أحمد الغزاوي.

وعميدُ هذه الأسرةِ الماجدةِ جَديرٌ بمثلِ هذا الثناء مِنْ فحولِ أدباء العرب. لأَنهُ أوقَف نفسَهُ للبحثِ عَنِ المخطوطات الإسلامية القَيِّمة وإخراجها للناسِ للنفع المؤكد.

لذلك تجدهُ يَسْتَحِقُّ التحيَّة والتقدير وهذا شأنُ كلِّ عملٍ صالحٍ نافعٍ. وهذه تحية شَاعرنا مِنَ البلد الحرام:

أُحيِّيك مِنْ أمِّ القُرى يا ابْنَ طيبة ... تحيةَ إخْلاصٍ بهِ أتَوَدَّدُ

وإني أشفعُ تحيةَ شاعِرَنا العظيم الشيخ أحمد غزاوي بتحيةِ الإسلام السلامُ عليكَ يا سيد أسعد وطابَ ما قدمتَ لأمتك مِنْ علمٍ ومعرفةٍ وهدى وتقدمٍ،وطبتَ،ورحمةُ اللهِ وبركاتِهِ.

٧ شعبان عام ١٤٠٠ هـ

حديث عن «الوطن القلب»

١ ــ إنَّ الوطنَ القلب هو الوطنُ السعوديُّ العربيُّ المسلم.

٢ ــ إنَّ قلْتَ هو القلب في دُوَلِ الخليج فأنتَ صادقٌ.

٣ ــ وإن قلت إنهُ القلبُ في جزيرة العرب فأنتَ صادقٌ.

٤ ــ وإن قلتَ إنه القلبَ في المجتمع العربي فأنت صادقٌ.

٥ ــ وإن قلتَ إنه القلبُ في المجتمع الإسلامي فأنت صادقٌ.

٦ ــ بل وإنْ قلتَ إنه القلبُ في المجتمع الإنساني فأنت صادقٌ.

ولم لا يكونُ هو الوطنَ القلب وفيه البيتُ الحرام الذي هو مثابة للناسِ ومهوى أفئدتهم ومستقر مناسكهم وفيه مهبط وحيِ اللهِ، ومبعث خاتم رسل الله، ومثواه في طيبة المباركة.

ولم لَا يكونُ الوطنَ القلب في دول الخليج ودولته كُبْرَىٰ دُوَله وأسوتها إلى الأخذ بمنافع الحضارة، والاستمساك بمواريث الحضارة العربية الإسلامية التي هي قِوامٌ للإنسانيةِ ودعوةٌ إلى حَقائِق الإيمانِ باللهِ جل وعز وحقائِق وَحْيِ اللهِ لكونِهِ القلبُ الجامعُ لكل الأعضاء.

وهو بلا ريب القلب الخافق بمودةِ كلِّ أبناءِ الجزيرة العربية، ولم لا يكونُ كذلك وهو منذُ القدم الداعي إلى الهدَى والتَّماسِك ورَبْط الصِّلاتِ والوشائج بينَ أبْناءِ الجزيرةِ العربية كافة.

ولم لا يكونُ كذلك وفيه كان مَوْلِدُ كل داعية موحد عظيم وهذا الملك عبد العزيز شاهد عيان.

ومن القلبِ تَنْصبُّ الدماءُ إلى كلِّ الأعضاء لكي تقومَ بوظائِفَها. وهو القلبُ لكلِّ أبناء المجتمع العربي ومنهُ انطلقتِ الصرخةُ الجامعة.

العربُ بالعربِ تَحيى	وبـالتَّفـرقِ تَـرْدَى
مَنْ حَمّلَ النفسَ غِلًّا	فـقــد تحـمَّـل إدًّا
قَدْ رَاحَ يَجْنِي ضِرَاراً	من راحَ يحملُ حِقْداً
يدُ الجماعـةِ تعلُوا	والفـردُ يَسْقطُ فَـرْدا

وإن قلت إن السعودية هي الوطن الأم لكل العرب فأنت صادقٌ. ألا ترى عاطفتَه تتقد وتثورُ ثائرتُهُ كلما ألمّتْ بقُطرٍ مِنْ أقطارِ الأمةِ العربية كارثةُ تَفْرقةٍ أو أذى صَغَارٍ مِنَ الدُّخلاء العُنْصرِيّين الزعَانِف.

وما رأيتُ قَادَةَ قُطْرٍ عربيٍّ تهمُهُمْ وَحْدة الأقطار العربيةِ وأمْنها وسلامها ما رأيْتُه مِنْ قادةِ الوطن الأُمِ السعوديةِ وساسته.

إنهمْ ساسةٌ مفكرون وقادةٌ أبطالٌ مبادؤُهُـمْ مبادىءُ السَّماءِ، وأعمالهم خيرة مباركة تمد القريب والبعيد بكل الإمكانيات.

هُمْ يعملونَ لِكلِّ شُعوبِ الأمةِ العربيةِ لِوَحْدةٍ عزيزةٍ راغدة تَشدُّ أواصرَ رَحِمِها لكيْ تَعُودَ إلىٰ جَلَالِ مَاضِيهَا وكرامَتِهِ وشوْكَتِهِ وإنسانيتِهِ وحَضَارتِهِ.

وإنْ قلت إنها القلب بين دول العالم الإسلامي فلم يكنْ قولُكَ بعيداً عَن الواقعِ المشاهدِ الملموس ونَظْرةٌ واحدةٌ في صحافتهـا وإذاعتها وفي العلومِ التي تُدرَّسُ في جَامِعَاتها ومَعاهِدها تُبينُ صدقَ ذلك، والحق إن الإسلام نادى من أولِ يوم بوحدة الأمةِ الإسلامية المؤلفةِ من البشر كافة.

أما نَزَلَ قولُه تعالى في هذا الوطنِ السعودي: **﴿إنما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بينَ أخويكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون﴾** [٤٩ - ١٠].

وما دامَ وَحْيُ اللهِ الْمُنزلُ هو حَبلُ اللهِ المتينُ الْمُوَحد وما دامَ المتمسكونَ به هم أهلَ النجاةِ مِن المهالِك وأهلَ العِزةِ والكرامةِ وأهلَ المودةِ والتعاونِ فَلِمَ لَا نَعتصمُ به، وَلِمَ لَا نَتُوبُ إليهِ ونأخذُ بهداهُ ونستضيءُ بأنواره، فهؤلاءِ أهلُ الشَّر الخفي بعثوا آثامَهم في صُفوفِنَا وَدَسُّوا مَكايِدَهمْ لِتفْرقَتِنَا والقضاءِ علَيْنا.

ومهما يكنْ بين المؤمنينَ مِنْ خُلْفٍ وسوءِ تَفاهمٍ ودَسَائِسَ ومخالفاتٍ في عَصْرنَا فإنَّ ذلك كله دُونَ ما كانَ في العصر الْجَاهِلي مِنْ خِلاف وفتنةٍ بسبب اختلافِ العقائِد والْملل والنِّحل وَبسبب العصبياتِ بل تَفاقمَ الْخُلْفُ بينهمْ حتى كادوا يَهْوونَ في مَهَاوي الإبادةِ والمهالِك. ومع ذلك بفضلِ إيمانِهم بوَحْيِ اللهِ والتزامِهمْ بأوامرهِ واجتنَابِ نَواهِيه تَوَحَّدُوا وتفاهَمُوا وَتَحابُوا حتى أصبحوا قوةً هائلةً مَرْهُوبةً في الدنيا. وإذا لم يَنْتبِهِ المسلمونَ إلى الأشخاصِ المشبوهين المُنْدسينَ بينهم دعاةِ التمزيقِ فإنَّ مَصِيرَهم الحتمَ التحاسدُ والتباغضُ والتناجز والتناحرُ، والمخفي أعظم وأهول.

وإني أعيدُ إلى أسماعِكم قولَ اللهِ عَزَّ وجلَّ حينَ وَصَفَ المسلمينَ الأُول كيف أَصْبحُوا كُتْلَةً واحدةً لَمَّا اعتصمُوا بحَبْلِ اللهِ وطرحُوا أسبابَ الفرقةِ والتنازعِ تحتَ أَقْدامِهمْ.

وإني أعيدُهَا ليكونَ الإيمانُ بها عمليّاً لا تمثِيلياً مُريباً، **﴿واعْتَصمُوا بحبلِ اللهِ جَميعاً وَلَا تَفرَّقُوا، واذكرُوا نعمة اللهِ عليكم. إذ كُنتمْ أَعْدَاءً فألّف بينَ قلوبكمْ فأصبحْتُمْ بنعمتِهِ إخْواناً. وكنتُم على شَفَا حُفْرةٍ من النَّارِ فأنقذكم مِنْها. كذلِكَ يبينُ اللهُ لكمْ آياتِه لعلكم تَهْتَدون﴾** [٣ - ١٠٣].

وحبلُ اللهِ هو القرآنُ المجيد. وأقسم باللهِ جلَّ جلالهُ ما اعتصمَ شعبٌ

بحبلِ اللهِ إلَّا سادَ وَقَادَ وكانَ مثلاً أَعْلىٰ لكلِّ خيرٍ وهادياً ومناراً سَاطعاً. .

وإذا قلتُ كيفَ تَكْتشِفُ الزَّنيمَ المدسوس بينَ المسلمِينَ الذَّي وُظِّفَ لتمزيقِ الكلمةِ وتأريث الأحقادِ واشعالِ الفتنِ فالجوابُ سهلٌ، وَصَفَ رسولُ الله المؤمنَ بالنسبةِ لأخيهِ المؤمنِ كحجارةِ البناءِ يشدُّ بعضُه بعضاً.

فإنْ سَمِعْتَ مِنْ لِسانِ مَنْ يعيشُ بينَ المؤمنين ولكنْ ليفرِّقَهم بأَسَاليبِ الشَّيْطانِ فاعتقد أنه هو الزنيمُ الخبيثُ العنصري المدسوسُ بين الْمؤمنين. .

وهَذَا حقٌّ لأنَّ رسولَ الله يقولُ المؤمنُ للمؤمن كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُهُ بَعْضاً.

والحمدُ لله قد جمع اللهُ بكلماتِه قلبَ جزيرةِ العرب وَدَعَم فيهم قواعدَ التوحيدِ. وليسَ في الدنيا أقدر على جمع كلمةِ الجماعةِ. رغمَ وجودِ المفسدينَ بينهمْ مِنْ كلمةِ التوحيد التي هي هدف كل إنسان إنسان.

ومهمَا يَكنْ فاللهُ جلَّ جلالهُ يُحذِّرنَا من عواقبِ الخلافِ بل ويحذِّرُنا أشد الْحَذَرِ مِنْ المنافقين الزعانف الموظفين لتمزيقِ كلمتِنَا أجلْ إنَّ اللهَ يُحَذِّرُنا منهم بقوله تعالى:

﴿ولا تكونُوا كالذينَ تفرَّقوا واختلفُوا مِنْ بَعْدِ ما جَاءَهم البيناتُ وأولئكَ لهمْ عذابٌ عظيم﴾ [٣ - ١٠٥].

ولا عذابَ أهول ولا بلاءَ أفدحُ ولا مُصابَ أعظم من عذابِ الصَّهاينةِ وبلائِهم ومُصَابهم. فقد اسْتطاعُوا على تَفرَّقِهم جماعاتٍ جماعاتٍ لدَى الأمَمِ أن يكونوا كتلةً واحدةً عُنصريّين يُديرونَ المؤامراتِ في كلِّ مكان ويوقدونَ نيرانَ الفتنِ وينفثونَ سُمومهمْ من وراءُ وراءُ ولو فهموا جلال الروح الإنساني العام لما فعلوا ذلك.

وقد استطاعُوا على قلتِهم وكثرتنا أن يقتَطِعُوا مِن جسم الجامعتين العربية

والإسلامية فلسطين العربية المسلمةَ الكريمةَ. وأَنْ يُذيقُوا أهلَها كلَّ ألوانِ الإبادةِ والتشرد والبطش والفتك.

وهل كانُوا يَسْتطيعونَ أن يقتطعوا شعرةً واحدةً من أضعفِ إنسان في فلسطين لو كانَ العربُ في وعيِهم ودهَائِهم. لا لا بَلْ لو كانَ العربُ صادقين في العمل بهاتين الآيتين.

١ ـ ﴿واعتصمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقُوا..﴾ [٣ - ١٠٣].

٢ ـ ﴿وأعِدُّوا لهم ما استطعتمْ مِنْ قوةٍ..﴾ [٨ - ٦٠].

وإني في النهاية أُحَيِّ زعماءَ المملكةِ العربية السعودية وعلى رأسهم جلالة الملك المعظم وولي عهده الأمين رئيس الحرس الوطني بل وأُحَيِّ جميعَ زعماءِ دول الخليج والأمة العربية جمعاء الذينَ وضعوا أيديَهم في أيدِيهمْ وقلوبَهم في قلوبِهم وعقولَهم في عقولِهم. لِيُنقذُوا أنفسَهم وشعوبَهم من المهالك ومهما يكن فإنَّ ثمرةَ الإيمانِ باللهِ الخالِق العظيم والاستمساكِ عَمَلياً بما أوحي يُلْمسُ بالحوَّاسّ الخمس هذا حقٌ هَذا حَقٌ.

ولنرددِ قولَ اللهِ عز وجل في النهايةِ بكلِّ ما في قلوبِنا من إيمانٍ وبكلِّ مَا في عُقولِنَا مِنْ وَعْيٍ. وبكلِّ مَا في أَنْفُسِنَا مِنْ عزائم واللهُ غالبٌ على أمره.

﴿ إن اللهَ يدافعُ عن الذين آمنُوا، إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كلَّ خوَّانٍ كَفور﴾ [٢٢ - ٣٨].

﴿أُذِنَ للّذِين يُقَاتَلونَ بأنهم ظُلِموا وإنَّ اللهَ على نصرهم لقدير﴾ [٢٢ - ٣٩].

﴿الذين أُخرجُوا مِنْ دِيَارهم بغيرِ حقٍّ إلاَّ أن يُقولُوا ربنَا اللهُ ولولا دَفْعُ

اللهِ النّاسَ بعضهم ببعضٍ لهدمتْ صوامعُ وَبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً ولينصَرَنَّ اللهُ مَنْ ينصره إنَّ الله لقويٌّ عزيز﴾ [٢٢ ـ ٤٠].

وأقسمُ قسماً حقاً لو أَنَّ قادة العنصريين إنفكوا من أغلال تقاليدهم الغابية المتربصة وانطلقوا بعقولهم المحررة إلى الـروح الإنساني العلمي اليقيني الجامع.

لكانوا أسْبقَ الآخرين بما أوحاه الله مِن مثل عليا لسعادة البشر كافـــة..

اللهم حقق ذلـــــك.

والحمدُ لله على مَزيدِ نعمة الإيمان والإسلامِ وكفى بِمزيدها نِعْمـــة..

جمال الليالي الشاعرة في سماء جزيرة العرب

١ ــ ما أجمل لياليك الشاعرة يا سماء جزيرة العرب.

٢ ــ إنها فتنة من نفثات السِّحر.

٣ ــ إنها مسرح أحلام ذهبية من عبقريات مدنية ارم.

٤ ــ إنها بحر لجي من ذوبِ الفضة.

لك الله - يا ليالي جزيرة العرب - فهذه أعينُ أنجمكِ الساهرة شاخصة إلى جمال بدرك الساكن الصارخ في سبحات أضواء لياليك الساهرة.

أنظريه أنظريه إنه يدفق شعراً ويسطع بياناً. وها هي أطياف أفيائه ترقصن حواليه رقصات دلال الغادات الِكعاب الفاتنات المفتونات ويتعطفن إليه حانيات تعطفهن إلى العروسة الحسناء المجلوة في جملتها ليلة زفافها.

أما أنتم - فيا شعراء - جزيرة العرب فهذا شعركم الطريف يتوهج توهج الماس الأخَّاذ بأضواء ألفاظه وأضواء معانيه.

وهن يسبحن قدس التسبيح «سبحانك سبحانك. ما هذا قمرا ان هذا إلا ملك كريم». وانتن - يا بنات الشعر حلقن بشبيبة الشعراء الشادين من مضاربهم إلي قِمَم الجبال وشواطىء الغدران وخصب المراعي ونخيل الواحات وتغنين لهم بأغنيات لياليك الفضية اللاَّتي يَفِضْنَ وَلَهاً وولعاً.

وحلقن بهم إلى رفرف من الخلد عال عال تلمس خمسهم المرهفات أنجم السماء: وما ألهمته وتلهمه ليالي جزيرة العرب من فنون الشعر قديماً وحديثاً مخلد.

هو بدعة الفن وصرخة العبقرية وأنشودة الطرب وسحر البيان وأغنية الموسيقى وروعة الجمال وعجب العجب.

ولماذا لا يكون كل ذلك ومسرحه قائم في ربا مدينة عبقر وممثلوه ونظارته محتشدان فيه. ورواياتُه أمثالٌ وحكم وقصص رائع وتهاويل من سحر البيان.

ومهما يكن فما أبدعه وتبدعه ملكات شعرائك يا جزيرة العرب فنون وفنون من عبقري الشعر تطربك موسيقاه، وتشجيك أحلامه ويرقصك سحر بيانه، وتروعك صور جماله، فأفيدوا يا شُداة شعراء الشباب من صحة بيان شيوخ شعرائهـا القُدامىٰ والمحـدثين واستمتعوا بلذاتـه وانْهلوا مِنْ مناهِله واكتنزوا من كنوزه أعلى لآلئه الرطبة التي تنتظر انفكاكاً من سجن محاراتها بنشاطكم وجهادكم وبطولاتكم.

لله هو من أدب عربي أصيل مستوعب لكل تطلعات شداة الشبيبة المثقفة وغير المثقفة. ومستوعب لكل سحر البيان الحلال المطرب.

وشتان شتان بين الأدبين الحلال والحرام وبين نتائجهما ومن أجل ذلك كان صحيح بيان الشعر شركة بين الذين يعلمون قواعد الإعراب من شعراء الشعر الصناعي الحديث. وبين الذين لا يعلمون قواعد الإعراب من شعراء الشعر السليقي القديم.

وقوافي الشعر في أعماق الأنفس الشاعرة الحساسة شادية رنانة بسجيتها حتى على غير المثقفين من الشبان فإنهم يستلهمون الشعر العامي النبطي

ويمارسونه على رغم خلوه من قواعد إعراب الشعر العربي الأصيل وموسيقى قوافيه وأوزانه.

ولعل السبب الذي حاد بهم عن قول الشعر العربي الأصيل ابن عكاظ البكر هو حسبانهم إنه أعسر من الصعود على قمة المرجان الشامخة في جبل عبقر القمة التي تطل على أنجم المجرة وتضيئها بلون الشفق الأحمر.

وأي شيء يراه المرء صعباً فإنه يصعب مناله ولو كان سهلاً. وأي شيء يراه المرء سهلاً فإنه يسهل مناله ولو كان صعباً، وقديماً قال شاعر عكاظ:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وإدْراكُ الأمجاد الخالدة بالمنى في استطاعة حتى الخاملين البلداء من الشبان ولكن إدراكُها فعلاً هو الذي تنحسر دونه همم الأبطال، وصدق أمير الشعر في قوله:

إن المنى لم تقصر بل قصر المتمني

أي إن المنى في إمكانِها أن تنيلَ كلَّ شيءٍ ولا تقصر أبداً في مَنْحِ شيءٍ ولو كان أمجد أمجاد الحياة وعبقري عِبقرياتها لأن الخيال لا نهاية له ولكن الذي يقصر هو المتمني الذي يسهل له أحلام المنى في المنام وتعسر عليه تحقيقها عن اليقظة والصحو. ونسوا أن الجد يقرب الأماني البعيدة الشاسعة ويفتح الأبواب المغلقة العصيبة. وينيلُ وينيل كل أمجاد الحياة.

أجل أجل يفتحها على الرغم منها وصدق الشافعي في قوله:

الجد يدني كل أمر شاسعٍ والجدُ يفتحُ كلَّ بابٍ مُغْلق

ولا ينبغي لشعراء الشباب غير المثقفين ثقافة الإعراب أن يدخل اليأس قلوبهم فيعدلوا عن مُزاولةِ الشعرِ الأصيل الذي هو ميراث آبائهم وفخرهم

إلى مزاولة الشعر العامي النبطي. الذي لا يفهم إلا في بيئته ولا يعيش إلا بحياة أهله سحابة صيف.

وأنتم بلا ريب لا تعتقدون انه أمجد من شعر آبائِكمْ الذي نزل بمقتضى إعرابه وحي الله، ولا أخلد ولا أحق ببذل الجهود والعناية والرعاية. وهو يستمد منه سر بقائه وخلوده لأن وحي الله دائم ولا يزول أبداً.

ولماذا لَا وهوَ شعر آبائكم العرب العرباء من أيام عكاظ إلى يومنا هذا أو تفكَّرُوا في كلِّ الأدوار التي مر بها وفي كل البلاد التي تقلب فيها وفي كل المجامع العلمية التي صال فيها وجالَ.

فإنكم تجدون من فضل عليه الشعر العامي أياً كان اسمه فإنهم في النهاية يندمون لأنهم يرون انهم أضاعوا جهودهم وأعمارهم في شيء لا خلود له إلا إذا ماتت لغة القرآن كما ماتت اللغة اللاتينية وحلت محلها اللهجات العامية في كل بلد عربي فأصبح أهل كل بلد ينظمون شعرهم ويخطبون خطبهم ويكتبون كتاباتهم ويؤلفون مؤلفاتهم بلهجتهم العامية المرقعة،كما أسماها حافظ إبراهيم.

إذا تم ذلك وماتت لغة القرآن ولن يكون ذلك أبداً حينئذ يحتمل أن يظل الشعر العامي خالداً باسم قائليه إلى يوم القيامة وربما يتوهم متوهم اني أقول ذلك أنا وحدي ولكن يقول ذلك كل علماء اللغة العربية في عصرنا والعصور الآتية.

بل كان ذلك في العصور الماضية وقد رأينا بعض عامة أهل الأندلس وبعض أهل العراق وسواهم من أقاليم المجتمع العربي أحدثوا شعراً عامياً وأطلقوا عليه أسماء مختلفة كما أطلق أهل بلدنا على الشعر العامي عندنا شعراً نبطياً ومعلوم تاريخ النبط للجميع.

أجلْ كان في الأندلس قديماً وفي العراق وفي الشام وفي مصر وفي المغرب هذا اللون من الشعر العامي حتى أن علماءَ تاريخ الأدب ذكروا أنَّ دولةَ بني قلاوون في مصرَ عملت على إهمال الشعرَ العربي الأصيل لأنهم ينتمون إلى الأتراك ولا تُهِمَّهُم اللغة العربية اهتمامَ العرب الأصلاء فأخذُوا يُغْدقونَ العطايا على الشعراءِ العاميين ويحرمون شعراء العرب الفصحاء.

أجل كانوا يبذلون البِدر بسخاء وحماسة وكريم العطايا والهدايا للشعراء العاميين ويحرمون شعراء العرب الاقحاح.

راجع كتاب الوسيط في الأدب العربي وتاريخه تأليف الأديبين العلاميين الشيخ أحمد الإسكندري المدرس بدار العلوم والشيخ مصطفى أمين المفتش بوزارة المعارف، المؤلَّف الذي كانَ مقرراً في المعاهِد الآتية - المعلمين العليا - المعلمين الأولية - المعلمات السَّنية، صَفحة ٣٠٩ إذ جاء فيها بعد أن ذكر المؤلفان جملة الأشعار العامية التي ظهرت في عصر المماليك مثل المواليا، والزجل وكان وكان ونحوها.

وقالا بعد ذلك «وأعجب ذلك ملوك مصر ويقصد المماليك» ولا سيما بني قلاوون وبرقوق فأثابوا الزجالين وقربوهم وراج في أيامهم حتى كاد ينسخ الشعر العربي الفصيح».

ولما انتهى عصر المماليك انتهى معهم كل هاتيك الأشعار العامية فلم يعد أحد يكترث لها هذا هو السبب الذي جعلني انبه الشباب الذين يسهرون الليالي الطوال في حفظ الأشعار النبطية وبين أيديهم دواوين شعراء أبناء الجزيرة العربية الأصلاء بكثرة كاثرة وفي كل يوم يجدد العلماء طباعتها وشرحها ضبطها أذكرهم بالعودة إليها.

أجل كان هذا السبب الذي جعلني أرجو من قادتنا العرب الاقحاح أن

يأمروا بتحويل القصائد النبطية إلى اللغة الفصحى خشية أن تضيع كما ضاعت قصائد المواليا والزجل والقومة وكان وكان في مصر . . . لأن النهضة العلمية العربية السعودية في الجامعات والمعاهد العليا آخذة في الانتشار وقريباً إن شاء الله لا يوجد في المملكة من لا يحسن اللغة العربية الفصحى على وجهها الصحيح.

ولا يحسبن المطالعون من الشُّبان السعوديين المثقفين أَنَّ البراعة في نظم الشعر النبطي سهل وفي إمكان كلِّ واحد أن يبرع فيه إذا أحس أن بين جنبيه سجية قول الشعر تتواثب في أعماق نفسه أو ترن نغماتها في أذنيه أو تحلقُ به أوزانها وقوافيها في عوالِم الحكمة والجمال.

لا . . لا . . إنه هو الآخر عسيرٌ عسيرٌ جداً جداً، والنبوغُ فيه يفتقرُ إلى جهود وجهاد وسهر ونصب فلا بد مِنْ دراستِهِ وممارسَتِهِ مدةً طويلة حتى يَصلَ إلى قمةِ الاجادة والإحسان . . كالشعر الفصيح تماماً وليسَ من الضروري التفوق في علمِ الإعراب لاحسانه بل تكفي المحاكاة شأن شعراء العرب القدامى واذكر أني سمعتُ أن سامي البارودي كان يجهل علم الإعراب إلا قليلاً ويكفي شبانَ الشعراء الفخرَ الكبير انهم إذا تَمرَّسُوا بقول الشعر العربي الفصيح يكونون قد أعادوا إلى لغتهم وإلى تاريخهم وإلى جزيرتهم العربية أرفع أمجادها الخالدة بخلود لغة القرآن المجيد.

أجل هي خالدة إلى يوم القيامة، وصدق الله العظيم الذي يقول: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

فعودوا يا شُبان جزيرة العرب يا أبناء العرب العرباء إلى الإحسان في قول شعركم العربي الأصيل عودوا تعد لكم ذكريات أمجاد هذه البلاد، وذكريات سلفها الصالح وبلاغتهم ويعود لكم عكاظ بأعلامه وبيانه.

والحقيقة أن الإحسان العَبْقري في قول كلِ أي شعر هو جهد ونصب وسهر سواء أكان شعراً سجياً فطرياً كما كان حال شعراء العرب القدماء قبل حدوث علم الإعراب أو كان سوى ذلك.

وكما قال شاعر العرب القدامى:

١ ـ الشعر صعب وطويل سلمه.

٢ ـ إذا ارتقى إليه الذي لا يعلمه.

٣ ـ زلت به إلى الحضيض قدمه.

٤ ـ يريد أن يعربه فيعجمه.

وشعراؤنا النبطيون لغتهم جيدة ولا ينقصهم إلا الإعراب، فهلموا إلى الإعراب يا سادة العرب والإعرابُ سهل جداً. يكفي للإحسان فيه المحاكاة والممارسة، وكم هم الشعراء الذين برعوا في قول الشعر الفصيح بالممارسة والحفظ. والدأب في المحاكاة.

طاقة الشمس وجزيرة العرب

كنت وأنا طالب في الجامعة الأزهرية أسْمع علماءَها المُحَدِّثين، يذكرون قولَ رسول الله ﷺ. «لا تقومُ الساعة حتى تعودَ جزيرةُ العَرب مروجاً وأنهاراً».

وكان العجبُ العُجاب يأخذني، لا من أن جزيرة العرب كانت مروجاً وأنهاراً، ومدناً وقرىً وأَرْيافاً خِصبةً خضراء في الأزمان الغابرة. لأن ذلك صارخ في ثلاثةِ شواهد.

١ – في وَحْي الله، وكفى بوحي الله يقين برهان على قِدَم خِصب جزيرة العرب، وعمرانها المُزْدَهِر الممتد إلى قرىَ الشام المباركة في الحقب الخالية فسورة سبأ فيها الكفايةَ، عُدْ إليها وتدبَّرهَا، وأطلْ وقوفَك لديها وبالأحرى عندَ قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿**وجعلْنا بَيْنَهم وبينَ القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدَّرْنا فيها السيرَ سيرُوا فيها ليالي وأياماً آمنين**﴾ [٣٤ - ١٨].

فالقرى التي باركها الله هي قرىَ الشام والقرىَ الظاهرة، هي قرى جزيرة العرب المتقاربة والسير المقدر بالأمْيال والفراسخ أياماً وليالي هو آيةُ سَعةِ عمران جزيرة العرب وازدهَار حضارتها، ولفظة آمنين تدل على وُجود الدولةِ القوية القادرة على فرض الأمْن على انفساح ممتلكاتها. . .

والحديثُ الشريفُ نفسُه كما يدلُّ على خصبها الآتي يدلُّ على خصبها

الماضي القديم.

.. وفي القرآن المجيد نصوص جمة حول ماضي جزيرة العرب العمراني الخصيب، فقد وجدَ علماءُ الآثار اعجازَ مدلولاتها في أطلال الآثار الشاخصة، وحفرياتها الدفينة المكتشفة، والتي لَمَّا تكتشفْ ولا شيء أدل على قِدَمِ خِصبِ الجزيرة العربية الأخضر الفينانِ الرَّيانِ من النفطِ نفسهِ المذخور في أعماقها.

أما كان بالأمس البعيد في علم الواقع الجيولوجي، حدائق غناء، وغابات شجراء، ومروجاً مزدهرة ومراعي خصبة طافحة بِبُدْنِ المواشي، وشتى أنواع الحيوان. التي طواها الأمس البعيد في أعماقها، لتعود اليوم أنضرَ مما كانت وأسنطع وأبهجَ، ﴿**ذلك تقديرُ العزيز العليم**﴾..

٢ ـ وصارخ في ما ألف المؤلفون، وكتب الأثريون، وَنَقَّب المنقبونَ. حول ما كانتْ عليه جزيرةُ العرب في غابر الأزمان السحيقة ذاتَ نضرة في الوديان، وبسطةٍ في العمران وَعِزَّةٍ في الملك، وزينةٍ في الحضارة، وبهجة في العيشِ، وسُموٍ في الخُلق، وغَزارةٍ في العلم، وتفوقٍ في الأدب، ولعلك تحسب العلماء الذين عُنوا بوصف عِمران المدن التائهةِ في مجاهل الجزيرة العربية، وفي أوديتها القصية، وفي لجج رمال ربعها الخالي. والعلماء الذين فصلوا ما كانتْ جزيرةُ العرب من ثَرَاءٍ في الزينة وإسراف في البذخ، ومن غرائب مبدعات الفن في نحت صروحها في صميم جبالها، وفي أطلالها الشاخصة، قد مسها سحر الأساطير، وأفانين عبقرياتها، وبدعُ زخارفها..

أجل تكاد تحسب ذلك لو لم يكن كُتّابُهَا هُمْ ذواتَ روَّادِها المكتشفين والمنقبين. وهم على ناصية الاكتشافِ، ولمَّا يتوغلُوا... والاكتشافُ المطرد يكشف واقعَ ذلك من يومٍ إلى يوم.

وها هي، الدولـة السعوديَّة العربية العريقة ـ يا رَعاها الله ـ قد انتدبتْ أعمق علماء الأرض ـ وأَقْدَرَهُمْ على اكتشافِ حقائِق التاريخ، وَخَبايا الآثار، لِنَبْشِ دَفائن الكنوز. وبسط كل ذلك للإنسانية المهذبة العالمة، في موسوعة حديثة بَعيـدة عن هَوَسِ العنصـرية اللعينـة، وأحقادهـا السَّوْدَاء، وخبث مؤامراتها وتربصاتها.

وهذه الموسوعة ستكون الدفعة الأولى من ينبوع طافح يتفجر بحقَائق العلم تفجيراً. ويكون على أثرها دَفقات موسوعات إثر دفقات موسوعات، كلها كنوز عِلم مرصودةِ للأجيال.. وها نحن أولاء في طليعة عهدٍ رائعٍ، كلهُ وقيدُ جدٍّ واقتدار لاعادة جزيرة العرب إلى ما كانتْ عليه، ولا عجبَ في ذلك إنما العجبُ أن لا يعودَ ذلك لأنه من أنباء الوحي اليقيني، وأنباءُ الوحي اليقينِي لن تتخلفَ أبداً...

وهكذا كنت ـ وأنا في معركة طلب العلم ـ أفكرُ في الطريقة التي يمكن أن تعودَ بها الجزيرة العربية إلى مروج وأنهار تفكيراً مقترناً بحتمية الإيمان بالعودة.

وإن كنت أعلم ما أعلم من جفافها ومن قلة مائها وندرة آبارها الغزيرة وعيونها الجارية. لأني من أبنائها...

وما أزال أذكر أننا وفدنا مرة إلى جدة من المدينة المنورة وقد جهدنا في الطريق وخفنا وظمئنا. فلما شاهدت «الكنداسة» لأول مرة، والماء ينصب والسقاة يحملون زفَّاتِهم[1] على عيدانهم متتابعين في زحام وجلبة، خفق

---

(١) جمع زفة من زف الطائر بسط جناحيه ومثله حامل صفيحتي الماءِ على عودةٍ.

قلبي بالطمأنينة، وتصورت نفسي حيال شلالٍ عرم... ورويت حتى نضح الماء من أظفاري بعد جفاف الطريق ونضوب مائه.

هذه الذكريات الظامئة هي التي جعلتني أفكر في كيفية العودة وأقول موقناً «لَا مستحيل على الله جل جلاله. قد يفجر من جبال جزيرتنا الينابيع، ويجري من خلالها الأنهار.».

أما كنا نقول إلى عهد قريب؟..

.. «أي الحَيوانات التي سيخلقها الله، لتحمل أثقالنا إلى بلد لم نكن لنبلغه إلا بشقِّ الأنفس، بدلاً من الإبل والخيل والبغال والحمير. حين نتلُو قولَ الله عز وجل: **﴿والخيلَ والبغالَ والحمير لتركبوها وزينة ويخلقُ مالا تعلمون﴾** [١٦ ـ ٨].

ولكن لما هدَى اللهُ العقلَ البشري إلى صنع وسائل النقل الحديثة من قَاطِراتٍ وسيَّارات وطائراتٍ وسواها، فهمْنَا مدلولَ الآية الكريمة، وانكشفَ سرُّ اعجازها المدخر..

وفي هذا العصر، استدار الفلكُ وأصبحتْ جزيرةُ العرب على قاب قوسين من تحقيق نبأ رسولِ الله ﷺ لأن فحولَ العلماء المخترعين في كل بلد، أخذوا يدرسون باهتمام بالغٍ الوسائلَ العلمية التي بها يفيدون من طاقة الشمسِ الحراريةِ في التنمية الحضارية المتطورة عينَ إفادتهم من الكهرباء، جمعاً وتخزيناً وتصنيعاً..

ويتم ذلك إذَا وصلُوا إلى اكتشاف(الوزائل)[١]الحديثة التي يمكن أن تجمَع أكبر كمية من طاقة الشمس الحرارية المتفرقة جمعاً حاصراً لها وخازناً وقادراً علي توجيهها لناحيةٍ بعينها، ولغاية بعينها، وحجزها لمدة بعينها.

(١) الوزيلة مرآة تحصر حرارةَ الشمس وتعكسها وتوجهها ج وزائل.

وعندئذ تحولُ إمَا إلىٰ طاقةٍ بخارية. وطاقة البخار هائلة جداً. أما تُشاهِدُها تمخرُ بأطْوادِ البواخِرِ في لجج البحار، وتسابق البـرقَ وهي تسوقُ أكبـر القطارات، وَتديرُ بأصابعها أضْخَمُ المكنات في قوة الاعصار ودورانه...

والافادةُ الكبرَى من طاقة الشمس تكونُ في مواطن قوتِها الكبرى: كجزيرة العرب، وبالحري نجد لعلوها، وكل البلاد الواقعة في خط الاستواء..

وتقام على شواطىء البحر الأحمر عمائر «المشمسات»[1].

ومهما يكن فالطاقة البخـارية لا يمكن أن يستهـان بها في النمـــاء الحضاري المتطور الصاعد. يكفي أَنَّه يمكن تحويلها إلى كهرباء بواسطة المولدات الديناميكية التي تدار بواسطة البخار إبان تَمام صُنْعِها .

والحمد لله فقد ظهرت بوادر الإفادة الجادة من حرارة الشمس المتطايرة في العوالم بقوة هائلة كبرى، قبل أن تنتهي طاقة النفط في يوم ويهلك العالم، أو يتصدع...

أجل ظهرت لدى بعض الدول المتحضرة بصورة رائعة قوية، في هذه العمائر الضخمة التي تقام لذلك. حتى في البلاد الخصبة الوفيرة المياه للإفادة التجارية، ولتخزينها وعرضها في الأسواق. كما تعرض بطاريـات الكهرباء.

وها نحن أولاءِ نشاهد العلماء الشمسيين المتفوقين النوابغ يتكاثرون. وأقبل عليهم الطلابُ من كل البلاد للدراسة والتخصص. وتحصيل معارفها الحديثة التي تربو يوماً فيوماً ولكي يطبقوها في أوطانهم إذا عادوا إليها، ولكَيْ ينهضوا بها ويوشكُ في يَوْم يكيّفُ بها طَقس المدن الكبرى.

---

(١) ج المشمسةُ هي عمارةُ مُصَنَّعة بالوزائل التي تعكس حرارة الشمس للافادة منها في تحويل ماء البحر إلى بخار. إذا حصر في برك نحاسية مصنعة خاصة لذلك.

وكنت قرأت أن جزيرة العرب هي من أنسب المواطن لتخزين الطاقةِ الشَّمسية، وعَاصمتُنَا الرياض وهي أعلى مكان صالح لاقامة عمائر التناول من طاقة الشمس جَمعاً وتخزيناً وتصنيعاً. . وكأني أشاهد قادة نهضتنا في متعةٍ بالغة، وهم يشاهدونَ ما تحقَّقَ على أيديهم ممَّا فكروا فيه أمس فأتمواتشييد عمائر المشمسات على ضفاف البحيرات الصِّناعية، وعلى شواطىء البحر الأحمر وقد حشدوا فيها فحول العلماء الشمسيين المخترعين، فأجروا مياهها المقطرة العذبة أنهاراً غـزيرة إلى كـلِّ فيافي جـزيرتنـا العربيـة الماحلة، فاستحالت مروجاً خضَراء، وحدائقَ غناءَ، وربواتٍ شجراء. . .

وحينئذ يبصُر الناسُ جميعاً عَياناً ما أخبر به ابنُ الجزيرةِ البار نبيُّنـا محمد ﷺ بعد ما كانوا يسمعونه بَياناً. .

ومهما يكن فالدولُ كافة لو لم تجند كلَّ عزائم قادتها المفكرين، وكلَّ عبقريات علمائها المختـرعين لتحقيق الافادة السـريعة من طـاقة الشمس الحرارية المبعثرة، إفادةً مُماثلة لطاقتي البخار والكهرباء. فإن نفاد طاقةِ النفِط من الأرض يقضي على وجودِهَا الحضاري بسكينه الزمهرير، وتجليد الحرارة وتعطيل الصناعة.

وهذه دولتُنا السعودية الرشيدة، وعلى رأسِهَا الملك المفدى المحبوب خالد بن عبد العزيز قد افتتح مؤسسة الملك فيصل الخيرية، فكان فاتحة أعمالها دعم مؤسسة الدرعية للافادة من طاقة الشمس الحرارية وارسال نوابغ طلاب العلوم الحديثة للتخصص في علوم الطاقة الشمسية. ومهما يكن فإني أعتقد أن البهجة التي أحسستها أمس، وأنا أشاهد الماء الذي تخيلته دفاقاً من كنداسة جدة القديمة، على ضآلته، لا يُعَدُّ شيئاً بالنسبة لما كان في فاتحة هذه النهضة وما يكون يوم يتم تشيد العمائر الشمسية ويومه آتٍ قريب.

وأحسب المواطنين العالمين، في ذلك اليوم العظيم لا بد أن ينهضوا لتمجيد تضحيات أبطال هذه النهضة وتكريم أنجمها.

ولا يرتابُ أحدٌ أن أولَ أوائِل أبطالها المعاصرين، ونجم أنجمها الذي بتضحياته تحققتْ النهضة الحديثة في قلب جزيرة العرب، البطل الذي بُقر بطنُه في إحدى مَعاركه لجمع الكلمة، وتوحيدِ الصفوف، فشدَّها بحزامٍ، وظل يكافحُ حتى أحرَز النصر..

ذلك هو صقر الجزيرة، الملك البطل عبد العزيز آل سعود، فيا له من صَقر مُحلِّقٍ أظلَّ الجزيرةَ بظِلَالٍ مِنْ أَمْنِ الإيمان، وَمَوَدةِ اليَقظةِ، وَوَحْدَةِ القوةِ، وتفاهُمِ الصِّدقِ، وذكاءِ العلمِ، وَسُؤْدُدِ الإِسْلام.

... إذنْ فهو الزعيمُ الذي تُمَجِّدُهُ الأجيالُ الحَديثةُ المُسْتَمْتعةُ بالوحدةِ والعلمِ والأدبِ والأمنِ والإيمانِ ومن أجلِ ذلك سَتظلُّ ذكراهُ على أفواه الأجيالِ ترنمةَ فجرٍ، وكلمةَ شكرٍ وحمداً لله الذي اسبغَ هذه النعمةَ لعبادِهِ على يديه..

رحمه الله.. رحمه الله.

ما كل بصير ببصير

﴿وفي السماءِ رزقكم وما تُوعدونَ﴾ [٥١ - ٢٢].

هذا قولُ الله جلَّ وعزَّ وقولُ اللهِ حقُّ الْحقِّ، ونورُ النورِ، وهُدَى الهدَى، ألا تَرى الحياةَ يبدؤُهَا الإنسانُ بِأَجَلٍ وينْتهِي منها بِأجلٍ ؟

وفي هذا الأجل ينالُ قِسْمَةَ رزقِهِ وهو لاَ يَدْري ما هُوَ موعودٌ بِه منه لأن ذلك مِن الغيب المُحَجَّبِ في السماءِ وكلُّ ما هو موعودٌ به آتيهِ حتماً، هذا هو يقينُ الإِيمانِ العمليِّ الصادق.

أنظر هذا الشيخ عبد الله إبراهيم البصير قد وعى الحقيقةَ الحتميةَ، وَعْيَ الصدقِ، اسْمعه إذْ يقولُ حِينَ أنشأ مَبرَّتَه الكريمةَ «التجارةُ قائمةٌ على طَلب الربح المادي.. فإذا ضُمَّ إليها الربح الأخروي كان في ذلك الخَيْر كُلهُ وإني كنتُ كلَّما ازددتُ ربحاً ازْدادَ في نفسِي إيماني بأنَّ الله يريدُنِي لخيْرٍ يَسرِّنِي لَهُ. هو إنشاءُ المَبرة الخيرية لخدمةِ دِيني وخدمةِ الإِنسان وخدمةِ العلم» ويقول:

«لقد رأيتُ بعين الحقيقة أنني مهما جنيْتُ من ربحٍ في تجارَتِي فلن يُصيبُني منه إلَّا ما أكلتُ فأفنيتُ، وما لبستُ فأبليتُ، وما تصدقْتُ فأبقيتُ مصداقاً للحديث النبوي الشريف لذلك اخْترتُ الثالثةَ وهو أن أتركَ لآخرتِي مَا يَبْقى ذُخْراً لي عندَ ربي وهو الذي أفيدُ منه أبدَ الآبدينَ فِي الآخرةِ إنْ شاءَ الله ومبرَّتِي هذه هي كلمةُ الشكرِ والإمتنانِ العَمَلِيينِ للهِ ربِّ العالمين» ويقولُ:

«لقد قمتُ بتأسيسِ هذه المَبرَّةِ وَحْدي وكان دَافِعي إلى تأسيسِهَا هو إيماني بالله تعالى وتربيتي الإسلامية المبنيَّة لأجلِ تَحْقيقِ العملِ الخيِّر وكان ضميري يَحُثنِي على ذلك أَيْ يحثني على إخراج هذه المبرة، مِنْ حَيزِ النيةِ إلى حَيِّز العملِ وقدَ تمَّ تأسيسُها بفضلِ ربي وإحسانِه وتوفيقه لي».

أجل أسَّس الشيخ عبدُ الله إبراهيم البصير المبرة للعلمِ والدين فكانَ هو البصيرُ حقاً وصدقاً وكما قلتُ في عنوان كلمتي هذه «ما كلُّ بصيرٍ ببصيرٍ. . .».

وكم هم أهلَ النار الذين لا يَنظرون بأعينهم إلى ملكوتِ السَّماواتِ والأرض وما خلق الله فيهنَّ من العجائب ولا تخشع قلوبُهم لذكر الله بل هي قَاسيةٌ لا تَعِي ما يَعيهِ أهلُ الهدايةِ والإيمانِ ولا يسمعونَ الهدايةَ مِن الدعاةِ إلى الله تعالى.

هم يعيشون كما تَعيشُ الأنعامُ بل هم أضلُّ مِن الأنعامِ أجل هذَا قول الله فيهم فاتَّعِظُوا به: **﴿ولقد ذَرأْنا لَجهنَّم كثيراً مِنَ الجنِّ والإنسِ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يُبْصرونَ بِهَا ولهم آذانٌ لَا يَسْمعونَ بِها أولئكَ كالأنعامِ بلْ هُمْ أضلُّ أولئك هم الغافلون﴾** [٧ ـ ١٧٩].

نعم نحن الآنَ مقبلونَ على شَهْرٍ مُباركٍ شَهْرٍ أُنْزِلَ فيه القرآن المجيدُ شهر الخيرات والإحسان شهرِ الإيمانِ، ولا ريبَ أَنَّ تجارُنَا المؤمنين بحقِّ الله في أموالِهِمْ يعلمونَ أَنَّ الْغزْو الفكري يَطْغَى يوماً فيوماً على عقولِ شبيبتنا فإذَا لم يُساعِدُوا الدولةَ في الإنفاق من أجلِ تسليحهمْ بالعلمِ وبالدعوة، في تسليحهمْ بِمُثلِ الإسلامِ الْعُليا والاطلاعِ على مُعْجزاتِ القرآن العلميةِ بشَتَّى الوسائلِ بالتأليفِ وإذاعةِ النشراتِ الدورية، وعلى رأس كلِّ ذلك الصحافةُ، الحمدُ للهِ الصحافةُ آخذةٌ بقوةِ البيان والعلمِ اليقيني تُزوِّد الشبابَ

بكلِّ ما يكونُ وقاية لهمْ مِنَ الانحرافِ والإلْحادِ والإباحةِ، لولا ذلك لَسقطَ شُبانُنا في مَخالِب الغزو الفكري وهو لا بُدَّ يخالف قُلوبَهمْ وَيَجْعَلُها طَرائقَ قِدَدا بعضهم يُحارِبُ بعضاً، وبعضُهمْ يَبْطشُ بِبَعضٍ، وهمْ يَحسبونَ كلَّ ذلك هو الحضارةَ والحرية والتجدد والعلمَ.. ومن العلم ما قتلْ..... ولله ما أعظم.

تُراثُنَا الفكري كلّه إنسانيةٌ وسموٌ وإيمانٌ وحكمةٌ وفكر وصدقٌ وإخلاصٌ وحُبٌ وتعاونٌ وإيثارٌ وعزةٌ وكرامةٌ واتحادٌ وتضحيةٌ وثباتٌ ويقظةٌ وذكاءٌ ومعرفةٌ وأدب وخلقٌ كريمٌ..

فإذا فرطنا فيه وتسربتْ بينَ فئاتِ الشُّبانِ الْمَبادىءِ الموبوءةِ الْهَدَّامةِ من الغَزْوِ الفكري الإباحي الأجنبي وقعْنَا في شَرِّ المهالك، وأهولِ التمزيق وأفدح المسخ وأفتك الخسف.

إذن فيجبُ أن نَعيَ النداءاتِ الحيةَ الخالدةَ والصرخاتِ المتتابعةَ من الدولةِ ومن المعاهدِ العلمية ومن كُتابنا المفكرين والغايةُ هي أن نحفظ أنفسنا ونحفظ تراثنا الإنساني العالي..

ولو كانَ تراثُنَا مُنْحطاً لكانَ الأمرُ هَيناً، ولا نكون كالتي نقضتْ غزلَها من بَعْدِ قوَّةٍ انكاساً.. ولكنْ نحنُ نملِكُ المثلَ الأعلى في التراثِ الإنساني، فتفريطُنَا فيه وانصرافنا عنه يُعدُّ كارثة دونها كل الكوارث..

فلا بدَّ لنا مِنَ الحفاظِ عليهِ، والنِّضالِ عنهُ وإثارة عَزائِم الشَّبابِ ليكونُوا أبداً على أتمِّ العُدةِ لِلفِّداءِ والتَّضْحِيةِ لارتباطِ عزتهم وكرامتهم وبقائِهم كأمةٍ ذاتِ كيان وشَخْصيةٍ وحضَارةٍ وتاريخ مجيد به.

وإني قبلَ أَنْ أمْسكَ اليراعَ أهمسُ في آذانِ شُبانِنَا الْجامِعيِّين النبلاءِ بتوجيهات حكيمةٍ من قَادةِ الفِكر الأمناء لدينا خليقةٍ أن تكون لهمُ المشاعلُ

الهاديةُ إلى دروبِ السلامةِ والنَجاةِ فقد وردت تَوْجِيهَاتٌ عاليةٌ فِي مجلة اليمامة عدد غرة شعبان عام ١٤٠٢ هـ ، وإليك هي بالذات.

١ ــ الشيخ حمد الجاسر

لا خطرَ علينا مِنْ أي غَزوٍ فكْريٍ مِن الْخَارِجِ.. ولكنِّي قد أخشَى غَزواً يأتينا مِنْ دَاخِلنا.

٢ ــ د عبد الله التركي.

يتعرض العربُ بشكلٍ عام والمملكةُ على نَحْوٍ خاص لِغَزوٍ فكـري شَنيعٍ..

٣ ــ عَزيز ضيــاء .

سيظلُّ واقعُنَا الثقافي يَسْتقبلُ ما يَفِدُ إليه مِنَ الغَرْبِ. ولا سبيل إلى الرفضِ أو الصد أو التنفيذ.

٤ ــ د. فاروق دسوقي.

الصليبيون، والشيوعيـون، والعلمانيـون، والصهاينـة يريـدون زحزحـة المسلمين عَن عقيدة التوحيد.

٥ ــ د . مخمد رشاد خليل.

يجب أن نعمل على تكوينِ ملكةِ النقدِ المنهجي عندَ الشباب المثقف ليميز بينَ ما هو علمٌ وما هو هَوىَ.

وكم أتمنى للشباب الجامعي المثقف أَنْ يُطالعوا بدقةٍ ونظرٍ في مُؤَلَّفِ «معجزات قلب القرآن» فإنَّ فيه التوعية الإلّهية بقدر ما نملكُ مِنْ التراثِ الإنساني العالي الخالد...

الذي لَا يُضارعه تراث في الدنيا.

والنهايةُ مَصيرُنا متوقفٌ على

تراثنــا . . و . .

وما أصدق قول شاعرنا العربي الصميم في فجر الإسلام:

لَسْنَــا وإِنْ آبــاؤُنــا كَــرُمَتْ يَــوْمــاً على الأَحْسَــابِ نَتّكلُ
نَبْنِي كَمَــا كــانتْ أوائِلُنَــا تَبْني ونَفْعَــلُ مثــلَ مَــا فَعَلُوا

وما دُمنَا عرفنا أن تراثَنا إنسانيٌّ عالميٌّ سلمي راقٍ، وأَنَّ الحفاظَ عليه هو حِفاظ لمعنى الإنسانيْةِ في الإنسانِ يجبُ أن نحافظ عليه بالعلمِ والقوةِ والدعوة وما أصدق ما قاله شاعرنا الكبير السيد محمد حسن فقي:

إذا أنتَ رمتَ الحقَّ مِن دُونِ قوةٍ تناصِرهُ، فالحقُّ ـ لا شَكَّ ضائِعُ



الرّحْلات الدّاخِليّـة

فصل
الرّحلات الدّاخليّة

الكلمات

١ ـ الرحلة إلى الباحة.

٢ ـ الرحلة إلى الأمير سعود.

٣ ـ الرحلة إلى القصيم.

٤ ـ الرحلة إلى جازان.



الباحة مطلع رفارف الخلد

في فجر الخميس ١١ شعبان عام ١٣٩٩ هـ انطلقنا من جدة قاصدين مكة المكرمة فالطائف فالباحة. . .

١ ـ مكـة المكرمـة

بعد طلوع الشمس وافينا مكة المكرمة، وقصدنا منزل الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العامودي، وبعد تناول الإفطار في منزله العامر، توجهنا إلى الطائف وكانت الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وبعد أن صعدنا جبل «كرى» شاهدنا «الهدة». شاهدناها اليوم غيرها بالأمس. شاهدنا جسوراً عظيمة، وفنادق فخمة، وشوارع واسعة معبدة وحدائق غناء، وخمائل فينانة رفارفةً خضراء ترسل ظلالاً سابغة. وكانت تمر بنا نسائمها عطرة ندية خَضِرةً. . واجتزناها ووافينا الطائف،

٢ ـ الطـائـف

وجدنا الطائف قائمة على قدم وساق ـ والطائف مصيف السعودية. بل مصيف جزيرة العرب كافة منذ أبعد الأزمان وجدناها تقام بها وتشاد . . . المنتزهات العظيمة والفنادق الفخمة والقصور الشامخة. تقام بها وتشاد بكل الإسراع والنشاط، وبكل الزينة والجمال، والدقة والفن هي روعة،روعة ما أحسسنا بها من قبل. . .

أجل كنا نحس بمفاتن مصائف الطائف، ونسمع إلى مآتي هتافاتها من ربوات عبقر.

«هلمو هلموا... هنا مصيف أبناء السعودية بل أبناء جزيرة العـرب كافة، هنا مرح الاستجمام البريء. هنا زينة زينات التاريخ. هنا السعادة، هنا خفقة القلب. وسمعنا النداء، حرام - يا ناس أن تدعوا مصائف بلادكم تندب حظوظها في أنفسكم، وتطيرون بها إلى هنا وهنالك وتؤثرون هاتيك عليها، بإسراف مريب ما كان ينبغي أن يكون لو أن لكم مثل قلوب من تؤثرونهم في يقظتها لمصالح بلادهم...

يا لله ما أجملك يا مصائف بلادنا أنت جديرة بكل هذه الرعاية. أجل كم كان أنسنا بالطائف كبيراً... الأسواق مزدحمة وأنماط السيارات تزوغ مسرعة خاطفة من يمين إلى شمال متحدية نظم السير.. والمتاجر حافلة بأصناف البضائع.

ودخلنا مكتبة كبرى، وابتعنا منها بعض الصحف والمجلات وواصلنا المسيرة إلى وادي السر، المصافح وادي ليا.

واسترحنا بعض الساعة في مقهى وادي السر الحديث، وهو منسق تنسيقاً جميلاً...

وكم تمنيت أن يتم تنسيق مطاعم طريق المدينة المنورة بمبادرة وإسراع بمثل هذا التنسيق، وتوفر لها النظافة الصحية والمياه الكافية. وحسن البناء، والمقاعد المريحة الطريفة. مما هو آت بإذن الله ومقرر.

وعظيم هذا القرار والمطاعمُ في مجرى سيول الأعين البصيرة، والعقول النيرة التي تمر بها في أشهر الحج، والمواسم العامة، وما أكثرها، وهذا واقع ومشاهَدٌ والبشرى أن معالي أميـر المدينة المنورة مهتم بذلك غاية، وما

أقرب ما يكون ذلك.

والمجتازون من طريق الطائف إلى الباحة فأبهى. لا بد أنهم يمرون على وادي السر ومنتزه مقهى الرياض هذا.

وانطلقنا بالسيارة عقب الاستراحة القصيرة فيه... وكان انطلاقنا عجباً من العجب، الطريق واسع ومعبد والسير عليه مريح جداً، وعلى جانبيه تشاهد قرى عامرة، ومزارع خضراء، ومناظر من معالم الحضارة فرحة خضرةٌ رَفَّافة. تومِىء لَكَ والهواء خصر عطر يصبي، بشوق، ولهفة، وافينا الباحة على مشارف الظهيرة.

الباحة

الباحة هي عاصمة المنطقة المسماة باسمها، كما يقولون «مصر» اسم للعاصمة - القاهرة - وفي الوقت نفسه اسم لكل القطر المصري..

الباحة العاصمة

كانت قديماً عبارة عن بعض الدور البسيطة، وأكواخ المزارع المتناثرة. ولكن سلاسل الحصون المشيدة بالحجارة السوداء في كل نواحيها باتقان وإبداع. تدل إلى أن الباحة كانت أكثر من دور بسيطة ومضارب كثيفة.

والباحة العاصمة اليوم مشتملة على المباني الحديثة. والعمار فيها نَاشِطٌ مِن عِقَال.

وقد اتسع اتساعاً كبيراً وما يزال حتى ضم اسم الباحة العاصمة مدينتي بلجرشي في جنوبها، ومدينة الظفر في شمالها.

الباحة الجامعة

هي مجموعة من القرى منها الدساكر ومنها الكفور. تبلغ ألفاً وخمسمائة

قرية. أو ما يزيد وقد شعشعت أضواء الكهرباء سبعين قرية وأمنيات الإضاءة بها عَامَّة وشبكة النوال على غَمْضة عين وانتباهتها. وطالعتنا غابات الباحة الشجراء وأوديتها المغطاة بكساء أخضر من شجر العرعر والطلح.

ومررنا بمناظر وهضاب وجبال لم أشاهد مثلها إلا في لبنـــان... حتى المدرجات المزروعة هناك شاهدنـاهــا هنا وتسمى الجلالي ومفردها جل. والمشاهد التي أمكن رؤيتها في هذه الرحلة القصيرة لا يمكن استقصاؤها وتدوينها إلا لدائرة المساحة لسعة إمكانياتها، ووفرة موظفيها وفسحة أوقاتها وتخصصها لمثل ذلك. فما بالك بما لم يتيسر لنا في تلك العجالة وأخيراً وافينا دار الضيافــة.

دار الضيافـــة

ما أنا بحاجة إلى وصف دار الضيافة لأن الصورة تغني عن ذلك. وكانَ نزولُنا دارَ الضيافةِ الخاصة بمعالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم أمير الباحة ظهراً، وكان معاليه مدعواً في بلجرشى، وأخبرهُ المشرفون على دَار الضيافة بمقدِمِنَا.

فأمرهم بإكرامنا، وإنه آت وما هي إلا مسافة الطريق حتى وافانا بكل ما يحمل محتده العربي الكريم من ترحاب وبشر وايناس. بفطرة ما نشأ عليه من كريم الأخلاق وشمائل العروبة الأصيلة، وبعدَ تناولِ المرطبات أخذنا معه إلى بلجـرشى واستقبلنا الأهلون هناك استقبالاً باشاً رفافاً هاتِفاً تكرمة وتعظيماً لِمعاليه ولضيوفه وبعدَ تناولِ القهوة والشَّاهي دُعينا إلى مادة الغداء وكان معاليه يوسعنا إيناساً وتكريماً.

شأنه مع ضيوفه... وبعد تناول الطعام استرحنا في ردهة كبرى هناك وتبادلنا أطراف الأحاديث.

ثم عدنا إلى دار الضيافة وغفونا بعض الساعة ثم أرسل لنا معـاليه السيارة لزيارته في مخيمه في الغابة.

الغـابـــة

قد مر بي في بلدان كثيرة غابات هائلة ورائعة وشجراء وخصبة،غابات هي من مدهشات الدنيا. ولكن لم أحس بما يؤنس النفس ويسـرُّ القلب ويرضي الضمير كجليلِ ميراث العروبةِ،أجلْ أحسست أحاسِيسها ونسائمهـا وشاهدتُ انطباعاتها في أعصـابي، وفي لمحات الْحـواس ومجاري دمي ترفرف خمـائِلُهَا وتغـرد طيورُهَـا وتهب نظراتُهـا السَّماويَّـة العبقـة، حتى أحسست كأنها هِيَ أنا أو أنا هي وطفقْتُ التهمُها نظراً من هنا ومن هنا وعيناي تعبان المفاتن والسحر والجمال عبا.

وشاهدتُ الشمس تلملم ذيولَها الذهبيةَ من ذرى الأشجارِ بأصـابِعِهَا المتألِّقة بالعسجدِ.

وحين أختفت الشمسُ تماماً من الأفق وأخذ كل شيء يُجَلَّل بالليلِ وتأكد ذلك تَعالى آذانُ المغرب وتوضأنا وصلى بنا معالي الأمير أحسن الله إليه.

ولا أدري كيف انتقلت إلى فجر الإسلام في جزيرة العرب حرسها الله وانكشف لي تاريخ أسلافنا الأبطال. إلا حين رأيت معالي الأمير يؤمنا ونحن صفوف في ذاك الطّراف الممدد الفسيح.

وسمعت تلاوة القرآن المجيد،وأحسست أن هذه الأمـة التي صنعت عجائب التاريخ الخالد بدستور هذه الآيات المنزلة لن تموت،لن تبدل،لن تمزق،لن تضؤل أبداً،وأمثال معالي الأمير إبراهيم يحرسها بيقـظة وعمل وبسالة وذكاء وإخلاص وتضحية و فداء وفقهاً. . وأمثاله كثير في نهضتنـا

الحديثة الجامعة والحمد لله. وأبى معاليه إلا أن يأخذنا إلى قصره العامر. . . وكان حديثه هنا جواذب من تاريخ الإسلام وعظمة جمع الكلمة وتوحيد الصفوف والاستمساك بما أنزل الله من وحي لإسعاد البشرية جمعاء.

إنه حديث عذب طريف قدسي يكفي أنها ليلة مباركة لا تزال معالمها في أنفسنا ترف رفيفها بأضواء الإيمان الصادق الواعي الكريم.

صباح الجمعة ١٢ شعبان ١٣٩٩ هـ

في صباح هذا اليوم المبارك في الباحة وافانا المواطن الأستاذ محمد سرحان الغامدي في قصر معالي الأمير.

وكنا على موعد معه وصحبناه في السيارة الخاصة وطاف بنا في معظم القرى وأرانا وادي «فيق» الخصيب الذي تكثر فيه دوالي العنب، وأشجار المشمش والخوخ والتين بلونيه الأبيض والأسود وشاهدنا الأودية خضراء وجميلة، والجبال تبدو مكسوة بالأشجار الطويلة والقصيرة.

وكنا نشاهد ما نشاهد عن مجاليها وأنفسنا تتواثب مسرة، وجوانحنا ترف رفيف أجنحة الطيور، حتى كنا نحس أنفسنا محلقة في هذه الغابات وعلى قمم الجبال. مناظر هي حبيبة إلى قلوبنا وقد أخذنا لها جملة من الصور. أخذنا صورة لجبل حزنة، وهو جبل عجيب يبدو من بعيد وكأنه خيمة كبرى ومن قريب يريك مدهشات المشاهد.

وحتى أن الشيخ عبد القدوس الأنصاري تخيل رأس هذا الجبل من بعض نواحيه كأنه رأس ثور بكل ملامحه.

ولما كنا في قرية حزنة صوّر الأستاذ محمد سرحان فلاحاً عجوزاً يقود إتَاناً، صورةً طبيعية ساحرة، وأرينا في القرية جملة من السيارات المختلفة

والدواب وفي حدود بلجرشي رأينا ثلاثة حصون هرمية الشكل مرتفعة طول الواحد منها ما بين خمسة عشر متراً فما دونها.

ووجدنا أن كل حصن يؤلف في الداخل ثلاثة أدوار إلى أربعة إلى خمسة. ولها فتحات صغيرة يستطيع الجندي أن يطلق النار على الغزاة منها دون أن يصاب هو...

وما زلنا نتقلب بين الأودية والقرى والغابات منتشين فرحين.. ولا أزال أذكر حتى الساعة أننا شاهدنا هذا اليوم أكثر من ثلاثة عشر واديا، كان الصديق الحبيب الأستاذ محمد سرحان يهتف بنا هذا وادي عبدان،وهذا وادي بكير،وهذا وادي الحمران،وهذا وادي سعيد،وهذا وادي الحرائق.. وهكذا كان يذكر لنا أسماء القرى والجبال والهضاب ونحن نسمع وأنا أدوِّن ما أدوِّن..

ولكن مع اعترافي اني عجزت عن تدوين كل ما قال.. والاعتراف بالحق فضيلة..

بيت القصيدة في هذه الرحلة.

ذكرتني هذه الرحلة ـ والسيارة تبتلع طول الطريق كأنها تمساح يبتلع حية البحر المديدة بنهم وإسراع.

أجل ذكرتني هذه الرحلة برحلة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وقول مرافقه له:

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا؟
فقلت كلا،ولكن مطلع الجود

ويشهد الله ـ لم يدر في خلدنا ونحن متوجهون إلى معالي أمير الباحة ـ

شيء مما كان متوجهاً إليه شاعرنا الخالد أبو تمام في رحلته. أثابه الله عن اللغة العربية أجزل المثوبة...

وإنما نحن أصدقاء أوفياء لكل مشيدي عمائر الإصلاح في هذه البلاد المقدسة وحفاظ لعهودهم وخلود ذكراهم وأقلام مدونة نبل أمجادهم.

وكان قائد رحلتنا إلى الباحة الأديب الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري قد سبق له أنه بالأمس كان كاتباً في ديوان أمير المدينة المنورة عبد العزيز بن إبراهيم والد أمير الباحة اليوم... إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم.

ومن أجل ذلك كان يؤنسنا بطرائف أخباره ومحاسن أعماله وسحائب يديه الماطرتين وبعد نظره وعدله في تدبير الأمور ونفاذ بصيرته في أحلك الأحداث وأعصاها. وكم وكم كشف الله على يديه من جرائم..

وإلى جانب ذلك أليس من حق الوطن على أهله أن يتعرفوا إليه لكي يسموا بحبهم له ويتوحدوا إيماناً وصدقاً ومودة وأماني وبذلك يسودون ويعتزون ويعودون إلى سابق أمجادهم وهذا أقل ما يجب للوطن؟

ومهما يكن فمعالم الوطن ينبغي الرحلة إليها في كل نواحيه، والتعرف إلى أمجاده التاريخية وسير أبطاله بالفكر والعلم والفن وبالأقلام المدونة، وأي فكر وأي علم وأي فن... يظل حياً لولا الأقلام المدونة؟.

وأنى تكون الذكرى للمدن والقرى والأرياف والبوادي وأسواقها لولا الأقلام المدونة.. ولله ما أصدق المثل السائر (الإمارة مرآة شفافة تريك أعمال أميرها) وجميع أمراء المملكة العربية السعودية الذين تخرجوا من مدرسة صقر الجزيرة العربية هم أهل عزم وحزم ودين وخلق وذكاء.. فلماذا لا تكون أعمالهم السامية شواهد أمجادهم وأحاديث إماراتهم وأعلام

أيامهم. ويعلم الذين شاهدوا من أرباب الأقلام ودونوا ما شاهدوا أن أمير المدينة المنورة عبد العزيز بن إبراهيم كان من الأمراء الناجحين الذين يشار إليهم بالبنان... وكان يكرم ويقدر ويؤخذ برأيه.. وهذا شأن ولده معالي أمير الباحة إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم. وكان علماء اللغة العربية يتلون علينا هذا البيت كشاهد نحوي على حذف الحروف اللينة لدى بعض القبائل العربية من الأسماء الخمسة:

..بأَبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وأنا أتلوه كشاهد على كرم السلالة ورفعة المحتد وصفاء النفس.. وصدق العروبة وإخلاص الإيمان واقتفاء أثر الولد لوالده في حسن شمائله واستقامة سلوكه والتزام أدب الكتاب المنزل والسنّة النبوية المطهرة وبسط ظلال الأمن الندية المباركة.

والأمن حياة للثقافة والسياسة والاقتصاد والزراعة والعمران والأمن طمأنينة للأنفس وصيانة للأموال والأعراض والأخلاق والدين.

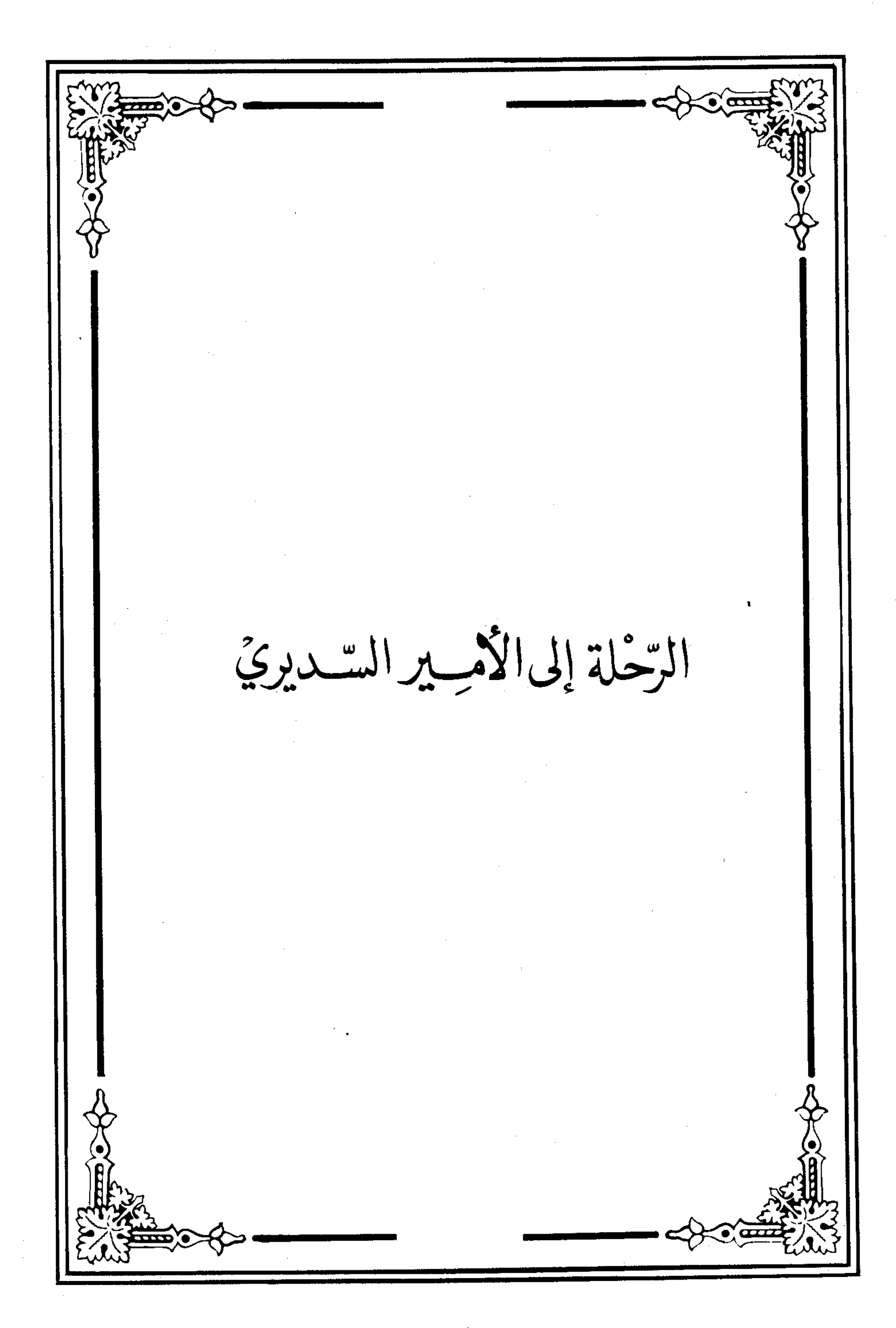
واذكر أني لما كنت طالباً في الجامعة الأزهرية في أواخر عهد الملك أحمد فؤاد رحمه الله... وافى مصر الزعيم الهندي محمد علي فاحتفلوا به وكرموه،وسأله الصحفيون ماذا رأيت في مصر؟ أجاب... رأيت النيل وطلعت حرب.

ومعلوم أن طلعت حرب أول من شيد معالم الاقتصاد والصناعة في مصر. وأنا أقولها كلمة حق لما شاهدت الباحة الحديثة العمران ناشطاً في كل مكان، والاصلاح الزراعي وتخزين المياه وتوفير رغد العيش وتيسير سبل العلم لكل المواطنين... والصحة والإضاءة العامة.

شاهدت الدولة السعودية وأميرها البطل إبراهيم بن عبد العزيز بن

إبراهيم يحيينا في كل ما نشاهد... وهل الدولة سوى حكامها.. فهم بناة أمجادها ومشيدو معالم حضارتها وهم مصدر شوكتها وسلطانها وروح أمنها واستمرارها وهم الْفَادونَ لها بالأنفس والأموال في كل آن.

وصفوة القول «لو حاولت أن أسجل بيراعي ما استطعت أن أشاهده وما لم أستطع ـ لضيق الإقامة ـ لما كفاني مجلد ضخم. والفضل كله لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين...»



الرّحْلة إلى الأمِير السّديريْ



دعوة تكريمية للعلم والأدب

في المملكة العربية السعودي أُسَرٌ كريمة مَاجِدة ذات بطولات. عرفوا:

١ ـ بصدق إيمانهم.

٢ ـ بعراقة مجدهم.

٣ ـ بصراحةِ عروبتهم.

٤ ـ بإفراط حبهم للعلم والأدب.

٥ ـ بحماسهم في الذود عن الإسلام والدولة والوطن.

٦ ـ بسعة معرفتهم لمصائِر الأيام.

٧ ـ بسهرهم الدائب في بناء الأمجاد.

سواء كانوا موظفين رسميين في الدولة، أو لم يكونوا.. لأنهم طراز عالٍ في الحفاظِ على كل ذلك. في مقدمة تلكم الأسر، أسرتان كريمتان هما آل الشيخ، وآل السديري، وكلا الأسرتين موطدتان للدعوة الإسلامية، وناهضتان بها إلى أعلى القمم. وإن كان الغالب على آل الشيخ الوظائف العلمية، وعلى آل السديري الوظائف السياسية. وفق ما يعد الناشىء منهم نفسه وما تصادفه من ظروف.

وحديثي في هذه الكلمة هو عن معالي الأمير سعود السديري بمناسبة

دعوته التكـريمية لي وللصـديقين الأديبين البحاثين الشيـخ عبد القـدوس الأنصاري والسيد علي حافظ.

معالي الأمير سعود السديري

إن معالي الأمير سعود بن عبد الرحمن السديري هو فَذٌّ مِن أفذاذِ آل السديري. ويعلم المطلعون على سير بناة الدولة السعودية أن للأمير سعود بن عبد الرحمن السديري مكانة مرموقة.

إذ هو معروف ببعد نظره، وتوقد فكره، وسعة اطلاعه، وتولعه بالعلماء والأدباء،وهو يعنى بتطور العلوم والآداب في عالمنا العربي، ويعنى بالتعرف إلى الموضوعات التي تجد على أقلام كتابنا وشعرائنا. وتعرض عليه. وإنها تحظى بتأييده إذا كانت صالحة بعيدة عن المجون والخـلاعة، ونـزعات الإلحاد الهدامة. ذلك لأنه تثقف ثقافة إسلامية عالية في طيبة المباركة. فأنت تحس يقظة إيمانه وسمو تفكيره في أقواله وأفعاله.

وقد اسندت إليه الدولة الإمارة، وهو في طليعة شبابه. فأحسن وكان إحسانه مرموقاً ونفع وكان نفعه كبيراً.

وما كان أمتع من يؤم إمارته دارساً متطلعاً فإن إصلاحاته النامية تلاقيه هاشة باشة وتصافحه بحرارة في كل ناحية يتوجه إليها. وهي آية صارخة على إخلاصه لدينه ووطنه ودولته وهي جهد التوفيق لأنـه طموح يـطلب المزيد.

دعوة معاليه التكريمية لنـــا

لبينا دعوة معاليه التكريمية لنا في منزله العامـر في الطائف... يـا لله... إنه منزل عجب يستهويك استهواء فرائد العقد.. لا بزخارف عَمَاره،

وفنون تحفه، ولكن بذخائر روح الإسلام والعروبة الفياضة التي تلقاكَ بطلاقة الرضـا، وعبق الطيب وجلال المعنى وسمو الغاية.

وكم بلغ سرورنا لما شاهدنا بين يديه بعض مجلدات كتاب، وصحفاً ومجلات.. وجال معاليه وجلنا معه في موضوعات إسلامية وعربية عالية استمتعنا بها استمتاع من تنشيهم أغاريد أطيار مختلفة النَّغماتِ والألوان.. وهم شاخصون إلى شَلَّالٍ دفَّاقٍ غيرَ صاخب.

وامتد الحديث إلى نعمة الأمن الآمنة التي تظل بلادنا العزيزة بجناحيها الوارفتين،لكثرة ما تنقل الصحف والمجلات لدينا من أنباء الإجرام، وفوضى الاغتيالات الجماعية والفردية الطائشة ؟ المتعمدة في شتَّى الأمصار.

ولا أحد يجهل أن الأمن روح الجماعة التي بها تحيا، ولا حياة لجماعة بلا أمن. ما هي بحياةٍ هذه التي يحياها الناس في البلادِ المتناحرة المذاهب الإلحادية وهمْ ما بينَ لحظةٍ ولحظة؛ مُهدَّدون بأن يقتلَ بعضهم بعضاً وينهبُ بعضهم أموال بعض، ويهتك بعضهم أعراض بعض. وترقب مفاجئة الموت أهول من الموت.

وهنا طاب الثناء والإعجاب لكل أمرائنا لأنهم أبطال ايقـاظ مغاويـر ساهرون على استقرار الأمن. والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه أن يمس محراب الأمن المقدس، ولو بقلامة ظفر من الأذى والخوف والهدم..

وهنا كل سعودي يعتبر نفسه جندياً من جنود الأمن وعيناً من عيونه. لأنه يعلم يقيناً ان أدنى تساهل هو إبادة له ولأولاده كما هو مشاهد في البلاد التي فقد فيها الأمن. والسعيد من وعظ بغيره.

ثم كُلُّ أمير يحفظ معالم الأمن في إمارته بأسلوبه وخصائص بطولته وذكائه.

أما التزام الشريعة الإسلامية، والصراحة المتناهية في انفاذ الأحكام التي

فرضها الله في وحيه لصيانة الأمن، والاسراع في تطبيقها بعد التبين والتحقق، دون رأفة أو تهاون. فهو أمر مجمع عليه لدى حكام المملكة السعودية كافة دون استثناء وهم والحمد لله ـ لا يتساهلون مع أنفسهم ولا مع سواهم بذلك يصان الأمن من الانهيار ولا صيانة له بدون ذلك.

وشاهدنا الذين زعموا أن تطبيق الأحكام الإلّهية على المجرمين وحشية، كيف تخطفوا بيد المجرمين، وقتلوا تقتيلاً.

ولا أدري هل يعتبرون هذا الإجرام.. ولا أقول الوحشي.. لأن الوحوش منزهة عن السقوط في مثله..

هل يعتبرونه في نظرهم مدنية وإنسانية وحضارة.. أم لا.. لا أدري.. لا أدري.

وإني أشكر ضيافة معالي الأمير سعود بن عبد الرحمن السديري لأن من حسناتها ـ وما أكثرها ـ هذه الكلمة القيمة.

يا.. رعاه الله. وزاده علماً ونبلاً، وحرصاً على الاستمساك بعرى الشريعة الإسلامية. التي هي مدنية المدنيات الإنسانية الخيرة....

الأمــن والإيمــان

ذكرت أن كل أمير من أمرائنا الأعلام، يقيم قواعد الأمن في إمارته بخصائص بطولته، ونسق أسلوبه العملي الحي. مع التزام الأصول المقررة في نظام الحكم الإسلامي.

وذكرت أنهم كافة مجمعون على إنفاذ الروادع الأمنية القاصمة لظهور الإجرام والمجرمين التي عينها الله في وحيه دون تردد أو تباطوء .

والآن أنهي موضوعي الذي بدأته بمناسبة دعوة معالي الأمير سعود بن عبد الرحمن السديري.

معالجة معاليــه شؤون الحكم

يعالج معاليه شؤون حكم النـاحية المؤمـر عليها. . بزجر السلطان النافذ، وبعدل الحكم الحازم، وبسداد الفكر الصـائب، وبتتبع مـداخل المجـرمين ومخارجهم. ومـا خفي من أعمـالهم لتكـون أعمـالهم تحت الشمس.

وإنه يبذل كل طاقته في تشييد عمران الناحية المؤمَّر عليها على قاعدة الإيمان العملي الصافي.

والإيمان العملي طاقة هائلة لا يستهان بها أبداً. ولا يستهين بها إلا خامد الفكر سخيف. ولا يكفر بالإيمان، ويستخف تطبيقه في الأحكام إلا

الملاحدة الأشقياء الذين يتآمرون على أوطانهم، ويخونون قيمهـا ويهدمونها هدماً يزعمون أنهم يبنونها.

وتظل أعمال الذين يكفرون بالإيمان مفككة العرى، منحلة الأُطر، ليس لها قرار من توفيق الصدف ويقين الواقع السامي.

وحبوط عمل من يكفر بالإيمان واخفاقه وخسوفه منصوص عليـه في صميم وحي الله عز وجل:

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [٥ - ٥].

ولولا أن الكفر بالإيمان يحبط الأعمال، ويخفقها، لما كنا نرى أهل المـذاهب الهدامـة الملاحـدة، وعبدة الأبقـار والأرواح والفيلة والحجارة ينشؤ ون نابتهم على الإيمان بأساطيرهم وأباطيلهم من قبل أن يستيقظ فيهم وعي التعقل، ومن قبل أن تهيمن على إرادتهم ملكة التمييز، ومن قبل أن تكشف أضواء بصائرهم حقائق معتقداتهم الواهية.

ومهما يكن الأمر فإن الملاحدة ما وجدوا في أمة إلا وجد فيها الانقسام والتحاقد والاستهتار، وإلا مزقوا كلمتها واطاحوا بأمنها وتفاهمها وجعلوا أهلها شيعاً يقتل بعضهم بعضاً، ويتآمر بعضهم على بعض، وهم على أية حال مرتدون، وأعمال المرتدين مخيفة جداً وحكم الشريعة الإسلامية عليهم لا يجهله أحد...

والحق أن المرتدين يحكمـون على أمتهم بالإعـدام، وعلى تقدمهـا بالتخلف،وعلى مساعيها بالانهيار والحبوط،ذلك لأن الله عليم بما يحيي عباده ويصلح حالهم، وينهض بهم إلى الأمجاد مئة في المئة وفوق فوق...

وعليهم بما يفسد حالهم، ويخفق أعمالهم، ويهوي بهم إلى الفناء مئة في المئة، وبقين بقين. . .

من أجل ذلك تجد أمراءنا كافة يحرصون أشد الحرص على بناء أحكامهم على نصوص ما أوحى الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ، وهدم الإلحاد في أي صورة دس، وفي أي لون بدا، وفي أية حنية انطوى. . .

لأنهم يعلمون يقيناً أن الأمن الآمن لا يكون عاماً ولا شاملاً، إلا إذا كان موطداً على قاعدة الإيمان العملي اليقيني.

ولأنهم يعلمون أن قاعدة الإيمان العملي إذا انهدمت أو تخلخلت أو ضعفت فإن قاعدة الأمن الأمين تنهدم أو تتخلخل أو تضعف، وحينئذ يجرؤ المجرمون والممزقون والملحدون والمفسدون على مباشرة جرائمهم، وإذاعة مفاسدهم ونزعاتهم علناً ان استطاعوا، كما هو مشاهد في أرقى البلاد المتمدنة،أو من وراء حجاب إن لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أبداً في هذه المملكة المقدسة بإذن الله تعالى.

والإجرام إجرام ولو لبس أفواف المدنيَّة الزائفة. وشفوفها العارية،ولا يُقْضىٰ على بواعثه الخفية الهدامة إلا بأمرين.

١ ــ اما بمبادرته بالعقوبة القاصمة التي تجتثه من جذوره في خفايا النفوس الموبوءة.

٢ ــ وإما بالإيمان العملي الصادق.

والحق ان الإيمان يقوم المعوج ويهدي الضال، ويسدد الخطأ، ويحفظ العرض والمال والنفس،ويمنح الطمأنينة في القلب، والسعادة في العيش.

ويزيد تأثيره على تأثير العقوبات. لأن نوازع الإجرام إذا ربثْ في نفس المجرم وتغلغلت واستطارت وكان في مأمن من عيون الدولـة وارصادهـا وحراسها، باشر الإجرام بجرأة بَطّاشةٍ مرعبة لا تخطر على بال. . !!

أما المؤمن الصادق الملتزم بحدود ما أمر الله، فإنه يظل خائفاً من مخالفة أوامر الله سواء أكان في جماعة أو كان منفرداً. لأن مصدر خشيته من الله. . .

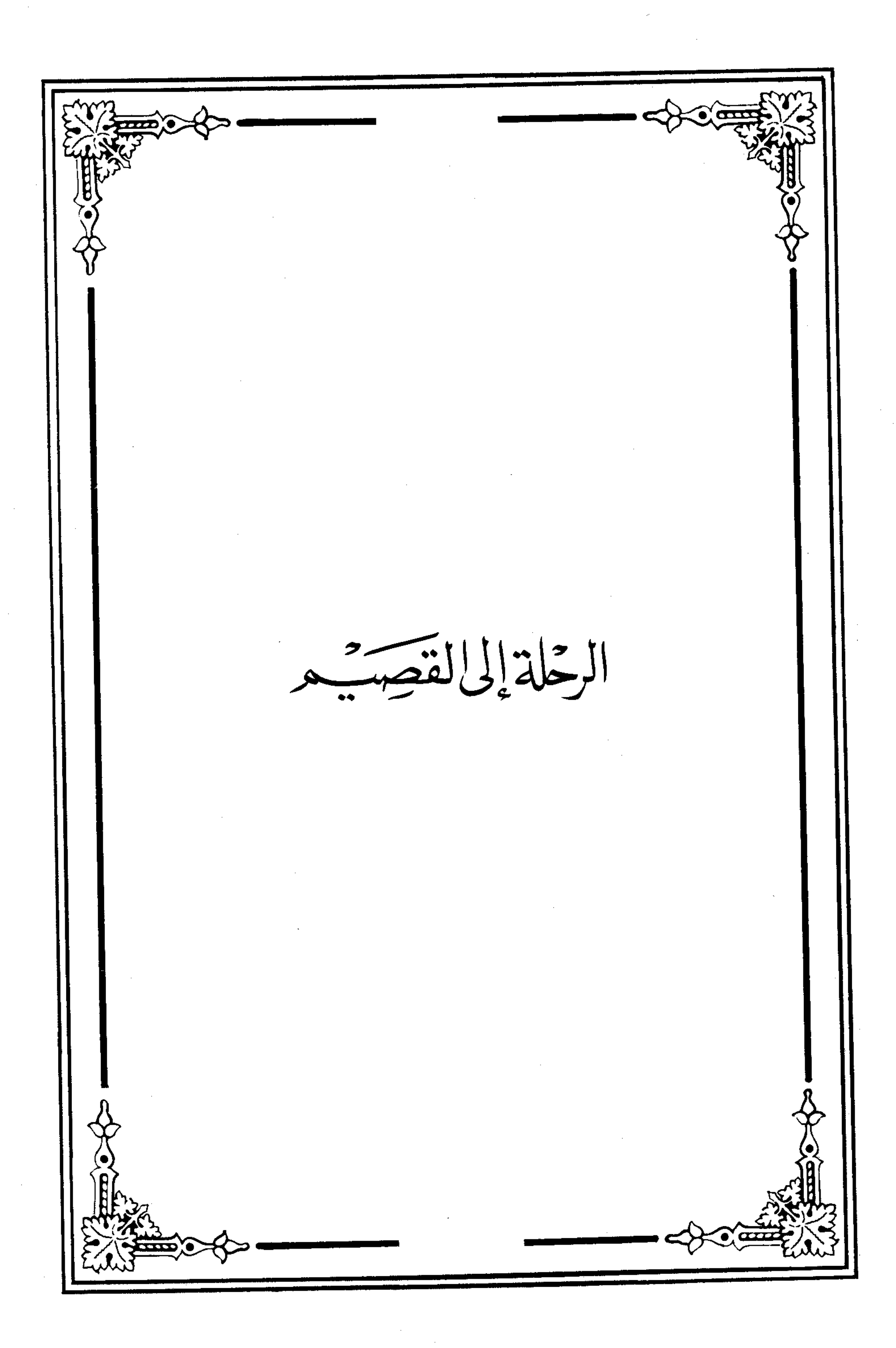
لذلك اختم كلمتي هذه بقولي:

الإيمان العملي الصادق قوام قاعدة الأمن، في الدرجة الأولى وتليه انفاذ العقوبات الصارمة الزاجرة بِيَقظةٍ ومُتابعــة.

فعلى أسس نصوص وحي الله اليقيني أقام سلفنا الصالح دولتهم وعلى أسس نصوص وحي الله اليقيني يقيم الخلف في عصرنا دولتهم.

ألم يقل إمام دار الهجرة «مالك بن أنس»:

«لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» وهل صلح أولها إلا بالإيمان بما أنزل الله عز وجل والتزامه في كل مرافـق الحياة؟ وهـذا ما بنى عليه قاعدة الدولة السعودية المرحوم الملك عبد العزيز وهذا شأن أولاده وأحفاده بعده يا رعاهم الله. . . .



الرحلة إلى القصيم



ما راءٍ كمن سمعا

كنتُ وأَنا في جُدة ـ عروسِ البحرِ الأحْمرِ الحَسْناء ـ اسمعُ الكثيرَ عَنْ القصيمِ وعَنْ نهضتِهِ العُمْرانيةِ الحديثةِ التي يتمتعُ بها ـ شأنه شأن سائرِ إماراتِ المملكة العربية السعودية ـ..

ولا شيءَ أمتعُ لنفسِي ولا أشْهىٰ ولاَ ألذَّ مِنْ أن أتوجهَ بما آتانِي الله من علمٍ وفَنٍّ وأدبٍ وبحثٍ إلى معالِم وطننا وأعْلامِهِ قادةِ هذه النهضةِ المباركةِ الجامعةِ. للتعرفِ إليه وإليهمْ عِياناً، فما راء كَمِنْ سَمِعَا.

ألا ترىَ أنك تسمَعُ كثيراً وتقرأ كثيراً عنِ قَصْرِ الحمراءِ في غَرْناطة، في الأندلس. وقد يَلذُّ لك الإِصْغَاء، وتَلذُّ لك الصورُ ولكنَّك إذَا ذهبتَ بنفسِكَ إلى غَرْناطة وأخذتَ تتجولُ في قَصْرِ الحمراءِ. وَتُشاهدُ عِياناً حَدَائقهُ وساحاتِه وقاعاتِه ونافوراتِه وتشاهدُ نَفَائِسَ فنونِ عمارِهِ وزخارفَ خُطوطِه وسطوعَ مدهشاتِه. فإنْ لذَّتكَ تُضاعفُ آلاف الآلاف عما كنتَ تلتذُّ به مِمَّا تسمع وتقرأ وتشاهدُ من الصور والرسوم.

هذا شأني بالنسبةِ لما كنتُ أسمعُ عن القصيم وعنْ مُدنِه وقراه وعن قَاعدتِه بريدة،نعم كنتُ مِنْ قبلُ أسمعُ وألتذُّ ولَكنَّني أنا الآن في القصيم ذاتِه أشاهدُ مِنْ مُدْهشاتِ نَهْضَتِهِ ما أشاهدُ بكل حَواسي وألتذُّ أكثرَ فأكثرَ مما كنتُ أقدر وأفكر وأتصور.

وأنا الآنَ ـ في كلِّ ساعةٍ. بل في كلِّ دقيقةٍ أرى مِنْ عَجائِب نهضةِ

القصيم الحديثة، وَمِنْ مفاتنِ عمرانها وسحرِ جَمالها وصَرُوحِ مَعَارِفِها ومَنَائرِ آدَابِهَا وغَزارةِ عُيونِهَا وجَمالِ آثارِهَا... الكثيرَ الكثيرَ...!!

أرى كل ذلك واستمتعُ به وأعتقدُ أنَّ كلمةَ خَاتِم رسلِ اللهِ سيدنا محمدٍ حَقٌّ مِنَ الحق ان جزيرةَ العرب ستعودُ مروجاً وأنهاراً.

وَلِم لَا أُسَرُّ ولِمَ لَا أفرحُ ولم لا أعتز بما أرى وأشاهده والخيرُ كل الخير والعِزُّ كل العِز العز هو على قِمم عاليةٍ من الآداب والمعارف لأهل هذه البلادِ المترامية الأطراف هِيَ بلادٌ مقدسةٌ بعلومِ الإسْلامِ وحرية الإسْلام وآدابِ الإسلامِ وإنسانيةِ الإسلامِ وشريعةِ الإسلام ورحمةِ الإسلامِ وعَدْلِ الإسلام وإنْصافِ الإسلامْ واحتشامِ الإسلام ومكارمِ أخلاق الإسلام فهل تجدُ في الدنيا بلاداً لها مثل ذلك؟ حَدِّثْني حَدِّثْني. وحسبي فخراً أَنْ أكون فرداً مِنْ أفرادِ شَعْبها الميمون.

قل كلمةً مختصرة: هناالحبُّ الصادقُ والمعاملةُ المرْضيةِ والْبُعد عن نَوايَا الشَّر والأذى والاعتسافِ والظلـم هنا القرآنُ وشريعةُ الرحمنِ واتباعُ خيرِ الأنام صلوات الله وسلامه عليه، بَلْ قُلْ كلمة مختصـــرة.

هُنَا الحبُّ الصادق والمعاملةُ الرضية والبعدُ عن نـوايا الشـر والأذى والاعتساف والظلم.

هنا القرآنُ وشريعةُ الرحمن واتباعُ خير الأنام، والتزام المسيرة على منهج السلفِ الصالح الكرام..

الرحلة إلى القصيم

بريدة قاعدة القصيم

انطلقت بنا الطائرة من مطار جدة يوم الثلاثاء ٦ رجب عام ١٤٠٠ هـ ، في الساعة السابعة والنصف ووافينا مطار القصيم المركزي في الساعة الثامنة والنصف وعشر دقائق . . .

وكان في استقبالنا في المطار سعادة رئيس النادي الأدبي ببريدة الأستاذ حسن الفهد الهويمل والأستاذ صالح السليمان الوشمي عضو النادي الأدبي وثلة من الإخوان . . .

وكان مرافقُنا في الرحلةِ من جدة إلى مطار القصيم في بريدة الوجيه الشيخُ عبد العزيز الفهد الرُّشودي وهو من أبطال العرب المجاهدين ناهيكَ بوالدِه العظيم فهد الرشودي صاحب المواقف المشرفة مع الملك عبد العزيز آل سعود . .

وَوَدَّ الوجيهُ عبدُ العزيز الفهد أن نكون ضيوفاً لديه إلَّا أن رئيس النادي الأدبي الأستاذ حسن الفهد الهويمل وصديقهُ الأديب الكاتب المشهور الأستاذ صالح السليمان الوشمي اعتذرا عنا جزاهما الله خيراً.

وذهبنا إلى فندق القصيم لكي نضع حقائبنا في الجناح المخصص لنا من قبل النادي.

وحالاً أقبل الوجيهان العالمان الأديبان الشقيقان الشيخ صالح السليمان

العمري والشيخ ناصر السليمان العمري ومعهما السيد علي الابراهيم العمري وبعض الأصدقاء وذهبنا جميعاً.

أولاً ـ للسلام على صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود. أمير منطقة القصيم.

ولما رآنا معالي وكيل الإمارة، حفظه الله قابلنا بما يحمل العربي الأصيل من مواريث النبل ورحب بنا...

وانبأ صاحب السمو الملكي الأمير بمقدمنا فأذن لنا حالاً بمقابلته.

وإني لا أدري بماذا أصف استقبال سمو الأمير لنا وإحساسي هذا لا يمنعني أن أقولَ كلمة واحدة عن استقبال سموه لنا تغني عن كثرة الكلام إنه استقبالُ الحكامِ المثقفين المفكرين لعلماء شعبهم وأدبائهم...

وأضيف أني تصورت رجلين اثنين عظيمين خالدين في تاريخنا:

الأول ـ والده العظيم الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية وجامع شملها الممزق فإن استقباله أشبه ما يكون به في سمته وهدوئه وبشاشته وعزمه وحزمه.

وتعالى هتاف هذا البيت وأنا أنظر إلى سموه في أعماق نفسي.

بِأَبِهِ اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم

وفي هذا الموقف ذكرت أن الملك عبد العزيز كان يحب بريدة ويقيم فيها الليالي ذوات العدد ويكرم أهلها تقديراً لجهادهم وحماستهم للنهضة العربية السعودية الحديثة. ونضالهم عنها، وذودهم، وصدقهم في إيمانهم.

وأراد الله أن يلهم جلالة مليكنا المفدى الملك خالد تمجيداً لهذا

الحب الصادق أن يخصهم بفلذة كبد الملك عبد العزيز ليكون أميراً لديهم وذكرى لوالده العظيم الذي كان يحب بريدة وأهلها، لصدق حبهم له.

فبارك الله في الأمير الشاب بالقصيم وأهله. وبارك لأهل القصيم بالأمير الشاب وإني لمحت نضرة شباب الأمير تزدهر في النهضة السعودية في كلِّ القصيم تنمو نمواً مطرداً متلاحقاً فما بالك بالقاعدة بريدة.

الثاني ـ

رأيت سمة المروءة والذكاء والنبل العربي الأصيل يسطو في أردان سمو الأمير وتلألأ حتى خيل إلي أني في مجلس عبد الله بن كرز وكأني حياله في قصره العظيم في القصيم وقد أعيد تشيده.

وحمدت الله أن الأمة العربية قد أراد الله لها الفلاح لأن حكامها منها وصدق أحمد المتنبي الحكيم إذ يقول:

ولن تفلح عُرب ملوكها عجم

وقبل صلاة المغرب ودعنا سموه وانصرفنا وكان المؤذن ينادي للصلاة ونهض سمو الأمير ملبياً ونهض حشد من كان في المجلس قصد أداء الفريضة.

وكان أخبرنا معالي وكيل الإمارة أن سمو الأمير أمر أن نكون في ضيافته وأن ننتقل من فندق القصيم إلى فندق سلمان الحديث وهو أشبه شيء بفندق الطائف الحديث.

هو فندق فيه جميعُ مرافق الحضارة ما خلا المآثم.. هو زينة وبهجة ومتاع، إنه تحيط به الحدائق ويشرف على سهول فسيحة نضرة وبعض المزارع. والمياه فيه وافرة والأنوار فيه ساطعة وأفرد لنا جناح خاص مؤلف من غرفتين

كبيرتين وحمامين وقاعة للجلوس وشرفات واسعة مطلات على الحدائق. .

وبعد انصرافنا ذهبنا إلى منزل الوجيه الكريم الشيخ صالح السليمان العمري وكان في صحبتنا شقيقه ناصر السليمان العمري والسيد علي الابراهيمي العمري.

وكان قد أعد وليمة فخمة تدل على الكرم المؤثل والتقدير لحملة الأقلام. إنها وليمة جمعت زمرة من وجهاء بريدة وعلمائها وأدبائها ورئيس النادي الأدبي وأعضائه.

التنزه والتأمل

وفي هذا اليوم الأول يوم الثلاثاء ٦ رجب عام ١٤٠٠ هـ، في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر انطلقنا من فندق السلمان وطفنا في سيارة الشيخ صالح السليمان العمري في صحبة اخوانه الأماجد وكذلك رئيس النادي وجلنا في المدينة وشاهدنا معالم النهضة العمرانية السعودية الحديثة في بريدة ناشطة من عقال فكانت فرحة لقلوبنا وقرة لاعيننا. وكان الشيخ عبد القدوس الأنصاري يتحدث وهو مأخوذ. . . بمدهشات الحضارة الحديثة وما زلنا في تجوال منتش مزده حتى أذن مؤذن المساء. فدخلنا أحد المساجد الحديثة وما أكثرها، وصلينا المغرب وما شاهدت المساجد تشيد بكثرة كاثرة بعد أبي ظبي إلا في بريدة. .

نادي القصيم الأدبي العلمي ببريدة

احتشد جمهور من قاصدي سماع المحاضرة على رغم الاختبارات واشتغال التلاميذ بها، كان فيهم الوجهاء والعلماء والدكاترة والأدباء.

وكان في مقدمة الحضور المشرفون على إدارة التعليم بالقصيم وعميد

كلية اللغة العربية والشريعة الدكتور صالح المنصور الذي شارك في التعليق على المحاضرة، ورئيس المكتبة العلمية سعادة الأستاذ الجطيلي والمسؤولون على المؤسسات الصحفية، وآل العمري في المقدمة السيدان الشقيقان الشيخ صالح السليمان العمري، والشيخ ناصر السليمان العمري، والوجيه الفاضل مؤسس فندق السلمان الحديث في القصيم ومؤسس المخابز الأوتوماتيكية ورئيس قسم رعاية الشباب الأستاذ الأديب محمد عبد الرحمن العمار.

وبالضرورة كان رئيس النادي الأدبي والأعضاء كافة حاضرين . وكانت المحاضرة في قاعة المحاضرات الكبرى في مبنى المعهد الزراعي الفني النموذجي ببريدة.

وبدأها الشيخ عبد القدوس الأنصاري بأسلوبه السهل اللين الذي تسبق معاني ألفاظه إلى الآذان دون استئذان وبسط موضوع تاريخ الصحافة في البلاد السعودية بسطاً جامعاً مانعاً وتحدث عن الأدوار التي مر عليها منهله، وطرحوا عليه بعض الأسئلة فأجاب عليها باختصار وكان الجو في فرحة من أغاريد البيان وأغاني الجمال الفني والمعرفة الصحيحة المحررة.. وعادة البشر أن يفرحوا بما ينفع وبما يضر فما بالك إذا كان الذي يفرحهم هو ينفعهم.

ولا نفع أجل وأبقى من نفع العلم والأدب. تتغير الدنيا ويهلك البشر ولكن ما ينفع الناس يمكث في الأرض.

مكتبة بريدة العامة

في اليوم الثاني من رحلتِنَا إلى القصيمِ ٧ رجب عام ١٤٠٠ هـ ، وَافانَا في الساعةِ التاسعةِ صَباحاً في فندقِ السليمان الفني الحديث الأديبانِ الشهيران رئيسُ النادي الأدبي الأستاذُ حسن الفهد الهويمل وصديقهُ عضوُ النادي الأدبي الأستاذُ السليمان الوشمي، وانْطلقَا بنا إلى مكتبة بريدة العامة فِي محلة الجردة التابعة لوزارة المعارف وهذه المكتبة هي أقدمُ مكاتب بريدة. وقد زارها الأميرُ عبد الإلّه. وكان لزيارته وقعُ حَسَنُ مُجْدٍ.

وقد شاهدنا أثرَ زيارتِه في الأعمال الإصلاحيَّة القائمة بها على قَدمٍ وساقٍ.

شاهدنــا ..

١ ــ إصلاحاً في توزيع المسؤوليات على الموظفين.

٢ ــ وإصلاحاً في التنسيق الفنيِّ الحديث.

٣ ــ وإصلاحاً في العمارِ والتخطيط.

وشاهدْنَا أمين المكتبة الشيخ عبد الرحمن بن حَمَدَ الجطلي وسائـر الموظفين..!

الجميع كانُوا في حركةٍ هائلةٍ، وعَمَلٍ متتابـعٍ في تنسيقِ المؤلفات وترتيبها التي كانت أكداساً على أرض الحجرات، ولم تعين بعدُ مَرَاكزَهَا في خَزائنها الجديدة.

والمَكتبةُ العامةُ ضخمةٌ جداً. والنيةُ متجهةٌ إلى إيجاد بنايةٍ كبرَى لتكون المكتبة الرسمية العامة.

وما كادَ يرَانَا أمين المكتبة والموظفون حتى تركُوا العملَ الذي كانُوا يُباشِرُونَه وأَقْبلُوا علينا مرحبين. . .

وتجولُوا بنا بينَ أكوامِ المجلداتِ في دُروبٍ ودروب في حُجُرَاتٍ أفضتْ بنا إلى لُجَجٍ عَمِيقةٍ من المعارفِ والآدابِ والفنونِ لا شيءَ أكرمَ وأجلَّ منها.

وكان الأساتذُةُ جميعاً يسِيرونَ مَعَنا، ويتحدثَونَ إلينا عَنْ شؤون المكتبةِ، وما كانتْ عليه، وما ينتظرُ أن تكونَ. . .

بحكمِ النهضةِ الحديثةِ والاهتمامِ الصارخ بالعِلْم والأدبِ وبالعُمْرانِ.

أجل شاهدْنَا من الأساتذةِ المشرفين على المكتبةِ الشيخ إبراهيم بن علي الدغيري والشيخ راشد الفهيد والأستاذ محمد الصوفي المصري وسواهم.

والمكتبةَ تَحْوي واحداً وعشرين ألفَ مجلدٍ، وجميعُها مفهرسةٌ ومصنفةٌ وفقَ نِظَامِ ـ ديوي ـ المعدل للدكتور محمود الشنيطي.

ومهما يكنْ فهذه المكتبةُ ستكونُ في المملكةِ العربية السعودية زينة زينات إمارة القصيم. . . وشأن المكتبات والكتاب في عالمنا الحديث عظيم.

وكان العربُ حتى في قُراهم لهم المكاتبُ الضخمةُ والمساجدُ الفخمةُ حتَّى ذكرُوا أن القريةَ الواحدةَ في الأندلسِ مساجدُها تبلغُ الْخَمْسِين لأنَّ المساجدَ كانتْ قديماً مركز الْعلمِ والكتابِ والمكتباتِ والعلماء والمتعلمين

وكانَتْ أَحْياءُ قبائِل الجزيرةِ العربية - بالنسبة لتعليمِ اللغة العربية وآدابِهَا - أشبه شيءٍ بأروقةِ الجامعات اليوم يَؤُمها العلماءُ والمتعلمون من كلٍّ حَدَبٍ وصَوْبٍ.

وإني أتصورُ القبيلةَ كانت إذا ارتحلتْ من مكانٍ إلى مكانٍ انتجاعاً للمراعي الخصبةِ الوفيرة الغدران في عَهْدِ النهضةِ الإسلامية الأولى. فإنَّ علماءَها وأدباءَها ومشايَخها يصحبونَها لأن صُدُورهم كانتِ الكتابَ والمكتباتِ ومِنْ بَداهةِ ألْسِنِتِهم كانَ المتعلمونُ يستفيدونَ ويتلقوْنَ علمَ اللغةِ الصَّحيحةِ مِنَ اللغة المريضةِ وسَلامةَ النطقِ والآداب وما كانَ ينصرفُ عنهم إلاَّ الهملُ الجاهلون.

وما سمعتُ أن صريرَ أقلامِ مُؤَرخِّي أمةٍ تهتفُ بأربابِهَا هَلُمُّــوا إلى الكتابِ والمكتباتِ التي تَحْتشدُ في الصُّدورِ لاَ في السطورِ. إلاَّ في جَزيرةِ العرب وفي سَواهَا كانَ الاهتمام بالمسطور خَطًّا وإذَا قلتُ إنَّ المؤرخينَ يَذكرونَ أنَّ أمراءَ العربِ كانُوا يَـزينُونَ كتبَ المؤلفينِ بـالذَّهبِ تَشْجِيعـاً للتأليفِ وتقوية للإسلامِ والعِلْمِ والْحَقِيقةِ فأنتَ فِي قَمَّةِ الْوَاقِعِ، وإنْ لمْ يكنِ الأمرُ كذلك فكيفَ اسْتطاعَ التتـارُ أن يجعلُوا مِنْ مؤلفاتِ العـرب جسراً اجْتازُوا عليه نهرَ الفراتِ، وكم أتمنَّى على يراعةِ الصَّديقِ البَّحاثة الأثري الشيخ عبد القدوس الأنصاري أن يجولَ في موضوعِ الكتابِ والمكتباتِ العربية.

لا رَيبَ إذا كتبَ فإنه يأتينَا بالعجبِ العجابِ بل يأتينا بنجوم المَجرَّةِ ويجري أنهارَها بين أيدينا.

وَلَا ريب أَنَّ الكتـابَ والمكتبةَ هُمَـا قوامُ كـلِّ مَعَارِفِ الأمم أفـراداً وجماعاتٍ.

١ ــ وإذا تساءلتَ «أو ليس العلمُ حياةً فجوابي ذلكَ حَقٌّ» ولكنْ لا تنسَى الكتاب والمكتبةَ هما الْجِسْمُ الذي تقومُ فيه الحياةُ وتعملُ أعمالَها الراقيةَ الخالدة.

٢ ــ وإذا قلتَ لي العلمُ هو النورُ الذي يكشفُ حقائقَ الإيمانِ والكونِ والمجتمعاتِ فإجابتِي لَكَ: «ذلك هو الواقعُ ولكنْ لا تنس أن الكتابَ والمكتبةَ هما المِصْباحُ الكبيرُ الذي ينطلقُ مِنْه ذلك النور الذي يشعُّ إشْعَاعُهُ الحضاريُّ الراقي على العالمين.

٣ ــ وإذَا تَصَوْرتَ العلمَ هو الشجرةَ الطَّيبةَ التّي تُؤْتِي أُكُلهَا طَيِّباً مباركاً كلَّ حِينٍ بإذنِ رَبِّهَا. فيكونُ جَوابي تَصَوُّرك عين الْعِيَانِ ولكنْ لا يعذُب عن بَالِكَ أنَّ الكتابَ والمكتبةَ هما الأَرضُ الطيبةُ المخصبة التي ينمُو فيها الغِراسُ ويَكبرُ ويمتدُّ ويمتدُّ.

وإِذَا كان لدى كلِّ أمةٍ خَزاناتٌ للماءِ العذبِ الصَّافِي مِنْ أجلِ اسْتمرارِ حَيَاةِ الأحياءِ مِنْ إنسانٍ وحَيَوانٍ ونباتٍ فإنَّ الكتبَ والمكتبةَ هُما خَزاناتُ العلمِ والمعرفةِ والأدبِ والفنونِ مِنْ أجلِ قِوام حَيَاةِ المجمـوعةِ النفسيـةِ وتَهْـذِيبِهَا لتهـذيبِ أعمالِ البشـر ومن أجلِ السُّمـوِ بِهَـا لتحقيقِ السُّمـوِ الحضاري الرَّاقِي...

ولكي تعلـو الإنسانيةُ وتعلُو عَنْ نَزواتِ الجَسَدِ وانحطاطهِ ولكي تتمكَنِ الإنسانيةُ أَنْ تُحقِّقَ انْطِبَاعاتِ ذَاتِها قدسيةَ إيمانِ حَقٍّ، وضياءَ هِدايةٍ هادفةٍ وسلامةَ أدبٍ.. مَطْلعُهُ مِنَ رَفَّةِ الخُلْدِ. وبِجَميعِ ذلك.

تَحْيَا الإنسانيةُ حياتَها الْمِثَالية التِّي لَا تَزالُ ماثلةً حَقَائقَ في عِلْمِ العلماءِ وفلسفاتِ الفلاسفة..

ومَهْمَا يَكنْ فالكتابُ والمكتبةُ قوةٌ لَا تَعْدِلُها قوةٌ في الأرضِ. بَلْ كلُّ

قُوى العِلْمِ عِيالٌ علىٰ المكتبةِ والكتاب وهلْ يَكونُ ثمةَ عِمرانٌ أو إيمانٌ أوْ إصْلاحٌ أو تفاهمٌ أو حريةٌ أو اخلاقٌ أوْ صُعودٌ مُطردٌ إلى أَمْجَادِ الخُلُودِ أو اسْتمساكٌ عَمَليٌّ بالمُثُلِ الْعُلْيَا التِّي أوحاهَا اللهُ لكيْ تُعيدَ للبشرِ إنسانيَّتَهُمْ التي فَقَدُوهَا بِصُنْعِ التَّطورِ الْمَادِي القاسِي المظلم، ولن يتمَّ ذلك إلاَّ بالْكِتَابِ الرَّاقِي المهذب والمكتبةِ العامرةِ التِّي تُولد فِي مَحَارِيبِ السماءِ، وفيهَا تَنمُو وتَنْمُو.

بَلْ لَولاَ الكتابُ والمكتبةُ لما كنتَ رأيتَ جامعةً أو معهداً علمِيًّا أو معلماً أو متعلماً. وأعلم أن الأصْلَ في الْكتابِ الإسْلامي والمكتبةِ الإسْلامية هُوَ صُنْعُ حَضَارةٍ إنْسانيةٍ عَاليةٍ ذاتِ أنوارٍ كشَّافةٍ هَادِيةٍ مُوَجِّهَةٍ إلى سمُوِّ الإيمَانِ والْهُدَى: حَضَارَةٍ لاَ وَحْشِية فيها.. ولا ظُلْمَ وَلاَ ظَلاَمَ. حَضَارةٍ مُشَيدةٍ علىَ رَفْرفِ السماء بصدقِ أهْلِها بأضْوائِهم بشُمُوسِهم بأقْمارهِمْ بأنجُمِهمْ. بعقُولهمْ بِمُعَامـلاتِهمْ وما انْحط الكتـابُ والمكتبةُ في الْعَـالمِ عَنِ السُّموِّ الحضارِي الإنسانِي الْعَالي.. وَسَاخَا دَركَاتٍ سَحِيقةٍ في ظُلُماتِ التُّرابِ وَهوَيَا فِي مَهاوِي الإلحادِ والبطش والفتكِ وأهوالِ المدمراتِ لِلْقضاءِ علىٰ الْحَياةِ والأحْياءِ جُمْلةً فِي سَاعةٍ عسرةٍ عمياء إلا بَعْدَ فَسادِ الأنفسِ واشتعالها بالنَّزواتِ وتلوثِ أنْفَاسِهَا، وسوءِ خَواطِرهَا وانحرافِ بَواعِثها وتشابهِ حَمَاقَاتِهَا التُّرابيةِ الحيوانيةِ الغابيةِ حتى بَطَلتْ ثقةُ الإنسانِ بأخيـهِ الإنسانِ ورحمـةُ الإنسان لأخيه الإنسانِ، وَصِيَانة حقوقِ الإنسانِ لأخيهِ الإنسانِ بل بـطَـلَ اهتمامُ الإنسانِ بحياةِ أخيـه الإنسـانِ حتى تَسَاوَى الْعَمارُ والخرابُ والحياةُ والموتُ والأمانةُ والخيانةُ والصدقُ والكذبُ والاستقامةُ والإنْحرافُ والكفرُ والإيمانُ والعفةُ والفجورُ، كلُّ ذلك يُوزنُ بموازينِ هَوَى الأنْفُسِ، وَمَصَالحِ غَرائزِها الْحَيوانيةِ الغابيةِ.. قُـلْ هـو انْحِطَاط نَـدَر أنْ يكـونَ فِي الْغَابَاتِ في الأعْصرِ الْخوالِي وَمِنْ وَراءِ كلِّ هَذَا الإنحطاطِ انْحطَّ الكتابُ والمَكتبةُ إلى

الإسرافِ في إعْدادِ عُدَدِ جَهنمَ لاجْتياحِ الأممِ الْعَزْلاَءِ الآمنةِ فِي مَنَازِلَها باسمِ دَعْمِ السَّلامِ وتقريرِ الْمَصِيرِ وَحِفْظِ الْحُقُوقِ أي كَمَثَلِ مَنْ يَقْلَعُ عُيونَ الناسِ لكيْ يُبْصُروا جَيِّداً، وَهَا أَنْتَ ذَا تشاهدُ عفاريتَ العنصريين الصَّهاينة اندسُوا بين قَادَةِ الأممِ لِحَبْكِ المؤامراتِ واشعالِ الْفِتَنِ الْقَاصِمة والْحروبِ الأهْليةِ الهوجاءِ وَدَسِّ الخلافاتِ المبيدةِ بينَ الشعوبِ الواهيةِ التفكيرِ الْمُهلْهَلَةِ الإرادةِ الجاهلةِ الرعناء.

وكم تجد لهؤلاءِ المشبوهين مِنْ قُدْرةٍ في دَسِّ الفتن والتناحـرِ في الأوْساطِ وكم لهم مِنْ قدرةٍ في تَزْيينِ الإلْحَادِ والكفرِ والعصيانِ. . .

أجلَ هَبَطَ البشرُ بسموِّ الكتابِ والمكتبةِ حَتَّى اسْتَطَاعُوا أَنْ يَجِيئُوا بِجَهنمَ وأبالَسَتِهَا وسلاسِلهَا ورُجُمِهَا وصَدَيدِهَا وأفاعِيهَا إلى الكتاب والمكتبةِ، وَجَافُوا بِحَمَاسةٍ جَلاَلَ الكتابِ الإسلاميِّ والمكتبةِ الإسلامية.

ولماذا الإسْهابُ في الْقول: وكلمـةٌ واحدةٌ فيها الكفايةُ الكافية: الكتابُ الإسلاميُّ الصَّافي والمكتبةُ الإسلاميةُ الصافيةُ هُمَا حَياةُ الْحياةِ، هُمَا صحةُ الصِّحةِ، هُمَا أمنُ الأمنِ، هُمَا سَلامُ السلامِ ، هما سَعادةُ السعادةِ، وخلودُ الخلود. . !!

ولا أظن أن رجلاً أو امرأة يملكان غَرْفة مِن الفكرِ والعلمِ والإنسانيةِ والهدى منزلهما يَخْلو من كتابٍ إسلاميٍ أو مكتبةٍ إسلاميةٍ حتى في أوروبا. .

وَرُعَـاةُ أطفـالِ المسلمينَ يَعْملونَ على تَنْميـةِ اهتمـامِهم بـالكتـابِ الإسْلامي والمكتبةِ الإسلاميةِ المختصة بهم لتكونَ تربيةُ الأطفالِ العلميةِ مبنيةً على الحبِّ الأكيدِ للإسلامِ والولعِ المتحمسِ مِنْ أجْلِ العِناية بالكتابِ الإسْلاميِّ والمكتبةِ الإسْلاميةِ وإعدادِ غرفةٍ خَاصَّة بهما.

وهكذا يشبُّ الطفلُ بَعِيداً عَنْ الإنْحِرافِ والنزواتِ قادراً على تحملِ

المسؤولياتِ مهتماً بحياته وحَياةِ أسرتِهِ وأمتِهِ ودولتِهِ ودينِهِ وسموٍّ أخلاقِهِ واحترامِ مواطنيهِ كافةً ومعاشرةِ النَّاسِ أجْمعينِ بِحسنِ الأخلاقِ وبشاشةِ الوجهِ وأدبِ اللقاءِ وسَلامةِ الكلمةِ، وسُرْعةِ البديهةِ وحَماسةِ الإيمانِ شأنِ أطفالِ قبائِلِ جزيرةِ العربِ في صَدْرِ الإسْلامِ.

وهل يفقدُ الأطفالُ الوعيَ الإسلامي بصحةِ الإيمانِ باللهِ ورسولِهِ ﷺ إلاَّ بفقدِ التربيةِ الإسلاميةِ العملية الْمُلحةِ، وَفَقْدِ الكتابِ الإسْلامِي والمكتبةِ الإسلاميةِ الخاصة بِهمْ..

ولماذَا يشبُّ بعضُ الأطْفالِ وَمِلْءُ مَجْموعاتِهم النفسيةِ انطباعاتُ البطش والفتكِ وإيثارِ اللهوِ والتهافتِ على النزواتِ وإنفاقِ الوقتِ الطيبِ الذي هو ثَمَنُ الخلودِ في خُبثِ المآثِم والملاهي.

أو لَيسَ كلُّ ذلكَ لأنَّ القائمين علىٰ تَرْبيةِ الأطفالِ وتثقيفِهمْ وإعْدادِ الكتاب والمكتبة لهم منصرفون بكلٍّ اهتماماتِهم إلىٰ عَرْضِ التمثيلياتِ لَهُمْ المشابهةِ لتمثيليات الأمم التي تحاربُ الإيمانَ أو لا تقيمُ له وزناً وهذا شأنُ كتابِ الطفلِ ومكتبةِ الطفل.

وإذا لم يُوَجِّهُوا الأطْفال بكلِّ الحماسِ وبكلِّ التأثير وبكلِّ التَّوجِيه إلى التضحية بأنفسِهمْ في سبيلِ إسْلامِهم وأمتِهم ودولتهم وحريتهم فإنَّ وضعَ أطفالِنَا إذَا شَبُّوا يكونُ مُخيفاً للغايةِ كما هو الشأنُ في ما نُشاهِدُهُ لدى الأممِ الأخرى: والمجرَّب لا يُجَرَّب كالسموم القاتلة.

فَهلُمُّوا نسارعْ إلى وَضْع نِظَامِ جَدِيدٍ مُلائِمٍ لحقيقةِ الإسلامِ الْعُليا وتمكينها في أنفسِ أطْفَالِنَا ليكونُوا مُسْلمين بقلوبِهمْ بعقُولهم بأعمالِهمْ بنياتِهم وَإنْ عَجزْنَا عَنْ ذلك عَجزْنَا عن حفظِ مَصِيرِنَا مِنَ الزوالِ...

ومهما يكنْ فلاَ خَسَارةَ للأمةِ والآباءِ والأمهاتِ أفدحُ مِنَ هذه الخسارة فلنحذرْ أنْ يعيشَ أطفالُنا ولا كتابَ إسلاميٌّ مُعَدٌّ لهم بصورةٍ فنيةٍ جذابةٍ عاليةٍ ولا مكتبةَ تَشُوقهم وتجذبهم وَتُحَبِّبُ إليهم المطالعةَ والدرسَ والنظر..

وانطباعاتُ الطفولةِ تظلُّ هِيَ المؤثرةَ والمُوجِّهة مدَى الحياة فلا يَنْبغي اهْمالَها أبداً أبداً.

والنهايةُ أنَّ الأطفالَ هُمْ حَياةُ كلِّ أمةٍ على تَعاقب الأجيـال.

عيون ابن عامر

المـــاء

إنْ لم تقْلِ الماءُ هُوَ الحياةُ فقلْ إنَّه مَادَّةُ الْحياةِ وهذا عينُ يقينِ الواقعِ.

يقولُ اللهُ خالقُ الحياةِ والأحياء جلَّ جلاله:

﴿وجعلْنَا مِنَ الماءِ كلَّ شيءٍ حَيْ﴾ [٢١ - ٣٠].

إذن فالحياةُ تبقىٰ ما بَقِيَ الماءُ، وَتُفْقَدُ مَتَى فُقِدَ الماءِ.

﴿ألم تَر أن الله أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسلكهُ ينابيعَ في الأرْضِ ثُـمّ يخرجُ به زرعاً مختلفاً ألوانُهُ ثم يهيجُ فتراهُ مصفراً ثم يجعلُه حُطاماً إن في ذلك لذكرَى لأولي الألباب﴾ [٣٩ - ٢١].

واللهُ جلتْ قدرتُهُ كما أجرَى الماءَ في ظَاهِرِ الأرض أنهاراً سَلكه ينابيعَ في باطنها وجعلَ لها رَصيداً ضَخْماً مياهُ المحيطاتِ المالحة الحاوية كلَّ الموادِ المطهرة لأجل حِفْظِهَا مدىَ الآبادِ، دونَ أن يخالِطَها أَسَنُ أَو وَبَأٌ أَوْ حَمَأَةٌ مِما يُخالطُ الماءَ الحلوَ الراكد إذا امتدتْ به الأيامُ. . .

وَمِنْ هذا الرصيدِ الضَّخمْ الكبير ينـزلُ الله الْوابِـلَ والَّطلَّ هُنـا وهُنَا بموازينَ مَقْدورَةٍ لأجلِ استدامةِ الحياة وطيبها ويسرها. .

أجل منها تَمْلِيءُ الخزاناتُ الكائنةُ في الْجِبالِ بالمياهِ العذبةِ الصَّافية

وكذلكَ التِّي في بَاطِنِ الأرضِ بمقدارٍ لكيْ يَسْتطيعُ الأحياءُ أن يُواصِلوا حَيَاتهم على أحْسَنِ حال..

والبلادُ التْي تكثرُ فيها الجبالُ والأمطارُ تكثرُ فيها الخزاناتُ والينابيعُ والشلالاتُ والبلادُ التي تَقِلُّ فيها الأَمْطارُ أو تكاد تنعدمُ فإنَّ مَجارِي مَياهها تكونُ في أعْماقِ جَوْفِهَا تَأتِيهَا مِنْ بلادٍ بعيدةٍ وأحْياناً تجري على وَجْهِ أراضيها إذا كانتْ منخفضةً ومأَتىٰ أمواهها الجوفية مِنْ أماكنَ مرتفعة.

وَمَجارِي المياه الجَوْفيةِ مَوْجودةٌ في كلِّ الصَّحارِي ولكنْ طريقةُ اكْتِشافِهَا عَسيرٌ جدًّا لِبُعْدِهَا أحْياناً وحتَّى في هَذَا الْعصر الذي توفَّرتْ فِيه المُجَسَّاتُ أي الآلاتُ الحَسَّاسَة المُكْتَشِفةِ للمياهِ الجوفيةِ الْجَاريةِ أو المخزونةِ كبحيرات في أعماقِ الصَّحارِي، وكذلك طريقة استخراجها..

وعملياتُ اكتشافِ هذه المياهِ الجوفيةِ المخفيةِ مُتواصلةٌ في عَصْرنَا، وإذا سَهُلَتْ طريقةُ اسْتخْراجِهَا وتَيَسَّرتْ للجميع تحوَّلَتِ الصَّحارَى الْمُجْدِبَاتُ إلىٰ مُروجٍ خَضْراء وحدائقَ فَيْنانَةٍ زهراء ذاتِ ظلالٍ وارفةٍ نديةٍ نَاعمةٍ كما أخبر بذلك الصادق الأمين صلواتُ الله وسلامه عليه.

وكان عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ يُحبُّ إحْياءَ مواتِ الأرضِ ويَعْملُ على إنشاءِ المزارعِ، لأنَّهُ هو الّذِي اكتشفَ العُيونَ الجاريةُ التِّسعةَ في القصيم التِّي لا تَزالُ تَحْمِلُ اسْمه حتى اليوم وما اختفتِ المزارعُ الخِصْبةُ في القصيمِ إلاَّ حين اختفت العيونُ التي كانت تَمدُّها بالحياةِ والنضرة والبهجة..

فلمَّا عَادتِ العيونُ عَادتِ المَزارعُ الْجَافَّة إلى نَضْرتِهَا وخُصُوبَتِها، وقد أبْصرْنَاهَا وقَدْ عببْنَا عَبّاً على ظَمأٍ مِنْ عُيونِنَا... ورُؤيةُ العيون سعادة وطيب..

والذِّي أدَّى باللغةِ العربيةِ السَّلميةِ بِنْتِ الجزيرةِ البِكْر إلىٰ الْجفافِ هُوَ الـذِّي أفْضىٰ بأرَاضِيهَـا إلى الجَدبِ وَهـوَ اسْتيلاءُ الأتْـراكِ على الحِكمِ والجيشِ في بَغْداد وديارِ الشـام وأفضىٰ بالتَّـالِي بالحكمِ إلى الْجَـوارِي والغلمانِ حتى أصْبحَ الخلفاءُ لا سُلْطانَ لهم، ولا أمْر ولا نهيٌّ عَلَى شَيْءٍ مَا، بَل حَتَّى على حَياتِهمْ. هَذَا هُوَ السَّببُ الصَّريحُ، مِنْ كلِّ مَا اعْترَى البلادَ العربيةَ من التخلفِ في كلِّ مَرَافِقِ الْحيَاةِ وبالحريِّ في مَيْدانِ العلومِ والصناعاتِ والاقتصاد والزراعة.. ولم تكنْ بلادُهُمْ بَنْجوةٍ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ هُمْ أنفسُهُم وهذَا شأنُ القصِيم قَديماً.

أجل جفتْ مزارعُ إبنِ عامر واختفتْ مياهُ عيونهِ. وظلتْ كذلك قروناً حَتى أراد اللهُ إحياءَهَا مرةً أخرىٰ في عَهْدِ الإمام تُرْكِي بِنِ عبدِ الله بن سعود رحمه الله. فإليك قصةَ إحْيائِهَا مُوجَزة..

وَهيَ كما قَصَّها علينا الوجيهان الأديبان الشقيقان الشيخُ صَالحُ سُلَيْمَانِ والشيخ ناصر سليمان العمريان: رَوَيَا أنه قد ضَاقتِ الحالُ بالشيخِ الفاضلِ مُحمدِ بنِ فُهَيْد وهو مِنْ أهْلِ التَّقْوى فَسَمِعَ فِي لَيْلةٍ هاتفاً في مَنامِه يقول له إذْهَبْ إلى بلادِ الشامِ فإنَّ لَكَ بِهَا رزقاً إذهب إذْهَبْ...!!

فاطْمأنَّ قلبهُ انه هاتِفُ صِدْقٍ فشدَّ رحَالَه إلى دِمَشْقَ. وفيهَا ثَابر على دَرْسَ عَالمٍ مِنْ سُلاَلةِ أبناءِ الْقصيم أحبَّه وأخذ يكرمُه جداً لأنه تبيَّن فيه سِيما التقوى والصلاح وقد عرفَ منه الباعث إلى قدومه إلى دمشقَ، وقدْ قال له يوماً إنَّ الذيِّ سَمِعْتَه مِنَ الْهَاتِف في منامِكَ حَقٌّ، وكانَ الشيخُ يعلمُ أمكنةَ عُيونِ ابنِ عامر التِّسْع في الْقَصيمِ، فدَلَّهُ عليها وحثه على إحيائِهَا لنفعِ العبادِ، وكانَ ذلكَ في القرنِ الثالثِ عشر الهجري في عَهْدِ الإمام تركي بن عبد الله بن سعود، ولما رَجعَ إلى القصيمِ قبلَ أن يباشرَ في إعـادةِ العيون

وإخراجِ مِياهِهَا اتَّصلَ بالإمامِ تركي وتحدَّثَ إليه بما جَرَى وطلبَ إليه أن يأذِنَ لَهُ بمباشرةِ العملِ وأن يُقْطِعَهُ إيَّاهَا إنْ عادتِ العيونُ التسع إلى سَابِق عَهْدِهَا في مَزارع إبن عامر.

وقدِ انْشرَحَ صَدْرُ الإمامِ تُركي لهذا الأمْر وأقْطَعه إيَّاها وأعانَه على إخْراجِهَا.

فللهِ درُّهُ ما أبعدَ نظره فكم يكونُ المرءُ فرحاً حِينَ يَعْلمُ أنَّ أُمتنَا فِي كلِّ عَهْد لَا تخلُو مِنْ أبطالٍ مفكرينَ صَناديدِ ينهضون بالحضارة إلى مستوى أعلى من المستوى الذي هم عليه.

أجل سُرَّ الإمامُ تركي وفَرِحَ لمَّا أتم الله في عَهْدِهِ رجوعَ المياهِ إلى مَجَارِيهَا وأُقيمتْ حولها المزارع وقد شَاهدناها عن كثبٍ ويشهـدُ الله قد خَفَقَتْ أفئدتُنا فَرَحاً وَبِشْراً لأنَّ الماء هو كُلُّ شيءٍ في الحياةِ، وَجَمالُ رؤ يته وحولَه المزارعُ والمروجُ فَوْقَ كلِّ جمالٍ. وعيوُن بنِ عامر اليوم في حَوزة عَقبِ بن فهيد: ,العامةُ تطلقُ عليها عُيون ابنِ فُهيد، لأَنَّهُم يَجْهَلُونَ تاريخ ابن عامر في القصيم: والدولةُ تُساعدُ ذُرِّيَةَ بنِ فهيد لإصلاحِ مجاري المياه والحفاظ عليها،وتسمى الأسياح أيضاً..

والأسْياحُ اليوم مجموعةٌ مِنَ القرىٰ العامرة في القصيم وفيها إماراتٌ وقضاةٌ ومدارسٌ ومَصَحَّاتٌ وقريةُ التنوية هِيَ مَسْقطُ رأسِ الشيخِ محمد بن فهيد رحمه الله. وذكراه على ألسنة الناسِ دائمةٌ لأنَّ الله أجرىٰ علىَ يَدِهِ مَا يَنْفُعُ الناسَ،وَمَا يَنْفعُ الناسَ يمكثُ في الأرْض..

فذكراهَ مَاكِثةٌ في الأرضِ والعيُون التسعُ وقُراهَا عــامرةٌ وفيهَا نَخيلٌ وأشْجارٌ ومزارعُ وخُضار وَمَواشٍ ودواجنُ، وقد مررنا بالسيارة على قَرْيةِ البرقا

وقريةِ الجعلة وقريةِ أبي الدود وقريةِ الخصيبة وقريةِ برود وسواهَا، وَلَمْ نُعَرِّجْ علىٰ أحَدٍ مِنْ أهلها خشيةَ أن يفطنوا بِنَا فلا يتركونا دونَ ضِيافةٍ على عَادةِ العرب. . . والعربُ كـرامٌ بفطرتِهِمْ، والغـداء ينتظرنـا في مزرعـة الأمير متعب.

وكانتِ الساعةُ الثانيةُ ظُهْراً وكمْ سرَّنَا النَّشاطُ الزراعيُّ القـائم بقَرْيـةِ الجُعْلة. وسكانها مِنْ قَبيلةِ مَطَر، وهم أهلُ كَرم ٍ وَجِدٍّ وَنشاطٍ وتقعُ الجعلة شرقَ مدينةِ بُريدةَ وفيها نَشَاطٌ زراعيٌّ.

كما سرَّنا المشروعُ الزراعيُّ الكبيرُ الخاص بالاعلافِ في قريةِ ابنِ فُهيْد وهو تَابعٌ للشركةِ العربية للاستثمارات الزراعية،وللمشروع مكْتبٌ خَاص في مَدينةِ بريدة ولو أنَّ القصيمَ نهضتْ به شركاتٌ زراعيةٌ على هَذا النَّسقِ العَالي لفَاضَتِ المَنْتُوجات على حَاجات أهل السعودية وصدروها إلى بلادِ الشام وسواها كما كان الحال في عُيونِ ابْنِ الزبير التي كانتْ خلفَ جَبَل ٍ أُحد في المدينة المنورة وغارتِ المياهُ وقد فكر بن لادن ـ رحمه الله ـ أن يَسْتعيدَها ولكنْ لم يَعثرْ عليها، فلعلَّ الله يتم الأمر على يَدِ أحد أبنائه الكرام. ومهما يكن فالمشـمات الحديثـة التي تستخرج الماء من أبعد أعماقه بواسطة حرارة الشمس ستكون عجباً في جزيرة العرب إن شاء الله. .

مزرعة الأميـــر متعـب

حياةُ الإنسانِ مرتبطةٌ بغذائينِ: الطَّعامِ والشَّرابِ، كارتباط حَياتِهِ برئتينِ للتنفسِ بالشهيقِ والزفيرِ.

بل قد يَعيشُ الإنْسانُ برئةٍ واحدةٍ وَتَكفي للشهيقِ والزفيرِ، ويواصلُ بها الحياةَ أعواماً طوالاً.

وربما تطولُ حياتهُ على حياةِ ذي الرئتين ولكنَّه محالٌ أن يُواصلَ الحياةَ بغذاءٍ وَاحدٍ كالطعامِ فَقطْ، أو كالشرابِ فقط.

لذلك كان إيجادُ المزارعِ التي تُعدُّ غـذاءَ الطَّعـامِ ضرورةً حيَـاتيَّةً مُلْزمةً.. كإيجادِ غِذَاءِ الماءِ. وإنْ لم يتأتَّ هٰذَانِ الغِذَاءانِ فِي بلد فقلْ على أهلِهِ العفاء.

الإهتمـام بـالغذائيـن

أوَّلُ ما يهتمُّ به قادةُ النهضاتِ قَديماً وحـديثاً هـو العملُ المتـواصلُ لإيجادِ مواردِ الغذائين في بلدهما.

ونصوصُ الْوَحْيِ الواردةِ في هٰذَا الشَّأْن تَسْتنفِدُ سِفْراً. والسَّببُ أنَّ أية أمة إذَا لم يتوفرْ لهَا الغِذَاءانِ تَهْلك، لِذلك كانَ أفدحَ عُدَدِ الحربِ مِنْ أَقْدمِ الأَزْمَانِ حَتَّى هذِهِ العصورِ الحديثةُ هُوَ قَطْعُ المُؤَن بلْ قطعُ المؤنِ انكى أهوالِ الحرب وافتك.

وإعْدادُ صَوامِعِ الغِلال وَمَوارِدِ الْمِيَاهِ الصالحة ضرورة حَياتيَّة جِداً جداً هذا هو الذي يُشْغِلُ رِجَالُ الدُّولِ في كلٍّ أمة.

وهنَا في بِلادِنَا إذا قلتَ إنَّ الدولةَ تُبْدلُ جُهْدَ إمْكانِيَّاتِهَا لأجلْ تأْمينِ الغِذَائينِ فكأنَّك قلتَ للشمسِ الطالعةِ أنتِ شمسٌ طَالعة.

والذي حَدانِي إلى هذهِ التوْطئةِ هِي مزرعةُ الأمير مُتْعِب التي تَغَدَّيْنَا فِيها..

المزرعـة

هي جنةٌ رائعةُ المنْظرِ فَتَّانة حسناء يروعُكَ فيهَا أنْ تَرى الماءَ الصَّافِي يتـرقرقُ حِيَـالَكَ في طـولِهَا والعـرض جَداوِلَ جَـدَاوِلَ لِسَقْيِ الأَحْواضِ والمساكب.

ويُروعك منظرُ الفواكهِ كافة. والأشْجارِ الفينانةِ، ويدْهِشَكَ وأَنْتَ تسيرُ مُسْتظِلاًّ بظلالها النَّديةِ الوارفـةِ. وأفيائِهَـا التي تمتدُّ وتمتد حتى لا تـدعَ لأشعةِ الشَّمْسِ أثراً.

بَلْ تحسُّ أنك تسيرُ حالماً في ليلٍ مُقْمرٍ سَجْسَج والجوُّ خارجَها قد يكونُ ملتهباً وكلُّ شيءٍ في هذِه المزرعةِ يتكلمُ. فشجرُ الرمانِ يَهْتفُ أنا هُنَا والنخيلُ البواسقُ تساقطُ عليك بالرطب الجني. ذُقْ ذُقْ فهنا الْحَلاوةُ والطراوةُ وإذَا مررتَ على مَسْكبِ الورود هبت حَوالَيْكَ الطيوبُ على ألوانِهَا. وأضواءُ مباسِمُها تَسْتقبلُكَ بأحْسَنِ التَّحايَا: وأوجز وقُلْ: «هِيَ بهجةَ لِلناظرين».

وكم هم الـذينُ يفِيدونَ من هـذهَ المزرعـةِ الكبرى. ومِنْ فـواكههـا وخُضَارِهَا، وكم هِيَ الأسواق التي تَحْشِدُ فيها.

وكانَ يَوْمنا هَذَا يوم الأربعاء ٧ رجب ١٤٠٠ هـ، وكانتِ السَّاعةُ الثانية

ظهراً، أجلْ الذينَ يُفيدونَ مِنْ هذه المزرعة الكبرى وِمِنْ خُضَارِهَا وفواكِهِهَا هُمْ كُثْرٌ.

وكم هيَ الأسرُ التي سَترهَا الله ووقَاها شرَّ الفاقِة والْعَوَزِ بسببِ هذا المشروع الزراعي العظيم.

وكم تمنيتُ أن أكونَ على رَفْرف. القـرب من اللهِ جلَّ جـلالُهُ مِنْ مِحْرابٍ مِنْ مَحاريبِ السَّماء. وأنا رافعٌ يديَّ إليه ضراعة. سَائِلاً:

أَنْ يُلهَم سائرَ أمرائِنَا وذوي اليَسَارِ من المواطنيـــن أن يُقيمُوا مثلَ هذه المزرعةِ الكبرى إنْ لم يكونُوا قَدْ أقامُوا مِثْلَهَا فعلاً: «يُقيمُوهَا في كلِّ إمارات المملكةِ عَلَى ترامي حدودِهَا. وهَا هُوَ خُلودُ شموخ الأمْجادِ يَهْتفُ بهم هَيَّا هَيَّا... !!

وكم هِيَ الصَّحارىَ التِّي يمكنُ أن تتحوَل إلى وَاحَاتٍ عامرةٍ بالخيراتِ والبركاتِ والمزارع الفسيحة الخضراء... أمثال مزرعة الأمير متعب رعاه الله..

ولو أنَّ الدولَ الكبرىٰ التي تنفقُ مِلْيارات المِلْيارات في إعْداد القنابِلِ الذريةِ والهيدروجينيةِ والغازيةِ السَّامةِ أنفقتْهَا في جَلْبِ الطاقةِ الشمسيةِ من أَبْعادِ الفضاء وتخزينَهَا والإفادةِ مِنْها وإخْراجِ المياهِ الجوفيةِ في الصَّحارِي أو المُنْصبةِ في أعماقِ الْبِحارِ وإحْياءِ موات الأرْضِ بِهَا لكانَ ذلكَ حَيَاةً وإحْياء وشَتان بينَ الإعدادِ للإماتةِ والإعداد للإحْياءِ. وصدق الذي قـال إنَّ قارةَ اسْتراليَا وحْدَهَا تكفي لإغاثة أمثال أهل الصين بضعفين. لو أن ميزانيات الدول الكبرى خصت للإحياء فقط وذلك يكون لو أَن الإنسانَ أصبح إنساناً.

ونحنُ لم نُهْملْ مَا أَهْمله الآخرون هَا هُمْ أولاءِ قَادَتنَا قَدْ فَطِنُوا إليه

بِحُكم تَعاليم الإسلام، فها أنتَ تَرى الاهْتمامَ بإنشاءِ المزارعِ قَائماً علىٰ قدمٍ وَسَاقٍ. . !!

أجلْ أكبرتُ المزارعَ المنتشرةَ في الصَّحْراءِ وكدتُ أطيرُ مِنَ البشرِ حينَ شَاهَدْتُهَا من نافذةِ الطائرة.

وحينئذ تَسْتطيعُ مزارِعُنَا أَنَّ تقدم لبلادِنَا بَلْ وللبلادِ الأُخْرىٰ كلَّ مرافقِ العيش.

وينبغي أن لا يَقْصدُوا مِنْ وراءِ إنْشَاءِ هذه المزارعِ الربحَ بل الإغاثة والعون والمساعدة من أجلِ مُواصلة الإحْياءِ بأمن وإيمانٍ لكلِّ أفرادِ شَعْبهم.

وكم في صنعِ الأميرُ متعب مِنْ بُعْد نَظَرٍ فهو لم يقصدِ الربحَ من وراءِ إنشائِهَا. لَا لَا إنَّه أرادَ أن يفتَح أبواباً للرزقِ والعملِ النافعِ المُثْمِر والنَّشاطِ السَّامِي. إلى إيجادِ مواسم وَطنيةٍ لِتَوْفيرِ مَرافِق العيشِ للأَهْلين. وشاهدْنَا كلَّ ذلك حين مررْنَا على صَوامع الْغِلالِ، بل شاهَدْنَا السَّيـاراتِ المشْحونـة بالغلالِ تنتظرُ دوْر تفريغ حُمولِتِهَا لكِثْرتِهَا والذِّي لم يُشَاهدْ قَدْ يَسْتَغْرِب أن يكونَ ذلكَ فِي بِلَادِنَا. وكم تمنَّى الصديقُ الشيخ عبدُ القدوس لَوْ أخذَ صورةً لهذا الذي أفرحه. قمةً وغايةً يشهدُ الله، ولعله يكتبُ في هذا الشأن. . .

ولا ريبَ أنَّ إنْشَاءَ الْمَزَارِعِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدقاتَ ومَنْحِ المِنَح في الإسلام. لأنَّ الذينَ يألْفونَ الصَّدقـاتِ وتناول المِنح، وهُمْ قادرونَ على أداءِ الأعْمالِ النافعةِ لحياةِ أمتِهمْ. . قلَّما يرغبونَ في الأعْمال ولو كانتِ الأعْمالِ هِيَ مِنْ أجلِ سَعادَتِهِمْ وَسَعادةِ ذِراريهم بطريقة مُؤَمَّنةِ دائِمة. . رَحِمَكَ اللهُ أيُها الإمامُ العظيم يا عبدَ العزيز وجزاك على مَتاعِبِكَ الْجُلَّى الْجاهدةِ من أجْلِ إحياءِ أمتِكَ وإعزازها حتى لَمْ تذق طعمَ النومِ العميقَ الخالِي من التبعاتِ فِي حَيَاتِكَ الحافلةِ بالأمجادِ والْبناءِ والتَّعمير. لَيْلة واحِدَةً. . .

ولا ريبَ أنَّ الذِّي يألْفُ تناولَ الصَّدقَاتِ ويرضى بها دونَ أن يقدمَ أيَّ عملٍ مهما كان يَسيراً سَهْلاً هو ينفرُ مِنْ ذلك ويقولُ في نفسِهِ مَا دُمْتُ أَسْتَطيعُ أن أصلَ إلى مرافقَ حَيَاتي، وأنا نائمٌ فلماذا اسْتيقظُ وأنَا جَالِسٌ في مكاني فَلِماذَا أبرحهُ وأنا مرتاحٌ فَلِماذَا أجهدُ وأنصبُ وأكدحُ.

وإذا قلتَ له إنكَ فردٌ مِنْ أفْرادِ دَوْلةٍ مُسْلَمَةٍ ملتزمةٍ بكتابِ اللهِ وسنّةِ رَسُولِه،ونصوصُ الكتاب والسنّة في هذَا الشأنِ وَفيرة، وجميعها تأمرُ بالعمل، وتنهىٰ عن الاعراض عنه. . .

وشاهدُنَا أعمالُ رَسولِ اللهِ ﷺ وصَحبهِ في مُواصلةِ الجهادِ والكفاحِ والعُمْرانِ المواصلةَ التي لم تكنْ أحْداثُ التاريخِ تحملُ نظائِرَهَا.

اسمع قول الله عز وجل:

﴿وأنْ ليَس للإنسانِ إلَّامَاسَعَى﴾. . ﴿ياأيها الإنسانُ إنك كَادحٌ إلىٰ رَبِّك كَدْحاً فملاقيه﴾ والكدح السعي في العمل الدائب المجهد.

﴿فإذا فرغتَ فانْصَبْ﴾ [٩٤ - ٧].

أيْ إذا انتهيتَ مِنْ عَمَلٍ فاتْعبْ مِنْ أجْلِ عَمَلٍ آخر، ولا تركنْ إلى رَاحةِ البطالةِ لأن النصبَ هو التعبُ الْمُجْهد. وَلَا شَيْءَ أضرُّ على جَسَدِ الإنسانِ وأمْحقُ لِعافيتهِ وسلامتِهِ وأسرعُ لِقرْضِ حَياته من البطالة والكسل.

واحذر أيها الإنسان الطعامَ الثقيل الجالــب الأحْلامِ ونَزَواتِ اللّذاتِ وقديماً قال الحكماءُ:

«كلُّ لذَّةٍ يقابلُهَــا أَلمٌ بِمِقْدارِهَا حتماً في سَاعةٍ قِسْطاساً بِقِسْطَاسٍ. إلَّا لَذَّة العملِ الصَّالحِ وَنَصَبُه فإنَّ مَا يُقابِلُه السعادةُ التِّي لَا تَنْتَهي» والسَّعادةُ الدائمةُ هِيَ لِلمُؤْمنينَ العاملينَ الصابرين المخلصين خاصة.

وعلىٰ كُلِّ حَالٍ ٱلأمةُ بأَسْرِهَا جَادةٌ فِي بِنَاءِ الدَّوْلِةِ التي وَضع قواعدَهَا الملك عبد العزيز على أسمى التعاليمِ وأرقاهَا وأَدْومهـا وأخلِدها، وهيَ تعاليمُ الإسلام.

وحفظُ البناءِ على قواعدِ الإسْلام أوثق مِنْ تـأسِيسِهِ وَهُـوَ يَفْتقرُ إلى تَضْحِيَاتٍ وَسَهرٍ ويَقَظَةٍ وجُهُودٍ وَمَتاعب ومسؤليـات جَمَّة مُرْهِقةٍ لا يَنْبغي أَنْ تُهْملَ أبداً لأنَّ إهمالَها ضَياعٌ للإسلام بل ضَياعٌ للحياةِ ذاتِها، ولَن تهملَ بإذنِ اللهِ . .

﴿إنْ تَنْصرُوا اللهَ يَنْصرْكمْ﴾ [٤٧ - ٧].

والنّهايةُ أنَّ مزرعةَ الأمير مُتْعب مأثرةٌ خالدةٌ وَيَدٌ ثَرَّةٌ دفَّاقةٌ بالخيـراتِ والبركاتِ على هذه الأمة. . حَسْبُهَا أنَّها قدَّمتِ العملَ النافعَ لكثيرٍ مِنْ شبيبَتِنَا الماجدة.

أجَلْ لَها آثارُها الرَّضيةُ البارة عندَ اللهِ بجزيلِ المثوبةِ والعطاءِ، وعندَ العِبادِ بُحْسِنِ الأحْدوثةِ والإِطْـراء. .

قصـر ابن عامر

مِنْ معالمِ القصيمِ الأَثريةِ الناطقةِ بالعزةِ ونهضـةِ العمرانِ منـذُ أبعدِ الأزمانِ قصرُ ابنِ عامرٍ ومزارعه التي لا تزالُ مياهُهُا تَجْري في عيـونه.. المكانِ المسمى الآن بالأسياح. والأسياحُ والسيوح هِيَ المياهُ الجارية على وَجْهِ الأرض.

وقصرُ عبدِ الله بنِ عَامر هو الآن اطلالٌ شاخصةٌ بالعزةِ والملكِ الكبيرِ والسلطان العظيمِ. وهو واسعٌ جداً، ومعالمُ غُرفهِ وقاعاتِه وساحاتِه لَا تَزال بينة.

ورأيتُ فِي بعضِ الغرف مساطب كانتْ معدةً للجلوسَ عليها، للوافدين والزُّوار وكان عبدُ الله بن عامر أميراً على البصرة والكوفة وخراسان، وما بينَ مكة والطائف وهو قرشي وقد توفي سنة خمسين للهجرة. وتفصيل ولايته مذكورة في تاريخ خليفة بن خياط في أكثر من عشرة مواضع. أخبـرني بذلك، المواطن الأديب المشهور ناصر السَّلْمان العمري.

وكان لعبد الله بن عامر بن كرز مزارعُ هناك وهو الذي اكتشفَ عيونَ الأسياح التي تسمى عيون إبن عامر.

ووجهـــاء بريدة اليوم، وعلى رأسهم معالي الأمير يفكرون في إعادة القصر على قواعده كما كان في عصرِ بن عامر.

وهو عملٌ جليلٌ، لأنَّ الراحلَ مَتَى هبطَ بلداً أول شيءٍ يفكرُ فيه. أَنْ

يبادرَ في زيارةِ آثاره القديمة، ومدنِهِ المُعَطَّلةِ الصارخة.. للعظةِ والاعتبارِ كما يأخذُ في دَرْسِ مقوِّماتِ ماضيه، وما كان عليه من قوةٍ واعتزازٍ، ومدنيةٍ وعمرانٍ. والله جل جَلاَلهُ حَثَّ على ذلك في آياتِهِ المنزلة، خاشعاً متدبراً واستفد وأفد.

﴿فكأيِّن مِنْ قريةٍ أهلَكْنَاهَا وهي ظالمةٌ فهي خَاويةٌ على عروشِهَا وبِئْرٍ مُعَطَّلةٍ وَقَصْرٍ مشيدٍ﴾ [٢٢ ـ ٤٥].

﴿أفلم يَسيـروُا فِي الأرضِ فتكونَ لهمْ قُلوبٌ يَعْقلونَ بِهَـا أو آذانٌ يَسْمَعُـونَ بها، فـإنَّهـا لاَ تَعْمىٰ الأبصـارُ ولكنْ تَعْمىٰ القلوبُ التي في الصدور﴾ [٢٢ ـ ٤٦].

وعلى كلِّ حَالٍ فإنَّ بلادَنَا العزيزةَ حافلةٌ بالآثارِ القيّمةِ والمدنِ القديمة والقصور.. والدولةُ اليومَ ناهضةٌ للبحثِ عَنْهَا وحصرِهَا ورِعَايتها.

وَطُفنـا في غرفـهِ وقعدْنَـا على مسـاطِبِـهِ، وتسلقْنَـا بعضَ الأنقـاضِ والأطلالِ، وشاهَدْنَا بعضَ الأحجارِ عليها نقوش..!!

ورأيتُ أديبَنـا الأثري الشيـخ عبدَ القـدوس الأَنْصارِي، يلتقطُ بعضَ الأحْجارِ الصغيرة وأحسبُ أنهن لَهُ نوافذُ يُطِلُّ مِنْهَا إلى مَعالِم تأريخِها النَّاطقِ الصامت أو لعلهُنَّ هَتفْنَ به هُتافاتِ عمرانِها من وراءِ الحِقَب. وهو مَعْنِيٌّ بالآثارِ وزيارتِها بل وتكرار زيارتها ومتولعٌ بدرسها وتأملها دونَ عنتٍ وتَراخٍ وَمَلَلٍ..

وإني أعرفُ هذا الخلق منه منذُ شرخِ شَبابه: وإدْمانُ ترددِهِ على آثارِ طيبةَ وكتابه(آثار طيبة)شاهدٌ على ذلك.

وقد صاحبتُه في جُلِّ رحلاتِهِ، فَلَمَسْتُ حُبَّه للآثارِ أعمالاً. وهو لذلِكَ

يُدْمِنُ مطالعَةَ كتبِ الرحلاتِ بلهفةٍ وشوقٍ، ويكتبُ عنها بلهفةٍ وشوقٍ . .

وقراؤُه الذين يُتابِعُون مطالعةَ مؤلفاتِهِ ومحاضراتِهِ وكلماتِهِ يعرفونَ منه هذا الخلق،إذن فلا تعجبَ إذا قلتُ لكَ تقلَّب في أطلالِ قَصْرِ إبن عامرِ بلهفةٍ وصَبابةٍ ونَهمةٍ،والحُبُّ هُنَا ذو عَيْنين . . .

هذا هو الشيخ عبد القدوس الأنصاري . وأزيد هنا قائلاً حفظ الله نجله الأديب الصحفي الممتاز وأمدّهُ بمعونَة حتى يستطيعَ مواصلـــة الرسالة التي بدأها والده العظيم من قبــــل .

مصنع الاسمنت

في الساعةِ الثانية عشر وَافيْنَا مصنَعَ الاسْمِنْت الواقع شِمال شرق مدينة بريدة على جبل النقيب ويبعد المصنع عن بريدة ١٨ كيلو. . .

وكنا جماعةً: البحاثة الشيخ عبد القدوس الأنصاري، والوجيهان الشَيخ صالح السليمان العمري وهو الدَّاعي الأول لتأسيس المصنع وشقيقُه الشيخ ناصر السليمان العمري، ورئيس النادي الأدبي ببريدة الأستاذ حسن الهويمل. وعضو النادي الأدبي الأستاذ سليمان الوشمي.

وكان يَصْحبُنَا مُصورِان، عبد المُزيني عضوُ النادي الأدبي والسيدُ صَلاح كامل وتجولْنَا في المصنع، وهو مِنْ مَفاخِرِ النَّهضة السعوديةِ الحديثة.

ويَشْهدُ الله لقد ازدهانِي الفرحُ والمرحُ، حتى خِلْتُني كالقطاةِ اسْتَطَعْتُ أَن أَثْبَ وأن أحلِّقَ بعد تثاقلٍ وَوَناء. . .

وشَاهِدي أني رأيتُ سُلَّماً عالياً جداً من الحديدِ، يُصْعد به إلى أعلى الْمَصْنَع والصعودُ عليه لَا يكون إلا للشبانِ الأقوياء. وخاطرتُ وصعدتُ وشاهدتُ عجائبَ الصنعةِ وشاهدتُ داخلَ الفرن النَّاري واللهيبُ يتطايرُ في دَاخِله كأنه البركانُ وضجيجُ الآلاتِ الصاعدةِ والهابطةِ كأنها جلامد امرىءِ القيس التي يتقَاذَفُها السيلُ مِنْ عل. ولما أردت النزولَ تملكني الرعبُ وخفت أشدَّ الخوف أن تَزلَّ قَدمِي فأهوي لأنَّ الدرجَ مِنْ حَدِيدِ. والْعُلُو شَاهِقٌ جداً. وأنا الذي حينَ أتيتُ بُريْدَةَ، مَا كُنْتُ أَسْتطيعُ أَن أَصْعَدَ إلى

السَّيارةِ لِعلوِّها إلاَّ بِمَعُونة، ولكنْ والحمدُ للهِ نزلتُ بِسَلامَةِ اللهِ ولم يَصْعَدْ أحدٌ سِوَايَ حتى الشيخ صالح ما كانَ يَعْتقدُ أني أَسْتطيعُ الصُّعودَ لَوْلاَ أنه رآنِي على سَطْحِ المَصْنعِ.

وأحْسستُ أن عَزائمَ أبْطالِ نَجد تمجَدُ على الجوِّ الصَّافي النَّقي الذي يمنحُ القوةَ في الْبَدنِ ويُعْطِي العافيةَ والنشاطَ والذكاءَ. وفهمتُ السِّرَّ الذِّي جَعَلَ الشُّعراءَ من قديمِ الزَّمانِ يَتغَنونَ بنجد وأهل نجد وصَبا نجد وخُزامى نجد..

وكان يَصْحبُنا مِنْ رِجَالِ العملِ الذِّينَ يَفْخرُ بهم الوطنُ السَّيد نَاجِي بن محمد الحويلي مِنْ أهل القصيمِ وهو متخصص في الكهرباء، وهو المشرفُ على إنتاج المصنع.

والذي يعجبُكَ فيه أنه أخو عزماتٍ واعتزازٍ بعروبته وسعودّيتِهِ وقال مُفاخراً: «نحن السعوديين لدينا كلُّ مؤهلاتِ الوَعْي الْعِلْمِيِّ والتفوقِ الصِّنَاعي للصعودِ بالْحَضَارةِ إلى مُثُلِنا العليا. ولا عجبَ إذَا سَمِعْنا أَنَّ أَجدَادَنَا هَضَمُوا الحَضَارةَ الْقديمةَ وزادُوا عليْها مِنْ عبقرياتِهِمْ أمجاداً إلى أمجاد. معالِمُها قائمة في الحضارة الحديثة، وفي مكتبات العالم الكبرى..»

وهَذا حَقٌّ فالشبابُ السعوديُّ يحْملُ معالمَ الحضارةِ في وِرَاثاتِهِ. يَحْملُها إلى جانب الإيمانِ اليَقينِّي باللهِ الخالقِ العظيمِ. ومُثُلها الإنسانية العُلْيا. والاستقامة في الْخُلُقِ والْعَفَافِ..

ولا أكونُ مُبَالِغاً إذا قُلْتُ انَّ الأيامَ التي قَضَيناهَا فِي الْقصيمِ ما رَأيْنَا فيها مَنْ يشرب من الشجرةِ الملعونةِ الدخان أبداً أبداً...

حقيقــة لاَ بُـــدَّ مِنْهـــا

... كُلُّ أُمَّةٍ لَنْ تَسْتَطيعَ أنْ تُحَافِظَ عَلَى وَحْدَتِهَا وَحُرِيَّاتِهَا ولغتها إلا

بكثرةِ أَعْمالِهَا، لَا بِكِثْرةِ أقْوالِهَا، فَعملٌ واحَدٌ كبيرٌ يُغْنِي عن مَلْيون قول. وكذلك الرجالُ فرجلٌ واحدٌ كبير يُغْني عَنْ ملْيون رجل. «يَقُـولُونَ مـا لا يَفْعلُون».

أُنظرْ إلى مَصْنعْ ٱلإسْمِنْتْ السُّعودي فِي بُرَيْدة إنَّهُ عَمَلٌ كبيرٌ مُشَاهَدٌ لِلْعِيَانِ. كـم دَرَّ على الْوطنِ السُّعودي مِنْ خَيْراتٍ وبركَاتٍ ومَنَافع.

أما كانَ هذا المصنعُ فكرة رجلٍ واحدٍ هو الشيـخ صالح السليمـان العمــري. عرضَها على بعضِ أصحابِهِ فراقتْهمْ وشَاقتهم وَعَنَتهمْ.. وتكاتفوا يداً واحدةً. لإفْراغِهَا في بنْيانِ عملٍ خالد.

أجلْ هي فكرة ذات في رأسِ رَجُلٍ قبلَ أنْ تكونَ بنْيانَ عَمَلٍ عيانٍ. فكرة بدأتْ عام ١٣٩٠ هـ، واستغرقتِ المراجعاتُ والإعداداتُ والدراسات خمسَ سنوات ولن ترى دولةً في طولِ المعمورةِ وعرضها تمدُّ الشركات الوطنية بالأراضي والمال والعون ما تجدهُ في دولتِنَا السعودية.

وهي لا تَفْتقرُ إلَّا إلىٰ الرِّجالِ الوطنيينَ المفكرينَ الأُمناءَ القادرينَ على تأسيسِ المصانعِ واتْمامِهَا وانْجازِهَا كوَجيهنا المُلْهم المواطن الحبيب الشيخ صالح السليمان العمري.

ونحن أبناء المملكة العربية السعودية لا تكون أمتنَا موحدةً قويةً قادرةً على حمايةِ نَفْسِهَا مِنْ سِطوةِ المؤامرات، ونجاتها من دِسَائِس الأشرار إلَّا بالمفكرين العمليين القادرين أمثال وجيهِنَا المحبوب الشيخ صالح السليمان العمري، وشركائه المفكرين..

وقد اسْتغرقَ إنشاءُ الْمَصْنعِ خمسَ سَنواتِ والآن هو ينتج كمياتٍ كبرى تعتبر مشاركة فَعَّالةً تقدميةً للعمرانِ الحضاري الناشط.

الجـــــواء

يـــا دار عبلة بـــالجـــواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
دار لآنـســـة غضـيض طــرفهـــا طــوع العنـــان لذيـذةِ المتبسم

الجـواء كلمة كأنها دفق الشلال المنهمر إذا انطلق بها اللسان انطلقت معها النسائم العليلة والخصب والثمار اليانعة والنسماتُ التي تحمل طيوب الخزامى والعرار والفاغية بل وانطلقت معها أغاني الطيور والبلابل على ذُرَى الـدَّوْح في الوديـانِ السَّحيقة والسُّهـولِ المزدهـرةِ بِرِيِّ الآبـارِ والغـدرانِ والعيون. . . !!

٢ ـ والجواء كلمةٌ مُجَنَّحة تحمل أحرفُها إليك صهيلَ الخيلِ ودقَّ الطبول وخفقَ الأعلام ورنين المزاهر، وترانيمَ الأشعـار الطروبـة وأصداء خطب الاعتزاز والفخارِ العبقرية والأمثال.

إنك تلمس كل ذلك، إذا كتب الله لك يوماً أن تزور الجواء، كما كتب لي وتنعم به كما نعمتُ، يَا لها من زورة إنها أطياف مفاتن وعبقريات أمجاد عكاظية إنها للعربي منبع بطولات، ما يزال قصصها تبل به الأقلام بالأماني الخالية بتسلق القمم فحذار أن تفلت من يديك ولماذا تدع الأماني تفلت من يديك لماذا، كن بطلاً مفكراً أديباً تصور أنك في الجواء، وإنك تقلب طرفك في ساحاته الفسيحة، وفي مطالع أمجاد العرب الاقحاح. تصور ذلك واستنشق نسمات العروبة العطرة النفاحة المنعشة. . وانظر ببصيرتك

في منائر الليالي والأيام التي كان شعراء نجد الفحول يملأون بها أسماع الدنيا بلاغة وبياناً.

اسمع اسمعْ هذا عنترةُ بن شدادٍ يطاردُ الفُرْسانَ في طولِ الجواءِ وعرضِهِ بِصَوْتِهِ الدَّاوي، وهو ينادي نائباتِ الليالي غير مكترث بها.

يناديها بكل حماسة وبكل بطولة، وبكل سلاسة شعرية كأنه في ناصية عصرنا، وفي يده حسامه المتألق يكاد بريقه يخطف الأبصار. اسمعه وهو ينادي.

حاربيني يا نائبات الليالي — عن يميني وتارة عن شمالي
واجهدي في عداوتي وعنادي — أنت والله لم تلمي ببالي
إنَّ لي هِمةً أشدَّ مِن الصخرِ — وأقوى من رَاسياتِ الجبال
وَحُساماً إذا ضربتُ به الدهرَ — تخلتْ عنه القرونُ الخوالي
وسناناً إذا تَعَسَّفتُ فِي الليلِ — هَدانِي وردَّني عَنْ ضَلالِي
وجواداً ما سار إلاسرى البرق — وراه من اقتداح النعال
أدهم يصدع الدجى بسواد — بين عينيه غرةٌ كالْهلالِ
يفنديني بنفسه وافديه — بنفسي يوم القتال ومالي
وإذا قام سوق حرب العوالي — وتلظى بالمرهفات الصقال
كنت دلاَّلهَا وكان سناني — تاجراً يشتري النفوس الغوالي
يَا سِبَاعَ الفَلاَ إذا اشْتَعلَ الحر — بُ اتْبعِيني مِنَ القِفَارِ الخوالي
اتبعيني تري دماء الأعادي — سائلات بين الربى والرمال
ثُمَّ عُودِي مِنْ بَعْدِ ذَا واشْكريني — واذْكُري ما رأيتِهِ مِنْ فَعَالِ
وخذي من جماجم القوم قوتاً — لبنيك الصغار والأشبال

هذا صوت عنترة بن شداد الأجش الذي شغل الدنيا ببطولاته، وروائع

قريضــه وكرمه وعفافه، وحبه لابنة عمه عبلة.

هذه هي ذكريات الجواء المترعة بالبطولات والبيان الصحيح والشعـر العذب الصافي، ومكارم الأخلاق.

هذه هي ذكريات الجواء تفيض بالأَمَاني والأَحْلام. وما أحلاها مِنْ أَمَاني وأحْلام تغني بأقاصيصها الدنيا، بتهاويلها، بأحاسيسها بهواتفها بطرف روائعها بسحر مشاهدها. لا أدري هل أنا وافيتها من بعيد بعيد، أو هي وافتني من بعيد بعيد.

هي صورة أيام نجد الأولى، أيام الصبا والصبا، هي مخايل بطولاته، هي أسفار حِكَاياته، هي زينة حسانه، هي دنان تاريخه المعتق، هي أيام كانت، والدهر وليد. كانت أعياداً كانت أفراحاً، كانت رباع ربيع، ومشارق أمنيات، ومخايل بطولات.

هي أيام ما كنت أحسبني التقي بها في ساحاتها وبين ربوع أَهْلِها حتَّى التقيتُ،أجل التقيت بفضل مفكري بريدة وأدبائها الأعلام وساداتها الكرام.

وهل أنا إلا كاتب من كتّاب جزيرة العرب يسعدني الذي يسعد أهلها وَيُشْقِينِي الذي يُشْقِي أَهْلَها.

ويشهدُ الله أني أحس لو جعلت فؤادي وطاء لأهلهايسيرون عليه بكل ما أتاني ربي من إيمان وحق وعلم وصدق ووفاء وعفاف وإيثار وأدب، لكان ذلك أقل ما يجب علي من الوفاء العملي الصادق لمواطني من العرب العرباء الكرام الذين أنزل الله كتابه المعجز المتحدي الناهض بالإنسانية إلى مثلها العليا، أنزله بلغتهم العربية الخالدة، وفي أرضهم الصافية الطاهرة أرض البطولات والبلغاء الخالدين.

وهذا يراعي مع كل ما أتاه الله من علم وأدب ونن ليعجز عن التعبير

بكل المشاعر الشريفة الغامرة التي تتفجر في خاطري من محراب وحي الله المعجز المتحدي.

أجل هي مشاعر تتفجر أبداً من محراب السماء الأعلى في قلوب أرباب الأقلام والفكر والعلم بقداسة الحق الذي هو عين الواقع اليقني. وهذا كل ما أفخر به وأزهو في عالمنا هذا الزائل ليكون عدتي في عالم الحق والخلود.

وكنا في أكتاف القصيم زمرة وطنية وثيقة الوشائج من أرباب الأقلام المفكرة المؤمنة تتغشاهم المودة العالية الموطدة على حقائق العلم والأدب المتدفقة بأضواء مثل وحي الله العليا التي تمثلت في مواريث بلادنا الجامعة وَحْدَةَ قدسٍ وكرامةٍ وعزة وسيادةٍ وحضارةٍ مثاليةٍ إنسانية عملية تطبيقية لا تظفر بندها أعمالاً ولكن تظفر بندهَا أحلاماً طائرة في قنابل الذرةوالهيدروجين وعلى أجنحة أحقادِ العنصرياتِ وعبادات المادةِ،أجلْ كُنْا زمرةً فتنهَا هذا المنظرُ التَّاريخي الناطق بالجواءِ،ما هو منظر عتو وجبروت واستعباد تنطق به شواهده الصارخة ولكنه منظر الوداعة والسكينة الرفافة والإنسانية الطلقة الحية.

انظر هذه صخرة صلدة فرت من طودها الذي ينظر إليها بلهفة الوالد إلى فلذة كبده يومىء إليها بكل حنانه وهي غير مكترثة بل هي مستغرقة في أحلام ماضيها الماثِلِ بِكُلِ مُدْهِشَاتِهِ وكم هي مُعْجبةٌ ومعتزة بنفْسِهَا فأوينا إليها وأخذ كلٌّ يدرسها دَرْسَ المسحورِ المأخوذ المعجب ورأينَا عليها رسوم حيوانات قديمة جداً منحوتة عليها من شتى جهاتها.

١ ــ رأينا زرافة كأنها منذ ساعة نحتها راسمها،تهم أن تفر مِنَّا حذراً وثباً وثباً.

٢ ـ ورأيْنا وحيدَ القرنِ يوشكُ أن يهجم علينا فاضطربْنَا..

٣ ـ وحمامة توشكُ أن تَطير ففتنتنـا..

وشاهدْنَا سوى ذلك من حَيواناتٍ منقرضة حِرْنَا في أمرِهَا ولكنَّها تدلُّ أنها نُحِتَتْ قبلَ التاريخِ.. وأبصرنا فارساً مُسَدِّداً قوسَه على ظَهْرِ جوادٍ مُطَهَّمٍ حِذْنَا عنه خَشْية. إصابة مَرْماه...

وشاهدنا جواداً منحوتاً وحده بدون فارس. ورأيتني أمد يدي لاتنـاوله لأكون فارسه الصائل الجائل..

ورأينا تخاريم الثُّقُوبِ صفوفاً صفوفاً على أطراف الأكمـة كالتي كنت أُشاهِدُها في حضَارةِ نهر الكلبِ في لبنان..

وهذا يدلُّ أن قولَ علماءِ الجولوجيا أن جَزيرةَ العرب كانتْ في عُصُورٍ سحيقةٍ مغمورةً بالمياه، هو واقعٌ، ولكنَّ الذي يُؤلـم أشدَّ الألم وَيُحزُّ في النفسِ. أنَّ بعضَ زائري هذه يحفرون أسماءهم عليهـا. فتضيع معـالم الرسوم الأثرية التاريخية. وقد يكون السبب أن صيانة دار الآثار لـم تصل إلى منطقة القصيم بصورة جيدة.

وبدأ على وجهِ عَلاَّمتِنا الأثري الشيخ عبد القدوس الأنصاري الاكفهرار لمَّا شَاهدَ الأَسْماء المنحوتة على الأكمة تغطي بعض الرسوم الأثرية الرائعة. ولا ريب انهم فعلوا ذلك بحسن نية. وإن كان حسن النية يضـر أحياناً ضرراً بالغاً.

وجميعنا تمنينا لو أن دار الآثار ترفع أسماء الأعلام التـاريخية على نـواحي الفجاج وجهـات النواحي تسهيـلاً للبـاحثين المنقبين، وامسـاكـاً لاقلامهم في الهوى في مهاوي الأخطاء. من اختلاط معالم نواحي الفجاج وتشابه نواحي الفيافي، ودخول الأخطاء على أسمائها..

والحقُّ أن مَعَالَمَ التاريخ العربي القديم في جزيرةِ العرب أصابها إغْماءٌ شُديدٌ مُحْزنٌ للغاية، لولا أنَّ الله مَنَّ على هذهِ الجزيرةِ بالدولةِ السُّعودية السهرانة لحفظ التاريخ العربي في قلب مولدهِ، ومهما يكن فإنَّ الآثار التي سَلِمَتْ مِنَ الضياعِ يمكنُ للمؤلف أن يأخذَ منها فكرةً صحيحةً عما كانتْ عليه الفنون من سُمُوِّ المكانةِ في هذه المنطقة العربية بالذات منذ أقدم العُصور قُلْ هِيَ عُلوانُ التاريخ هي مَنْطقُ الآداب هي رسومُ الفنون هي بيان لسَانِهِ هي عبقرياته هي جزيرة العرب نفسها..

مربط جواد عنترة بن شداد

هو عبارة عن صخرة تبدو كأنها خـزان ماء أسفلهـا دقيق، وأعلاهـا ضخم، أو صخرة البراق في الشكل لا في الحجم، وجلسنا جميعاً في هذه الصخرة القوراء. والعجب من شكلها المدهش ينهب أبصارنا نهباً... وأخذ الأخوة يتحدثون عن الأحداث التاريخية التي شهدها الجواء. وأنا معهم ولست معهم. فإني غصت في أحلام الماضي السحيق. لاح لي رفيف مضارب القبائل والرياح تعصف والمواشي والإبل تسرح وتمرح في مَراعيها.

وكنت أسمع من وراء الحقب صهيل الأدهم فرس عنترة بن شـداد المشـدود إلى الصخرة المقـورة. فلا أرهب لأن الشجـاع يظل مضيـافـاً كريماً... هي ساعة أحلام رائعةٍ رفَّافة ناطقة انتزعناها من عمر التاريخ انتزاعاً. أشوق ما كنا إليها.

وكم هم الأدباء الذين يَتمنَّوْنَ أن يظفرُوا بمثلِهَا ساعةً في الجواءِ في ربيع الذكريات وأهل الجواء وإن كانوا في غيابات جلاجل الماضي إلا أنهم في مطالع شرفات الحضارة ووجودي فيه قدري المعطاء. لولا حماسات هذه النهضة السعودية الحديثة واهتماماتها بالأدب والأدباء ومعالم التاريخ ولولا

أعضاء النادي الأدبي في بريدة ولولا المَشَايخ العمريون.. ولولا الصديق الشيخ عبد القدوس الأنصاري الذي اختارني أن أزامله في رحلتِه الأدبية، وأن أكون محاضراً معه لمَا كنتُ شاهدتُ هذه المعالم الأثرية العملاقة في وطننا الكريم، بل لمـا كنت كتبتُ عنها هذه الكلمة الخالدة. أجل كان هذا قَدري المعطاء فالفضلُ ليس لي بل لقدري المعطاء الذي هو تقديرُ العزيز العليـم.

العشـاء الليلي الكبير

دعانا في الليلة الثانية نائب رئيس النادي الأدبي الأستاذ عبد اللطيف العبد الله إلى المائدة التي أقامها على شرف معالي الشيخ صالح الحصين وهي مائدة سَخيَّـةٌ تحملُ ألواناً دَسمةً من أطعمة نجد الشهية.

وكانت الدعوةُ في فسحة بين الحدائق غزاها العمرانُ من كلِّ جوانبها بَلْ ويُوشك أَنْ يتسربَ إلى سَوادها..

وما شاهدتُ في رحلتِنا مائدةً احتشدَ فيها خلقٌ كثيرٌ، ما رأيته في مائدةِ معالي الشيخ صالح الحصِين..

ومعالي الشيخ صالح الحصين من أعلام وطننا السعودي وهو مشهود له بالإيمان والحق والخير، والهمة العالية والنبل.

وهو يحبُ الإسلامَ محبةً صادقةً ويعملُ من أَجْله، ويرعى رجالَ العلمِ المؤمنين الصادقين رعايةً خاصةً ذاتَ قَدْرٍ. لأنهم حماةُ الإسلام المنافحونَ المكافحونَ.. وكم يمقتُ الشَّر والغوايةَ وأهلَهما، ولا يمقتُ شيئاً بصرامةٍ مقتَه لِلكذبِ والكاذبين. وجليسه الذي يناجيه يَسمعُ منه ما يسرُّه من هُدىً ورضاً وعلمٍ.. وهو عمادٌ مِنْ عُمُدِ النهضةِ السعوديةِ الحديثة.

هذا ما سَمِعْتُ الناسَ يتحدثونَ عنهُ في بُريدةَ عَنْ مَعالِيه، وعن آلِ الحُصَيِّن كافة وبالحري عَنْ أخويه الماجدين الأستاذ عبد الله الحصين، والأستاذ عمر الحصين.

وقدْ صوَّر لي سَمَرُ ليلتِنا هذه الْمَاتِعةِ أطيافَ الأسْمارِ الأدبية الماضية التي يقصها علينا رواةُ تاريخ الأدبِ عَنْ أسْمارِ قبائِل جزيرةِ العرب.

أجل هو سمرُ مدهش، ينقلُ إليك الليالي المقمرات التي كانَ العربُ قديماً يسمرونَها ويعبونَ مَتاعَها باشواق.

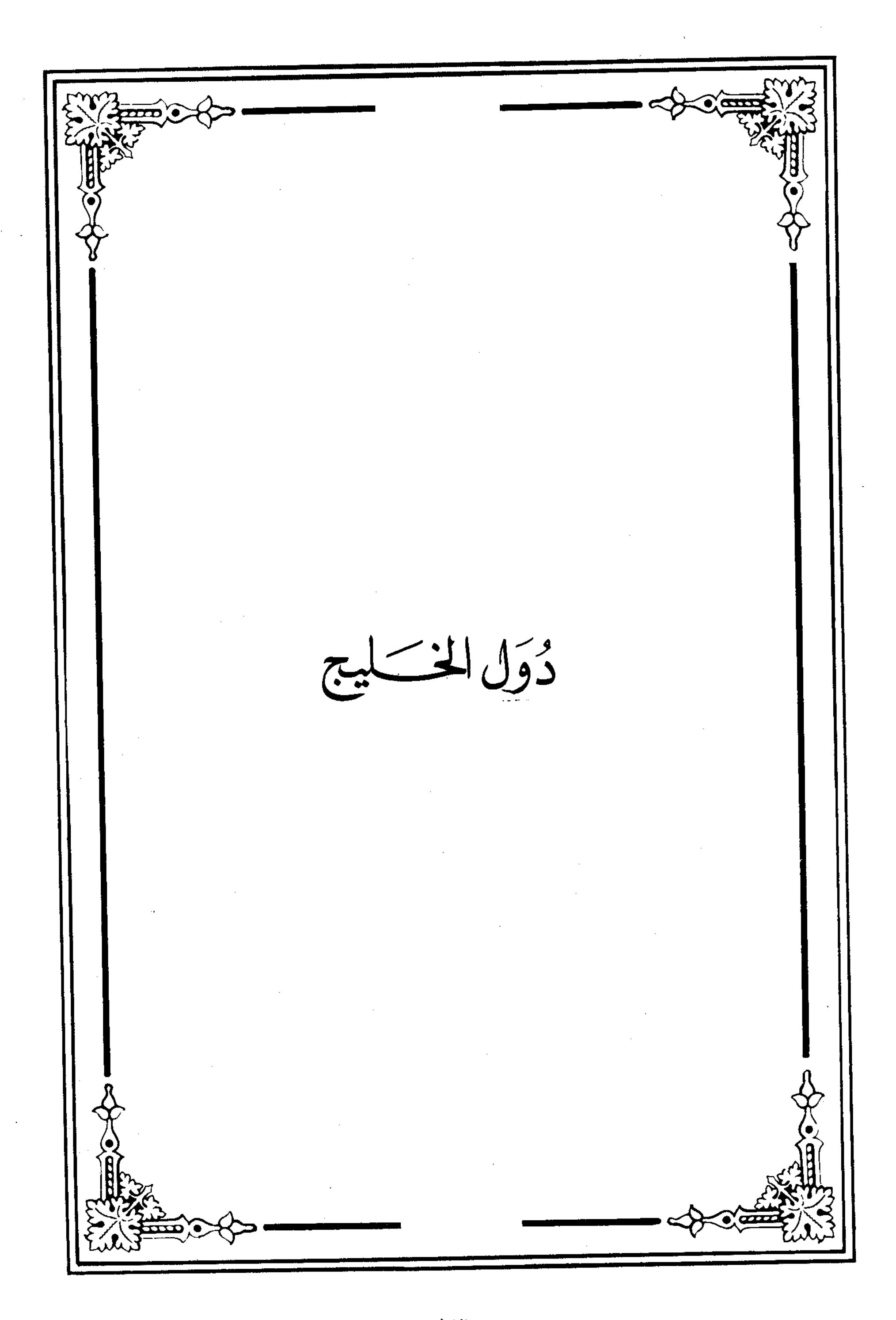
وَدُهِشَ صَاحبِي ودهشتُ يشهدُ الله، لما شَاهَدْنَا السمرَ الحاشدَ بِشَتَّى طوائفِ الناسِ، ولم نشاهدْ واحداً منهم يتباهىٰ بلفافة تبغٍ ينفثُ دخانَها بعُرام كأنه الديك الرومي.

إنَّ مثلَ هذه الظاهرةَ الصحيحةَ الواعيةَ لم تأتِ عفواً. بل هي ثمرةُ صدقِ الإيمان أفراداً وجماعةً. وما رأيتُ مثلَها في كلِّ الجهات التي رحلتُ إليها مِنْ وطنِنا المحبوب.

والحقُّ أنها ظاهرة فكرٍ نَيِّرٍ، وإرادةٍ صارمةٍ ومنفعةٍ مؤكدة. وَسُمُوٍ عنِ السَّفاسف وكذلكَ ما سمعتُ أحداً من الحاضرين يغتابُ أحداً من الغائبين، أو يَنِمُّ عليه، أو يسخرُ منه، أو يصغِّر شأنه.. كما يكون عادة في الأوْساطِ المنحطة..

وثبت لي عِياناً أنَّ العربيَّ الصميمَ إذَا صفتْ نفسُه، وخَلَصُتْ من أوْضارِ الصَّغارِ وَضَحالَةِ الثَّقافةِ ووَهَنِ الإيمانِ جَاءَ بالْعَجَبِ الْعُجَابِ مِنْ مكارِمِ الأخْلاقِ.





دُوَلُ الخليج



فصل دول الخليج

الكلمـــات

١ ـ رسالة إلى الوزير الكريم.

٢ ـ رسالة إلى رئيس القضاء.

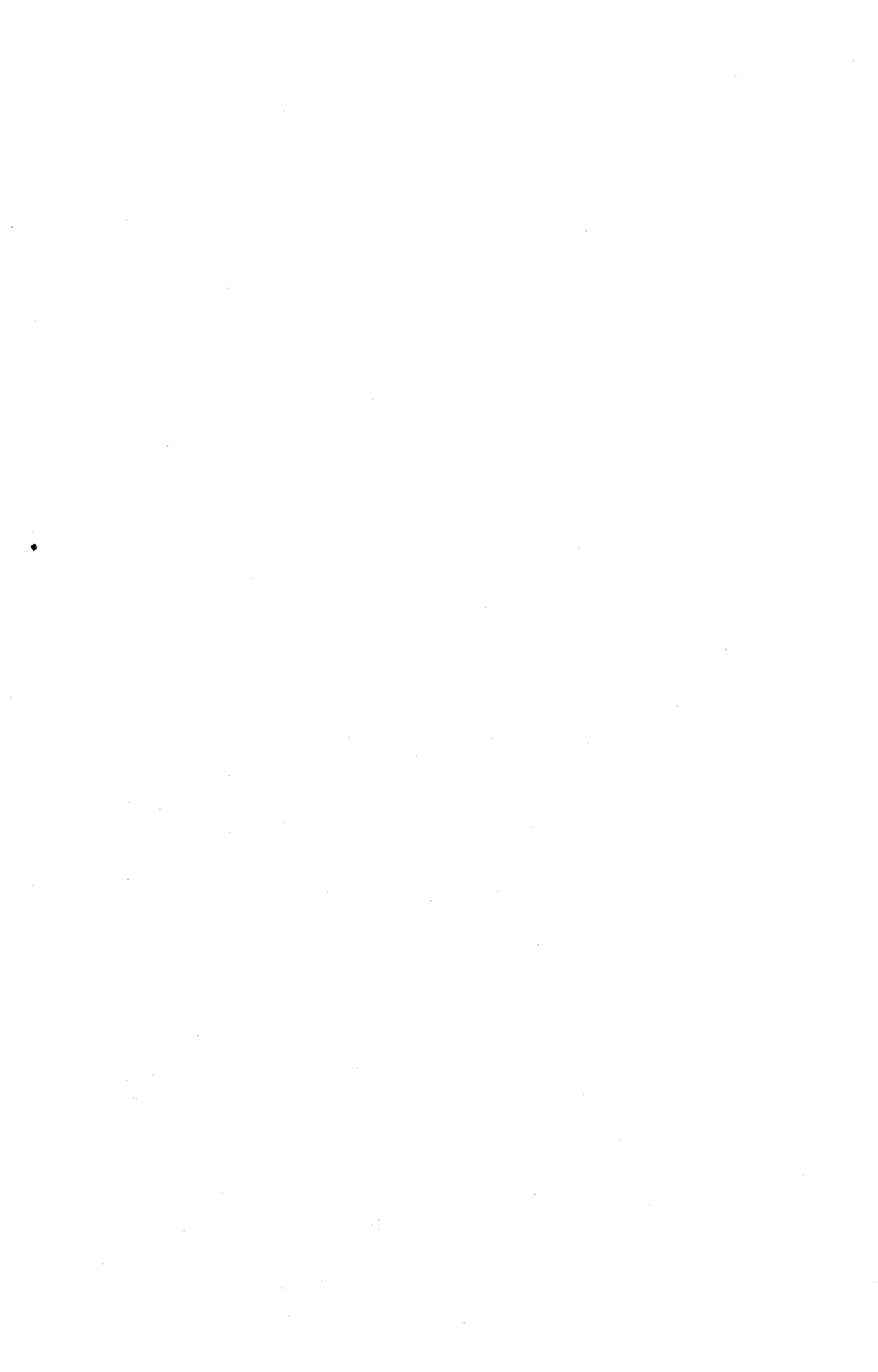
٣ ـ نهضة دول الخليج.

٤ ـ دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥ ـ تعاون دول الخليج.

٦ ـ نداء قادة دول الخليج.

٧ ـ ديوان نداء الخليج.



بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ١٠ صفر عام ١٤٠٢ هـ

لمعالي الوزير الكريم الأستاذ محمد بورحيمة سفير دولة الإمارات العربية المتحدة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كنت في رحلة اسْتجمام ولما عدتُ إلى مكتبي في المجلة العربية ألفيْت الرسالة الكريمة المرسلة إليَّ مِن معاليكم للتشرف بحضور حفل الاسْتقبال الذي سيُقام يوم الأربعاء ٦ صفر عام ١٤٠٢ هـ ، كما وجدت الكتاب السنوي لدولة الإمارات العربية المتحدة، وما يشتملُ عليه من أبواب مُهِمة وموضوعات قيمة وحقائق أساسية لا بُدَّ مِنَ الاطلاع عليها وبالحري العلماء والكتاب والفنانون،وكم شَاقني تأريخ دولة الإمارات وما حققته في هذه الفترة الوجيزة الزمن بالسياسة الحكيمة الراشدة التي رَسَمها رئيسُها صاحبُ السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وحاكم إمارة «أبو ظبي».

يا معالي الوزير، كل سعودي من أبناء هذه المملكة السُّعودية يرىَ نَفْسه فرداً من أبناء شعب دولة الإمارات المتحدة بل مِنْ كلٍّ دول الخليج. . . فالأفراد هم الأفراد والأمة هي الأمة. هنا وهناك **﴿إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** [٢١ - ٩٢].

يا صاحب المعالي

إنَّ الخدمات الماجدة التي أَتمها الله على يدكم لدولة الإمارات هُنا في المملكة العربية السعودية ووشائج الصلات التي أحكمت شدَّها بحكمتكم العالية ونظركم السَّديد وسياستكم الرَّشيدة ومهما يكن فأنتم تعملون لاطراد السُّمو الحضاري أبداً.

ولا ريبَ أن شعوب دول الخليج الستَ يعْتزون بأمثالكم من الرجال الحكمـاء الذين يعـرفون كيف يَشُـدُّون أواصر القـربى وصلاتِ الأرحـامَ ويُشَيِّدون القبابَ العالية الخالدة على تَداولِ الأجيال.

أجل أنتم تشيدون للإصْلاح القبابَ العالية من الخير والدين والأخلاقَ وإني كَمواطنٍ خليجي أحسُّ بما يحسُّ به قادتُنا الذين يَسْعَوْنَ لاقامةِ شوامِخِ الأمجاد بالوحدةِ والتفاهمِ والنهوضِ إلى العزة والكرامة وحمايـةِ الأوطان بالشوكة والسلطان.

ويا معالي الوزير..

إنّي أقدمُ إليكم كريم التَّهاني وأنا أضرع إلى اللهِ جَلَّ وعزَّ أن تكونَ الأيامُ المقبلةُ على أَحْسنِ ما تَودَّونَ لدولتِكم وسـائرِ دول الخَليـج والأمةِ العربية والمسلمين جميعاً ولكـل البشـر.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السَّماحةَ رئيس القضاة المستشار الديني لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة العالم المؤلف والكاتب الإسلامي الشيخ أحمد بن عبد العزيز المبارك التميمي الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإنَّ الله جلتْ قدرتُـهُ جعل الحياةَ آيتين.

١ ــ آيـةَ النور لَمِنْ كـان من أهلِ الإيمـان والعلم والخير والحقِّ والصدق. . .

٢ ــ وآيةَ الظلام لمنْ كان مِن أهلِ الكفر والإلحاد والجهلِ والشر والباطل والكذب. . .

وَمِن أجل ذلك كان المؤلفون والدعاةُ فَـريقين: فريق النـور، وفريق الظلام. والفضلُ للهِ فأنتم دعاةُ أهلِ النور فلكم في المقدمةِ مُؤلَّفـاتِ النور ذوات الحكمة والعلم والفقهِ والخير، أجل يا صاحب السماحةِ. قرأتُ سلسلةَ مؤلفاتكم التي هِيَ قَبسٌ من نورِ وَحْيِ الله في الكتابِ والسنّةِ. كما ألفيتُ فيها حقيقةَ الإسلامِ الصارخةِ وبيانَه الْعالي وحكمته القويمةَ ومثاليةَ الأخلاق النبوية.

بالإضافة إلى صدق التزام بالأسوة الحسنةِ خاتم رسلِ الله سيِّدنا محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه. شأن السلف الصالح أثابهم الله أَحْسن المثوبة.

ها هي سلسلةُ مؤلفاتكم مباركة جعل اللهُ فيها النفعَ للمسلمين كافة فِيْ كلِّ مكان وزمانٍ لأنَّها نورٌ قَبَسٌ مِن نورِ الوحي: **﴿ومن لم يجعلِ الله له نوراً فما لَهُ مِنْ نور﴾** [٢٤ ـ ٤٠].

صديقي العلامة الجليل..

إنكم لَا تزالون تَذْكرون تِلكَ الأيام التي قضيتُموهَا في طيبةَ المباركة في سبيلِ العلمِ في المسجد النبوي إنَّها أيامٌ طيِّبةٌ مباركةٌ وكيف لا تكونُ مباركةً وفيها العلمُ والفضلُ وصدقُ الإيمانِ وحُسْن البيان والاستمساكُ بسنّةِ خيرِ الأنام والانتصار للحق أين ما كان. وهذا الأمر مشاهدٌ بعد ذلك في كل مؤلفاتِكم أمد الله في حياتكم لكي تخرجوا كلَّ مخطوطاتكم لإفادةِ أهل الإِسْلام.

وكنتُ متتبعاً مناقشاتكم حول المسائِل المختلف فيها فكنتم أبداً ملتزمين جانب الكتاب والسنّةِ الثابتة.

فكلُّ مؤلَّفٍ مِنْ مؤلفاتكم هُوَ التزام مؤكدٌ ومُعْلنٌ بما جاء به خاتمُ رسلِ اللهِ سيدنا محمدٍ ﷺ مِنْ رب العالمين دونَ أن تفرقوا بينَ كتابِ الله وسنّةِ رسول الله صلوات الله وسلام عليه.

ولا ريبَ أن الذي يُفرق بينَ كتابِ الله وسنّةِ رسوله ﷺ إنما يفرق بين كلمةِ الحقِّ الجامعةَ ولا يفرِّقُ بينَ كلمة الحق الجامعة إلا شَيْطانٌ رجيمٌ، لِذلك يجدُ الدارسُ المفكرُ مؤلفاتِكم تقُوم علىٰ حَقيقةٍ واحدةٍ هي: **﴿وما آتاكم الرَّسولُ فخذُوه وما نهاكمْ عنه فانْتهُوا﴾** [٥٩ ـ ٧].

فَمكانتكمْ في الدَّعوةِ إلى الإِسْلام عاليةٌ جداً جداً سواء فِي السُّعوديةِ أَوْ في دولةِ الإمارات أو في المحيطِ الإِسْلامي..

فذكركم هنا وهناك مُسْتفيضٌ على الألسنةِ واسْمكم مرفوعٌ وشخصُكم ماثل لدى القلوب المؤمنة وإني لا أنســى الحفاوةَ الكريمةَ الصَّادقةَ التي قَابَلْتُموني بها، ومؤلفاتكم التي أهديتموها لي، ولا شيء، أثمنُ من العلم الذي يُهْدَى ويَهْدي فأنتم فعلتُم كـلَّ ذلك تقـديراً لِلعلمِ والأدب ووفـاءً للوشائج القديمة التي تربط بيننا بحكم دراستكمْ في طيبة المباركة، والعربيُّ الصميم والمسلمُ العالم الصَّادِقُ لن يكونَ غيرَ وفيٍّ وغيرَ صادق وغيرَ كريم وما أصدق قول الشافعي: «الحرُّ مَنْ دعـاوِداَدَ لحظة..».

وكم أتمنَّى أن أكتبَ عن مؤلفاتِكم الكتابة التي تكون عوناً للقراء في كشف حقائِقها..

سيادة الأستاذ أرسلتُ لكم بعضَ مؤلفـاتي ولبعضِ الأحباب، منهـا ماسجلت أسماء أصحابها وسائرَها أقـدمها لتكـونَ بينَ يديكم فـأنتم أعلم بالرجال والمشايخ حفظهم الله خصوصاً الشيخ زايد بن سلطان فقد قدمتُ له بعضَ مؤلفاتِي بواسطة الصديق الحبيب السيد علي الشرفاء وأدركني الرجوع إلى الوطن الكريم السعودية، ويشهدُ الله لم أجدْ فرقاً أبداً بينَ السعوديةِ ودولةِ الإمارات وسائِر دُولِ الخليج، أمة واحدةٌ تُظَلِلُّها سماءٌ واحدةٌ وتُقلُّها أرضٌ واحدةٌ وهذا ظاهرٌ في العاداتِ والأخلاق والسيـر، وأدب الكلمة العـربية الأصيلة.

وإن شاءَ الله أكتب كلَّ ما يُرضِي اللهِ ويخلدُ وينفعُ كما وَضَعْتُم أصولَ التوجيهاتِ الكريمةِ في مؤلفاتِكم لخدمةِ الإسْلامِ واللغةِ العربية وخدمـةِ النهضة الحديثة.

وتحيتي إلى القاضِي الفاضل السيد عبد الرحمن الكتاني فقد رأيتهُ يُثني عليكم الثناءَ الطيب الذي أنتم أهْلُهُ وكذلك إلى الصديق الكريم السيد

علي الشرفا، أمَّا سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان فإني أسأل الله أن يَمدَّ في عمرهِ فقد رأيتُ بيوتَ اللهِ ترفعُ في كلٍّ مكان وهذا فخر عظيم كما رأيت اهتمامه بالإسلامِ ورجاله وكتاب الله ولغته.

وأخيراً أرجو من سماحتكم الدعاءَ لي كما أسأله تعالى أن يَمد في عمركم آمين.

نهضة دول الخليج

إنَّها نهضةٌ إسلاميةٌ عربية تعاونية.

١ ـ إنها نهضةُ عروبةٍ وتعاونٍ وبطولةٍ..

٢ ـ إنها نهضةُ فكرٍ وعلمٍ وأدبٍ وفَن..

٣ ـ إنها نهضةُ وَحْدةٍ واجتماعٍ وتفاهمٍ وصِلَةِ أَرْحام..

٤ ـ إنها نهضةُ عَطاءٍ وإيثارٍ وتضحيةٍ ونُبلٍ..

٥ ـ إنها نهضةُ تعاون حضاري وصعود ثقافي وامتداد صناعي.

يا لها من نهضة هي الحياة هي المصير المشترك هي السمو النفسي هي الإنسانية القومية العالمية أجل هذا هو الخليج بغزارة أمواجه وصفاء سمائه ونضارة أرضه وثروة أبنائه للبناء للإسلام للعروبة للخير للهدى للتعاون على البر والتقوى.

وصحافة دُوَلِ الخليجِ إن تغنَتْ بالقصائد الْعاليةِ وبالكلمات الرنانـةِ المهذبةِ، فَغِناؤُهَا حُداء سَماوي في محراب التاريخ للصًعود اللائِق بجلالِ وَحْيِ اللهِ المنزلِ في هذه الجزيرةِ العربيةِ لِيَكونَ أكبر شَواطِئِهَا مِنْ مناظِره وعجائِبه أنجمُ السَّماءِ.

وأقُولُ لماذا لا يكُونُ زعماء دولِ الخليجِ أعلامَ عَبْقريةِ وهُداةَ إنسانيةِ وزعماءَ حَضارةٍ والله أنْزَلَ بلغتِهِمْ وَحْيَهُ ونَفَخَ فيها روحاً مِنْ عندهِ لتكون لغتُهُ

لغةَ الخلودِ لغةَ السماءِ لغةَ الهدَى لغةَ الخيرِ وما بين دول الخليج من خلف أو تهاون عن بناء الأمجاد أو تباطوء في تشييد المصانع والجامعات.

أجل بالأمسِ القريب أعلن زعماءُ دولِ الخليج بالتعاونِ المشترك في كلٍّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

وها هي المملكة العربيةُ السعوديةُ المملكةُ الأم لكل دولِ الخليج تقيمُ البناءَ على دَعائِم الإسلامِ وتَعاونه المكين فالثقافةُ واحدةٌ والتمثيلُ واحدٌ والمستقبلُ إعدادٌ لإسعادِ الجميع.

وهذا نَهْجُ التعاونِ وهو حتمٌ ومقامٌ لخيرِ الأمةِ العربيةِ والإسْلاميةِ بل لخير الإنسانيةِ كافة لأن بناءَ تَعاوِنهم مُشيَّدٌ على قوله تعالى: **﴿يا أيها الناسُ إنَّا خَلْقناكُمْ مِنْ ذكرٍ وأنثىٰ وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لِتعارفُوا إنَّ أكرمكُمْ عندَ اللهِ أتقاكم﴾** [٤٩ - ١٣].

فهلْ تَعاونٌ مقامٌ على التقوَى يتصدَّعُ. لَا لَا وكيف لا يكونُ تَعاوناً خالداً يَعْلُو إلى مَطْلعِ الشمسِ إلى الأنجمِ إلى النورِ هو تعاونٌ ذَا نصُّه الدُّسْتوري الأزلي:

﴿وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [٥ - ٢].

إذن فَما تنتظرُ الأممُ من هذا التعاونِ سوى البِّر والتقوَى، أمَّا الإثمُ، أمَّا العُدْوانُ، أما المؤامراتُ، فإنها لن تكُونَ إلَّا مِن أبـالسةِ الإنس العنصريين الظاهرين في كل أمة والمخفيين.

وكم يكون فرحنا نحن أبناءَ دُولِ الخليج بقطوفِ ثَمراتِ الأمجادِ اليانعةِ الحُلْوةِ بأيدي التعاونِ العالي العالي.

وأنتم يا أبناء الجزيرةِ بَلْ يا أبناءَ العرب كافة بَلْ يا أبناءَ الإسلام في كلِّ

مكانٍ، بل يَا أبناء البشر كافة إعلموا انَّ السَّلام أن التَّفاهم أن أواصرِ الإنسانيةِ العُلْيا تتفجرُ مِنْ ينابيع هذا التعاونِ الذي نَصَّ اللهُ على أحكامِهِ وبنائِه في خاتم كُتبه السماويةِ هو التعاونُ الذي بناهُ أهله على الصلح والإصلاحِ والتعارفِ والإيثار.

اذكروا أنَّ أبناءَ هذه الجزيرة العربية أقامتِ الأسواقَ ونصبت الخيامَ للتفاهم لِلمصالحاتِ لتشيدِ دعائم السَّلام على البذلِ والتضحيةِ والتفاهمِ. وهي لا تزالُ تسرحُ وتمرحُ في جاهِليَّتها.

أَمـا تحمَّلَتِ الدِّيَـارُ وأقـامتِ الأفراحِ مِنْ أجـل دعم السـلام وكَفِّ الحروب. أما قالت امرأةٌ عروسة لزوجها وهو يريدها كيف يطيبُ هذا ودماءُ العرب تَسيلُ هَدْراً.

أما أعلن زعيمٌ جاهليٌّ أن الصلحَ أفضل من الحق لما شاهَد السيوفَ مسلولةً بين حيين من أحياء العرب ونزل خاتم الوحي الإلهي وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿..والصلحُ خيرٌ..﴾ [٤-١٢٨]. وحرامٌ تَخاصمُ الأخـوةِ وتحاربهم وتدمير بعضِهم بعضاً.

وأنتم أيها الزعماء الأماجد الذين وضعتُم نواةَ التفاهم والتعـاونِ بينَ دُولكم أنتم خالدون أنتم نبلاء أنتم أبطال أنتم بحقٍّ قادةُ أمةٍ كريمةٍ سوفَ تعتزُّ بكم أجيالُها وسوفَ يُمَجِّدكم وينشدُكم كلُّ عربيٍّ بما قاله زهيرُ بنُ أبي سُلْمى في أمثالكم:

فَمـا يَكُ مِنْ خَيرٍ أتُوه فـإنَّمـا ... تَـوارَثـه آبـاء آبـائِهم قَـبْـلُ

دولة الإمارات العربية المتحدة

أو الاقليم الأخضر في جزيرة العرب

إن الشيوخ الذين أقاموا دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي طليعتهم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان هم مفكرون آتاهم الله الحكمة في الأفعال، والبصيرة في الأقوال.

أجل هم شيوخ ميامين، وعرب اقحاح، نظروا إلى إماراتهم السبع «الخضراء».

١ ـ إمارة «أبو ظبي»...

٢ ـ إمارة «دبـي»...

٣ ـ إمارة «الشارقة»...

٤ ـ إمارة «رأس الخيمة»...

٥ ـ إمارة «عجمان»...

٦ ـ إمارة «أم القيوين».

٧ ـ إمارة «الفجيرة».

أجل نظر حكام الإمارات السبع النبلاء:

١ ـ سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

٢ ـ سمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم. . .

٣ ـ سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي. .

٤ ـ سمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي. .

٥ ـ سمو الشيخ راشد بن حميد النعيمي. .

٦ ـ سمو الشيخ أحمد بن راشد المعلا. .

٧ ـ سمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي. . .

نظروا في مستقبل إماراتهم السبع بعين البصيرة الكاشفة، والفكرة النيرة الواعية. فوجدوا إنها جميعاً تقلها أرض واحدة وتظلها سماء واحدة، وان أهلها جميعاً عرب اقحاح ومسلمون أبرار، يتكلمون لغة واحدة، ويلتزمون في أعمالهم بخاتم الكتب السماوية ـ القرآن المجيد ـ الذي أنزل الله جل جلاله. في جزيرتهم العربية بلغتها الخالدة. على خاتم رسل الله محمد بن عبد الله الذي هو واحد من أنفسهم ﷺ.

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [٩ ـ ١٢٨].

جاءهم بكلمة التوحيد ﴿فاعلم أنه لا إلَهَ إلا الله﴾ [٤٧ ـ ١٩]. وبتوحيد الكلمة. .

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [٢١ ـ ٩٢].

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [٣ ـ ١٠٣].

والفرقة موت والاجتماع حياة وشتان ما بين الحياة والموت. إذن فالشيوخ الذين أقاموا دولة واحدة لإماراتهم السبع هم مفكرون واعون ومؤمنون صادقون.

أما كانت الإمارات السبع بالأمس:

١ ـ على رغم روابط الرحم الواحد غير مترابطة ؟

٢ ـ وعلى رغم الأرض الواحدة غير موحدة؟

أما كانت نداءات المصالح الثلاث:

١ ـ المصلحة السياسية.

٢ ـ والمصلحة الاقتصادية.

٣ ـ والمصلحة الاجتماعية.

تتوالى مدويات هاتفات لدينا عزة الكلمة النافذة. ولدينا نعمة العيش الرغيد، ولدينا التفاهم المشترك الآمن.. ومع كل ذلك كانت تضيع سدى...

أما اليوم فها هي «دولة الإمارات العربية المتحدة» تخفق رايتها بشموخ العزة والكرامة، في أعلى الشرفات، وتظلهم جميعاً بظلها الوارف العزيز الكريم.

وها هو جيشهم يشتد ساعده يوماً فيوماً، ويقوى بالعَدد والعُدد، بكل الاستطاعة كما أمر الله، ليصون استقلالهم، ويوطد الأمن في ربوعهم، ويساهم في دعم السلام في الأرض، ويصد غارات القساة الظالمين. ويرصدهم عن كثب..

فالجزيرة العربية بمثابة الفارس ودولة الإمارات والخليج كافة بمثابة الدرع الواقية. والفارس مهما يكن شجاعاً ومدرباً، فإنه لا غنى له عن درعه يوم النزال..

ونظر حكام الإمارات السبع الأماثل. وفي طليعتهم أخـوهم الحميم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، نظروا إلى الدنيا مـاضيها وحـاضرهـا ومستقبلها..

فإذا هي تموج بالأحداث موجاً، وإذا هي طافحة بالعبر والمؤشرات وإذا المستقبل ينظر إليهم بعين حذرة يقظة.

وينادي..

أيها المؤمنون...

لكم بصدق إيمانكم العملي من الله الرعاية ولكم النجاة من الأحداث ولكم الافادة من العبر ولكم النصر المؤكد..

حقاً لكم ذلك ما دمتم مؤمنين عمليين حقاً بكتاب الله، وما دمتم بفضل هداه يداً واحدة. تحمل راية الإيمان ببطولة بتضحية بفداء بوعي، وما دام جيشكم يقدر التبعة الملقاة على عاتقه...

ولم لا يكون الأمر كذلك والله جل جلاله يقول..**﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** [٣٠ ـ ٤٧]

وقدمت من السعودية وطني إلى دولة الإمارات وطني. ولا أقول الثاني بل هو هو أليست جزيرة العرب منبت جميع العرب..؟

قدمت فألفيت الأحاسيس واحدة والكلمة واحدة في الأخذ والعطاء وفي الأمر والنهي وفي مقاومة كل إلحاد وكفر..

والفيت الإتساء بالأسوة الأعظم أمام رسل الله وخاتمهم سيدنا محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه منهج الأخذ والرد والأمر والنهي والتزام صدق الإيمان. والفيت مساجد الله قائمة على قدم وساق في كل مكان.

والفيت العلماء الاعلام مكرمين لدى الحكام، فعلمت أن الدنيا بخير وأن النصر مكفول بكفالة الله...

والفيت رئيس الدولة الشيخ زائد بن سلطان بعد عودته من وطنه السعودية إلى وطنه إقليم الإمارات الأخضر..

يملأ شيوخه وأبناءه كافة بصدق مودة القلوب. وصدقُ مودة القلوب آية الإيثار والتواضع والفطنة وصدق القول والعمل والتأتي في الأمور كلها بما يرضي الرحمن ويغضب الشيطان.

أما كان يناديهم بكل قلبه وبكل عقله وبكل إيمانه بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر. ينادي. لا بد أن نجتمع، لا بد أن نتوحد، لا بد أن تكون لنا دولة واحدة عربية أصيلة، ومسلمة عملية صادقة، كما أن لجزيرتنا العربية وخارج جزيرتنا العربية دولاً عربية ومسلمة ذات نظم ودساتير مقتبسة من وحي السماء وذات جيوش مدربة وقادرة على مجابهة الأحداث، وصد الغارات، وذات علم وفكر وقلم وسيف.

وقد عرف شيوخ الإمارات من صديقهم الحميم. الصدق والإخلاص والوعي والالتزام بالإسلام في ندائه، فلبوا النداء لأنهم كانوا على أهبة من الهدى وتقدير الأمور بموازين الآيات المنزلة من رب العالمين.

فكانت تلبيتهم عملية جداً جداً. هؤلاء هم تكاتفوا معه، وأقاموا هذه الدولة العربية المسلمة التي ينعم شعب الإمارات ببركاتها وأمجادها وشوكتها وليس اجتماع الإمارات هو الأول في هذه الدنيا الحديثة.

١ ـ فهذا شعب الولايات المتحدة الأميركية أما كان ممزقاً كل ممزق، أما كان مستعمرة بريطانية..؟ أما وحَّده واشنطن وابراهام لنكلن..؟

٢ ـ وهذا شعب إيطاليا أما جمعه غاريبالدي؟

٣ ـ وهذه الصين التي تعد بمئات الملايين. أما وحد شعبها زعماؤه المفكرون.

٤ ـ وهذه الهند على الرغم من كثرة لغاتها وأجناسها وأديانها توحدت وأصبحت دولة ذات كيان محترم حتى استطاعت أن تصل إلى صنع القنبلة الذرية.

ونحن الذين نزل فينا خاتم الوحي الإلهي... ومنا أرسل الله خاتم رسله سيدنا محمداً ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ الذي جعله الله جل جلاله أسوة الإنسانية الأعظم إلى البر والتقوى والتواد. والتراحم. فليس عجيباً ولا بدعاً إن أقمنا لأنفسنا دولة الإمارات العربية المتحدة.

أليس لنا تاريخ نفاخر به ونعتز، أليس لنا أفكار اجتماعية راقية مفروضة في وحي الله تدفعنا إلى الاتحاد على ضوئها، أليس العرب المسلمون الأول آباؤنا وأجدادنا أضاؤا الدنيا بأنوار وحي الله وهداه، وأقاموا قسطاس العدل لدى الأمم كافة.

إذن فاتحاد شعب الإمارات العربية الماجد شعب هذا الاقليم الأخضر في جزيرة العرب على أيدي شيوخه يباركه الله والحق والعلم والقلم، ويجب الحفاظ عليه بوعي شيوخه بإخلاصهم بإسلامهم بعروبتهم بتضحياتهم بكل طاقاتهم.

أجل يجب الحفاظ عليه وصيانته بكل ذلك.

.... وكل الدول الصديقة المحبة للسلام تعاونهم وتناصرهم من ظلم الطغاة في هذه الأرض....؟؟!

والتعاون والتناصر قائم بين الدول الصديقة المؤيدة للسلام، وفي الطليعة الدول الإسلامية والدول العربية وفي طليعة الطليعة الدولة السعودية، ودول الخليج كافة.

وهذا التناصر والتعاون كما هو مفروض اجتماعياً وتاريخياً وعلمياً واقتصادياً مفروض إسلامياً. والله جل جلاله يقول في وحيه المقدس:

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان..﴾ [٥ - ٢].

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: «الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

تعاون دول الخليج البار

١ ـ التعاون على البر والتقوى هو طاقة البناء المُجدِّدة، لكل حضارةٍ مِثَاليَّة راقيةٍ.

٢ ـ والتعاونُ على الإثم والعُدْوان هو طاقـةُ الْهدمِ المُجـرِمُ لكلِ حضارة مثاليَّة عالية وما رأيت تَعَاوناً خيراً في دُنيَا العرب والإسلام في عصرنَا المادي الحقودِ هذا: مَا رأيتُهُ في مجلسِ تعاونِ الخليج. إنه تَعاونٌ إنسانيٌّ كريمٌ، أُسُسُهُ وَقَواعِدُه ومواثيقهُ وأَسْبَابُهُ وحوافزُهُ ساميةٌ ساميةٌ، وراسخةٌ في أعماقِ أنفسِ الرعاةِ والرعيةِ لدَى كلِّ دولة خَليجيَّة...

... وحَسْبُهُ أنَهُ تعاوُنٌ تَحْزمُهُ وَشَائج القربىٰ والدمُ والتاريخُ وَالْمكانُ والزمانُ والعروبةُ والأصلُ الواحدُ والمصير المشتركَ...

بَلْ تَحْزُمُهُ فوقَ ذلك نصوصُ دستور الإسْلام المسطور في كتابِ اللهِ تعالى وسنَّةِ رسوله صلواتُ الله وسلامهُ عليه وَاجْماعُ أَئِمةِ سَلفِ هذه الأمة الإسلامية.

وأيُّ دُسْتورٍ أجلُّ من هذا الدستورِ: إنَّه محكمٌ في قَرارةِ أنفسِ الأَفْرادِ والْجَماعَاتِ المؤمنة وَإنَّ تَدفقَ أنوارهِ لَتَتَعالىٰ طافيةً متألِّقةً على أمواجه...

وإن حقائقَهُ لتَتَهادَى بِمَعَاطِفِهَا الْفضيَّة بينَ انْسكابِ النِّيرين على شَوَاطئِهِ الذهبيةِ في اللَّيْل والنهار. تَتَهادَى مُتحديةً بحقائِقِهَا على شواطئِه الزرقاء:

والعجَبُ أنَّ شُعـوبَ دُولِ الخليجِ السِّتْ رعـاةٌ ورعيـةٌ عَـربٌ أَقْحـاحٌ، ومسْلمونَ صَادِقُون، وفرسَانٌ بواسِـلُ وإنَّ دِماءَهم الجـارِيةَ في شـرايينِهْم بالأمسِ هي نفسُ دمائِهم الجاريةِ في شرايِنهِمْ اليوم وإنّ تَارِيخهمُ الماضي المجيدِ هو عينُ تاريخِهم الحالي: وهَا هِيَ الْمَصَالِحُ الْمشتركةُ التي تفرضُ الاجتماعَ اليومَ هِيَ نفسُها مَصَالحُ الأمْسِ وزيادَة. .والإسلام لا عَدو له. إنما العَدُّوُ هو الطغيان.

وها هـــو. . .

دُسْتُور وَحْي اللهِ المنزل بالأمسِ يَهْتفُ بهم اليوم: هُنَا عزةُ الوحدةِ والتفاهمِ ومَعَالِي الروح الإسلامي المثالي الذي يُحَرِّكُ الأفْرادَ والجماعاتِ لاشْرافِ الأمْجادِ الخالدةِ في كلِّ عَصْرٍ ومصر. .

وَهَا هِيَ اللغةُ العربيةُ الشَّريفةُ لغةُ الكتابِ المعجزِ المتحدي التي كانت لغَةَ الأمْس هي ذاتُها لغةُ اليومْ، وهم لا يَخْشَوْنَ الاختلافَ والْانْتِكاسِ في نِيَّاتِ تَعَاوِنهمُ المُدْعَمِ بعزائِم الأَعْمالِ لأنَّ نياتِ الْخَيرِ مُؤَيدةٌ مِنَ اللهِ وما يؤيـدُهُ اللهُ. . مُحالٌ أن تَـدْخلَه لعنةُ الْخِـلافِ والانتكاسِ لأنَّ الخـلاف والانتكاس لا يأتيانِ إلَّا من الشَّيْطانِ وأَعْوانِهِ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ. . . و. .

. . . وَسَاسَتُنا الذين أسسوا مَجْلسَ التَّعاونِ أَلْقوْا في مَسالكِ الشيطانِ وأنسْالِه من الجِنةِ والناس جلامدَ وصُخُوراً صَلْدةً مُدمِّرةً وأغْواراً سَحِيقـةً سَاحِقةً وعقباتٍ حَاجزةً قَاصِمةً من الآياتِ البَينَاتِ ومِنْ صِدْقِ عزائم أعمالها بِيقينِ الإيمانِ فِعْلَ آبَائِهِمْ مِنْ قبل.

وهكذا نَلمسُ أنَّ هذا التعاونَ الخليجيَّ الكبيرُ مُشَيَّدٌ في أصولِه وقَواعِدِهِ ومواثيقهِ وَبُطولاتِه وتضحياتِه وأمانيه واتِّجاهَاتِهِ على دُسْتور وحْيِ اللهِ اليقيني.

وَمَا سَمِعَ به خليجيٌّ وَاعٍ مُثقَّفٍ ثقافةً اجْتماعيةً عاليةً إلَّا وسارعَ إلى تأييدِهِ وحملَ رايةَ الدَّعوةِ إليه والإخلاصِ لَه وإعدادِ النفسِ للنهوضِ به إلى

مُثُلِهِ الإنسانيةِ الإسلاميةِ العُلْيا ولن تجدَ عربياً وَاحِداً مُواطناً فِي شُعُوبِ هذه الدولِ الخليجيةِ السِّت يستنكرُهُ أوْ يتحاملُ عليه.

. . . إنَّما يَفْعلُ ذلك الدُّخلاءُ الخونةُ الملاحدةُ وما لَهمْ من ظِل فيَ أوطان العروبةِ والإسلام.

وَلَا حَصَانَةَ ولا عَاصِمَ مِنْ أَلْسنةِ العُنْصريين السُّفهاء الذين يَمْقتونَ كلَّ خَيْرٍ يَنْهضُ بالإنسانيةِ إلى التفاهمِ والموداتِ وإلى التعايشِ وَرَدِّ الْحَقِّ بالْعدلِ. لكل مَسْلوبِ الْحقِّ بالظلم. .

وأقربُ مَثَلٍ مُصَّورٍ أقدِّمُهُ لسرعةِ تَلْبيةِ الرعيةِ في كلِّ دَوْلةٍ مِن الدُّولِ الخليجية السِّت التلبيـةَ بأَشْواقِهمْ ولَهفَات نُفُوسِهم وَهَواتِف قلوبِهم وأمانيهم مِنْ أجل تأمين مصيرهم. هُوَ سُرْعةُ اشتعال مصابيح الكهرباء في جامعةِ سِدْنِي في إستراليا بمجردِ اطْلاق مَاركوني إليها مِنْ إيْطاليا تَيَّارُهُ الكهربائي ولا ريبَ أنَّ الإسراعَ في تلبيةِ نِـداءِ الخيرِ هُـو مِنَ الْحِكمةِ فِي مَـطْلع فجرها. . أجل ذلكم مثلهم في إسراعهم في التلبيـة. .

وهلْ مِنْ خيْرٍ أَفْضَلَ مِنَ التَّعاونِ على تَهْذِيبِ النفوس وجمع الكلمةِ وتَوْحِيدِ الاتجاهاتِ والنهوضِ بالأفرادِ والجماعاتِ إلى أمنْ الْمثلِ الأعْلىٰ. وصيانةَ الحياةَ مِنْ مفاجئَاتِ الصَواعق.

هذا الإسْراعُ هو إسْراعٌ إلىٰ سعادةِ الحياةِ وإسراعٌ إلى نَيْلِ أمنْ الدنيا وأَمْنِ الآخرة فِي مُسْتقرِّ رحمته.

وإذا شَاقَكَ أن تفهَمَ مكانَةَ هذا المجلسِ التعاوني وما ينجمُ عنه مِنَ المنافع الجمة لشعوبِ الدُولِ الخليجية السِّت فتأملْ في النـواحي التي تُومِيء إليها كلمةُ صَاحبِ السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد الأمين إذ يقول: «إنَّ تأسِيسَ مَجْلسِ التعاونِ الخليجي يأتي مُنْسجماً

مع عزْم الدُّولِ الأعضاء على التنسيقِ والتكاملِ والترابطِ بين هذه الدول في جميع الميادين وهو خُطْوةٌ ليستْ تكتّلاً وليستْ مِحْوراً، وليست موجهةً ضد أحد. . . إنما هي خُطْوةٌ صادِقةٌ إلى خير هذه الدُّول وشعوبِهَا وإلىٰ تحْقِيقِ أقْصىٰ مَا يُمكنْ تَحقيقُه مِنَ التَّقدِمِ والْمُتْعةِ والاسْتقرار لهذه الدولِ التي تَرْتَبطُ بعلاقاتٍ خاصة ولها سِمَاتٌ مشتركةٌ وأنظمةٌ متشابهة.

وفي النهايةِ تذكر كلمةَ ولي العهد الأمين إنَّ الخططَ العمليةَ القائمة. . خيرٌ مِنَ سِمَاتٍ قَدْلاتوجدإلا علىٰ الورق. . .

وفي النهاية تذكر كلمةَ ولي العهد الأمين جلالة الملك فَهْد رعاه الله إنَّ الخططَ العمليةَ القائمة. . خيرٌ مِنَ سِمَاتٍ قَدْ لا توجد إلا علىٰ الورق. .

نـداء قـادة دول الخليج العرب
الــى التعــاون

نادى قادة دول الخليج أفراد شعوبهم إلى التعاون المثمر النافع. نادوهم باسم وحي الله والحق والإيمان.

نادوهم وهم مدركون أن نداءهم له مجد الخلود والخير. ولم لاوهو نداء العلم والإنسانية الراقية والرحمة وسعادة التفاهم والإنقاذ من المهالك.

بل هو نداء الحياة بكل معاني الحياة، بكلٍّ مثلها العليا التي أوحاها الله وَبِكلِّ عزتها وكَرامتِها وبكلٍّ وَعْيِهَا وأَمْنَها.

وكم كانتْ تلبيةُ أفرادِ شعوب الدول الخليجية الست ذات أشواق ومَشاعرَ إجتماعية راقية إنها عَجبٌ من العجب... هؤلاء هُم.

ازدانت نفوسهم بأفراح الأماني الحسان وإتقدت سواعدهم بـالعزائم. ونهضوا متعاونين لبناء الأمجاد.. وناشطين لربط الأسباب بالأسباب. وارتفعت أيديهم ملوحة بالأعلام في كل بقاع، والسنتهم بالأذان على منائر الإسلام..

أجل تقاسم كل أفراد الدول الخليجية الست عـلى حب العلم للخير والإعداد للأمن، والتدريب لصيانة التخوم..

وتقاسموا فوق ذلك على صدق المعاملة مع كل الشعوب، وكف الأذى وكف التآمر عن كل الناس. ومن أجل ذلك محال أن يكون مجلس التعاون

الخليجي غير باعث عدل وغير مصدر بر، وغير باعث مودة إيمان وهداية. ومحال بالتالي أن يكون مصدر اضرار بأحد..

وهو خال من سوء النية وحقد العنصرية ومن تآمرها بالشعوب وخال من تمزيق الكلمة ومن فوضى الغباء، ومن إفساد الجهل ومن إعلان الارجاف الموقوت وغير الموقوت.

وقل ما شئت أن تقول إنَّ مجلس التعاون الخليجي منار، إنه فخر، إنه حكمة، إنه بعد نظر، إنه قبس من نور وحي الله. انه إيمان وحق وعدل وإنسانية..

ولا يمقته، ويندد به ويتحامل عليه إلا خبيث الطوية عنصري الفكرة، تافه العقيدة ملحد ظاهِرُهُ يلقاك بالبشر، وَبَاطِنُهُ أذى الضغينة المجرمة، ولعنة أفعالها الهدامة الخفية والظاهرة. والخفية أدهى وامر..

ومهما يكن من شرور العنصرية المجرمة ودسائسها الممقوتة على أية حال فإن تعاون الأخوة الأحباب ساسة دول الخليج العرب. لن يكون دعمه مبنياً على مؤتمرات أو قصاصات اوراق. وإنما على نصوص وحي الله الذي لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل.

ولن يكون من ثماره إلا الخير للإنسان والإنسانية وكم من قصاصات أوراق اشتملت على أوثق مواثيق البشر. طرحت طعمة لنيران غدر الغادرين كالعصف المأكول كما صرح بذلك ولي عهد المملكة العربية السعودية.

يكفي يكفي ساستنا الكرام. ما هو مسطور فطرة في نفوسهم من الوفاء بالعهود. ويقين العلم بأقدار التعاون المشترك المبني على يقين مصلحة الجميع. وَمِثلُ هذا اليقين لا يهدمه ريب الْمُرِيبين المشبوهين أعداء المصلحة الأكيدة. لهذه الدول الست..

ويكفيهم إلى جانب ذلك أن هذا التعاون المشترك فيه دعم وحدة هذه المنطقة وأمنها في المستقبلين القريب والبعيد المصانـين من بغي البغاة ومن مفاجئات كواسر الوحوش المفترسة الظالمة.

ودعم أمن المنطقة كائن بإذن الله، فهؤلاء قادتها جادون في بذْلِ كلٍّ طاقاتهم المادية والمعنوية من أجل الوقاية وشد عرى التماسك الإجتماعي بشد عرى المصالح الأساسية ومفادات أنفسهم لحفظ أنفسهم. ودعم شوكة بعضهم لبعض للذود عن أمن بلادهم.

وإذا كان نبي الله موسى عليه السلام ضرع إلى ربه أن يجعل له أخاه هارون وزيراً لكي يعينه في جمع كلمـة أمته ونجـاتهم من بَطْشِ فـرعون وأعوانه. فكم بالحري أن يتعاون الأخوة ساسة دول الخليج في صيانة دولهم وشعوبهم وحفظهم وحفظ ما أغدق الله عليهم من النعم.

أرأيتم إذا كانت هناك أسرة ممزقة. يجهل أفرادها أقدار الترابط والتعاون المشترك فإنكم تدركون حالاً أن أفرادها تافهون. صغار النفوس بلهاء. لا خبرة لهم ولا دراية لهم بمفاجآت الأحداث والأهوال.

ونحن في عصـر فطنت الأمم والشعـوب إلى منافـع التعاون المشتـرك والتفاهم الإجتماعي. وطرح بواعث التنازع التقليدي تحت الأقدام.

ألا ترى الدول الأوروبية نهضت تجمع صفوفها وتوحد كلمتها وقايـة لنفسها من مباغات الأحداث. بعد ذلك التاريخ الأسود الوحشي الحقود..

وها هي الشيوعية الملحدة الحمراء تتربص بالأمم وتمزقها شر ممزق وتقتل فيها روح التعاون وتبادل المَنَافع والتنافس الخيرالحكيم. وتشب حريق الأحقاد بين الطبقات وتوقد نيران الحروب الأهلية بينها وتعمل لهدم كل تعاون إيماني بالدس والوقيعة والأجاف.

وكم نددوا ويندّدون بمجلس التعاون القائم بين دول الخليج الست وكم أعلنوا ويعلنون أنه خطر على الدنيا. ومتى كان اجتماع أمة وتعاونها خطراً على الناس..

ها هي دولة الصين الشيوعية التي تعد بمئات الملايين. وتملك كل القوى الحربية الحديثة حتى قنابل الذرة والهيدروجين وهي لا تنفك عن الإعداد الخفي والظاهر ومع ذلك لم يقل أحد أنها خطر على العالم.

وإذا كان الواقع يصرخ في ضمائرنا ويتقد في أفكارنا، ويرينا الجماعات الكبرى ذات اللغات المختلفة والجنسيات المختلفة والأديان المختلفة.. مجتمعين ومتفاهمين ومكونين دولاً كبرى كالولايات المتحدة والهند وسواها وما ارتاب أحد فيهم وهم يعدون بمئات الملايين فهل في تعاون دول الخليج ما يريب وهم لم يبلغوا مئة مليون..

على أن تعاونهم تعاون بر وتقوى وليس تعاون إثم وعدوان. وهذا هو التعاون الذي فرضه الله في وحيه المعجز المتحدي. المنصوص عليه. **﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** [٥ - ٢].

والعادة أن النهي عن مفهوم المخالفة. داخل في فحوى الأمر. إذ محال أن يتحقق الأمر إلا بِتَحَقُّقِ مفهوم المخالفة، لا يأتي النص بالنهي إلا في الأمور الهامة جداً جداً.

لذلك نجد مفهوم المخالفة مـــــراداً لتأكيد الإهتمام بالأمر. والحق أنه لا شيء في الدنيا أنفع للإنسانية، وأعظم ملة وأسمى قضية وأوثق مودة من التعاون على البـر والتقوى.

ولا ينقـد هذا التعـاون الإنساني السـامي لدى الأمم إلا العنصـريون المجرمون المندسون بينهم ولا أجـد شبيهاً لنقـدهم البشع الآثم إلا قصـة

اللصوص الفتاكون الذين كانوا يجاورون منزل جحا. إذ لما أحس جحا أنه شاخ ذهب إلى السوق وإبتاع عكازاً يتوكأ عليها فأخذ أولئك اللصوص الفتاكون يصرخون هنا وهنا ويندون بجحا. أنه ابتاع هراوة لكي يهددهم بها وزعموا أنه أصبح خطراً عليهم. وهم يبتاعون العدد الفتاكة ويحشون بها جيوبهم. ولا يرون في ذلك بأساً وهم اللصوص الفتاك.

وهذا هو صنع العنصرية المجرمة تخفي ما تخفي من العدد الجهنمية وتفتري ما تفتري على الدول الضعيفة. وتلقي الضوء الأحمر مكان الضوء الأخضر لتجعل المكان الآمن هو المكان الخطر. والمكان الخطر هو الآمن.

وهذا أشر ما يلقاه الإنسان من أخيه الإنسان ومن ظلمه وبهتانه وافكه ودسه وتآمره فما بالك إذا كان أخوك الإنسان لا يخاطب إلا غريزتك ولا يخاطب عقلك ويزين لك أن تنظر إلى ظواهر الأمور ببصرك ويصرفك عن النظر إلى بواطنها ببصيرتك.

ألا ترى أنه يخفي عنك مكايده وشَرورَهُ ودسائسه. إحذر إحذر.

ديوان نداء الخليج

تقدمة دول الخليج إلى العالمين العربي والإسلامي.

لو أن كل إنسان يحمل عقلاً معبراً كما يحمل رأساً. . لما صعد الإنسان إلى سطح القمر، وطوَّف ما طوَّف حِول الأنجم الزهر، وهو يحمل غرائز الغاب، وعاد إلى الأرض، وهو يحمل غرائز الغاب. . . !!.

وكان الأخلق به أن يغتسل بالأضواء المتفجرة هناك من ينابيعها السماوية الصافية، ويتطهر من كل خبائث الأرض: بدلاً من أن يهبط إليها ملوثاً، كما صعد ملوثاً.

وكم كان الأخلق به، وقد نعِم في غمار هاتيك الأضواء أن يقبس منها ما يستطيع أن يقبس، لكي يضيء الأنفس المظلمة هنا وهي ظَمْأى إلى النور.

فتبصر نور الإيمان الصحيح بالله الخالق العظيم من نافذة يقين العلم والعقل. . وبهما يستطيع حينئذ أن يميز بين ثمرتي حلاوة الإيمان الصحيح، ومرارةِ الإيمان الزائف.

١ ــ وثمرة الإيمان الصحيح، هي أن يكف البشر شرور بعضهم ضد بعض، ومؤامراتِ بعضهم ضد بعض. ويتعاطفون في ظاهر معاملاتهم وخفيها، حنان إخوة صدقٍ من أبوين كريمين. دونَ طَويَّةِ تَرصُّدٍ وحذر وبغي، ودون سياسة دس وفتك وتدمير.

وعسى أن يحققوا ذلك قبل أن يصدر حكم القدر العدل عليهم فيذهبُوا جميعاً ضحية تمردهم وأطماعهم وكبريائهم والحادهم.. أجل كان هذا الإيمان العلمي اليقيني الصحيح، في أسمى طموحاته يكفى لأَنْ ينهض البشر إلى مثلهم العليا، وأن يحقق إنسانية الإنسانية فيهم.. ولكن ما الحيلة وهـذا شاعر العرب الحكيم أحمد المتنبي يقول:

ليس كـل ما يتمنى المـرء يدركـه تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفن

٢ ــ ومهما يكن فثمرةُ الإيمان الزائف بالله الخالق العظيم، المغلف بمكر الإلحاد.. أهوالٌ، وإن أهواله لتزول منها الجبال، فما بالك بالبشر.. ولا وقاية منها إلا بهدى الإيمان العلمي الصحيح، وبفراسة يقظته الكاشفة خبـائث الأنفس المـريضة. وهـدى الإيمان العمـلي الصحيـح هـو عصمـة من الله ووعد..!! ووعد الله حق مؤكَّدٌ لرسله وللمؤمنين الملتزمين.

أنظر الآيات الآتية وتفكر وأعمل واحذر وتيقظ.

﴿وقد مكروا مكرهم وعنـد الله مكرهـم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ [١٤ ـ ٤٦].

﴿فلا تحسبنَّ الله مخلفُ وعدهِ رسله، إن الله عزيزٌ ذو انتقام﴾ [١٤ ـ ٤٧].

وقال تعالى: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** [٣٠ ـ ٤٧].

....*

هذه التوطئة الموجزة أجملتُ فيها الروح الإسلامية العربية العالية الماثلة في ديوان ـ نداء الخليج لشاعرنا العربي الصميم المفكر المرحوم سـالم بن علي العويس..

فما هي مِنيّ إنما هي قبس من ديوانه نداء الخليج. .

وإني أعرض بعض شواهده في كلمتي هذه ليلمس القاريء العربي الواعي قلبَ شاعِرنَا الحي الخافق بكل طموحاته يموج موجاً ملبياً وَداعياً.

وإني أود أن أقول - قبل رفع الستار وقبل عرض الشواهد - إن الله أمد شاعرنا الكبير - وهو صبي ناشيء في بلدة الحمرية بعالمين جليلين من علماء نجد: هما الشيخ عبد الصمد، والشيخ عبد الوهاب أبناء السيد عبد العزيز ابن عبد الله التميمي، فتتلمذ عليهما هو وجمهرة من الناشئة أنداده وقد أفاد شاعرنا منهما علوم العربية، والقرآن المجيد، وكلَّ ما كان يدرس في ذلك الزمان. .

وكان شاعرنا بحكم ذكائه المتوقد، وموهبة الشعر، - وهي برعمة - جعله الشيخان عريفاً على سائر التلامذة.

وهكذا رفت أعلام نبوغه الفطري، وهو في طليعة النشأة وغردت أطيارها بين أنداده الذين أحبوه عريفاً ومقدماً في الصف.

ذكر ذلك صديق نشأته الحميم الشيخ مبارك بن سيف الناخي.

وهدف الإضاءة في كلمتي هذه أن يشاهد القراء شاعرنا كيف أسَّسهُ الشيخان على الحب الصادق لدينه وعروبته ولغته، وعلى كريم الخلق وعلى دَعْوةِ أمته إلى الصعود الحضاري الكبير منذ نشأته المبكرة. .

وحبه للدعوة الإسلامية تلمسُهُ صارخاً في هدير أمواج الخليج. . !!.

وهو حُبٌّ مَبْنِي على اليقين العلمي الماثل في آيات الله البينات التي تقوى بقوة العلم، وتنفسحُ بإنفساح جامعاته، وتنطلق بإنطلاق العقل، وإنفكاكِهِ مِن أغلال التقاليد، والوراثات الضيقة، ونزوات العنصرية الشاعلة الباغية والتربيات الملتوية الدساسة الحاقدة، ودفقات الأثرة ومطامعها التي تُسَيْطرُ على

المجموعة النفسية.. والعلم وحده لايكفي للإنقاذ والإنتصار إذا لم ينكشف واقع يقينه في أمر من الأمور، وإذا لم تكن قيادة المجموعة النفسية للعقل الحر المفكر.. لا للغريزة ولا للعاطفة..!!.

هذا اليقينُ العلمي الصارخ في الدين الإسلامي وفي آياته المعجزات المتحديات هو الذي يجعل أولي العلم والعقل يؤمنون به ويزدادون إيماناً، كلما كثر الملحدون الذين يؤمنون بأقوال سخفاء البشر المتمردين باسم العلم اليقيني.. وباسم الفكر الكشاف البحاثة الطلعة الرائد وباسم التجديد والابتكار.

وهذا هو الذي جعل شاعرنا النابغة سالم بن علي العويس يُدوِّي في ندائه دويَّ الرعد القاصف بقوله في فاتحة ديوانه:

الله أكبر ليس فيه مِراءُ ... فالكونُ حمدٌ كلُّه وثناءُ
الدينُ بين يديك أكبر رتبة ... فالطفْ بعبدك إنه خطّاءُ

وفي هذه القصيدة أفهمنا أن سبب الأهوال التي نزلت على العرب والمسلمين في أوطانهم هي بصنع الملاحدة العنصريين، وتسربهم بين صفوفهم، بأسماء إسلامية مستعارة، وبدسهم بينهم الأحقاد والتقاطع والمؤامرات والتخلف وإشعال النزوات الحيوانية والأدهى والأمر أنهم وَسْوَسُوا لهم أن اللوم يقع - على كتاب الله المعصوم - وهذا كيد عظيم. لأن اللومَ يقع على رؤوس المسلمين أنفسِهم، لإختلافهم وبعد أعمالهم عن توجيهاته. اسمعه ينادي بوعي الإيمان العلمي، لا بزخرف القول الذي لا يحرك ريشة في الهواء:

يا رب لم تظلم عبادك إنهم ... قد خالفوا والواقعاتُ قضاءُ
أحْسنت للكونِ الكبير دليلَهُ ... والمنتمون إلى الدليل أساءُوا
فاللومُ كل اللوم فوق رؤوسهم ... وكتابك المعصوم منه براءُ

وفي نهاية هذه القصيدة يصف لك حقيقة المسلمين الحاليين، وحقيقة المسلمين الأول:

المسلمــون الأوّلــونَ كــلامُهــم وقُـلوبُـهـم لـلعــالـمـيـنَ ســواء
والمسلمــون الآخـرون ظــواهـرٌ مـكــذوبــةٌ وضمــائــرٌ لـكْعــاءُ

وانظرْ بعمق بصيرتك في القصيدة التالية:

«القوي والضعيف» تجدها تكشف لك حقيقتين متنافرتين: الأولى واقع الإنسان الملحد. وفي نظر الملحد كلُّ القيم الإنسانية ومثلها العليا التي مجدها العلماء والمفكرون عبر الأجيال.. لا تقوم عندَهُ مقام بدرةٍ واحدةٍ من الذهب.

وأيُّ الحادٍ أكبرْ ممَنْ يعتبر الإيمان بوجود الله رب العالمين، والوحي المنزل على رسله الكرام، وعوالم الطاقات الروحية العاقلة من أرواح وملائكة وجن لا تعدل بدرة الذهب تُدْرك بأية وسيلة..!

وفي كل ذلك يقول:

وأهــلُ العالِم الـغــربيِّ كــادُوا بـنــورِ الـعـلم يجلون المــرائـي
ولكن كيف هــذا العلمُ جــافَ لِبــاسَ البرِّ مصــدوقَ الثّنــاءِ
«همُ» كفـروا بـرب النــاس ربـاً وصــدوا النفــوسَ عـن الجـزاء
وجــاءوا كـل مــوبقة وقــالُــوا مصـيُر الكــون فــانٍ بــالفنــاء
ومــا اعتبـروا المــروءة غَـير غبْنٍ يجَيءُ بهـا الضعـافُ من الإمــاءِ
وكــل وسـيــلة أمــرٌ مــبــاحٌ إذا كــانــت لإدراك الـثــراءِ
ونـقضُ العـهْــد والميثــاق أمــرٌ يُــبــلْورُ في رؤوس الأقــويــاءِ
يُهــوديــون مــن قــاصٍ ودانٍ ومــا وعـدوهُ ليس بــذي خفـاءِ

الثانية حقيقة الإنسان المؤمن:

وهو إنسانٌ يؤمنُ بالله وملائكتِه وكتبه ورسله وباليوم الآخـر، ويؤمن بخاتم الوحي الإلهي أنهُ معجزة المعجزات الخالدة المتحدية وأن سيدنا محمداً خاتم رسل الله، وأن الله أرسله رحمة للعالمين وأنه هو الداعي لإنقاذ البشر من ويلات الشرك والوثنية والإلحاد ومن مهالـك المادة الصماء في كل ألـوانها وأشكالها..

وأن كل ما سنّه للناس من سنن هي الخير كل الخير للإنسانية كافة، والصلة الفذة للمودة النزيهة بينهم، والثقة الطيبة السامية، وأن هذه الدعوة من الله جلّ جلاله لعباده، ولا بد أن تدخل على كل ما دخل عليه الليل، وأنها إذا صعد العلم إلى أعلى قممه عندئذ يؤمنون بها كلُّهم وهي الآن مفتقرة إلى علماء أعلام يُصفُّونها من كل زيف دخلها.. وفي ذلك يقول:

هـو الإسـلامُ في الـدنيا إمـامٌ	ولـكـن لم يـروْهُ مـن العماءِ
ألا لـوْ عُـلّمَ الإسـلام فـيهـم	لأكْبـرتَ المشيـد من الـبنـاءِ
دَعـا سُبَلَ الـطبيعـةِ فـاسْتجـابتْ	وملّكهـا الـرِّجـال مـع النسـاءِ
وأنت انـظرْ معي وانصفْ ودلّـل	ولـيس هُـنـا مجـالٌ لـلْمِـراءِ
ومـا سُنن الـطبيعـةِ بـاللواتي	تُـغـالي أو تحـّابي أو تُـرائـي
أحـل الله فـيهـا كـل خـيرٍ	فـجـادت بـالمحبـة والإخـاءِ

والديوان حافل بهـذه المعاني الـرائعة والإنصـافُ عدْلٌ، وبخسُ الحق ظلم..

وتبين لي بعد دراسة ديوان نداء الخليج مراراً أنه عقودٌ من أنجم القريض الخالد، ينتظم كنوزاً من الحكمة العالية، والفكر الملهم وأصالة العـروبة، ومودة الإيمان، وطموح البطولـة، ودعوة الحق، ووحـدة الكلمة، وتكـريم الإنسانية.

ولو كنتُ أملك وقتي لبسطت كل ذلك في سفر، ولكن المشاغل هي التي أرغمتني على أن أقتصر على هذا الإيجاز..

وإلا كان مقتضى البحث أن يستغرق سِفْراً كاملاً.. لا كلمة مختصـــرة.

وحسبك أن تعلم أن شاعرنا المفكر الطُّلعة، كان قلبه يتفجر حناناً على الجزيرة، وعلى أهلها ومدنها وقراها وبواديها. وأنه كان يعمل جاهداً، لتعود كلها ﴿إرمَ ذات العمادِ التي لم يخلقْ مثلُها في البلاد﴾..!.

وهذه ممكنٌ وسَهْلٌ إذا تعاون أهلها بأشق الجهود على السراء والضراء تعاون أعضاء الجسد الواحد، بكل بواعث الإخلاص العملي العبقري.

ناهيك، وبذلك تَتحقَّقُ سلامةُ جزيرتهم من التصدع والإنهيار مُتَعَاهديـن على الذود عنها وعلى بناءِ الأمجاد..!!.

ولا ذخر بعد مبرات القربى إلى الله عز وجل، أعظم عائدة وأكبر فائدة من توحيد الكلمة، ولم الشعث، وضم المواطنين إلى المواطنين دون تمايز، وشد الصفوف بكل مودات القلوب..

ووحدة الجزيرة هي أغرودة أغنياته، وطموحُ طموحات العبقرية وكم أكبر شاعرُنا عمل الملك عبـــد العزيز، حيث كرس كلَّ بطولاته ومغامراته من أجل وحدة الجزيرة وأمنها، حتى لقبه جيله بحق صقر الجزيرة..

والحياةُ كل الحياة ماثلة في وحدة الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها.. هي هدف أبنائها الأصلاء، هي طموح أمانيهم وأعمالهم، هي العطاء والأخذ والشمس والقمر، هي كل شيء.

ولا يجافي وحدة الجزيرة، ويمقت تآلف زعمائها وتماسكهم إلا كلُّ دسّاسٍ

زنيم معتد أثيم، يتاجر باسمها، ويترصد لأهلها البوائق والدواهي والفتن والمحن والتمزق ثم الموت الأبدي. .

وإني الفيتُ شعائر كل ذلكَ جمراتٍ من حماسةِ مودةِ الجزيرة وأهلها، تستطير في صدره رُوحاً حَيّةً، وفي لسانه بياناً عذباً يسيل عواطف سامية، ويحلِّق أفراحاً حالمة هازجة. .

أجل ذلك لسان شعره الطروب يوم تحقق توحيد الكلمة على يد الملك عبد العزيز آل سعود، في الحرمين الشريفين، ويوم أقام قسطاسَ عدْل الإسلام وأمنِه، وأظلَّ فيافي الجزيرة ومدنها وأريافها بظلال عدل الإسلام وأمنه. .

وفي هذا اليوم العظيم الذي أرقصت الأفراحُ قلوب أبناء الجزيرة تغَنى شاعرُنا النابغة سالم بن علي العويس أغنية المجد والخلد، وباركه بقصيدة عصْماء، تنبضُ حياة وتفيض مودة وسمواً وإكباراً لبطل الجزيرة وصقرها العظيم وموحدها.

والحديث عن هذه القصيدة يفتقر إلى كلمة أوسع من هذه الكلمة، لأنها تحمل روح مودة أبناء الخليج وإكبارهم للملك عبد العزيز مُوَحِّد الجزيرة. . والتحليق إلى ذلك يفتقر إلى براعةٍ مُلْهمةٍ، ورفرف عبقري على شرفة من الخلد. .

ويكفي أن تعلم أن شاعرنا الفذ هو صاحب البيت المشهور الجاري على ألسنة أبناء الجزيرة وهو:

كنا نُعاني بالتفرق مأزقاً   واليوم لانَ لنَا، وهان شديدهُ

ويقصد باليوم يوم فتح مكة. . والبيتُ من قصيدة التهنئة وهي ضافية. .

وإنا نرجو لهذا الديوان الخليجي العظيم أن يكون بما تضمَّنه من حكمة وإسلام وعروبة وصدق مؤثراً في كل قلب عربي أصيل ومسلم صادق الإيمان.

والنهايةُ أن السعودية هي الخليج، والخليج هو السعودية، فما بين أبناء الجزيرة من تفاوت إنما التفاوتُ في رؤوس الحمقى المهاويس الذين لا يميِّزون بين قوة تماسك الكلمة لحفظ مصيرهم أحياء بها. وبين تمزيق الكلمة وإنقراضهم وزوالهم بسببها..

ولا يفوتنا في هذا الموقف أن نتذكر أن يد الله مع الجماعة؟!.. وعليها. وهل فوق يد الله من يد ؟!. لا لا..



المَوضُوعَاتُ



الموضوعــات

الكلمــات

تابع «الموضوعات»

الشمس الغاربة

هي قصةٌ شعريةٌ لشاعرِ المملكةِ العربيةِ السعودية السيد محمد حسن فقي صَوَّرها في مقاطعَ أخاذةٍ خالدة تناولتْ أمجادَ الملكَ العظيم وفجيعة الشعب بفقده..

المقطــع الأول

١ ــ كانت ليلة ليلاء ساهدة على أبناء الشعب السعودي الوفي.

٢ ــ وكانت فاجعة مفجعة نزلت فجأة بالقلوب الْوامقـةِ، وَهْي تُعِدُّ نفسَها لفرحةِ طُلوعِ الشمس فإذا هـي تُصْعَقُ لغروبِهَــا..

فكانَ ما كانَ من صَخبِ جماهير الشعبِ وزلزلـةِ نفوسِهم وزحـزحةِ قُلوبِهمْ لأَنَّ مكانةَ مليكِنا مُدَعَّمةٌ في أعمقِ أعماقِهَا بصدقِ الموداتِ وفداءِ التضحياتِ وتلبية النِّداءات.

وحاولتُ أن أصور ضجةَ المشاعِر، وعُرامَ النازلةِ لدى إذاعةِ نَبأ الفاجعةِ فَعَييتُ بالْبَكَمِ وبدتْ حيالي الصورةُ الحزينةُ التي نَعىٰ بِها أحمد شوقي الزعيمَ المصري سعد زغلول لما لَبَّى نداءَ رَبهِ:

شَيَّعُـوا الشمسَ ومالُـوا بِضُحاهَـا　　وانْحنَى الشـرقُ عليهـا فبكــاهَـا

وإذا فاجعتنا بمليكِنَا المحبوبِ تَطْغىٰ طغيانَها الفاجعَ بينَ عينيَّ وتحجبُ عني كلَّ فجائِع التاريخ ومآسِيها...

وإذا أنا أشاهدُ عاصمَتنا الماجدةَ الرياضَ والجامَع الكبيرَ والأسـواقَ والميادينَ على سَعَتِهَا توشكُ أَنْ تتمزَّقَ مِنْ زحامِ الفاجعةِ، والجماهيرُ كأنَّها لُجَجُ المحيطِ تصطَخِب اصطخـابهـا مِنْ وقْعِ عواصِفِ المأساةِ والمدامعُ تفيضُ حرَّى مِنْ أعماقِ الْقلُوبِ صارخةً إشْفاقاً . .

وفي هذه اللحظةِ الآيسةِ والدنيا بأسرِها كئيبةٌ على غُروبِ شَمْسِها النديَّةِ وهي تحاولَ أَنْ تُمْسِكَهَا حُنُوًّا وإجْلالاً والشفقُ المذابُ يَتقطَّرُ على أذْيالِ السُّحب، وأبوابُ السماءِ تَتفتَّحُ بأضواء وزيناتٍ ليس كمثِلهَا الأضواءُ والزيناتُ وتتلقَّاهَا مِنْ أَيْدي الْجَماهِيرِ الحانيةِ الباكيـةِ روضةُ الخُلْدِ بِنَفَحـاتِ طِيبِهَا وضَمائِمِ ورودِهَا: وَتَضُمُّها إلى صَدْرِهَا ضمةَ الأمِّ الـرؤوم لِتُطْلِعَهـا فِي آخرتِهَا رحمةً وحناناً لَدَى رَبِّها كَمَطْلِعِها في أولاَهَا بِرًّا وَتُقىً وصدق الله العظيمُ: ﴿يا أيتُها النفسُ المطمئنةُ ارْجعِي إلى رَبِّكِ راضيةً مرضيةً﴾ [٨٩ - ٢٧و٢٨].

وفي هذِهِ اللَّحظةِ الخاشعَةِ الحزينةِ بدَا كبيرُ شُعراءِ المملكةِ العربيةِ السيد محمد حسن فقي وإنْسَانا عيْنَيْهِ شَاخِصَتانِ إلى الشمسِ الغاربةِ الطَّالعةِ فِي رَوْضةِ الجنَّة فينادِي نداءَ الطَّليعةِ والجماهيرُ لمَّـا تزلْ مُحْتشـدةً والشمسُ مُجَلَّلة ببطُولاتِ الإسلامِ والعروبةِ وتوشك.

يا مليكي . . في جَنَّةِ الخُلْدِ أمْسيْـ ـتَ . . وقد كنتَ بيْنَنا في المحَاجِرْ!
كلُّ قلبٍ يضجُّ بالحُبِّ والحَمْـ ـدِ . . ويطْوي على الوَلاءِ الضَّمائرْ!
مـا رأىٰ منْك غيـرَ وَفْرٍ من البـرِّ. وغيرَ اتِّقـاءِ هَوْلِ الفَـواقِـرْ!
كنتَ مِلْءَ القلوبِ ـ يا أيّها الرَّا حِلُ عَنَّا ـ وكنتَ ملْءَ الخَواطِـرْ!
كنتَ يـا رائعَ الخِـلالِ لأبْنا ئك . . أحْلىٰ المُنَى وأغْلىٰ الذَّخائرْ!
حينمـا قيل إنَّنـا سوف نَلْقـا كَ وشِيكاً . . هلَّتْ علينا البشائرْ!
لم نكُنْ نحْسَبُ الخُلودَ سَيلْقا كَ . . فتلْقى به الجِنانَ النَّواضِرْ!

وصِعِقْنـا لمَّـا نُعِيتَ إليْنـا   واصْطبرنْا ـ بَـرِغْمنا ـ للمَقـادِرْ!
ما أشَدَّ الفراقَ وقْعاً على النّفْـ   ـس.. ولا سِيَّما فراقَ المصائرْ!
أيُّ نارٍ تُصْلِي القُلوبَ إذا را   حَ عظيمٌ عنْها.. وتُشْقِي المشاعِرْ؟!

المقطـــع الثـاني

ونظر الشاعرُ ثانيةً إلى دُنيَا المليكِ المحبوب وهو يتقلَّبُ في زِينةِ الحياةِ بينَ العشائِرِ التي تَفْتديه بالأرواح وهو يروحُ ويَغْدُو بينَهم في مَضاربهم كريماً مُحبَّباً وطاهراً نقيًّا مُجانباً لِلصَّغائِرِ كأنه المُزْنةُ الصَّافيةُ السكوبُ وهو مبتهلٌ مُراقبُ ربَّه،يجودُ جوادَ الكريمِ ،وأبْناءُ الشَّعْبِ ما بينَ آملٍ ودَاعٍ وشاكرٍ.

وهَذا تَلْمَحُهُ العيونُ الساجيةُ في المقاصِـر مُبتهلاتٍ والضيـاغمُ الفرسانُ في مَيادين الانتصار وتشاهدُ الرشدَ في مَلامِحه يغدقُ على الجماهيرِ دموعَ الأفراح المَواطِر،إسْمعه إذ يقول:

يـا أبـا بَنْـدَرٍ ومـا كـان أنْـدا   كَ وأَغْـلاكَ بين كـلِّ العَشـائِـرْ!
مُخْبِتـاً لـلإلـهِ تَـرْتقبُ العُقْـ   ـبى.. تقِيًّا.. مُجانباً للصَّغائـرْ!
ما سمِعْنا منـذ ارْتقَيْتَ إلى العَرْ   ش.. سِوى آمِلٍ وداعٍ وشاكِرْ!
يَلْمـحُ الـرُّشْـدَ في مـلامِحِـكَ الغُـرِّ.. فَيَشْـدُوا بمـا رأَتْـهُ النَّـواظِـرْ!

في هذا المقطع يتجلَّى قول الله جلَّ جلالهُ: **﴿إنَّ الله مع الذينَ اتَّقوْا والذين هُمْ مُحْسِنُون﴾** [١٦ ـ ١٢٨]. فَمليْكنَا المحبُوب كان على جَانبٍ كبيرٍ مِنَ التقْوَى والإحْسَانِ، والإحسانُ كما عرَّفه رسولُ الله ﷺ «أنْ تعبدَ اللهَ كأنك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراه فإنَّه يَراك».

وعلى قواعِدِ هذا الإحسانِ وأصـوله وفـروعِهِ شَيَّـدَ المملَكةَ العـربيةَ السعوديةَ صقرُ الجزيرةِ العربية العظيم الملكُ عبدُ العزيز آل سعود...

وعلى هذا الشأنِ التزمَ أبناءُ أُسْرتِه تصريفَ سياسةِ المملكةِ فِيمَا أَخذُوا بِهِ وفيما تركُوا منه وهو عروةُ اللهِ الوُثْقىٰ وعروةُ اللهِ الوثقىٰ لا انْفصامَ لها أبداً أبداً بإذن الله، وقصةُ أَعْمالِ الْمَملَكةِ على رأسِ الألفين قصصتُها فِي نَادي مكةَ الثقافي الأدبي، يوْمَ احتفل بالكتابْ. . .

وفي كلٍّ ذلك يقولُ شاعُرنَا السيد محمد حسن فقي:

أيُّ مَجـدٍ أصَبتُـهُ بـالتـقىٰ الآ	مِلِ في اللهِ.. والخِلالِ العواطِر؟!
كـل عين تبكيـك حـزنـاً وتستمـ	ـطـر من ربها عليك المواطـر!
ليس في الـرَّبْع كلِّهِ غيـرُ مَفْؤُو	دٍ. جَوًى.. من ضَياغِمٍ وجآذِرْ!
عشْتَ مـا بين حكْمـةٍ وَرَشـادٍ	جَعَلا الموتَ روْضةً في المقابرْ!

المقطـع الـرابـع

وكان ما أخذه الموتُ مِنْهُ ثَراءً ضخماً: فِيهِ كلُّ الهُدَى وكلُّ المفاخرْ. وكم هُمُ الأمواتُ الذينَ لَا يَجدُ الموتُ لديهمْ غيرَ أَجْسادِهِم وغيرَ أكفانِهَا الصفراء وإنْ كانُوا في دُنْياهُمْ أثرياءَ أثـرياءَ ولكنْ مـا أفْقرَهُمْ في عَـالِم الأَمُواتِ. وَمَا يَأخذُ الموتُ من الغني الفقير غير الفقر.

أجلْ ما أكثرَ الأثرياء المعدمينَ في عَالِمَ الأمْوات.

رحم الله مَنْ تـولَّى وقـدْ كـانَ	جِمَاعَ الْهُـدَى جِمَاعَ المفـاخِـرْ
رُبَّ ميْتٍ لمْ يـأخذِ المـوتُ منهُ	غيـرَ جُثْمـانِـهِ وغيـرَ المـآزرْ

المقطع الخـامـس

وكم كانَتْ رَائعةً وأخَّاذةً ومطمئنةً الصورةُ التي عرضَهَا حولَ المليك الهُمَام الملهم فهد بن عبد العزيز أيَّدهُ اللهُ.

قلْ لِي بربِّكَ هَلْ رأيتَ ملكاً وُلِيِّ الملكَ بموداتِ القلوبِ وأشـواقِ

النفوس والتماعِ الأفكار إنْ لم تَر في هذا العصرِ فَهلُم إلى بلادِنَا وانْظرْ إلىٰ القلوبِ التي رفعتِ المليكَ الحبيب فهد بن عبد العزيز إلى عرشها.

ولماذا لا يكونُ ذلك وقدْ عرفَه أبناءُ الشَّعْبِ السعودي مَناراً عالياً من الحكمةِ وثراءً بالفكرِ وبعدِ النظر في دِقَّةِ إدارةِ الأمُورِ، وعرفه بطلاً مقتحماً سَديدَ الخُطَا في السِّلمِ والحرب وعرفَهُ عَضُداً للمليك، وسياسياً عملاقاً في تخليصِ عُقَدِ الأمور بالبصيرة والعزم والحزم.

وَمَا أعظَمُ الإخوةَ حينَ يكونونَ أعضاداً بعضهُمْ لبَعْضٍ كَحَلَقةٍ مِنْ أَمْجادِ الخُلود تَظَلُّ قويَّةً صلبة على مدَى تَقَلُّبِ الحِقَب،، ما دامَ مَنْ تولَّى منهُم الأمرَ أو لم يَتولَّ منهمْ يبذُلُ كلَّ طاقاتِه لتثبتِ الأمرِ والْحِفَاظِ عليه: والأمرُ مِنْهُ وإليه فِي كلا الحالين، هذه الحقيقة مثلَّها الشاعرُ أروعَ تَمْثيلٍ بِقَولِه:

وتولَّىٰ بالفَضْلِ من جاءَ من بَعْـ	ـدُ. مناراً تَهْفُو إليه المنائرْ!
عاش فينا مُسَدَّدَ الخَطْو في السِّلْـ	ـمِ. وفي الحَرْبِ واقْتحامِ المخاطرِ!
عَضُداً للمَليكِ. أرْوعَ ميمو	ناً. بليغَ البيانَ فَخْرَ المنابرْ!
لم يكنْ بالبعيد عن سُدَّةِ العَرْ	شِ.. ولكنَّه القريبُ المؤازرْ!
سدَّدَ اللهُ خطْوَهُ ورعاهُ	بهُداه.. أَوائلاً وأواخِرْ!

المقطع السادس

فلسطينُ بلدُ القبلة الأولَى بَلدُ الإسراء والمعراج بلدُ كنيسةِ القيامة، والْمَسْجدِ الأقصى اللذين هما لدى المسيحيين والمسلمين مناراً هَواتِفِ نُفوسِهم ومَوداتِ قلوبهم البلد الذي يدرُ عَسلاً ولبناً.

ويرى عودتَها إلى أحضان العروبة أمرٌ محتومٌ فِي لَوح الأقدار وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ والدنيا دُولٌ وللهِ في كلِّ يَوْمٍ شأنٌ ولا يُشْغلهُ شأنٌ عن شأنٍ لا يضلُّ ربي ولا يَنْسَى لا بد من عدل يوم يرتد فيه السلاح:

يــا رُبــوعــاً تـضـمُّ كَــلَّ أَبــيٍّ عربيٍّ.. يا طِيبَ هذي العناصِرْ!
لا تُبـالي بالمـوْتِ إنْ مَسَّهـا الضَّيْمُ.. ولا تـرتضي بـذُلِّ الخسـائـرْ!
أجْمِعوا الرَّأيَ.. وحِّدُوا الصفَّ كيْما.. تَصِلُوا الماضيَ المجيدَ بحَاضِرْ!
واسْتعيدوا القدْسَ الشريفَ وردُّوا كيْد أعْدائكمْ. وصُونوا الحـرائرْ!
لِـفـلسْطينَ ذمَّــةٌ مــا نـراهــا غيـر مَحْمِيَّةٍ الصُّوىٰ والمعَابـرْ!
أتْركوا الخُلْفَ. فهـو داءٌ عُضالٌ إن تَفَشَّىٰ أرْخىٰ علينا الستائـرْ،
بــارَكتْــهُ اليهــودُ. ثم اسْتَغـلَّتْـهُ. فـدارتْ به علينـا الدوائـرْ!

....*

المقطــع الأخيــر

في هذا المقْطع تحسُّ العوالمَ قريبةً منكَ أو أنها مُنْطويةً في نَفْسِك ومنْ أجلِ ذلك تُحِسُّ أقربَ شيءٍ إليكَ رَبُّك الذي يُمْسِكَهُا ويُمْسِكُ عليـك روحَكَ التي بين جَنْبيكَ. ألَا له الخلق والْأمر.

وهو وحْدُه الذي يملكُ انقشاعَ ظُلْمِةِ الدّياجير بِفجْرِ الأمْلِ الـوضَّاح والنَّصْرِ المبين وهو وحْده الحافظُ لَما أَنْزلَ مِنْ وَحْيٍ على خاتِم رُسُلِ الله لِيُخرجَ الإنسانَ الكفَّار مِنْ ظَلامِ الإلْحادِ والعنصريةِ والأحقادِ إلى نورِ الإيمان والإنسانيةِ والموَدَّاتِ. ويجعلَ كلمةَ الإيمانِ والحقِّ هِيَ العُلْيَا وكلمةَ الإلحادِ والباطِلِ هي السفلى:

أَرِنَــا أيُّــهـا الإلَــهُ صَـبـاحــاً مُسْتَنِيـراً مِنْ بَعْدِ سُودِ الدَّيَـاجرْ
وَاحْـمِ فِينَـا عَـقِـيـدةً وَدِمَــاءً وَأَنِــرْنَــا دَخَـائِـلاً وَبَـصَـائِـرْ

واقسمُ بكلامِ الله وهو قَسمٌ حَقٌّ لولا أَنَّ شَعْبَ المملَكةِ العربيةِ السعودية حزبٌ واحدٌ بفضلِ الإيمانِ الصَّادِق بوحْيِ اللهِ لرأيتَه ألفَ حِزبٍ وَحزْبٍ وفي ذلك الطامةُ الكبرى نعوذُ باللهِ من ذلك.

ذكريات الخلود

هؤلاءِ مفكرُو الْعَالمِيْنِ الإِسْلامي والعربي كانُوا يُحِسُّونَ أن مُنطلقَ صرخةِ الدعوةِ إلى الاجْتماعِ والتفاهمِ مِنْ قلبِ الملك خالد لَها دورُهَا الخالد ولها صِدْقُهَا الصادقُ ولها أثرها البالغُ ولها دلائِلُها الساطعة في آيات اللهِ دستور دساتير الإنسانية العَالِي والملتزمة به المملكةُ العربيةُ السعوديةُ:

﴿واعْتصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً وَلَا تفرقُوا واذكرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ كنتُمْ أعداءً فألَّف بينَ قُلوبِكُمْ فأصْبحتُمْ بنعمتِهِ إخْواناً وكنتُمْ عَلى شَفَا حُفْرةِ مِنَ النَّارِ فأنقَذكمْ منها كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكُمْ آياتِهِ لعلكم تَهْتدون﴾ [٣ - ١٠٣].

هؤلاءِ مفكرو العالمينْ العربي والإسلامي كانُوا يُحِسُّون أَنَّهُ العربيُّ المسلمُ الداعية بكلِّ عزائِمه وبكلِّ طَاقَاتِهِ وبكلِّ حَمَاسَاتِ إيمانِه إلى إصْلاحِ ذَاتِ الْبين وتوحيدِ الكلمةِ التي هِيَ حَقِيقةُ دَعْوةِ الإيمانِ والتي هِيَ حَقيقةُ هدَى التزامِ الطَّاعةِ للهِ ورسُولِه وفي ذلك يقولُ اللهُ عز وجل:

﴿فَاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بينِكم وأَطِيعُوا اللهَ ورسولَه إنْ كُنْتُمْ مُؤمنين﴾ [٨ - ١].

وقال خاتمُ رُسُلِ اللهِ ﷺ في بَيانِ أَنَّ السعيَ لاصْلاحِ ذاتِ البين هو أفضلُ أَعمالِ الإيمان،قال رسولَ اللهِ ﷺ:

«ألاَ أُخبركُمْ بأفضلَ مِنْ درجةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ والصَّدَقةِ..».

قالوا بلى..

قال:

إصلاحُ ذاتِ البيْنِ فإنَّ فَسَادَ ذاتِ البينِ هيَ الحالقة» أي تُزيلُ سلامَ التفاهمِ ومودّاتِه وبركاته..

وهَؤلاءِ قَادةُ الْعَالمين العربي والإسلامي يَعْلَمُونَ أنَّ الملكَ خالداً أفاض اللهُ عليه رحمتَهُ. كانَ صاحبَ الكلمةِ الخيرة الطيبةِ الجامعةِ، وكانَ ملتزماً بها ودَاعياً لها بينَ العربِ والمسلمين بل بَيْن البشرِ أجمعين لأنه مُتَّبعُ لقوله تعالى:

﴿وقُولوا لِلنَّاسِ حُسْناً وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاة ثم توليتم إلاَّ قليلاً مِنْكم وأنتم معرضون﴾ [٢ - ٨٣].

وقوله تعالى:

﴿ألمْ تَرَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أَصْلُها ثَابتٌ وفرعُها فِي السَّماءِ* تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ رَبِّهَا ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ لعلَّهم يتذكرون * ومثلُ كلمةٍ خَبيثةٍ كشجرةٍ خَبيثةٍ اجتُثتْ مِنْ فوقِ الأرضِ ما لَها مِنْ قَرار﴾ [١٤ - ٢٤ و٢٥ و٢٦].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كانَ يُؤمنْ باللهِ واليومِ الآخر فليقلْ خَيْراً أو ليصْمُتْ».

ومهما يكنْ فالكلمةُ الساميةُ الجامعةُ هِيَ التي تدعمُ الأمنَ والمودةَ بينَ الجماعاتِ والأفرادِ وهي آيةُ حقيقةِ الإيمانِ والكلمةُ المنحطةُ الممزقةُ هي التِّي تهدمُ الأمنَ والمودَّةَ بين الجماعاتِ والأفرادِ وهي آية حَقِيقة النِّفاق.

وهؤلاءِ علماءُ العالمينِ العربي والإسلامي وحكماؤُهُمَا وأُدباؤُهما

ومفَكرُوهُمَا كانُوا يَلْمِسُون اهتمامَ الملكِ خالدِ بهِمْ، وحَثَّهُمْ على متابعةِ الدعاية إلى الإيمانِ الصَّادِق وإلى الإجتماعِ والأخذِ بِمكارِمِ الأخلاق وكشف حَقَائِقِ تَشْرِيعِ القرآن.

بل كان يكرِّمُ العلماءَ كافة لأن الله نوَّه في كتابِه أنَّ الذينَ يَعْلمونَ فوقَ الذين لاَ يَعْلمونَ .

﴿قُلْ هلْ يَسْتوي الذَّينَ يَعْلمونَ والذَّينَ لاَ يَعْلمونَ، إنَّما يَتذَّكرُ أولُوا الألْبَابِ﴾ [٣٩ ـ ٩].

نَاهيك وكانَ الملكُ رحمه الله يجعلُ لهمْ يوماً خاصاً لأنهم أهل الخيرِ والهُدَى والنُّورِ ودَعوةِ الحقِّ حسبهمْ أن الله يقول في حقهم:

﴿إنَمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماءُ إنَّ الله عزيزٌ غفورٌ﴾ [٣٥ ـ ٢٨].

وهؤلاء مفكرو العالمين الإسلامي والعربي بل هؤلاء مفكرو الدنيا بأسرها يعلمون بيقينِ المشاهدةِ أنَّ الملكَ خالداً كان دَاعيةً مُسْلماً مِنَ الطِّرازِ الْعَالي. قَدْ وضَع كلَّ نفوذِهِ وإمكاناتِـهِ مِنْ أجلِ تحقيقِ إنْسانيةِ الإنسانِ الغريزي العُنْصري الملحد بدعوتِهِ إلى عِلْمِ الإيمانِ القائِم على البُرْهانِ اليقيني المنزل:

﴿يَا أيُّها الناسُ قَدْ جاءكم برهانٌ مِنْ ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [٤ ـ ١٧٤].

وأيُّ برهانٍ أكبرُ مِنْ بُرْهانِ السموِّ بإنسانيةِ الإنسانِ إلى التَّعاونِ على البرِّ والتقوى بَدَلاً مِنْ انحطاطِ التعاون الْوَحْشِي الْغَابِي المبْني على الإثم والعُدْوانِ وتدبير المؤامرات.

وَشَتَّانَ بينَ التعاونِ الإنسانِّي السلمي الجامع والتعاونِ العنصري الغابي

الملحد المُشَتِّتِ المُتَرصِّد المستقصي ألف ألفَ شتان وهذا أمر اللهِ لعباده البشر.

﴿وتعاونُوا علىٰ البرِّ والتقوى ولا تَعاونُوا على الإثمِ والعُدْوانِ واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شديدُ العقاب﴾ [٥ ـ ٢].

ومليكُنَا خالدٌ بن عبد العزيز أفاض الله عليه رحمتَه كانَتْ دعوتُه لِسُمُوِّ البشر دعوةً حضاريةً مُدَعمَّة ببصيرةِ العلمِ والوحِي اليَقِينِّي والتِّي هِيَ دعوةُ كلِّ مسلمٍ صَادِقِ الإتِّباعِ لخاتِمِ رسل الله ﷺ.

﴿قُلْ هذِهِ سَبيلِي أَدْعُوا إلى اللهِ علىٰ بَصيرةٍ أَنا وَمَنِ واتَّبعني وسُبْحانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكين﴾ [١٢ ـ ١٠٨].

وهؤلاءِ مفكرو الْعَالَمَيْنِ الْعَربي والإسْلامي يَعْلمونَ أنَّ عَقيدةَ الْملكِ خالد الإِسلامية صافيةٌ جِدًّا وساميةٌ جدًّا كما هِيَ في آياتِ اللهِ السَّماوية صَافية وساميةٌ. أي هي علمية يقينية خالية من الظنون والأوهام والأساطير..

وإن كـانتُ عَقائـدُ أكثر الْبَشَـر ظُنونـاً وأساطيـرَ وأَوْهامـاً **﴿وما يتَّبـع أكثرُهم إلَّا ظَنًّا إنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحقِّ شيئاً إنَّ اللهَ عليمٌ بِمَا يَفْعلونَ ﴾** [١٠ ـ ٣٦].

ولولا اتِّباعُ الظنونِ والتقاليدِ الموروثةِ والأَوْهام في إيمانِ أكثرِ البشر باللهِ جلَّ جلالهُ لما جاءَ قوله تعالى: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أكثرُهمْ باللهِ إلَّا وهمْ مُشْركونَ﴾** [١٢ ـ ١٠٦].

وَمَا عَبدُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً يقِيناً بل عبدوا ظنـوناً آلهـةً بِوَحْيٍ مِن شَياطينِ الإِنْسِ والجِنِّ. إتَّخذُوهَا وأطلقوا عليها اسماء فكانتُ في زعمهم آلهـــة...

﴿إنْ هِيَ إلاَّ أسْماءٌ سميْتُمُوهَا أنتمْ وآباؤُكُمْ ما أنزلَ اللهُ بِهَا مِنْ سلطان إنْ يتبعونَ إلاَّ الظنَّ وما تهوى الأنفسُ ولقدْ جاءَهمْ مِنْ ربِّهمُ الهُـدَى﴾ [٥٣ ـ ٢٣].

﴿وما لهم بِهِ مِنْ عِلمٍ إنْ يتبعونَ إلاَّ الظنَّ وإنَّ الظَّن لا يُغْنِي مِنَ الحقِّ شَيْئاً.﴾ [٥٣ ـ ٢٨].

وَلاَ يَسَعُنَا في هذا المقام إلاَّ أنْ نطلبَ من اللهِ أن تنزلَ شآبيبُ الرحمةِ على الْمَلِكِ المُؤْمِنِ الْعَمَلِيِّ الصَّادق سَرْمداً سَرْمداً..

العلماء الأمناء والبناء الحضاري الإنساني

أَلَا إِنَّ البناءَ الحضاريَّ الإنسانيَّ لا يَصْعَدُ به إلى القِمَمِ العاليةِ. إلَّا العلماءُ الأمناءُ الشوامخ الذين يَعيشونَ لأَجْلِ كَشفِ الحقائِق اليقينية في الأَشْياء.

ولولا هؤلاءِ العلماءُ الأَمناءُ لما أَحسَّ إنسانٌ في أيِّ عَصْرٍ أنَّه إنسانٌ..

١ ــ يُجاهِدُونَ مِنْ أجلِ الإيمانِ الصَّحيح، وَمِنْ أَجلِ التَّعارفِ الإنساني ومن أجلْ التعايشِ السِّلْمي ومن أجلِ النهوض الحضاري، ومن أجْلِ كلِّ الأخوةِ البشر في كلِّ الأَوْطانِ.

٢ ــ بل لولَاهم لما استطاع فريقٌ كبيرٌ من مثقفي البشر أن يَعُوا الإعجازَ الإنسانيَّ الاجتماعيَّ الصارخ في خاتمِ الوحي الإلَهي القرآن المجيد.

﴿يا أيها النَاسُ اتَّقُوا ربكم الذي خلقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وَخَلَقَ منها زوجها وبثَّ مِنْهُمَا رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تَساءلونَ به والأرْحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ [٤ ـ ١].

بل لولَا هؤلاء العلماء الأمناء وتفانيهم في النهوضِ الحضاريِّ المُدَعَّم على صِحَّةِ الإيمانِ اليقيني العلمي السالم مِنَ الزيغ والإلحادِ والوثنية والشركِ لَمَا أَبْصر الشبانُ الجامعيونُ في كلِّ أمةٍ بصائِرَ عِلْمِ الإيمان الموحى من رب العَالَمين في الآيات المعجزات المتحدِّيات:

﴿ذلكم الله ربكم لا إلَهَ إلا هو خَالقُ كلِّ شيءٍ فاعْبدُوهُ وهو على كلِّ شيءٍ وكيل، لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير، قد جاءكم بصآئرُ مِنْ ربكم فمن أَبْصر فلنفسِه وَمَنْ عَمِيَ فعليها وما أنا عليكم بحفيظٍ، وكذلك نصرِّفُ الآياتِ وليقولُوا دَرَسْتَ ولنُبينهُ لقومٍ يَعْلمونَ، اتبعْ مآ أُوحِيَ إليك مِنْ ربك لآ إلَه إلا هو وأعرضْ عن المشركين﴾ [٦ - ١٠٢ إلى ١٠٦].

أجلْ لولا هؤلاءِ العلماءُ الأمناءُ الذين أعلنُوا أنَّ دعوةَ خاتِمِ الوحْيِ الإلَهي دعوةٌ إنسانيةٌ جامعةٌ لَما انكشف سرُّ الأشرارِ ولَعْنةُ مُؤامَراتِهم التي دَسُّوهَا في جُنحِ الظلام لتمزيقِ كلمةِ الإيمانِ العلميِّ اليقينيِّ المنزلة في خَاتم الوحي الإلَهي القرآن المجيد وكلمةِ الإنسانية الجامعة.

أولئك العلماءُ الأمناءُ الأبطال هم الذين أعلنوا أَنْ تشويه حَقَائِق الإيمان العلمي اليقيني هو حرفةُ الملاحدة العنصريين المُتخلِّفيـن لذين دَسُّوا النِّحَلَ المنحرفةَ منذُ أبعدَ الأزمان.

النحل الهدامةَ التي حشد فيها شياطينُ الإنس والجن الملحدون كلَّ طلاسمِ الأساطير وكلَّ ألغازِ الانحراف وكل ترهات الأباطيل وجعلوها مراحل مراحلَ. لأجل أَنْ تَسْتحكمَ في الأنفسِ الساذجة استحكام يقينِ العلم بحكم هول الكتمان، وبحكم أغلال التقاليد العمياء.

وكلُّ مرادِهم من حَماقةِ صَنيعها هو أن يتحاقَدْ البشرُ ويتحاربُوا ويفْتكَ بعضهم ببعضٍ .

وانْحطاط الإلْحادِ الغريزي مصدرُهُ فَسَادُ الطَّويات والتآمُر الباغي، والظَّمأ المحرق. وأَنْتَ إذَا سألتَ عن الباعِثِ لهم على كلِّ ذلك كان الجوابُ هذا كلُّ مَا تَصْنَعُهُ العنصريةُ الملحدةُ لوجه الشيطان.

وإذا تعمقتَ في دِرَاسةِ هاتيكَ النحلِ مِنْ مصادِرِهَا الأولى قديماً أوْ فيما كتبه المستشرقونَ وسواهم حديثاً ألفيتَهَا نِحَلاً عنصرية غريزيةً إباحية ملحدة ضحلة بتراء تنطوي على سوءِ الطويات والأحقاد والاجرام، والذين سقطوا في حبائلها لا يَـدْرون لماذا دُسَّت ولماذا هم مسخرون لدسائسها لايدرون، واضرارها بالغة في تَجْميدِ عقلياتِ مَنْ يقعُ في حَبائِلها وأكثرُ الْبَشر حياتُهمْ أشْبهْ بالسوائِم: كلُّ الذي يشوقُهم ويتحمسونَ لنيْله وإدراكِه النَّزَوات، سواء أكانُوا مُلْتزمين بالعقيدةِ العلميةِ الصحيحة التي تُؤَمِّنُ لهم النجاةَ مِنْ مَهالِك العالم الثاني أو لمْ يكونُوا ملْتزمين..

وآخرون ملحدونَ لا يهتمون بالإيمان باللهِ جلَّ جلاله ولا يروْنَ له حقوقاً عليهم يَجبُ الوفاءُ بها كأنهم لَا يَعْلمونَ أنَّ الله أخرجهم من ترابِ الأرضِ وجعلَ لهم أبصاراً واسْماعاً وأَلْسِنةً بل جعلَ لهم عُقولاً يدركون بها حقائقَ الأشياءِ مِنْ أباطيلها، وواقعها القطعي مِن خيالاتها الطائرة.

مساكين مساكين يجبُ أن يعلموا وأن يؤمنوا وأن يَعْملوا بالتكاليف. بل هم لا يَدْرون أنَّ هذه التكاليفَ مُنزلةٌ مِنْ رب العالمين وأنها أمانة اللهِ في أعناقهم. والْأمانةُ يجبُ رعايتُها والسهر على حِفظِها وأدائِها كاملة أيا تكنْ، فما بالكمْ إذا كانَتْ أمانةَ الله جل جلاله. والذي جعل البشر يستهترون بها ولا يكترسون لأدائها وحفظها ورعايتها هو جملةُ أمور..

١ ــ هو سلطةُ الغريزة على كلِّ أفراد مَجموعاتِهم النفسيةِ ومِنْ أَجلِ ذلك كان الفكرُ تَابعاً لهـا لا متبوعـاً... وشَتَّان بيَن التـابع والمتبوع.

٢ ــ الظنون والأوهام والأساطير كل أولئكَ يَمْلأْنَ نفوسَهم بالانحرافِ الغبي المُسِفّ ومعظم البشرِ مقلدون بحكم ما يدينون به من شِرْكٍ

ووثنيات وإلحاد، ولا دَخْلَ لِلعلْمِ الْيقينيِّ والعقلِ الأمين الْحُر في ذلك كما لا انْفكاكَ لِمُقَلِّدٍ عَنْ تقليده.

٣ ـ هم عنصريون والعنصريةُ مرضٌ عُضال فتَّاك يُخْفِي للآخـرينَ الكراهيةَ ويُبْدي المحبةَ ويُحارِبُ الإنسانيةَ الجامعةَ التي هي دعوةُ وحْيِ الله المعجز.

٤ ـ اسْتِمْـرارُ عيشِهم ورغدِهِ مـركز على هـذا النسق الخرافيِّ مِنَ المعتقدات المتناقِضة وأَيَّ مجابهة منهم لها تثيـرُ بينهم عداوة ومقاومة في الظلمات، وهم بَعيدُونَ عن أنوارِ البحثِ الموَحَّدِ المبارك.

٥ ـ كذَلِكَ بيئتُهمْ مركزةٌ على نفسِ العقيدةِ المتوارثةِ بكلِّ عِـلاَّتِها وأساطيرها ويقضونَ كلَّ حقبهم في الزيادةِ فيها والنقصان، عاشوا صِبْغَتَها. فرقاً وشيعاً في أصولها ولا شيءَ أعسرُ ولا أصعبُ من التخلِّي عَنْ صِبْغتها ولو كان التخلي عَنْهَا والدخولِ في سواها بحكم العلم اليقيني والفكر الحر والمصلحة الأصيلة سهلاً، لما بقيَ أحد من المفكرين الاجتماعِيِّين منْهم لم يَعْلن إسْلامهُ، وله أسلم مَنْ في السماوات والأرض فلِماذَا لا يسلمون ونجاتُهم من المهالك الزاحفة متوقفةٌ على إسْلامِهِم..

وقبلَ جفاف المداد يحسنُ تدوين هاتين الآيتين الكريمتين المتحديتين:

﴿قل يا أيها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعاً الذِّي له ملكُ السماواتِ والأرض لا إلَهَ إلا هو يُحْيي ويميتُ فآمنوا باللهِ ورسوله النَّبيِّ الأميِّ الذِّي يُؤْمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ [٧ ـ ١٥٨].

﴿قَدْ جاءكمْ مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ، يَهدي به اللهُ مَن اتَّبع رِضْوانَهُ سُبُلَ

السلام ويخرجُهُمْ من الظلماتِ إلى النورِ بإذنه ويهديهم إلى صِراطٍ مُسْتقيم﴾ [٥ ـ ١٥ و ١٦].

أسس الحضــارة

العلم والمال والدين

العلـــــم

العلم في أوسع مجاليه يشمل كل أسس الحضارة، وهو المقدم في دعم بنائها، ورفع شرفاتها.

فمعاهده معاهدها، ومصانعه مصانعها، ومختبراته مختبراتها، وكشوفـاته كشوفاتها، وفي علم اليقين وعينه أن العلم والحضارة توأمان ميلادهما واحد، ونشأتهما واحدة ومسيرتهما واحدة ولا تفسد الحضارة ولا تعصف عواصفها ولا تُصوح ورودها إلا إذا تخلت عن العلم أو العلم تخلى عنها.

أجل إن العلم مقدم على المـــال وعلى التديـــــن.

تقديم العلم على المال

السببُ في تقديم العلم على المال هو أن العلم يأتي بالمال ولكن المال لا يأتي بالعلم،فكم من متمول يسيل العسجد واللجين بين يديه سيلاناً ويَسْرح ويمرحُ في معاطف الخز والديباج ويركب السيارات الفارهة، ولكنه قد يكون هو فَدْماً. هذا صحيح ولكنَّ العالَم الذي لا يملكُ قطميراً يكون قد صرف نفسَه لِتحصيل العلوم والسهر مِنْ أجلها ولم يفكر أن يستثمره لتحصيل المال ولـو فعل لتجمع المال بين يديه.

وما أصدق كلمة الإمام الشافعي في هذا البحث «من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم».

وهـل استخرجت الكنـوز من خبـايـا الأرض إلا بـالعلم، أجـل مـا استخرجت إلا بالعلم واستخراج وقود النفط أكبر شاهـد وكذلـك المعادن وسواها.

وكان قديماً قارون وأمثاله الذين ملكوا القنـاطير المقنـطرة من الذهب والفضة ولكنهم لم يستخرجوا شيئاً من خبايا الأرض ومن افاق السماء، والافادة من عناصر الماء والهواء.

أجل لم يستفد الأغنياء قديماً من أموالهم ما أفاده أغنياء عصرنا لأنهم رصدوها لاحيائها بالعلم، ولم يرصدوها لموتها وتبددها بالجهل.

وهذا طالوت لم يأته الله الملك إلا بالعلم والقوة ونص الوحي اليقيني بَيِّنٌ في ذلك تأمله جيداً.

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوتَ ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سَعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليمٌ﴾ [٢ - ٢٤٧].

وما صنع الحضارة اليونانية القديمة إلا علماؤها وفلاسفتها وشعـراؤها وفنانوها ولم يصنعها أثرياؤها.

تقدم العلم على التديـــــن

العلم مصدره العقل والتجربة والمشاهدة والأمانة والإنسانية،وهو قسمان العلم اليقيني والعلم الظني.

١ ـ العلم اليقيني هو الذي يحدِّد الواقعَ القطعي ومنه تكشفُ حقائق الكون الواقعية اليقينية وحقائق الأديان السماوية الصافية الخالية من التأويلات والرؤى والأحلام والمبالغة بالخوارق.

٢ ـ والعلم الظني مأتي الأساطير والأديان الوضعية والتحريف في الأديان السماوية بالزيادة والنقصان. ومنه تولد الإلحاد والمذاهب الهدامة كالشيوعية والوجودية والسفسطائية والقاديانية والبهائية وسواها من النحل الهدامة الظاهرة والخفية ومن العلم الظني تولدت الوثنية والاشراك والانحرافات التي تدس في حقائق العلم والعقائد ومنه الارجاف السياسي والاعلام المزيف الممزق. وتكفي لكي تعلم أن العلم مقدم على التدين ان الله جل وعز طلب إلينا لكي نفهم سر وحدانيته بالعلم لا بالظن والتلقين: ﴿**فاعلمْ انه لا إله إلا الله**...﴾ [٤٧ ـ ١٩].

ومن أجل ذلك شدد علماء السلف الصالح أن العقيدة الإسلامية لا تعطي النجاة وحقيقة الإيمان الصحيح المقبول عند الله جل وعز إلا بالعلم. واختلفوا في صحة إيمان المقلد، مما لا تجد له مثيلاً في أي دين ما ومذهب فلسفي لوفرة الآيات التي تعين أن الإيمان الصحيح لا يكون إلا بالعلم والبرهان ومن أراد أن يقف على حقيقة إيمان المقلد فعليه بالرجوع إلى ما قاله علماء التوحيد في هذه المسألة، ويقصدون بالمقلد القادر على البحث العلمي الكاشف للحقيقة.

ومن أجل ذلك كان الخلف في العَقَائِد واسعاً جدا بين المسلمين، وبين أهل الأديان الأخْرى، فالغزالي يقول بلسان النصوص الإسلامية التي درسها وأمن بها.. «فكر ثم أمن».

وتوما الأكويني يقول بلسان النصوص المسيحية التي درسها وآمنَ بِها..

«آمن ثم فكر». وشتان ما بين القولين.

فتوما الأكويني يدعوك إلى أن تؤمن أولاً بالعقائد المسيحية ثم تفكر في نطاقها لكي تلتمس لها الحجج والبراهين التي تجعلها علمية يقينية في أروقة الجامعات. وهو لا يستطيع غير هذا القول. بحكم النصوص المسيحية المدونة في الأناجيل..

والغزالي يدعوك إلى أن تفكر أولاً في حقائق العقائد الإسلامية... وتبحثها بحثاً دقيقاً في براهينها العلمية اليقينية ثم تؤمن والغزالي لا يستطيع أن يقول غير ذلك بحكم النصوص الإسلامية المدونة في الكتاب والسنّة الصحيحة.

والإسلام كله برهان علمي يقيني صارخ: **﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾** [٤ - ١٧٤].

والإيمان بغير برهان علمي يقيني صارخ غير مقبول **﴿أم اتخذوا من دونه آلهة. قل هاتوا برهانكم﴾**. [٢١-٢٤]. **﴿وقالوا لن يدخل الجنةَ إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** [٢ - ١١١]

فكل العلم في البرهان العلمي وكل الجهل في الظن: **﴿وما لهم به من علم ان يتبعون إلا الظن. وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾** [٥٣ - ٢٨]. وما أجمل الحضارة التي تشيد على أركان وحي الله العلمي اليقيني إنها تكون حضارة إنسانية عادلة راحمة تقدمية صادقة.

والنهاية أن العلم اليقيني يجب أن يكونَ مقدماً على الإيمان لكي لا يضل الإنسان في ظلمات الهوى والوثنية والإلحاد والإشراك.

ما الإنسان وما حقيقته

إذا سألــت. . .

س : ما الإنسان وما حقيقته ؟!! قلتُ :

لَا تَقلْ الإنسانُ كومةٌ مِنَ التُّرابِ نفخ الله فيها روحَ الحياة النامية المتحركةَ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى. . أجل هذه حقيقةُ الإنســانِ الماديةِ ولكنْ حقيقةُ الإنسانِ المعنويةِ هي مجموعتهُ النفسيةُ الْمُدْرَكَةُ التيِّ يُحُسُّ بها ويتصرفُ بها وَيحقِّقُ بها مَا يُمارسُ مِنْ أَعمالٍ وَمَا يدعُ من نفسِه ومع الآخرين وكَذلك تصوراته سواء ما كانتْ منبعثةً عَنِ الغرائزِ أو العواطفِ أو الْعَقلِ . .

والإنسانُ لولا أفرادُ مْجموعتِهِ النفسيةِ الُمدْرَكة التيِّ يُحُسّ بهـا ويتصرفُ بِموجِبهَا لنزلَ إلى مرتبة العجماوات أو دُونهَا.

أعمال مجموعةِ نَفْسِ الإنسان وتصرفاتها

أعمالُ مْجموعةِ نفسِ الإنسانِ وتصرفاتِها منحصرةٌ في ثلاثةِ اتجِّاهات:

١ ــ الاتجاهُ الغريــزي

هو اتجاهُ قِيادةِ الغريزةِ لمجموعة أفرادِ نَفْسِ الإنسان المعنوية وحينئذٍ تكونُ وَظيفة الفكرِ هي الإنْسِيَاق الأعمى البصير في تحقيقِ مطالبِ الغريزة أيًّا تكنْ سواءُ أكانتْ غريزةَ التَّملكِ أو غريزةَ الميل الجنسي أو سواهمـا. كالغـريزةِ الفنيَّة. . وسلطةُ الغريزة الفنية لَا تُقاومُ إذَا تفاقَمتْ وقد تبلغُ درجةَ الْهوس

والانبعاثُ الغريزي، إما أن يكونَ صادراً عن الإيمانِ بقوتِه أو بضْعفِه، وإمَّا أن يكونَ صادراً عَنِ الإلحاد بقوتِهِ أو ضعفه، والانبعاثُ الغريزي الملحد مخيفٌ في طغيانِهِ جداً وضار وهدَّام.. وهذا الانبعاث يدرك كُنْهُهُ بالنظرِ والدرسِ والمراقبةِ لأعمالِ الإنسان وأقواله الظاهرةِ والخفيةِ.

وأمة الغريزة الملحدة ذات العنصرية الجبارة الفتاكة هي أمة الصهاينة ومنْ أجل ذلك لَا دهاءَ أدهىٰ مِنْ دهائِهم ولا حقدَ مدمر بَطَّاش أعنف مِنْ حِقْدهم إنهم لا يكترثون لإزهاقِ أرواحِ البشرِ بالمؤامرات وَدَسِّ الفتن: والبشر لديهم حَيوانات يقودونهم إلى المسالخ بأنفسهم. ومهما يكنْ فالحكمُ بسلطانِ الغريزة هدَّامٌ وضارٌّ ولا فائدةَ منه، ولا رجاءَ فيه للحضارةِ والإنسانيةِ والعلمِ والأدب.

٢ ـ الاتجاه العاطفي

هو قيادةُ العاطفةُ لأفْرادِ مجموعةِ نفسِ الإنسانِ. وتكونُ الغريزةُ والفكر مُنَفِّذيْنِ لاتجّاه العاطفةِ العَملي أو القولي اللذين ترسُمه بشتّى مُمارسَاتِها: والعواطفُ تتغيُر وتتبدَّلُ حَسَب اتجاهِ الْمَمارسات في تَغَيُّرِهَا وتبدُّلِهَا بأحداثِ وموازين ومآخذ مُعْتَبرة.

ولكنْ إذَا ترعْرعتْ وقويت شوكتُها في عاطفةٍ ما واستحكَمَتْ جعلتِ الحياةَ نفْسَها ضحيةً لنصرتَها كعاطفةِ القومية والحزبية والدينية والفنيةِ أو الحب أو البغض: وأعمالُ العاطفة وأقوالُها إمَّا أن تكونَ منبعثةً عن الإيمانِ أو عن الإلْحاد...

وحقدُ العاطفةِ مُخيفٌ جِدًّا وَمُدمرٌ جِدًّا لصاحبها وسواه مِمِنْ يتعارضُ معها والاعْتدال لدَى حُكم العاطفةِ لأفرادِ مُجموعة نَفْسِ الإنسان غيُر موجود.

أنىَّ يكونُ الاعتدالُ والاعتدالُ مرتبطُ بالعقلِ الْمَسيْطِرِ والعقلُ المسيطرُ لدى

قيادةِ العاطفةِ مَفْقود مَفقود..

أجل مَفّقودٌ ما دام الحكمُ النافذُ حُكم العاطفةِ لذلك لا تفكر أَنْ تجدَ اعتدالاً في الإحْكام مِنْ أيِّ إنسانٍ عاطفيٍّ. والأمةُ التي تقودُهَا العاطفةُ في أكثرِ رجالها ومواقِفها هُمْ جُلُّ الكُتَّابِ الغربيين وساستهم..

والأفرادُ العاطفيون يُساقون إلى الاتجّاهاتِ التي تُعَيِّنُ لهم، ولو كان ذلك يُفضي إلى هلاكهم أو هلاك الغير وقد تكون اتجّاهاتُ العاطفةُ مباركةً وخيرةً ونافعةً للأفرادِ والجماعات. والعواطفُ سوى الغَرائز. الغرائزُ لها انْطباعَاتٌ في صميمِ تكوينِ الإنسان العضوي أما العواطف فهيَ تتكونُ بالإيحاءِ والتلقين واستغلال بواعثِ الغرائز. ومهما يكنْ فالعاطفةُ سوى الغريزةِ وسوى العقل.. وقيادتها لأعمال الإنسان سوى قِيَادَتَيْهما..

٣ ـ الاتجـاه العقلـي

إذا كانَ العقلُ هو القائدَ لأفرادِ مجموعةِ نفسِ الإنسانِ فإنَّ الغرائز والعاطفةَ تكونان مرتبطتين بالتوجيهات الصَّادرة عَنِ العقلِ مِنْ أقوالٍ وأعمالٍ سواء كان العقلُ عقلَ التزامٍ وإيمانٍ وَيقِينٍ أو عقلَ إلْحادٍ وإباحةٍ وَرَيْب.

وتظل أقوالُ العقلِ الحاكِم وأعمالُهُ تَنشدُ الحقيقةَ اليقينيةَ بإمانةٍ وجِدٍّ ومثابرةٍ إذا انكشفتْ دلائلُه العلميةُ اليقينيةُ له..

وصاحبُ العقلِ الحاكم يظلُّ أقربَ إلى الإيمانِ منه إلى الإلحادِ وفي العالِم الغربي مجموعةٌ من العلماءِ الذين تحكم عقولُهم عواطفَهم وغرائزَهم وهؤلاء هم الذين قَامَتْ على أكتافِهم الحضارةُ الحديثةُ .

وهؤلاء لَو أُتيح لهم أن يَفْهمُوا يَقينَ خَاتِم الكُتُبِ السَّماويةِ بكلِّ مَا فيه مِنْ مُعْجزاتِ العلمِ والحقِّ والصدقِ والشريعة الإنسانية السمحـة المتجددة

المباركةِ لآمنُوا وكانُوا خَيرْ الذَّائدين عَنْ حياض الإسلام ولكنْ مِنْ أينَ نأتي لهم بعلماء وأعلام يضارعونهم في معارفهم وقدرةً في بيان لغاتهم يترجمـون لهمْ معارفَ وحي الله المعجز المتحدي على وَجهه اليقيني العلمي الموحي من رب العالمين. وكل علماءالدنيا في كل لغاتهم. . يعلمون أن خاتم الوحي الإلّهي هو الكتاب الوحيدُ بينَ الكُتُبِ السماويةِ الذي وصل إلينـا بالإجْمـاعِ العلمي اليقيني. فهو على مدى الاعصار ينقل بالتواتر الجماعي العلمي، وحتى الكتابة نفسها لَيْستْ هي الأصل في وصولِ القرآن المجيد إلى عُقول البشر. وإنما هو الإجماع العلمي المتواتر الخالص. أجل يَسْتظهرُه وآخر وآخر إلى نهاية العالم المادي المشاهد.

اللهم قيضْ لهذا الكتاب الخالِد مَن يقدِّمُه لعقولِ العلماء الأمناء الأحرار بكل ما فيه من معجزات علمية واجتماعية وتشريعية وغيبية واقتصادية وسلمية وحربية وأدبية وسواها. . اللهم قيض اللهم قيض.

الغرائزُ وأثرهَا في كتمِ حقائق العلم

كما أَنَّ طاقةَ جاذبيةِ الأرض قائمةٌ في صميمِ تكوينَها كذلك جَاذبيةُ الغرائزِ قائمةٌ في صميمِ تكوين الأَحْياءِ مِنْ أعلاها الإِنسان إلى أَدْنَاهَا الحشراتَ، وأحاسيسُ الغرائز إلهاميةٌ مبنيةٌ على سَرِّ علمِ اللهِ الشامل، ومنطلقُهَا من صميمِ الجوارحِ ولولا العقلُ والعلمُ اللذين خَصَّ اللهُ بهماالإِنسانَ لظل العلمُ بها لَديْه مُبْهمًا.

وأحاسيسُ الغرائز معتدلةٌ في نفوسِ المؤمنين المفكرين، وعاصفةٌ في نفوسِ المَلاحدةِ الغَريزِّيين.

وَعلمُ الْبشرِ بذواتِ الغرائزِ متفاوتٌ والتفاوتُ كبيٌر،فعلمُ عالم النفسِ المتخصصِ سوى عِلم الجراح العملي بجوارح الإنسان فذاك يختصُّ بدرسِ مجموعةِ أفراد نفس الإنسانِ، وهذا يختص بدَرْسِ مجموعة أعضاء جسد الإنسان والمثقفونَ المطالعون يأخذون بأطرافٍ من الحقائقِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا بقدر لهفةِ المعرفةِ، وبقَدْرِ لهفةِ تحْصيلها، ومِنْ أجلِ ذلك تجدُهم متفاوتين في مراتب المعرفةِ وفي مراتب أساليب التعبير عنها ونُقَّادُ الأدب الموهوبون الأمناءُ هم الذين يَسْتطيعونَ أن يحُدِّدُوا أساليبَ الكاتبين ودرجاتِ معارفهم الخاصةِ والعامةِ والمتداولةِ والمقتبسةِ والجديدةِ والمختلسةِ لتكشفَ حقيقةُ كلِّ مَنْ يمسكُ قلمًا لكلِّ مَنْ يمسك قلمًا، ولكل مطالع مثقف.

وملكةُ النقدِ موهبةٌ كملكة الشاعرية، والأدبُ كلُّه موهبةٌ وملكةٌ وفَنٌ

والعلمُ فيهِ جُهْدُ الدراسةِ الخاصة كالجاحظ والعقاد قديماً وحديثاً . .

ولعلَّ بعضَ المطالعين يَعْجبونَ لهذا العُلْوان ويتساءَلونَ عن الصلةِ بينَ الغرائزِ وحَجْبِ حقائقِ العلم . .

وعلى كلِّ حالٍ فَعَرْضُ البحثِ هُنَا يُزيح الأشتباه لأنَّ الصلةَ بينَ جَواذِبِ الغرائزِ وحَجْبِ حقائقِ العلم اليقيني في الأشْياءِ قديمةٌ جداً جداً وإليك توضيحَ ذلك في الأمور الآتية.

١ ــ الا إنَّ الإنسانيةَ منذُ أن نشأت فيها اللهفةُ إلى كَشْفِ حقائق العلم في الوجود لدَعْمِ حَضارتَها على قواعدَ ثابتةٍ. لم تمقُتْ أحداً بِزرايةٍ وسَخطٍ وكراهيَّةٍ أشد من الذين يَعْمَلونَ سِرًّا لِكتْمِ حَقائِق العلم في الأشياءِ عَن فكرْ وعَمْدٍ لغاياتٍ شريرةٍ خَاسرة.

وعلماءُ الحضارةِ يروْنَ هذا الكتمانَ جريمةَ الجرائِم ولا يحترفُ كتمانَ حَقَائِقَ العلم ويَدُسُّ أساطيرَ الإلحادِ مكانهَا على مَدَى الأجْيال إلَّا أخبثُ خُبثاء البشرِ، وألعنُ لُعناءِ أبالسة الجِّن.

والحقُّ أن كتمانَ العلمِ اليقينيِّ في حَقائقِ الأشْياءِ أكبرُ مِنْ جريمة. ولولا أنه أكبرُ مِنْ جريمة لَمَا ذمَّ اللهُ فريقَ الاسرائيليينَ القدماء الذين كانُوا يتعمدونَ هَدْمَ يَقينِ خَاتمِ وَحْيِ اللهِ القرآن المجيد.

١ ــ حيناً بإعْلانٍ أَمَامَ الجماهير .

٢ ــ وأحياناً بدَس في الخَفَاء. ودَسُّ الخفاءِ يَسوقُ البشرَ السُّذج سَوْقَ الحيوانَات.

٣ ــ ألا تراهم حينَ سألهُمْ مشركُو قريش هَلْ ما جاءَهُمْ به محمدُ مِنْ تَعاليمِ الوَحْيِ خيرٌ أم مَا هُمْ فيه.

فَقالُوا لهمْ بلْ مَا أَنتمْ عليهِ. . فَهلْ رأيتَ جُرأَةً معْلنةً لَهدْم يقِينِ الْعِلْمِ أكبر من هذه الجرأةِ فهمْ يُفهمون قريشَ أنَّ ما هُمْ عليهِ من الْوثنيةِ والشِّرْكِ والإلْحَادِ وارتكابِ الفواحشِ والصَّغَارِ الذي كانُوا فيه، ومن تَمْزيقِ الكلمةِ وانحطاطِ التفكيرِ والإباحيةَ والتعدي الظالمِ والإسْترقاقِ يُفهمونهم أنه أفضلُ مِنَ صدْقِ الوحي المنزل من الله تعالى على خاتم رسله محمدٍ ﷺ.

٢ ـ وَصَنيعُهمْ لكتمَانِ يَقِينِ وَحْيِ اللهِ عن الشَّبيبةِ هو بدسهم مذاهب إلحادية هدامة خفية وهذا الدسُّ والكتمانُ جاءَ بيانُه في القرآن المجيد في قوله تعالى:

﴿يا بَني إسْرائيلَ اذْكرُوا نِعْمتيَ التي أَنْعمتُ عليكم وأوفُوا بعهْدي أوفِ بِعَهْدِكمْ وأَيايَ فارْهبون، وآمنوا بما أنزلتُ مُصَدِّقاً لِما معَكمْ ولا تكونُوا أوَّلَ كَافرٍ به ولا تَشْترُوا بآياتي ثمناً قليلاً وإيَّايَ فاتَّقون، وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بالْبَاطِلِ وتَكْتمُوا الحقَّ وأنتمْ تعلمون، وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واركعُوا مَعَ الرَّاكعين﴾ [٢ ـ ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و٤٣].

وفي قوله تعالى: ﴿إنَّ الذينَ يكْتمونَ مَا أَنْزلنَا مِنَ البيِّناتِ والْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بيَّنَّاهُ للناسِ في الكتابِ أولئكَ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعِنونَ، إلَّا الذينَ تابُوا وأصْلحُوا وبيَّنُوا فأولئك أتوبُ عليهم وأنا التوابُ الرحيم﴾ [٢ ـ ١٥٩ و ١٦٠].

وهلِ اسْتحقُوا لعنةَ اللهِ ولعنةَ البشرِ إلاَّ لهوْلِ البلاءِ والكيدِ والكفرِ والإلْحَادِ الذي دَسُّوهُ في المذاهب الهدَّامةِ لإخْراجِ المساكين المغفلين عَنْ حقائقِ الإيمانِ العِلْمي اليقيني بخاتِم كتبِ السماء.

وهمْ أهلُ عِنادٍ وإصْرارٍ على الكفرِ مَعَ عِلْمِهم أنَّه حَقٌّ يَقينٌ مِنْ ربِّ العالمين وتدَّبرْ هَاتينِ الآيتينِ: ﴿يا أَهلَ الكتابِ لِمَ تكفرونَ بآياتِ الله وأنتمْ

تشهدونَ، يا أهل الكتابِ لم تلبسونَ الحقَّ بالباطِلِ وتَكتمونَ الحقَّ وأنتمْ تعلمون﴾ [٣ ـ ٧٠ و ٧١].

وشياطينُ الجنِّ الكافرون لهم دَخْلٌ كبيٌر في تمكين الإصْرارِ على خُصومةِ وَحْيِ اللهِ ومحاربتهِ بما يوحون إلى اتباعهم مِن الأنس زخرف القول غروراً.

﴿وكذلك جَعَلْنا لكلِّ نبيٍّ عَدُوًّا شياطينَ الإنْسِ والجنِّ يُوحِي بعضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرفَ القولِ غُروراً ولو شَاءَ ربُّكَ مَا فَعلوهُ فَذَرْهُمْ وما يَفْترونَ﴾ [٦ ـ ١١٢].

أَجَلْ إنَّ لشياطِينِ الجنِّ دَخْلاً كبيراً في تمكين كفر الكافرين لأنهم يَحْسَبونَ مُسَاعداتهم لَهُمْ معجزات دَالاتٍ على صحةِ كفرِهم وعباداتهم لأفراد الكائنات أمثالهم، وكل حجج الكهانِ هي أعْمالُ شَياطين الجن **﴿واتَّخَذُوا مِنْ دونِ اللهِ آلهةً لِيَكُونُوا لهَمْ عِزًّا، كَلَّا سَيَكْفرونَ بِعِبَادَتهم ويكونون عليهم ضِدًّا، ألم ترَ أنَّا أرسلنا الشياطينَ على الكافرينِ تَؤزُّهمْ أزًّا﴾ [١٩ ـ ٨١ و ٨٢ و ٨٣].**

ومن أجل ذلك جاء النص بالاستعاذة مِنْ همزاتِ الشَّياطين.

﴿وقُلْ ربِّ أعوذُ بكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطين، وأعوذُ بكَ رَبَّ أَنْ يْحضُرونَ﴾[٢٣ ـ ٩٧ و ٩٨].

والنهاية أنه يجبُ على الشبيبةِ المؤمنةِ بِعِلْمٍ ودرايةٍ وبراهين أنْ يَحْذُروا النحلَ المخيفةَ التي تقومُ على الأساطير والترهات التيِّ دسَّها شياطينُ الجِنِ والأنس وهذه النحل كَانَ باعِثَ الذِّينَ دَسُّوها الإلحادُ وحسبانُ أن الوجود مُفْلَتٌ ولا رَبَّ له ولا خالِق.

وظهر بطلانُ ذلك الزعم وهمْ لم يُفيدُوا بدسِّهم هَاتيك النحلَ سوى التخلفِ الفكري والعِلْمي عن ركب الحضارة.

وهذا مؤسفٌ للغاية وآيةُ ذلك أنَّ أكثرَ الْبَشَرِ غريزيُّون ومُقَلِّدونَ وتافِهُونَ ولا يَد لهم في الْبِنَاءِ الحضاري الإنساني العالي، نسأل الله أن يثوبُوا إلى رشدِهم بالعلمِ اليقينيِّ، والحقِّ اليقيني، والصدق اليقيني.. ولا شيء أفضل من ذلك.. لا دَافعَ لِبَلَايَـا البشر بعضهم ضدَّ بعضٍ أَقْدَرَ من ذلـــك..

الإنسانية والعنصرية والإلحاد والإيمان

صفات متباينة لفئات متباينة تلك وتلك أربع وأربع وإليك حدود هذه وحدود تلك.

١ ـ الإنسانيـة

هي حاسة خصائص صفات الإنسان الإنسان كالصِّدقِ والرحمةِ والأمانةِ والمسامحة والتحمل والغفران والإحسان والنجدة والذود عن الحق أي الصفات التي يمتاز بها الإنسان عن كل أنواع الحيوان من أعلاها القرد إلى أسفلها الحشرات.

٢ ـ العنصـريـة

هي انفصالٌ باسم القومية والشعبية والشخصية عن الجامعة الإنسانية التي نادى بها خاتم وحي السماء ﴿**يا أيها النـاس إنا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عنـد الله أتقـاكـم إن الله عليم خبير**﴾ [٤٩ - ١٣].

أجل الإنسانية أمة واحدة، صدق رسول الله ﷺ إذ قال: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء واتقوا الله الذي**

تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾. [٤ - ١].

أجل إن الإنسانية رحم واحد فبالإيمان تتحد وتتآلف وبالإلحاد تتفكك وتتباغض ومهما يكن فالعنصرية أنانية وكبرياء وطغيان واثرة وظلم للآخرين وتربص بهم وانقضاض عليهم وقطيعة وتسخير واستغلال. مع القسوة واستباحة المحارم والبطش والفتك.

كما هو مشاهد من العنصرية الصهيونية الملحدة التي تجعل كل الشعوب حيوانات «كويم» ولا تعاملهم إلا بالغرائز لأنهم حيوانات في نظرها أما المؤامرات التي تدبرها والمهالك التي تعدها للجماعات والأفراد واللعنات الفاجرات فإنها لا تحصى ولا تخص جماعات دون جماعات ولا أفراد دون أفراد.

٣ ــ الإيمـــان

هو طمأنينة الفكر والوجدان والضمير بوجود الله الخالق العظيم الذي تحتشد له وتخف إليه، وتضحي من أجله كل المجموعات النفسية الإنسانية والفرد كما يكون مؤمناً صادقاً كذلك تكون الجماعة، والإيمان العملي الصادق يسيطر على مجموعات نَفْسِ الإنسان من فكر وعاطفة وغريزة سلباً وايجاباً.

٤ ــ الإلحـــاد

هو فراغ المجموعة النفسية من نور الإيمان بالله الخالق العظيم. فترى الفكر قلقاً والعاطفة جامدة والغريزة مفلتة.

والإلحاد بالإجمال هو جحود ظالم لوجود الله جل وعز وفراغ الفكر والعاطفة والغريزة من مقومات الخير والهدى والحب العالي للإنسانية ولا يرجعها إلى مقومات الخير إلا انصباب الأهوال ونزول الفواجع والمجموعة

النفسية الإنسانية إذا سيطرت عليها الإباحة والاستهتار واستعمال النزوات بسبب الإلحاد يظل أمرها مكتوماً إلا إذا سمحت الانتهازية ولعنة الإلحاد بالظهور.

والملحد فرد أو جماعة لا خير فيه ولا رجاء عنده ولا صداقة له ولا عفاف حتى تجاه محارمه وهو خبيث الطوية يخون أمته ودينه ووطنه في سبيل المادة وهو ملعون أَيْنَما وجد وهو في واقع العقيدة الإسلامية مرتد ولا يُبالي أَنْ يَعْمل لِحسابِ المرتدين والثقة بالملحدين والتعلق بهم تعلقٌ بمُمارسةِ المَلاَعِن فلاِ وعد لهم ولا عهد ولا وفاء ولا صدق إلا بمقدار ما يكتسبون من أموال.

تقسيم الفئات الأربع

الأولى:

فئة الإنسانية المؤمنة وخصائص صفاتها الإيمان العملي بالله الخالق العظيم والخوف منه والتزام تعاليم وحيه التزاماً علمياً جاداً فكلٌّ لهفاتها نيل مرضاة الله والإحسان إلى الخلق والتضحية لرفع بلاء الكفر والحقد عنهم والجد في دعوة الإيمان والجهاد في معرفة الله وتوجيه العباد إلى حقائق هذه المعرفة والاستقامة والصدق والوفاء والعفاف.

ومن هذه الفئة رسل الله واتباعهم الأول والأئمة الأعلام والأتقياء البررة الكرام الذين لم ينسلخوا عن الارتباط بمثل وحي الله العليا في كل ما يأخذون به أو يدعونه بل هم يحكمونها في كل صغيرة وكبيرة تعترضهم.

وهذه الفئة الإنسانية المؤمنة هي التي تجاهد في سبيل السمو الحضاري والصعود العلمي والتماسك الاجتماعي.

لأن إيمانهم بالله الخالق العظيم يجعلهم يحبونَ الخَيرَ لكل الناس عَمَليّاً كما

يحبونه لأنفسهم تماماً تماماً.

الثانية :

فئة الإنسانية الملحدة وتجد فيها كل خصائص الإنسانية إلا أن الإلحاد يبعدها عن تضحيات الإيمان ومعرفة الله المعرفة العلمية اليقينية وإن كانت إنسانيتها تبعدها عن الظلم والخيانة والافتراء والدس والتآمر والقسوة والحقد وبخس أشياء الآخرين.

ومهما يكن فالإنسانية الملحدة خير من العنصرية الملحدة الغامرة ولا تجد شبهاً للإنسانية الملحدة إلا الخلعة المسممة التي أهديت من قبل قيصر لامرىء القيس التي ما كاد يلبسها حتى شاعت في جسده القروح وتساقط لحمه بالسموم وقضى نحبه بتهمة أنه أفحش في حبه للقيصرة.

الثالثة :

فئة العنصريين المؤمنين.

عرفنا أن العنصريةَ انعزال حقود مستكبر يرى فئات البشر الأخرى تحت الزواحف ويرَى نفسَه فوقَ البشرِ ولكنَّ الإيمانَ يخففُ من غلوائِهَا قليلاً ويجعلها تميل إلى الانصاف المعلول.. والعنصري المؤمن يظل بين جاذبيتين جاذب العنصرية بدائه ودوائه أي يظل صحيحاً عليلاً ومنصفاً متحاملاً وصادقاً كذاباً وجواداً شحيحاً ومنشأ هذا التنافر من التنافر المتأصل بين العنصرية والإيمان ومهما يكن فمثل العنصري المؤمن كالعقاب المنزوع المخالب يهوى الافتراس ولكن لا يمارسه لفقد وسائله وأكثر هؤلاء العنصريين من غير الصهاينة.

الرابعة :

فئة العنصريين الملحدين وهؤلاء أخطر فئات البشر هم أرباب الأحقاد

والمؤامرات والاختفاء في أوساط الأمم وهؤلاء الواحد منهم يحمل بركاناً من الأحقاد ويبيد به أمة آمنة هي وأطفالها ونساءها وشيوخها العزل دون أي مؤاخذةٍ من ضَمير. لأن الضمير لا يكون لعنصري ملحد..

ولن يكونَ ما دام يحمل مجموعةً نفسيَّةً، لم تتطور بتطور الحضارات الإنسانية العالية وعلومها المكتشفة الحديثة.

حتى يمكن أن يحْملَ نفسَ إنْسانِ حَضَاريٍّ لا نفسَ وَحْشٍ غابٍ.

جاذبية الغرائز

كَثُرَ الباحِثُون في عِلْم النفسِ وإنكَ تجدُ في كلِّ جامعة في هذه الكرةِ الأرضيةِ فريقاً مِنَ العلماءِ عاكفينَ على دِراسةِ علم النفس..

وقد أفردُوا لكل بَابٍ مِنْ أبوابه المؤلفات. ناهيكَ ببابِ الغرائز والسَّببُ أن الْغرائزَ شركةٌ بينَ الإنسانِ الذي هو أَعْلى الأحياءِ وبين أدنى الأَحْياء الحشرات والجراثيم..

والبحثُ في تَفْصيلِ غَرائِز الأحياءِ مُتَّسعٌ وهنا حديثُنَا عَنْ جواذبِ غرائِز الإنسانِ ومَنطقُ الغريزة إلْهامي ركزه اللهُ في صَميم التكوين العُضْوي.

وجاذبيةُ الغريزةِ ذاتُ شوكةٍ ماردةٍ عَنيدة طَاغيةٍ ولا يَعْلَمُ إلَّا اللهُ كَمْ هِيَ المتاعبُ المُضْنيةُ التي لَقِيهَا رسولُ الله ﷺ وهو يكافحُ وينافحُ ويناضلُ في سبيلِ الانتصارِ على جاذِبيةِ الغَرائزِ وانقاذِ البشريةِ مِنْ خَبائِثِهَا ولَعَناتِهَا..

وكلُّ المُثَقَّفين الدارسينَ يَعْلمونَ أنَّ الغرائزَ منبثقةٌ مِنْ طبيعة الأرض وأنها محشودةٌ بالأطْماع والمظالِم والظُّلماتِ والوثنياتِ والشركِ والإلحاد والنَّهْبِ والسلبِ والبطشِ والفتكِ والانقضاضِ والانحطاطِ والانتقامِ والتآمرِ والشحِّ والقسوةِ والوحشيَّةِ والفجورِ والسِّفاحِ والخيانةِ والجحود والعقوقِ والغَدْرِ.

وعلماءُ الحضارةِ كافة يَدْرونَ أَنَّ الانفكاكَ مِنْ أَغْلالِ جَاذبيةِ الغرائزِ لَيَسْتْ سهلةً أبداً، ولا ممكنةً لكلِّ إنسانٍ بالمقدارِ الذِّي يخالُه شُداةُ الثَّقافة.

بل هي لم تكنْ في يَوْمٍ متفاقمةً طُغْياناً ووحشيةً وغرواً واستهتاراً وآثاماً وكفراً وإلحاداً واستباحةً واطماعاً وإراقةً للدِّماء بالغدرِ والخيانةِ والتَّبليس مِنَ اليومِ الذِّي وقفَ فيه رسولُ الله ﷺ في غـار حِراءِ يَهْتِفُ بـالبشريـةِ إلى الانْطلاقِ مِنْ سَطْوتها إلى حقائقِ الإيمانِ والهدَى والخيرِ والتعارفِ والتعايشِ السِّلْمي والإنسانيةِ العالية.

أي هتف بها لَتسْعَد بكبتِ جَاذبية غَرائِزها بِسُلْطانِ الإيمانِ ولِتَخْلُصَ مِنْ حَشَراتِهَا بالأَعْمالِ الصَّالحَةِ وَلِتمارِسَ الصبرَ على نُصْرةِ الحَقِّ والْعلمِ والصِّدقِ ولِتَتَبَادَلَ التَّواصي على كلِّ ذلك جِيلاً بعد جيلٍ، ولتتبادل المودات والمعونات التي تليق باسم الإنسانية.

وهذه نداءاتُ رسولِ الله ﷺ منزلةٌ في كتابِ الله من أجلِ إسْعادِ الناس أجمعين وهي نداءاتٌ ساميةٌ أخرجتْ البشريةَ مِنْ وحْشِيةِ الغرائز وجواذب إبَاحَاتها. هي نداءاتُ الإيمانِ والحق هي نداءات السَّماءِ لأَهْل الأرضِ ولنقرأْ بخشوعٍ هذه السورةَ القصيرةَ،سُورَةَ الْعَصْرِ.

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿والْعَصْرِ ،إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسر، إلا الذين آمنُوا وَعَملُوا الصَّالحـاتِ وتواصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بالصبر﴾.

والواقعُ أنَّ كلَّ غريزةٍ في ذَاتِ الحَيِّ لها طَاقَتُها الجاذبـة الخاصَّةُ التيَّ هِيَ مِنْ صَميمِ التكوينِ وأنَّ الانتصارَ عليها والانفكاكَ مِنْ عُنْفِ جاذِبيتِهَا يُضْني ويجهـدُ ويفتقِرُ إلى إرادة حديديَّة، وإيمان صَادق وخوف من الله حـق..

انظر هؤلاءِ علماء الحَضَارةِ قَدِ اسْتطاعَوا أَنْ يَنْفصلُوا مِنْ سَطْوةِ جاذبية الأرضِ وصعدُوا على سَطْحِ الْقمرِ ولكنهَّم لم يستطيعُوا أَنْ ينتصرُوا عَلَىَ سَطْوةِ

جَواذِبِ غرائز ذَواتِهِم ليَكونُوا إنسانيِّينَ رُحَمَاءَ على قَدِمِ رُسُلِ اللهِ سيِّدنَا موسى وعيسى ومحمدٍ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم.

وعلماءُ النَّفْس علَى سَعَةِ دراستهم لحِقائِق المجموعة النفسية وتعمقهم في دِرَاسة غرائزِ الأحياء عجزُوا أَنْ يُصَوِّرُوا سُلْطانَ جَذْبِ الغريـزةِ وعنفوانها وهَوْلِهَا.

كَما صوَّرها رسولُ الله ﷺ في قوله: «لَوكان لابْنِ آدمَ واديان مِنْ ذَهبٍ لتمنىً ثالثاً ولا يملأُ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ ويتوبُ اللهُ على مَنْ تاب».

والمثقف الواعي يَتَبيَّنُ مِنْ معاني هذا الحديثِ الشريف جُمْلةً مِنَ الحقائِقِ الحَكيمةِ الصَّارخةِ في واقعِ حياةِ الإنسانِ..

الأولى : يَكشفُ الحديثُ الشريفُ أنَّ جاذبية الغريزةِ أَيًّا تكنْ إذا طَغَى طغيانُهَا وَعَرُمَ عُرامُهَا فَلنْ يَصُدَّها صَاد ولا يردعُها رادعٌ مِنْ عِلْمِ وَعَقْلِ ودَينِ وخلق..

وهذا شأن جوعِ غريزة التملك أَلَا ترى صَخْرةً واحدةً في وادي الذَّهبِ مِّما هُوَ مَنْثورٌ مِنْ بين آلافِ الصخور، تُعيلُ مدينةً بأَسْرِهَا أجيالاً متتابعةً فَمَا بَالُكَ بِملْءِ الوادِي الأول والثَّاني من الذهب ومع الإحساس بالجوعِ في تَمَنيِّ الثالث..

هذا تصويرٌ مُدْهِشٌ جداً فيه عُمْقُ الْمعرفةِ وسرُّ وَحْيِ النبوةِ وجـلالُ مِحرابِ البيانِ وإشراقةُ سُمُوِّ السماءِ وَكشفُ واقعِ مجموعةِ نَفْسِ الإنْسانِ..

الثانية : والحديثُ الشريف يَكشفُ نَهمَةَ الجوعِ الحارقةِ التي لَا يُشْبعُها تراكُم الادِّخارِ إلى نهايةِ الحياة،هي نهمَةٌ لا يُشْبعها إلاَّ شيءٌ واحدٌ هو الترابُ حينَ يملأُ الجوْفِ. والمْرادُ أنَّه ما دام حَيًّا مُحَالٌ وألف محالٍ أن يَشْبعَ ولو عاشَ يجمعُ الأموالَ ألفَ ألفَ عام على أنَّ نهايةَ الجامعِ إلى الترابِ لا بُدَّ لا بد منها

هكذا رسولُ الله ﷺ يقولُ.

الثالثة : تحُسُّ في قوله عليه الصلاةُ والسلامُ «لا يملأُ جوفَ ابْنِ آدمَ إلاَّ التراب» حِرْمانه من كلِّ ذكرٍ طيب بعدَ موتِه، وكلُّ ما يَدُلُّ الحديثُ الشريفُ أنَّه ظلَّ يجمعُ المالَ ويجمعُهُ وهو يحسَبُ أنَّ جمعَهُ للمالِ يخلدُهُ شأن كلِّ جمَّـاع للمالِ دون أن يفكرَ في الانفاقِ مِنْ أجلِ بناءِ مكْتبةٍ أو طَبْعِ كُتُبٍ نافعةٍ أَوْ بناءِ مَدْرسةٍ أَوْ مَسْجدٍ أو مُسْتشفى أو أربطةٍ لِسُكْنى الْمعْدَمِين.

أجلْ لا يفكرُ في ذلـك وَكيفَ يفكرُ في ذلـك وهو يحُسُّ أنـه جَائِـعٌ والإحْساسُ بالجوعِ يْمَنَعُهُ من التفكيرِ في أيِّ شيءٍ سِوَاهُ ولو مَلكَ خَزائِنَ كسرَى وقَيْصر.

أجَلْ يمنعُهُ ويمنعُهُ أَحَبَّ أم كَرِهَ لأنَّ سطوةَ الغريزةِ غلاَّبةٌ بإصرارٍ وعِنَادٍ.

الرابعة : إنَّ استرسَال جَامعِ الْمالِ الغريزيِّ لن يَنْتَهِي عُرامُ جَمعِهِ للمالِ ولَوْ كانَ ملءَ وادٍ يَفيض لأنَّ جمعَهُ للمالِ يكونُ بِحُبٍ كَحُبِّ الْمجْنـونِ لِلَيْلاهُ، وَجمْعُ المالِ بمثْلِ جُوعِ هذا الحبِّ يوقعُ صاحبَه في مَنْعِ الزكاةِ،ومنعُ الزكاةِ إثْم كبيٌر ولوْلاَ أنَّه إثْمٌ كبيٌر لما قال عليه الصلاة والسلام وَيتوبُ الله علَى مَنْ تَابَ.

والتوبةُ عادَة لا تكونُ إلاَّ بَعْدَ مُقَارفةِ إثْمٍ : هذَا تصويرُ رسولِ الله ﷺ لجوعِ جاذبيةِ الغريزة وهو جوعٌ نَهِمٌ عَاصِفٌ لا يَنْتهي حتى تنتهي الحياةُ كما رأيتَ فاحْسِبْ حسابَ الشبع قبل أن تدخل في اعصارِ هذا الجـوع النهم العاصف الجارف إلى القبر.

الخامسة : صاحبُ هذا الجوعِ الغَريزيِّ لَنْ يستجيبَ للعاملين الصَّادقِينَ مِنْ بناءِ أمجادِ الوطن إلاَّ بمقدارِ مَا يمكنُ أَنْ يُفِيدَ مالاً أو تجارة وثقةً أَوْ فائدةً لدَى الْحُكَّامِ فهو تَاجِرٌ حتىَّ في اسْتجَابتِهِ لمصالح بناءِ الأمة الحضاري . .

نعم هناك اسْتِجابات لا يُفيدُ مِنْ وَرائِهَا رِبْحاً مَادِيًّا مِثْلَ تَرْقِيةِ نَفْسِه واستجابتِهِ لغرائِزه الجنسيةِ وسواها مما يحسُّ جَسَدُهُ مِنْ قريب.

والآن يمكنُ لِلمُطالعينَ أَنْ يَفْهمُوا مِنْ حَديثِ رَسولِ اللهِ أنَّ هذا العصرَ غريزيٌّ ماديٌّ طَاغٍ ما عَدَى القليلِ النافعِ: والقليلُ النافعُ يصبحُ شِعْراً بالنسبةِ لِلْغَريزيِّين. والغرِيزييُّون أبداً عُمياً صُماً بُكْمًا تجاهَ مطالبِ أُخْرَى ولو كانُوا فلاسفةً وعلماءَ أعلام.

أجلْ هو عَصْرٌ لا يعرفُ مِنْ أعمالِ الحضارةِ إلَّا الاستجابةِ لِلَهَفَاتِ مَا هُوَ مَطْبوع من جاذبياتِ الغرائز.

وكلُّ الدعاةِ المفكرينَ الإنسانِيِّين الحكماء يَعْلمُونَ أَنَّ تَوْجِيهَهُمْ ودعوتهم للسِلم وكَفِّ إرَاقَةِ الدِّماءِ وَحَبْسِ التَّهافتِ إلى شُعُلاتِ الغرائز هو سَرابٌ في سرابٍ.

والذين يَطْلبونَ الريَّ والخِصْبَ والثمارَ الناضجةَ مِنَ السَّرابِ هم الخاسِرونَ.

أَجَلْ هُمْ يَعْلمونَ ذلك ولكن بحكم مَوْقِفهم هم لَا ينفكون عن التوجيه والنِّداءِ تِلْوَ النداء.

وإنْ كانُوا يَعْلمُونَ أنه نِدَاءُ طَائِرٌ في كُثْبانِ الرَّبْع الخَالي.

وستظلُّ البشريةُ هكذا تُهيْمِنُ عليها جواذبُ غَرائِزِهَا وتسوقُها حتىً يْهوي بَها طُغْيانُها وعنادُها والحادُهَا وإباحاتها مِنَ مَهاوي العدم.

والبشريةُ الآنَ على حَافَّةِ كثيبٍ مَهيلٍ جِدًّا جِدًّا ولا نجاةَ ولا شبهَ نجاةِ ولا أمل ولا طيفَ أمل إلَّا بالعودةِ إلى ظلالِ الإيمانِ «ويحذركم الله نفسَه»[٣-٢٨].

جاذبيتان في هذه الدنيا

للكرةِ الأرضيَّةِ جاذبيتانِ مصدرُهُمَا مِنْ صميمِ تكوينها.

١ ــ جاذبيةُ المــادة.

٢ ــ وجاذبيةُ الغريزة.

جاذبية المادة طاقة ماثلة في طبيعة تكوين الكرة الأرضية.

١ ــ هذه الطاقة الجاذبة تشد وتجذب وتكِفْتُ إليها كلَّ ذِي ثِقلٍ ذَريٍّ إنْ كبيراً أوْ صغيراً حتى عناصر الهواء.

٢ ــ وجاذبية الغريزة وهي تحملُ طبيعةَ ترابِ الأرض الماثلةِ في أحيائِهَا الترابية.

من نزواتٍ وأطماعٍ وافتراسٍ وتقاتُلٍ وثَأْرٍ وانْقضاضٍ وظُلْمةٍ وظُلْمٍ واحْتيالٍ وترصُّدٍ وخَتْلٍ وتلَوُّنٍ ومراوغةٍ ودَهاءٍ ومكْرٍ وافْكٍ وتظاهرٍ وكبرياء وخيلاء..

وكل تطورات البشر منذ أن كان مَسْكنُهمُ الكهوفَ والغاباتِ والأدغالَ إلى أَنْ تحضروُا وأصْبحُوا يَسْكُنُونَ الدورَ والقصورَ والأبراج والحدائقَ الفينانةَ الغنَّاءَ.

وجاذبيةُ الغرائز الغابية هِيَ تعملُ أعْمالَها على الرغمِ من سَطْوةِ العاطفةِ

والفكـرِ، وعلماءُ الحضـارةِ الحديثـة يدرونَ أَنهمْ مَشْـدُودُونَ إلى هَـاتينِ الجاذبيتين.

١ ــ جاذبية المــادة..

٢ ــ وجاذبية الغريزة..

ويدرون أَنَّ هاتين الجاذبيَتينِ مُنْبثِقَتَان مِنْ طَبيعةِ تكوينِ الكرةِ الأرضيةِ وإِنَّ الانفكاكَ مِنْ أيٍّ من الجاذبيتين لا يَتمُّ إلاَّ بعلمٍ وفَنٍّ ودرايةٍ وتدريبٍ ومُعَاناةٍ وجهادٍ واحتمالٍ وإعْدادٍ وتضحيةٍ بالنفسِ والمالِ..

ويعلمُ اللهُ كم هِيَ المعاناةُ التي عاناها العلماءُ حين صَمَّمُوا أن يَنطَلقوا من جاذبيةِ الأرض إلى جاذبياتِ العوالم الأخرَى..

وكم وكم هي العلومَ التي عكفـوا على دراسَتِهـا وكـم وكم هـي الممارساتُ التي مَـارسوهَـا وكم وكم هِيَ المزاولات التي زَاولـوها إنهـا ممارساتٌ ومزاولاتٌ عاسفةٌ صارِخَـةٌ قد ذَهَبَ ضحيتَهـا جملةٌ مِنَ الرواد العلماء..

حَتَّى تَمكَّنوا أَخِيراً مِن الإِنْطِلاق مِنْ جاذبيةِ الأرض إلىٰ جاذبيةِ القمر وسواهُ مِنَ الكواكب ويشهدُ اللهُ إنها بطولاتٌ علميةٌ ماجدة وتضحيات فنية وتَدْرِيباتٌ مرهقةٌ تحملُوهَا مِنْ أجل الصُّعـودِ الحضاري والتقـدمِ العلمِي واكتشافِ مَا تيسَّر مِنْ حقائق أسرارِ تكوينِ الكائنات.

ولولا تَضْحِيات تلكُم البـطولات التي كانتْ مِنَ الـرُّوادِ وتكونُ لَمَـا انْتصرُوا وَيَنْتصرون. وقد عَرَفَ المثقفونُ كافة متاعب الانْطلاقِ مِنْ جاذبيةِ المادة فليعرفوا متاعبَ الانطلاقِ من جاذبيةِ الغريزةِ وإِنَّهُ لعَسير..

ومهما يكنْ فإنَّ التعمقَ في دراسةِ جاذبيةِ المادةِ المـاثلةِ في صَميم

تكوين الكرة الأرضية تشتملُ على كثيرٍ من المعارفِ الحضاريَّة الحـديثةِ وبالحريِّ دراسة الإِعْدادِ للانطلاقِ مِنْها إلى جاذبيـاتِ الاجرامِ السمـاويةِ الأخرى. .

هذا الإِعدادُ أَدَّى إلى اكتشافِ كثيرٍ من النواميس الكونية التي أقامَ اللهُ عليها تَكوينَ العوالِم وهي بابٌ فسيحٌ جدًّا جِدًّا للاطلاع على حقائق الإيمان وجلالِ المكونِ العظيم رب الكائنات.

هذا التكوين الذي يجعلُكَ تَصْرخُ مِنْ أعماقِ قلبك وتصرخُ مِنْ حقائق علمك إنْ كنتَ مِنْ الدارسين لِمَا اكْتشف مِنَ العلومِ الحضارية الحديثة.

فإن ذلك هو الذي يجعلُكَ تُنادي بالتزامِ وَحْي الله وأنت مُعْتَزٌ بإيمانِكَ العلميِّ اليقيني ومُعْتَزٌ بأنَكَ تُنادِي إخْوتَكَ في الإِنْسَانيةِ لكي يُؤْمنوا بما أَنتَ مُؤْمِنٌ به مِنْ حَقائقِ وَحْيِ اللهِ جلَّ جلالُه وَهَيًّا جَمِيعاً لنتلوَ بخشُوعٍ وإذْعانٍ ورضا الآيات المعجزة الآتية. .

﴿خَلَقَ السَّموٰاتِ بِغَيْرِ عمدٍ ترَوْنَها وألْقى في الأرضِ رواسيَ أن تميدَ بكم وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وأَنْزَلْنَا مِنَ السماءِ ماءً فَـأَنْبَتْنَا فِيها مِنْ كلِّ زوجٍ كَريمٍ، هَذَا خَلقُ اللهِ فأرُوني ماذَا خَلَقَ الذينَ مِنْ دُونه بل الظَّالمون فِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [٣١ - ١٠ و ١١].

﴿وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفـلا تبصرون﴾ [٥١ - ٢٠ و ٢١].

﴿أَلَمْ نجْعَل الأَرْضَ كِفاتاً أحْياءً وأَمْواتاً﴾ [٧٧ - ٢٥ و ٢٦].

وعجب البعضُ كيفَ تكون الأَرْضُ كافِتةً للأحياء وهم يروحون ويغدون ويطيرون أي في الظاهر غير مكفوتين كالأموات.

وأخيراً تبين أنهم مشدُودُون إلى الأرض بحكم جاذبيتها ولو طاروا ما لم يدخلوا في جاذبية جرمٍ ثانٍ مِنْ أجرام السَّموات.

أقدار العلم والحق

العلم هو كل حياة الأفراد والجماعات في كل عَصْرٍ ومصر، هو ينبوع الحضارة الصاعدة، هو سياج الأمن الأمين، هو رفرف الإنسانية الراقية.

والعلم مصباح وقاد تنطلق منه كل الأضواء الكشافة لمجاهل الوجود. والعلم موازين الخلود والأمجاد وحقائق المعرفة. وبه تكمل إنسانية الأمم وتصفَّى مِنْ أوْضَارِ مواريثِ الغـاب. وتتم أخلاقيـاتها ويستقيم الحق في معاملاتها مع الله جل جلاله ومع نفسها ومع الآخرين. أي يستقيم حكمُهُ ويوزنُ بموازين الْعَدْلِ والواقعِ واليقينِ في كلِّ شَيْءٍ..

والعلم ضـروب وأكمل ضـروب العلم هـو العلم المتصـل بمعـرفـة خصائص الله رب العالمين ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً..

وإذا عرفتَ أن أكمل ضروب العلم هو الْعِلمُ المتصلُ بكمالِ معرفةِ الله مكون الأكوان ومخطط خططها ومسنن سننها ومقدر أعمالها. فإنك لا بد متوجه إليه بكل عقلك وقلبك وإنسانيتك وإيمانك وإخلاصـك وصلاتـك وضراعتك..

وعلم معرفة الله هو إشراف العلوم وأكملها وأسماها لأنه به تتوحد ميول البشر وتتهذب نفوسهم وتصفو قلوبهم وتصدق موداتهم.

أجل هو اكمل العلوم حتماً حتماً. وقديماً سأل العالم المؤلف الإمام الشعراني شيخه عن أكمل العلوم، فَأَجَابَــهُ:

«أكمل العلوم معرفة الحق سبحانه وتعالى» وسمعت هذا الجواب من علماء الكلام في حلقات دروس الأزهر الشريف منذ نصف قرن وأنا يومئذ في غضارة العمر قلما يستوعب السامعُ فيه أبعادَ ما يلقىٰ عليه دلائله الماجدة. مثلما يستوعبه الشيخ المجرب.

هو جواب الحكمة العالية والعلم الواسع والفكر النير البحاث، بل هو جواب القلب العامر بالإيمان بالله الخالق العظيم هو جواب من الأعماق وشتان شتان بين جواب يتطاير كزبد الشاطىء وجواب مكنوز في محارات اللؤلؤ في الأعماق.

وأنت إذا جلت بفكرك في سوق عكاظ واصغيت إلى محاورات العرب العرباء في أسمارهم القمراء فإنك تفهم منهم إذا ذكروا الحق في بيانهم يعنون به الشيء الثابت الواجب الأكيد النافع.

وهل في الوجود سائره في سَماواته وما وراء سماواته وما دونَها في عوالم المادة والطاقة الظاهرة والباطنة من شيء أثبت وأدوم وأوجب وأنفع من العلم بربك وخالقك ولا ريب أنَّ إيمانك الرَّاسِخ به جل جلاله يحدوك أن تصرخ بكل قلبك وعقلك وعلمك وحبك: لا لا.

إذن فمعرفتك للحق سبحانه وتعالى يَجِبُ أن تقدمَ على كل الحقوق وتسمو على كل الحقوق وتقوِّم كلَّ الحقوق الصالحة الثابتة المباركة كما أن معرفة الباطل تقود إلى كل الخبائث إلى الإلحاد والإباحة والبطش والمؤامرات والاغتيالات والشرك والوثنية بل إلى كل الأهوال والأفداح والجوائح.

ومن لا يؤثر معرفة الإيمان المعرفةَ العلمية اليقينية فإنه حتماً ينحرف بمعرفته إما إلىٰ الإلحاد ومكارهه وإما إلى الوثنية والشرك وأساطيرها أي إلى تأليه أفراد الكائنات الروحية والمادية.

والإيمان العلمي اليقيني بالحق سبحانه وتعالى يزيد وينقص تبعاً لصحة معرفة الله وزيادتها وتبعاً لفسادها ونقصانها وبعدها عن التأويلات والأساطير والأحلام.

أجل بقدر حقائق المعرفة الخاصة بالله وصفاته وأسمائه وأفعاله وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز يكون الإيمان سامياً صافياً منجياً..

ولا ريب أن العلماء الذين يُجِلُّونَ إجْلالاً معرفةَ اللهِ ويدرسونَها في مَصادِرِهَا اليقينية الموثوقِ بها وَيَقَدِّسُونها بما هي جديرةٌ به من التقديس الخاشع الذي يتفضل الله به عليهم هم بررة أخيار هم في أعلى عليين من المعرفةِ المقدسة المباركة وأبعد البعداء عن الإلحادِ والشرك والوثنية هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم الآيات يخرون سجداً بكياً. أجل هم المؤمنون حقاً ﴿ **إنما المؤمنون الذي إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولٰئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ [٨ - ٢ و ٣ و ٤].

أجل هم العلماء الذين عرفوا أن أكمل العلوم العلم الذي يكشف لهم حقائق معرفة الله جل وعز العلم الذي يتبينون منه أن الله هو الرقيب الأعلى على كل شيء دون افلات شيء ما ويتبينون منه إنه هو وحده المجازي على كل ممارسة خيرة أو شريرة بعدل موازينه التي لابخس فيها ولا محاباة..

وهكذا يتبين العلماء الأعلام المؤمنون في عمق دراستهم للعلوم أن أكمل العلوم هو معرفة الحق الأعلى جل جلاله والحق المنزل في خاتم وحي الله. وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ [١٧ - ١٠٥].

ويقول : **﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾** [٣٩ - ٢].

وإنَّ إعجازَ القرآن المعتد للمستقبل حقٌّ: **﴿سَنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبينَ لهمْ أنه الحق أو لم يكفِ بربكَ أنه على كل شيءٍ شَهيد﴾** [٤١ - ٥٣].

والمراد أن وحي الله حق، وجاء في أحكامه المنزلة بالحق الذي يهزم الباطل. والشقاء الذي ينزل بالبشر أفراداً وجماعات مأتاه من الباطل والباطل لا يسحقه إلا الحق.

فهلموا إلى الحق المنزل لاسعادكم.

ولا ريب أن الذين يرفضون هذا الحق الذي أنزله الله خاتماً للكتب السماوية متبعين كتباً دينيَّة مضي أزمانها ومناسباتها وأسبابها فإنهم قوم مُنْحرفون عن أضواءِ الحق الأعلى ومن ينحرفْ عن أضواءِ الحق الأعلى يَعِشْ سَادِراً في الظلمات ومآسيها إلى الأبد.

.. وَلِـمَ لا يعيش في الظلمات ووحي الله هو النور الهادي إلى الحق؟!! والحق هو الذي يهدّمُ الباطل في أية صورة جاءَ ولو جاءَ في صورة اليقين العلمي، لأنَّ الْيقينَ العلمي الْواقعي نورٌ لا يَدُل على باطل.

أجل وحي الله نور: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وانزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾** [٤ - ١٧٤]. ووحي الله هو الهادي إلى الحق في كل شيء: **﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحقَّ ويهدي إلى صراطِ العزيزِ الحميد﴾** [٣٤ - ٦].

ووحي الله هو الحق الذي يهدم الباطل في أي وضع كان: ﴿قل جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطل وما يعيد﴾ [٣٤ - ٤٩].

وأرسل الله خاتم رسله بالحق، أي بالحياة والهدى والخير والإنسانية والرحمة.

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ [٣٥- ٢٤]. ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [٢١ - ١٠٧].

وكل تكوين الوجود حق وليس فيه أثر للباطل والباطل مع الشيطان والحق يدل على الرحمان ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يكوِّر الليل على النهار ويكوِّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار﴾ [٣٩ - ٥].

والحق جل وعز ينهى عن اتخاذ الظنون والأوهام والتقاليد والأساطير في العقيدة وفي أعمال الحياة ومسائل العلم وكل ما يأتي به الظن يشوه الحقائق ويصرف عنها.

﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظنَّ وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ [٥٣ - ٢٨].

وكم تحزن وكم تأسف كم تسخط إذا أبصرت مفكراً عالماً يركع خاشعاً حيال الظنون التي تقبل على الباطلِ ويعرضُ عن الحق الذي يهدي به الله عباده إليه.

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أَحَقُّ أن يُتبع أمَّن لا يَهِدِّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون، وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون﴾ [١٠ - ٣٥ و ٣٦].

وجهل البشر بحقيقة عظمة الأكوان وسعتها ودقائق نواميسها ووظائفها أدى إلى الجهل بحق قدرة خالقها العظيم وصدق القائل:

من جهـل الـصنعـة عجـزا فمـا أجْدَرُهُ أن يجهـل الصانعـا

وتفكر بكلٍّ ما آتاك الله من طاقات الفكر الحر الأمين المصنف في قوله تعالى: **﴿ومـا قدروا الله حق قدره.. والأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** [٣٩ ـ ٦٧].

وأنت إذا حققت في آيات الكتاب المنزل وتلوته بوعي وفهم وتدبر تلمس منبع النهوض الحضاري الدائم إلى الصعود العلمي إلى بناء الحق في كل شيء وإلى هَدْمِ الباطل في كل شيء تلمسه صريحاً في قـوله تعالى: **﴿ويمحُ الله الباطـل ويُحِقُّ الحق بكلماته إنَّـهُ عليم بذات الصدور﴾** [٤٢ ـ ٢٤].

ومهْما يكن فقد خف وزن الجدال بالظنون والأوهام والخرافات بين مفكري علماء الأمم وأصبح محل الزراية والاحتقار وبالحري بعد العقاب الذي أنزل الله بالمجادلين بالباطل لدحض الحق **﴿وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحـق فأخذتُهم فكيف كان عقاب﴾** [٤٠ ـ ٥]:

لأن نهاية الباطل الأزهاقِ عَلَى كل حال: **﴿وقل جـاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾** [١٧ ـ ٨١]. ولا بد من أزهاق الباطل ما دام العلم يتجدَدُ، ومعجزات القرآن تكشف.

من أجوبة ولي العهد

الـــزواج بالأجْنبيـــات

أجـــاب ولي العهد فهد بن عبد العزيز

عن الزواج بالأجنبيات.. في جُملةِ الأسئلةِ التي سُئِلَ عنها، ونشرتْها الصحفُ في ٨ ربيع الأول عام ١٤٠٢ هـ.

وهو علىٰ مِنصَّةِ جامعة البترول. وكان جوابُهُ جَيداً جِداً، الحَكمـةُ تضيئُهُ، وَبُعْدُ النظرِ يتجلَّى فيه، وعمقُ العِلم ويقظةِ الفكرِ وَفِطْنة السياسَةِ تستهويك. كعادتِهِفي أحاديثه التي يَردُّ بها على الأسئلةِ التي تُطرحُ عليه مِنْ هُنا ومِنْ هناكَ وهنالك، قال حفظه الله:

«إنَّ منعَ الزواج بالأجنبيات قَائِمٌ بالنسبةِ لفئةٍ معينةٍ محدودةٍ على غِرار ما يجري في كلِّ دُولِ العالم بالنسبةِ للعسكريين أو السياسيين أو أصحاب المناصبِ الحساسة.. وقال إنَّ التعقيدَ في إتْمامِ زواجِ السُّعودي العادي بالأجنبية مَرَدُّهُ حِرصُ الدولةِ على الفتاةِ السعودية وإيمانها بأنَّها الأنسبُ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لأنها تفهمُ طِباعَهَ وعاداتِهِ وتقاليدَ مُجْتَمَعِهِ ولأنها أقدرُ على إسْعادِهِ مَعَهَا وإسعادِ أسرتِهَا... وأشارَ سُمُوه إلى العديدِ من المشاكل الأسرية التي نشأتْ عن تزوج السعوديين بأجنبيات ووصفها بأنها مشاكل مؤلمة للزوج أو الزوجة أو الأولاد، وذكر أنه مع وجود هذه المشاكل التي يحلها طرفٌ على

حسابِ طرف آخر لا يمكنُ بأي حالٍ مِنَ الأحوال أن يُسَمَّى الزواج موفقاً كَمـا لَا يمكنْ أن تكونَ الأسـرة سعيـدةً يتفـرغُ فيهـا رب البيت لعمله وشؤونه. . «وبالحري إذا كانت الزوجةُ غيرَ مسلمة». .

كما أشار سُموه إلى أنَّ عَدد الطالباتِ في المملكة قد بلغ مئات الآلاف وإلى ظاهرة تَفوُّقِ الطالبات فِي دراستِهنَّ ونتائجهنَّ على الطلبة كما أخبره بذلك مديرُ الجامعة من واقع إحصائياتها وأشاد بطمـوح الفتاةِ السعـودية وقدرتِهَا على اسْتيعابِ كلِّ ظُروفِ الزوج وتشجيعه على اجتيازها ومواصلة الطريق إلى ما يريدُ. وقال إنَّ هذا لا يَعْني أننا نكرهُ أنْ تكونَ علاقاتُنا بإخْوانِنا العرب والمسلمين علاقات اندماج وزواج ومصاهرة ولكن ظروفنا تفرضُ علينا بعض القيود فيما يتعلق بحماية أبنائِنا وبناتنا سواء في المملكة أو في هذه الدول من مشكلات نحن جَميعاً في غِنىً عنها».

وكم كنت أتمنى أن أتناول كلَّ جوابٍ مِنْ أجوبة سُموه الملكي بإخراج ما فيه من الحكمة والنظر السديد ويقظةِ الوعي القيادي ووزن مصالح الوطن والعُروبة والإسلام بموازين واقعهم الإسلامي الحضاري الراقي ولكن آثرتُ أنْ أقصرَ هذه الكلمة على حديثه عن المرأةِ ولا يعجبُ المطالعُ من ذلك

فَالمرأةَ شَطرُ المجتمع وأمُّ الجيل وعلى أضواءِ بَصيرتِهَا تدرجُ الناشئةُ بالعافيةِ والاستقامة والسُّموِ والتوفيق،أجل المرأةُ هي أم الجيل. فرعايتُها رعايةٌ له، وعفتُها عفةٌ له، وثقافتُهَا ثقافةٌ لَهُ وطموحُها طموحٌ له، وصِدْقُ إيمانها صِدقٌ لإيمانِه.

وإذَا أنعمَت النظرَ في كلِّ حَقائِق الجيلِ النَّاشيء ألفيتَها قائمةٌ على الأمِ. فالأم هي الجيل، والجيلُ هو الأمُّ. وما أروعَ ما قاله شاعُر النيل حافظ إبراهيم:

الأمُّ مـــدرســـةٌ إذَا أعــددتَهــا أعـددتَ شعباً طيِّبَ الأعــراق

المرأة في إعجاز وحي الله جل وعز:

لَمَّا كان رسولُ الله في مكةَ المكرمةِ لم يُسْلم مِنْ أهلها إلا القليل ولمَّا هاجر رسولُ الله ﷺ ولحق بأصحابه في المدينةِ المنورة أخذَتْ بعضُ النسوةِ المؤمنات واللائِي يَدَّعيـن الإيمانَ يهاجرن فَمِنْ أجلِ إرشادِ المسلمين إلى واقع هؤلاء، وهؤلاء أنزل في وحيه:

﴿يا أيها الذِّينَ آمنُوا إذَا جاءكم المؤمناتِ مُهاجِراتٍ فامْتحنوهُنَّ ـ الله أعلمُ بإيمانِهنَّ ـ فإنْ علمتموهنَّ مؤمناتٍ فلا تَرجعُوهُنَّ إلى الكفار لاَ هُنَّ حلّ لهمْ ولا هُمْ يحلون لَهُنَّ..﴾ [٦٠ ـ ١٠].

وإذا قلتَ كيفَ النَّصُّ يعينُ أنهنَّ مُؤْمنـــاتٌ إذا جـاءكم المؤمنــاتُ مهاجرات، ثم يطلبُ إمْتحانَهُنَّ ليُعْرفْن إنْ كنَّ مؤمنات حقاً أم لا. قلت:

«إعلانُهُنَّ الإيمانَ لا يَجْعَلُهنَّ مؤمناتٍ حقًّا في عَيْنِ الواقع إلَّا إذَا كان إعلانُهُنَّ الإيمانَ منبعثاً عَن يقينٍ مُنْطوٍ في قلوبهنَّ. ولا سبيلَ إلى بلوغ العلم بحقيقةِ الإيمان المنطوي في القلوب إلا بالامْتحانِ. وقديماً قالُوا «بالامتحانِ يكرم المرء أو يهان».

إذْ قد يكن هَاجَرْنَ للتجسس وَنَقْلِ أخبارِ المؤمنين إلى الكافرين أما إذا تحققَ العلمُ بإيمانهنَّ فلا يجوزُ إرْجاعهنَّ إلى الكفارِ أبداً ولا أحَدٌ أقدرَ على نَقْل الأخبار والرسائل إلى الأعداء واخفائها من النساء المريبات. وهؤلاء النسوة غيرَ المؤمنات المعلومات أصالة.

ونحن في السِّيرِ نقرأ أَنَّ حاطبَ بن بلتعة حينَ أراد أَنْ يقدِّمَ إلى قُريش يداً باخبارهمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ يَعْتزمُ غَزْوهم.. اسْتأمَن امرأةً علىٰ ذلك

بأُجْرةٍ وكانت قد أخفتِ الرسالة في ضفائرها. وغادرتَ المدينة ولولا أن الله لطفَ بالمسلمين وأوحَى إلى رسولِهِ بحقيقة الأمر. وأن رسول الله ﷺ سارع وأرسل خلفَها من يدركها ويأتي بالرسالة الذاهبة بها إلى قريش لَفَدُح الأمر !
وقد أرسل خلفها عليًّا والزبيرَ والمقدَادَ وقال لهم : «انطلقوا إلى رَوْضةِ خاخ فإنَّ بها ظعِينةً معها كتابٌ فخذوهُ منها».

فانطلقُوا وعادُوا بالكتابِ. . . ومن هذه الحادثةِ تروْنَ أنَّ بعضَ النسوةِ كن قديماً يُتَّخذْنَ لنقلِ الأخبارِ والرسائل إلى الأعداء، والتاريـخُ الحديثُ محتشدٌ بذلك بهوْلٍ مرعبٍ يخفى على الجن.

حتى أن العهدَ القديم يشتملُ على سفرين يتصلان بـأثرِ المـرأةِ في الأعمال التي يعجزُ عنها الرجال:

١ ــ سفر اسْتير.

٢ ــ وسفر هُودِيتْ.

أما أستير فهي فتاةٌ تروعُ وتستحـوذُ وتحكُم وتفرضُ إرادتَهـا. لسحر جمالها. وقد درَّبها دُهاة الاسرائيليين لكي تُهْدى إلى كسرىَ ولكيْ تكونَ حَظيةً لديه وتلد منه وحينئذ تتمُّ المؤامـرة وتلدُ بمن يحكم فارسَ منهمْ ويكونُ على يدهِ خلاصهم مِنَ الأسرِ، وارْجاعهم إلى فلسطين وقد حصل كل ذلك كما خططوا. لأن تخطيطهم كان بمنتهى المهارة والدقة، والتاريخ يُعيد نفسه. ويكفى أن أستير ولدتْ كورش الذي أعاد الإسرائيليين إلى فلسطين.

أمـا هوديتُ فهيَ الفتـاة الحسناء الجـريئة التي تـظاهـرت بـالخـوف والملاحقة مِن قبل مجرمين فلجأت إلىٰ القائد الفارسي الذي كان يُحاصر قومَها وارتمتْ في أحضانِه متظاهرة بالخوف والبكاء فطمأنها وأخذتْ تَسردُ عليه قصة ملفقةً وهو مأخوذ بها ومفتون وأخيراً أَسَرتْهُ حتى انْخَلَعَ عن صوابِه

ثم قتلتْه وفرتْ من خلفِ الخيمة. .

وأما التاريخ الحديثُ وما صنعته المرأةُ وتصنعُه فالمؤلفاتُ فيه كثيرةٌ جداً وفيها الصدقُ آناً والمبالغةُ آناً آخرَ.

ومهما يكنُ فالمنعُ الذي أشادَ إليه سمـوُّ ولي العهد في كلمتِـهِ هو الحكمةُ والوقايةُ والمصلحةُ التي فُرِضَتْ في كلٍّ قوانين الدول. . .

أمَّا الصعوبة التي يلاقيها مَنْ يعدلُ عن الزواج بالفتاةِ السعودية المواطنةِ ويلحُّ للزواج من المسلمات بناةِ الأوطان العربية والإسلامية فالكلمة الآتية أبسط الحديث عنها. . .

ولقد تغيرت النفوسُ والهياكلُ هيَ الهياكل . . فلا بد من الحذر على كلِّ حال. . وهو خيرٌ وأبقى . .

الحقيقة لا بد أن تظهر

الحقيقةُ لا بدَّ أَن تظهرَ وانتقام اللهِ لا بُدَّ أَنْ ينزل بمن يَسْتَحِقه: هذا أَمْرٌ محتومٌ ولا مناص منه واللهُ المحاسب، وكفى باللهِ حَسِيبًا..

حساب الذين يدبرون المؤامرات ويدسون الأحقاد ويُشْعلون نيرانَ الحروبِ والفتن والمجازر بين الأفراد والجماعات هم ملاقو الجزاء ذرة بذرة.

والْموازينُ في منتهى القِسْط وإنَّك تلمسُ دِقَة الموازين في كلٍّ كائناتِ الوجود حتى الإشعاعات لها موازينُها وإحْصاءاتُها وكذلكَ الطاقات المغنطيسية بينَ العوالم المترامية الجاذبة والدافعة تُوزَنُ في دَفْعِهَا وجذْبها كلَّ هذا يلْمسُه العلماءُ في كلٍّ حركةٍ في هذا العوالمِ وفي كلٍّ سَكَنَةٍ.

والمُجْرمونَ - وإنْ أكثرُوا في هذه الحياةِ الدنيا الحرائقَ - إلَّا أنهم ملاقونَ ما هم صَانِعوهُ جزاءاً وفاقاً دونَ إفلاتٍ لا بدَّ مِنْ صنعاء وإنْ طالَ السَّفر هم مَوْثقونَ إلى جرائِمِهِمْ ومحكوم عليهم بالإعدامِ وإن خَالُوا أنفسَهم مفلتينَ ولا عقابَ ولا شبهَ عقابٍ، الوهمُ مهيمنٌ عليهم ولولا أنَّه مهيمنٌ عليهم لَمَا خَالوا أنفسَهم أنهم أنهم قادرون أن يُواصِلُوا المؤامرات والدَّسائس إلى الأبد ويزعمونَ أنه محالٌ أن يأتيَ يومٌ يرتَّد فيه السلاحُ الذي أطلقوهُ إلى صدورهمْ وأنَّ الإبادةَ التي يُنْزلُونَهَا بالشعوبِ محالٌ أن تكونَ لها مُؤَاخَذَةٌ مِنْ أحدٍ في هذا الوجود وهم يقولون ليس في هذا الوجود مَنْ يُعاقب الناسَ على أغلاطِهم وصورتْ لهمْ أنفسُهم الجبَّارةُ وقلوبُهم القاسيةُ

وعقولَهم الماديَّةُ الملحدةُ أنهم في هذا العالم هُمْ أحرارٌ يُبيدونَ مَنْ يريدون ويتركونَ مَنْ يريدون.

وهم لو علموا أنَّ المؤاخذةَ لا بد أنها نازلةٌ عليهم وأنها حاصدةٌ لهم زرافاتٍ ووحدانا لكفكفوا مِنْ غلوائِهم واستهتارِهم قليلاً. ولكنْ غرور الكبرياء والشوكة هي هي في كلِّ عصْرٍ ومصر.

وَيَلمسُ المتتبِّع سيرَ الشعوبِ والأممِ مِنْ أبعدِ الأزمان حتى عهْدنَا هذا أنَّ الحياةَ الدنيا دُولٌ والعقوباتِ موزونةٌ دونَ تفريطٍ أوْ إفراطٍ وموزونة وفق عَمَلِ مُدَبِّريها أنفسهم، وعودتُها إليهم بمقدارها عَيْناً دون نقصان،، وإنْ خالُوا أنَّ ما ينزلونَهُ بالشعوبِ مِنَ المهالك لا يَرْتد إليهم أبداً في يوم مِنَ الأيامِ لا فِي يَوْمٍ قريبٍ ولا فِي يَوْمٍ بَعيدٍ لأنَّ الناسَ في عَقيدَتهم «كويم» حَيْوانات وحشرات وهمْ وحدهم الناسَ، وهم وحدهم شعب الله المختار ومن هو الذي يُحَاسِبُ على إبادة الحشرات هم يَصرخُونَ لا أَحَدَ لا أحدَ، هذا لسان الذين لا يؤمنون بوجود إلّه الكون والذين يؤمنون بوجودِإلّه الكون وَكُلهُم يقولونَ نحن نبيدُهم والله يُحيينَا، ونحنُ نَمْكُرُ بهم والله يُسَّددُ مكرنا فالله لنا وليسَ لأحدٍ مِنَ الناس هذا قولُ المؤمنين بالله مِنهم ويقولون إنَّ اللهَ مَحَّصنـا طوال الحقبِ فنحنُ الآن الـذهبُ والإِبْريـز والصـريفُ الصـافي ويزعمونَ ذلك وأنْ كانَتْ لهم مَخازي الأبالسة بل مخازي الأبالسة دون مَخازيهم وكبرياءَ الأبالسـة دونَ كبريـائِهـم وغرورَ الأبـالسة دون غـرورهم وأكثرهم لا يعتقدون أنَّ الوجودَ يَشْتملُ على عدْلٍ إلّهيٍّ محتومٍ له سننهُ ونواميسُه وأنه قائمٌ وصارخٌ بمنتهى الدقةِ وإن كانُوا عنه في عمىً، وفي صَمَمٍ والحمدُ لله عدْلُ اللهِ مشاهدٌ ولا يتركُ الظالمَ يتمادَّى في ظُلْمِه إلى غيرِ نِهاية. وما أصْدقَ ما قاله البارودي:

فـلا ينمْ ظـالمٌ عَمَّـا جنتْـه يـدُهُ   على العبــادِ فعينُ اللهِ لم تَنَمِ

وَمَا أَعْمقهم في جهالتِهم وهم يروْنَ أنفسَهم أنهم أعظمُ البشر بل يروْنَ أَنَّ الكائناتِ كافة لا تشتملُ على مَنْ يحملونَ عِلْمَا يُدِلُّونَ به على كلٍّ أهل العوالم سواهم، وأهلُ كلِّ العوالم في نظرهم «كويم» وَعُميٌ وصُمٌّ وبكْمٌ وخُرقاء وبلهاء سُذَّجٌ. . !!

وهمْ وحدَهم أهل العلمِ والسمعِ والبصرِ والحكمةِ والفلسفةِ والتجديد والإبتكار وهَبْ أنهم اكتشفُوا شيئاً مِن عِلْمِ الكونِ أتحسبُهمْ يعترفون أنَّ له مكوناً، وهذا علمهُ لا لا: بل يَزْعمونَ أَنَّه علمُهمْ هُمُ تمثَّلَ في التكوين. .

فالعلمُ علمُهم ولولاَ أنهم كشفوه ودوَّنوهُ لكانَ جَهْلًا فكيف يَسْمَحونَ لأنفسِهم أن ينسبوهُ إلى سِواهم، ولولا هُمْ لظلَّ جهلاً إلى الأبد وينتهونَ بالمغالطةِ الملحدةِ أنَّ الكَوْنَ قائمٌ على الجهلِ والظَّنِ والصدفة.

أَيْ إنَّ كلَّ العلومِ المكتشفةِ عن عوالم الوجود هي علومُهُم هي وأنهم هم الآلهةَ في هذا الوجود وَهٰذه هيَ الحقيقة وَمَا عَداهم هو الخرافةُ والأسطورة. . الله أكبر الله أكبـــر. . . !!

هذه مزاعمهم وهذه أساطيرهم وهذه ترهاتُهم ولا خيانةَ للحضارة ولا جنايةَ ولا بلاءَ ولا إثْمَ أكبرُ من كل ذلك بل لا إلْحادَ ولا انحرافَ ولا إباحةَ أفحشُ من ذلك ولو فهموا إعجاز قول الله تعالى:

﴿إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كانَ عنه مَسْؤولاً﴾ [١٧ ـ ٣٦].

أجل لو فهموا إعجازها لَمَا أَلْحَدُوا وَلاَ مَا اسْتكبرُوا ولا مَا خَدَعهم الشيطانُ عن أَنْفِسهمْ بنزغاته وبلاياه وَوساوِسه حتى جَعَلهمْ مِنْ خُلّص حِزبه ومِنْ أَبْرع جُنوده وأذكاهم وأَقْدرِهمْ على إحْرازِ النصرِ والغلبةِ على الإيمانِ وأهلِهِ وكم تحزنُ لهم وتأسفُ عليهم وتبكي عَنهم على سوءِ مَصيرهم. وتقولُ يا ليتهم كانُوا من حزبِ اللهِ ولو كانُوا مِن حِزْبِ اللهِ لأفلحُوا ولكنَّهم

تَمادوْا في صِدْقِ الاخلاصِ للشيطانِ ونُصْرتِهِ والأخذِ بنزواتِ الهوى والعنصرية فكانُوا هم حزب الشيطان حقاً وصدقاً ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون.

وأكثرُ هؤلاءِ النفر الملاحدة هم يعيشونَ في عصْرِنَا هذا على سَعيرِ النزواتِ وتأَجُّجِها في أَنْفسهم، التي بلَّدتْهُمْ عن كلِّ رُشْدٍ وهدًى وحقٍّ وعلْمٍ منيرٍ بل بلَّدتْ إحساسهم حتى عن حقيقة وجودهم في هذه الحياةِ بَلْ وَعَنْ الغايةِ الساميةِ مِنَ الحياةِ نَفْسِهَا إذ كانُوا يظهرونَ للمؤمنين أَنَّهمْ مؤمنونَ: هم يَخدَعُونَهم ولا يخدعونَ إلَّا أنفسَهُم لو كانوا يَعْلمونَ أي هم منافقون لا شخصيةَ لهم ولا كرامةَ يحافظون عليها هم على كلِّ حالٍ يكتمون كثيراً وكثيراً من سيئات أنفسِهمْ وما يظهرونَ ما يكتمونَ من الكفرِ والإلحادِ والإباحةِ ويا ليتَهمْ كانُوا حتى في مُسْتوى علم زهير بن أبي سلمى يا ليتهم يا ليتهم إذ يقولُ:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ مَا في نُفُوسِكُمْ لِيَخْفَى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كِتابٍ فَيُدَّخَرْ ليومِ الحسابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

ويَشْهدُ الله إني بكيتُ لما قرأتُ كلمة الدكتور أوسْكار ليفي: «نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومُفسديه ومُحرِّكي الفتن فيه وجلَّاديه. بكيت لأني رأيتُهم يَنْتَمُون إلى سيدنا يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم. فكان الأجدر بهذا الأصل الشريف أن يكونوا سَادةَ العالم في الاصلاح والقضاء على الفتن التي يدبرها المجرمون، وأَنْ يكونوا مُوجهين إلى الإنسانية والرحمة.

وإني أسأل الله أن يحقق ذلك آمين، راجع كتاب محمد خليفة التونسي «الخطر اليهودي».

كلمة عن حياةِ أُستاذنا الشيخ حسن الشاعر

بمناسبة رمضان المبارك

لَا قيمةَ لحياةِ إنسانٍ إلّاَ بمقدارِ مَا يُقدِّمُ للنـاسِ مِنْ سُمُوِّ الإيمـانِ الصحيح وهدَى التوجيهِ المبارك وخَيْرات العلم النَّافع المقرِّب القلوبَ إلى نورِ وحْيِ اللهِ والتزامِ مَسيرةِ الحياةِ على هُداهُ.

وَمَا رَأيتُ عَالِماً قدَّم للناسِ مِنْ أضواءِ معارفِ القرآن المجيد صافيةً مِنْ نزعَاتِ التأويلِ وكدورات العجمة والتواءاتِ مخارجِ الحروفِ ما قدَّمه أُسْتاذُنَا الشيخُ حسن الشاعر وما رأيْتُ مَنِ اسْتضاءَ وأَضاءَ مسيرةَ حَياتِه بِهَدى الْقرآنِ، مثله.

لك اللهُ يا شيخَ حسن فقدْ قدَّمْتَ الكثيرَ مِنْ علوم القرآن للعلماءِ الذين تَخرَّجُوا على يَدِكَ وَعَبُّوا مَا شَاءَ اللَّهُ أنْ يعبُّوا مِنْ ينْبُوعِ مَعارفِ وَحْيِ اللهِ الدَّفاقِ إلى أبدِ الآبدين.

فعشتَ ـ يَا أُسْتاذي ـ وأنتَ صَادقٌ فِي عَهْدِكَ مَع ربِّك وانتقلتَ إليه وأنت صادقٌ في عَهْدِكَ، فأَنْتَ بَطَلٌ مِنْ أَبْطالِ الإِسْلامِ وداعيـةٌ مـن أكرم دُعَاتِهِ المُخْلصين في هذا العصر الذي قل فيه الدعاة المخلصون.

وما أذكرُ أَنِي زرتُكَ مرةً إلَّا وكانَ لَدَيْكَ مَنْ تُدرِّسُه أَوْ تُلقِّنُه صِحَّةَ النطق بآياتِ اللهِ وأنتَ مُحْتشِدٌ لَهُ وَحفيٌّ به كأنَّه أحدُ أنجالِكَ لأنه كانَ يُسْعِدُكَ أَنْ

تجدَ مِنَ الشبابِ والشيوخ الذِّين يُعْنَوْنَ بكتابِ اللهِ وَيَسْعوْنَ لِحفظِهِ ودرَاسَتِه والإهْتمامِ به..

وعلومُ القرآنِ هِيَ عُلومُكَ وإحْسَانُ التِّلاوةِ هِيَ إحْسَانُكَ وَلَذَّتُكَ الأثيرةُ هِيَ أَنْ تُعْطِيَ ما تمْلِكُ وفي هذا الْعَطاء سِرُّ البقاءِ وسِرُّ رِضْوَانِ اللهِ وحبِّ الإئتساء بخاتم رُسُلِ اللهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُه عليه..

وَأَنَا لا أنسى حفاوتَكَ بِي كلما رأيتَنِي واهْتِمـامَك بـأموري لِصِلَتِـكَ الْحَسَنَةِ بِرِجَالِ أُسْرتِنَا لأنَّك عرفتني أُحبُّ كِتَابَ اللهِ الذِّي أنتَ تُحِبُّه وتسهرُ علَى حُبِّهِ وتلاوتِهِ.

أجل عرفتَني أُحبُّ كِتَابَ ربي الذِي خَلَقَنِي ومَنَحَنِي هذا الفضلَ العظيمَ وجعلَنِي كلّي أشواقاً ولهفـات وأُنْساً بتلاوةِ آياتِه ومراجعتها ودراستها والتعرف إلى أسرارِ معجزاتها وتحدياتها وكان ذلكَ يُضاعفُ حُبَّكَ لِي وإهتمامَكَ بأمري، وتواصيك بي.

ولا أنسى أني كلما زرتُك كنتَ تَدْعُو لِي بالمزيدِ مِنَ العلمِ والصدقِ في الإخلاصِ وتدُلُّني على أَحْسنِ المُؤَلَّفاتِ التِّي تتناولُ موضوعاتِ القرآن المجيد.

وكان يَسرُّكَ حُبِّي الذِّي تَغَلْغَلَ في شِغَافِ قَلْبي لِمُطالَعةِ كلِّ مَا يُكتبُ عنِ القرآنِ المجيد، ومتابعة بحوثي عن كلِّ ما يجد مِنْ معجزاتِه وبالحريِّ لمَّا كنتُ في زمن الشبابِ أُوثر حَقائقَ العلمِ اليقيني على كلِّ الدراساتِ ومن أجلِ ذلكَ ما وجدْتُ عَالِماً حَديثاً مطّلِعاً على كلِّ معارفِ العصر وفلسفاتِه كالدكتور مصطفى محمود الذي اسْتطاع أن يركز حقائق الإيمان في نفوسِ الشبان المحدثين ويحفظهم من زيغ الإلحاد بِحُبه لِشَرْحِ معجزاتِ القرآنِ العلميةِ المتحدية..

وكان أستاذي الشيخ حسن الشاعر يُحِبُّ كلَّ العلماء المحدثين الذين يَكتبونَ عَنِ القرآن المجيد ويكشفونَ أسراره العلمية المعجزة المتحدية.

وقد زرتُه أنا وصديقي الوجيه الشيخ عبد الوهاب ابن استاذي الشيخ إبراهيم الفقيه وكان آوياً في فراشِه فقلتُ للقائمين على خدْمَتِهِ في المنزِل دَعُوهُ مُرتاحاً نَحْنُ ندخلُ عليه فلما أخبرُوه أبىٰ ذلك وأقبل علينا يتوكأ على رجلٍ ويجرُّ قدميْه جَرّاً فأشفَقت عليه وقلتُ يا سيدي هذه مشقةٌ عليكَ لا أريدُها أبداً.

فقال: إنّي أُحِبُّك لِحُبِّك القرآن، وهذا قليلٌ فَخَجِلتُ في نَفْسِي وقلت:

«جئتُ لزيارَتِكَ وأنا مضطرٌ لأني أريد أن أسافر إلى المغرب الأقصى لزيارة أخي أحمد فكانَ لَا بُدَّ مِنْ زيارتِكَ وطلب دعائك ودَعَا لِي ما شاءَ الله أن يدعوَ وكان هذا آخر اجتماعٍ لي به لأنه انتقلَ إلى الله تعالى وأنا في الدار البيضاء في المغرب الأقصى.

وكانت وفاتُه خَسارة جسيمة على كلِّ الذين أفادُوا من علمِه وسمعوا عنه مَا سَمِعُوا لأنه كان يحمل نورَ القرآنِ المجيد، ويضيءُ به الطريقَ ويضعُ فيه كلَّ الأشواق خشية الهجران.

ومهما يكنْ فأسْتَاذُنا الشيخ حسن الشاعر كان عالماً داعيةً إلى الله ربِّ العالمين ومعلماً كلَّ علومِ القرآنَ وكانَتْ مودتُه لتلامذتِهِ كبيرة ويُحْسنُ إليهم ويمدهم بالمعونة.

وإنك إذا جلستَ إلى تلامذتِه وأصدقائِه وآلِه تسمعُ عجائبَ العجائِب فهو عميقُ الْحُبِّ لله ورسولِهِ الكريم وكتابِهِ العظيم وللمسلمين كافة.

وكان يَقْضِي أكثَر ليلِهِ تالياً لآياتِ الله وهو على اسْتِقامةٍ مِنَ الأمْرِ مُدْهشةٍ لَكَ، ومذهلة والدوامُ على الاستقامةِ هي الولايةُ وهيَ الكرامةُ ولا وِلَايَةَ أجلُّ

ولا كرامةَ أَسْمى منها، وأولياءُ الله الذين نص القرآن المجيد عليهم، هم أهلُ الإستقامة.

﴿ألا إنَّ أولياءَ الله لَا خَوْفٌ عليهمْ ولا هُمْ يَحْزنونَ، الذينَ آمنوا وكانوا يتقون﴾ [١٠ - ٦٢ و٦٣].

إذنْ فالولايةُ أمرُها هَيِّنٌ لَيِّنٌ إيمانٌ صادقٌ وتقوى وهي الإستقامة التي تغدقُ سُقْيَا السّعادةِ، **﴿وَأَنْ لَو اسْتقامُوا على الطريقة لأسْقيناهُمْ ماءً غَدقاً﴾**.

وهذا إعلانٌ مِنَ الله جلَّ وعزَّ أنَّ أمُورَ إسْعـاد المستقيمين حَتْمِيٌّ أَمَا قـص الله علينا أحسَن القصص فِي منح أَسْمى الكرامات لأوليائه ولا يجحد تصرف قدرةالله فِي ذلك إلاَّ الملاحدة - عد إلى سورةِ الكهف مِنْ آية ٦٠ إلى آية ٨٢ فإنك تلمُس إكرَام الله للمحسنين الصادقين: كلها مدهشات.

وَانْظر إلى أمِّ موسى: والمرأة لا تكونُ نبيـةً لما تقتضِيـه النبوة من الاختلاطِ بالرجالِ أُنظر كيف أوحى الله لها أيْ ألهمها والإلهامُ مستمرٌ إلى يوم القيامة والهامُ الله لها مُفصَّلٌ في وَحْيِ الله القرآن المجيد عد إليه في سورة القصص(٢٨)مِنْ آية ٧ إلى آية ١٣.

﴿وأوحينا إلى أم موسى أنْ أَرْضعيه فاذا خِفْتِ عليه فَأَلقيهِ في الْيَمِّ ولا تخافِي ولا تَحْزنِي إنَّارادُّوه إليكِ وجاعلوهْ مِنَ الْمُرْسلين﴾ [٢٨ - ٧].

وكان ما كان مِن أمر فرعون وقد همَّ بقتلِه ولكنَّ وعدَ الله حقٌّ ورعايتهُ لَهُ صِدقٌ فرَدّهُ إليها سَالِماً رغم أنها ألقته في اليم إذن فألهمها الله وإلهامُ الله لأم موسى حَقٌّ.

وما يتحدث به المتصلون بأستاذِنَا الشيخ حسن الشاعر حَقٌّ ولا أحد

يرتاب فيه وإن كان الشيخ حسن رحمه الله يكرهُ الحديث في ذلك ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فحَدثْ﴾ [٩٣ - ١١] لذلك كان حديثي عن النعمةِ التي تفضَّل الله بها عليه وهيَ لاتُحصَى إنها كانت تظهر لأولي البصائر أهل الإيمان ممن يتصلون به.

وكان أستاذنا الشيخ حسن الشاعر إلى جانب ذلك ذَا فكاهةٍ شَيّقةٍ جذَّابةٍ وله قصص تفيضُ بالغرابةِ والأُنْسِ ولا يزالُ أحبابُه يحفظون مِنْهَا الكثير.

وكان هو نفسه يتحدث عنها أذكر أَنِّي زرتُه مرةً أنَا وولدي محمد أيمن دفتر دار ومعنا لَفيفٌ مِنَ الأصدقاء فأخذ يتلطَّفُ بنا وذكر هذه القصة الفكاهية:

قال: «إني كنت ألقِّنُ أحدَ تلامذتي مِنَ الأعاجم وكنت أَلْقى جُهْداً في تدريبه على صحة النطق بالعيْنِ في قوله تعالى ﴿وأنَا عَجوزٌ وهذَا بَعْلِي شَيْخاً﴾ [١١ - ٧٢].

ولكنَّ لسانَه كان صَلْباً لم يطاوعْهُ على صِحةِ النطق بالعيْنِ بل ظَلَّ يقولُ بَغْلِي شيخا. وكان شيخُنَا يشدُّ على حَرْف العينِ من أقصى الحلق وصاحبنا يشدُّ على حرفِ الغيْنِ مِنْ أقصَى أقصَى الحلقِ أيضاً وهكذا ظل ينطقها محرفة. بغلي بغلي، ولا حيلة في ذلك.

وأذكر أنه كان مرة يُشيعُ جَنازة أحد أهل العِلم في المدينة المنورة والمعروفُ عَنْ أهلِ المدينة المنورة أنهم يكرمون العلماء كثيراً فكان الإزْدحامُ شديداً وكان يَمشِي بجواره تلميذ بسيط إلتفت إلى الشيخ حسن باهتمام وقال«شَيْخِي إذَا أنت مِتَّ تكونُ جنازتك أكبر وأعظم من هذه» قالها بكلِّ بساطةٍ فضحك الشيخ حسن وشد على يده إشْفاقاً..

وكم كنت أتمنى أن أَكتبَ مؤلفاً كاملاً أرخ فيه حياتَه التي كانتْ حافلة بالأمجادِ الخالدة والمنافع الكثيرةِ مع الزهد والعَفَافِ والرِّضَا رحمه الله رحمه الله .

قضية كراهية العرب والمسلمين من بعض الفئات

ليست قضية كراهية العرب والمسلمين من بعض الفئات مأتاها عقل أو علم أو إصلاح أو مصلحة أو إنسانية أو سلام أو إيمان، ولكن مـأتاهـا العنصرية الإنتهازية الإنعزالية المجرمة الحاقدة الملحدة المفسدة.

لعلك تقول «البشر جميعاً أبناء التراب ومجبولـة في صميم تكوينهم خَصَائـصُ التراب فلاإمْتياز لأمة على أمة ولا لفرد على فرد إلا بما يقدم للإنسانية من أمجاد الخلود» والناس في كل وطن ثلاثة أصناف ذهب ونحاس وخزف. والناس الذهب هم الممتازون في كل أمة وهم قلائل وهم الذين يتقبلون المُثل العليا الموحاة من رب العالمين ، أجل هم الذهب الخالص القليـل: وهـم قد يكونون من الطبقة العليا، وقد يكـونون من الـطبقة الوسطى وقد يكونون من الطبقة السفلى. وكذلك إنسان النحاس وإنسان الخزف.

وسمو وطن على وطن لا يكون إلا بكثرة إنسان الذهب فيه. أي بكثرة الإنسان الذي يقبل تعاليم وحي الله ويسمو بها سمواً إنسانياً على غرائـز التراب، وهل يقبل على السمو السامي المرتبط بتعاليم وحي الله إلا إنسان الذهب الأبريز الحر؟ وهو الذي يسمو بها على غرائز التراب المتمثلة في كل الأحياء مـــا عـــداه...

والذي نفيد من هذا العرض هو أن نفهم أن الكراهية التي يسعرها

الصهاينة ضد العرب والمسلمين لدى الأمم كافة ليس سببها أن العـرب والمسلمين قدموا لهم أو لسواهم الكيد أو أنهم يمتلكون مدمرات الإبادة التي تجعل الإنسان خطراً مرعباً . .

لا . . لا . . ليس شيئاً من ذلك حاصل بل السبب هو إنزال خاتم وحي الله على أبناء الجزيرة لينهضوا بالبشر إلى إنسانيتهم لأنهم يرون أنفسهم هم أحق بإنزال هذا الوحي العالي عليهم. ونسوا أن الله أعلم حيث يجعل رسالته،والذي أثارهم وأحنقهم وأوقد أوار الحقد في أنفسهم وجعلهم ينصبون أنفسهم أعداء ألِدَّاءَ لمن اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغها للناس. هو أن أبناء جزيرة العرب قد استطاعوا أن ينتصروا بوحي الله على غرائز التراب المجبولة في صميـم تكوينهم وينطبعوا بطابعه ومثله العليا حتى أصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

١ ــ في صحة عقيدتها.

٢ ــ وفي تضحياتها البطولية. التي تؤثر بها الموت على الحياة.

٣ ــ وفي عفافها وإيثار الأفراد بعضهم بمرافق الحياة بعضاً.

٤ ــ وفي وحدة كلمتها وطاعتها لما أنزل الله ولقادتها القائمين على تنفيذ ما أنزل الله طاعة لا ند لها في تاريخ الامم.

٥ ــ وفي تبليغ حقائق ما أنزل الله بأمانة وتضحية للبشر كافة كما أمر الله دون كتمان شيء أو إضمار سوء لأحد ودون دَسِّ الإلحاد في صفوف الشبان ودون إباحة النزوات.

٦ ــ وفي أمر المرتد الخائن الذي ليس له من عقوبة إلا الإعدام لأنه أخطر خطر على حياة الأمة جمعاء هذا إذا أصر على ردته . .

٧ - وفي تعارف التعاون ومعاملة كل الأفراد والجماعات بالحسنى والهدى والصدق وهذه الأصول المقررة في صميم وحي الله تعالى لأن الله لم يخلق الخلق لكي يتصارعوا ويتحاقدوا ويبطش بعضهم ببعض بل خلقهم لكي يتعاونوا على البر والتقوى والمودة والإحسان والبعد عن لعنة الأثم والعدوان والوقيعة ودس السموم، ولو علموا قول الله لكفُّوا . .﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان**﴾ [٥ - ٢].

وكان نزول وحي الله على أمة جزيرة العرب لأنهم ليست لهم نزعات ملتوية حقودة ضد أية أمة في الأرض. وكانت الجزيرة بطبيعة أرضها المكشوفة للسماء الصافية والنجوم المتألقة قابلة قبل سواها أن تؤتمن على تكاليف السماء التي أنزلها الله ليسمو بها الإنسان السمو الخلقي الماجد المنصف وكانت أمة جزيرة العرب هي الأمة المختارة لذلك.

أجل قد استطاعت أمة جزيرة العرب أن تنتصر على نفسها حتى أصبحت مثلاً إنسانياً عالمياً مشاهداً لكل الأفراد والجماعات، فآمن كل من في الأمم من إنسان الذهب وبعض الناس النحاس أما إنسان الخزف فآثروا خصائص صلصالهم الترابي المنطبع في صميم تكوينهم ضِدَّ هدى الله العلميّ اليقيني ويا ليتهم اكتفوا بذلك ولم يجندوا أنفسهم بظلم لأنفسهم قبل أن يظلموا من آمنوا بتدبير المؤامرات ودس حبائل الكيد والدهاء. لكي يهلكوا جميعاً بقتل بعضهم بعضا. وهم في كل مرة يعودون بالخسران والخذلان لأنَّ معية الله لا تفارقُ المؤمنين المحْسنين أبداً ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ [١٦ - ١٢٨]. والله لم يجبرهم بأخذ أحسن ما أنزل لسعادتهم بل تركهم لأنفسهم ولو اختاروا أَسْوأ ما عندهم والله لا يقبل الإيمان إجباراً أبداً. . ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ [٢ - ٢٥٦].

ومهما يكن فحرية الأخذ أو الرفض لهم امتحاناً وفتنة وإبتلاء والله لا يجبر على الإلحاد والإفساد والكفر أحداً أبداً.. هذا محال وهو لا يصدر من

إنسان فكيف من رب العالمين، إنما يجبر الله على الإيمان والخير كالملائكة الكرام وهل يصح أن الله يجبر على الشر والكفر والإلحاد ثم يعاقب عليه.. حاشا أن يكون ذلك من أعدل الحاكمين وأرحم الراحمين.

وبما أن الإنسان بأصل تكوينِهِ يستجيب لغرائز التراب استجابة عمياء ذات حماسة وإتقاد وأثرة وعرام وبالحرى إذا كان إنسان خزف غابي يضمر البطش والفتك وتثور به ثورة النزوات ولهفات الجمع. على أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب إرشاداً إلى الأصلح الأقوم الذي ينجي من مهالك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

وهكذا الإنسان يستطيع بحرية الإرادة أن يصعد بها إلى أعلى عليين وينزلَ بها إلى أسفل سافلين ومن أجل ذلك فالإنسان مسؤول عن أعماله أياً تَكُنْ والتظاهر بالتقوى والإستقامة وإضمار الإعوجاج والفساد يضاعف العقوبة لأن ذلك من النفاق والنفاق خاصةً، عقوبته أليمة.

وهؤلاء الذين يمقتون حقائق الإيمان ومثله العليا ويقدمون عليه الإلحاد ونفاقهم وإباحتهم وهم على كل حال طغاة ظالمون غلبتهم نزواتهم ومطامعهم ومواريثهم البدائية على رغم سعة معارفهم وفراسة أفكارهم واتقاد ذكائهم.

أجل على رغم كل ذلك يكذبون ما أنزل الله ويجحدونه ويحاربونه لأنهم يؤثرون عليه انحطاطهم وافكهم ونحلهم الوضيعة. قل نعوذ بالله من ذلك.

وهذا الذي كان قديماً من وقائع تاريخ البشر الذين حاربوا وحي الله وهذا الذي هو كائن منهم حديثاً سواء من اليهود أو من سواهم ممن أثّروا فيهم بدعوتهم الباطلة «حتى جَحَدوا وحي الله» وهذا سر من أسرار القرآن حيث أظهر القرآن المجيد أنهم هم لا يكذبون رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أنه صادق ولكن بتمردهم والحادهم يجحدون آيات الله وذلك يحزن رسول

الله ﷺ - لأنه رحمة مهداة للناس أجمعين.

﴿قد نعلمُ إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكنَّ الظالمين بآياتِ اللهِ يجحدون، ولقد كُذبتْ رسلٌ من قبلك فصبروا على مَا كُذبوا وأوذوا حتى أَتَاهمْ نصرُنَا ولا مُبدِّلَ لكلماتِ الله ولقد جاءك من نبأِ المرسلين﴾ [٦ - ٣٣ و٣٤].

ونحن لا نعجب إذا رأينا البشر يفهمون عين يقين الحقيقة ومع ذلك يجحدونها ويتنكرون لها ولا يبالون بها فهذا هو حالهم منذ أبعد، الأزمان، وذلك ميراث إنسان الغاب يستيقن الحقيقة ولكن إلحادة وكبرياءه يجعله يجحدها وهذا مصداق قول الله جل جلاله: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعُلُوًّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾** [٢٧ - ١٤].

وهذا الذي نسمعه من الذين آثروا الالحاد أو عبادة أحد أفراد الكائنات من بعض علماء الحضارة الماديين الذين يهيمن عليهم غرورُهم فيصعب عليهم أنهم هم علماء الحضارة المادية الحديثة ويقولون ونحن نطوف في عوالم الفضاء ونشاهد عجائب الكائنات نتبع رجلًا أُميا من ابناء جزيرة العرب جاء في العصور المظلمة في زعمهم ولم يكترثوا أن يطالعوا معارف القرآن المجيد ولو أنهم اطلعوا لعلموا يقيناً أَنَّهمْ يَتبعون رَسُولاً مُرْسلاً بكلام رب العالمين الذي يحملُ إليهم.. معارفَ الأجيالِ على مَدَى تطوراتِ حضاراتها الراقية.

والنهاية التي أرجو أن يفهمها الناشئة المثقفة أن الذين يحاربون وحي الله من المثقفين هم ملاحدة إبَاحيونَ مستهترون، ووحي الله كله إيمان وعلم وحق واستقامة وعفاف فلم يَسَعَهمْ إلا أن يجحدوا به ليباشروا حرياتهم الاباحية المجرمة. هذا هو السبب الذي من أجله يكرهون العرب والإسلام. والنهاية هو الانتصار لأهل الإيمان بالله الصادقين وصدق الله العظيم **﴿وَبَدَا لهم سيئاتُ ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾** [٤٥ - ٣٣].

العَقِيدةُ وأنوَاع البراهِينْ

البرهانُ. هو قوةٌ كاشفةٌ لواقع الحقائقِ الْمعْلنةِ والخفيةِ في عقائِد البشر على مَا هِيَ عليه. فهناكَ عقيدةٌ هِيَ عينُ الواقع اليقيني الصَّادقِ وهناك عقيدةٌ مدسوسةٌ وعقيدةٌ مشبوهة، وعقيدةٌ مفتراةٌ وعقيدةٌ مظنونة، وهَلم جَرَّى. .

أَجل إنَّ البرهان نورٌ كاشِفٌ لِلْواقعِ اليقيني في كُلِّ شَيْءٍ. والبرهانُ مُفْرَدٌ ومُثنَّاهُ برهانان قال تعالى. ﴿فذانك بُرْهانَانِ مِنْ ربّكَ﴾ والجمعُ براهين.

ومَا دامَ العلمُ اعْتمدَ البرهانَ في كلِّ مَسائِله، ومادام الْقضاءُ اعتمـدَ البرهانُ في كُلِّ أحكامِه فَيجبُ كذلك أَنْ تَكونَ العقيدةُ مُعْتَمدةً على الْبُرهَانِ في كلِّ دِين.

وهنا نَتَساءلُ لماذَا تُدَسُّ المفترياتُ والأكاذيبُ في عالم الْمعْتقداتِ، ولماذَا يُصدِّقُها صِغَارُ الأحلامِ والسُّذج من البشر ويُسَخِّرونَ أنفسَهم لَها ويقيمونَ الدنيا ويقعدونهَا مِنْ أجْلِهَا ومَا هِيَ إلاَّ ظُنونٌ وأوْهامٌ وترهـاتٌ ومفتريـات والجوابُ أَنَّ أكثرَ البشر يصدقونَ مَا يُنَشؤونَ عليه، ومهما يكنْ فالبرهانُ هُو كاشفُ واقعِ كلِّ عقيدةٍ لأنه هو الذي يُحَقِّقُ ثبوتَ الشيءِ أو نَفْيه في عين الواقِع العلمي اليقيني.

إذن فواجبُ كلِّ مُعْتَقدٍ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ حَقيقةِ بُرْهانِ ما يَدينُ به لأنَّ مَا يَدينُ بِه الإِنسانُ دَعْوى، وكلُّ دعوَى لَا يؤيدُهَا البرهانُ ويصدِّقُها،ويَكشفُها

لجماهير الأُمَمِ في الْعَالَمَ.. فهيَ إمَّا أُسْطورةٌ وإمَّا مفتراةٌ وإمَّا مزعومةٌ وإمَّا مدسوسةٌ، وإمَّا متوارثةٌ تَقْلِيديَّةٌ... وعقيدة وحي الله ذاتها برهان.

ويشهدُ الله، وأنَا منذُ كنتُ طالباً للعِلم ولا أزالُ: كنتُ إذَا عُرِضَ عليَّ مؤلفُ الحاديُّ أو مدسوسٌ فيه إلحادٌ وكفرٌ لا يَخْفى عليَّ والفضلُ لله، ولِعُلماءِ الأزهر الشريف الذين كانُوا يعلمونَنَا أَنْ لا نُصَدِّق شيئاً يُعرضُ علينا قبلَ البرهانِ.. ويقولونَ لنا هذا أمرُ الله في وَحْيه الْمُعْجزِ. ﴿قُلْ هَاتُوا برهَانكمْ إنْ كنتُمْ صَادقين﴾ [٢ - ١١١] ﴿أَم اتَّخذُوا مِنْ دُونِه آلهةً قُلْ هَاتُوا برهانكمْ﴾ [٢١ - ٢٤].

ومِنْ أجلِ ذلك تَحَدَّى الله بخاتِم وحْيِـهِ القرآنِ المجيـد وجعَله كلَّه برهاناً.. ﴿يا أيها الناسُ قد جاءكمْ برهانٌ من ربكم﴾ [٤- ١٧٤]. وقَدْ كشفتُ ذلك في مؤلفِي معجزات قَلْبِ القرآن.

أنــواع البراهيــن:

أنواعُ البراهينِ المتداولةِ بينَ عُلماءِ العالِم أربعة.

الأول:

بُرْهَانٌ ماديٌّ يُسْتدلُّ بِه علىٰ حقيقةٍ مَاديّةٍ... وهذا البرهانُ كانَ معروفاً قديماً جداً عندَ العرب يقولـون: «الْبَعْرةُ تدلُّ على البعيرِ.. فالبَعْرةُ ماديةٌ مَاثلةٌ أمامَهمْ والبعيُر كذلِكَ..».

الثــاني:

بُرهَانٌ طَاقِيٌّ يُسْتدلُّ بِه على حَقيقةٍ طَاقيَّةٍ... كالذين يَسْتدلونَ بضياءِ الشَّمْسِ على السَّرابِ الذي يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً في الصحراءِ، والضياءُ طاقةٌ والسرابُ طاقةٌ لأنه انعكاسُ ضياءِ الشمسِ الضاربِ في البحرِ..

الثـالث:

برهانٌ ماديٌّ يُسْتدلُّ به على حقيقةٍ طاقيةٍ كالذين يستدلون بالطائِر المحلقِ على وجودِ طَاقةِ الحياةِ الروحيةِ التي مَكنَتْه مِنَ التحليقِ. ويستدلون بالمسامير المجذوبة إلى قطعة الحديد بوجود المغناطيس فالمسامِيرُ المجذوبةُ أمامنا مَاديةٌ وهيَ بُرْهانٌ على وجودِ المغناطيس. لأنَّ المغناطِيسَ طاقةٌ والطاقات كلُّها لا يدري العلماءُ عَنْ حقائِق ذَواتِها شيئاً. وجَهْلُ حقيقةِ الذاتِ لا ينْفِي وجودَها إلَّا لدى المهابيل المهاويس..

وما أجهلَ الـذين يُريـدون أن يروْا الخـالقَ العظيم ربَّ هـذه العوالم جهرةً. .ولما لَمْ يروه جهرة عبدُوا أفرادَ الكائناتِ وألَّهوها.. والكائناتُ كلُّها آياتٌ دالآتٌ وبراهينُ قَاطِعاتٌ وشواهدُ نَاطقاتٌ علىَ وجودِ الله جل وَعَزَّ. سُبْحانك يا رب ما أجهلَ هذا الإنسان بِكَ ألْم يعلمُوا أن الذَّراتِ الماديةَ التي هي تُظْهِرُ طاقة النور.

ووجودُ الله لَيس كمثلِه وَجودٌ مَاديٌّ أو طاقِيٌّ ﴿**لَيس كمثلِهِ شيءٌ وهو السميعُ البصير**﴾. يَعْلَمُ ما بينَ أيديهم وما خلفهم ولا يحيطونَ بِهِ علمًا.

الرابــع:

بُرهانٌ طاقيٌّ يستدلُ به على وجود ذَاتٍ ماديةٍ وهذا البرهانُ الرابعُ عكس البرهانِ الثَّالث. خُذْ مثـلاً الفلك الذينَ يَسْتـدلُّونَ بـالأَضْواءِ المـرسلةِ من الكواكبِ علىَ وجودِهَا. والأضواءُ طاقاتٌ والكواكبُ أجرامٌ مادية سابحةٌ في هذا الفَضاء وهي زينةٌ للسماءِ الدنيا. ﴿**إِنَّا زيَّنا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكب**﴾ [٣٧ - ٦].

النتيجـة:

بِما أَنَّ عوالَم المْوجودات ليستْ كلها ماديةً مْحضة، حتى تكونَ قائمةً على

براهين المادة المحضة وليستْ كلها طاقيةً مَحْضةً حتى تكونَ قائمةً على براهين الطاقة المحضة. بل هيَ عوالمُ شتى منها المادةُ، ومنها الطاقيةُ ولَمَّا تكتشفْ سائرها، وإنَمَا هِيَ بحارٌ متلاطمةٌ عَرَفَ البشرُ بعضَ رِمالِ شَوَاطِئها كما قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أقـلامٌ والبحرُ يمُدُّهُ مِنْ بعدِهِ سبعةُ أَبحُرٍ مَا نَفدتْ كلماتُ الله إنَّ الله عزيز حكيم﴾ [٣١ - ٢٧].

وكلماتُ الله هي عوالُمُهُ إنما أمره إذَا أرادَ شيْئاً أن يَقولَ له كنْ فيكون.

وقدْ حقَّقَ ذلك علماءُ الحضَارةِ الحديثةِ فهم يروْنَ أنفسَهم بالنسبةِ لمعرفةِ حقائقِ العوالمِ على رِمَالِ الشاطِيء.

ومَا تَسْمعُهُ مِنْ عِلْماءِ الصَّهاينةِ والشيوعيين مِنْ الْكُفرِ والإلْحادِ إن هُوَ إلَّا ثمرةُ الإصْرار على الإلحاد والإعْراضِ عنْ دراسةِ البراهين العلميةِ اليقينية المتجلية في الإتجاهاتِ الأربع في الإثْباتِ والنَّفْيِ ومازالَ اكثر البشَرِ اليوم كالأمسِ يؤمنون بالدعاوَى الباطلة. ألَا إنَّ كلَّ الدعاوي التي لَا بُراهينَ لَها علمية يقينية هي زعمٌ وظنونٌ وهَوسٌ وضلالٌ وإلحادٌ وإفْكٌ وكفرٌ.

ومهما يكنُ فإنَّ الإقْتِصَارَ المُتَعمَّد على بَعْضِهَا دونَ البعض نتائجُه كفرٌ والحادٌ ووثينةٌ وشركٌ. كقول من اقتصر على برهان المادة الذي يدل على مادة فحسب. أنكر عوالم الطاقات الروحية وكفر وألحد.

ومن اقتصَر على بُرْهانِ الطاقة الذي يَدلُّ على طاقـةِ فَحَسْب وقَعَ في الإشراكِ والوثنيَةِ وانجرَّ إلى الأساطير والأحْلام والخرافات والترهات وهكذا.

إذنْ فلا بُدَّ لمن يريدُ الوقوفَ على حقائق الوجود وقضاياه والحقائق التي مرت بالإنسانيةِ وقد دخلها التزويرُ والدس والإفتراء والعبث والزيادة والنقصان

فعليه أن يلجأ إلى إستعمالِ هذه البراهين الأربعة بدقةٍ بأمانةٍ بصدقٍ بإهتمامٍ ويتجنب التسليمَ الساذج الغبي.

وكذلك لا يصدق كلَّ ما يدس في الأوساط البشرية فكم هم الخبثاء الذين لا يَخافونَ الله مِنَ الدَّسِ ولا يحسبون لحقائق العِلم أيَّ حسابِ أولئك هم أصحاب النار.

أكبرُ جرائم العقل كتمُ حَقائِق العلمِ وكتمُ حقائِق الديـن

يجَدُ الباحثُ أنَّ كلَّ الحيواناتِ خاليةٌ مِنَ العقلِ وخاليةٌ من البحثِ في الأزمنةِ والأمورِ اليقينيةِ العِلْمية والأمور الظنية والوهمية. . مَا عدَى الإنسان.

ويجدُ الباحثُ أنَّ جميعَ الحيواناتِ تسيُر أسباب حَياتها وتناسِلها وتجمعها وتفريقها وتنقلاتها وَفي إيوائِها مَساكِنها وتآلفها وتنَافِرها وتقاتلها وكل ما يتصلُ بهِا. . تسيُر بالعلمِ الإلْهَامِي الذي أودعه الله فيِ صَميمِ غرائِزهَا.

وهـذا العلمُ الْإِهامي هـو علمٌ يقينيٌّ واقعيٌّ فيه مُدْهشاتُ المدهشـاتُ وعجائبُ العجائب. وهناك علماءُ عاكفونَ على دراستِه وتدوينه. وهو يزيدُ يوماً فيوماً وفقَ الإكتشافاتِ المتتابعة. حتى أن تذكرَ الماضي موجودٌ لدَى الحيوانات ولكنْ في حدودِ نِظَام حَياتها فَهي تعرفُ مواطنَ الأغذية التي تخفيها أو الأغذيَة التي تبحثُ عنها، وتعرفُ الطرقَ التي توصلُ إلى المياه وهناك بعضُ الطيور التي تنقلُ فوقَ المحيط من قارةٍ إلى قارةٍ ممَّا قدْ تضلُّ ربابنةُ السفنِ أحياناً ولا تضلُّ هي. ولكنْ كلُّ هذا داخلٌ في نظامِ علمِ الإلْهامِ الغريزي الذي رَكزَهُ الله وسيّرتهمْ أقدَارهُ بمقتضاهُ دون أن يكونُ مُدْركاً بتاتاً الغاية المُرادَةَ منه.

خذْ مثلاً مُمارسةَ غريزةِ الجنسِ لدَى أنواعِ الحيوان فهي تأتيها كاملةً باستجابةٍ مِنَ الذكورةِ والأنوثة دُونَ أن تعقَل الغايَة الأساسيَة التي هِيَ انجاب الذَّراري من أجل بقاءِ النوع. .

حتى لوْ فرضْنَا أَنَّ الله أرادَ انقراضَ نَوْعٍ مِنْ أنواعِ الحيوانِ فرفعَ انفعالَ الميلِ الجِنْسي، فمحالٌ، أن يعلَم ذلك أفرادُ ذلكَ النوع.

والله وإنْ خَلَق الإنسانَ نوعاً من أنواعِ الحيوانِ. إلَّا أنه تعالى ميَّزهْ على كلِّ أنواعِ الحيوان وجعلَه في أحسنِ تقويمٍ مادة ومعنى وكرَّمهُ بالعقلِ المُدْركِ الحافظ.

فجسدُهُ المادي جميلٌ جداً، وتكوينُه في منتهى الإبداعِ، ولا يضارعُه في جَمالِ هذا التكوينِ وسحرِه وإبداعِه أيُّ نوعٍ آخر من أنواع الحيوانات. فالله منحه رشاقةَ القوامِ وسحرَ العينين، وصباحةَ المُحيَّا وفتنةَ اللفتـاتِ وجمالَ الجَرْس وسرعةَ الخاطر.

٢ ـ ومنحهالمجموعةالنفسيةَ العَجَب فهو وإن شارك الحيوانات كافة في بعض الغرائز فإنَّهُ يمتازُ بالعواطِف الساميةِ وبأعْلى شيءٍ في الوجـودِ العقل الباحث المدبر العارف بما كان ويكون..

أَيْ العقل العالم الذي يحِسْ وجودَهُ ووجودَ العوالمِ حوْلَه وإختلافَ ذَواتِها ومواطِنها ووظائفها سواء أكانت مِنْ عوالمِ المادةِ أوْ مِنْ عوالمِ الطاقةِ، مدركة وغيَر مدركة.

وإنه لَيَعْقِلُ فوقَ ذلك الآياتِ البيناتِ والبراهينَ الصَّارخةَ الدالةَ عـلى وجودِ الله الخالقِ العظيم أجل ميَّز اللهُ الإنسانَ بالعقلِ الذي يستوعبُ حقائقَ العِلم وَيَسْتَزِيدُ منه ويستطيعُ أن يكتشفَ المجهولَ من العلومِ الآلهيةِ التي بمقْتضاهَا كوَّنَ الأكوانَ أيْ منحه العقلَ الباحثَ المُحَقِّقَ الذي في مقدوره أن يُفْرِزَ العلمَ مِنَ الجهلِ واليقينَ مِنَ الظنِّ، والحقَ مِنَ الباطلِ، والإنحرافَ مِنَ الإستقامةِ، والأمانةَ من الخيانةِ.

ومهما يكنْ فإنَّ العقلَ يمكنُه أن يستوعبَ حقائقَ الوجودِ اليقينيةِ المُمْكِنةِ

سواء كانت ماديةً أو روحيةً طاقية.

والقـاعـدةُ:

إن حَقـائقَ الوجـود اليقينية لا تـدركُ ولا تكتشفُ إلاَّ بحقائِق العِلم اليقينيةِ. ولا ريبَ أن حقائقَ الوحيِ اليقينيةِ وحقائقَ الوجودِ اليقينيةُ همـا جَناحا الحَضَارة الراقيةِ المتجددة من جيل إلى جيل.

والمجرمونَ العنصريونَ هم الذينَ يدُسُّون فيها الظنونَ والأوْهامَ والأساطيَر والترهاتِ والخوارقَ والأحلامَ والأحقادَ ليفسدُوا يقينَ حقائِق العلمِ ويقـينَ حقائِق وحيِ الله تعالى وهؤلاءِ العنصريون المفسدون.. الإعْدامُ في حقهم قليل!..

قد تأخذك الدهشةُ وتعجبُ لِماذا يُحاربون حقائقَ العِلم اليقيني وحقائقَ وحي الله اليقيني.. والحضارة الإنسانيةُ الصاعدةُ قوامُها تلك الحقائق وتلك الحقائق: والحقُّ أنه لا مبررَ لمحاربةِ يقين العلم ويقين الوحي أبداً أبداً..

أنى يكونُ المبررُ والواقعُ أن لاَ مبررَ سوى خُبْثِ الأنفسِ وسوءِ الرَّغائِب وقذارةِ الفِطرة ولعنة العُنْصريةِ وهَوَسِ الشخصية ودعوَى المصلحةِ.

وأيُّ مَصْلحةٍ تكونُ في هَدْمِ الحضارةِ الإنسانيةِ والقاءِ السدودِ في وجهِ كلِّ تَقدمٍ عِلْميٍّ أو دِينيٍّ ونَسْفِهِ بالمظالِمِ والدسائس والمؤامرات..

والقضاءُ الإنسانيُّ العادلُ يدينُ مَنْ يَفعلُ ذلك ويهدرُ دَمَه لأنهُ بسببِهِ تُهْدمُ معالمُ الحضارةِ ويقضي على جَماهيرِ الشعوب. وعلى أفذاذِ المفكرين العباقرة المؤمنين.

ولا بُدَّ مُنْ بيانِ حقائِق العلم، وحقائقِ وحي الله للنَّاسِ جميعاً. على أعلى المنائر والمستويات وإذَا لم تبينُ حقائقُ العلم وحقائقُ وَحْي الله للناسِ جميعاً. فكيفَ يؤمنُ الناسُ وكيفَ يْهتـدونَ. وكيف يميزونَ الصحيـحَ من

الفاسِد والعلمَ من الجهلِ والنورَ من الظلامِ والإنسانيةَ من العنصريةِ والخير من الشَّرِ.

وهل أَلَّف المؤلفون وقائعَ العلمِ اليقينيِّ إلَّا لكيْ يَكشفوهُ للنَّاسِ خشيةَ الجهلِ وهل أنزلَ الله وحيَهُ اليقينيَّ المؤيدَ بالبراهينِ والحُجَجِ إلَّا لِبَيَانِه للناس جميعاً. إقرأ هذه الآية المعجزةَ المُتَحديَةَ لتفهَم هذه الحقيقةَ.

﴿وإذْ أخذ الله ميثاقَ الَّذينَ أُتُوا الكتابَ لتبيننه لِلنَّاس ولا تكتمونه. فَنَبَذُوهُ وراءَ ظُهورِهِمْ واشترْوا به ثمناً قليلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرونَ﴾ [٣ - ١٨٧].

ويا هَوْلَ الذينَ يكتمون يقينَ حقائِقَ العِلم ويقينَ حقائِق وحيِ الله عن الدَّارسين والباحثين وعن الجماهير. لكيْ يستمرَ بينَهم الخلافُ والتَّنازُعُ والأحقادُ والتناحرُ والتَّقاتلُ.

أجل لهمْ ألفُ وَيْلٍ وويلٍ: الأعدامُ في حَقِّهم قليلٌ في الدنيا: **﴿بَلِ السَّاعةُ مَوْعِدُهمْ والساعةُ أَدْهىٰ وأَمَرُّ﴾**[٥٤ - ٤٦].

وَأَيْم الله لو أدركُوا جَلاَلَ قولِ خَاتِم رُسُلِ الله سيِّدنا محمدٍ صلواتُ الله وسلامُه عليه لما أَقْدمُوا على الكتْمان اسمعُوا يا بشر قوله تعالى: **﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعلمون خبير﴾** [٦٤ - ٨] وقوله عليه السلام فيما رواه أبو داوود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه «مَنْ سُئِلَ عن عِلِم فكتمَه أُلْجِم يومَ القيامةِ بلجامٍ من نار» ومن أجلِ ذلك تجد المؤمنينَ يحْذرونَ مِنْ كتمانِ حقائِق العلم وحقائق الوحي.

هم يَعْلمونَ أنَّ لعنةَ الله تَنْصبُّ على الذين يكتمونَ: والله يقبلُ توبَةَ الذين يُقْلِعونَ عن الكتمانِ من بعدِ مَا مَارسوهُ ويصلحونَ ما أفسدَهُ الكتمانُ

﴿إنَّ الذينَ يكتمونَ ما أنزلْنا من البيناتِ والهدى من بعدِ مَا بيَّناه للناسِ في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصْلحوا وبينُوا فأولئك أتْوبُ عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ [٢ - ١٥٩ و ١٦٠].

وهناك نصوص كثيرةٌ للعلماء من أجل كشفِ يقينِ العلم ونصوصٌ كثيرة من وحي الله جل وعز. والقاريءُ الفطنُ يكْتفِي بالإشارة ومن لا تكفيه الإشارة فلن يكتفيَ بكل عباراتِ العلمِ اليقيني والوحي اليقيني وإلى اللقاءِ في موضوعٍ آخر من موضوعاتِ هذا اللون والسلام.

مكانة السِّفارة لـدى الدول

السِّفارةُ معروفةٌ لدَى الدُّول منذُ أبعد الأزمانِ، لأن التفاهمَ بينَ الدُّولِ أمرٌ لا بُدَّ منه عَلَى أَيَّةِ حَالٍ.

وكلُّ سَفير يُمَثِّلُ أُمتَهَ ودولتَهَ بكلِّ ما آتاهُ الله من الحكمةِ وفصلِ البيان والخُلقِ المثاليِّ الجذَّاب والحنكةِ والخبرةِ مع لطفِ الْمُسَايرةِ وجَلالِ العقيدةِ وسُموِّ الغاية . .

والسفيرُ يُخْتارُ مِنْ أعرق المواطِنينَ، وأسْماهم إنسانيةً وأوسعهمْ عِلْماً وأصدقَهم فراسةً وأيقظهمْ بصيرةً وأسبقهم تضحيةً في سبيل بلاده وعقيدته ومهما يكنْ فالسفيرُ إنسانٌ سِيَاسيٌّ مِثاليٌّ رَفيعٌ واسعُ الاطلاعِ، لأنَّه لسانُ دولتِهِ وعقلُها المفكر وعينُها اليقظةُ الحَذِرةُ الفطِنةُ.

وبالإجمالِ فهو الذي يُعطي الصورةَ المِثاليةَ العاليةَ عن تقدمِ بلادِهِ الحضاريِّ وامتيازاتِها الإنسانيةِ السَّلميةِ وعفافِها ومكارمِ أخلاقِها وأسلوبِها في تبادلِ المنافِع والمصالحِ على المستوىَ الإنسانيِّ الكريم.

وإني أعلم من مكانِ هذا الوطنِ العربيِّ السعوديِّ المقدسِ وجلالِ تَاريخِهِ وسموِّ تقاليده أنَّهُ بمثابةِ العَقْلِ والقلب بالنسبةِ لجزيرةِ الْعَربِ ومَا وَرَاءَهَا مِنَ الأوطانِ العربيةِ والإسلامية.

وإنسانُ هذَا الوطنِ يمثلُ تَعاليمَ وَحْيِ السَّماءِ فهو سِلميٌّ مُضَحٍّ، طبيعتُهُ

الوفاءُ بالعقودِ، وكفِّ أَذَى المؤامراتِ عن كلِّ الأوْطان. وَأَنَّ عراقتهُ مُؤَصَّلةٌ في تاريخِ مِحْرابه السَّماوي وفي قَدَاسَةِ التزاماتِه الإصْلاحية المنزلةِ مِنْ رَبِّ العَالمين دُونَ تَراخٍ أو هوادةٍ أو استهتارٍ.

ولو لم يكنْ حزمُ اسْتمساكِهِ مُعْلنٌ في كلِّ مكانٍ مِنْ قِبلِ الدولةِ لانْفرطَ عِقدُ وَحْدتِه وتناثرتْ حباتهُ تحتَ الأقدامِ ويعلمُ مؤرخو الآدابِ العالميةِ أنَّ هذه الجزيرةَ هي جزيرةُ لُغةِ الضَّاد من يَوْمِ شَرَّفَها اللهُ بوحيه المنزل بلغتِهَا وأن قادتَها الذين بيدِهم الحلُّ والعَقْدُ هم عربٌ أقحاحٌ هُداةٌ حازمونُ قديماً وحديثاً.

ويأبوْنَ أن يكونَ بينَ عُمَّالهم غيرُ مؤمنين بررةٍ إلاَّ ما فرضَتْه ضرورةُ الصعودِ الحضاري اليقظ السهران، القديم الجديد.

وإذا رأيتَ في جزيرةِ الضَّادِ بينَ مواطنيهَا:

١ ـ غيرَ مُؤْتَمنٍ على حقائِق الإيمانِ المنزلةِ في مغارةِ مِحْرابِها حِراءِ لإسْعادِ أهلِ الأوطان كافة.

٢ ـ وغيرَ مُنْطوٍ على عزيمةِ التضحية لِلحفاظ علىٰ تَجدُّدِهَا الحضاري الإنسانيّ العالي، وعلى أَمْجاد نهضتها الإسلامية الحديثةِ بكلٍّ ما في التضحية من معنى الفداء وصدق الإيمان.

فاعْلم أنَّه دخيلٌ زنيمٌ على أبناءِ جزيرةِ الضادِ.. ومنْ كانَ هذا انطواؤه لا يُعْلِنُ سِوَى الحَسْرةِ والخُسْرانِ والإبْعادِ عَن أبنائِها الأَصلاء تَجنباً لِرجْسِ مذَاهِبه وخَبائِثِ إلحادهِ أَجَلْ أجلْ.

كـل دَارٍ أحـقُّ بـالأهـل إلاَّ ... في خبيثٍ من المـذاهب رِجْسِ

ولن تظفرَ في أَيةِ نَهْضَةٍ مِنْ رِعَايةٍ لأَرْكانِ الإسْلام الخمسةِ ما تظفرُ بِه

في جزيرةِ الضَّادِ في هذه النهضةِ السلفية السعودية. .

إنَّها إردةٌ ذاتُ نَفَاذٍ حَازَمٍ مِنْ سائر الأفرادِ مِنْ أعلاهم جلالة الملك المفدى إلى أدناهم خذْ مثلاً إذَا نادَى المنادِي إلى الصلاةِ فإنك لَا تَجِدُ مَنْ لم يَخِفَّ بحماسة صِدق الإيمانِ لأدائِهَا ولوْ كانَ في قَارعةِ الطريق. . .

هذَا مِيراثُ النبوةِ العَمَليِّ في نَهْضةِ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ الذي جمعها على مَواثِيقِ وحي اللهِ قَائدُ نَهْضَتِها وموحِّدُ كلمتها الملكُ عبدُ العزيز.

وعلى ذلك انعقدتْ عزائمهُ في أعماله وَعُمَّالِه، وفي أعمال أَنْجالِـه وعُمَّالِهم. والناسُ عَلَى دِينِ ملوكِهِم هذا مشاهَـدٌ للعيان. والجميـعُ في المُمَارسةِ لِلْهُدَى بين وازعينِ أكيدينِ.

١ ـ هُدَى القرآن. .

٢ ـ وسَطْوةِ السُّلطـان. .

والمنحرفُ الْعَامِدُ لَا مَنَاصَ لَهْ أَنَّى يكونُ الْمناصُ والدَّولةُ الْيقظى له بالْمِرْصَادِ. وحتماً ما لَه مِنْ مَنَاصٍ بَلْ لَهْ الحذفُ والنَّدامةُ والخسران وإن شرفَ العُروبةِ وصدقِ الإيمانِ مُحَالٌ أن يُتْركَ فِي جَزيرة الضاد لِدَسائِس الخسيس المفسدِ الذي يتحدَّى التعاليمَ ويتـطاولَ على الإسْلام والسـلام واستقامَةَ الخَلق باسم الحرية يُريدُ أنْ يُتْرَكَ يَسْرحُ ويمرحُ فِي الْفَسادِ والإفْسادِ أنَّى يترك وفي تَرْكِهِ تمكينُهُ مِنَ القضاءِ الحَتْمِ على الأمةِ والدولة معاً بدَسِّ المذاهب الإلْحَادِيَّة والفِتَنِ الكافرةِ العمياء وشواهدُهَا نُشَاهِدُهَا في التَّلافِزِ ونُطَالِعُهَا في الصحفِ ونَسْمعُهَـا في الإذاعاتِ. وسَـاسَتنا يحملونَ غُصْنَ الزيتون ويلوحونَ بأعلامِ السلامِ للأمم كافة، لأنهمْ مرتبطونَ بِعِصْمَةِ وَحْيِ اللهِ الذِّي هُوَ عِصْمةُ السَّلامِ لأَهْلِ الأرض.

ولماذَا لا يكونُ وحيُ اللهِ عصمةُ السلام لأهل الأرض وفيه النصوصُ الصَّارخةُ التي تُحَرِّم الْفَسَادَ والإفْسادَ بين الأفراد والجماعات ومَا أكثرهَا في صميم وحي الله مَا أكثرها. . !!

مِنْ أَجْلِ ذلك كان إخْلاصُ سَاسَتِنَا للناس كافة بَلَّهَ المسلمين مُعْلناً في كلِّ مكان هُمْ سَاسةٌ إنسانيونَ حَضاريُّون رَاقيةٌ عُقُولُهمْ نَيِّرة واعِيةٌ: قُلوبُهم: صافيةٌ نُفُوسهم راضية أجلْ هذا هو الإصلاح والذي لمستُهُ بالخمسِ سواءٌ كانُوا في الوطنِ أو في خَارِجه. .

نَاهِيكَ بِسُلُوكِ مَوظَّفي السَّفارات العربية السعودية، وَسُلوكِ الْبُعُوثِ العلميةِ الذين عرفتُهمْ وعرفوني عن كثبٍ واتصلتُ بهمْ واتَّصلُوا بِي، والاستمساكُ بالإسلامِ هو ما أعرضُه عنهمْ في بحثِي الآتي.

المغتربون السعوديُّونَ

كنتُ أستشهدتُ في كلمتي السابقةِ بالمَثَلِ المشهورِ: النَاسُ على دينِ مُلوكهم.

وهذا المثلُ عينُ الواقعِ فقدْ تحريتُه في سُلوك الذين التقيتُ بهمْ مِنَ المواطنين السعوديين في أسفاري. فكانوا عَلَى عَقيدةٍ صَالحةٍ مُلْتزمةٍ تَرِفُّ شَمائِلُها فِي أحادِيثهم هُدىً مِن أضواءِ وَحْيِ الله جل جلالُه رفيفاً جَذَّاباً. وَإنَّ هُداهمْ هذا ملتزمٌ في غُربتِهمْ مع غِيابِ حُرّاسه، وإنَّ التزامهم هذا آية أنَّ ضَمائِرهم لن تُحْتَضَرَ وأنها في رعايةٍ إيمانهمْ وسَهَرِ دَولتِهمُ الأمينةِ الحازمةِ في الأخذِ بنصوصِ وَحْيِ اللهِ وبعَدْلِه في الحكمِ والتزامِهِ في التربيةِ والتعليمِ والإعْلام. .

وَلاَ هوادةَ ولا لَوْمَ وَلاَ تَثْريبَ في وجوبِ الأخذِ بأمرين. . إمَّا بِصرْخةِ الحق وسلطانِهِ وإمَّا بحسنِ الدعوةِ وذلك للمعاندين المنحرفين وللتَائهينَ السادرين.

والاستمساكُ بنصوصِ وَحْيِ اللهِ هُوَ الجامعُ لكل أمجادِ السَّلامِ العامِ والرَّخاءِ العامِ ومودةِ التعارف بينَ جميعِ النَّاسِ.

فجنايةٌ كُبرَى مَنْ تُسوِّلُ لهم أنفسُهم الصغيرةُ الانحراف بِعِنَادٍ جَاهلينَ سُوءَ مَصِيرهم المميت.

ومِنْ أجلِ ذلك تجدُ ساسَةَ أمتِنَا الذين بيدهم الحلُّ والعقدُ وعلى

رأسهم جلالة الملك المفدى لا يختارونَ للقيامِ بأعباءِ الحكم وإدارةِ شُؤونِهِ في الداخِلِ والخارج إلاَّ الرجالَ الصالحينَ أربابَ الحكمة والوَعْيِ النَّابهينَ ذوي الجِدِّ والاستقامة والخلق والدين . .

وإذا تبينوا في إدارة موظف العبث والإعْوجاج وأنه غيرُ أمينٍ على دِينه ووطنِهِ أقالوه بما يَسْتحقُّ وقدْ شَهدتُ في غضونِ رِحلاَتِي إلى شَتَّى البلاد تنافرَ سلوكِ البشرِ وتقلبَ ألوانِهم الحربائيةِ لِتصيدِ رفاهيةَ الْمعـاش وعرام غَرائزهم وسطْوةِ عُنْفِها على إرَادَاتهم القائدةِ إلى الصَّخَبِ واللَّجَبِ والفتنِ العميـاءِ ولا هُدًى ولا عِصْمـةَ إلاَّ لمَنْ عصمَهُ الله بـالإسلامِ وبـالأُسْـوةِ الصالحة . .

. . ودأبي إذَا هَبَطْتُ عاصمةً أن أزورَ سفارتَنا السعوديةَ وأُسلِّم علىٰ سَفِيرَهَا سلاَمَ تَعارفٍ وصلةَ أدبٍ وإيمانٍ ومودَّةَ .

وكم هي مشرفة سُمعةُ سفرائِنا العَطِرة وموظفي السَّفارات هُنَا وهناك وهنالك .

وَعَلىٰ جناحِ فكري يظلُّ ذِكْرهم يزهُو بِهِ سَمْعِي وبصري إنْ خلوتُ أو جَلْوتُ وسَيلُها في مَعَالم الفكر دَفَّاقٌ ومتشعِّبٌ وَإِنِّي أطالع قـرائي بذكـرِ سَفيرين كريمين كبُرْهانٍ .

الأول : معالي الشيخ علي الشاعر عرفتُه لما كنتُ في لبنانَ أسكن العاصمةَ بيروت وأنا أزاولُ أعمالي العلميةَ والأدبيةَ في كلِّيتها الشرعيةِ حِقبةً مِنَ الزمن . وعرفتُ جُلَّ موظفِي السَّفارة لأني كنتُ أخطب الجمعـة في مَسَاجدها وأحاضر في الجمعياتِ وأُدرس في مَعَاهِدِها وكانوا يقصدون سَماع كَلمَتِي . .

أجل عرفتُهم معرفةَ البصيرةِ والبصرِ عن كثب فكـانُوا فِي إسْـلامهم

يمثلونَ وطَنهم أنبلَ تمثيلٍ.

نَاهيك بمعالِي الشيخ علي الشاعر فهوَ من آبناء طيبة المباركـة وهو دُبْلوماسي محنك وَاسعُ الأفق يعمل لوحدة لبنـان وتفاهم طَـوائِفه بِسَهـرٍ ونَصَبٍ: وإخلاصُه لدَوْلتِهِ وأمتهِ يعلمُه كبارُ سَاسَتِنا أكثر مما أعلمهُ أنَا أو سِوَايَ مِنَ الكاتبين، وهوَ معتصمٌ باللهِ مستمسكٌ بِشعَائِرِ الإسْلامِ، ومُثُلِهِ الإنسانيةِ العليا غير مفرط في شيءٍ وقدْ نِلتُ شرفَ الإنْتِسابِ إلى مَعارِفِ والدهِ العلامة الشيخ حسن الشاعر. الذي كان حجةَ لدَى أهلِ القرآن علماً وقراءاتٍ وتفسيراً وتلقيناً في مدَى قَرْنٍ مِنَ الزمان.

وكنتُ نشرتُ في جريدة المدينة المنورة كلمة ضَافية عن معالي الشيخ علي الشاعر.

هذا هُوَ السفير الأول الذي أحببتُ أن أشير إليه في موضوع عن السَّفارة والسُّفراء وأمَّا السفير الثاني فهو معالي الشيخ محمد الشبيلي..

والكلمة التالية تكون حوله إن شاء الله..

معالي الشيخ محمد الشبيلي

أمجاد الأعمـال

سائرُ أعمالِ البشر محصيةٌ أيا كانَ وجودُها ظَاهِراً أوْ خَفيًّا، خَيّراً أو شريراً وكذلِكَ كلُّ أقوالهم،وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضحُ.

١ ـ فَمَنْ خَبُثَتْ نفسُهُ يتنزَّى بالْخبائِثِ واللَّعَناتِ والإلحادِ والسخريةِ بالنَّاسِ والتندرِ بهمْ في أقواله وأعماله.

٢ ـ وَمَنْ طَهُرتْ نفسُهُ طَهَرتْ أقوالهُ وأعمالُهُ مِنَ الخبائِثِ، فأعمالهُ تُصْبح زكيةً سامِيةً وأقواله رقيقةً حَسنةً مباركةً. وبالإجْمالِ يُصْبحُ إنسانـاً إنْساناً. . !!

وصدق أحكم الحاكمين في قوله: ﴿**والبلدُ الطَّيبُ يخرجُ نباتُه بإذنِ ربـه والذي خبُثَ لا يخرج إلاَّ نَكِداً**﴾ [٧ ـ ٥٨].

وهكذا تَجِدُ مَنْ طَابَ عنصُرهُ وسماً أصلهُ وتهذَّبَ خُلقُه. . لَا يتكلَّم إلاَّ بالكلمةِ الطيبةِ حتى في حَقِّ الذين يُناصبونَهَ العداءَ ظلماً وعُدْواناً، ويحقدونَ عليه صغاراً وحَمَاقةً.

فهو يُحبُّهم ويُطريهم بحكمِ طِيبِ عُنْصرِهِ وكرمِ أصله وسموِّ ثقافتِهِ «والعرقُ دَسَّاسٌ» والتثقيفُ يفيــدُ.

وكم تَهزُّهُ لَهْفةُ الائتساءِ بحِكمةِ صاحبِ الرسالة الهادية إلى تَمامِ الخلقِ

صلوات الله وسلامه عليه «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخر، فليقلْ خيراً أو ليصمت».

وهي حكمة حقٍّ، ولماذا لا تكونُ حكمةَ حَقٍّ واللهُ جلَّ جلالُه.. أفهمنا أن الإنسانَ يملكُ حريةَ القولِ كما يملكُ حريةَ الفِعلِ. وإلا كيفَ يحاسَبُ، يُثابُ، أو يُعاقَبُ ومَظْهرُ الحريةِ ثابتةٌ في قُدْرتِك على ممارسةِ النقيضين في الأقوالِ والأفعال. إقرأ وتأملْ وتفهمْ اليقينَ.

حَداني إلى هذه التوطئةِ ما رأيتُهُ مِنْ مكارم أخلاق معالي سَفير المملكة العربية السعودية الشيخ محمد الشبيلي لدى زياراتي له في منزلِهِ في عَاصمةِ ماليزيا ـ كوالالمبورُ ـ في غُرة ذي الحجة عام ١٤٠١ هـ، فما كادَ يراني حَتى اسْتقبلني بالترحاب، شأنه مع كلِّ زُوارِه وما أكثرهم..

استقبلني وهو يقولُ: مُوانساً طلْقَ المُحَيـا.. «كنتُ أتصورك شَيْخاً، وها أنتَ ذا شابٌ» وهذه الكلمة من مزايا مواهبِ الخلق الكريم. لأني قدمتُ إليه، وأنا أتعثَّرُ في شَيْخوخَتِي. فأرادَ أنْ يُطَيِّبَ خَاطري بذلك.

وهنا علمتُ أني أَلْقىٰ إنساناً ذَا أَصالةٍ في عراقةٍ محتدِهِ. وشَمـائِلِ الإسلامِ العُلْيا ومزايا العروبة الصَّريحَةِ واجْلَسني إلى جَانبِهِ وَقَضَيْتُ لَدَيْهِ سَاعةَ معرفةٍ حُلْوةٍ فائقـــة...!!

وتابعَ لِضُيُوفِ لدْيهِ حديثَهُ، وكانَ عن مَواهِبِ الملك عبدِ العزيز وعَنْ عَبْقريَّاتِ سِياستِهِ وبُعدِ نَظرِه وكبير ثِقتِهِ باللهِ في أعْسرِ المواقفِ وأشدِّهـا خطراً. وكانَ حديثُه جذَّاباً يفيدُ الساسةَ لدَى كلِّ أمة أيما فائدة..!!

وَوَدِدْتُ لَو طالَ مكثي لديه لَدَّونتُ ما أسمع،وكم فيه مِنْ خَيْرٍ للمُسْلمين والعرب بل للبشرِ الذين يُريدون أَنْ يكونُوا بَشَراً بِصدْقٍ وإيمانٍ..

ورأيتُ كبارَ الرجالِ وصغارهم يحملونَ لمعالي الشيخ محمد الشبيلي المَودةَ والإعجاب والإكبارِ تبينت ذلك مِنْ جملةٍ ما كنتُ أسمع وأقرأ عنه وأنا في بلادي.

ومَعاليه له ذكرياتٌ في العراقِ يتحدَّثُ بها عَارفوهُ، وله هُنا في ماليزيا أكثر فأكثر ذكرياتٌ كريمةٌ مشرِّفةٌ ترفعُ رأسَ الْمواهِبِ اعتزازاً وازدهاءً.

وقد سَمعتُ ذلك مُسْتفيضاً على ألسنةِ رجالٍ علماءٍ وأدباء وساسةٍ أعْلام من الذين كتبَ اللهُ لهم الاتصالَ به عَنْ كثَب.

وكنتُ أدَّخرُ ما أسمع بينَ طوايا اليراع، وفي لجَّــة أعماقِ نَفْسِي، منتظِراً الفرصةَ المناسِبةَ لِكَلمَتِي والحقَّ أنِّي كنتُ ادَّخرُ في نفسِي ما أدخر معجباً ممَّا أسمعُ، وما كنتُ أسمعُهُ جَعَلنِي ألمحُ أشْباههُ فِي سِيَرِ أجوادِ العرب.

وما زَالَ أمري لا يتجاوز السَّماعَ ادّخَار ما أَسْمع حتّى كتبَ اللهُ لِي أن أَلْقاه عَياناً. وانِي أقولُ بِصراحةٍ ما رأيته أكثر مِمَّا كنتُ أسُمعُ يجري على ألسنةِ الثقاة.

ولا ريبةَ في ذلك وَمَنْ ارْتاب فمعاليه بِحَمْدِ اللهِ لا يَزالُ عَلَى أَحْسَنِ ما يكونُ الخيرُ والهُدَى والإيمان والإحسان.

ومن أراد أن يلمسَ حقيقة مَعالي الشيخ محمد الشبيلي فليطالِع الحديث الشريف الذي رواه الشيخان البخاري ومسلم:

«مَنْ كان يؤمنُ باللهِ واليوم الآخر، فليكرمْ ضيفَه، وَمَنْ كان يؤمن باللهِ واليومِ الآخر فَلْيصلْ رَحمه، وَمَنْ كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمُتْ».

ومن توفيق الله أن يقول الإنسان كلمةَ الخيْرِ، وأن يكفَّ عَنْ كلمةِ الشر. فَمَا بَالكَ إذَا كانَ حِيَالَ كلِّ الخير.

التجـــارُ صنفان؟..

التاجرُ الجموعُ اللهيفُ يتصيَّد الربحَ العاجلَ.. ويجعلُ شعارَهُ أن يدورَ في طلبه حثيثاً ويطلبه بنهمة في أسواقه. وَيَسْهد لذلك ويجد ويكدح. سواء أكانت أسواق خير تهدفُ إلى بناءِ الأمة التي يعيشُ فيها وينهضُ بها.

أَمْ هِيَ أسواقُ شَرٍّ تُؤَدِّي إلى هَدْمِ الأمةِ وتمزقها وتبيدُهَا. ولو كانتِ البضاعةُ مشبوهةً قاتلةٍ أمَّا التاجرُ الجموعُ النبيلُ الذي ينشدُ الأسواقَ الشريفةَ والبضائعَ الكريمةَ التي فيها حياةُ أُمتِهِ وسعادتُها وتوفيرُ رغدِ العيشِ لها فإنَّه هو إنسانٌ حقاً يَخافُ الله بأعمالهِ قبلَ أن يخافهَ بأقوالِهِ، وَمَا جَمْعُهُ لِلأمْوالِ إلاَّ لِخَيْرِ أمته إبَّانَ الشدائد ولسعادتِها.

وهؤلاء التجارُ النبلاءُ هم بناةُ الأمةِ وحماتُها من التَّدهْورِ والإحْباط. وهُمْ عدةُ الدولةِ، وسَنَدُها في كلِّ المواقف.

وتجارُنَا السعوديون الأُصلاء الذين يُمَثِّلُونَ أعراقَ الجزيرةِ العـربيةِ وإسْلامِها وجمائِلها وبطولاتِهَا.

هؤلاء التجار همُ مثلُها العُلْيا القائمة وأَضْواؤُهَـا السَّاطعـة... وبناةُ وَحْدَتِهَا وَأُساةُ جِراحِها وحماتُها لأنَّ الشحَّ والجُبْنَ مُتلازِمَانِ والجُبْنُ والشُّحُّ لاَ يُقيمان مُلْكاً وَلاَ يُصْلِحَانِ فاسداً. وَلاَ يرْعِبَانِ عَدُوًّا ولا يكشِفـانِ دسَّاسـا متآمراً ولا مُلْحِداً مُتَمَرِّداً، ولا عَيْناً مترقباً.

وما دام شعبنا هو شعبُ قلب الجزيرة والقلبُ في جسمِ الأمةِ عليه مدارُ

حياتِهَا ومنه دفقُ دِمائِها، وفيه طِبُّ سلامتِها من الأدْواءِ كافة.

والأمةُ كيانٌ جَسَديٌّ حَيٌّ مُتكاملُ الأعْضاءِ، فإذَا هِيَ لم تكنْ مرتبطةً بالقلبِ ارتباطَ اسْتِمْدَادٍ لطاقةِ الحياةِ منه. فلن تَسْتطيعَ أن تُتابعَ الحياة بسلامةِ الكيانِ الْمُوحَّد.

ولن يكونَ في أيةِ أمةِ كيانٌ موَحَّدٌ مَوْهوبٌ محترمٌ إلَّا بالبطولاتِ العملاقةِ القادرةِ على صَدِّ غَدَراتِ الزمان، وَمَفَاسِدِ المفسدين الْمُمزِّقين ويتم ذلك:

بِعُمْقِ الفكرِ، وَنُضْجِ الرأْي، وَصِدْقِ الإيمانِ. وبسَالَةِ المُغَامَرةِ.

وهل استطاعَ صقرُ الجزيرة أن يُوَحِّدَ الأمةَ السُّعوديَّةَ في قلبِ الجزيرةِ العربية إلا بكلِّ ذلك. وَكُلُّ ذلك مَسْطورٌ في تاريخ حياتِهِ الماجدةِ. أجل كان طولَ حياتِهِ متأهِّباً مترقباً مستنفراً. وكان جلداً يقظاً بعيدَ النظر والفكر، أمطر الله على جدثه الرحمة والرضوان.

حقاً إنه صقر الجزيرة...

وهل يَنامِ الصَّقرُ وراء الأحْلامِ الفارغةِ لَا لَا إنه لن يستريحَ عن التحليقِ هُنالك هنالك في الأَجْواءِ السَّحِيقة.. وهل يَكُفُّ عن عُمْقِ الفكرِ وَجِدِّ العملِ لَا لَا وهو الرائدُ لجيل الجزيرةِ العربيةِ النَّاشِيءِ جاءَهُمْ بأمجادِ وَحْدةِ الكلمةِ وأمانيها منذُ طليعةِ شَبابِهِ. وما انْحرَف...!

وَمَنْ يَنْحرفْ عَنْ مناهجِ التضْحِيَةِ وموازينِهَا الْعَمَلِيَّة فإنه يكونُ عاملَ إفسادٍ وهَدْمٍ وانْحرافٍ ويكونُ مَثَارَ فِتَنٍ وقَطِيعةِ أرحامِ الأمةِ الواحدةِ، وبلاياهُ لَا تنزلُ عليْه وَحْدهُ. ولكن تعمُّ..!!.

ونفسُه تكونُ ذات نَفْثَةٍ خَبيثةٍ. فَلَا بُدَّ مِنَ التوقي مِنْه والحذرِ والضربِ

على يَدَيْهِ لِأَنَّ كُلَّ مآتيهِ فتنةٌ والْفتنةُ إنْ لم يُتَّقَ مِنْهَا دَمَّرتِ الصَّالحَ والطَّالحَ.

﴿واتَّقُوا فتنةً لَا تُصِيبَنَّ الذّينَ ظَلمُوا مِنْكم خاصَّة﴾ [٨ ـ ٢٥].

ويا شقاء العالمِ إذا لم يَفْطِنَ لفتنةِ الصهاينةِ في كلِّ بَلـد إنَّهُ لَنْ تَسُودَهُ الطمأنينةُ والأمنُ: والطمأنينةُ والأمنُ مأْتَاهُمَا.. القلوبُ المؤمنة باللهِ خالِقِها العظيمِ بإحسانِ الذكرِ الْعَمَلِيِّ.. ﴿ألَا بِذكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القلوبُ﴾[١٣ ـ ٢٨].

وأين هِيَ القلوبُ التي تذكرُ الله بإحسانِ الإيمانِ الْعَمَلِيِّ به جل وعز. أين أين..؟!! هي القلوبُ المصلحةُ التي تذكرُ اللَّه بإحسانِ الإيمان العمليِّ الجادِ هَا هِيَ ذِي قلوبُ البشر اليوم متَقبِّضةٌ صَلْدةٌ كأنَّها الْحَشَفُ البالي.

أَلَا إنها وَاجفةٌ مستوفزةٌ حَاقِدةٌ متربِّصة ولا نجاة للبشريةِ ولا إفلاتَ من وشك ساعة المواخَذةِ إلَّا بصدقِ العودةِ إلى الإيمانِ العَلمي اليقيني الإيمان بالله الخالق العظيم.

ولن تجدَ الإيمانَ العلِّميَّ اليقينيَّ إلا في الإسْلامَ والإسْلامُ وحْدهُ هو الـذي يصرعُ الإلحـادَ وأَشْيَاعَ الإلْحَـادِ من شُيُوعِيِّينَ ووجـوديِّين وسِوَاهمُ يصـرعهم بقوَّةِ بُنْيَـانِهِ الْعَلِميِّ الشَّـامـخ، وبسلطانِ بـرَاهِينـه المحسـوسـةِ الملموسة، وبواقعِهِ الصَّارخ الداوي لذلك يجب علينا نحنُ أبناء أمةِ الإسلام والعروبة أن نحمـلَ أمانَةَ مثلِ الإسلام الْعُلْيا بكلِّ إمكانيَّاتِنا وَنجدُّ في تبليغِهَا للناسِ في كلِّ مكانٍ وبكلِّ اللغات.

أي أنَّ نَتخذَ كلَّ إمكانياتِنَا وثرواتِنـا التجاريـةِ وقُوانَـا لخدمـةِ تعاليمِ الإسلامِ وهذا هو الشَّرفُ الذي لا يَعْدِلهُ شرفٌ وهل أوْجد اللهُ الأموال لكي نَسْتَمْتعَ بالنظرِ إليها طوالَ حياتِنَا ثم نُولِّي إلىٰ أجْداثِنَا ونتركُهَا لعنةً علينَا وآيةً على شُحِّنَا في حقِّ اللهِ والْوَحْيِ والأمةِ والحياةِ على أَنَّ الأَهْوالَ إذَا نزلتْ أودتْ بِنَا وبأَمْوالِنَا كما هو مشاهدٌ لنا.

لِذَلِكَ تجدُ مُفَكِّرِي تُجَّارِنَا يكنزونَ الأموالَ لكي يُنْفقوهَا فيمَا أمر الله أَنْ تنفقَ فيه دونَ شُحٍّ لِأَنَّ الأموالَ علىٰ كلِّ حَالٍ هي متروكةٌ سواءٌ أردْنَا أو لم نردْ فالأولى أن تنفق في تخليدِ ذكرِ جامِعهَا وما أجل الذكْرَى عنـدَ اللهِ والناسِ وبالْحريِّ إذَا كانتْ لِصَدِّ غَاراتِ الأعداءِ قبلَ ساعة الْمُباغتة.

وما دامَ كلُّ فَرْدٍ مِنَ أفرادِ شَعْبِنَا يُحِسَّ أَنَّهُ جُنْديٌّ مُرابِطٌ ورَاصِدٌ مراقبٌ كلَّ دَخيلٍ مُريبٍ لَم يَفِدْ إلَّا لجمعِ الأموالِ والطيرانِ بها إلى بلادِه. وأنا أعتقد لو أننا كنَّا أيقاظاً واعينَ رَاصدينَ كلَّ حركةٍ مريبةٍ وكلَّ سكنةٍ وكلَّ بادرةٍ تصدُر عن أيِّ فردٍ مِنَ الأفرادِ في الداخل أو الخارجِ لما حدثَ الذي حدث. في بيت الله الحرام، ولولا قوة الدولة لكان الأمر مَهول.

والآن ـ والفضلُ لله ـ ما دام كلُّ فردٍ من أفرادِ الأمة، وكلُّ فرد من أفراد الدولة يعتبرُ نفسَه جنديًا متأهِبًا مُسْتنفراً فلن تكونَ في بلادِنَا بعدَ الذي كان فتنة أو مؤامرة أو دس أو نفثةُ شَرٍّ وإثمٍ وإلحاد..

ومهما تكنِ الدولةُ قويةً وغنيةً فإنَّها لَا تَسْتَغْنِي عَنِ اهْتمامِ أفرادِ شَعْبِهَا بالمصالحِ العامةِ والتفاهمِ حولها والْحَذَرِ بالْيقظةِ والانتباهِ لكلِّ دخيل زنيم بل من كلِّ متآمرٍ أياً كان. لأنَّ الفتنة إذَا نَزلتْ أولَ ما تسحق أفراد الشعبِ والحذرُ والذودِ عن الحَقِّ واجبٌ إسلاميٌّ أكيدٌ قبل أن يكون واجباً وطنياً.

أمَا نذكُر حتى اليوم أنه حدَثَ في ليلةٍ أَنَّ أهلَ المدينةِ سمعُوا رَجْفةً خارجَها فبادروا إلى أسلحتِهم وتلاحَقُوا على خيولهم يقصدونَ المكان، وإذا رسولُ اللهِ يعودُ وهو راكبٌ جوادَهُ بدون سَرْجٍ لإسراعِهِ إلى رصد الرْجفةِ وهو يقولُ ارجعوا فلن تراعُوا.

وأنَّى يكونُ الروع في أمةٍ هَذَا شأنها حكومةً وشعباً. ولا ريبَ أنَّ الأمة التي تكونُ بهذه المثابة مِن التَّأهُّبِ والإسْتنفارِ والاسْتعدادِ للتضحية ساعةَ

تجبُ التضحيةُ بكل حَماسةٍ بكلٍّ بسالةِ بكل إقدامِ بكلٍّ إخْلاصٍ بكلٍّ حَذَرٍ وذكاءٍ وَفَهمْ هِيَ أمةٌ عظيمةٌ خالدةٌ كريمةٌ. هي أمة لن تراعَ ولن تَهْلِكَ أبداً.

أجلْ هي أمةٌ لن تراعَ ولن تهلكَ كما كان رسولُ الله ﷺ.

لذلك أود أَنْ نُوصِّدَ وَحْدتنا وتماسكنا واستعدادَنا أبداً للتضحيةِ والاسْتنفار ويجب أن نعتبرَ كلَّ ذلك هي التجارةُ الرابحةُ وأقسمُ بالله لو كان أحدنا يملكُ كنوزَ قارون وما هو على هذا الاسْتِعْدَادِ والتأهُّبِ والتَّيقُّظ السَّاهِر المضحي فإنه هو وكنوزُهُ يذهبُ هَبَاءً في ساعة منقضة كافرةٍ مريبةٍ.

وفي النهاية فلنكن مُؤْمنين واعين مُسْتعدين مطبقين قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[٣ - ٢٠٠].

تصغير الكبيـــر

قليلٌ، وقليلٌ جداً على الكُتَّابِ الذين يتعمَّـدون قلبَ حَقَائِق المعـرفةِ اليقينية. أَنْ يُسْلكُوا في سلسلةِ النَّارِ الحامية. ويُنْصَبُوا على أعوادِ المشانق.

وهل يتعمَّد مُتَعَّمِدٌ أن يقلبَ حقائقَ المعرفةِ الاَّ لِصَغارٍ في نفسِه، وَحِطَّةِ في أصلِه وانتكاسٍ في أخلاقِهِ وَوَهَنٍ في أفكارِه وَخُبْثٍ في نِيَّاته وعنصريةٍ في أعمَالِه.

والسبب أنَّ قلبَ حقائِق الأشياءِ هو أكبرُ جرائِم الفكرِ، ولماذا لا يكُوْن كذلك، وهو العثرةُ العَاثِرةُ والدرجةُ الـواهيةُ في سِلَّم الصعـودِ الحضَاري الإِنساني. ومآثِمه وَلَعَناتُه وبَوائِقه تحطمُ مواثيقَ التفاهِم السِّلْمِي بينَ الأمم أفراداً وجماعاتٍ بل حتى بين طَبقَاتِ الأمةِ الواحدة...!!

أجل إنَّ قلبَ حقائِق الأشياءِ شرٌ وبيلٌ، وخبثٌ وظُلمٌ ظَالِمٌ وظَلامٌ، لأنه كُسَاحُ الحضارةِ الإِنسانيةِ وسرطانُها ومعْوَلُ هدْم صُروحِهَا. ولكن يُوجدُ في هذه الدنيا شرٌّ أكبر وخبثٌ أخبث وظلمٌ أظلمُ ألاَ وهو تصغيرُ الكبيرِ..

وإِذَا بدَا لكَ أنَّ جريمةَ تصغيرِ الكبير هيَ واحدةٌ مِنْ حلقاتِ سلسلة قَلْب حقائق المعرفةِ فإنَّ ذلك حَقٌّ. إلاَّ أن أضرارَها فَادحَةٌ تعدلُ كلَّ جرائِم قلبِ حَقائِق المعْرفةِ إن لم تزدْ عليها الف الف زيادة.

حَسْبك أن تعلَم أنَّ هذَا التَّصغيرَ للكبير يَبْدَأُ منْ ربِّ العالمين الكبير المتعال الأزلي الواحد الذي بيدهِ الملك والملكوتُ والذي إذا اراد شيئاً أن يَقولَ

له كنْ فيكون. . ألا ترى أبَالسةَ البشرِ الملاحدةِ يُصَغِّرونَه حتى يَنْفُوا وُجودَهُ. وَيَسْخرُوا مِنَ المعتقدين بوجودِهِ ويرونَهم هَوَسَى ومجانين وحمقَى وترَى آخرين سِواهمْ صَغَّروهُ كما صوَّرتْ لهمْ أساطيرُهمْ حتى تمثَّلوهُ طَاقةٍ رُوحيَّةً حالَّةً في إنْسانٍ أوْ حيَوانٍ أو نَباتٍ أو جمَادٍ أو مَلاكٍ أو شَيْطان أوجِنيٍّ. وَعبدُوا مَا تمثَّلوهُ وخالُوهُ هَو اللهَ ربَّ العالمين ودَانُوا له وعبدُوهُ تَقْليداً أي بدون عِلْمٍ وفكْرٍ ودرْسٍ وبَحْثٍ أو مَا نَجِدُ مِنْ جَريمةِ تَصْغيرِ الكبير أن نَاسَاً يؤمنون بنبوةِ حزقيال ودانيال وسواهم مِمَّنْ جاءَ ذكرُهُم في العهد القديم. وذكروا أنهم يُوحى إليهمْ.

أمَا خاتمُ أنبياء الله الذي أَوْحىٰ اللهُ إليهِ خاتمَ الكتبِ السَّماوية المعجِز المتحدي الأجيالَ والحضاراتِ بمعارِفِهِ وَتَشْريعِهِ وَحِكمِهِ. ما هو في زعمهم بنبيٍّ والقرآن المجيد ما هو بِوَحْيٍ فهلْ رأيتَ جريمةَ تصغيرِ الكبيرِ أهولَ وأفظعَ من هذه الْجَريمة.

إذن فلماذا لا تكونُ جريمةُ تَصْغِير الكبير في سِلْسِلَة جرائِم قَلْب المعرفة هي الكُبْرى أفداحاً وأهوالاً وأضراراً. .

وهذه الجريمة إذا دُسَّتْ حوْلَ حَبْرٍ مِنْ أحْبارِ العُلماءِ أو أديبٍ من عَباقرةِ الأُدباء أو فنَّان من نوابغِ الفنّانين حوَّلَتْ العبقريَّ منهم فَدْماً، والعملاَقَ قزماً وَسَحْبان باقلاً وعنترَة أرنباً. والحنظلة سكراً. .

وما يصدرُ تصغيرُ الكبير إلاَّ من صَغير النفسِ هزيـلِ الفكرِ خَسيس التربية حقود حَسود مُنْحطِّ النزعاتِ دَسَّاساً همُزةً لُمزةْ يسؤُوهُ أن يَكونَ في أمته عباقرة يرفعون قدرها ويحكمونَ أمْرهَا وَيُشيِّدون حَضَارتها. فإذا ظَهرُوا أحَسَّ بالإنقباضِ وأخذ ينْفثُ سُمومَ صَغارِهِ حولَهم وأفْدحَهُ ما أنعم اللهُ بِهِ عَليهمْ، فتراهُ أَنىَّ كانَ طَفِقَ يُلوِّثُ سُمْعَتهمْ بالإفتراء والدَّسِ والبُهْتان.

فإن كانَ عالماً يُصغِّرُ عِلْمَه وإنْ كان أديباً يُصَغِّرُ أدَبهُ، وإن كان فنَّاناً يُصغرِ فنَّه، يَتعمَّدُ ذلكَ وهو يَدْري أنَّ العلمَ الكبيرَ والأدبَ العظيمَ والفن العبقريّ هُو أمجاد ماثلة صَارخة لِلأمةِ جَمْعاء على مَدَى التأريخ.

أجل هو يَدْري كلَّ ذلِك ولكنَّه لا يُبالي، لأنه لَا يَعْتقِدُ أنهُ مُواطِنٌ يَحمِلُ مَسْؤوليَّةَ الوطن بَلْ يَعْتبرُ الوطَنَ معرض تجارة للربح بكلِّ الوسائلْ ولَا يُحبُّ سِوَى نَفْسِه، فينتحل المفتريات انتِحَالاً ليحطِمَ بها أمجادَ الكبارِ، ولا يرتاحُ إلا إذا رأوْهمْ صِغاراً.

والحقيقةُ أنَّ ما يَبْنيهِ اللهُ لا يهدِمُه الهَادِمونَ، ولا يحطِمُهُ المحطمونَ بلْ تجِدُ العَدْلَ الآلهي يَبْنِيهِ ويبْنيهِ وصَدَق أميرُ الشعراء في قولِه لحافظ ابراهيم، وكم حاولوا تَحطيمَه.

مَــا حَــطَّمــوكَ وإنمــا حُــطِّمُــوا مَنْ ذَا يُحْطِّم رَفْــرَفَ الجــوزاءِ

أجلْ جَرَتْ سنةُ العدلِ الإلَهي أَنَّ المظلومَ لا بُدّ أن ينتصرَ ولو كانَ كافراً وأنَّ السهمَ الخائِنَ لا يُصيبُ إلَّا كبد رَاميه وأَنَّ الضبابَ لا يُغَشِّي إلا حَادِيه وأنَّ الحفرةَ لَا يتردَّى فِيهَا سوى حَافِرها: وخبائِثُ النفوس الحقيرةِ، لَا تُقْتَلَعُ ما بينَ غَمْضةِ عَينٍ وإنْتِبَاهَتِها بَلْ لَا بُدَّ لَها مِنْ تَهذِيبٍ طَوِيلٍ، وتأديب أطول. لأن أصول المهذبة في هذه الدنيا أَنْدرُ من الكبْريت الأحمر. وإنْ كانَ الدَّهرُ أكبرُ مُهذِّبٍ.

.. ومَنْ لمْ يؤدِّبْه وَالِـدَاهُ أَدَّبـهُ الليـلُ والنهَّـارُ

ومهما يكنْ فإنَّ الكبيرَ، لَا يضرُّهُ التَّصغيرُ المصْنُوعُ المَدْسوس المُفترَى مِنْ قِبَلِ الأقزام والخنافِس فالدَّوْحَةُ البَاسِقة لايَعلُو ذُراهَا إلا النسور. والعلمُ والثقافةُ والعبقريةُ والأدبُ العالي والفنُّ البارعُ يرفُع اسْمَ الْوطَنِ ويُعْليهِ أقداراً وأمجاداً ولا يحول دونَ مَطالِعِهِ الركامُ الأسودُ وإنَ تكاثفَ ولا يَمْنَعُهُ سدُّ ذي القرنين

أبداً أبداً. والْبلَابِلُ لا بُدَّ أنْ تُغرِدّ إذا طَلَع الفجرُ والليلُ مَهْماَ طَالَ واحْلوْلَكَ وادْلَهَمَّ فلا بُدَّ مِنْ طُلوعِ فَجْرهِ والذينَ يَحْترِفُونَ تَصْغيَر الكبيرِ هُمْ مُعْتدونَ ظَالِمونَ: والُمعْتدونَ الظالمونَ لهمْ نهايَةٌ مَريرةٌ مُبيدةٌ لا بُدَّ أَنْ يَلْقَوْهَا والُمثقفونَ الذينَ يَمْلِكُونَ عقُولاً حُرَّةً قادِرةً أن تَسْتقلَّ في الّنظرِ والّتفكيرِ وَتَعقُّلِ أَنْواعِ نِتاجِ الُمنْتجينَ ويَمْلكون الموازينَ الصَّادقةَ الدقيقةِ النَّزيهةَ فإنهم حتَماً يَكْشِفونَ حقائقَ أنواعِهَا ولا يكترثون لَأوْباءِ الأقلامِ المدخولةِ لأن الإناءَ المملوءَ بْالَأقْذَارِ لا يَنضحُ إلَّا أقذاراً.

وهم الذينَ يميزون بينَ التهريجِ والتمثيلِ والْبهْلوانيةِ ويدرسونَ أساليبَ الإنتهازيين الخادعين الكائدين والخديعةُ والكيدُ لا تجوز عليهم. أجلْ هُمْ يملكونَ موازينَ البيانِ الجديدةِ البكر، ويعلنونَ الأدب الرَّث الباليَ والمسروق.

وهل رأيتَ باطِلاً أَحْلَكَ وَضرّاً أضرَّ. وداهِيةً أَدْهى مِنْ أديبٍ يُفيدُ من أَديب معاصرٍ لَهُ ما يُفيدُ ويَسْتشف من شخصيتِه ما يَسْتَشِفُّ ويرتعُ في حديقة بيانه ويقطف ما يشاء أن يَقْطفَ مِنْ أزهارِهَا وثِمارِهَا ووروِدهَا ويَسْتظهرُ ما يستظهِرُ ويَحْذو حَذْوَ أسلُوبه ثم هو يَعْتصِمُ بالباطِلِ ويَجحدُ أَدبهُ، ويتنكرُ لَه، ويَحُطُّ مِنْ أَقدَارِهِ لِيُخْفِيَ خبَائِثَ نفسِه وَمَا أفاد منهُ إفادة الباحثين والمنقبين. ولكنَّ جميعَ جُحُودِه وتحامِلِه لا يُخْفي وَجْهَ الحقِّ والواقع اليقيني، مهما فَعل. لأن الباطل يموتُ ويموتُ أهلهُ معه. وإنَّ الحقَّ لن يموتَ وإن مَاتَ أهله.

وأهلُ الباطلِ يتلقاهمْ عذَابَان عذاب اللعنةِ في الدنيا وعذابُ الله في الآخرة وأهل الحقِّ يتلقاهمْ نعيمان نعيمُ الذكر الطيِّبِ في الدنيا، ونعيمُ الله في الآخرةِ ﴿وللآخرةُ خيرٌ لكَ من الأولى..﴾[٩٣ - ٤].

وإذا كانَ في تكبيرِ الصَّغيرِ بالمبالغةِ والافتراء بعضُ المنافع له كأن يَجْتهدَ في متابعة التأديب والنشاطِ حتى يحقق أنه كبير فعلاً كما حصل ذلك لأبي نُواس.

وإذا لم يَكُن الصغيُر المُكبَّرُ مِنْ ذوي الهِمَمِ العاليةِ، والنفوسِ الابيةِ النزاعةِ الى رضا الله وخُلودِ الذكر وعَظِمِ الإسْمِ. فكشفُ حقيقةِ أنه صغيٌر في علمه أو أدبه أو فنه لا يضيره في شيءٍ ولا يجعلُه يأسَى ولا يأسفُ لأنَّ صِغر نفسِه تجعلُه من شُعْبةِ غير المُبالين بما يكونون عليه من انحطاطٍ وذلّةٍ ومَهَانة.

وهذا سوى الطَّامح الذي حالتْ دونَ آمالِه وأمانيه الظروفُ القاسية والعوائقُ الخارجة عن إرادته.

ومهما يكنْ فالرضا يَجاري بالأقدار واللهفة إلى معرفة الحقيقة الواقعة ولو كان مريراً عَلْقمًا إلاَّ أنه آيةُ الإنسانية المُهذَّبة بكرمِ الأصل وهدى الإيمان والحق.

ولكنَّ البلاءَ كل البلاء والشر كل الشر والنذالة كل النذالة هو في أعمال الذين يُصَغِّرونَ الكبيَر ظُلْمًا وبهتاناً وحَسَداً دون ما جريرة إذ مُحال أن يُفيدَ الكبير من تصغيرهِ أدنى فائدة.

ولكنْ هذا هُو صُنْع النفوسِ الصغيرةِ في كلِّ عصرٍ وَمِصْر. . .

والله وخاتمُ رُسُله والقرآن والعلم والحق كبـارٌ كبار رغم المجـرمين المصغرين. .

حديث الأحـــدِ وَقِصَّتُهُ. . .!!.

لما كنتُ في بيروتَ طلب اليَّ بعضُ الأباء المسلمين أن أُحَدِّثُ أبناءَهم الطلابَ في الجامعةِ الامريكية، عَنْ مُعْجزاتِ خَاتِم الوَحْيِ الآلهي لِيَلْمُسُـوا بعلمٍ وبيقظةٍ أنه كَلامُ رَبِّ العالمين.

واختارُوا أن يكونَ الحديثُ يومَ الأحدِ في مَسجِد عين المريسة الُمطلِّ على البحرِ لانشراحِه وقُربه من الجامعة والغاية أن يتسنىً للراغبين مِنْ طـلابِ الجامعةِ الدَّاخِليِّين أنْ يحضروُا الحديثَ.

وكان الحديث يستغرقُ ساعتين من الساعةِ العاشرةِ صباحاً إلى صَلاةِ الـظهر. وكـان الحديثُ يتنـاولُ دَحْضَ الشبهاتِ المسمـومـةِ التي يُـدَبِّـرُهـا العُنصريون.

١ ــ خصومُ التعايشِ السلمي بينَ الأفرادِ والجماعات، ولو كانُوا أبناءَ أمةٍ واحدةٍ. .

٢ ــ وخصومُ الإيمانِ بالله الخالِقِ العظيمِ ولو كان مُدَّعَمًا على براهينِ يقينِ العلم، وعلَى بَراهينِ يَقينِ الوحيِ.

وكان قصدُ الآباء مِن انْتدَابي لَحديثِ الأحَدِ هُو أَن يَحْجَز شُبهاتِ الإِلحْادِ التي تتسرَّبُ الى أَنْفسِ أبنائِهم أثنـاءَ تَلَقِّيهم للمحاضـراتِ مِنْ أساتـذِتهِمْ بالأسلوب العلمي الحديث.

وَمِنْ أجل ذَلِكَ رَجْوني أَنْ يكونَ حَديثي إليهمْ بِنَفْسِ الأُسْلوبِ الْعِلْمي الحديث وإلاَّ كانَ مَثَلُ حَدِيثي اليهم كزفَافِ عَرُوسٍ مِنَ الْخَشب أو كَسَرَابٍ بقِيعَةٍيَحْسَبُه الْظَّمآنُ ماءً.

.. وأعلامُ العلماءِ الأمناءُ يُدركونَ أنَّ خَاتم الوحي الآلهي القرآنَ المجيدَ، خَطَّطَ في نصوصِه المعجزةِ المتحديةِ خُطَطَ ضَحْدِ شُبْهَاتِ الالْحادِ وأباطيل الوثنية والإشراك. أَيْ خُططَ ضَحْدَهَا في معظم نُصُوصهِ التحاورية وتوجيهاتِهِ العلميةِ المؤيدةِ بالتجربةِ والحِسِّ خُذْ مثلاً قصةَ ابراهيم مع نمرود أو موسى مع فرعون ولو أنَّ دُعاةَ الإيمانِ العلميِّ اليقينيِّ. . . سَلكُوا مَناهِجَ وحْي الله في نُصوصهِ التَّحاوريةِ المفكرة وتوجيهاتِه العلمية اليقينيةِ اُلمشاهدةِ لما رأينا شيوعياً ملحداً واحداً. ولاَ وُجودِيّاً مغروراً مأفوناً يُؤَلِّهُ نفسَه وهَواهُ.

ولكنهم أعرضُوا إعراضاً عن مَناهجَ وَحْي اللهِ جلَّ وعز وكان مِنْ جَرّاءِ اعراضِهم، توافر الملحدين بكل أنماطِهم ناهيك بهادمي معرفةِ الإيمان مِنْ أنفسِ الشّبانِ الشُّداةِ.

وإذا قُلتَ هلْ في الدنيا مَنْ يهدم معرفةَ الإيمانِ في أنفسِ الناشئةِ وهو قِوام الحضارةِ الصَّاعِدةِ والسَّلام الإنسانيِّ الصَّافي، والأمنِ الوَادِعِ المطمئن، والحبِّ الإنسانيِّ السامي: قلتُ الدُّنيا لاَ تخَلُو مِنْ الأشرارِ اْلمتخلِّفين الذينَ يختزنونَ غرائزَ الغابِ في مواريثِ مجْموعَاتهم النفسية ويحترفون الدسَّ والوقيعةَ بينَ اُلمتفَاهِمِينَ وتدبير المؤامرات بيقظة ودهاء وكيد باسم العلم والحق والتجدُّدِ البِكْرِ، والإنفكاكِ مِنْ اغْلالِ التقاليدِ والأسَاطير.

ومن أجْلِ ذلكَ كانتِ الشُّبهاتُ تُسْكَبُ إليهم في كُؤسٍ مِنَ البلَّوْرِ الصَّافي أثناء المحاضراتِ والمناقشاتِ التي تُلقَى إليهم بِوُسْعِ مَا في الدَّسِ مِنْ

نُصْحٍ مَنْكُوسٍ وتَوْجيهٍ مَنْحوسٍ. وقلُوبهُمْ متفتحةٌ للإنطباعِ والتَلقْي والأخذِ الإمَّعِي الخَالي مِنْ سُلْطانِ البُرْهَان.

وكيف يمكنُ للطلابِ الشُّداة أَنْ يفكرُوا في حَقَائِقِ مَا يُلْقى إليهم عن الإيمان. إذا كان ما يلقىٰ إليهمْ باسْمِ العِلمِ والحِكْمةِ والتَّجَددِ والتَّقدمِ الحضاري الْعَالي.

والذي أدهَشَني أني تَبيَّنْتُ بينَ الطلابُ مُكَلَّفين بإفْسادِ التَزكيةِ التي أُحَاولَهُا. . بِدَسِّ أَسْئِلةٍ مُعَدَّةٍ لِدَعْمِ الشُّبُهَاتِ وإفَادِ السُّلوك أَيْ ضَدَ ما أقومُ بِهِ مِنْ هِدَايَةٍ ومَعْرفةٍ وخُبْرةٍ وَمودَّةٍ للجميع. . !!.

ولولاَ أنَّ جمهرتهَمْ وَفدوا فِعْلاِ لِلتَّعرف إلى مُعْجزاتِ خَاتَمِ وَحَيْ الله الذي هُوَ بُرهانُ صِحةِ الإيمان بكلِّ ما لِلعلمِ مِنْ تحقيقٍ، وبكلٍّ مَا لِلْقلبِ مِنْ بَصيرةٍ وبكلِّ مَا لِلفكرِ مِنْ وَعيْ لَمَا اسْتَطعْتُ أنْ أُواصلَ محُاضَراتي.

أي كانَ جمهرتهُم شَباناً أذكياءَ يُريدونَ أن يَلْمسوا حَقائِقَ معجزاتِ الكتُبِ السَّماويةِ الْمُتَّصلَةِ بحقائِق العلمِ اليقيني الصارخ والقادرةِ على إزالةِ الشُّبهاتِ التي تُلْقَىٰ إليهمْ مِنْ إيحاءِ المعرفةِ المدخولة وَسِحْرِ المودة المقلوبة ونعومةِ الصلال المسْمُومة.

وكلُّ قصْدِهمْ أن يَفْهموا حقائقَ ما أنزلَ اللهُ تعالىٰ بُمعجِزاتِهِ الْمتحدِّياتِ على مدَى تَطوِّرِ الحضارات وإزاحةِ الشُّبهاتِ المسمومةِ التي تُلْقىٰ إليهمْ في إيحاءِ إلْحَادي مُجْرِمٍ دَسَّاس.

وكنتُ والحمدُ لله أفطنُ لِمَنْ يتسَاءلُ بتخَابُثٍ وثَعْلبةٍ وتآمرِ إلْحَادي مُدَبَّر وأفطُن لِمنْ يَتَساءَلُ بلهفةِ نَفْسٍ ووقْدةِ فكرٍ ويقظةِ وَعْي وَهمَّةِ فَهمٍ للإهتداء إلى وَاقعِ العلم اليقيني. وكنتُ أحفل بالأسْئلةِ المرِيبةِ المدسوسةِ التي يُقْصدُ بها تَدْعِيم الإلحادِ في أنفسِ الطُّلابِ وإقتلاعِ يقين علْم الإيمانِ باللهِ رب العالمين.

احفلُ بَها اكثرَ مِنْ سِواهَا لَما أعلمُ من كبيرِ أضرارها. في حياتهم وحياةِ أهليهم ومواطنيهم إذا عادُوا إليهم مزوَّدِينَ بِبَلَايَاهَا وأمراضِهـا وأفْداحِهـا وأهوالها..

أجلْ كنتُ أفرحُ بالطلابِ الموبؤينَ الذين أرْسلُوا للتشـويشِ وتَدْعِيمِ الإلحاد والكُفْرِ في أنفسِ رفاقِهم المؤمنين الأبرياء الصَّادقين الذينَ وَفَدُوا إلى الحْديثِ لقصدِ العلمِ والفهمِ والدرْسِ

والسَّببُ أنَّ الطلابَ المَشْبوهينَ قَدِ اسْتطاعَ مَنْ وَرَاءَهَمْ مِنَ المفسدينَ والمتآمرين أن يُفسِدُوا عليهمْ عَقَائِدَهَمْ ويهدمُوا حقائِقَ الإيمانِ بوجودِ اللهِ من تفكيرِهِمْ. فهمْ أحوجُ إلى التعرفِ إلى ظُلْمِ الإلحادِ وظلامِهِ الذي أشربوا في غفلات وعيهم العلمي اليقظ.

نعم كنتُ أتعمدُ أن أَدَلَّ الشبانَ المكلفين لِطَرْحِ الأَسْئلةِ المشْبوهَةِ برفقِ واشْفاقٍ لأنهَّا لَمَ تَكُنْ مِنْ صُنْعِهم.وأُحَمَسهُمْ أن يَفْهمُوا واقِعَهَا بيقينِ العلمِ ويقظةِ الْوَعْيِ. لكي لَا يُسَخَّرُوا للفتنةِ والشرِّ ضدَّ أمتهم من حيثُ يَعْلمون أو لا يَعْلمون.

وكنتُ أتودَّدُ إليْهمْ وأَلحُّ في حُضُورهِم والسُّؤالِ الذِّي أَلْمسُ أنه عَويصٌ مدبَّر بلعنةٍ وخبثٍ وعُنصريةٍ ودَهاءٍ أدْرسُه في غضونِ الأسبوع دَرْساً محكمًا ودقيقاً مِنْ شَتىً المَصادر التي تشتمل عليها مكتبتي. وهي عامرةٌ والفضلُ للهِ. وقد أطبعه على الآلة الكاتبة وألقيه عليهم. لأني يَشْهدُ اللهُ كنتُ أَحْزنُ ولا أنامُ الليلَ سَاهِراً مفكراً مِنْ أجلْ تصحيح عَقائِدهم..

وكنت أعجب كيف استطاعوا أن يجعلوا مِن بعضِ هؤلاءِ الشُّبانِ العرب وسواهُمُ مِنَ المسلمينَ دُعاةً للالحادِ والإِفْسادِ، وكيف اسْتطاعُوا أن يْجَعَلوهم أَرْصاداً علَيْنَا وعيوناً لُهَمْ.

ومعلومٌ أَنَّ مِنَ اسْتطاعَ أَنْ يفتِنَ غرائزَ الشَّبَابَ ويُلَونُّ عَواطفَهم قَادِرٌ على أَنْ يقودَهُمْ إلى الْمَهَالِكِ مِنْ حيثُ لا يعلمونَ ومهما كانَ مِنْ أمر هؤلاءِ الشُّبانِ المفسدين فإن فَرحِي بهمْ كان بالغاً جِداً لأنهم لا يَزالونَ في غَضِّ العُمُر وفيهمْ الوَعْيُ الكافِي للإنابة إذْ ليس وراءَهم تكاليفُ أُسَرٍ ترغمُهُم على الْمُصَانعـةِ والإلتزامِ الْمُتَوارِبِ لأَجْلِ نَيْلِ تكاليفِ العيش المحرم المجرم الهدام.

وكنتُ أرسلُ لصديقي الحبيب الصَّحافي اللامع الأستاذ محمد سعيد العامودي منذ خمسة عشر عاماً بعضَ الأجوبةِ لِما كَان يُلْقىٰ عليَّ مِنْ الأسئلةِ وكان ينشرُها أحياناً في مجلة الحج وأحياناً في مجلة الرابطة الإسلامية. كما نشرت بعض البحوث في مؤلفي إعجاز قلب القرآن أضفْ إلى ذلك ما كنت أتابع نشره شهرياً في مجلة المنهل للمرحوم الكاتب البحاثة الأثري الشيخ عبد القدوس الأنصاري.

وإني في هذه المناسبة أود أن اذكر قصة ترفيهية وقعت بيني وبين أحد هؤلاء الشبان المرسلين للتشويش طَبْعاً قبلَ نزعهِ من مؤامراتِ الإلحاد ومكائدهِ وفتنهِ وخُبْثِهِ ولعناتِهِ والقصةُ تجدُهَا في الكلمةِ الآتية إن شاء الله تعالى.

لن تَنْجَحَ نهضةٌ بدونِ الْتزام

هذا مَنْطقُ كلِّ نهضةٍ ناجِحَةٍ... وهذَا مَنْطقُ النهضةِ الإِسلامية الحديثة التي قامَ بها صَقرُ الجزيرة العربيةِ الملكُ عبدُ العزيز آلُ سعود، وجَمعَ بها شَمْلَ أَهْلِها الْمُمَزَّق ووحَّدَهُمْ وأزاحَ عَنْهُمْ بلايَا الإِنْحطاطِ والتَّخلف وبلايَا الإِلحاد...

هذا مَنْطقُ الالْتزامِ العَمَلي الْحَاسِم ولْولاَ الْتزامُ مَنْطِقها العملي الحاسِم لَمَا نَجَحَتْ هَذا النَّجاح الكبير المشرق. والكلماتُ وحْدَها لا تقدِّمُ ولا تُأَخِّر في تَحْقِيقِ النَّجاح. أبداً أبداً..

لأنَّ الكلماتِ وحْدَهَا بمثابةِ الجُثَثِ الميتَةِ. والأفعالَ بمثابةِ الأرْواحِ التِّي تُنْفخُ فِيها الحياةَ والحركةَ والإِرادةُ الحُرَّةَ.

وبلادُنَا اليومَ تَتَمتَّع بأَعْمالِ النهضةِ الْحديثةِ ذَاتِ الأَمْجادِ التِّي تَسْبِقُ أفْعالُهَا الأقْوالَ فِي كلِّ الْمَجَالاتِ الصَّاعدةِ.

أَلاَ تَرى أنَّه مضىٰ عَلَى الْعَربِ في كلِّ أوْطانِهِم مَا يَكادُ يَبْلغُ القرنَ وهمَ يَتنادَوْن لوَحْدةِ كلمتِهِمْ وَيهْتِفُونَ بأمْجادِهَا ويتغنوْنَ بها في النَّوادي وَيَنْظمون لها الأناشيد.

ومَعَ ذلكَ لَا تزال الوحدةُ أسْراباً مِنْ حَمائِمِ السَّلامِ تلوحُ في شقوقِ الغمام مِنْ بعيدٍ، وكما لاَحتْ أخذتْها نَزَعَـاتُ العُنْصريـةِ اللَّعِينَةِ والنـزاعُ

الأقليميُّ الملحد الممزق.

وما أكثرَ مَا يَتَحَدَّثونَ عَنْ مَزَايَا الإِجْتماعِ وأمجادِ وحْدةِ الكلمةِ ومَنَافِعِها وأمْنِهَا ورغدِ عَيْشِها.. يتحدَّثون بِلَهبِ البراكين ولكنْ بدُونِ أَدْنىٰ عَزِيمةٍ وتَصْميمٍ وتضحيةٍ وفداء.. لأيِّ أمرٍ جامعٍ.

ولولا الدخلاءُ المدسوسون في أوطانِ العروبةِ لما بلغتْ مهازلُ الْعنصرية الممزقةِ إلى هذا الحدِّ. مِنَ الصَّغارِ البشعِ الهدَّام أَلاَ تُشاهِدُهُمْ يُوحِّدونَ الكلمةَ بألسنتِهِم المتحمسةِ نِفاقاً، ويمزقونَها بأفعالِهم الخاسِرةِ أيدي سَبَا غيرَ مكترثين. ولو كانُوا عرباً أصلاء، أو مسلمين صادقين لما كان ذلك.

وأقولُ. بكلِّ صَراحةٍ وبكلِّ حَقٍّ، وبكلِّ صِدْقٍ إذا لم تقمْ أعلامُ الوحْدةِ الجامعةِ بالشوكةِ والسُّلطانِ ظَلَّتْ أَسْراب حمائم بيضاء ترفُّ في سَرابٍ مَحْلٍ وتغيب وتغيبُ.

ونحنُ لَا نرضى أَنْ تكونَ وحدةُ أمةٍ جامِعةٍ لها وزنُها الكبيرُ في التاريخ تَتَحكَّم في مَصيرهَا العنصرية الانعزالية الباغية وتحوِّلها إلى أَطْيافٍ يتغنَّى بها الشعراءُ عزاءً وسُلْواناً مِن فجائِعِ التمزيقِ ومآسيه وزلازلِهِ.. وَيَفْجَعُكَ أَنْ تتحولَ الكلمة الجامعة لأُمةِ الضَّادِ إلى هتافاتٍ وخطبٍ ومحاضراتٍ في الأنديةِ والمجامع ومؤلفاتٍ تحتشدُ في المكاتب يُفيدُ منها العدوُّ الهادِمُ. أكثر مِمَّا يُفيدُ منها الوليُّ الْباني.

وإذا أصْبحتْ وحْدةُ كلمةِ الدُّول العربية أقوالاً تتبعُ أقوالاً عرمرماً عرمرماً وَلاَ تَصْمِيمَ لَها في إنْفاذِ المواثيقِ الْجامِعَةِ، فإنَّها تكونُ كمثلِ الذين يُخَطِّطُونَ أمانيهمُ الحسانَ وأحلامَ أمجاد مُسْتَقْبلِهِمْ على رِمالِ الصَّحراءِ ولا تكْسبُ مِن العُمرُ سِوى هبّةِ رِيحٍ تَعْصِفُ بها عصفا.

يا سَادة إن وحْدةَ النهضةِ العربية الإسـلامية التي بنى بُنْيَـانَها وَدعَّم دعامها وسَمكهاسَمْكاًفي قَلْبِ جزيرةِ الضَّادِ الملكُ عبدُ العزيز آل سعود. . لم يُقِمْها بالكلام أبداً. بل أقامها على الأَفْعالِ والكلامُ فيها قليلٌ جداً ومحدودٌ جِدًّا. ولا يَزيدُ عَلَىٰ الأفعال زنة هَبَاءة. .

وَمَا جَدْوَى كلام الوحدةِ الذي يَفْقدُ الرُّوحَ ولن تكونَ حَيَاةٌ بغيْرِ رُوحٍ أجل أقام الملكُ عبدُ العزيز الوحدةَ في قلْبِ بلادِهِ جزيرة الضاد المقدسةِ بِلَوازم الدُّسْتور الإِلٰهي المقدسِ فلله هي مِنْ وحدةٍ كانتْ عَجباً مِنَ الأمر قَامتْ على هُدى اللهِ ورسولِه والسَّلفِ الصالح. .

وأَفْهمهم أنَّ الوحدةَ إذَا خَلَتْ مِنَ لوازِمِ وَحْي اللهِ فإنَّ مَصيرَهَا إلى هَبَاءٍ ولا غَناءَ ولا فائدة في تَمْجيدِ الْوَحْدةِ بالكلامِ ، ولوْ كانَ الكلامُ الصَّرْفُ يُحْيي أمةً ممزَّقةً بالاسْتعمار، ويمنحُها الحريةَ وَيُوحِّد كلمتَهَا لأحيـا الصينَ حينَ كانتْ مستعمرةً إنْجليزيةً وكانتْ ميتةً بالكيف مِنَ الأفيون وكانتْ ممزَّقةً وما كانَ أكثرَ ماتكلمتْ بدون جَدْوى. ولو ظلتْ تَتَكلَّمُ دون عمل لما وصلت إلى مَا وَصَلتْ إليه.

يا أيها العربُ كثُر كلامكم الميت، وإنَّ وحدتكم لن تَتَحقَّقَ ولَنْ تتمَّ إلَّا بالتزامِ الأعمال الحية التي سلكها صَقْرُ الجزيرةِ العربيةِ الملك عبدُ العزيز بالإسلام،بالإِسْلام لَا بالْفلسفات ولَا بكلمات الاجتماع الطائر ولَوْ جاءتْ مِلْءَ الخافقين وفي عَدَدِ نجوم السماء،كنتم ثُلةً موحدةً بالإِسلام قديماً، وستكونون ثلَةً موحَّدةً به حديثاً.

أجلْ لن تَتِّم لِأمتكمُ العربية فِي سَائر أوطانها وحدةٌ عمليةٌ مشاهـدةٌ ماجدةٌ. إلَّا بالتزامِ قوله تعالى:

﴿واعتَصِمُوا بحبل اللهِ جَميعاً وَلَا تَفرَّقوا وأذكروا نِعمةَ اللهِ عليكم إذ كنتمْ أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصْبحتُمْ بنعمتِهِ إخْواناً وكُنْتمْ على شَفَا حُفرةٍ مِنَ النَّارِ فانقذَكُمْ منها كذلك يبينُ اللهُ لكمْ آياتِهِ لعلكم تهتدون، ولْتكنْ منكم أمةٌ يدعونَ إلى الخيْر ويأمرونَ بالمعروفِ ويَنهوْن عَن الْمنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونُوا كالذينَ تفرَّقُوا واخْتلفوا مِنْ بعْدِ ما جاءهمُ البيناتُ وأولئك لهم عذابٌ عَظيم﴾ [٣ ـ ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥].

الحقيقة ماثلة في كل شيء

هَذَا هُو الواقعُ اليَقينِي المُشاهَد وهذا الواقـع اليقيني أحيانـاً يُكْشَفُ بسهولةٍ جدًّا، وأحياناً يعسُر ويعَسْـرُ ويَسْتعصِي على الكشفِ ولكنْ في النهاية يكشفُ.

وَلاَ بدّ لكشفِ الحقيقةِ في الأَشْياءِ مِنْ عَقْلٍ طَلاَّعٍ عبقريةٍ لَمَّاحةٍ وملاَحظةٍ كشَّافةٍ وعلْم وَاسِـع وتفننٍ فِي العبارة والحقيقـةُ في الأشياءِ إذَا كشفَتْ ظَهَر أنَّها سهلةٌ وواضحةٌ وأَنَّها على نافذةٍ للمُطَّلعِ عليها، والْباحثِ عنها، والمراقب لها.

ألا ترى حَقيقةَ الجاذبيةِ كانتْ مخفيةً تحتَ سقوطِ تفاحة. فلما عرفَها الناسُ أَحسُّوا أنها سهلةٌ وقريبةٌ وحتى عقول الأطفال قادرة على وَعْيها.

نعم هناك مِنَ الحقائِق التي تفتقرُ على عُلومٍ وحسابـاتٍ وطول في الدراسةِ والتأملِ كالحقائِقِ الرياضية والآثار وأشباهِهَا.

ومهما يكنْ فكشف الحقائِق لاَ بُدَّ له مِنَ عبقريةٍ ودراسةٍ وعلْمٍ وَنَصبٍ. وإن سَهلَ معرفتُها للمطالعين بعدَ كَشفِهَا والحقائقُ كما هي ماثلةٌ في الكائناتِ الماديةِ مِنْ أصغرِ جزءٍ من أجزاءِ الذرةِ إلى أكبرِ أجرامِ المجـرات وفي الكائنات الطَّاقيةِ من أدْنى وَمْضةِ طاقة إلى أكبرِ لُجَجِ الطاقاتِ المترامية على أبعادِ الفضاء..

والحقائقُ كما تكونُ علميةً أو صناعية تكونُ تاريخية أو أدبية أو فنية وسوى ذلك. والحقائقُ بالنسبةِ لمعارفِ البشر ذاتِ قَسْمين.

١ ـ حقائقُ مكشوفةٌ مِنْ أزمان حَضارية قريبة وبعيدة يعرفُها المطالعونَ والمثقفونَ بواسطة التَّعلِيم والإطّلاع. وتكثر كتابةُ العلماءِ والأدباءِ حولَها كالتاريخ والتراجمِ والمسائلِ الدينيةِ التي دوَّنها الأئمةُ المُجْتَهدون وشرحِ دَواوينِ الشعراءِ: والجديدُ في هذا اللونِ من الكتابةِ يكونُ في حُسْنِ العرضِ وابْتكارِ الأسْلُوب وَجِدَّةِ المعاني وهذا ما يتفاوتُ فيه الكاتِبونَ وتعلوُ وتنخفضُ أَقْدارُهم لدى الْعَارفينَ مِنْ نُقَّادِ الأَدَب القادرين.

وهناك حَقَائِقُ مَخْفيَّة تكتشفُها عَبْقريةُ الْعُلماءِ والكتّابِ المفكرين وأربابُها يَعْلُنُونَ عنها أنها حقائقُ جَدِيدةٍ بكر لم يسبقْ لأحدٍ أَنْ كتب عنها. وقد تَجِدُ مَنْ سبق إليها لَدَى مطالعاتك ولكنْ هذا لا يَدُّل أنَّ الذين كتبوها ونوهوا عنها أنها جديدةٌ هم سَرقوها وأخفوا الحقيقةَ لا لا قَد يكونُ ذلك من توافقِ الخواطر.

إذَن فالفائدة مِنِ إعْلانِ الابتكارِ والجدّةِ لِحقيقةٍ مَعْروفةٍ هي أنَّهُ يُوجدُ لَدى كلِّ الدُّولِ قوانين صارمة تَحْمِي ثَرْوةِ المؤلفين من الاختلاس ولا يختلس إلا ضعفاء الأنفس الوضعاء صغار الأحلام الذين لا يخجلون من أنفسهم ولا من الناس ولا يبالون بالفضيحة.

وقد تكونُ هناك جدةٌ وابْتكارٌ لِحَقيقةٍ مِنَ الحقائِق أَو لِجُمْلةٍ مِنَ الْحقائِق: والكاتِب المجَدِّدُ المبتكرُ تَعْرفه مِنْ مَوْضُوعاتِهِ كذلِكَ كاتبُ الموضوعاتِ المتداولةِ، مَعْروفٌ حَتى للشادينَ في الأدب وللمطالعين الواعين كما أنَّ الموضوعات الجديدة الطريفة الجذابةُ مَعْروفةٌ للمتَخصِّصين.

وعلى كُلِّ حَال فكلا الفئتين مِنَ الكاتبين هم أهل عَطاءٍ ونَفْعٍ للناسِ

جميعاً فهولاءِ يُعْطونَهم الجديد النافع الْمُوَطِّد لإرْكانِ الحقِّ والخُلقِ والعقيدةِ العلميةِ السليمة المنزلةِ بكلٍّ البينات من رب العالمين.

وأولئك يُقدمون لَهُم ما يَمْلكونَ قَدِيماً ولكنْ بَعْدَ الغَـرْبلةِ والتصفيةِ فالتَّاريـخُ هو التـاريخُ والتـراجمُ هي التراجمُ ولكنَّ الفـارق بين الماضي والحاضر هو مشاهدٌ في مظاهرِ الحضَارةِ ونُفوسُ هذِه المشاهدُ·نَجدُهَا في ما يكتبه الكاتبون، فكلُّ مَا فِي السَّماءِ وكلُّ مَا فِي الأرضِ هو بالذات كيومِ خلقَه الله جل جلاله ولكنَّ الذي تغيَّرَ هي الحضارةُ التِّي تريك الأرض والسماء اليوم غيرَ ما كانَ يراها·الأقدمون: والأدب كذلك هو عينُ ما كان قديماً ولكن الذي جَدَّ الموضوعاتُ وبواعثُها وأسبابُها أمَّا الحقائقُ فستظلُّ هِيَ هِيَ...

وأخيراً أقدمُ كلمةَ شكرٍ لِلْكاتبين الذين يُقَدِّمونَ لنا مَوْضُوعاتٍ سلفتْ: هُمْ مِعْطاؤونَ كرامٌ وكذلك أقدم كلمةَ شكرٍ للكاتَبين الذين يقدمـونَ لَنا الجديدَ الجديدَ.

الدعوة إلى حفظ التراث

١ ـ خُطُوطُ حياةِ الإنْسانِ المتوارثةِ في أيِّ مُجتمعٍ والمنطبعةُ في نفسياتِ أفرادهِ وجَماعاتِه والمؤثرة فيهم هي التراث.

٢ ـ وهذهِ الطَّاقةُ المُلهمةُ خَصَائصَ تَوْجيهاتِها بكلِّ مِثَالِيَّاتِهَا الإجْتماعيةِ الإنْسانيةِ وبكلِّ تطوُّرَاتِها الحضارية التي تمرُّ بها مِنْ مُجْتمعٍ إلى مُجْتمعٍ هي التراثِ.

إذنْ فالتُّراثُ عُهْدةُ مِيثَاقٍ اجْتماعيٍّ فِي كلِّ أُمةٍ بالذاتِ، ويُحقِّقُ أعيانَ أَعْمالِه الْمُركزةِ فِي مَجَالِ اللاَّوَعِي المُلْهمِ وَبِمَنْطِقِ الْحَاسَّةِ الصَّارخةِ المخصصة لأعمال الأخذ ولأَعمالِ العطاء.

والتراثُ صَنَاعُ اليدين للحفاظِ على شخصيةِ الأمةِ وهُو بِمثَابةِ مدرسةٍ كلُّ دروسِهَا كُنوز تُغْنِي أماني الأفراد والجماعات بوقايةٍ مِنَ الانحطاطَ وبِسُمُوٍّ من الانسجامِ وبِمكناتٍ مِنَ الْمودَّةِ والتفادى.

ومن أجل ذلك كانَ التراثُ هو إكْسيرُ الحياةِ الدائمةِ، وملاكُ شخصيَّتها في سِرِّ نَواهَا وسرِّ خُلودها في عالمِ الروح وفي عالم المادة.

ومكثتُ في لبنانَ حقبةً مديدةً وكانَتْ مودّتِي لأَرْبابِ الأقلام النّبلاءِ كبيرة جدًّا، أَتَّصلُ بهم ويتصلون بي مِنْ مُسْلمين وسواهمَ وفي مِهْرجان بَيانٍ عبقري سمعتُ أَنَّ سعيدَ عَقْلٍ يعتزم أن يدعوَ الشبيبةَ إلى حِفْظ التراثِ أو

هو باشر في الدعوةِ بتقديمِ جوائز حافزةٍ وهزني زُهُوُّ النبأ وقلتُ «إن حفظَ التراثِ سيادةُ شرفٍ وبناءٍ للفكر الوقائي السليم الحر. .». .

إذ به يتمُ دعمُ وَحْدةِ الأمةِ وتهذيبُ مَشَاعِرَهَا، وتصفيَتها مِنْ لَعْنةِ العنصريَّة وَخَبائِثهَا، وأحْقادِها وأدْوائِهَا ومؤامراتها الهدَّامة.

وهوَ يَصْقُلُ عقلِّيتَها ويحَقِّقُ سُموَّها الاجْتماعي الإنساني العالي. ولا شيءَ أجدى للسلام والتقدم الحضاري والتعاون العلمي والأدبي من حِفظ التراث.

وهلْ أضَاعَ العربُ وَحْدتَهمْ وَتَشَّتَتَ شَمْلهُم حتى أصبحُوا على كثرةِ دُولهمْ وأمْـوالهمُ وعتَادِهم طُمْعـاً في سُنَّارَةَ الصَّهـاينةَ إلَّا لأنهمَّ اسْتهـانُوا بتُرَاثِهم، وأولئك اعْتزُّوا بِهِ. . . ولكنْ حِينَ أَفْهمني أصدقائي مثل حليم دمُّوس ومارون عَبود وفَارس سعد وسواهم أنَّ قصدَ سعيد عقل مِنْ حِفْظِ التُّراثِ هو ابْطالُ اللغةِ العربية، وابْدالها باللغة العامية وإنْ كان لبنانُ وحْده يَحْوي جملة مِنَ اللُّغات العاميَّة. عَلَى صِغـرِ حَجْمِهِ وَقِلَّةِ عَـدَدِ نُفوس أهْلِه. .

وَصَعِقْتُ حِينَ لَمَسْتُ ما أخْبرَونِي به صَحيحاً. وعلمتُ أنَّ وراءَ الأكمةِ ما وراءَها وبالحري حينَ اسْمعني حليم دموس رَدَّ عمِّهِ وديع عقل عليه بقصيدة جميلة لا أزال أذكر منها قوله:

وكلُّ من عَقَّ بالفصحى فهو الدَّعي ولو شدَّ انتساباً إلى أقيال قحطان.

وكمْ يُؤْسِفُنِي اطلاقُ لفظةِ تُراثٍ في أُمةٍ كبيرةٍ كالأمة العربية على بَعْض عادَاتٍ لإِقْليمٍ مِنْ أَقالِيمِهَا والعاداتُ تختلفُ مِنْ منزل إلى مَنْزلٍ فما بالك باقليمٍ إلى إقليمٍ. .

والعاداتُ الخاصةُ سِوىَ التُّراث الخالد الجامع المُوحِّد لمشاعِرِ الأمةِ

وأمانيها وَأَحَاسِيسِهَا وبالحري إذَا كانَ التُّراثُ إنْسانيًّا مِثاليًّا جَامِعاً يعمـلُ لاسْعادِ البشريةِ كافَّة ولهدايَةِ البشريةِ كافة كَتراثِ أُمتنا العربية الماجدة.

حَسْبه أنه تراثٌ يُجاهِدُ لِيَسْلخَ أُممَ الأرض العنصريةِ الفَّتاكةِ مِنْ جلودِ الأراقمِ ليسلكها في جلود حكماءِ البَشرِ ويُزَيِّنها بِمَعاطفَ الإنسانيةِ العالية التِّي تُحْيي مَوات تَبَادل المودَّةِ في نُفُوسِ أجْيالِ الأمُمُ تُحْييهَا تُطَهِّرُها مِنْ لعناتِ الإلحادِ والشرك والوثنية.

وتحولُ ما بينها وبَيْنَ الْهُويِّ في مَهاوي التَّخلفِ. أجلْ هوَ تراث فَخارٍ يَجْمعُ مع أشلاءَ الأُمَمَ الممزقةِ المُنْحطةِ ويصعدُ بها إلى مَنائِر المعرفةِ العاليةِ الجامعة.

وشتَّان ألفَ ألفَ بينَ مُجْتمعٍ مُوَحدٍ صَاعدٍ قَويٍّ كمجتمعِ الولايات المُتحدةِ.. وبينَ مُجْتَمعٍ مفكك وَاهٍ متنافر كالمجتمع العربي..

وهلَ تَوَّحد المجتمعُ العربي قديماً وحقَّق للإنسانيةِ أَمجاداً كريمةً برَّةً ما كانتْ لِتُحققَ وَتَظْفرَ بها لولا رُوحُ وحيِ اللهِ المنزلِ عَلَى خَاتِم رُسُلِ الله سَيِّدنَا محمدٍ صلوات الله وسلامهُ عليه...

أجل ولولا مُثُلُ هَذَا الوحي المنزل مِنَ ربِّ العالمينَ لَمَا اسْتطاعتِ الإنسانية أن تُضَحِّي كُلَّ هَاتِيكَ التَّضْحِيَات في سبيلِ الصُّعودِ على سطح القمر.

إذَنْ فنحنُ نَمْلِكُ تراثاً عالياً رَاقِياً هو حياةُ هو قوةٌ هو أمجادٌ لِكلِّ أُمةٌ تَسْتَمْسِك بِهِ وَلاَ رَيْبَ أن الدعوةَ إلى الاسْتمساكِ بهذا التُّراثِ وحمايَتِهِ والذوْدِ عنه والنهوضِ لأجل إعزازه هو الخيرُ كُلُّه والسعادةُ كلُّها يكفي أنه يحوي هُدَى اللهِ لسعادةِ البشر. قال اللهُ تعالى في كتابه العزيز:

﴿قَدْ جاءكُمْ بصائرُ مِنْ ربكم فمَنْ أبْصر فَلِنَفْسِه ومَنْ عَمِيَ فعليْهَا ومَا أنا عليكمْ بِحفيظٍ، وكذلك نُصَرِّفُ الآياتِ ولِيَقولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبيِّنَه لقوْمٍ يَعْلمون﴾ [٦ ـ ١٠٤ و ١٠٥].

وشبان العرب إنسانيون كرام، وأبطال أحرارٌ يحافظون على إرثهم لأنه جميعه إنسانية رحمة وإعانة ومروءة..

وما أحسن أن أختم كلمتي هذه بحكمة الشاعر النابغة حَسَن عبد الله القرشي:

منْبعُ المجدِ دَافقٌ في ثَـرانَـا مَـا لَـهُ في غَيـرِهِ مِـنْ نَفَـادِ
كيف ننسَى إرْث المروءاتِ يَهْدي للنحمى من وفـاضـه خَيـرَ زاد

الحيـــاة والفقــر

حَياة الإنسان لا فقرَ فيها أبداً...

١ ـ كل الفقر يكون في وهـن العزيمة وتهافت الإرادة، ويكون في الانصراف إلى اللهو عن تحقيق المعرفة الناجحة. والذين يحملون الشهادات العالية كُثُرٌ، ولكنَّ العلماء والمفكرين المنتجين قلة.

حياة الإنْسَان لا فقر فيها أبداً..

١ ـ أنى يكون الفقر في حياة الإنسان وكل إنسان يولد مزوداً بثروتين غاليتين: الفراغ والصحة.

١ ـ الفـــراغ .

أي الزمن الخالي الذي يعيش فيه الإنسان، ويستطيع أن يملأه بأمجاد الحياة، ومفاخر المعرفة وصحة الفكر، وسؤدد الهدى، والمنطق الموزون الأخّاذ بالإبداع الفني العبقري.

٢ ـ الصحـــة .

هي سلامة البدنِ من كلِّ الأمراضِ، وسلامةُ البدنِ قِوامُ كلِّ نجاحٍ يتّصلُ بصحةِ الحياةِ وأعمالِهَا الساميةِ الموفقة. فإذا فقدتِ السلامةُ في البدنِ فَقَدَ الإنسانُ كلَّ شيءٍ. ولا يَجْنِي على صِحةِ بدنِهِ إلاَّ مَنْ كَانَ مخبولاً

ممروراً يَحيدُ عن النجاحِ ، والنجاحُ يَحيدُ عنه. . .

حياة الإنسان لا فقر فيها أبداً.

٣ ـ لأنها مشتملةٌ على ثروتين طبيعيتين الصحةِ والفراغ، فمن صمَّمَ، واحتفظ بهاتين الثروتين، وكنزَهَمَا للإفادة منهما، والانتفاعِ بهما أحرزَ سعادةَ العيشِ ، وخلودَ الإسمِ وطيبَ الأحدوثةِ، وسمو الأعمالِ أيْ أحرز ما يَشْتَهي وفوقَ ما يَشْتهي. . .

ومن لم يحتفظ بهاتين الثروتين الصحةِ والفراغِ أضاع كلَّ خيْـرٍ بل أضاعَ نفسَه التي بين جَنْبيْهِ. .

العقل الإنساني الأعلى

يمرض العقل كما يمرض الجسد ولولا أن العقل يمرض لما أقيمت «العصفوريات» في كل بلد من بلدان العالم.

والعصفوريات مستشفيات أعدت لمعالجة المجانين وأنصافهم وأطلق الأدباء على مستشفى المجانين وأنصافهم اسم عصفورية. لأن المجنون أو نصفه يصبح بمثابة العصفور لا يستقر على حال،تراه قلقاً مضطرباً ذا وضع شاذ. .

الجنون الكلي أمره واضح ولا يحجز في العصفورية إلا لأمرين.

١ ـ اما للتداوي. .

٢ ـ واما للتوقي من مفاجئاته الكاسرة والخربة المحزنة. . !

والجنون الكلي الذي لا ضرر منه قلما يحجز وله أسباب في مآتيه.

٣ ــ ولعل الجنون الكلي يكون أحياناً بسبب وقوف النمو العقلي في الإنسان..

وكما يعطل نمو بعض الجوارح أحياناً في الإنسان أو تنمو نمواً شاذاً... كذلك طاقات المجموعة النفسية كالغرائز والعواطف والوجدان اما أن تنمو نمواً كبيراً واما أن تعطل عن النمو كلياً..

خذ مثلاً غريزة الميل الجنسي قد تتفاقم نامية إلى حد الغيلمة القاتلة وقد تتضاءل إلى حد الاحصار كما كان الأمر في نبي الله يحيى عليه السلام.

٤ ــ العقل النامي.

إذا كان العقل هو النامي المسيطر على المجموعة النفسية قاد الغرائز والعواطف وحكم الوجدان، بكلِّ الأمَانةِ والصحة وسار في ابتكار التقدم الحضاري العالي سامياً محققاً مجدداً.

وجاء للإنسانية عامة بالعجب العجاب دون انحراف وتخلف وتواطىء ومؤامرة.

ولا ريب أن صاحب العقل النامي المسيطر على المجموعة النفسية لا ينحرف ولا يلحد ولا يحجم عن اعلان اليقين العلمي، مهما كانت الظروف والمناسبات.

وهذا النمط من المفكرين هم الذين يؤمنون الإيمان العلمي اليقيني بالله جلَّ جلاله وبرسله وكتبه.

وأرباب العقول النامية من المسلمين هم الذين يكشفون معجزات آيات الوحي الإلهي كشفاً علمياً يقينياً. وكذلك غير المسلمين إذا أمكن واتاحت

لهم الظروف أن يدرسوا وحي الله فإنهم يؤمنون به حتماً. لأن نسبة تكوين العوالم بكل أعمالها الكبرى الهائلة بمجموع سننها ووظائفها وأطوارها ومواطنها إلى لا شيء. أي إلى صدف واتفاقات، أو إلى خلق بعضها بعضاً من روح أو شمس أو بقر أو حجر.. هو هراء في هراء وسخافة..

ولماذا لا يكون هراء في هراء وسخافة وأنت تضحك ملء شدقيك إذا قال لك قائل أرعن:

«هذه الأقمار الصناعية هي التي أقامت نفسها وما هي صناعية والذين يزعمون أنها صناعية هم أغبياء» وإذا أنت لم تضحك على هذا القائِل قد تشفق وتحس أنه مجنون أو نصف مجنون، يفتقر إلى معالجة في عصفورية. لأن صاحب العقل الكامل... محال أن ينسب واقع الكائنات المشاهدة القائمة في هذا الوجود إلى غير صانع عليم مريد قادر على صنعها والهيمَنة عليها.

وإن لم يكنِ عالماً كبيراً لأن العقل المنطلق يهدي... وخاتم الوحي الإلٓهي القرآن المجيد كشف هذه الحقيقة بصورة صارخة:

﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [١٣ - ٤].

فإذا أضيف إلى العقل الحر المنطلق العلم اليقيني الخالص. فهناك الإيمان الحق الصحيح. تأمل قوله تعالى:

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [١٠ - ٥].

ولا ريب أن المسلم يتمتع بالعقل الإنساني الأعلى.. لأنـه اهتدى بالعقل الحر المنطلق وبالعلم اليقيني إلى حقيقة الإيمان الصحيح المنزل في خاتم الوحي الإلّهي القرآن المجيد.

وهل يلحد الملحد ويكفر الكافر إلا بتحكم غـرائزه على مجمـوعته النفسية أو عواطفه.. وإلا بالثقافة المدخولة المحرفة، والتربية العنصريـة الملتوية الحاقدة.

هات عقلاً حراً منطلقاً، وعلماً يقيناً وخذ إيماناً صحيحاً.

مهالك اشتعال النزوات

لا شيء أهولُ، ولا شيء أفجع، ولا شيءَ أقتلُ لحرية الفكر. وسمو الإرادةِ من اشْتعال النزوات. لحاكِ الله يا اشتعالُ النزواتِ إنك تُقَوِّضين برجَ العبقريةِ، ولو أظلتْ ظلالهُ ربَى الخلدِ...

لحاك الله يا اشتعالَ النزواتِ. إنك قاصفة للأعمار الضعيفة والأنفس الرطبة والأمنيات الحلوة.

لحاك الله يا اشتعالِ النزوات إنك زلزالٌ مُدَمِّرٌ للحياةِ تقتلعُها اقتلاعاً باسِم اللذة الخادعة... وتسحقها سحقاً حتى تحولها رَماداً تتخاطفهُ الأعاصير.

تخيلْ يا صاحبي منظرَ العملاق الجبار الذي ينتزع قرص الشمس من أفقه الأعلى ويطرحه وراء ظلمات الغروب غير راثٍ للدم الأحمر الذي يسيلُ سيلاً على أطراف السحب ولولا الظلمات التي تسجيه لظل يَزْحف متهالكاً مِن هنا ومن هنا هذا المنظر ذاته ند للنزوات الشاعلة حين تنتزعُ نضرة الشباب وزهوته وتقذفه في حَفائِر الهواءِ الأصفر.

وأنتم يا شبان المجد. احذروا ألف مرة طغيان زوابع النزوات على إرادتكم إنها غدارة مبيدة كافرة كالريح التي وصفها الله:

﴿ما تَذرُ من شيءٍ أَتَتْ عليه إلاَّ جعلتْه كالرميم﴾ [٥١ - ٤٢]. وإذا شئتم أن تلمسوا الأمثال الصارخة لمهالك النزوات الكافرة الشاعلة.

فانظروها في اهلاك ثمود وعاد:

﴿فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية﴾ [٦٩-٥] ويا هول الطاغية إنها صيحة تصم الأذان وتردي ﴿وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ [٦٩-٦] ولا جائحة أعتى من إباحة صرصرة نزوات عتاة الكفرة الفَجرة. إذا غشت غواشيها وعصفت عواصفها، إنها تدمرهم أفجع التدمير.

ولا يحسب المطالعون أني أتحدثُ عَنْ عوالِم العفاريتِ إذَا قُلتُ. إنَّ مهالك النزوات العارمة المباحة أهولُ مِنْ مهالك ثمود وعاد..

وحذار حذار منها فهبَّاتها لأول مرة ناعمة مسكرة طروب ونهايتها - عُذْ بالله - فإنها تقتلع الجبال الرواسي بوحشية الدناميت وتطحنها طحناً، فما بالك بالأغصان اللَّدنةِ الرطبةِ فإنَّ أيسرَ ما تَسْمعُهُ «سامحهم الله سامحهم الله». هذا ما كسبتْه أيديهم.

وكم هم الشباب الذين يجهلون أن سموم النزوات المباحة العارمة تيبس الشرايين بنعومة غافية سكرى، ونغمات حالمة ولهى حتى تخطفهم خواطفها، وتطرحهم وراء غاباتها كأنهم اعجاز نخل خاوية. أو كرماد تطايرت به عواصف الرياح إلى أسْدَافِ المقابر المهجورة وما تكون يا هول النزوات المباحة الشاعلة ما تكون اما تحجزك أسوار الصروح الشامخة عن الشباب.

أما تصيدك الأكواخ المتداعية عن الشباب. أما يكفيك الصمم والعمى، وكم يلقونَ سَكراتِ الحمام في سكرة النزوات ويطلع الفجر بهم أسود حالكاً وحولهم الورد الباكي الجاف من بعيد ومن أبعد تترامى صرخات الشبان غير المؤمنين، النجاة النجاة من المهالك ولا نجاة بغير هدى من الله.

وبالهدى يعرضون عن الكلل الشفافة وما وراءها وأي شيء وراءها سوى المهاوي السحيقة المدمرة من نزوات الإباحة الكافرة ولديها الثاكلات

يحتشدن ويندبْن الفَراهة المُصَوَّحَة والبهجة الكابية.

هيا هيا يا فجر الشباب فهذه نفحات الخلد، وزيناته تلاقيك في ظلال غَضارته الناعمة الدفاقة بالدماء الحارة فاحذر الافراط، وفيه نزيفُ الزمهريرِ الذي يرصدك ليطرحَكَ في مغاور القطب جثةً هامدة تحتَ ركام جليده. ولا عودة للدماء الحارة بعد امتصاص الغواية الشرهة لا عودة أبداً أبداً إلا بصدق التزام الكتاب. وكم في التزام الكتاب من أمجاد وسلامة وبركة.

يا شباب حذار حذار أن تجف دماؤكم فإن جفافها جفاف لعزائمكم وزعزعة لحضارتكم وبكل ما للحضارة من علم وأدب وفن.

يا دماء الشباب احذري أن تنصبي في غير الصعود إلى سدة المجد. اصعدي قبل أن تجفي فإن جفافك جفاف لعزائمكم وزعزعة لمستقبلكم وسطحية للمعرفة والأدب والفن وتقويض لأسس حضارتكم وهدم لها وهدم: يا دمـاء الشباب..!!

وكم وكم طوحت النزوات من عبقريات ناشئة عجب وأعمت بصائرها وسدت مسامعها وما تركتها حتى حصدتها حصد العصف المأكول..

فويل ألف ويل للمكذبين إنهم عن مجد الإسلام والعروبة لمعزولون.

أَلْوان مِنَ الحيـــاة

الشبـــاب

١ ــ يَملُّ الشبابُ الأعمال الجادة المُضنية السَّاهرة ـ وإن كانت قاعدة مُسْتَقبلِهِ ـ وربما يعرض عنها ويجفوها، هذا إذا لم يكن يقظ الفكر عزَّاماً طَموحاً...

٢ ــ والشاب لا تقودُهُ نزواتُهُ ومباذله بكل أشواقه ولهفاته وإمكانياته إلاَّ إذا كانَ خامدَ الفكرِ خاملَ القلب لا يستقر على أمر أي إذا كانت تستهويه اللذة العاجلة وتستحوذ عليه. وتجعلُهُ يَسْتصغرُ في عينيه أمجاد المستقبل حتى يتصورها أضغاثَ أحْلامٍ وهوسَ بلبال.

٣ ــ ومَثلُ الشاب الذي تكون أمجاد مستقبله أمانيَ حالمة، وأطْيافاً سِحْريةً دون أَنْ يُقدِّمَ لتحقيقها أي جُهْدٍ مَشْفوعٍ بعزمٍ وحزمٍ كمثل صبيٍّ أهوج يحركُ مِنْفاخاً من المطاط يملأهُ ويفرغهُ بالهواء لغيرِ ضِرام.

٤ ــ ومثلُه مَنْ يبيت ليله مفتوناً بأمانيه وأحلامه البعيدة المنال. وهو في مكانـه تجدُهُ جاداً في دراسته حتى تحقق وشتان ما بين الثريـا والثرى.

الـدنيـــا

الدنيا وَاحةٌ في صحراء الحياة. والأحياءُ لا يُبالون بسمُوم صحراءهـا ولفحات رمضائها واشتعال رمالها وأوار ظمئهـا وإنما يبالون بخضرة الواحة

ورِقَّةِ ظِلالِها وعذوبةِ مائِها وحسن مقيلها، وطيب ليلها.

روائـــح الجنـــة

صدق أبو العتاهية روائح الجنة في الشباب لولا أنه وشيك الزوال. والشيخوخةُ على الأبواب، والدنيا غدارةٌ خدَّاعةٌ، ومُرُّها مُرٌّ وإنْ مزجته بكلِّ عَسَلِهَا وسكرِها لتخدعكَ وكلُّ الحلاوةِ في الإيمان فمن فَقَدَ الإيمانَ عاش في مَرارةٍ، وماتَ في مرارةٍ، وما بين المرارتين مسرحية إبليس.

الفـن جمـــال

الفن العبقري جمال يمتع الحياة ويسحرها بألذ أمانيها وأفتن أطيافها وأندى نغماتها. ولولا طيبُ جمـال الفن ونشوةِ نسمـاته الـرقيقة الـدقيقة لاستخرج المنجميون الفولاذ من قساوة قلوب البشر.

والفن أشواق وأحلام، زاهية ضاحكة ومناع وتهذيب وإنسانية وإيمان.

والفنان العبقري المبدع المنتج ثروة لبلاده، وللإنسانيـة الخالدة. وكم وكم تكون إفادته إن كان رائد فنه النهوض بالمثل العليا إلى القمم.

والفن العبقري الخالد جمال وخير وسمو، وَإِنَّهُ لَتَنْحطُّ دون محرابه أعمال البشر المنحرفين.

وكم هم الذين يتمرغون في أوحال الأرض وأرجاسها وإن كانت تفتنهم السماء بنجومها وأضوائها وأقداسها.

خيـــر الكلام وشـــره

خير الكلام ما تسمو به الحياة، ويؤالف بين الأفراد والجماعات، ويرغد به العيش ويعذب ويمجد، ويلتزم فيه النبل والهدى ويدعم الأمجاد ويوجه إليها ويحمس ويقدس.

وشــــر الكـــلام

ما تنحط به الحياة وتضطرب وتمزقها أهواؤه وغواياته كل ممزق وتكون كل نداءاته للهدم والإلحاد والصغار والاستهانة والاعوجاج والافادة والأذى والكيــد. .

إنسانيـة اللســان

من لم يَسْتطِيْع أن يكبتَ أطماعَه ونزواته وانحرافاته بهُدى الله. فإنه محالٌ أن يكون إنساناً بأعماله وإن عمرّ ألف ألف سنة.

أما إنسانية اللسان وألوان زهورها المشرقة في ربوة المظاهر الخداعة فإنها لا تستهوي سوى الأغبياء الذين يجوز عليهم كيد الكـائدين وخبث مذاهبهم الرفافة وإن كان كل مذاقها صَابٌ مريرٌ ودهرٌ دَهارير. . .

وكم من مسيرة على أرض ذات حفر وأخاديد وأفاعي، وإن بدت للعين خمائل فينانة وأيكا تشجيها البلابل المغردة الملونة. .

يا لله هكذا الحياة على ظهرهـا الفتنة والجمـال وفي باطنهـا الدود والحشرات. فأين تضع نفسك يا صاحب اللسان.

يا إلهي أعوذ بك من حلاوة اللسان ومرارة الأعمال. وأعوذ بك من رجم الرموس وأفاعيها ومن مهوى الأحداث ونيرانها.

وأعوذ بك من خبث الخبثاء وقسوة القساة وظلم الظالمين، وقذف البغاة بدون مبالاة وأعوذ بِكَ ـ يا إلَهي من همزاتِ الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. .



بَعضُ التراجِم

فصل التراجم

الكلمـــات

١ ــ أبطال الدعوة الإسلامية في المغرب العربي.

٢ ــ عقبة بـن نافع (على لسان المؤرخين).

٣ ــ مولاي إدريس بن عبد الله الأول.

٤ ــ أعمال مولاي راشد الثاني.

٥ ــ مولاي إدريس الثاني.

٦ ــ مبايعة إدريس الثاني.



أبطال الدعوة الإسلامية في المغرب العربي

يتحدث كثير من كتابنا المعاصرين عن أبطال الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب، ومن حولها من البلدان.

ويتحدث آخرون عن أبطال الدعوة الإسلامية الذين دعموا الإسلام في مصر والسودان بإفاضة.

ولكن قلما نظفر بمثل ذلك من الافاضة عن الأبطال الذين حملوا مشاعل الدعوة الإسلامية المباركة إلى بلاد المغرب العربي..

والحق أن رجالاً كثيرين من قبائل شتى انطلقوا من جزيرة العرب، يحملون مشاعل الدعوة الإسلامية.

أولاً ـ إلى القطرين الشقيقين العظيمين الشام والعراق.

وثانياً ـ اجتازوهما إلى مصر والسودان.. ومنهما.

ثالثاً ـ إلى أقطار المغرب العربي...

والعجيب أن إذاعاتنا ومجلاتنا وصحفنا تفيض الحديث عن قادة الدعوة الإسلامية في هذه الأقطار بسبب أنها دانية ولا تفيض الحديث عن أقطار المغرب العربي بسبب أنها قاصية ونسوا أن الوصول إلى القمر أصبح اليوم على مدى رمية حصاة..

وبما أن جماهيرنا أخذت ترتاد المغرب العربي وكم يطيب الحديث عنه

ويعجب ويلذ. . ، وبما أن فريقاً من أدبائنا أخذوا يتحدثون عن بلاد المغرب العربي نظماً ونثراً. وقادةُ بلدنا ـ والحمد لله ـ على بينة من هدى الإسلام وعلى كثب من رحابة أفقه الممتد من الأرض إلى السماء نياتٍ صالحةً أعمالاً بَرةً وعلى صلة مركزة بكل الدول العربية والإسلامية وعلى دعم عبقري فذ للقضيتين العربية والإسلامية. وعلى مودة وسلم وتبادل منافع كريمة بين الدول الأجنبية كبرى وصغرى وعلى صراط مستقيم من العقيدة الإسلامية السمحة.

والذي يثلج قلب العربي الأصيل والمسلم الصادق، ويبهجه أن الصلة بينهم، وبين المغرب العربي:

١ ــ على أوثق ما تكون العقيدة.

٢ ــ وعلى أرفع ما يسمو التعاون الإسلامي والاجتماعي والثقافي. .

٣ ــ وعلى أرجى ما يكون صدق الإخلاص.

٤ ــ وعلى أرحب ما يمتد أفق التفاهم والتضحية واليقظة ونبل الغاية.

ومن أجل ذلك يطيب الحديث عن الذين لهم اليد الطولى في دعم الإسلام والعروبة بالمنطق الإنساني الحق في بلاد المغرب، وسواه كما يطيب الحديث عن بلادنا لدى العرب عامة، ولدى السعوديين خاصة. .

لذلك سَأُنوِّهُ بأسمائهم، وأكرم أعمالهم الماجدة من أجل الإسلام والعروبة، وأزيح سُجُوف الحقبِ ليشاهد شبابنا وشبان البشر كافة كيف تكون بطولات الإيمان الصادق والإنسان الأمين متفوقة منصورة أبداً وكيف يحمل موفقاً بكل قلبه وبكل عزائمه وبكل تضحياته مشاعل دعوة الإيمان بالله الخالق العظيم، وكيف يشيد منائرها على كل بقاع ذات الأمجاد الخالدة

وذات الأنوار الساطعة التي استضاء بها شعب المغرب العربي من أقصاه إلى أقصاه كما استضاء بها شعوب أخرى من قبل.

من أجل ذلك كله آثرت أن تكون كلماتي الآتية في الأشهر الحرم حول سير أولئك الأبطال الذين شرفهم الله بأن جعلهم سبباً في دعم الإيمان بالله جل وعز، وتوطيده في بلاد المغرب العربي البطل.

ولكي تكون كلماتي لبنات متواضعة صالحة لدعم الصرح العظيم الممرد الذي شيده وأَفْسَحَ فيه الرجال المصلحون في الوطنيين العربيين الكريمين الوطن السعودي والوطن المغربي.

ولن نجد على مدى الحقب والأجيال صلة أوثق وأجل وأسمى وأقوى وأشد من صلة الإيمان باللهِ وملائكتِهِ وكتبه ورسلهِ واليوم الآخر والرَّحمةِ بالإنسان.

إلا أنها صلة السعادة الأبدية التي لا تعدلها سعادة، وصلة النزاهة التي لا تعلوها نزاهة وصلة الإنسانية التي لن تضارعها في سمو الغايات إنسانية وثيقة.

مكانة الدعوة إلى الإيمان الصحيح

والآن يكفي أن تعلم أيها السامع الكريم أن الدعوة إلى الإيمان الصحيح العلمي بالله الخالق العظيم رب العالمين. هي وظيفة رسل الله وأنبيائه، ومن أراد الله لهم السعادة الأبدية من أتباعهم..

١ ــ ألم يأمر الله خاتم رسله محمداً ﷺ، بتبليغ الدعوة إلى جميع الناس لكي تنالهم السعادة الأبدية كافة دون تمييز قبيل على قبيل، أو شعب على شعب في قوله تعالى:

﴿يا أيها الرسولُ بلغْ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعلْ فما بلغتَ رسالته واللهُ يعصمك من الناس﴾ [٥ ـ ٦٧].

كذلك أفهمنا الله عز وجل أن النهوض بتبليغ دعوة الإيمان بالله الخالق العظيم هي أيْضاً من أعمالِ أتباعهِ المؤمنين..

أجل أفهمنا ذلك بأوضح بيان في قوله تعالى:

﴿قل هذه سبيل ادعو إلى الِله عَلَى بصِيرةِ أنا ومن اتبعني..﴾ [١٢-١٠٨].

وهكذا أفهمنا الله من أول يوم أن الدعوة الإسلامية إلى الإيمان به جل وعز لم تكن عمياء بظلمات التقاليد، وإنما هي مبصرة بنور العلم اليقيني وبنور العقل المحرر الأمين وبنور تبعه الإنسان الحضاري المنطلق.

ولن يصح في الإسلام إيمان تقليدي من قادر على النظر أي لن يصح إلا بالعلم اليقيني، والبرهان القطعي. وفق الطلب الإلهي.

١ ــ طلب العلم اليقيني ظاهر في قوله تعالى:

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [٤٧ - ١٩].

٢ ــ واعلان البرهان القطعي ظاهر في قوله تعالى:

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [٤ - ١٧٤].

وبرهانُ الله فوق كل برهانُ، وبيناته ناطقة صارخة في تحديات معجزات القرآن إذ هو البرهان المنزل بالتواتر العلمي اليقيني من رب العالمين.

وإليك هذا النص المشتمل على طاقات من التحدي تَصْرعُ الآلهة الباطلة المعبودة من دون الله كما تَصْرعُ عتاة الجن والإنس والمتمردين من الصنفين يقول الله جل وعز في ذلك:

﴿وإن كنتم في ريب مما نزَّلنا على عَبْدِنا فأتوا بسورةٍ مِنْ مِثْلـه وادعوْا شهداءَكم من دون الله إنْ كنتُمْ صادقين﴾ [٢ ـ ٢٣].

﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النارَ التي وقودها الناسُ والحجارة أعدَّت للكافرين﴾[٢ ـ ٢٤].

وفي قوله تعالى ـ ولن تفعلوا ـ إعلان بأبدية التحدي وعجزِ المكذبين إلى يوم القيامة.

وفي هذا كله مظهر القدرة الإلهية، وسرها العظيم في جلال الألوهية وسطوتها المبْنيَّةِ، على أن دوام العجز على تداول الأعصار مُسْتَمِرٌّ، وبالحري في هذا العصر العلمي الذي أطل البشر منه على أولى نوافذ الطاقات هو حجة الله البالغة..

أجل حجة الله البالغة المؤشرة أن معجزات القرآن أخذت تتفجر ينابيعها من عوالم الطاقات إلى عوالم المادة وفق النصوص المكنوزة في مختلف السور، وقد أخذ بعض العلماء يتحدثون عما اكتشف منها في مؤلفاتهم الحديثة. ولن يعلمَ تحدياتِ معجزاتِ القرآن ويؤمن أَنها الحق سوى العلماء.

﴿وَلِيَعْلَمَ الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾ [٢٢ ـ ٥٤].

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ [٣٤ ـ ٦].

وهنا في النهاية أجيب لتسائل الشبان الشداة. «ليس كل من نسب إلى العلم المادي الحديث هو صالحاً لمعرفة أن القرآن المجيد هو حقيقة، من وحي الله رب العالمين».

إذ تجد من الذين ينتسبون إلى هذا العلم. مَن هم ليسوا بمؤمنين، ومَن هم ليسوا بمفكرين، ومن هم ليسوا بأحرار أُمناء.

والمقصود في الآية المعجزة هم العلماء المؤمنون المفكرون الأحرار الأُمناء.

ولا عجب من وجود العلماء غير المؤمنين، بوحي الله، ولو ظهرت معجزاته المتحدية. فالذي لا يؤمن بالله.. لا يؤمن بوحيه، ولا باليـوم الآخر..

ومهما يكن فالدعوة التي يقوم بها الداعي إذا لم يكنْ عالماً بيقظة ودقةٍ وَسَعةٍ بالعلوم التي تهيمن على أهل العلم وَيَنْقادونَ لها ويذعنون...

وإذا لم يكن هـو مؤمناً بمـا يدعـو إليه بصـدقِ الاخـلاصِ العلمي المضحِّي. فلن تنجحَ دعوتُه.... إنْ هو إلا موظفاً يتناولُ راتباً أو مؤمناً ولكنْ غيرُ عالم بعلومِ عصرِهِ السائدة.

عقبة بن نافع الفهــري

١ ـ توطئــة

ينزل الوحي من السماء مشرقاً صافياً، تطيف به الأنوارُ المباركةُ من هدايةٍ ومعرفة واستقامة وحكمة، وتوحيد لكلمة الحق، وجمع للصفوف.

ولا يرى نور السماء وأطيافه المقدسة وبركاته للإنسانية. إلا أصحابُ البصائر الأحياء المفكرون والعلماء الأمنـــاء.

ولا يُعمي عن نور السماء وأطيافه الصالحة الهادية إلا رمدُ بصائـر الأموات المقلدين وهذه الأنوار الباهرة هي روح منزل من رب العـالمين لاسعاد البشر أجمعين وما علمه من البشر أحد إلا أوقف نفسه وتشرف لينال بركة الدعوة إليه، والانضواء إلى لوائه لواء الرحمـة والإنسانيـة والمروءة والنجدة والتضحية والنصيحـــة.

وهل يعلمه إلا ذو بصيرة صافية، وذو قلب مفتوح، وذو عقل منطلق، وذو نفس ظامئة إلى الهدى والخير. ونفع البشر أجمعين.

.. أواه ـ يا إلهي ـ أواه.. لولا العميان الكبار الذين تتحكم في إراداتهم الغرائز والعواطف لما خفي نور وحيك المنزل على بشري واحد في الشرق أو الغرب يَمْلكُ عقلاً وعلماً.

يا إلَهي.. ما أكثر العميان الكبار، الذين لا يخافونك، ولا يكترثون لك

أي اكتراث وأنت خالقهم ومالك ناصيتهم والمتصرف فيهم، وبيدك بقاؤهم، وزوالهم. .

أَحْسَبُهم تصوروا أنهم خالدون في الأرض، وإنهم مفلتون أبداً. . وما لهم من يوم يردون فيه إليك. ويحاسبون بين يديك، على ما أسلفوا من أعمال، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. .

أجل لا بد من عدل يوم يَرتدُّونَ فيهِ إليك، ويحاسبون بين يديك على ما أسلفوا من أعمال. . . سواء أصدقوا ذلك اليوم، أم كذبوا. .

. . . يا إلّهي، أنا لا أدري كيف تخفى آثارُ قدرتك الصارخة في آياتك المنزلة على خاتم رسلك محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

وهذه معجزاتُها وتحدياتها ناطقة بكل بينات واقع العلم اليقيني، وبكل براهينه القطعية، وبكل ما تحمل من رحمة عامة، ولطف أكيد، وبكل ما تحمل من حق وصدق، وحنان ورحمة، ومودة صادقة، وصلة رحم جامع. .

يا إلّهـي إنك تنادي:

١ ـ ﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلقَ منها زوجَها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تَساءلون به والأرحامَ إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [٤ ـ ١].

٢ ـ وتنادي . . .

﴿قل يا أيها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعاً الذي له ملكُ السماواتِ والأرضِ لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماتِهِ واتَّبعوهُ لعلكم تهتدون﴾ [٧ ـ ١٥٨].

٣ ــ وتنــــادي . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن رَبِّهِمْ إلى صراطِ العزيز الحميد﴾ [١٤ - ١].

﴿اللهِ الذي له ما في السَّماوات وما في الأرضِ وويلٌ للكافرين مِن عذابٍ شديد﴾ [١٤ - ٢].

يــــا إلَهـي .

لماذا لَا يخافُك العنصريون؟. الذين يُمزقونَ الرحم الإنسانيَّ ويدسون في صفوفه القطيعةَ والأحقـاد، والإفساد، والفتنَ المهلكـةَ أَلَا يَدْرون أن عنصريتهم لعنةٌ فاجعةٌ تصرفُهم عن قبول أيةِ دعوةٍ إنسانيةٍ خيـرةٍ جامعةٍ مُسَالمةٍ . .

يا أخـي الإنســـان . .

العنصريةُ لعنة الإنسانية وسَوْأَةُ أيامها ولياليها وباعثة شتاتها وتصارعها وتحاربها . . . النجاة النجاة يا إلَهي . .

ومن أجل نجاتك يا أخي الإنسان أود أن أدعوك إلى اكبار رجال دعوة الإيمان، والاستمتاع بسيرهم العطرة واتخاذِهـم لك أسوة وقدوة من قبل أن تهلكَ بقنابلِ الذرةِ والهيدروجين في ساعة عنصرية طاغية باغية دون أي اكتراث أو أسف أو حزن .

أجل من أجل نجاتك يا أخي الإنسان، أعرض عليك كيف يكون رجل الحرب مثالياً يحمل دعوة الإيمان بكـل قلبه وعقله وبسـالته وتضحيتـه . ويحمل روح الأخاء والإنساني الرحيم .

فهو لا يحارب بغياً ولا تسلطاً، ولا طمعاً، ولا اشراً، ولا تمزيقاً لكلمة

الإنسانية وإنما يحارب لتكون الإنسانية على كثب من السماء سامية متحابة متقـاربة متعـارفة ولتكـون كلمة الله هي العليـا وكلمة الـذين كفروا هي السفلى. وليكون إنسانُ الحضارة هو الإنسان لا إنسان الغاب.

عقبة بن نافع الفهري

يا أخي المستمع ان عقبة بن نافع هو إنسان كريم وذاعية إيمانٍ وَحَقٍّ، ومنار إنسانية وصدق من قبل أن يكون سيداً كبيراً من سادات قريش، وابناً باراً من أبناء عرين الأبطال ـ الجزيرة العربية المباركة ـ ومن قبل أن يكون نجماً بميلاده من أنجم الصحابة الكرام أضاء فأضاء مرتين للهداية للفتح للعمران لتلاوة القرآن وتدبره.

أجل أضاء مرتين في مغربنا الحبيب المغرب العربـي..

الأولى من سنة ٥٠ الى ٥٥ هـ.

الثانية من سنة ٦٠ الى ٦٤ هـ.

وها هو قلمي يتابع سير الأبطال الأعلام الذين وطدوا دعوة الإيمـان الصحيح دعوة خاتم الوحي الإلهي القرآن المجيد. في المغرب العربي، وهم يتقلبون في نضرة أعمالهم الصالحة، نضرة النعيم المقيم، وهم عند الله يرزقون. ورزق الله جل وعز ما له من نفاد..

ولا ريب انهم جميعاً سعداء بما أسلفوا في دنياهم ـ هذه الفانية ـ ولماذا لا يكونون سعداء، وَمَا أسْلفوه، فيه سعادة الإنسانية كل الإنسانية، سعادة وطّدتْ دعوة الإيمان الحق وصدق الإنسانية والمودة في بلاد المغرب.. نعمة مباركة دائمة لا تزول ولن تزول...

أولئك الأبطال هم جنودها وهم شهداؤها وهم أعلام ذكرياتها..

وقد رأيت في عليا مناراتها عقبة بن نافع يتقلب في رضوان الله ناعماً بما أغدق الله عليه من نعم ويغدق. ورزق الشهداء عند ربهم كبير. وقد صدق الله العظيم إذ يقول في حق الشهداء.

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ [٣ - ١٦٩]. ﴿فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم مِن خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [٣ - ١٧٠]. ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾

[٣ - ١٧١].

أجل يا ابنَ نافعَ أنتَ وأصحابُك الذينَ رفعتُم أعْلامَ دَعوة الإيمان في المغرب العربي أحياءٌ أحياءٌ.

اللهم هبنا نعمة البصائر الصحيحة لنرى ما هم فيه من عزة الحياة وخلودها وأنت يا أيها الإنسان، إذا أحببت أن تكون مع أولئك الأبطال الكرام في روضات الجنان.. آمن بالله ورسوله إيماناً عملياً صادقاً، واطع الله ورسوله الطاعة التي لا عصيان معها ولا مواربة ولا انحراف.

أجلْ هذَا حَقٌّ حَقٌّ، وصَدِقٌ صِدْقٌ، اسمعْ يا أخي إن كنت تملكُ سمعاً يصيخُ وعقلاً يفكر..

﴿وَمَنْ يطعِ الله والرسولَ، فأولئك مَعَ الذين أنعمَ اللهُ عليهمْ مِنَ النبيينَ والصديقينَ والشهداء والصالحينَ وَحَسُنَ أولئِكَ رفيقاً﴾ [٤ - ٦٩].

وأحسبُكَ الآن تتساءلَ قائلاً...

وهلْ عقبةُ بنُ نافع مِنَ الشهداءِ الأبطال الذين رَفعُوا منائرَ دعوةِ اللهِ في الأرضِ: نعمْ نعمْ يا أخي..

هو البطلُ المجاهدُ العظيمُ الذي دَعَم دعوةَ اللهِ في المغرب العربي، وَشَيَّدَ مدينةَ القيروان ورفعَ منائرَ مسجدِها العظيم وذكْره خالدٌ إلى اليوم وإلى يَومِ القيامةَ، ويرى كل مسلم مغــربي مطلـعٌ ان لعقبة بن نافع في يقين إيمانه، وحسن إسلامه، ووثيق صلته بالله يداً عُليا كريمةً ماجدة..

اسمعْ هذا الدعاء الذي نقله لك الأستاذُ المؤرخ أبو العباس بنُ خالد النـاصري في كتـابه الاستقصـاء لأخبار دول المغـرب الأقصى جزء أول صفحة ٨٢.

دعاءه الذي يكشف لك جدَّ اعتزامه للنهوض بدعوة الإيمان، وطاعةِ الرحمن وبث الروح الإنساني العالي بغـــايــةِ الإمكان وإلى نهاية الحياة..

الدعاء الذي رفعه إلى رب العالمين، وبعد أن أقام دعوة الإيمان في بلاد المغرب البطل.. وأفضى إلى ساحل البحر المحيط الغربي، في بلاد أسفي، وقد أدخل قوائم جواده في البحر ووقف ساعة خاشعاً ضارعاً بعيداً عن الغرور ثم التفت إلى أصحابه وطلب إليهم أن يرفعوا أيدَيهم ويؤَمِنّوا على دُعائِه.

«اللهم إني لم أخرجْ بطراً ولا أشَراً، وإنك لتعلم إنما أطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تُعبد، ولا يُشرك بك شيء.

اللهم انا معاندون لدين الكفر، ومدافعون عن دين الإسلام، فكن لنا، ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام».

وإلى النبذة التالية تسمع عنه ما يسرك ويقر عينيك بإذن الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

عقبة بن نافع في محراب التأريخ

النبذة الأولى عبارة عن محاورة جرت بيني وبين صديق مغربي وعتاب رفيق.

قـــال صاحبي

لا أزالُ أحملُ في نَفْسي رِفقَ العتبِ، على بعضِ كُتَّابِنَا ومحاضرِينا المواطنين ـ في السُّعودية ـ الذين يُواصِلون الإعلاَم عن السَّلفِ الصالح ودعوةِ الإيمانِ في بلادِهم جزيرة العرب وما دَنَا منها كالشامِ والعراقِ ومِصرَ، وما قَصَا قَصَوْا عَنهُ... حَتى عن التنويهِ بذكرِ الأَبْطال الذين رفعوا أَعْلامَ وَحْـدَةِ الإيمـانِ والصدق والمـودةِ والروحِ الإنسـانيِّ العالي في مغـرِبَنا العـربيِّ الحبيب، بكلِّ أَقْسامِه...

وذكرهُم جَديرٌ أَنْ ينوهَ بِهِ وأنْ يُعْطىٰ حَقَّه مِنَ الخلودِ ، وتُلَوَّحَ بَرَايَاتِـهِ أَعْلىٰ الشرفاتِ ليتعرَّفَ شبانُ جيلنا الناهضِ إلى أَبْطالِ سَلفهم ولا أَسْتثنيكَ فأنتَ واحدٌ مِنهمْ.

وفي استطاعتك القَول فَلماذا هذا الابطاء والتنائي.

قلـــت:

الحقُّ لَا يَجْحدُهُ ولا يَصَدُّ عنه إلا غريزيٌّ عُنصريٌّ أو عاطِفِيٌّ أَهْوجُ ،نعم

أَنَا مدينٌ بما قلت، ولكن الذي أثلج صَدَري أن صاحب المنهل ـ أبا نبيه الأنصاري ـ لم يدعْ فرصةً تمرُّ إلَّا وأفاضَ عن عظماءِ المغرب الحبيب، والحافظان ـ أبو محمد وأبو المأمون ـ والشاعرُ الشاب النابغة عواضُ الألمعي فقد نضدَّد الطوالَ والقصارَ في التنويه ببطلات بناة المغرب الحبيب، وأنت يا صديقي لو اطلعتَ على كلمتي عَن بَطَلي العروبةِ والإسلام الملكين الكريمين عبدِ العزيزِ آل سعود ومحمدِ الخامسِ يرحمهما الله أبانَ تَنْصِيب خليفتيْهمَا الملك فَيْصلٍ ، والملكِ محمدِ الخامس في مجلة المنهل لما عتبتَ وعنَّفتَ . .

قــــال صَاحبــي

أعلمُ ذلكَ ولكنَّ كلمة واحدةً لا تنفعُ غلة الظامىء الهيمان، تلكَ صبابةَ كأْسٍ فأينَ اللججُ والغمائمُ الماطرةُ؟؟

قلــــت :

خذها موجةً إثْر مَوجةٍ ومزنةً إثْـر مزنةٍ . .

قــال صاحبي:

يا أخي إنك لن تحرمَ من مثوبةِ التنويهِ بأَبْطالِ سَلَفِ هذه الأمة الكريمةِ في مغربنَا العربيِّ الحبيب وها أَنتَ ذَا بدأت حديثَك عنهم بكلمةٍ عن سُمُوِّ دعوةِ الإِيمانِ عندَ الله التي هي أَسْمىٰ من كلِّ دعوة سِوَاهَا وأحسن، ولماذَا لا تكونُ أَسْمىٰ من كلِّ دعوةٍ سِوَاهَا وأحسن؟؟ ورسولُ اللهِ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه يقولُ: «لأن يهديَ اللهُ بك رجلاً وَاحِداً خيرٌ لك من حُمْرِ النعم»، وفي روايةٍ: «. . خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طلعَتْ عليه الشمسُ»، وسرَّنِي أنَّك الْمَعْتَ في خِتَامِها عَنْ عُقْبَةَ بنِ نافع، وَيَا لَهَا مِنْ كلمةٍ والأعمالُ بِتَمَامها فأتممْ يا أخي أتمم . .

قلـــتُ :

مثلُ عقبةَ بنِ نافعٍ لَنْ تَسْتوعَبَ شَمائِلُه... كلمةٌ أو كلمتَانِ بَلْ لا بدّ من ثالثةٍ ورَابعةٍ إلى سفرٍ كبير جامع...

وحسْبي الآن في هذهِ الْكلمةِ أَنْ أعرضَ عليْكَ مَلاَمحَ مِنْ أوجهِ حَياتِهِ لِتُبْصرَ مِنْ أساريرِهَا إلى ما ترغبُ في مِعْرفتِهِ مِنْهَا..

قـال صَاحبي:

لله عقبةُ... ومثلُهُ مِنَ الأَبْطالِ قليلٌ فَهَاتِ مِنْ ذكرياتِ بُطُولتِهِ فِي مَغْرِبنَا العربي الحبيب ما يكون في وسع الصُّبابة فوسعُهَا يجدي ويروي السامع العابر، وإن كانت تَدعُ المثقفَ المتعمقَ في لهفةٍ الظماءِ إلى العُبابِ العُباب....

قلـــتُ :

مَا رَأيتُ قائداً أدى أمانةَ دعوةِ الإيمانِ المباركةِ في نَفْسِهِ وفِي أَصْحابِهِ وفي البلدِ الذِّي عَاشَ فيه (المغرب العربي) مِثْلَمَا أَدَّاهَا عقبةُ بنُ نافع ـ رضي الله عنه ـ أجل أداها:

(١) بكل ما في قلبه من صدق الإيمان وحلاوة اليقين.

(٢) وبكلِّ ما في عقله من نورِ البصيرة ويقظة الوعي.

(٣) وبكل ما في إرادتِه من الصرامة ونفاذها.

(٤) وبكلِّ ما في نفسِه من مَجْد الطموح وخُلودِهِ.

ويا لَهُ من قائدٍ كبيرٍ وفاتحٍ عظيم ومؤمنٍ عبقري. طوبى لَهُ وحسن مآب.

يكفي أن دعوة الإيمان والهداية وبركاتها كانت شغله الشاغل يا رُحمةَ الله أمطري جدثاً ضَمَّ أعظمه أمطاراً غريزةً غزيرة غزيرةً..

عقبة بن نافع على لسان مؤرخيه

المؤرخــون يقولــون

ان عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري، هو صحابي جليل بالمولد، وهو آخر من ولي المغرب العربي من الصحابة وهو ابن خالة عمرو بن العاص، وأن عمرواً كان يحبه لبطولته الفذة ولفرط ذكائه وعمق إيمـانه، واستعداده في كل لحظة للتضحية في سبيل دعوة الإيمان بالله الخالق العظيم وحده . .

بل قل يكفي أن الله كان يحبه، وآية ذلك انه كان مستجاب الدعاء وإن الله أجرى على يديه الخير والهدى لأهل المغرب . .

أول ولاية لعقبة بن نافع

عرفنا أن عمرو بن العاص كان والياً على مصر وافريقية من قبل معاوية ابن أبي سفيان، وعرفنا أن عقبة كان خاله عمرو وكان عمرو يحبه وهو من جملة أصحابه فولاه من قبله على افريقية والمغرب لأول مرة، كان ذلك سنة اثنين وأربعين للهجرة المباركـة، وقد أحسن عقبـة القيادة كـل الإحسان وظهرت مواهبه العظيمة وروحه الإسلامي الطاهر في صدق إيمانه العملي وفي فتوحاته الكثيرة وفي براعته في القيادة.

وقد ترامت أنباء أمجاده الخالدة في كل مكان وربا اسُمه ونَبُهَ وطابَ وكان كل ذلك يفد على معاوية بن أبي سفيان أولاً فأولا، فرأى معاوية من

المصلحة أن يستفيد منه للدعوة الإسلامية ولحفظ الدولة من العبث والعابثين. . . فولاهُ من قبله رأساً على المغرب العربي وما جاوره وأرسل إليه عشرة آلاف فارس، بالإضافة إلى مُعَاونةِ البربر المسلمين الأبطال الذين أوقفوا أنفسهم للذود عن دعوة الإيمان بالله الخالق العظيم - جل جلاله - وللنهوض بها إلى أعلى منارات المعرفة والأعلام.

أجل لولا صِدقُ قبائل البربر الذين آمنوا وثباتُهم مع دعاة الإسلام الأول الذين وفدوا إليهم بتوجيه خلفاء رسول الله سيدنا محمد ﷺ، لما أصبح المغرب الحبيب قاعدة الدعوة الإسلامية في إفريقية جمعاء إلى اليوم وإلى يوم القيامة - إن شاء الله - وأصبح يضارع مصر والسودان في مجال الدعوة. .

والحق أن الذين يحاربون مُثلَ وحي الله العليا المنزلة لخير الإنسانية جمعاء إنما يحاربون أنفسهم ومصالحهم قبل كل شيء، سواء علموا ذلك أم لم يعلموا فهم شَارِدُون عن الرشد. . . لأنهم مخطئون خطأً فاحشاً في حق أنفسهم وشعوبهم. . إذْ أَنَّهم لم يفطنوا أن دعوة الله موجهة إليهم في آياته المنزلة التي تتلى بكرة وعشيا حتى يعصفوا بأنانياتهم ويثوبوا إلى رشدهم ويلمسوا أنهم أخطأوا ويتبينوا أن حقدهم علىٰ مثل القرآن العليا هو حقدهم على أنفسهم ومصالحهم الذاتية وعلى واقع العقيدة السماوية الصحيحة.

ولأجل ذلك كله شيد عقبة بن نافع مدينة القيروان بعيدة عن سواحلهم شيدها فراراً من عصبياتهم الرعناء الانعزالية النهمة، وحفظاً لدعاة خاتم الوحي الإلهي من البطشِ بهم غدراً. .

أجل شيدها بعيدة عن سواحلهم لتكون جنودُ الدعوة الإسلامية بمأْمَنٍ من الدسائِس والمؤامرات والإفْساد وبمأمن من الغدر بهم في ساعة عاصِفةٍ عَمْياء.

أواه أواه يا ليتهم فهموا حقيقة اليقين العلمي في خاتم وحي الله القرآن المجيد لو فهموه لكان شأنهم اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم سوى ما هم فيه تماماً تَماماً، وعسى أن يفلت هذا الجيل الحديث من اغلال وراثاته النفسية وأحقادها العُنْصرية فيعطي بعض أوقاته العلمية الفكرية الحرة من أجل مثل القرآن العليا، إن شاء الله يكون ذلك إن شاء الله.

وخلاصة الأمر أن عقبة بن نافع وجد الرومان وفرنج الجزيرة - الأندلسية - الذين كانوا في عصره يقاومون خاتم وحي الله جل وعلا إصْراراً وعناداً وسبهللاً.. حتى في سرائرهم، ووجد أن باعثهم على المقاومة الحاقدة هو وهمهم أن حُطَام الدنيا الفانية يفلت من أيديهم، وسخطوا لماذا لم تكن رسالة الله فيهم، ونسوا أو تناسوا ان الله أعلم حيث يجعل رسالته.

على أنهم لو اعتنقُوهَا وأيدوها ونصروها لكانت فيهم حتماً ولكانوا نالوا من بركاتها ومعارفها ما لم يكن يدخل في حسبانهم.

ومهما يكن فرسالات السماء تابعة تماماً لمشيئة الله تعالى وليست تابعة لمشيئة البشر حتى يقاوموها ويمقتوها إذا لم تكن فيهم وإذا لم تكن وفق مشتهياتهم وهي في الوقت نفسه لهم فيها حياة وعزة وسلام واجتماع وقوة كما هي للعرب بل ولكل أمة تقيدت بها وآمنت وأخلصت - وما عهد الدولة العثمانية التركية ببعيد -.

والحمد لله كل دلائل العلم اليقيني الفذ قائمة في خاتم الوحي الإلّهي - القرآن المجيد - والغرضُ مرضٌ ويدلك على ذلك قول عقبة لدى تأسيسه (القيروان) عام خمسين للهجرة المباركة.

«نحن أصحاب إبل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر فيسطو علينا روم القسطينية وافرنج الجزيرة».

وكان الوادي العظيم الذي شيد عقبة فيه مدينة (القيروان) غيضة كثيرة الأدغالِ والاجمات، وسكانها الهوام والوحوش والسباع. . . وكان المقصود الأساسي من تأسيس عقبة للقيروان هو أن تكون منطلقاً لـدعوة الإيمـان ومعتصماً للجند والسلاح والكراع. .

ومن أجل ذلك أفسح في أروقة مسجد القيروان (الجامع) واعد فيه رجال العلم والحفاظ وأقام كل أسباب الدعوة إلى الله تعالى حتى أنه ذكر صاحب كتاب (تاريخ افريقيا والمغرب / الرفيق القيرواني ص ٤٠).

انه حين أسندت إلى عقبة بن نافع ولاية المغرب للمرة الثانية سنة اثنتين وستين للهجرة ـ كما حققه ابن خلدون ـ

«ركب عقبة في وجوه العسكر من التابعين والعباد. . فدار بهم حول مدينة القيروان وهو يدعو لها ضارعاً بحرارة ـ

«يا رب املأها فقهاً وعلماً وأعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزاً لدينك وذلاً لمن كفر بك وأعز بها الإسلام وأمنعها من جبابرة الأرض» .

بسم الله الرحمن الرحيم

تأييدات الله لعقبة بن نافع

يؤيد الله الحكام الذين يعملون لتوجيه الإيمان الصحيح بالله الخالق العظيم وحده ويجاهدون لنصرة دينه واستمساكَهمْ بالحق، وإقامة العدل بين الناس وفي أعماق أنفسهم إخلاص النية وصدق العمل وشرف الغاية، أجل يؤيدهم الله في كل مواقفهم العظيمة من فيوض رحمته بالعجائب. ليعلم الناس جميعاً أنهم على حق وعلم وخلق ودين. وهذا ما كان لعقبة بن نافع رضي الله عنه ـ.

وإليك ما جاء في كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى صفحة ٧٩ ـ «لما شرع عقبة رحمه الله في بناء جامع القيروان تنازعوا في القبلة فأتى عقبة آت في النوم فوضع له علامة على سمت القبلة فلما انتبه أعلم الناس بذلك فاتوا إلى الموضع فوجدوا العلامة» فكانت هي القبلة تماماً، وجاء أيضاً في ذات الصفحة ـ.

من رواية الإمام الليث بن سعد... لما أشرف عقبة على وادي القيروان وقف عالياً وقال ـ «يا أهل الوادي اظعنوا فأنا نازلون» قال ذلك ثلاثاً فتم الظعن بإذن الله.

ومهما يكن فليس حب المغاربة القدماء لعقبة بن نافع بأقل من حب

المحدثين، هذا الحب الكبير الصادق أصيل في شعب المغرب أصالة الإسلام نفسه وأصالة العروبة نفسها وأصالة الإنسانية ذاتها يعرف ذلك كل من أم المغرب العربي الشقيق وجال من أقصاه إلى أقصاه وأفضى إلى مدفن عقبة وصحبه الشهداء الأبطال..

استشهاد عقبة مع صحبه وأبي المهاجر

قال صاحبي

يا عجبي يا عجبي.. أرى أمجاداً مُخصبة زاهية ذات حضارةٍ وزينةٍ في أرض الأبطال (المغرب العربي).

واسمع منادياً يُؤَذِّنُ أنها لعقبةَ بنِ نافع.. ولكن...

قلت مشفقاً.

ولكن ماذا ؟؟؟ أفصحْ يا صديقي فقد أخفتَني..

قال صاحبي

أما ترى لطخة كأنها المداد الأسود توشك أن تغشّي الأضواء التي تظل عقبة... وإنها لتسوء أحبابه وهي محل عتبهم على الرغم من اكبارهم له ومن مودتهم له ومن ثنائهم عليه..

قلت :

إن الشمس لا تظل أبد مشرقة صحواً فلا بد من ساعة تحجب الغمائمُ أضواءها، وهذا لَا يُضيرُ الشمس في شيء، لأنه مما جرت به العادة..

وهذا شأن عظماء الرجال الذين لهم سنا الشمس وسناؤها في شمائلهم، فايان تصعد بهم شمائلهم الكريمة المشُرقة في سماء الأمجاد

الشامخة فإنها لا بد أن تطرأ عليها ساعة غفلة تحجب عنهم الأضواء في مسيرتِهمْ فيزلون دون تعمد منهم.

ومهما يكن فما بدا من حياة عقبة من سهو الخطأ فقد مرَّ بها وشيكاً كالشبح الكريه المنظر. في الرؤيا الزاهرةِ الزاهيـةِ ذاتِ الفُتُونِ والسحـر وحَسْبُ عقبةَ مجداً وتكفيراً أنَّ خَطأَهُ أفْضى به إلى الاستشهادِ في سبيل الله وذلك شرف تهفو له نفوس الأبطال وما هو بخطيئة بالنسبة لامجادِهِ الكثر الغُر وَمِنْ قبلُ حزن سيف الإسلام خالد بن الوليد لمَّا رأى نفسَه يموت على فراشه، كالبعير. والحياة محدودة عند الله فلا بد من نهاية فلتكن نهايتها بمجدٍ عظيمٍ.

قـــال صاحبـــي

أنتَ تعلم أنه لَمَّا أعْفى معاويةُ بن أبي سفيـان عقبة بن نـافع من الولاية.. وَوَلَّى بدلاً عنه على مصر وافريقية معاً مسلمة بن مخلد الأنصاري ومسلمة بن مخلد الأنصاري بدوره ولى مولاه أبا المهاجر نيابة عنه على المغرب العربي محل عقبة...

وهنا اتقدت نار سوء التفاهم بين عقبة وأبي المهـاجر إذ أسـاء أبو المهاجر إلى عقبة إساءة مريرة واستهان به وازدراه وأزاحه عن ولاية المغرب بكل غلظة.

أبى أن ينزلَ القيروان لأن عقبة هو الذي شيَّدها بل شيَّد مدينةَ أُخْرى بجوارِهَا وجلب الناس إليهـا.

فأحزن ذلك عقبة وكان عقبة رضي الله عنه مقرباً من الله جل جلاله ومستجاب الدعوة لكبير إيمـانه وصـدق تقواه فـدعى على أبي المهاجـر فاستجاب الله دعاءه.

ودعوة المظلوم لا ترد فما هي إلا أيام حتى أعاد الله عقبةَ إلى ولاية المغرب للمرة الثانية بعزة وكرامة، وجعلَ الله أبا المهاجر تحتَ تصرف عقبة وكان ذلك سنة اثنتين وستين للهجرة المباركة .

وكان الأجدر بعقبة وقد استجاب الله دعاءه أن يحمده تعالى بمقابلة السيئة بالحسنةِ ولكن وقع عقبة في الخطأ الذي وقع فيه أبو المهاجر.

اعتقله وأعاد الناس إلى القيروان وهدم المدينة التي بناها أبو المهاجر وقد ندم أبو المهاجر على ما سلف منه وأحس أنه هو الذي سبقه بالإساءة ومع كل ذلك فإن أبا المهاجر لا يريد لعقبة ولا لأحد من المسلمين سوءاً وأحسبه ندم أحر الندم، والذي يدلك على ذلك نصحه لعقبة لما شاهده يتعمد الإساءة لزعيم البربر النصارى «كسيلة» مع أن كسيلة كان حينئذ معلناً إسلامه على يد أبي المهاجر لما وقع في يده أسيراً وعامله بكل رفق واحترام. كما فَعَلَ رسول الله بأبي سفيان، ولكن عقبة لم يعتبر بنصح أبي المهاجر بل طفق يسيء إلى كسيلة أعنف الإساءة ويهينه، لا لشيء إلا لأنه أسلم على يد أبي المهاجر وأنه كان من أصْحابِه واسْتمرَّ عقبةُ يتحامل على كسيلة ويسيء إليه حتى بلغ السيل الزبا وجاوَز الحزام الطبيين.

ونسي عقبة أن مثل كسيْلة لا يُسْتهانُ به أبداً لأنه كان مقرباً لدى الروم، وكانوا يعتمدون عليه ويتوددون إليه لأنهم كانُوا يعلمون أنه زعيم نصارى «البربر».

فمثله لا يستغنى عنه أبداً ولا يستهان به أبداً والحق لولا سياسة أبي المهاجر معه وكبير احترامه وتقديره لما أسلم لِذَلِكَ كان سخط عقبة على أبي المهاجر وكسيلة ليس موفقاً ولم يكن في محله أضف إلى ذلك أن كسيلة لم يفهم عظمة التعاليم الإسلامية وجلالها حتى يحتمل الإهانة في سبيلها

ومن جرائها، فارتّد في سريرته وأخذ يُعد الفرصة للفتكِ بِعُقْبَةَ وكبار قواده الذين كانوا يصحبونه.

وكان عقبة رضي الله تعالى عنه قد توغل في أرض المغرب فاتحاً منتصراً موفقاً حتى أفْضَى إلى ساحل المحيط الاطلنطي الغربي ثم عاد من غزواته مظفراً حتى وصل إلى طبنة من أرض الزاب أمر الجيش الكبير الذي كان يصحبه أن يعود إلى القيروان واستبقى خلاصة رجاله معه ثلاثمائة من الصحابة والتابعين وكان كسيلة قد أعد الفرصة للانقضاض بالاتفاق السري مع الفرنجة وأبناء عمومته ـ الذين لم يسلموا من البربر ـ فتجمعوا حوله وهاجم بهم في «تهودة» عقبة وأصحابه وكان أبو المهاجر معه فاستشهدوا جميعاً، ولا تزال معالم مدافنهم محل الاعجاب والدعاء وطلب الرحمة لهم من رب العالمين.

والذي يدلك أن المسلم أخ المسلم ـ مهما تكن نزغات الشيطان طاغية رابية ومستعصية فنصيحةُ أبي المهاجر لعقبة كانت تذخر حكمة وتوعية وانذاراً بشر مستطير وقد كلف المسلمين كثيراً...

واسمع يا أخي كلمة أبي المهاجر التي أرسلها إلى عقبة: بنصها..

«كان رسول الله ﷺ يتألف جبابرة العرب وأنت تعمد إلى رجل جبار في قومه وبدار عزه وحديث عهد بالشرك فَتُنَفِّرُهُ»، وطلب إلى عقبة أن يتوثق منه وخوفه غائلته فلم يكترث عقبة لنصح أبي المهاجر وحسن رأيه واستتفهه غروراً، وهو الرأي السديد واهمال الرأي السديد إذا لم يؤخذ به في أوانه أدى إلى أفظع الكوارث التي تدك الجبال دكاً دكاً ولا نفع للرأي إذا فات أوانه، وصدق أمير الشعراء حيث يقول..

والـرأيُ ليس نـافعـاً إذا أوانــه مضى

مولاي إدريس بن عبد الله الأول

انتقل من بلاد العرب في آسيا إلى بلاد المغرب في افريقيا، ونزل بمدينة وليلي عام ١٧٢ هجرية ضيفاً على إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من البربر البرانس. وكان يصحبه مولاي راشد.

ظل أمر المغرب فوضى بعد سقوط الدولة الأموية وقد عاد الخلف بين رؤساء قبائله إلى ما كان عليه، قبل الإسلام. وكان كلَ يوم يمر يتفاقم فيه الخلف أكثر من اليوم الذي يليه. حتى وفد إليه مولاي إدريس بن عبد الله الأول مؤسس دولة الأدارسة.

وكان وفوده رحمة عامة لبلاد المغرب، ونوراً غامراً.. انقـذ الله به المغرب من مهالك التفرقة والانقسام. إذ أَنْهَضَهُ بكل ما آتاه الله من عزيمة وصدق، وبكل ما آتاهِ من جاه وسلطان وبكل ما آتاه من حب وتأييد.

نهض إلى جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، ولم الشعث.. وقد أخذ يدعو قبائل الشعب المغربي كافة.. إلى الاستمساك العملي الصادق بهدى وحي الله جل وعز، والبحث الدقيق عن مدبـري المؤامرات ومنفـذيها، وموقدي نيران الفتن ومخططيهـا، والمجرمين الممـزقين مشعلي الحروب الأهلية، ومحاكمة الجميع أمام الشرع الشريف والقضاء عليهم حتى لا تقوم قائمة لعدو دساس، وعنصريٍّ مُلْحدٍ ومنتهـز متلون.

ولله زعماء قبائل البربر الأبطال؟ عرفوا صدق ما يدعو إليـه مولاي

إدريس الأول، من حُبٍّ للإسلام وللمسلمين ونفْعٍ لبلادهم ومن سُموٍّ لهم، وتنوِيهٍ بتاريخهم فانضموا إليه بكل قلوبهم وعقولهم. وبكل قناعاتهم وثقافاتهم، وبكل بطولاتهم وتضحياتهم وبايعوه على رئاسة الحكم وإدارة الدولة. فقام بالإصلاح الكبير، وكون أول جيش مغربي مدرع قوي قادر على حفظ سلامة الأمن داخلاً وخارجاً. وأراح الشعب المغربي من موبقات المجرمين الممزقين. واستنشق أفراده وجماعاته نسائم الأمن والإيمان والعدل والنظام. واستراحوا من ويلات الحروب الأهلية، ومن شرور المتاجرين بها. لعنهم الله..

وهكذا كره المجرمون الدساسون، والواغلون من الأجانب مولاي إدريس وغاظهم جمع كلمة الشعب المغربي، وتوحيد صفوفه، والنهوض به إلى أرفع الأمجاد، فنصبوا له الاشراك في كل مكان، وترصدوه في غدواته وروحاته، حتى سنحت لهم الفرصة المشئومة فاغتالوه عام ١٧٧ هـ.

ودفن في مدينة زرهون القريبة من مدينة وليلي.. في حشد وأسى لم يشهد له المغرب الأقصى مثيلاً من قبل.

ولكن اغتياله كشف الحقيقة للشعب المغربي البطل، وعرف رؤساء القبائل كافة ما يهدف إليه مدبرو مؤامرة اغتياله من تمزيقهم واشعال الفتن بينهم حتى يضرب بعضهم بعضاً كالوحوش الضارية فيهلكوا جميعاً..

كما تمثلت لهم جلائل الأمجاد التي كان مولاي إدريس يجهد لتحقيقها، واقامتها لشعب المغرب.. من وحدة من قوة من سلطان من علم من دين من خلق من تضحية من إيثار من مودة.

لذلك أجمعوا أمرهم حتى لا يكونوا سُذَّجاً بلهاء تجوز عليهم حيلُ الكائدين المجرمين. فربطوا العزائم أن يكونوا بعد اغتياله أشد تمسكاً لما

جاء به، وجاهد من أجله وفكر ودبر.

اجمعوا أمرهم وتَقَاسَمُوا أَنْ يَلْتفُّوا حولَ مولاه راشد. ويشهدُ اللهُ ما رأيت صِدقَ إيمان، ونفاذ بصيرة ووعي إخلاصٍ، وبعدَ نظرٍ، وسُمُوَّ وفاءٍ وجلالَ غايةٍ، ونزاهةَ نفسٍ، ورباطةَ جَأشٍ ما رأيتُهُ في مولاي راشد. الذي صحب مولاي إدريس بن عبد الله إلى بلاد المغرب في أشد لظى المخاطر وترصدها بسبب الحروب الأهلية المجنونة التي كانت بين الهاشميين مِنْ علويين وعباسيين.

يا له.. من بطل عظيم وفيٍّ كريمٍ مفكرٍ... وقليل من الرجال مثله في تاريخ البشر.

ها نحن أولاء نشاهدُهُ لما اغتال المجرمون أعداءُ الإسلامِ والشعبِ المغربي مولاه إدريسَ نشاهدُهُ أمسك زمامَ الأمر بعزم وحزم وذكاءٍ وقوةٍ وعفافٍ وَحُسْنِ سِياسةٍ وعمقِ تدبيرٍ. برأي رؤساء القبائل المغربيين المؤمنين الصادقين ومعونتهم... لأنهم خافوا على بلادهم العزيزةَ وعلى أنفسهم أن تمزقها أهواءُ المجرمين العاسفة، ونزواتُهم الشاعلة، فينقلبوا أعداءً يَبْطشُ بعضهُم ببعضٍ وذلك كلَّ رجاءِ المجرمين المتربصين بهم وكلُّ غايتهم، وكلُّ هدفهم..

أجل كلُّ غايةِ مدبري اغتيالِهِ وكلُّ هدفِهم وكلُّ مشتهاهم هو أن تتحول بطولةُ الشعبِ المغربي الكريم عن صيانةِ نفسهِ إلى تمزيق نفسه بنفسه..

ينحرُ نفسه بيدِهِ لأَجل أن يبقى المجرمونُ ويحتلُّوا مكانَه. وتلك مصيبةُ المصائِبِ، ونكبةُ النكباتِ، وفتنةُ الفتن، وخيانة الخيانات وهول الأهوال وبليةُ البلايا..

لذلك تكاتَفَ زعماءُ القبائلِ والْتفُّوا حولَ المولى رَاشد، وهم يحسبونَ

ألفَ ألفَ حسابٍ للدسائس والمؤامراتِ التي تُحاك في خنادسِ الأسدافِ لتبديدِ كلمةِ الله، وللقضاءِ على الإيمانِ الجامعِ للشعبِ المغربي حولَ لواءِ الإسلام..

لمسوا هناك دَسَائِسَ إجرامية فتَّاكةٍ تُحاكُ في خَنَادِسِ الأسدافِ بمعونةِ نفاقِ المنافقين وصغارِ العنصريين والحادِ الملحدين وشرِّ الأشرار..

أجلْ خافَ زعماءُ القبائل الأبْطال أن تُمَزَّق بلَادُهمْ وَيَقْضي عليهم أولئك المجرمونَ الذين اغتالُوا الشهيدَ العظيمَ مولاي إدريسَ الأول. لذلك قرروا أن يُدَبَّر الأمرَ المولى راشدٌ بإجماعهم ونُصْرتِهم حتى تضعَ السيدةُ كنزةُ زوجُ مولاي إدريس الأول حَمْلَها.

وكم كان لطفُ الله ورعايتهُ عظيماً بالمغرب وأهلهِ.. حيث عيَّن رؤساءُ القبائلِ المغربيين مولاي راشداً رئيساً عليهم..

ولم يقولوا هذا عبدٌ أجنبيٌّ يَقُودُ شَعْبَنا الْعريقَ، ونحنُ رُؤساءُ قبائِله وقادتُهُ وبيدنَا زمامَ الحل والعقد في كل شُؤونِهِ. لأنهم مؤمنون صادقون مدركون أن العظمةَ ورفعةَ الجاه بالإسلام وَحَدهُ لا بسواه..

هم آثروا الحياةَ الباقيةَ وسموَّ التاريخِ وكرهُوا الحياةَ الزائلةَ وانحطاطَ التاريخ. والمسلمُ الصادقُ إيْنما نزلَ في أيٍّ بلدٍ من بلادِ الإسلامَ. فالأهلُ أهلُهُ والديارُ ديارُهُ وسعادتُهُ سعادتُهمْ وشقاؤُهُ شقاؤُهُمْ.

بهذا الفهم الإسلامي الصحيح هاجر مولاي إدريس الأول ومعه مولاه راشد إلى بلاد المغرب. وبهذا الفهم الإسلامي الصحيح استقبلت قبائل المغرب مولاي إدريس ومولاه راشد.

وهذا صنع الإسلام في الأنفس البشرية المفكرة إذا هم آمنوا عملياً بحق

وصدقٍ.. أجل هاجر رسول الله وصحبه إلى المدينة المنورة فوجدوا أنصاراً وأخوةً أعزاء ومجاهدين أبطالاً صادقين ومثل هذا ما وجده مولاي إدريس الأول ومولاي راشد في المغرب الأقصى. وهذا ما وجده عبد الرحمن لما فرَّ من وجه العباسيين إلى الأندلس.

أجل هاجر رسول الله ﷺ، وكلُّهُ وقْدُ لهفات من الشوق إلى تحقيق الإيمان الصحيح بالله الخالق العظيم ودعمه في الأرض. وكلُّهُ تَصْميمُ هدْمٍ للوثنية والإشراك وكلهُ عزمات عمل بار كبير فمنَّ اللهُ عليه بأنبل حشد مؤمن مطواع متأهب للذود والتضحية بالنفس والنفيس حتى أتم الله الأمر..

١ ــ فكان تحقيق الإيمان الصحيح للجميع.

٢ ــ وكان جمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف.

٣ ــ وكان النصر العظيم، والفتح المبين.

وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وقف خليفته الأول الصديق موقفه يوم الردة معتزماً أن يعيد إلى القلوب نورها المفقود رغم ظلمات الردة التي غشيتها فأيده الله بالمؤمنين الصادقين. وكذلك كان الذي أراد واعتزم بطل الإيمان الصادق صلاح الدين الأيوبي أن يرد لفلسطين حريتها ولبيت المقدس جلالها وحشودها المؤمنة فقيض الله له الأعوان، المناضلين والفرسان المغاوير. وقد حرسه اللهُ من مؤامرات المتآمرين ورعاه حتى استطاع أن يحقق ما اعتزمه دون غرور أو كبرياء أو ظلم لأحد أو افتتان بنفس..

وإذا تعرفت إلى الرجال الأبطال الذين أيدوا عبد الرحمن الداخل في الأندلس لما وفد إليهم من ديارنا، واعتزم أن يجمع الكلمة الممزقة ويوحد الصفوف في دولة أموية غربية لمست بحواسك الخمس كيف يؤيد الله المؤمنين الصادقين وظهر لك عياناً اعجاز قوله تعالى :﴿ومن يكفر بالإيمان

فقد حبط عمله﴾ [٥ ـ ٥]. وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «أنا عند ظنّ عبدي بي».

وكم وكم هم الرجال الذين حققوا في هذا الوجود الإنساني الأمجاد الكبرى والصروح الشامخة المترنمة بذكرياتهم.

حققوا ما حققوا بفضل الإيمان الصادق، والاخلاص الفذ والعزائم المتقدة إذن فلا نستغرب إذا روى لنا التاريخ أن مولاي إدريس هاجر من المشرق إلى المغرب، وليس معه سوى مولاه راشد.

وقد استطاع أن يقيم دولة الأدارسة التي يُدرس تاريخها من بلاد المغرب لأنها من مفاخره الخالدة.

ولماذا ننأى بالموضوع إلى الأزمان الغابرة ونحن في عصرنا شاهدنا الصقرين العظيمين صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود،وصقر المغرب الأقصى الملك محمد الخامس، كيف نجحا بصدق إيمانهما وثقتهما بالله الخالق العظيم أن يجريا الهدى والخير والحرية والأمجاد والقوة والسلطان والوحدة وجمع الصفوف في الزمن الذي يصعب تحقيق بعض ذلك ناهيك عن كله.

ولكنَّ الاخلاص والتقوى والإستقامة والبطولة والاعتزام والتضحية والإرادة الصارمة تأتي بعجائب العجائب.

وها هم أولاء أنجالهما تحيط بهم الأمجاد والتوفيقات والمعونات الإلهية من كل مكان.

هذه هي أخلاق الإسلام العالية التي تمثلت وتمثل في المؤمنين المؤمنين لا بالمؤمنين المزيفين رد الله للمسلمين صدق إيمانهم الصحيح العملي الفذ الذي به حَتْمِيَّةُ تحقِيقِ الأَمْجادِ الكبْرَى الخالدة.

وإني أرى ملامحه ترف في ديارنا بل في كل قطر إسـلامي مؤذنةً بالمستقبل المجيد، حقق الله الآمـــال..

وهكذا نتأكَّد أَنَّ الإيمانَ بالله الخالق العظيم الحق يَتمُّ به التعـارفُ الإنسانيُّ العام والسلامُ والأمنُ ورغدُ العيش وطيبُ النفوس وصفاء القلوب، وصدق المودَّات بَيْنَ المفكرين والعلماءِ والمجَدّدين الصاعدين بالحضارة إلى مثلها العليا.

أعمال المولى راشد الماجدة

ظل المولى راشد يحيط الدولة الأدريسية المغربية بـاليقظة والانتبـاه والرعاية والعناية والسهر المضني. من أول يوم نشأت فيه.

فَأَخَذَ يبذلُ بالغَ اهْتمامِهِ، وغايةَ جُهْدِهِ من أَجْلِ تثقيفِ مولاي إدريس الثاني.. ليكونَ في الدولة المثل الأعلى للحاكم المسلم الأمين وليكون العجب العجاب في العدل والانصاف والنبل والخوف من الله جل وعز.

ومن أجل ذلك ثَقَّفه الثقافةَ الإسلاميةَ الأصيلةَ، ليكونَ عظيماً في أعين العلماءِ ورؤساءِ القبائل، ولكي يُشَارَ إليه بالبنانِ وَيُطاع. جَعَله يَبْذُلُ كُلَّ طاقَتِهِ.

١ ـ في استظهار القرآن المجيد.

٢ ـ وفي المعرفة الممتازة بالأحاديث النبوية وفرز الصحيح منها من سواه.

٣ ـ وفي البصر المستوعب لاجتهادات أئمة الفقه الإسلامي المؤمنين الصادقين.

٤ ـ وفي التعرف إلى صحيح الحكم الإسلامي وما يحمل للناس من عـدل واستقامـة وأمن ورخاء ومـودة، وبتـرٍ لأيدي اللصـوص المختلسة والقضاء على الخارجين المرتدين.

٥ ـ وفي إحسان اللغة العربية التي أنـزل الله بها كتـابه المعجـز المتحـدي، وتحدث رسول الله بها إلى أصحابه والمسلمين جميعاً إلى يوم الدين.

٦ ـ وفي احترامه للعلم والعلماء ولأبناء الجزيرة العربية الكرام حتى انه كان يسند إليهمْ المناصب الحساسة في الدولة. على أعين زعماء قبائل البرُبر المؤمنين الصادقين الذين يعلمون أنه ما كانَ يَصْنَعُ شَيْئاً إلَّا ويقصدُ به دعمَ الدولةِ المغربيةِ وقوتِها وتقدمِها وحفظِ إيمانها الصادق وكيانِها من التداعي، ولا شيءَ سوَىَ ذلك.

وكان إقبالُ رؤساء القبائل وجماهير الشعب المغربي عليه وهو طفل، قبساً من أضواء وحي الله، وعجباً من الهدى عجاباً.

كان ذلك أشبه بالإرْهَاصَاتِ التي تتقدم طلائع الأمجاد السامية بفِعْلِ التَّربيةِ الإسلاميةِ الصادقة في الأنفس الكريمة الصافية.

أو بالأمْطار الموسميةِ التي تتقدَّم الربيعَ النَّضرْ البهيج.

أجل هِيَ إرهاصاتٌ إسلاميةٌ مباركةٌ يجريها الله في تربية الأفراد الذين يريد الله أَنْ يُنْهِضَ بهم أمَمَهم الممزقةَ إلى روحِ الإيمانِ والحقِ وجمعِ الكلمةِ وتوحيدِ الصُّفوف.

وكان هذا دليلاً على ما يجريه الله على يد مولاي إدريس الثاني.

أولاً: للإسلام وأهله، وللمغرب وأهله، وللعلم والأدب وأهلهما.

ثانياً: على ما يكون من نجاحه غداً في سياسة الدولة المغربية فوق الشمس وَهْوَ يَحملُ إلى شعبه أضواءَها الصافية.

في كل يوم تطلع فيه يَحْملُهَا إليهمْ في نِظَامِ الحكْمِ، وفي الْمُثُلِ

الْعُلْيا المنزلةِ من رب العالمين بكل حزم وعزم وصرامة وجد والتزام.

ثالثاً: وتدل على توفيقه المركز في قيادة الدولة بالحكم المثالي الفذ الذي نوهت بأقداره الأقلام .

يا ليل اسمع ويا نهار أبصر بطولة المولى راشد في وفائه وإيثاره ورعايته وإخلاصه وحسن تربيته الإسلامية العالية، وحراسته له حراسة تفوق حراسته لإنسان عَيْنِهِ.

لك الله أيها المولى راشد، فإنك ما تركت وسيلة من وسائل التكريم والأعزاز والإكبار في نفوس زعماء قبائل المغرب الأبطال لمولاي إدريس الثاني ، إلا وقد التمَسْتَها وَحَقَّقتهَا وكان اهتمامُـهُ مُنصباً في تـدعيم روح الإسلام في نفس مولاي إدريس الثاني منذ عهد الطفولة ووعيها التقليدي الساذج وإلقائها في رَوْعِهِ لتكونَ أصيلةً مكينةً في عَادَاتِهِ. ولتكونَ صورةً مثاليةً حيةً ناطقةً بما يرجوهُ أهلُ المغرب من رجل الدولة المرتقب.

والذي يحفظه المطالع لتاريخ أمَّةِ المغرب العربي البطل ويحفظه على صفحات قلبه ويظل محل للاكبار والاجلال. هو أن المولى راشد واحد من أفذاذ المغرب الأبطال وإن ذكراه الخالدة لن تفنى وفي الأرض علم وعلماء مَرسَاسةٌ.تقدر الصدق والاخلاص والتضحيات.

مولاي إدريس الثاني

ما شاهدت سموَّ زعماء في مرآة التاريخ على كثرة ما شاهدت من أنواع وأنواع، مثلَ السمو الذي شاهدته في أعمال زعماء المغرب، بعد اغتيال مولاي إدريس الأول.

أعمالٌ هي دلائل الفجر الصادق، وترنيمات بلابله النابضة بالأمجاد لبناء أمة مسلمة خالدة تليق أن تنسب إلى شريعة وحي السماء.

ولا ريب أن الـذين تآمـروا على اغتيال مـولاي إدريس الأول، هم عنصريون خاسرون هم مردة أغبياء جهلوا أقْدار مُثُلِ وَحْيِ اللهِ الكريمة التي نادى لتحقيقها مولاي إدريس الأول وجهلوا أنَّ منافعها غاية للإنسانية عامة، وجهلوا أن الإنسانية يجمعها رَحِمٌ واحدٌ. وأن تمزيقَها جريمةٌ غادرةٌ بشعة.

تؤذيهم هُمْ وأهليهم قبل أن تؤذي سواهم. فويل لهم ما أغباهم يحطمون سعادتهم بأيديهم، وهم يرون في ذلك فخراً وذكاء وشخصية، ونبلاً ونصراً.

وما هي في الواقع إلا وَحْشية ادغال وحقد عنصري، وظلمة كهوف تغشاهم من كل جهاتهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

أجل هو تخلف وحشة وتحاقد عنصريـة، وظلمات كهـوف، جاريـة مواريثها في شرايينهم مجرى دمائهم.

وما أرسل الله خاتم رسله محمداً صلوات الله وسلامه عليه إلا لينقذهم

من الموت، ويُحييهم الحياةَ الطيبة ويضيء الطريق ليمشوا بين الناس بنور من السَّماءِ. ألم يقل الله جل وعز.

﴿أوَ مَنْ كان ميتاً فأحْيَيْناهُ وجعلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي به في النَّاسِ كمنْ مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ [٦ - ١٢٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [٨ - ٢٤].

والعنصريةُ إيان تكنْ يكُنْ إلحادٌ وموت وظلام. والإنسانية إيان تكن يكن إيمان وحياة ونــور.

أجل إن الذين تآمروا على قتل مولاي إدريس الأول. هم عنصريون ملحدون مظلمون ومجرمون في حق أنفسهم قبل أن يكونوا مجرمين في حق الشعب المغربي ولو برَّروا تمزيقَهم لهُ أنهم ليسوا من أهله.. جهلوا أنَّ الإنسانية أمةٌ واحدة.

لأن قبائل الشعب المغربي التي آمنت بخاتم الكتب السماوية - القرآن المجيد - وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ من ربهم إنما آمنوا لحياة الشعب المغربي وليقوى ويتوحد ويسمو في كل مجال.

أجل لم تؤمن قبائل المغرب ليموت الشعب المغربي بل ليحيا، ولا ليشقى بل ليسعد، ولا ليمزق بل ليتوحد، ولا ليظل في الظلمات بل ليخرج منها إلى النــــور.

حسبهم انهم علموا وآمنوا واستناروا وإن أولئك المجرمين المغتالين جهلوا وكفروا واظلموا وظلموا..!!

لقد ساءهم كلُّ الإسَاءَة المصباحُ الكبيرُ الذي كان يحمله مولاي إدريس

الأول وهو يضيء به الطريق المستقيم للشعب المغربي.

أجل ساءهم ذلك لأنه كشفهم فلما لم يجدوا وسيلة ليطفئوا المصباح الكبير الذي كان يحمله مولاي إدريس الأول سوى أن يغتالوه فاغتالوه.

وكان هدفهم من اغتياله أن يعود الشعب المغربي إلى مهاوي الظلمات ويمزق كل ممزق في أعماقها السحيقة.

ولكن سقط في أيديهم وخاب فالهم.. فإن خبائث نياتهم الإجرامية المتربصة لم تغب عن زعماء قبائل المغرب الأبطال.

فما كان من أولئك الزعماء بعد اغتيال مولاي إدريس الأول إلا أنهم أجمعوا أمرهم وقرروا أن يحققوا كل ما كان جاهد لتحقيقه مولاي إدريس الأول من الاصلاحات مهما كلفهم ذلك من التضحيات. أجل قرروا أن يحققوا كل ذلك بإيمان وعلم ودراية ووعي وتماسك وصدق وإخلاص.

وكان من أثر اجتماعهم وتفاهمهم وترابطهم أنهم ولوا المولى راشدا رئاسة الدولة حتى تضع السيدة كنزة حملها.

وهكذا استطاع زعماءُ قبائِل المغربِ الأَبْطال أَنْ يُعِيدُوا إلى صُدورِ الأَعْداءِ المجرمين سهامهم الباغية ويقضوا عليهم القضاء الواعي الحق. وزعماء القبائل المغربية صنعوا كل ذلك لأنهم كانوا مقتنعين أنهم لو تنازعوا الأمر وطلبوه لأنفسهم، وغفلوا عن الفخاخ التي دسها الأعداء وراء اغتيالهم مولاي إدريس الأول لمزقهم تنازعهم كل ممزق وأهوى بهم في المهاوي المهلكة وأَصْماهمْ وأرْداهُمْ وجعلهم عبرة التاريخ وكانوا من ضحايا الغفلة والغباوة والطمع والأشرة والأثرة..

ولكنْ كُلّ ذلكَ ما كان ولَنْ يكونَ ما دَاموا مؤمنين صادقين ومواطنين أذكياء لأنهم يعلمون أَنَّ السمَ في الدسِم الذي يُفروْن به.

والمؤمن الذكي ينظر بنور الله والحب فيقي نفسه أذى سواه، ولا يؤذي سواه.

والمواطن الكافر ينظر بوساوس الشيطان والحقد فيؤذي سواه ويؤذي نفسه وهو يحسب أنه ذكي عبقري وما هو إلّا غبيٌّ إمَّعهْ.!!

ومهما يكن فعلام يختلف أبناء الشعب الواحد، ولماذا يكيد بعضهم لبعض، وما يصيب أحدهم من الهلاك والخزي لا بد أن يصيب الآخر..

وأحداث التاريخ تضج من مهالك زعماء الأمة الواحدة الذين يختلفون ويتقاتلون بأسبابِ دَسٍّ الأعَداء وتسربهم بينهم حتى أصبحوا سخرة الساخرين وتندر المتندرين.

ادخل متاحف التاريخ تر الجثَث الهامدة التي تحيط بها الغباوة والغفلة والجهلُ والنزق والغرور نادمة على ما فرَّطتْ مِن حيث لا ينفع الندم.

ومهما يكن فاختلاف الأمة الواحدة لا يكون إلا في الأمة الجاهلة المنحطة أو الأمة ذات الزعماء الدخلاء المتربصين بها الدوائر.

ولماذا يختلف الزعماء المثقفون الواعون الأمناء ولأي شيء يقتل بعضهم بعضاً وَلأيٍّ شيْءٍ يكيدون ويغتالون. والدنيا مَرْحلةٌ خَاطِفَةٌ وحلْم طائر.

أجل لماذا يختلفون ويتقاتلون ولأي شيء يغتال بعضهم بعضاً وهم في نعمة سابغة وسعادة وبهجة. وهم إلى جانب ذلك زعماء القبائل وأرباب الجاه الطويل العريض ولهم الكلمة النافذة المسموعة..

ألا يكون هدم كل ذلك من جراء الطمع المشؤوم والحقد الملعون والبغي الظلوم غباوة ما بعدها غباوة.

يشهد الله أن زعماء المغاربة كانوا مفكرين نبلاء ايقاظاً. حيث أجمعوا

كلمتَهم وَرعُوا السيدة كنزة حقَّ الرعايةِ وحيثُ أوكلوا الأمرَ للمولى راشد وكان توفيقُهم في كلٍّ ذلك عجباً من العجب.

في كـل الأزمان وفي كـل الأحوال وفي كـل المناسبـات ان النيات الصالحة تسبق نيل الأماني الصالحة وتفضي إلى الـظفر المؤكـد والفتح المبين والخير العميم.

وهذا الذي كان فما لبثت السيدة كنزة زوجة مولاي إدريس الأول حتى ولدت مولوداً ذكراً مباركاً هو مولاي إدريس الثاني وهم تعمدوا أن يُطْلقوا عليه اسمَ والدِهِ العظيم تيمناً أن يكون مثله بطولة وإيماناً وإخلاصاً وإصلاحاً وقدرة وعبقرية متفوقة وقهراً للأعداء المجرمين الذين لا يخافون الله.

وكل ذلك قد كان، وفوق كل ذلك قد كان. أجل كل ذلك تحقق بأعمال الإيمان وحكمته وكفى الله المؤمنين القتال.

ومهما يكن فما دَبَّر العُنْصريُّون الملحدون مُؤامرةً، وما نفـذها لهم الخونةُ المُغَفلون إلا وكان جزاء الجميع من جنْسِ العمل. وحوادث التاريخ القديم والحديث أكبر شاهد.

وما أنبل الزعماء الإنسانيين المصلحين الرحماء. إنهم حياة الأفـراد والجمـاعـات فعضـوا عليهم بـالنـواجـذ، وصُـونـوهم فصِيـانتُهم صيـانـةٌ للجميــع...!!

مبايعة مولاي إدريس الثاني

لما شارفت حياة مولاي إدريس الثاني الحادية عشرة من السنين جمع المولى راشد رؤساء القبائل ووجهاء الأمة وعلماءها وقادتها في مسجد وليلي الكبير. فبايعوه على ما بايعوا والده من قبل مولاي إدريس الأول. .

وكانت المبايعة مباركة أظهرت حكمة زعماء المغرب وبعد نظرهم وسداد اتجاهاتهم وجلال توفيق الله لهم.

وقد أظهرت هذه البيعة المباركة ما انطوت عليه نفس هذا الشاب الموفق من كنوز الوراثات الغالية، وجلائل المعارف السامية، وبركات النسبة الطاهرة ومحاسن الأخلاق الكريمة والاعتصام بكتاب الله وسنّة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

اظهرتها في الكلمة الأولى التي ألقاها في مسجد وليلي الكبير على الجماهير المحتشدة فيه فكانت آية على سعة أفق الفكر ونفاذ البصيرة والتبصر بمأتي الأمور والأحداث صغيرها وكبيرها وإصابة كبد الحقائق التي هي يقين الواقع. . .

الخطبة

قال. . . بعد الثناء على الله بما هو أهله، والصلاة على رسوله المجتبى. . .

«أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر،

وللمسيء الوزر، ونحن - ولله الحمد - على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا. فإن ما تطلبونه من إقامة الحق تجدونه عندنا».

تحليل الخطبة وكشف أهدافها

وهذه الخطبة على ايجازها ذات معان فساح. هي كالدرة اليتيمة المتوهجة على تاج السياسة المغربية المرضية المطاعة. إنها على إيجازها تعين التزامات السلطة بالنسبة للأمة، والتزامات الأمة بالنسبة للسلطة، مع النهوض بكل التكاليف العملية المسؤولة، بِصِدْق رِعَايةِ العقيدةِ الإسلامية.

والتقيدِ بِمثَاليَّة الغاية الْمَرْجوَّةِ مِن السَّلطةِ والأمةِ معاً، المحررة في إقامةِ مَنْطِقِ الحقِّ في مالهما وفي ما عليهما، دون إخلال أو تهاون أو التفات إلى الآخرين. إذ لولا الالتفات المريب إلى الآخرين لما هلك من هلك وفي الخطبة أن القيام بالحق محقق من جانب السلطة التي هو رئيسها الأعلى إذن فيكون الالتفات إلى الآخرين من أي كان من أفراد الأمة هو جريمة مؤاخذة وخيانة صارخة، لها عواقبها السيئة إن لم تصادر وكل ذلك آية على تأثيل الملك، على دعائم الحق، والحقُّ قوامه وحي الله تعالى:

﴿بالحق أنزلناه، وبالحق نزل﴾ [١٧ - ١٠٥].

وقال: ولينا الأمر ... ولم يقل وليتموني... وإن كانوا هم الذين اختاروه عن قناعة وطمأنينة، بما كان من مشاهد والده الرفافة في أنفسهم، وآثار إيمانه الكبير. بجلال الدعوة إلى الله. وبذل كل طاقاته لها.

ولم يكن عن تأثير أعماله هو في أنفسهم، لأنه مدرك أن أعماله لم تبلغ الرشد السياسي الذي يجعله ذا مودة وإيثار في أنفس الجماعات والأفراد الذين آثروه بالبيعة، وتحمسوا لها.

وفي الوقت تومىء كلمته إلى أن الله جل وعز هو الذي اختاره وولاه، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿قل اللهم مالك الملك تـؤتي الملك من تشـاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾. [٣ - ٢٦]

﴿.. إن الأرض لله يورثها مَنْ يشاءُ مِن عباده والعاقبةُ للمتقين﴾. [٧ - ١٢٨].

وهذا حق، فالله عز وجل هو الذي ألهم الذين بايعوه. الهمهم الحكمة النافذة والوعي والتقدير، ووزنَ الأمور في مـوازينها الصحيحـة الدقيقـة. وجعلهم يتعقلون أهوال المستقبل ومصاير الأيام، واقتحام المهالك، إن هم اختلفوا لا سمح الله.

هذه التصورات التي دارت في أنفسهم هي التي جعلتهم ينتظرونه وهو جنين في رحم أمه، وينصبونه ملكاً عليهم، وهو لا يزال يافعاً بقطع النظر عن آثار والده العظيمة الكريمة في أنفسهم وإن كانت رائعة رائعة.

وقال.. «ونحن ـ والحمد لله ـ على قصد جميل...».

والقصد مطلب خفي يظهر في العمل إن جميلاً وإن قبيحاً.. وهل من أعمال أدل على القصد الجميل من إقامة شعائر وحي الله، والتزام شريعته، والتقيد بأحكامها المشتملة على سعادة الجميع.

١ ـ مِنْ إيمانٍ عَمليٍّ صَادِقٍ.

٢ ـ وَمِنْ أَمْنٍ أمين عام.

٣ ـ ومن وحدة كلمة مكينة للأمة.

٤ ـ ومن معرفة حضارية إسلامية راقية.

٥ ـ ومن شوكة قاصمة لظهر كل متآمر على صيانة الأمة، إن داخلاً، وإن خارجاً.

٦ ـ ومن حسم للمنافقين المنتهزين الذين يتحركون في الظلمات، وينفثون سموم الكفر والإلحاد لتمزيق طاقة الأمة بالكفر، وتبْديدها في مركز القيادة.. ظاهراً وباطناً.

هذا مجمل ما يفهمه المثقف من قوله: «ونحن ـ والحمد لله ـ على قصد جميل».

وجاء في الكلمة:

«فلا تمدوا الاعناق إلى غيرنا فإن ما تطلبونه من إقامة الحق، إنما تجدونه عندنا..».

جاءت هذه الجملة تأكيداً شاملاً لكل ما أشرت إليه بل ولكل ما يحمل معطيات خاتم الوحي الإلهي للإنسانية كافة من بركات وطيبات وأمجاد.

وكم من كلمات رائعة قرأْتُها لحكام انتخبوا لرئاسة السلطة العليا في المغرب قديماً ولكن لم أجد أروع بياناً، وأحكم أداء، وأبعد نظراً، وأصدق إعلاناً في تطبيق الأفعال على الأقوال، مثل ما كان من مولاي إدريس الثاني.

وهل من مطلب لطالب بعد قوله: «فإن ما تطلبونه من اقامة الحق، إنما تجدونه عندنا».

وهل تطلب الرعية المسلمة من راعيها سوى تطبيق الأحكام المنزلة من رب العالمين الْمشْتَملةِ على حِفْظِ ممتلكاتها وأعراضها، وأن تأخذ ما لها، وأن تعطي ما عليها مع الانقياد للعدل المطلق والانصاف.

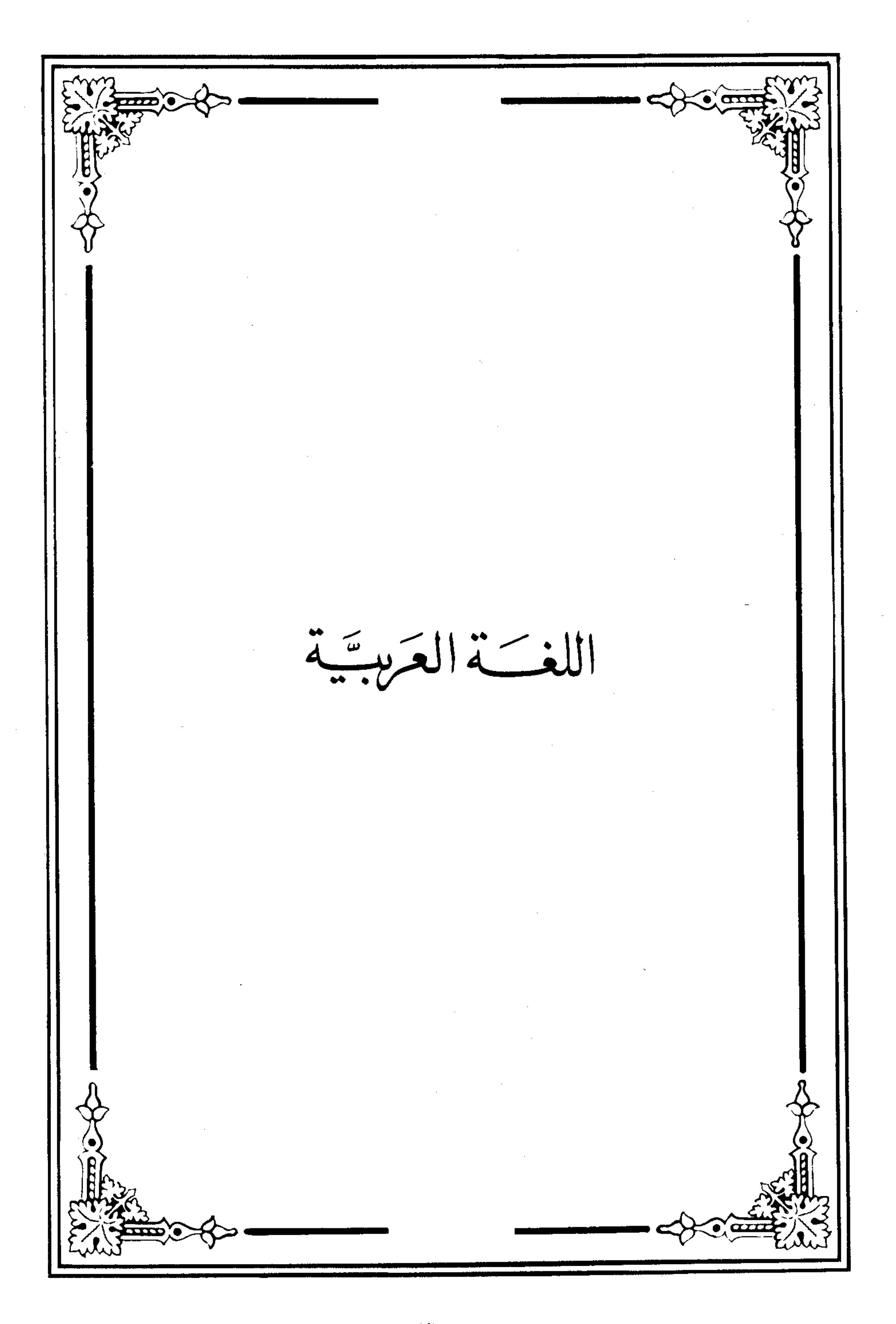
وما دام الراعي موجهاً كل عزائمه وطاقاته وأعماله الساهرة اليقظى، من

أجل ذلك فما للرعية من مطلب بعد ذلك وما عليها سوى الطاعــة.

والسلطة هي القادرة أن تقطع الأيدي التي تمتد في جنح الظلام من وراء وراء لتمزيق كلمة الشعب، ودس المؤامرات، وتأليف العصابات فما على الرعية إلا التزام الطريق السوي طريق وحي الله والانتباه لدى الأعداء.

ومهما يكن فهذه الكلمة على إيجازها، صريحة في أن الذين يمدون أعناقهم إلى هنا أو هناك.. أي إلى سواه كما يقول مولاي إدريس الثاني هم حتماً مجرمون دساسون دخلاء متلونون يتاجرون بدماء الأمة في سوق النخاسة.

وهي على صراحتها حق صارخ، وبرهانها قائم دالٌ على شخصيته الفذة الناشئة في طاعة الله وفي طاعة خاتم وحي الله المنزل على خاتم رسل الله صلوات الله وسلامه عليه. وإني أقول بصـراحةٍ إنَّ الفضـلَ كلَّ الفضـل للمربي المصلح والمؤمن المُضَحِّي مولاي راشد جعل اللهُ مثوَاه في عليين.

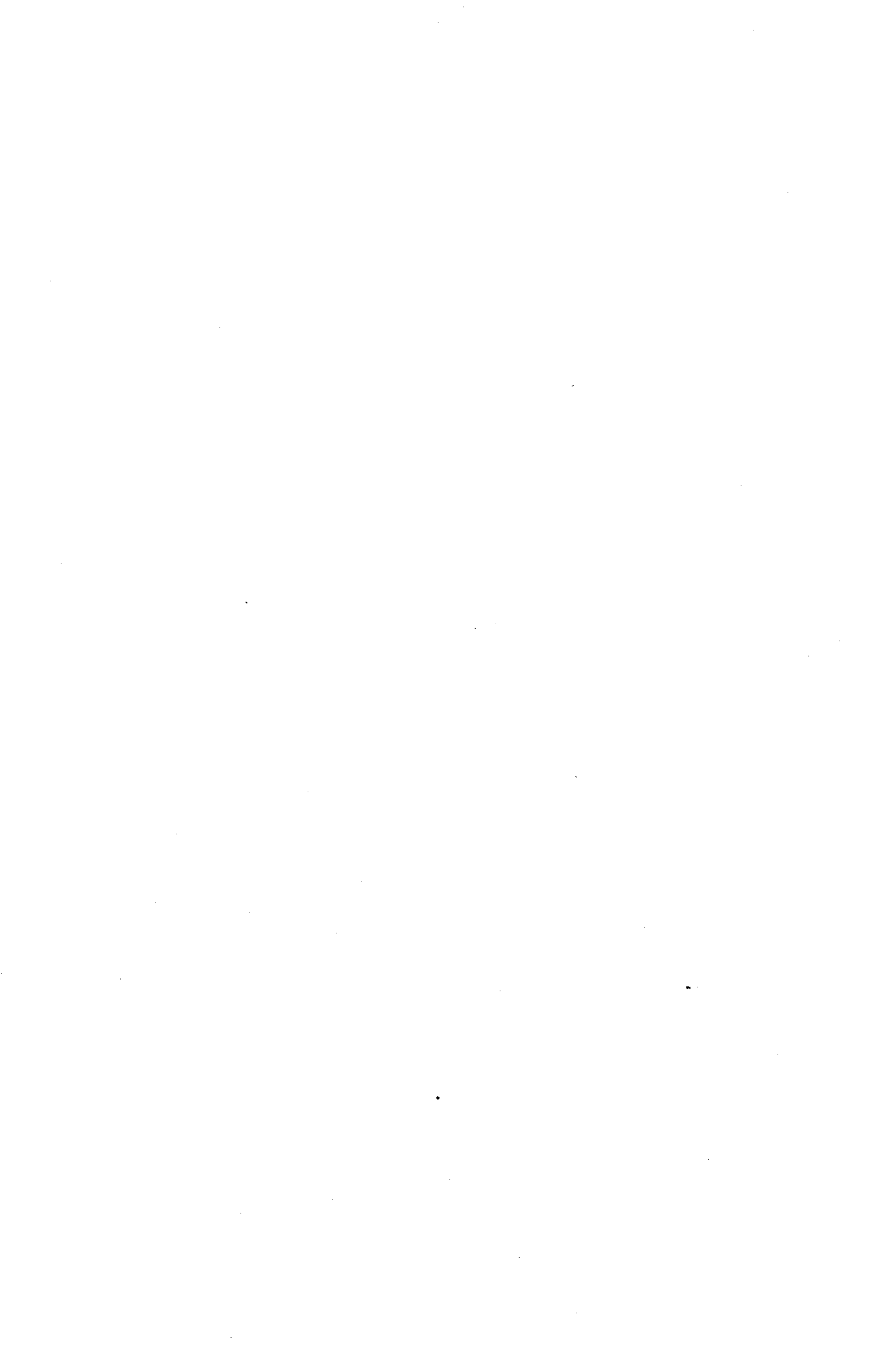


اللغة العربيَّة



اللغـــة العربيّـة

الكلمـــات



البيان والإعراب في لُغة القرآنِ

هو حَركاتٌ وسكناتٌ ذواتُ رنَّاتٍ مُوسيقيةٍ جذابة تسيلُ سِحْراً حَلاَلاً بَجَرْسٍ من تَجْويد الحُروفِ مختلفٍ إرْتِفاعاً أو انْخفاضاً أَوْ وسطاً بين نَغماتٍ كنغماتِ الأوْتارِ الموزونةِ بموازين مهارة الْعِلمِ والذوقِ والفن وتنوّع الدلالة.

ويلذك تَوْثِيقُها بسلطانِ الْبيانِ العبقريِّ ونشوةِ الصوتِ السَّويِّ وحُسْنِ مَطلعِ الفجرِ الجليِّ. في الشرق: وفي روعة إعجاز الإعراب المجوَّد الرفيع يتبين تَهاويلَ جماله ذو العلم والذوق والفن في أعلى طبقاته البلاغية وذلك يكونُ في محراب آياتِ وَحْي الله المعجز المتحدي وبعدَ ذلك تتفاوتُ درجاتُ البلغاء فبيانُ رسولِ الله ﷺ في أَوْج القمة الْعلْيا..

ويليه ﷺ في الأصالة والحُسْن والإحسانِ خطباؤه وشعراؤه الذين اقْتبسُوا من أضوائه واستقوا من يَنابيعه وارتوا من فراتِه الحلوِ الصافي وناهيك بمراتب الجاهلية الأولى أبناء عكاظ الذي كان على نهجِ بيانهم الالتزامُ والإعجازُ والتحدي في رُوحِ وَحْي السماء.

وما زَالَ حالُ البيانِ في قوةٍ حيناً وفي ضعفٍ حيناً وِفْقَ التطوراتِ والدوافع والحَماساتِ، وَوَفق تَوفر أبطاله القادرين وما زالَ البيانُ يتداولُهُ الأدبُ العربي ويضطردُ قوةً وضعفاً. حتى وافى الحضارةَ الماديةَ الحديثةَ بعد نوْمِ عَاسَفٍ ينطقُ الجمادَ ويحرك الصلدَ القاسي ويديرُ الأمور بأسباب من الخلافات والخصومات والمُحاورات المسمومة في صميم جزيرة العرب التي

هي القلب العطوف لهذه الأمة، ومنها كان منطلقُ العملِ الدؤوب الناهض بلغتِها وحينَ تمزق هذا القلبُ بتلك الصورة الواقعية الفاجعة تمزقتْ وحدةُ الديارِ وصدق القائل يومئذ:

وَترى الديارَ مِنْ اخْتلافِ أُمورِها نَطَقَ البعيرُ بهـا وَعَيَّ الْحـادي

ولولا أنَّ الله تداركَ هذه الجزيرة العربية بروح من عنده فأيدها بابْنها البار الملك عبد العزيز آل سعود الذي أيقظ في أهلها روح الوحدةِ والتفاهم وأهاب بهم صارخاً الفجَرَ الفجر وأذَّن فيهم أذانَ الفجرِ الصادق بعد انقشاع الظلمات ونادَى وكرَّر النداءَ هيا هيَّا إلى خيْرِ العملَ.

وكان الصوت سماوياً دَاوياً حاسماً نفذَ إلى شِغافِ كلِّ قَلْبٍ وتسابقت أمةُ جزيرة العَربِ هاتفةً ملبية النداء.

وإذا هي صورةٌ مصغرةٌ في حَمَاسَتها عَنْ سلفِها الصالح في إيمانها بالله الخلاق العظيم وفي حماسةِ أخذها الإلزامي بآيات وَحْي الله وفي سامي افادتها بحكمة تشريعه وكريم أخلاقياته وسلاسة بيانه وفي علو إنسانيته وكبير تسامحه وفي حُسْنِ إحسانه وعفافِه وتضحياته .

وكان قد دَسَّ في تأويل آياتِ الله المتواترة مَا دَسَّ بَعْضُ الملاحدةِ الزنماء حماقةً ورعونةً ووضعُوا في مسيرةِ نهضتها الْمَهاوي والعثرات والعقبات حيناً في العقيدة وحيناً في الأخلاقِ والسلوك وحيناً في اللغةِ التي هي البساطُ الذي يَطيرُ ويصعد بالجماعات والأفراد الى فهم هُـدى الكتاب المـوحد لكلمتهم والمهذب لنفوسِهم والجاذِب لقلوبهم بوحدة النور والهداية وبوحدة الكلمة على الرَّغم مِن دس أعدَائهم الظَّالمين.

وكم هم مساكين غَلبتْ عليهم شِقوتُهم إذ لو علموا يقينَ ما فِي كتابِ اللهِ مِنْ حقائق العلم والهدَى والسعادة لهم ولكل من آمن لكانُوا هم أسبقَ

إليه أخذاً مِنَ العرب ذَاتِهم ولكنهم أطاعوا هواتف الشيطان في أنفسهم فحاد بهم عن سبيلِ الرشد والهدَى.وهوَى بِهم إلى أسفل سافلين مِنْ أدَراكِ جهنم واستحقوا ذلك لأنهم رفضُوا رحمةَ الله ونورَ العلم والحقِ وآثروا عليه الكفرَ والإلحادَ والنفاقَ وباطلَ الحقد الخاسر فأخذوا لغةَ القرآن بأساليب الشيطان لأن النطقَ بها صَحِيحة هو حق لكل إنسانٍ في هذه الأرض ولأن مجالها العقيدةِ والنفس واللسانِ ولا سُلطان راغم لأحدٍ على ذلك وَتَصَنَّعُوا الهدمَ بمعاولِ العسجد واللجين وباسْم الحكمةِ والعلم والفن، وبألوان شبهات الاصلاح والنهضة والعمران وزعمُوا بذلك يتمُّ صُعودُهم إلى سطح القمر، وبدونه لا..

وزعمُوا أنَّ اللحاق لا يكون إلا إذا أبطل إعراب الكلمات في النطقِ وتصبح اللغة أسوةً بلغات الغرب سكوناً إثْر سكونٍ وعجمةً في رطانةِ نَتنةِ قَذرةٍ مجرمة أذاقهم الله السكُون الأبدي في النواويس والرموس والأجداث. جزاءً وفاقاً.. «وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها». ولا ظلم.

١ ـ هذا رأي فئة.

٢ ـ ورأيُ فئةِ أخرىَ لا بدَّ أن تكون النهضة علمية مَحْضة ولا تكونُ علمية محضة إلا إذا أقْصرنَا لغة العرب على التاريخ والحكمة والأدب والدين.وأبعَدْنا عنها العلم والطب.

وبما أن النهوض الحضاري قوامه العلم والطب فتصبحُ اللغة العربية مشلولة ذات جناح كسير مهيض. ويوشك أن يتم ذلك.

٣ ـ وفئة اقترحت فكرة جهنمية لإبطال الإعراب ومعلومٌ أنَّ ألفاظَ النهضة الحديثة بلغت الملايين فلماذا نَتْعبُ دولَ العرب وعلماءَهم في اشتقاقِ كلمات جديدة من لغتهم لاَ حاجَةَ إلى ذلك: الكلماتُ الأجنبية

يسكنونها في صميمِ اللغةِ العربية فنقول تلفزيون وراديو وأوتونبيل وأوكسجين وأدرجين وتلفون وهلم جرا. .

وفي ذلك فائدةٌ وراحةٌ لجهد العلماء وافادةٌ للناشئةِ العربيةِ التي سَوفَ لا تتكلمُ لمصلحةِ مستقبلِهَا إلاَّ بلغةٍ أَجْنبيةٍ فما حاجتُها إلى اشْتقاقِ كلماتٍ عربيةٍ. تقتضي معاجم جديدة وتقتضي تأسيسَ مجامع ذات نفقات باهظة وكلُّ هذا لا لزومَ له ما دَامتْ تأتينا الألفاظُ من اللغة اللاتينية صافيةً وافية كافية. . ومن الكيد والدهاء والإلحاد واللعنة والخبث نَسْمَعُ مَنْ يناديك بمودة يا أخي العلمُ اليوم جاء باللغات الأجنبية فعليك بها. فلا تكنْ متخلفاً. والدهاء ذو أبعادٍ هدامة ظالمة. . هم يُريدون أن نَصلبَ لغتَنا بأيدنا وهم يكرمونَها فيجعلون صلبها على جُذوعِ الزمردِ والياقوت والمرجان. .

فهل بعدَ ذلك من تكريم واحتفالٍ ومهرجان واكبار يا سلام: يا سَلاَمَ أبداً أبداً لا تكريمُ بعد هذا التكريم الأبدي الصامت. هو أشبه بتكريم نيرون حين أحرق روما. .

٤ ــ وهناك زمرة تقولُ:لا بُدَّ أنَّها ترجعُ لأصول أعجمية مُسَمَّمة:تقولُ نحن نتكلمُ اللغة العامية ويجب أن تدرسَ اللغة العاميةَ وما يضيرُ أن نُصبح ألفِ أمةٍ هذا شرفٌ عظيم بدلاً أن نكونَ أمةً واحدةً على أن اللغة العربية إذَا ماتتْ فهناك آلاف آلاف من اللغات ماتت وأهلها في سلامةٍ وعافيةٍ هذه اللغة اللاتينية ماتت ومع ذلك فرنسا وايطاليا والبرتغال واسبانيا أحياء وكذلك تموت لغةُ العرب ويظلُّ العرب أحيــاء.

الله أكبر ما رأيت لَعْنةً أَفْدحَ ولا أهولَ ولا أوجعَ من لعنةِ إبليس إلا هذه اللعنة المجرمة الجانية. ولا أدري ما يكونُ من أمر أعداء اللغة العربية الظَّلمة الفجرة الذين لا يَخافون الله ولا العلمَ ولا الإنسانيةَ. . إني أشاهدهم

بدائيين في المعنى الإنساني.. قد يأتي منهم يقولُ: إن اللغة العربية مفتقرةِ إلى دماء جديدة كالحروف الأجنبية وكأصول قواعدها الحضارية، وسوى ذلك. وهذا مفيد جداً ويقول والهواء الأصفر قَوْلُـه: يقول حـرامٌ دراسة اللغة العربية لأنها تفقد مجالاتِ الحياة فلو جاءَ الجاحظُ أو المتنبي أو ابن المقفع لما وجدَ مَنْ يصافُحه تقديراً لإحسانه اللغة العربية إلى سوى ذلك من الأفداح والأهوال التي تسمعها. منهم في مجالسهم، قُل أعوذُ باللهِ من شياطين الإنس والجن. ودعهم في طغيانهم يعمهون..

يا لَيتَ أعواد المشانق يرفعون إليها تقديراً لأقْوالهم النافعة لأبناء المجتمع العربي.

العنصريون وأعمالهم ضد لغة العرب

يا ويلتـــاه

الغريزيّون المُنْحطُون من البشرِ همُ العُنْصريون الانتهازيُّون الْغـادِرُون الذين يحملونَ مَوارِيث الغاب وهم بحكمِ المواريثِ التي يَحْمِلُونَهَا تَجدُهم أبداً:

١ ــ إمَّا في تَرصُّدٍ للآخرين..

٢ ــ وإمَّا في دَسٍّ عبوةٍ مُؤامرةٍ نَاسِفَةٍ في زَمَنٍ مَوْقوتٍ..

٣ ــ وإما فِي بَثٍّ دِعاياتِ لِنِحْلٍ ومذاهب وأحزاب إبـاحية مُجْـرمة فتَّاكة.. قَطْف ثمارِهَا المميتة يبعدُ ويبعدُ حتى يكون بعد ألفِ عامٍ وأزيد، ويقربُ ويقربْ حتى يكونَ بَعْد سَاعَاتٍ ودَقائِق بل بعدَ ثواني.

وَإنَّ هؤلاءِ العنصريين الغريزين لَم تؤثرْ في تَهذيبِ مَجْموعاتِهم النفسية التطوراتُ الحضاريَّة بل ولم تستطع أَنْ تقتلع منهَا إنطباعاتِ مواريثِ الغاب مِنْ إنعزاليَّاتِها وانْتهازيَّاتها وانْقِضَاضِيَّاتِها وتجهماتِهَا: وكلُّ ذلكَ ضِدَّ السموِ الحضارِي المنزل مِنَ السماءِ لإخْراجِهم مِنْ ظُلماتِ التُّرابِ إلى أضـواءِ النجوم السواطع..

بلْ هم يَمْقتونَ وَحْيَ السماءِ ويمقتونَ اتّجاهاتِه الحضارية العَالية وهمْ فِي كلٍّ أمةٍ خَبائثهَا المنفرةُ وفضلاتها العَفنةُ وأوبائها السَّارة وبلاياهَا الفادحة.

وهمْ فيهَا الإِبَاحيُّونَ الملاحدة والمجرمون الفُتَّاك والمستهترونَ بأمجادها الإنسانية، وهم الزمرةُ الذينَ يَترصَّدونَ للْمفكرِّين الأبرار بمغْرياتِ النَّزواتِ وإباحةِ المآثم وتزينِ النزعات.

أجلْ هم الذين إذَا أبصرُوا فِي أيَّةِ أمةٍ زمرةً إنسانيةً كريمةً تُمجدُ الهُدَى والحقَّ والعلمَ والتسامحَ ومكارمَ الخلقِ يَحْقدونَ عليها ويتآمرون بها ويَلْتقُون في مَسِيرتِها العقباتِ ألاَ إنَّ هَؤلاءِ هُمُ الذين يَحْملون على خاتِمَ وَحْيِ السَّماءِ القرآن المجيد بمُفْترياتِهمْ الشعواء ويتآمرونَ عليه أفدحَ المُؤامراتِ وَيشوهون حقائقه بشرورِ أنفسهم وسيئاتِ أعمالهم. الا بعداً للقوم الظالمين.

يَفْعلونَ كلَّ ذلك وهمْ علَى يقينِ الْعلم أنَّ حقائقَ وحْيِ اللهِ لا تُشوهُ ولا تُهدمُ ولو اجتمع كل عُلماءِ العوالِمِ في صَعيدٍ واحد وأَجْمعُوا عَلَى ذلكَ.

أَلاَ إن حَقَائِقَ وَحْيِ اللهِ أضواء عبقرياتٍ في مَحاريبِ السَّماء وابتكاراتُ تَحدِّياتٍ في أروقةِ الْجامعات وروائعُ افْتِنان في الأدب وَهُوَ في كلِّ عَصْر وزمانٍ ولدى كلِّ دولةٍ مِحْوَرُ التأْليفِ وتَحْبيرِ الأسفار وتدوينِ المَعَالم ودوائِر المعارف فِي يَقينِ الْعِلم وسُمُوِّ الأدب ومَجْدِ الفَنِّ في كلِّ حضارةٍ في مَا مَضَى وَفِي مَا حضرَ وفِي ما هُو آتٍ وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ..

وإذا قلتَ إن هناك فئةً أعجميةً مُترصدةً زنيمَة مَا هِيَ بعربيةٍ ولا أعجميةٍ ولا هي بمؤمنةٍ صادقةً ولا بكافرةٍ معلنةٍ بل هي متلونةٌ تمدُّ الأوساط العربية الأصيلة والأوساط الإسلامية الصحيحة بتوهينِ لغةِ وَحْيِ السماءِ وتحطيم مُمارسَتِهَا في كلِّ مجالاتِ الإثراء والوظائفِ الحكوميةِ ومناطِقِ الاقتصاد والتطورات العلميةِ وعن المصارف لكي تَظَل وَحِيدةً منكمشةً مُعْدمةً لاَ رَجَاءَ فيها ولا أمل لها.. تلك الفئة المتعصبة هي التي تقومُ بوضعِ فخاخ الأبالسة لَدى الشبيبة الشَّادية في كلِّ اتجاهاتِها لأنَّها دخيلة في أمة العرب.

وكم هو الدهاةُ في تسميمِ براعِم العروبةِ الأصيلة ولغتهم أنّى وجدوا..

ولا نازلَةَ في دنيَا تاريخ العروبة نزلتْ بها تُشْبِهُهَا نعم كان مثلها في عَهْدِ ابن طولون لمَّا حاولَ هدمَ شِعر العروبةِ الفصيح بتقديم الشعر العامي عليه ونسي ابنُ طولون ومن كانَ معه أنَّ لغةَ العروبةِ نفخَ اللهُ فيها روحَ الإعجازِ والتحدي لتكونَ عيداً لأوائِلنا وأواخِرنَا وموْتاً قَاصِماً لأعْدائِنا.

وفي كلِّ لغاتِ الدنيا تموتُ تراكيب أساليب الكاتبينَ ولولا ترجمةُ ما تشتملُ عليه من المعاني إلى ما جَدَّ مِنْ أساليب لهجات أُخْرىٰ لماتت ما تشتملُ عليه من المعانِي ولَمَا عَلم بها أحد.

أما إذا رأيتم شعراءَ لغةٍ وَكَتابَها وخطباءَهَا تمرُّ الأحْقابُ تلوَ الأحقابِ والأجيالُ تلوَ الأجيالِ وتراكيبُ أساليبِ أدبائِهَا ما تزالُ حيةً هِي هِيَ وتؤدي ما تحويه من المعاني بذاتِها دونَ حَاجةٍ إلى ترجَمَتِهَا إلَى تراكيبِ لغةٍ أخرى جديدة.

فاعلمُوا أنها هي لغةُ الحياةِ الأبديةِ لغةُ الخلودِ النابضةِ الرَّفافة بأضواءِ النجوم اللغة التي نفخَ اللهُ فيها روحاً مِنْ أمْره لتدلَّ على الصراط المستقيم إلى يَومِ القيامةِ بسرِّ الروح الى نفخها الله فيها:

﴿..وكذلك أوحينا إليك روحاً مِنْ أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ ولكنْ جعلناهُ نوراً نَهدي به من نشاءُ من عبادِنَا وإنكَ لتهدي إلى صِراطٍ مُسْتقيم،صراط اللهِ الذي له ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ ألاَ إلىٰ اللهِ تصيرُ الأمور﴾ [٤٢ ـ ٥٢ و ٥٣].

ولولا أنَّ اللهَ نفخَ في لغةِ العربِ سرَّ الروحِ لما رأينا مثلاً شاعراً كعنترةَ بنِ شداد العبسي تمرُّ على شعره الأجيالُ تلو الأجيال وما يزالُ شعرهُ طريًّا رَخْصاً يتفجَّرُ بنبضاتِ الحياةِ وشُعلاتُ الأضواء تمُوجُ فيه معانيه مَوْجاً

ويحظَى بإعجاب الإِنْشاد ولذةِ الترداد، ويعاطينَا الحياةَ ونعاطيه كـــأنَّ صيَّاغَته لم يجفَّ مدادُها والفضلُ كل الفضــــل لروحِ الحياةِ الأبدية التي نفخَها اللهُ في لغتِهِ بسرِّ وَحْيِهِ القدسيِّ الصارِخ **﴿إنا نحنُ نزلْنَا الذكرَ وإنَّا لَهُ لحافظون﴾**.

هذه إرادةُ اللهِ في لغةِ العرب وليس في مقدورِ الجن والإنسِ ولـو اجتمعوا ألفَ ألفَ اجتماعٍ أَنْ يبطلُوا إرادةَ الله «ويحذركم اللهُ نفسه»[٣ - ٢٨]

وما شأن تلامذةِ الصهاينةِ في محاولةِ توهينِ أمجادِ لغةِ الخلود لغةِ القرآن لغةِ العرب بُعْداً لهم أَلْفَ بَعْدٍ، يا مَجانينَ مَنْ أنتم حتى يدورَ في خلدِكم أَنكم قادرون على إبطالِ لغةِ العرب من الجامعاتِ والمجامِع ومن الألسنةِ والصحافة وهي فوق قمم آداب الأمم. وأبديَّة إعجاز الكلم.

هَذا بعيدٌ بعيدٌ بعيدٌ وَقُــلْ أبعدَ مِنْ عوالم الْمجرَّات والذين يحاولونَ بشتَّى الأساليب القضاءِ على هذه اللغةِ قليلاً قليلاً مرةً في إعرابها ومرةً في إبعادِهَا عَنِ العلومِ والمعارفِ. ومرةً في عَدم تعريبِ مَا يَجِدُّ مِنْ المخترعات بمشْتقَّاتها ولو كانتْ سهلةً سهلةً هم الذين يُصرُّون على قـول سندويش وترفضون أن تقول شَطيرةً واسمنتَ ولا تقول تُرابةً، وتقولُ فِيلاَ ولا تقولُ صرحاً أو قصراً، وتقولُ كوبري ولا تقول جسراً، أي تَعْدلُ حتى عنِ الألفاظ العربية الأصيلة السهلةِ الموجودةِ وتستعملُ سواها عمداً. لعنها اللهُ ألف لعنة.

مَساكين الـذين يُـزَينـونَ ذلـك أنهم يعـودون بعـدَ طـولِ المـطافِ بالوبالِ والخسران والانحطاطِ وغضب الواحدِ القهار هم يحاولونَ هدمَ لغةِ القرآن زَاعمينَ أنَّ آدابها باضَ وفرَّخَ عليها الدهرُ وَزَاعمين أن الجيلَ الحديثَ لا يلذُّ له إلَّا أدبُ الخلاعةِ والمجونِ والعري الصّحفيِّ الذي يعلونه فِي صفحاتِهَا وإباحاتِ تَمْثيلياتِ الفيدا ونزواتِهَا المحـرفةِ وممـارسَاتهـا الشاذةَ المجرمة.

وناهيك بالصور التي يضعها الأفرنج كعَناوِين على صَفَحاتِ مجلاتِهم التي هِيَ في زعمِهم تحملُ أعلامَ الهدايةِ والـرَّشادِ والنَّجـاة مِنْ مهالِـك التخلفِ الحضاري المادي والأدبي. وفي التخلف الهلاك.

واغربُ ما كان فِي هذا الأمر أني سمعتُ مَنْ يقول نحن لا ننجحُ ولا نحفظُ كيانها ولا نسودُ ونقودُ إلا بجمالِ الفنون في المسرح العاري وفي المجلاتِ الحرة وبدونِ ذلك لا يَتمُّ لنا شيءٌ، هذَا صحيحٌ إذا كانِتِ الفنونُ مع العلوم شَرْقيةً محْتشمةً تواكبهـا نهضةٌ علميةٌ صاعدةٌ أما إذا كانت الفنون عارية والتمثيلُ إباحياً، مَصْنوعاً في حانات الصهاينةِ السرية لافسادِ طَويَّاتِ الشباب تجاهَ دينهم ولغتِهم وتاريخهم ودولتهم وبلادهم.

فالهول يكونُ مهدِّماً والبلاءُ يكونُ مهلكاً والفتنةُ تكونُ عمياء ومحاربة الدِّين والخلق واللغة الشريفة تكونُ هوجاءَ عاصفةَ والنجاةُ حينئذ تنعدمُ كلَّ الانعدامِ استيقظُوا يا ناس اسْتيقظُوا قبل وفات الأوان..

الرأيُ ليس نافعاً إذا أوانه مَضَى..

والـرأي قبـل شجـاعـة الشجعـان
هــو أول وهي المحــل الثــاني

حِقْدُ الحسدِ على لغةِ العرب

لَا انْحطاطَ أحطُ ولا وضاعةَ أوضعُ ولا حقارةَ أحقرُ ولا نذالةَ أنذلُ ولا لعنةَ العنُ مِنْ حقدِ الحسد.

وهل يحسدُ الحاسدُ النعمةَ التي أنعمها اللهُ على محسودهِ إلَّا إذَا كانَ منحطاً حقيراً، وَنَذْلاً لعيناً، وقزْماً جُرزاً..

وحقدُ الحسدِ مرضٌ نفسيٌّ وبيلٌ كالحُبِّ تماماً إلَّا أن الحبَّ لذةٌ وقلقٌ وسَهدٌ. والحسدُ ألمٌ محضٌ وسهدٌ قاتلٌ ولا يصدُر إلَّا مِنْ أوضعِ البشرِ وأرْخصِهم وأَحْقدِهم وأحْقرِهم وأعجزِهَمْ وَأوشابهم..

والحسدُ أضرارُهُ على الحَاسدين هَائِلةٌ حسدوا رَسولَ الله ﷺ على مَا تَفضَّلَ اللهُ عليه مِنَ الرتب والعطايَا وما خصَّهُ به من جَلِيلِ الْمزايَا..

وكم آلمهـم لمَّا علمُوا أن اللهَ جعلهُ خاتمَ رسلِه وأنزل عليه خاتمَ كتبِهِ السَّماوية وجعله رحمةً للعالمين. وكل ذلك ضاعفَ حَسَدهمْ..

ولو علمُوا أنَّ العطايَا هِيَ قِسْمةُ المُعْطِي الرحمن الرحيم وليس في مقدور أحدٍ من سكانِ الأرضِ أو من سكانِ السماواتِ أنْ يعطيَ نفسَه ذرةً مِنْ رحمـةٍ غيرِ دَاخلةٍ في علم الله الأزلي، لمَـا حَسدُوا: والحـاسـدونَ الحاقدونَ هم في يَقِينِ الواقع لا يَحْقدونَ على رَسُولِ اللهِ لكبيرِ نِعمِ اللهِ عليه بل يحقدونَ على الله المعطي رب العالمين.

هم مساكين ولو أنهم أنعموا أنظارهم في أسرار وحي الله وعلموا حقائقه العلمية اليقينية العظيمة لكانوا أسبق السابقين إلى الإيمان به والدعوة له والذود عنه انظروا هذا رسول الله قد جمع الله فيه مزايا الهدى الموزعة في كل الناس، والمحققون من العلماء يلمسون ذلك.

.. وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

وهكذا كان رسول الله هو الواحد الذي جمع الله العالم فيه رغم حسد الحاسدين الكفرة الظلمة. وهو الذي تفضل الله عليه بما تفضل من أمجاد لا نِدّلها وفي ذلك يقول الله جل جلاله:

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله﴾ [٤ ـ ٥٤].

وأكثر الحاسدين هم من أحبار اليهود وممن أثروا فيهم لأنهم هم أعلم البشر بصدق رسول الله وبصحة الوحي المنزل عليه، ولكن الحسد هو الذي جعلهم يرفضون الإيمان وجعلهم يقاومونه سراً وعلانية..

والقلة من اليهود الذين آمنوا وجاهدوا في سبيل إيمانهم وماتوا أبطالاً كراماً كمخيريق وزيد بن الثعنة وعبد الله بن سلام وسوى هؤلاء خلق كثير.

ولا تزال أضرار الذين ظلموا أنفسهم ورفضوا دعوة الحق ما تزال تدبر متلاحقة حتى عصرنا هذا أي لا يزالون يبذلون كل ما يبذل لإخراج الذين آمنوا من إيمانهم، وفي ذلك نزل قول الله عز وجل:

﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ [٢ ـ ١٠٩].

ومن اطلع على مؤامرات أكثر اليهود ودسائسهم ضد دعوة الإسلام قديماً وحديثاً يعرف كيف يدسون السم في الدسم لأجل ذلك..

وباعثُ حقدِهمْ وحَسَدِهَمْ على وحيِ اللهِ هو أنهم عرفُوا أنه الأساسُ الجامعُ بكلِّ الحقِّ والعلمِ لكل أهلِ الدنيا لذلك طفقوا يدبرون المؤامرات تلو المؤامرات ضد لغة القرآن.

وإني كنت أسمع في البلدان التي زرتُها وتحدثْت إلى أهلِهَا حِقْداً متوجهاً مِنْ بعضِهم ضدَّ لغةِ القرآن وإليكَ سلسلةَ بعض ما سمعتُ ورأيت.

١ ـ رأيت أناساً يستعصي عليهم إعرابُ المثنى في تراكيب الجمل على وجهه الصحيح فقالوا لا حاجة للمثنى في اللغة أسوة باللغات الأخرى وكذلك الشأن في الأسماء الخمسة.

٢ ـ ورأيت آخرين يُحاوِلونَ إبْطَالَ إعْرابِ أواخرِ الكلماتِ ويكتفونَ بالنطق بها ساكنةً علىٰ طريقةِ اللغاتِ الأجنبية. والغاية هي إبطال صحة النطق بإعراب القرآن المجيد.

٣ ـ وهناك إغراء خَفِيٌّ مُوَّطدٌ بدهاء لهدم اللغة العربية في لُفافةٍ من السُّموم يفرض استعمال الألفاظ الأجنبية بكل علاتِها بعجْزِهَا وبُجْرها في صميم اللغة العربيةِ دونَ تعريبٍ أو تَشْذيبٍ معَ الحفاظِ على مخارج حروفِها ضخامةً والتواءً ونفخَ منْفاخ الشِّدقين فإذا استعملَ حسن الزيات البيانِ بحذفِ الواو إعراباً أصرَّ أن ينطقَ بيانُو بالواو الممدودةِ المضخمة وإذا قالَ سِواه الرادُ بدلاً من الراديو بالواو أصر علَى استعمالها بالواو الأجنبية المضخمة كذلك.

وهكذا يرفض أن ينطقَ إذا أمسك سماعة الهاتِف أَلاَ التي هي أداةُ تَنبيهٍ وينطقُ بها بالواو. ويزعمُ أن لفظةَ بُـور خيرٌ من لفـظةِ ميناء وهي أجـدر بالاستعمالِ لأن التجدد عنوانُ الصعودِ الحضاري كأننا لا نصعدُ حَضارياً إلا إذا هدمْنَا لغةَ القرآن المجيد ودسنا على تأريخنـــا..

وَمِنْ أجل ذلك يرفض أن يستعمل لفظةَ جسرٍ وينادي كبري وإذا وضع عُنواناً لمنزلهِ أو قصره أو صرحه أو مغناهُ آثر كلمةَ فِيلا ولم تعجبْه كل ما جاء في معاجم اللغة العربية وقد سمعت من يقول زرنا فِيلا الحمراء في غَرناطة ولم يقلْ قصرَ الحمراء ينطقُ بها باعوجاجٍ ليكونَ مُجدِّداً مرْموقاً بل يزعم ان ذلك هو التقدُم الصاعدُ وإذا سَمع كتبةَ الصحف العرب يَسْتعملونَ الألفاظ العربية الأصيلةَ يسخرُ منهمْ ويرَى ذلكَ رعونةً وحَماقةً وخَذْلقةً وينادي يَا عرب خُذُوا الكلماتِ من القواميسِ الأجنبيةِ، كما هي فإنَّ ذلك يُعينُ الجيلَ الصاعدَ على حُسْنِ النطقِ باللغةِ الأجنبية إذَا تعلمها ويقولُ لغةُ العرب يجبُ أن نقصرها على الأدبِ فقط فهي لا تصْلحُ للعلمِ ولا العلمُ يصلحُ لها وإذَا قلتَ للمتآمرين على لغة القَرآن المجيد، هذه دولةُ اسرائيل تستعمل الألفاظ العبرية القديمة بكلِّ إصرار أجاب هم جهلة وقال يجبُ على كلِّ قُطْر عَربي أنْ يختارَ لَهُ لغةً علميةً فلبنانُ والجزائرُ وتونس والمغربُ الأقصى يعتمدونَ الفرنسيةَ ومصرُ وبغدادُ والأردنُ يتخذون الانجليـزيةَ وليبيـا تتخذُ الايطالية.

وهناك لغاتٌ حيَّة كالألمانية واليابانيةِ والصينيةِ يمكنُ لأي قُطْر عربيٍّ أن يتخذُها لغةً علميةً ويزعمُ أن ذلك راحةٌ للغتنَا مِنَ صَخبِ العلوم واشتقاقِ مفردات جديدة لها وهي تحتاجُ إلى ألفِ قَاموسٍ محيطٍ جديدٍ فلمَاذَا تَعبُ القلبِ والعقلِ : وسمعتُ أشياء وأشياء نسأل الله مِنْ مثلها العافية والسلامـة.

وسمعت وأنـا أطوف البلدان في أسفـاري أمثال هـاتيـكَ التُرهـات والسخافات وكنتُ إذَا سمعتُ ذلك أخرجُ لسَاني سخريةً بالقائلين الزعانف أعداء العرب ولغتهم. وأحياناً أقهقه ملءَ فَمي وأحياناً أراني أكْبُرُ وأكبرُ وهم حِيالي حتى أراهم أقزاماً وَيَرْوني عِمْلاقاً أعلى من برج الحمراء أو مئذنة

طيبة الرئيسية المباركة أو أَهْرام مصر، أو معتكف عنترة بن شداد في رأس جبل الشيخ.

وهذا أُحسه دونَ تصنع لأنَّ اللغْو والهذَرَ الفارغَ خليقٌ بذلك وما كنتُ أريد أن أُحذرَ منه لولا أنه يمسُّ اللَغةَ العربيةَ الحبيبةَ لغةَ وحي الله القرآنِ المجيد. والسكوتُ في مثل ذلك هذه الأمورُ يكون حراماً لأن الشَّر والأذَى والخبثَ إذا لم يلقَ ردْعاً وَزَجْراً ومقاومةً عنيفةً يستشري ويتفاقمُ وإني أحذرُ أنْ يقالَ عن لغتِنَا اتَّسعَ الخرقُ على الراقِع ولكنَّ هذا لنْ يكونَ ما دام القرآنُ يتلىٰ والدولةُ يَقْظى والصحافةُ والتأليف في زيادةٍ مضطردة مستمرة.

والحمـد لله فإن العَـالم يضمُّ كثيراً مِن العلمـاءِ القادرين والسـاسـةَ المنصفين المثقفين الأمناء الذين دَرسُوا وَحْيَ اللهِ القرآنِ المجيد في صميم لغتِه العربيةِ الأصيلةِ وبَاركوهَا لأن الله باركها وأيدها وتكفل بحفظها، وإني حمدت الله حينَ مرَرْتُ بقصر ناصر عساف فرأيت مكتوباً على بابه «منزل» ناصر عساف. وماضره ذلك فتيلا.. لما أحيا لغته.. أمدَّهُ اللهُ بالرعاية والحفظ كما أَمَدَّ لغتَه الشريفة بالرعاية والحفظ.

وَثاقاتُ لُغةِ العربِ

اللغةُ العربيةُ ابْنةُ جَزيرة العربِ البكر وَهْيَ ذاتُ أَعْراقٍ وَأواصر عَبْقرِيّة فذة، ولها ثلاثُ وَثاقَاتُ تَارِيخيَّة اجْتماعية ذات أمجادٍ متجددةٍ متطورةٍ.

الوثاقةُ الأُولىٰ

لُغَتُنَا العربية هِيَ هَمْزَةُ الْوَصْلِ بَيَن أوطانِ المجتمع العربي وبينَ دُوله وهْي عروةُ الْعُروبةِ الْمكينةِ ودَعامَتُهَا القومية وَعَلَم تَاريخهَا الذَّهبي الرَّفاف وعزتُها الأبدية الصَّارخة.. ولولاهــا لوهىٰ السلك الذي يَشدُّ عقدَ وحدةِ الدول العربية وانتثرتْ حباتُه تحت الأقدام..

الْوثاقةُ الثانية

وكذلِكَ هِيَ همزةُ الوَصْل بينَ الأُممِ التّي شَرَّفَّها اللهُ بالإيمانِ الْعِلْميِّ اليقينيِّ الْجامعِ لكلِّ أَسْرارِ خَاتِم وَحْيِ اللهِ القرآنِ المجيد. هَلُمَّ هلمَّ زِدْ وَقُلْ هِيَ الرَّايةُ ذاتُ ظلال الأَمْنِ والإيمانِ والسَّعادةِ التي تُظلِّلُ كلَّ أُمَّـةٍ أسْلمتْ وزَهَتْ وَفَخُرتْ واعتزتْ وسعدتْ بلُغَةِ وَحْي اللهِ لغةِ الْعَربِ وتطوَّعتْ لدَرْسِهَا والتَّعمقِ فيها والابْداعِ العبقريِّ، وتطوعتْ في صِيَاغةِ الكلمـاتِ وتطوعتْ إلىٰ إذاعتها حتَّى وراءَ الأقيانوس الأَعْظم..

الوثاقةُ الثالثة

وكذلك هِيَ التي تَحْمِلُ كُنوزَ وَحيِ اللهِ العلميِّ اليقينيِّ الصَّافي الصَّافي

ونَاهيكَ بوحْي اللهِ اليقيني الصَّافِي الصافي إنَّه روحُ البيان العالي الْمُعْجزُ وينابيعُه الدَّفاقَةَ التي تخصُب الخُلُق السَّامي الذّي تتمُّ به إنْسانية الإنسان التِّي هِيَ حَقائِق السَّماءِ المُقَدَّرةِ أزلاً، والتي تتمثل أعْمالاً علمية محررة تحقَّقُ بها الدراسة العلمية لمختلفِ الكتب المنسوبة إلى الله جلَّ جلالُه.

أَمَّا القرآن المجيد فإنَّهُ أَبديٌّ خالدٌ، ومعجزاته وتحديها كذلك. وكلما تطَوَّر العلمُ تَحقق وتَجَدَّدَ تبيَّنت اللغة أنَّها تَحْملُ التراثَ الإنساني العالي والتعايشَ السِّلْمي العَمَلي الذي عجزتْ دون حَمْلِه وإعلانه لغات الشعوب التي تُسمّى نَفْسَها حَضَاريةً راقيةً: والقرآن المجيد أبداً جديد جديد كيوم نزل من السماءِ لأول مرة، وهو العلمُ الحضاري الأول في صميم لغته لغة العرب.

ومن أجل ذلك لُغَةُ العربِ لَنْ تَعْدمَ التأييـدَ والانتصارَ مِنَ الإنسـانِ المثقفِ ثقافةً واسعةً عاليةً... والإنسانُ الإنسانُ يَظلُّ كريماً سَامِيَ المَبادىء سِلْمِياً مُحِباً لحكمةِ الوَحْيِ الإلَهي إذا تَجلَّى لَه في آياتٍ بيِّناتٍ صارخة ولماذَا لَا يكونُ مُحِيًّ للسلام مُدافعاً عَنْ لُغةِ العَرَبِ. وهو يعلم ما دام يَدْرسُ ويطَّلِعَ أنَّ خاتمَ الوحيِ الإلَهي يُخَلِصُ البشريةَ أولاً مِنْ الإلحادِ وثانياً مِنْ عِبادةِ أفرادِ الكائِنَاتِ الْمَاديَّة والطَّاقيةِ مَعاً.

وثالثاً يَدْعُوا إلى تكريمِ الرَّحمِ الإنْسَاني الواحدِ والسَّلامِ والتَّعارفِ والتَّعاوُنِ والضرْب على أَيْدي الْمُفسدين فِي الأَرْض ولماذَا لَا يَكونُ دَاعياً لاحْياءِ لُغةِ الْعرَب وتَرْجمةِ كلِّ أعلامِ الحضارة الإسلامية بِمشْتقَّاتِهَا، كما يَدْعُو إلى قَرْضِ العلمِ اليقيني، لأنَّه بها يلمسُ أنَّ شريعةَ اللهِ، ظَاهرها كباطنها فليس فيها نُصوصٌ دينيةٌ عنصريةٌ خفيةٌ فتّاكة كنصـوصِ التَلمودِ والْماسُونية والشيوعية وكل المذاهب الهدامة.

بل .. هِيَ نصوصُ مَودَّةٍ وسلامٍ وَحُبٍّ وصِدْقٍ وتعاوَنَ وإيمانٍ.. للجميعِ. ولا تجدُ فِيها أيَّ حِقْدٍ لأيةِ أمةٍ أبداً أبداً بل فيها: «الخلقُ كلُّهم عِيالُ اللهِ، وأحبُهمْ إليه أنفعُهمْ لِعيالِه».

وحكامُ العربِ منذُ انْبثاقِ فَجْرِ الإسلامِ وَهُمْ مجَاهِدونَ في تَأييدِ لُغةِ القرآنِ المجيد وآيةُ ذلك أَنَّكَ تَجِدُ أنَّ اللهَ يُلهِمُ رجال الحكمِ العَربِ سواءٌ كانُوا في جَزيرتِهم أَوْ خارجها منذُ العهدِ النبويِّ العظيمِ، إلى عَهْدِنَا هذا.. أَنْ يَنْهضُوا بِلُغَتِهِمْ إلىٰ سَماءِ السَّماواتِ إلىٰ منائِرِ الْعبقَريات إلىٰ رَفارِفِ فنونِ الخلد إلى ابْتكارِ نوابغ الكلم، واشتقاقُ الألفاظِ لَمَا يَجدُّ من أعلام الحضارة على مدى الأجيال.

عُدْ إلى العَهْدِ النبويِّ الذِّي هُو عَهْدُ الإعْجازِ والتحدِّي وإلى عَهْدِ الخلفاء الراشدين الذين هو عهدُ الحفظِ والرعايةِ، وإلى عَهْدِ بَنِي أمية الذي هو الروايةُ والضبْطُ وإلى عَهْدِ بني العباس الأولِ الذي هو عَهْدُ التدوينِ وتَسْجيل علومِ العربيةِ والترجمةِ والابتكارِ والتجديدِ والإبْداعِ في أدب الكلمةِ وإلى عَهْدِ الأندلسِ الذي هو عهدُ الروعةِ والافتنانِ والجدة بأوْسعِ مَعانيها وإلى عَهْدِ بني حَمْدان وأمثالهم مِنْ دُولِ المجتمعِ العربي فإنكَ تظفرُ بِبُناةِ اللغة وبُناةِ أَدَبِها الأَبْطالِ من الحاكمين العرب الأَقْحاح، وكل هذا تلمسه في النهضة العربية السعودية الحديثَة..

والحقُّ أنَّ الجميعَ لم يُقصِروا في الذَّوْدِ عن اللغةِ العربية والسَّهرِ مِنْ أجْلِها وإمدَادِهَا بالقوَّةِ والقدرة ولم يَسْبق في هاتيك العصورِ الماجدةِ الكريمةِ أنَّ أحداً قال «إنَّ اللغةَ العربيةَ متخلفةٌ وقَاسِيةٌ وعسيرةٌ وإنَّ قواعدَ ضَبْطِها أَعْصىٰ قواعد لغةٍ دُنْيَا البشر..

وإنَّ العدولَ عنها إلىٰ اللُّغاتِ العاميةِ إحْسانٌ ونهضةٌ وَجِدَّةٌ». أجل إنَّ

أَحَداً لَمْ يقلْ ذلكَ ولا أدنَى مِنْ ذلك..!!

وما قالها في عَصْرِنَا إلاَّ بعضُ الدُّخلاء الأعْجَمِّيين في الْعَرَبِ قَالُوا لِعَدمِ اقتدارِهم على النُّطق العربي الأصيل. وما قَالُوها إلا لِكُفْرِهِم بالعروبةِ والإسلام.

وأَنْتِ ـ يا لغةَ العرب. لا تأسَيْ إنَّهم غرباءُ هَدَّامُونَ ملاحدةٌ. حقدُوا ظالمين على لغةٍ الخلودِ لُغةِ الاعجازِ والتحدي إنَّهم كتبةٌ مُحَرِّفونَ مُخربونَ لأُصُولِ لغةِ القرآنِ. إنهمْ يَحْسبِونَ أنهم قادرون على هدمها وإذا انْقلبُوا إلى أهليهم أنقلَبُوا خَائِبينَ خَاسِرِينَ يَمدونَ أيديهم في جُنْح الظلام لدس العُبُواتِ الناسفةِ ونَسُوا أنَّ الدولَ العربيةَ راصدةٌ يَقظَى إسْمعُوا إسْمعوا يا عربَ هذا العَصْر ويا مُسْلميهِ ويَا مُحِبيِّ إنسانيةِ الإسْلام الحضَارية أَحْسنَ اقوالِهم المبطنةِ بالكيدِ والدَّهاء والعُبُواتِ الناسفة.

نَحن لَا نمقتُ لغةَ العرب وفيها كنوزُ المثلِ الإنسانيةِ العليا بل نرِيدُ تَسْهِيلَها لِلْبشرِ كافة.. فالإعـراب ثقيلٌ والمُثنَّى أثقل وإعطاء النساء ضَمائر خاصة تكثيفٌ للُّغةِ دونَ ضرورة أي يَقْطعونَ الرأسَ ويكون الاحتفالُ بالجثةِ الميتةَ فَخْماً ضَخْماً. ومَا هِيَ إلَّا حرائقُ أحقادِهم الغابيةِ المتخلفةِ شاعلةٌ في أغوارِ صُدورِهم ولو كانُوا على ذَرَّةٍ مِنَ الْوعْيِ الإنسانيّ والعلمِ والأدَبِ لاتَّخذُوا الأمثالَ مِنْ نشاطِ الصِينيِّينَ تجاه لغتهم وسَهرهم للنبوغ فيها الأعوام تلوَ الأعوام وما فيهُم المتبرم الجبان الزنيم.

بل لم نسمعْ أنَّ صينياً واحداً تنكَر للغتِهِ حتَّى في مَهَاجِرِهِم لقد رأيتُهم في سَنْغفورة وماليزيا كيف يقدمونَها على كلِّ لُغةٍ في إعلاناتِهم ومعاملاتِهم التجاريَّة وسواها.

ولو أنَّ واحداً منهم حملتْهُ رعونة الجـرأةِ وتنكَّر للغتِهم وحَقَـدَ عليْهَا

واسْتهتر بِهَا وآثر سِواهَا عليهَا. وأخذ يُخَذِّلُ النشأ عَن الصعودِ بها حَضاريًّا..
لكانَ أقل ما يَلْقَى مِنهمُ التمزيقَ والنفيَ والتخلي عنه، والانقِضَاض عليه هذا إذَا لم يمزقوه إرباً إرباً لأنَّ أمر اللغة يتصلُ بعيْن مصيرهمْ وبقائِهم أمةً واحدةً ذاتَ مصيرٍ مُشْترك حتَّي فِي مَهاجرهمْ حتى أعدادهم الضَخمة التي تكاد تعدل أمم الأرض كافة.

وإني هنا أقول مؤكدًا ومفاخراً إنَّ اللغةَ العربيةَ سهلةٌ جدًّا بل هي أسهل من اللغةِ الانجليزية نفسِهَا وكلُّ امتيازِ اللغة الانجليزية أنَّ أهلَها يُقدمُوهَا في كلِّ دُولِ العالم بِحَتميَّة أيْ أنَّ أهلَها سَاهِرونَ على رواجها ونشرها وربطِ مصالح البشرِ بهَا في كلِّ مكان أجلْ هم ربطوها بكلِّ المعاملات السياسية والاقْتِصَادِّيةِ بِمجْدِ العلوم والآداب والمخترعاتِ وَربطوهَا بكل مُوَدَّاتِهم لَهَا، وبكلِّ طاقاتهم وبكل اهتماماتهم، وما يزالون يمدونها ويمدونَها حتى يأذن الله بنهاية العالَم.

ونحن لو فَعَلْنا فعلهم بلغتِنَا لكانتْ أسبقَ إلى اهتمامِ الأفرادِ والجماعاتِ منها ولولا أَنَّ القرآن الحافظَ لها لما وُجِدَ مَنْ يُضَحِّي مِنْ أَجْلِها ويَجاهِدُ ويناضلُ. وأيْمُ اللهِ إنه لَيُبكِيني كلَّ ما أرى الذين يحملون مَعاولَ الْعَامِّياتِ في كلِّ وطنٍ عربيٍّ ويَهْدمونَ لغةَ القرآن عمداً يهْدمونَها وهم يُخفون نعرةَ عُجْمَتِهِمْ العنصرية ومقْتَهَمْ للعربِ والإسلام الذي هو رحمةٌ لهمْ لوْ عَلِمُوا ولكنَّ خُبْثَ العنصريةِ ونعْرَتها أعمتْ أَبْصارهم وبصائِرَهم عن نورِ وَحْيِ اللهِ فأخذُوا يُحاربُون لُغَته في عُقرِ دَارِهَا وفي قُدْسِ مِحْرابِها بلعنةِ المؤامراتِ الرعناء الوضيعةِ المتخلفةِ ورطانةِ العُجْمةِ الوبيئةِ الوبيلةِ..!!

وَسَبَقَ أن ذكرتُ أنَّهم يُعْلنون سوءَ نواياهم ضد لُغَةِ العرب والقرآن المجيد بقولِهمْ إنها عَسِيرةُ عصيَّةٌ دهريَّةُعسْراء لا تنالُ بسهولةٍ،الإعْرابُ فِيهَا مُصيبةُ المصائِب اقْتلوهُ بالتسكينْ يا أبطال..!!

هيا هَيًّا أزِيلُوا الإعرابَ مِنْ ألسنتكم واحْذفُوهُ دونَ اهْتمامٍ بالمقلدينِ الجامدين احْذفُوهُ تسْلمُوا..

وإذَا قلتَ لَهم ومــا نَصْنعُ بكتاب المَجْدِ الأزلي العربي كتابِ اللهِ ربِّ العالمين وخالِقِ الخلقِ أجمعين الكتاب الداعي كلَّ البشرِ لإنسانيَّةِ موائد السَّماء. قَالُوا «إنَّ للكتاب الكريمَ ربًّا يَحْميه ويَحْرسُهُ ويَحْفظه» في مكاتب الدنيا ككل كتاب ديني انتَهى أمره من الحياة والأحياء، ويا لعنة الله فريقهمْ لَقَدْ نَسوا أنَّ اللهَ يحفظ كتابَه بِنَشَاطِ أهله واهْتمامهم.. وكلُّ لغةٍ يمكنُ أن تكونَ خالدةً إذَا توفرتِ الهمةُ وتوفَّر النشاطُ والصدقُ والإخلاصُ مِنْ أجل السُّموِّ بِها وبأَدَبِهَا هَذْهِ كلمةٌ نقولُها لأنفسِنَا قبلَ أنْ نَقُولَهَا لأعْدَائِهَا.

إنَّ اللغةَ العربيةَ هِيَ لغةُ أُدباءِ عُكاظ العربِ الأُصلاء هي لغةُ قبائل جزيرة العرب هي اللغةُ التي اخْتارها اللهُ لتكونَ لغة كتابه المعجز فأنزلَها مِنَ السَّماءِ روحاً حيةً خالدةً إلى الأبد أَنْزلها بأَمْرِهِ لتكونَ عِيداً لأولِّنَا وآخِرنا فكلُّ حَياتنا هِيَ: وموتُنَا دُونَها أهونُ علينا من مَوْتِهَا هِيَ مليارَ مليارَ مرة وأنتم يا بشر فكروا هل تشتملُ الكرةُ الأرضيةُ على لغةٍ تَنْطبعُ عينُ شَخْصيَّاتِ بُلغائِها في أضابير سِجلاَّتها وفي منصات نَوادِيها وفي جمالِ أساليبها تنطبعُ حيَّة خالدة كأنَّها وليدة العصر الغضةُ البَضة الفتَّانة الساحرةُ سوى لُغةِ العرب فهيَ اللغةُ المتطورةُ المتجدِّدةُ الأبدية السالمةُ بسر الروح التي نفخها اللهِ فِي بَيانها دونَ مَساسٍ بقوام هَيْكلها الخالد وهكذا تشيخُ اللغاةُ مِنْ حولِهَا وتنتهي نِهَايَاتُها ولغةُ العرب لَا تَنْتهي وَلَا تَبيدُ أبداً: يا ظلمةُ فكروا قبلَ أن تهرِفُوا بما لا تعرفُوا..

وكم هيَ فرحةُ الأدباء العرب حين يَعْلمونَ أن كَلماتِ أدبهم تركبُ الصَّواريخ وتنطلقُ في عوالم الدهور والأحْقاب قويةً نشيطةً بكلِّ خُلودِ الأبديةِ

أيْ حِينَ يروْنَ كلماتِهم تتغنَّى بها الدهورُ بكلِّ نَضْرةِ شبابِها الفتَّانِ وَبِكلِّ جمالها الغني الرائع، وبكل سِحْرِ بَيانها الجذّاب وبكل زينةِ مَعَاطِفها الطريفةِ قلْ لي بربك مَنْ يصدقَ أننا الآن نقرأ شعر امرىء القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وعنترة العبسي وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وأَعْشىٰ قيس والحارث بن حلزة ولبيد بن ربيعة وأمية بن أبي الصلت وحسان ابن ثابت من يصدقُ أن شعرَ هؤلاء الأبطال أُفْترِعَ قبلَ قرون وقرون طوال طوال.

ومع كل ذلك نطربُ لجرسِه ونَرقصُ لكلماتِهِ ونَسْحرُ لجمالِه ونفيدُ من جمالِ أساليبهِ العربيةِ الصحيحةِ أروعَ الأفادةِ وأسْماها.

ناهيك بمعانيهِ التِّي تصورُ لنا البيئةَ العربيةَ الأولى بكلِّ تقاليدِهَا وتعرضُها علينا بكلِّ حَقائقها وروائعها وملابساتها أخاذةً زاهيةً بكلٍّ ألوانها كأنها أطياف التلفاز تروح وتغدُو بينَ أيدينا.

والذي يدلك على عظمة هذا الأدب هو جدته المشرقة الفتانة في أثوابه الأصيلة الراقية. وكم وكم مِنْ أدباء العرب سوى هؤلاءِ نُحِسُهمْ بيننا أحياءَ يُعاطوننا المودةَ ونعاطيهم ويبادلونَنا الافتننانَ بسحرِ البيان ونبادلُهم ومع ذلك قد مرَّت عليهم القرونُ والأجيالُ كأنَّها سِيئاتُ الأحلام نتحدثُ إليهم ويتحدثونَ إلينا. والفضلُ كل الفضل هو لِسِرِّ روحِ وَحْيِ الله المعجزِ القرآن المجيد، إلا أنه قَدْ حسدَ صغارُ الأحلامِ مِنْ متخلفِي البشر الصّغار هذا الخلود الذي اختصت به لغةُ العربِ وغاظهم أن يَظلَّ الأديبُ العربي خالداً بأسلوب بيانه وبمعانيه معاً دونَ سِواه من أدباء اللغات الأخرى الذين لا خلود لهم إلَّا بمعانيهم أما أساليبهم البيانية فإنها لا تكادُ تمر عليها بضعُ قرون حتى تموتَ وتلحق بقائلها ولو لم يُرحْموا بالترجمةِ لماتَ أدبهم ولم يَعْلمْ به

أحدٌ إلَّا إنَّ خاصة الخلود الأُسلُوب الأدبي التي امتازتْ بها لغة العرب هي منحةُ الله ونعمتُهُ. يا إلَهي انها نعمــة هائلــة هائلــة.

وليس في مقدور العُنْصريين الأعداء ابطالَها ولو اجتمعُوا لَهُ،هم عاشوا حاسدين وماتوا حَاسدينَ وموتهم خيرٌ لهم من أنْ يُعذَّبُوا بمنظرِ نِعْمةِ الخلودِ التَّي تتجلَّى يوماً فيوماً على لُغة العرب وعلى أدبِهم وعلى شعرِهم ونثرهم وعلى قَصَصهِم وعلى مَسْرحيَّاتهم وعلى أسمارهم ببيانٍ عَربيٍّ صَحيحٍ أصيل يتفجرُ مِنْ ينبوعِ وَحْيِ اللهِ ويكيدُهُمْ ويكيدُهُمْ.

أما سمعوا قول الله: **﴿إنهم يكيدونَ كيداً وأكيدُ كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾** ويا ويلاه هل تستطيعُ الخـلائقُ أجمعون أنْ يمحـوا أمَّ الكتابِ مِنَ لوحِ السَّماء حتى ولو تتطايرُوا شَعاعاً في الفضاءِ وقَضَوا نحبهم كافة.

هذا لن يكونَ أبد الآبدين: هذا حَالُ مَنْ يريدون أنْ يبْطلوا لغةَ العرب الأصيلة بابطالِ الاعراب فِيها وَيَتـطَاوَلُوا مُتَحـدِّين كتاب اللهِ في الصَّميم الصميم. وهَنَا يَنْبغِي أن لا ننسَى: «أَنَّ الجنونَ فنونُ».


هاشم محمد سعيد دفتردار المدني
طلائع الفكر والأدب
الجزء الثاني

هاشم محمد سعيد دفتردار المدني

طلائع الفكر والأدب

الجزء الثاني



للنشر والتوزيع والطباعة
برقيا: مشكاتنا - ص.ب: ٤١٤٦

قصة صياغة الكلمة الفنية

الحشد الأول

قرأت كثيراً عن أحلام اليقظة، في مؤلفات علماء النفس، وسمعت أعجب القصص في محاضراتهم.

وكنت أنسب جل ما أسمع، أو أقرأ من قصص أحلام اليقظة الأخاذة.. إلى اختراع الأقلام العبقرية، وإلى ابتكار أساليبها في تركيز صور البيان المتفوق..

بيان تحسه يتقد بسحر الفتون، ويطيف بك، كأنه الصور المتحركة الناطقة التي تعرض على الأطفال في التلفاز.

هذه غاية تزحف لتمزيْق أخرى أصغر منها.. وهاتيك دوحة فينانة باسقة تميد يميناً وشمالاً كأنها حسناء فارغة غاوية الرقص.. والبلابل حواليها تتطاير اسراباً أسراباً مغردة شادية..

وتلك جبال تقتلعها الأعاصير الهوجاء والزوابع العاصفة، وتخترق بها الغمائم الدكناء إلى غيوب الفضاء حتى تختفي بالمرة. ثم تبدو فجأة ولها أجنحة تسد الآفاق ويتحدث بعضها إلى بعض تارة في سخط وتارة في رضا عجائب عجائب.

وهذه مدينة برمتها تثب من مكان إلى مكان وتحلق حتى تمس أديم السماء ثم تقذف بنفسها في لجج البحر كأنها الطائرات الغواصة..

وهاتيك حيوانات وحشية وأليفة تتداعب متسابقة كأنها العداؤون وحشود النظارة حواليهم يصفقون ويصفرون رفَارف من الطيور في ألوان قوس قزح، تغشاهم من كل مكان في روعة الأنجم الزهر.

وهذه ظباء ومها يَظهرن في شبه ثياب من الحرائر الشفافه كأنهن الراقصات المحترفات ويتحاورن لاثغات في هزة ورشاقة كأنهن أسماك الرعد. أو أفنان الصبا . .

وهذا بطل فولاذي ينطلق كأنه المارد العاصف، ويشق الجبال والحصون والأسوار شقاً بسرعة البرق القاصف الخاطف.

وقد تشاهد أنهاراً تجري فوق الجبال، وجبالاً تغوص في الماء وتختفي في أعماقه تلك امثلة مما تسمع من طرف أحلام اليقظة وكان أحد أنجالي في صغره ينهض في الهزيع الأخير من الليل ويصلي ويطيل الصلاة كالمتهجد، وهو في حلم اليقظة ثم يعود إلى سباته وهو لا يدري مما فعل شيئاً. وكنت إذا قصصت عليه ذلك دهش . .

ومضت أعوام مديدة متتابعة، وأنا أفكر في قصص أحلام اليقظة وعجائبها وغرائبها وتهاويلها. حتى وقعت لي القصة التالية على غير المألوف من أحلام اليقظة لأني كنت منتبهاً لها كل الانتباه لعلها من قبيل التخيلات ولولا أني كنت متنبهاً لها كل الانتباه لما استطعت تدوينها وإليك خلاصتها.

رأيتني وأنا أفكر في صياغة الكلمة أحلق في آفاقها وأنعم نظري في أطيافها، وأقصد حدود فنونها وفتونها وسحرها . .

وحداني تفكيري إلى أمهر صاغتها، وأقدر بناتها، وأعلم نقدة البيان بمحاسنها ومساوئها، وبصحيحها وفاسدها وأقصد أشهرهم في أشهر أسواقهم وأنبههم في أنبهها وأخلدهم في أخلدها . .

ونزلت في الطائف مجاز البيان ومصيفه وربيعه النضر، وجزته إلى عكاظ مقر مهرة البيان، وهناك فتنتني خيام ذات ألوان زاهية تجتذب البصيرة والبصر على امتداد رحيب.

وَقَدْ توسطْتهَا خيمة من نسيج السندس الوهاج تشع كأنها فجر من الزمرد في ربى الخلد. أو كأنها رَفَارِف منسدلة على عمد من الصفصاف أَشْبهُ ما يكُونُ بالربيع الأخضر وعليها بخط التاج تلوحُ (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله).

وقد شاهدت الخيمة الزمردية مزدهِرةً باكتظاظِ الحجيج من الوفود من شتى قبائل العرب، وفي صدر الخيمة شيخ تورك، وحياله زمرة من شباب الأدباء الشادين، يحاورهم ويحاورونه. فقصدتهم لأفيد مما يفيدون منه. وإذا الشيخ يقص عليهم صياغة الكلمة.

الشيـــخ

وإن قِصةَ صياغةِ الكلمة أَعْجبُ من العجب لأنها قصةُ حياةِ الأمم في لُغاتها وقصةُ تَنافسها في أمجاد البيان، وقصةُ الصعود به إلى أعلى القمة في مدى التاريخ.

ولكل أمة جناحا النثر والشعر، تصعد بهما إلى قمة البيان.. وقمة البيان عالية... ولكل بيان أمة قمتان ومصعدان... قمة النثر ومصعده، وقمة الشعر ومصعده:

ولكل قمة أبطالها المتفوقون الذين تفاخر بعبقرياتهم الفذة وبمؤلفاتهم الخالدة، ومن أجل ذلك تشيد لها المعارض، وتملأ بها الأسواق للإفادة العامة والخاصة، ولاكتساب أمجاد الحضارة والمعرفة والبيان.

ولأمتنا العربية نثرها وشعرها.

أما نثرها فقد اسْتوى على قمة الإعجاز المتحدي الصارخ على مدى الأجيال وتداول الحضارات في وحي الله المنزل أي استوى على قمة المثل الأعلى، وليس وراء المثل الأعلى في صياغة الكلمة وكبير أهدافها وخلودها وجلالها زيادة لمستزيد في روعة الإحسان وإبداع الإمكان وفي صحة البيان..

وكل التنافس في بيان الناثرين هو الافتنان والابتكار فيما يجد من ألوان الموضوعات واختراع الأساليب الخاصة المطبوعة بطابع شخصية كاتبيها الدالة عليهم في كل مجال، وفي كل كلمة، ولا يكون ذلك صحيحاً ولا خالداً، ولا مقبولاً في الجامعات العلمية والمجامع الأدبية الراقية إلا إذا كان قبساً من سبحات الوحي الإلهي في القرآن المجيد وكلهن على أسس قواعده وأصوله وفي ذلك ضمان لخلود أدب الأديب لأن المثل الأعلى البياني محفوظ بحفظ الله ومعجز ومتحد في غير نهاية يقول الله في تقرير ذلك:

﴿إنا نَحْنُ نزَّلْنا الذكرَ، وإنَّا لَهُ لحافظون﴾[١٥-٩]

وهذا شأن أدبِ الأديب الذِّي يترسَّمُ مسالكه، ويستضيء بهداه ويقبس من أنواره ويلتزم صحته. وإن كان الفارق بين الامكان الإنساني في بيانه وأهدافه وبين الإعجاز المتحدي كبيراً كبيراً وشاسعاً شاسعاً.

ردد ذلك إلى غير نهاية. وأنت تَخْشعُ حيال سبحات آيات الله بوعي بفهم وبتأمل بإيمان في سكينة الاسحار، وتفرس وتتفرس في أسلوب الكلمات وما تحمل من معان تجد وتبهر وتعلو وتعطي الكثير الكثير عطاء غير منقوص ولا مجذوذ ولا منته قف هنا والتزم وردد.

﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مُبدِّلَ لكلماتــه ولن تجد من دونه ملتحداً، واصبــر نفســك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ [١٨ ـ ٢٨].

هذا هو الإعجاز والتحدي الصَّارخ وهنا تعالى الأذان الله أكبر الله أكبر فقمنا وأدينا الصلاة وبعد استجمام قصير انطلقنا إلى الحشد الثاني من قصة صياغة الكلمة . .

قصة صياغة الكلمة

الحشد الثاني

كنت وأنا في طريقي أقصد الخيمة الزمردية في عكاظ، أفكر وأمعن في التفكير، في ما قصه علينا الشيخ في الحشد الأول. . . عن حقيقة المثل الأعلى المعجز المتحدي في صياغة الكلمة النثرية في أدبنا العربي التي هي القرآن المجيد المنزل على خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وقد انكشف لي مَسْرحُ طفولتي المرحة الذاهية، في طيبة المباركة - مسقط رأسي وترادفت حيالي أطيافها تباعاً.

رأيتني في مسجدها النبوي العظيم، قاعداً بين حشد من التلامذة - في كُتّاب حفظ القرآن المجيد، وأنا ممسك لوحي الخشبي - واهتز أمام ووراء - لكي استظهر السورة القصيرة التي كان يسطرها فيه العريف لي وكان يدربني على صحة النطق بمخارج حروفها وإحسانها، وكان يجهد لذلك، لكيلا تتسرب أخطاء النطق إلى آيات الله في لساني. وكان هذا شأنه مع كل التلامذة الذين يجمعهمُ الكتّاب وكانُوا على تقاربِ في أعمارِهم إلاَّ النادر.

وكان العريف رحمه الله - يحذر الجميع من بقاء الأخطاء في آيات الله، في ألسنتنا تارةً بلسانه وتارةً بعصاه. .

وكان نفع ذلك في إحسان نطقنا بلغتنا الشريفة كبيراً جداً، فجزى الله

عنا شيوخنا والعرفاء أحسن الجزاء، لأنهم أفهمونا أن أخطاء اللسان، وانحرافاته وجمجمته ولعثمته في آيات الله جل جلاله... مع القدرة على إصلاحه ذنبٌ عظيمٌ.. وكل المسلمين ـ والفضل لله ـ يرددون في صلواتهم وضراعاتهم آيات القِرآن المجيد إن لم تكن كافة، فبعضها... وكم في ذلك من إفائدة على الحفاظ على اللغة العربية وآدابها...

ولولا ذلك كله لما صحت اللغةُ العربية،وَلَمَاظَلَّتْ حيةً على أَلْسِنةِ الأَجْيال. وستظل إلى يوم القيامة إن شاء الله. فها هي بشائر تمام صحتها وعافيتها وسلامتها آخذة على قدم وساق في الوطن السعودي، وفي كل بلاد العرب... ولولا ذلك لكان مصير اللغة العربية أسْوأَ ألَفَ مرة مِنْ مصير اللغةِ اللاتينية وَسِوَاهَا.. من اللغاتِ الميتة اللّاتي عَاصَرْنَ اللغةَ العربيةَ في الميلادِ البعيدِ.

الخيمة الخضراء.

لما بلغت الخيمة الخضراء كان الشيخ على مِنصَّة الكلمة، وكان يهدل في حديثه هديل الحمام، وكان في يده مخصرة يركز بها مواقع كلامه والوفود حوله في سكينة كسكينة أمواج البحر لدى انقطاع الرياح العاصفة في الليلة الساجية. ومن أجل ذلك وَعَيْتُ كل ما كان يلفظه حرفاً حرفاً.

الشيـــخ

قلت إن الكلمة العربية بلغت مثلها الأعلى المعجز المتحدي في وحي الله منذ أبعد أحقاب التاريخ...

وها هي في عصرنا الحديث..

١ ــ تبدو فيه بكل ما يحمل الشبابُ من فراهة في عنفوانه.. وبكل ما

تحمل الحياة من سلامة وعافية، وبكل ما يحمل الجمالُ من روعة وزينة وعزة وإغراء..

٢ ـ تبدو فتنة الاسماع والأبصار، وفتنة الألسنة والأندية.

٣ ـ تبدو صافية في رفعة سمائها وعقود أنجمها، وتـألق شموسهـا وأقمارها، وافترار ربيعها. أي مثل ما كان وحيُ اللهِ يوم تمامه وكماله، أَيُ نزل منها روح القدس بلغة العرب على قلب خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه.

وهوَ يَحْملُ الدعوةَ إلى سُمُوِ إنْسانيةِ الإنسانِ بالْمُثل الْعُلْيا التِّي أنزلها اللهُ جلَّ جلالُهُ في القرآنِ المجيد خالدةً ومحفوظة ومُطمئِنَةٌ العرب على لغتهم إنها خالدة ومحفوظة كذلك.. كل ذلك يَدومُ بأمر الله تعالى... وكبير فضله وانعامه..

وأنت إذا اقبلت على القرآن المجيد بكل قلبك وبكل عقلك، وبكل علمك وحريتك. تحس أي شيء القرآن المجيد في لغة العرب، تحس أنه وحي الله الغلاب، وانه روح معجز متحد من أمر الله، وتحس انه القمة العليا التي لا تطالها قمة في الأدب العربي، وتحس أنه حقيقة الخلود في الأزل وفي الأبد...

بل قل هو مفتاحُ مغاليق علوم الكون. ومفتاح علوم الروح وعوالمها، وضوء الحقائق ويقينها وبيانها، وصدق الصدق في كل شيء.. هو العدل كل العدل، والرحمة كل الرحمة والإيمان كل الإيمان، والْحق كل الحق.

يكفي أنه ذُو هيمنة دائمة وسلطان نافذ، وتأثيره مستمر، وحفظه لذات اللغة وعافيتها وصحتها وسلامتها من الموت واقع واقع ومشْاهد لكل ذي عينين، وملموس لكل ذي يدين.

وقل للعنصريين الكفرة ـ أنتم أغبياء ـ هلا علمتم أنكم تطمعون في غير مطمع... إنْطحوا برؤوسكم الصُّخورَ أيها المجانين قبل أن تعدوا العدة وتقدموا على اماتة الكلمة العربية السليمة الصحيحة... ألم تؤمنوا أنها محفوظة بحفظ الله من وراء الغمام وانها معجزة المعجزات المتحديَّة وان إعجازَهَا صارخ صارخ.. تتعاقب عليه القرون والأجيال وان تحديها هو هو في جدته.. ها هو يدوي أمامكم فوق كل أرض وتحت كل سماء.. اسمعوا وابصروا إن كنتم أحياء تملكون السمع والبصر ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. ١٥ ـ ٩.

والعربُ والمسلمون والعلماء المفكرون لدى كل أمة.. هم الذين يحررون المعرفةَ في كل عصر ومصر، وهم الذين يكشفون خبائثَ المزيفين والأفاكين والعنصريين الْحَاقدين لأنهم أشبه ما يكونون برجم السماء الشهب تبين يقين واقع العلم في كل شيء، وتهدي إلى طريقه وترجم الأبالسة الذين يثيرون حوله الأعاصير والزوابع من الشبهات المخترعة الآفكة والظنون المظلمة القاتمة ويطرحون في منافذه العقبات ليحولوا دون الوصول إلى الحقيقة التي هي قوام كل حضارة راقية.

ولولا وجودُ هؤلاء العلماء المفكرين لظلت البشرية حيث كانت قبل نزول القرآن في جهل ومرض وتخلف وعمى في العقيدة وفي البصر والبصيرة..

وعلى كل حال فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين تنصب على هؤلاء الذين يحقدون على الشعوب وعلى لغاتها وآدابها بدون سبب موجب..

أولئك العنصريون ينهشون اللغة العربية نهش الذئابِ لدى كل مناسبة. فحذار حذار منهم.. انهم عصابة الاجرام السريين المندسين في أوطان المجتمعين العربي والإسلامي، وهم يثيرون الشبهات تلو الشبهات للقضاء

على لغة العرب، والهدف هو القرآن لأنه القدر الجامع للعرب والمسلمين بَلْى وكل الإنسانية تعظم بتعظِيم قُرْبَى الواحد الأصل وعلى كل حال فحذار حذار من كل دعوة تستهدف لغة القرآن لغة العرب لغة الخلد لغة التجدد لغة كل البشر الذين يؤمنون بالله : **﴿يا أيها الناس قد جاءكم بُرهانٌ من ربكمْ وأنزلْنا إليكمْ نوراً مبيناً﴾** [٤ - ١٧٤].

والبرهان المنزلُ من رَبِّ العالمين لا بد له من تفسير، والتفسير لا يكون إلا من آي القرآن ما دام القرآن هو عَين البرهان. العلمي اليقيني.

أحد الشبـــان بحماســة

لعنت دعوة الممزقين العنصريين لأنها دعوة حقد، دعوة انحطاط، دعوة إجرام دعوة العصابة العاصبة المندسة في أوطان الأمة العربية، وليسوا من أعراقها، ولا من أهل دينها وهم أحقر أن يكونوا من أعراقها، وأبعد من أن يكونوا من أهلِ دينِها لتفاقم دَاءِ العنصرية وداء الإلحاد في أنفسهم..

ومن أجل ذلك هم يتعمدون تمزيق العرب والمسلمين بتمزيق لغتهم الجامعة لهم بفضـل القرآن المجيـد، وهم يتنكرون لهم بتنكـرهم لها، ويصمونها بلعنات أنفسهم الطاغية، وما تحمل من انعزالية كافرة حاقدة، ومن نَهَمٍ فاجع. يصمونها بما ينفـرُ بِهِ أهلها عنها. ومتى نفر أهلها وانصرفوا عنها فأي شيء يبقى لهم في نظرهم ونسوا أن الله تكفل وتعهد بحفظها ولن يكون في الآخرة مصير هؤلاء العنصريين جزاء حربهم المتعدي لكتاب الله إلا في أسفل مهواة في جهنم وفي الدنيا خزي الْخزي ومن يعش ير أبدية إعجاز قوله تعالى الحق: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**.

آخر يتحدث من الشباب بمثل حماسة الأول

هم يستحقون هذا المصير المرعب، وإن سخروا منه في دنياهم لأنهم

دعاة دهاة طغاة مردة كفرة. ونواياهم ضد لغة العرب، راصدة غدارة. ولكنك لا تستطيع أن تتبين ذلك في كلماتهم بقدر ما تتبين ذلك في أعمالهم هم يترصدونَ سِناتِ غفلتنا عن مؤامراتهم ضد لغتنا، وعدم أكتراثنا بها وبهمْ. فيأخذون في دس ما يدس بين شبابنا ويأتينا بالأخبار من هنا وهنا متسقطوها ورواتها وإن لم تُزودهم لذلك... وتفسيرُ ذلك آت.

الشيـــخ

لي حديثٌ طويلٌ وتحقيقٌ دقيقٌ عَنْ نوايَا هؤلاءِ العنصريين ضِدَّ العرب والمسلمين وضدَّ لغتهِم والكتاب المنزل بها سأقدمه إليكم في الحشد الثالث.. هُنا في عكاظ الإسلامي الأخضر النضر البهيج.. فإلى الحشد الثالث وهنا نادى المنادي الله أكبر الله أكبر. وقمنا وأدينا الفريضة. والفضل لله، وآوينا إلى منازلنا للراحة.. إلى نية الاستئناف.

قصة صياغة الكلمة العربية

الحشد الثالث

ما أرقتُ. . !! في ليلة ـ ما أرقت في هذه الليلة. وكان الذي أرَّقني هو شغل فكري في قصة صياغة الكلمة العربية، وفي إشراق حقيقتها الفنية، وفي جو سحرها وفي دقة حديث الشيخ عنها.

واستعرضت مزاعمَ دعاوى العنصريين ضِدَّ أُسلوبِ صياغَتهما وفي بلايا أحقادِهم الباغية وكيف استطاعوا أن يُجَلِّلُوا مزاعمهم في معاطف من الدلائل المزيفة، وفي أفواف من الزينات الظاهرة الخداعة وأن يَجْلُوا مزاعمهم في ملاهي شبابِنا،ليصرفوهم إليها بكلِّ أشْواقِهم، ويجعلوهم يلتمسون المتعة في مفاتن جمالها المفتري. ويزعمون لهم أَنَّ في العامية لياقة .

أجل اسْتطاعُوا أن يَجْعلُوا من شبابنا من يمزقونَ لغتَهم العربية الأصيلة بأيديهم كل ممزق من حيث لا يعلمون أنهم يَنْحرونَ أنفسَهم ويمزقونها. .

وتمنيتُ على ربي أنْ يلهم شيخنا أن يفصل مَزاعم دعاويهم الباغية التي رصدوها ضد القرآن المجيد وضد لغته الكريمة. . رصدوها تآمراً لهدمها والقضاء عليها. ولكن هَيْئات هَيْئَات أَن يبلغُوا مُناهم.

قل إنه بغضٌ ملفعٌ في ثوْبِ الحب، وحربٌ ترفرفُ في أعلامِ السلم وخيانةٌ توشحت رداء الأمانة واعوجاجٌ يتزعم الاسْتقامهْ: الحقُّ أنهم سَحَرة قهرةُ اسْتطاعوا أن يجعلُوا سُذَّجَ شبيبتنا يتخليون مِنْ سِحْرِهم أن لغتهم

العربية المعجزةَ تفقدُ النهضةَ والتَّطور والتجديد، وسُرعةَ النمو وإطِّرادِ الإجادة والحفظ. بل استطاعوا أن يجعلوهم يوجهون استخفافهم بها وهي لغة القرآن وبكُتابها وشعرائها ومؤلفيها، ويجعلوهم يغرزون رماحهم في صدورهم، بدلاً من أن يغرزوها في صدور أعدائها.. فيا عجباً لأولئك الدهاة الخادعين، يا عجباً لهؤلاء السذج البلهاء، لنا الله...!!

وبادرت إلى الحشد الثالث، لما رفعت الأعلام الخضراء إيذاناً بالتجمع.. ولما تكامل الحشد واكتظ، تعالى التصفيق ودوى الهتاف، لأن الشيخ كان قد أقبل يتهادى بين تلامذته. وحالاً ارتقى المنصة وطفق يتلو كلمة الضراعة المعتادة والثناء المستطاب لله العلي القدير وبعد ذلك قال:

الشيـــخ

تسود كلَّ أوطانِ مجتمعنا العربي مزاعمُ الملحدين ضد لغتنا الأصيلة وضد مجتمعنا العربي ولكنها مزاعم ملفقة بنسيج الْخَرزِ المطرز بأسلاك الذهب المنسلكة فيه فرائد اليواقيت المسحورة بمفاتنَ أخاذةٍ من مُدْهشات الفن. إلاَّ أنها مَسْمومة تساقطُ اللحمَ وتعرك العظم. كثوب امرىء القيس يا لها من مزاعم.. هي السم الزعاف في الماء العذب الزلال، روجها مكرة الدعاة المستخفين والظاهرين، وبثوها في كل عواصم المجتمع العربي. وزخرفوها باللآلىء والجوائز والأشرطة والأوسمة والبدر المليونية، وعرضوها في أشهر اسواقها، وأمتع أشواقها، وزينوا بها رفارف البلور الصافي في كل أندية النشأ، وسلطوا عليها أضواء الطيف، واغروهم بها واجتذبوا قلوبهم إليها بسحرهم، حتى سقطوا في فخافها.. وأوشكُوا أن يكونوا سبب تَهْلُكَتها. لو لم يرفع روادُ المعرفة عنها الستارَ فيشاهد شبابنا ما وراء الأكمة لوقع المكروه. هذا هُوَ قَدر حفظِ اللهِ للغتكم يا شبابَ العرب، فاعْملُوا وَلاَ تسْتَسْلمُوا وإلاَّ ذَهبَ ريحُكم.

زمرة الشباب التلامذة

يا له من هول مرعب مخيف سدد الله خطاك - يا سيدي - واعانك على تسديد خطانا فهلم اكشف لنا مزاعم دعاويهم واضحدها بدعائم من يقين العلم، وبراهين مِنْ سُلْطان المنطق، وأضواء من نور الصدق.

الشيـــخ

الدنيا ياأولاي لمعةُ آل وشيكة الزوال، فأمدوها بالهدى والرحمة والخير. تمدكم رحمة الله بيقين العلم في كل مجال والتوفيق وما أهون كشف مزاعم المترصدين لكم وللغتكم وما أهونَ نصرتكم عليهم.. وها أنا أسرد لكم مزاعم دعاويهم تفصيلاً زعماً زعماً. ثم انقضها كذلك زعماً زعماً. فاصغوا ودونوا فليس الأمرُ محلٌّ تهاون أو شرود أو هوى..

زمرة الشبـــاب

هذه أقلامنا بأيدينا مصغيةٌ واعيةٌ فحدثنا، وما عليك فستظلُّ حقائقُ ما تكشفه لنا للأجيال الآتية كنور بصيرة إنْ شاء الله.

الشيخ يفصل المزاعم تِبَاعاً

الزعـم الأول:

الكلمةُ العربية غير متطورة، وغيرُ عالمية وغيـرُ فنية وغيـر قادرة أن تستهوي عقولَ الجماهير وقلوبهم وتسود أهواءهم وغير قادرة أن تسحرهم وتُحَبِّبَ لهم العلمَ والأدب والفن ومعالي الأمجاد فاصْنَعُوها بعبقرية ونشاط وتفوق.

أي أن الكلمة العربية غير قادرةٍ أن تحقق لهم يقين المعرفة التي تهم

كل إنسان وغير قادرة أن تقدم لهم أدباً عبقرياً مركزاً على جمال الفن وجاذبيته الشعبية.. !

وكل لهفة شباب العرب أن تهيمن الكلمةُ العربية سواء أكانت شعرية أو نثرية على الأسواق العالمية وأن تظهر بشخصيتها الأصيلة العريقة، وأن ترتديَ أحسن معاطفَ عصرِنَا الشفافة الصافية الجذابة التي لا تَحْجبَ ما وراءَها في كلِّ وطنٍ عربي.. أي لغة الجمهور والمقصود أنَ الكلمةَ العربيةَ لم تظهرْ بكلِّ حُسْنِ العصر وسهولتِهِ وبساطِتِهِ، أي لم تستطع أن تستحوذ على أنفس الجماهير وأهوائهم وأحلامهم وأَمانيهم من قريب والسبب أنها لم تطرح عنها حتى الساعة ملتويات الصناعة الرثة ومتاعبها وأغلالها ومغاليقَها وحَوَاجِزها ومَشَاقَّها فهي عقيمةٌ عقيمةٌ، ويا ليتها تجددت ولو أنها تجددت في ذاتها مثل أختها اللاتينية وارتدت ما هو مألوف ومعروف وسهل وبسيط لدى جماهير كل وطن عربي في آسيا وإفريقيا لأنجبت كثيراً مثل ما أنجبت أختها اللاتينية من لغات راقية جذابة من أجلهن قدْ هجرَ معظمُ فتيانها وكهولنا ولجمالهن وخفتهن ورشاقتهن هجرُوا هذه العجوز الشطحاء التي أكل الدهر عليها وشرب وسامها كل مفلس. ولم تنجب واحداً تملأ عبقريته الدنيا كشكسبير ودانتي وغوته وتاغور وهيجو، وكذب الذي يقول:

ما قل فينا النبوغ وإنما عَدَدُ الأولى قَدرُوا النبوغَ قليل

أجل كذب لأن النابغة يشق طريقه ولو بين الصخور والجلامد العصيبة.

الزعم الثاني :

سوءُ فهمِ شيوخ الأدب العربي هم تَخَيَّلوا أَنّ تطورَ اللغةِ العربية يَعْني موتَها، لا لا... يا سادة. بل يَعْنِي حياتَها... حتمٌ حتمٌ أن الموتَ طريقُ الحياةِ الأبدية: هي حقيقةٌ تعلمونَها وتتجاهَلونَها.. وتؤمنون بِهَا

وتحاربونَها. . العذر أنكم نَسِيتُموهَا ولِماذا نسيتموهـا؟!! وهي أسطع من الشمس ظهراً والصق بالنفسِ . أَلَا إنَّ التطورَ هو حياةٌ لِلُغتِكم إنْ كنتم حَقاً تريدون حياتها أجل حياة في أسلوب جديد ومناسبات عبقرية لم تكن في الحسبان من قبل وإبداع مغارس لألوان وورود لم تكن لتخطر لكم على بال يا هؤلاء ثبوا للتجدد بلغتِكم التي هي أشرف اللغات هي بحر لجى غامر ـ ولا يكن أحد منكم كجلمود امرىء القيس من صخور أجا وسلمى. . ـ يا هؤلاء ـ انظروا ماذا أنجبت اللغة اللاتينية. وكفى بها مثلاً ألا ترونها رقت في اللغة الفرنسية حتى غدت كتغريد البلابل على الأفنان، وعلى ألسنة السويسريين كرنين الأوتار.

وجذلت وامتدت في الايطاليين، وربت واتسعت في الاسبانية، وتساوت متتابعة في رجة النبرات في اللغة البرتغالية. .

ولماذا الافاضة وبنات اللغة اللاتينية يتواثبن فراهة وحياة وعافية وصعوداً وقوة بين أيديكم. . . وما مات من أنحجبَ.

وهنا تعالى الأذانِ في مسجد عكاظ الكبير، والشيخُ يقول غدا غداً بقيةُ المزاعم وبعد الصلاة انصرف الناسُ إلى مقر رَاحتِهم.

قصة صياغة الكلمة العربية

الحشد الرابع

بات رواد سوق عكاظ في شرود وغيظ من مزاعم العنصريين الحاقدين صغار النفوس لأن مفكري الأمم الإنسانيين يتطلعون إلى اكتشاف عجائب عوالم القضاء ومعالم آيات الله المتجلية في خاتم وحي الله..

وهؤلاء العنصريون يدبرون المكائد والمهالك للأمم ليل نهار.. فشتان ما بين الفريقين فريق يبنون الحياة وفريق يهدِمُونَها...

شذوذ شذوذ في طبائعهم وقساوة قساوة في قلوبهم وصغار صغار في عقولهم وجشع جشع في أنفسهم وظمأ ظمأ إلى إراقة دماء البشر ظلماً وعدواناً.

فإذا كانت هذه هي شمائلُ شَعْب الله المختار، فماذا تكون شمائل شعوب الله، غير المختارة. يا أخي انتظر الرجم والبلايا والزلازل والبراكين تنزل على الأمم في ساعة غافلة. ما دامت هذه هي أرقى أخلاق البشر وأكرمها واصفاها وأعلاها حضارة وعلماً وأدباً وفناً وإنسانية.

أجل قَامَ رواد سوق عكاظ ليلتهم، وهم في عجب عجاب أن يكون في البشر في هذا العصر القمري مثل هؤلاء العنصريين الذين كرسوا أنفسهم في الأمم لتدمير الأمم. وتكفيرهم وتمزيقهم بأيديهم، بأسلوب المؤامرات

الخفية، وتعميقها في أنفسهم باشعال الغرائز والعـواطف واخماد التفكيـر الصحيح.

ومن جراء ذلك لم ينم رواد عكاظ إلا لماماً وإلا تشرداً وإلا انتظاراً للغد.. فما أعظم تأثير قصة صياغة الكلمة في الأنفس، ما أعظمها..!!

ومن أجل ذلك رفعت الأعلام على سواريها. وهتف الهاتفون وتنادوا هلموا هلموا.. وبادرنا وبادر الرواد من كل صوب إلى المُخيَّم.. وآويت إلى زاوية بجانب المنصة، لأكون أقرب من كل أحد من الشيخ حاشا التلامـذة ولكي أتمكن من حسن الأصغاء، ومن امانة تدوين ما أسمع. وكان الشيخ قد علا المنصة، وهو مستغرق في أفكاره كأنه يجمع كلمته في نفسه..

وكنا نحن في ظمأ لهيف إلى ما يقوله في كلمته عن جملة هذه المزاعم الإجرامية والأشد الأشدُّ ظمأً في أنفسِنا هو معرفة البراهين التي تُدمِّرُ مُفْتراتِ المزاعم وتحطمها، وتكشف أنها صغار في صغار وحقد في حقد وبغي وجهل وتتطاول وثعلبة وكيد ونذالة يا رب سلم.

الشيـــخ

الزعم الثالث:

زعموا أَنَّ التجدد في أصول اللغة وقواعدها، وفي تراكيب جملها، ومخارج حروفها بالتغير والتبديل والزيادة والنقصان في صميم ألفاظها وفي عَيْن أوزانها ما بين لهجة ولهجة لتكون لغة مستقلة لا يضر ذلك اللغـة في قليلٍ أو كثير لأن إليها المرجع والمآب لدى تباين الرأي، ولدى الحاجة إلى إيجاد ألفاظ جديدة لتوفر وجود المعاني الجديدة والحضارة دائمة تجـدِّدُ المعاني فلا بد من تجدد ألفاظ خاصة بها لِتَنْتَظَم في سِلكِ اللغة. بواسِطةِ الإشْتِقاق أو النحت أو ملاحظة أصل مدلولات المادة. أو استعارة الأوزان.

وإذا لم يحصل هذا التجدد، ويطرد في ذات اللغة نحواً وصرفاً وأوزاناً ومخارج حروف على نظام اللغة الشعبية لدى أهل كل قطر من يوم إلى يوم، بل من ساعة إلى ساعة فحتماً تكون اللغة كجليد القطب تجوز عليها الحقب تلو الحقب وهي في أرضها راسخة رسوخ الجبال، وجامدة جمودها إلى غير نهاية وباردة برودة جليدها وزمهريرٌ فوق زمهرير يرقب نفخة الصور.

ومتى جمدت اللغة هذا الجمود فإن الأدب يصبح لا حياة فيه، ولا شبه حياة ولا حركة فيه ولا صورة حركة.

ومهما يكن فالحركة الواعية، والتعبير اليقظ هو آية الحياة الراقية المجيدة والسكون الصامت العميق البارد هو آية الموت الزؤام العاجل..

وانتم يا شباب الأوطان العربية هل تريدون للغتكم الخالدة الموت الزوام العاجل أو الحياة الأبدية صرحوا بما تريدون ولا تواربوا.

فالصراحة إيمان والمواربة نفاق والصراحة حياة والمواربة موت للغتكم في إقْليمكم إنهضوا إنهضوا لتجديدها فتجديدها عز لكم وحياة.

وكم من أمة عزت بعز لغتها الخاصة وخلدت بخلودها ألَا إنَّ تجديد اللغة هو حياةٌ أبدية لها ولأهلِها..

يا راعي الله لغة العرب فإنها اللغة الوحيدة القادرة أن تلد مئات اللغات الجديدة ولها حفظُ السماء هيَ مباركة مباركة ومنجبة منجبة.

الزعم الرابع:

إن الأدب الحقيقي لأية لغة من اللغات، هو الذي تفهمه جماهير الأُمة وتتغنى به في ملاهيها وفي خلواتها، وتنشدُهُ في دواوينها ومساجلاتها، وتتفكه به في غدواتها وروحاتها. سواء أكان نظماً أو نثراً.

أي هو الأدبُ الذي تتجدَّدُ به العلوم والفنون، وبدائع القصص

والتمثيليات ويأتيك بالمدهشات المدهشات من كل جديد عبقري مبتكر. بدون حاجة إلى أسس قواعد معقدة، ومتابعة دراسة شاقة تقصم الظهور. وبدون حاجة إلى تلقين وتدريب واعتراض ونقد، وأخذ ورد وسهر ليال مضنية توهن القوى..

قل هو الأدب الذي يحقق شخصية الأمة وشعبيتها، ويعمق معرفتها.. ويُشْجِيهَا بأغانيه، ملء وجدانها، ويحلق بها إلى أفراح أمانيها الحسان في مجالي الأحباب، بين لهفات الوصال، وحرق الهجران. بكلٍّ ما لسلامةِ الفطرة وعراقتِها من أَصَالة مَعْدِن صافٍ صافٍ.

أو قلْ هو أدب الفطرة الصافية، الذي لا تعكرهُ الصناعةُ، ولا يُعميه الإغراب ولا يجور به القصد، وخشونة الطبع، وتهافت الفن والتواء الفكر، وسوء ألسنة الخلق.

الزعم الخامس

إن اللغةَ العربيةَ غنية غنية ولكن لا بلجج قواميسها ولا بكثبان معاجمها.. فما أسهل اشتقاق الألفاظ وترادفها وتوالدها حتى تكون أعلى وأضخم من الجبال هي غنية على كل حال. وسبب غناها الحقيقي هو وفرة لهجاتها الصالحة لكي تكون كل لهجة لغة على حدة فهل بعد هذا من غنى للغة من اللغات. فكر معي يا صاحبي فكر. فكم من لهجة موجودة في بلاد الشام: الأردن وفلسطين وسورية ولبنان. وقل مثل ذلك في لهجات بلاد المغرب أو العراق أو مصر أما لهجات جزيرة العرب فلا شيء أرع منها ولا أحق أن تكون لغات عربية جديدة خليقة بالاهتمام، والتدوين والتدريس ووضع القواعد والأصول. وهذه هي اللَّعنةُ التي تَربُو على لعنةِ إبليس.

والخلاصة في زعمهم أن كل لهجة من لهجات الأقاليم العربية صالحة أن تكون لغة عربية مستقلة وشريفة عظيمة وخليقة بأهلها، وأهلها خليقون

بِهَا.

إنها جمال جمـال من الصياغـة والجدة والاستقـلال والحريـة وتمثل الشخصية الشعبية وهل في الوجود الأدبي في العالم كله أجل من أن تحقق الأمة شخصيتها الشعبية في لغتها الخاصة بها التي تحيا بها في كل جمع ونـادٍ. وهنا طلب إلينا زيادة الانتباه إلى هذا الـدس المتعمد.

ولغة الجزيرة العربية ـ العجوز الشمطاء ـ كم هيَ خالدة تحيا ولا تموت. وتكثر ولا تقل وتغتني ولا تفتقر، وتحسن ولا تقبح، وتسهل ولا تصعب يكفي أنها تحيا حياة جديدة صالحة فنية في كل زمان.

والحق أن تدريس أهل كل وطن عربي بلغتهم العامية الشعبيَّة أحق وأولى. والجامعات والمعاهد العلمية تخلد بذلك وتستقل وتسمو وتعلو، ولئن تعبت أعواماً في وضع القواعد الجديدة للغة جديدة، فإنها تستريح دهوراً ودهوراً..

ومهما يكن فتدريس أهل كل وطن عربي بلهجتهم الشعبية الخاصة بهم في معاهدهم وجامعاتهم أولى وأحق كما هو الحال في أمة الهند فلماذا لا يكون ذلك في أمة العرب..

ولا ينبغي لمفكر أو كاتب أو شاعر أن يصغي لغير ذلك. أن غير ذلك سوء سوء في النية. وبلادة في الطبع، وضيق في القلب وشر وشر ما بعده ولا فوقه شر وسوء.

ولا يوجد عربي واحد مفكر عبقري ومجيد واع يرفض أن يقدم لهجته الخاصة على لغة مرت عليها آلاف الأعوام، ولا يجعلهـا لغته الـرسمية الأصيلة. والوقت مناسب والفرصة مؤاتية وأماني الحضارة على طرف التمام والكمال. هذا لون فاجع من الدس.

الـزعـم الثالـث:

الإسراع في توجيه الدعوة العامة إلى كل زعماء الأوطان العربية سواء أكانوا من أرباب السيف أو من أرباب القلم..

وأن يطلب إليهم أن يقرروا اعتماد اللهجة الشعبية لغة رسمية أي يجب على كل جماعة تقرر أن تكونَ لهجتُها الشعبية لغة رسمية خاصة بها دونَ سواها. وتصميم الأكثرية قوة.

أي يجب على حكومات الأوطان العرَبية في آسيا وافريقيا أن تكسب الفرصة المؤاتية قبل فواتها وقبلَ أن تمرَّ الأزمانُ فيفرض على كتاب دوائرها الرسمية وعلى الأندية الأدبية، وعلى أرباب الصحافة والمدرسين والمؤلفين والكتّاب والشعراء أن يعتمدوا اللغة الشعبية لغة رسمية على الرغم منهم، وأن يلتزموا لمصلحتهم متابعة الجماهير في أساليب أحاديثهم وقصصهم ونظمهم ونثرهم وأحاديث أسمارهم، وأن يتركوا التشدق والتَّحذْلقَ بلغة لا يحسنُها النابغة ولو أنفق في تحصيلها نصفَ قرنٍ... دعوها دعوها ولتنصرف كل جماعة إلى لغتها الشعبية وتنوب عن الفُصْحَى المقررة من قبل كل دولة عربية.

وما دامت اللهجة الشعبية هي اللغة المفهومة للجماهير فلماذا نرهقهم بالتحدث إليهم بسواها وما دامت هي المرغوبة لديهم والقريبة إلى قلوبهم، وما دام المستقبل لها حتماً فالأجدر المبادرة والأخلق الإسراع في فرضها واعتمادها رسمياً في دوائر الدولة وفي المعاهد العليا والصحافة وسواها. واللغة العربية لا تهجر بالمرة هي تكون كاللاتينية يرجع إليها لدى الحاجة.

وما أسهل فكرة النهوض باللهجة العامة لجموع الجماهير في كل إقليم بالنسبةِ إلى اللغة العربية الفصحى واللغة العربية الفصحَى بحر لجي يفقد

النهاية أي الشـواطيء التي يمكن أن تكون مـرساة ونهـاية ومبـادرة إلى الإستجمام. وتجهيز السفن الماخرة.

هذا عسير بل مستحيل أن يعود الناس فيتحدثون كما كان قبائل الجزيرة العربية يحدثون قبل ألفي عام. إنَّ هذا يقتضي أقامة الف الف حديقة اطفال تلتزم الحديث باللغة الفصحى.

أجل عسير وصعب وغير ممكن ويكونُ تعباً ضائعاً وجهاداً غير طائل، ولا جدوى منه لعربي واحد..

يا عرب دعوا هذا العمل المضني الشاق فاللهجة الشعبية كلمتها خفيفة على اللسـان وخفيفة في الميـزان وأسلوبها قـريب المسـاغ إلى اللسـان بسلام.. لا كلفة ولا ضيق ولا حرج ولا عنت ولا إرهاق ولا سهر ولا نصب فيها.

وهنا أحسَّ الشيخُ أن مقاله استنفد من الزمنِ أطولَ مما قدره وإن كانَ الحشد لم يُحسِّ بَمَسٍ من الطول بل كان إحساسه أنَّ الشيخ لا يزالُ في الساعة الأولى.

يا له من حديث .. شهي لذيذ دسم .. عذب سائغ شرابه... فرات فرات. وسلسل سلسل فكيف تمله الآذان وهل الآذان تمل مما يسكرهَا ولولا أن تعالى النداء الله أكبر الله أكبر.

لما أعلن الاستئذان، وأرجأ تتمة البيان في مزاعم الملاحدة أَعـداء العروبةِ، وتفرق الناس بعد الصلاة للإستجمام وذلك مرغوب فيه بعد أن تسرب الوهن إلى قوى الشيخ.. وفي العطاء جهد موهن لا يحس به الآخذ فالطاهي يتعب باعداد الغذاء والطاعم يتلذذ بتناول ألوانه بنهم دون أن يذكر متاعب الطاهي فما بالك باعداد غذاء العقل والقلب والضمير.

فجهده يفوق كل جهد، وإعداده يضني ويضني.. وناهيك بنهم متناوليه إذا كانوا أصحاء أذكياء وكان الغذاءُ دسماً جيداً شهيًّا فإنـه يسقط الزمنَ ويجعلهِ سِنةَ سحرٍ، وخلسةَ لذةٍ ورقصةَ سكر.. عبقري فذ حلال..

لذلك انصرفنا إلى منازلنا المعدة لنا، كما تنصرف العروس إلى حجلتها أو كما ينصرف الحالمون بأحلام اليقظة إلى شواطىء الأنهار المتدفقة بأضواء القمرِ المتألقِ في ليلة النصفِ انصرفنا وطيف الشيخ ورنة حديثه وإشاراته ورونق محياه، نعمى نعمى، تسايرنا.

قصة صياغة الكلمة العربية

الحشد الخامس

لا حِسَابَ لَمَقاييسِ الزَّمنِ في أَقْدارِ أعمالِ الإنسان، ولا في خلودِهَا أو زوالها، ولا في نفعِها أو ضررِها. ولا في سُموِّهَا أو انْحطَاطِهَا، ولا حِسابَ حتى في أشهرِهِ وأعوامِهِ. بَلْ وحتَّى في حِقَبِهِ ودُهُورِهِ. . . بالنسبة لكشفِ حقائقِ يقين العلم، وبالنسبة لإبْداعِ صياغةِ الكلمة، وسَحْرِها، وبالنسبةِ لمفاتِن الْفَنِّ وَطُرفَهِ. . .

فربَّ الهامٍ ساعةٍ تفوقُ جهودَ أعْوامٍ ، وربَّ عَبْقريةِ كلمةٍ تُخلِدُ ذكرى قائِلهَا ما لم تخلدْهُ مُجلداتُ ضِخامٌ، وربَّ قصيدةٍ تتغنى بمحاسنها النوادي والأسمارُ بما لم تتغنَ بدواوين تتزاحمُ فيها القصائدُ الطوالُ، وربَّما لَمساتِ ريشة شاعرة مِنْ لمساتِ الفنِّ التصويري في لَوْحةٍ تهزُّكَ ألَفَ ألفَ مرةٍ لَمْ يَهزُّكَ بمثلِ ذلك مَعْرضٌ مِنْ مَعارضِ الفن.

أجل إنَّ جَرَّةَ رِيشَةٍ مِنْ رَجُلٍ غَيْرِ فَنَّانٍ ولا عَبْقريٍّ تُحوِّلُ الْجَمالَ إلى قُبْحٍ ، والجاذبيةَ إلى نُفورٍ، والنعمةَ إلى نِقْمةٍ، أشبهَ بوَضْعِ كَلمةٍ مكانَ كلمةٍ أوْ زيادتها في غيرِ مَحلِّها أو نقصانها مِنْ محلِّها تُزَلْزِلُ الروحَ البيانيَّ وتَعْصِفُ به عَصْفاً.

وهذا هو الإخفاقُ في صياغةِ الكلمة. .

والنجاحُ في صِيَاغةِ الكلمةِ وإبداعِهَا كَفِتْنَةِ مِحْرابِ الحمراءِ في غرناطةَ لا ترى غيرَ وافدين عليه ساعين في خشوع وَدَهْشة. . !!

هُوَ خُلودٌ تمر به الأجيالُ والأحقابُ: وإشراقُ جَمَالِه هو هو، وسحرهُ هُوَ هُوَ وَفِتْنَتُهُ هي هي. حتَّى لوْ جَاءَ ألفُ ألفُ عبقريّ بعدَ ألفِ ألفِ قرنٍ لما اسْتطاع أن يُفْلَتَ مِنْ سطوةِ جَمالِ الْفَنِّ، وسطوةِ سِحْرِهِ وفتنةِ فِتْنتِهِ. . أبداً أبداً. . . !

ناهيكَ والكلمةُ المعجزةُ الرائعةُ أبديةٌ أبديةٌ في وَحْيِ اللهِ تخشع ملائكةُ السماء لها، ويسجد عباقرة البلغاء حتى والعامة لدى سماع سجداتها ونحن في هذا العصر السعودي الأخضر وفي هذه النهضة الحديثة ترتادُ سوقَ عكاظ الإسلامي في جزيرة العرب الوفودُ من كلِّ فجٍ عميق. وَهَا أَنَا ذا أرتادُهُ بكلِّ ما في نفسِي من إكبارٍ ومعرفةٍ وَبَيانٍ وَفَنٍّ وحَسَاسيَّةٍ، وهذا حالُ سِوايَ مِنْ أربابِ البيانِ وصَاغةَ الكلمةِ. لأن السماءَ تطلعُ بشموسها وأقمارها فيه أبداً.

وكلُّنا كلنَّا تتوقَّدُ أَشْواقُ مَصَابيحِهَا في أعماقِ أفئدتِنَا ساطعةً جذابةً. وهذا الذي جعلنَا نحن المحتشدين لِلْعلمِ بتأريخ صِياغةِ الكلمة العربية هَائمين بحديث الشيخ عنها كلَّ يومٍ. وكان الوقتُ أزف والأعلام الخضراءُ رُفعتْ والأبواب فُتحت. فأسرعنا وأسـرَع سِوانـا من كلِّ صَـوْبٍ وَتَزاحمَ الوافدونَ حولَ مِنصةِ الشيخ، ولم أتمكنْ هذه المرة أن أكون على كَثَبٍ من المنصةِ، ولكنْ جلستُ تحتَ مُبَلِّغَةٍ توصلُ إلينا صوتَ الشيخ. وَإنْ بَعُدَ. وكان الشيخ جلس على المنصةِ، ولكنه لم يتحدثْ بصوتِ مرتفعٍ بـل بصوتٍ هَادِئٍ جداً. إلا أن المكرفون كان يُضاعفه. . قال:

الشيـــخ :

أنا لا أحبُّ أن تُؤخذوا على غِرة في لغتكم الكريمةِ. ولا أن تروح بشبيبتكم وتغدو مزاعمُ الأبالسة أعداءُ أنفسهم قبلَ أن يكونُوا أعداءَ وحِي ِ اللهِ، ولغته الخالدة..

وهلْ في الوجودِ عداوةُ ظالمةٌ مُرَّةٌ تودِي بِصَاحِبَها، وَتَحِيدُ به عَنْ رُوحِ الإنسانِ، وتُحيلهُ إلى صَخْرةٍ من الفولاذِ قاسيةٍ قاسيةٍ، وإعصارٍ مِن العسْفِ مُجْتاحٍ مُجْتَاحٍ..! وبئرٍ من الأطماع عميقةٍ عميقةٍ، مَا لَهَا مِنْ قرار...

وَمَا رأيتُ في الوجودِ عداوةً ظالمةً مُرةً لَها كلُّ هذه السيئاتِ والآثامِ والسقطاتِ مثلَ عداوة الإنسان لوحي خالقِه العظيم جلَّ جلاله مثل هذه!!

إنها العَدَاوةُ الظالمةُ المـرةُ اللعينةُ، هي التي أشعلتِ الحـروبَ في الأرض. وإنها العداوةُ الظالمةُ اللعينةُ هي التي أراقتِ الدماءَ، وهي السببُ الظاهرُ والخفيُّ في كل هذه المؤامراتِ والحروب الأهلية والأحقاد والأطماع والأهوال. عداوةٌ ما لها من سبب سوى تخلف المجموعة النفسية.

وهذه العداوةُ الظالمةُ المرةُ اللعينةُ هي التي كانت الواعزَ إلى دَسِّ هذه المزاعِم في أوطان المجتمع العربي أولاً وفي العالم الإسلامي ثانياً. وما كان في تركيا ضِدَّ اللغةِ العربيـةِ إلاَّ صورة نـاطقة من عمـل الصَّهاينـة الضولمة، وهم الذين أظهروا الإسلامَ وأبطُنوا الكفرَ: إخـوة عبد الله بن سبأ..). عسى الله أن يوقظ ضمائرهم لأنهم في عصر النوم.

وإني أكره أن تؤخذ شبيبتنا في صميم ِ حياتِهم، وقوام ِ أمجادِهم ومناطِ عزتِهم الكلمة العربية الكريمة المعجزة المتحدية التي أوحاها الله جل وعز في القرآن المجيدِ على خاتِم رسلهِ سيدنا محمد ﷺ لتكونَ صِحَّةً للعقيدةِ

وبصيرةً للعلم، وسمواً للخلق، وعهداً لحفظِ اللغةِ العربية الماجدة إلى يوم القيامة.. !

.. وما دَسَّ العنصريون أعداءُ العرب والإسلام هذه المزاعمَ الآفاكة المجرمة في أواساطِ الأوطانِ العربيةِ والمسلمة إلَّا وفي زعمهم أن الحقد والهدم حين ينبعثُ من أهل اللغةِ بالذاتِ ضدَّ لغتِهم سواه حين ينبعثُ من أفواهِ الأعداء مباشرة.. أو من أفواه المندسين بينهم.

وسواء انبعثت هذه المزاعم المجرمة الممزقة التي تجد مقاصدها ومعانيها تحلق على أجنحةِ الحمائم البيضاء، حمائِم السلام خديعةً تارةً، وأخرى على جُلودِ الأراقم الناعمة الفتاكة.

وإني أحب أن تعلموا أنتم أولاً حقائقَ كلِّ شيء يُدسُّ ويبثُّ ضُدَّكم وضدَّ لغتِكم ودينِكم وضدَّ وحي اللهِ المنزلِ عليكم. لتكونوا على بينةٍ من الأمر، وتأخذوا حِذْركمْ ولا تؤخذوا على غِرةٍ كما قلتُ لكم مراراً وتكراراً وإليكمْ بقيةَ المزاعِم..

الزعم السابع:

الناسُ السذجُ يَخافونَ ضياعَ كنوزِ أدبِنَا العربي القديم سواء أكانَ قبلَ الإسلام أو كان بعدَه، ويروْنَ أنَّ اعتمادَ اللغةِ الشعبية بدلَ اللغةِ العربية القديمة في حَمْلِ معالِم الحضارةِ الحديثة كارثةً ما بعدَها كارثة لأنهم يعتقدونَ أن التراث العظيمَ سوف يضيعُ، ولا يبقى مَنْ يفهمه أو يهتمُّ به أو يحافظُ على إبقائه وإعلانه والتنويه به في الأجيال القادمة. والذي أعتقده أنَّ الخوفَ على ضياع التراثِ الأدبي القديم الصالح هو في غيرِ مَحلِّه بتاتاً، لأنَّ الترجمةَ والنقلَ سهلةٌ جداً وممكنة جداً فكل الذي نَراهُ في الأدب القديم صالحاً لأهل الاقليم نافعاً ننقلُه بحذافيرِه إلى لغة أهلِه الشعبيةِ الحديثةْ كل

فئة تنقل إلى لهجتها ما تراه نافعاً.

ولا يحرم من النقلِ إقليمٌ عربيٌّ دونَ إقليمٍ عربيٍّ، بل كلُّ وَاحد من أقاليم المجتمع العربي يستطيعُ أهله أن ينقلوا الجيدَ الحسنَ من النَّثرِ والشعر، وكذلك يستطيعون أن ينقلوا من المؤلفاتِ أجودها فتظل الوحدة الثقافية هي هي بين أبناءِ المجتمع العربي دونَ خلل أو قلقلة أو ضياع إذ بالضرورة أنه لا بد أن يصبحَ لكل لغةٍ شعبيةٍ كتابٌ وشعراء ومؤلفون وصحافيون. هؤلاء هم همزة وصل الوحدة العربية بين أبناء أقاليم المجتمع العربي الواحد، واختلافُ اللغات لا يضر بتاتاً. فهذا المجتمع الهندي أكبر بكثير من المجتمع العربي، وهو متماسك مُوَّحد متفاهم أكثر من المجتمع العربي. على الرغم من اختلاف لغاتِه.. بل بلغ عدد اللغات الرسمية ثلاثة عشر لغة.

فلو أن اختلاف اللغات يوجبُ الانقسام والتمزق كما يدعي البلهاء لتمزق الشعب الهندي حتماً ولما رأيناه موحداً وقوياً ومتفاهماً بمثل هذه القوة. إذن فالترجمة تكفي كل الكفاية في وحدة ثقافة الأمة، وهي توحد بين أبناء الشعب الواحد، بل بين أبناء العالم الإنساني كافة..

فلماذا الخوفُ، وهذه أوربا رغمَ اختلافِ لغاتِها وتباين نزعاتها طفقت تُوَحِّدُ نفسَها بنفسِهَا شيئاً فشيئاً، فكر. فهذه السوق المشتركة التي كانت حلماً من الأحلام قبلَ أعوام أصبحت اليوم حقيقةً ماثلةً لِلعَيان.

والخلاصةُ أنَّ وحدةَ أوربا لا تقومُ على وحدة اللغة ولكن على وحدة المصلحة والمصير والاتحادُ مَجْدُ حياةِ المجتمعات الكبرى الهائلة، كالمجتمع الصيني والأمريكي والهندي، وهؤلاء ساسة افريقيا المفكرين الاجتماعيين الذين يعملون لوحدتها وتفاهمها يدركون في الوقت نفسه أن اختلاف اللغات لا يمنعُ الوحدةَ والاجتماع والتفاهم.

وقديماً نقلوا الأدب اليوناني إلى لغات أوربا، قاطبة. وكذلك فلسفتهم وقد عرف العرب من الفلسفة نَفسِ مَا كان يعرفُه اليونانُ أنفسُهم بل زادوا عليهم في كثير من مسائلها. وكذلك نقلوا قصةَ عنترة وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وروايات شكسبير التمثيلية كما نقلوا سواها، فدوائرُ الترجمة ومؤسساتها متوفرة لدى كل دولة كبيرة أو صغيرة. إذنْ فالزعمُ أن الأدبَ القديمَ كنوزُهُ تضيعُ، هو خَطأٌ في الرأي، وعصبية وفتنة وغرور ووسْواس في غير محله..

الثـــامن:

العبقـريـةُ والنبـوغُ دأبُهمـا الابتكـارُ والتجـديـدُ. وإبـداعُ العجـائب والمدهشات. فإذا قيدتَ العبقريَّ والنابغةَ بقيودِ اللغة القديمة وقواعِـدها العَصِيَّة العسرة، وإغلالِهَا القاصمة للظهور، وقف ولم ينتجِ الإنتاجَ العبقريَّ الخالد الذي تعتزُّ به الأمة لدى الأمم، وتخلدُ به الأجيال. وبطبيعة الحال ينجرُّ وراءَ المنتجين القدامىٰ ويظلُّ يقتبسُ من ظلالِهم ظلالاً، ومن أطيافِهم أطيافاً، ومن موضوعاتِهم موضوعات..

ويصبح لا ينطقُ إلَّا بلسانهمْ ولا يتغنى إلا بقصائِدِهِمْ. ولا يحاورُ ولا يناقِشُ ولا يفاخرُ إلا بعقليتهم..

وكل ذلك يميتُ العبقريةَ ويقتلُ النبوغ في الأمم العربية.

إذن فَالسببُ في ندرة العباقرة في مجتمعنا العربي والنوابغ هو التمثلُ والأحتذاء وهُمَا بلاءٌ فوقَ بلاءٍ، وتخلفُ إثرَ تخلفٍ. لذلكَ دَعْ هؤلاء العباقرة من الشعراء والكتّاب والقصاصين الفنيين يحلقون بلغتهم الشعبية التي تمثلُ شَخْصيتَهم وعبقريتَهَا أبرعَ التمثيل. واطلب إليهم أن يقتصروا في إنتاجِهم عليها.

وكلٌّ هذا مُسَوِّغ للأخذِ باللغة الشَّعبيةِ قبلَ كلَّ شيءٍ..

وهنا أمسكَ الشيخُ على الكلامِ، وتعالى الأذانُ، وتوافدَ الحشودُ لأداءِ فريضة الصَّلاةِ وبعدَها انطلقوا إلى منازلِ راحتِهم منتظرين ساعةَ الاحتشاد بفارغ الاصطبار.. وحشدُ قلوبهم شعلُ اللعنات تتوقَّدُ ضدَّ أولئك الكفرة الفجرة أعداء لغة الجزيرة العربية التي آثرها الله بانزالِ خَاتمِ وَحْيِهِ بها.

قصة صياغة الكلمة العربية

الحشد السادس

بدأ الشيخ في هذا الحشد الحديث دون مقدمة ودون الفات أنظارنا إلى ما اعتزم قوله بل قال:

الشيــــخ :

١ ــ الرأي ليس نافعاً إذا أوانــه مــضــى

---

٢ ــ الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعان هــو أولٌ وهيَ المحـلُّ الثَّــاني

فإذا هما اجتمعَا لنفسٍ حُرةٍ بلغت من العـليـا كــلَّ مكــان

فقائل البيت الأول أحمد شوقي. وقائل البيتين التاليين المتنبي.

١ ــ البيت الأول

يكشفُ البيت الأول أن الرأيَ الصحيحَ المشتملَ على عينِ الحقيقة، والمؤدي إلى سلامةِ النجاة، ومِنْحةِ النجاح، ولذةِ الفوز.

يَجبُ أن يُؤخذَ به في إبَّانِه، بِكلِّ قوة وعزم وحزم وذكـاء، وصدق وتصحيـة. وإذا أهمـل، ولم يؤخـذ بـه في أوانـه أفضى إلى الأخفـاق

والمهالك، ولم يفد شيئاً، ولم ينتفع به أحدٌ فتيلاً وكانت النهاية خسراناً في خُسْرانٍ..

٢ ـ **البيتان التاليان:**

يكشفان حقيقتين أساسيتين:

الأولى : أن الرأي السديد مقدم على الشجاعة. لأن الشجاعة إقدام ومغامرة وتضحية وبذل دون اهتمام بعواقب الأمور.

ومن أجل ذلك كانت الشجاعة كدفْق المُـزْنِ أَحْياناً يَضرُّ وأحياناً ينفعُ... أي أن الشَّجاعةَ أحياناً ينجمُ عنها الانتصارُ، وأحياناً ينجمُ عنها الخِذْلانُ.. إن صحبها التهور الأهوج الأعمى.

وإن سُقيَتِ الشجاعةُ بأضواءِ الرأي السَّديد. والأخذ بِحَسْمٍ وعزيمةٍ والتزامٍ. فإنَّ الخِذْلانَ يُبْتُر مِنُ أساسِه، وَيظلُّ الانتصارُ المؤكدُ هو الحقيقةُ الماثلة.

والغاية من حكمة البيتين أن الشجاعة وحدها لا تُغْني فتيلا. فلا بد لها من سَبقْ الرأي والتفكير الطويل. ولو أنها تغني وحدها، لما استطاعت أمة من الأمم أن تكسب إذا اشتبكت مع العرب وجهاً لوجه في معركة. وإن فاقت عدة وعديداً. وهذا حق. ومنوَّهٌ بِهِ انظر هذا البيت:

ولو أغنتِ المرءَ الشجاعةُ وحدَها   غَزَتِ العروشَ شمائلُ الإعراب

علامة الأخذ بالرأي في هذا المجال

الرأي السديد في هذا المجال.

١ ـ إعداد العدة المتفوقة بمدى الطاقة والوسع دون ابطاء خشية فوات الفرصة وتخطي الزمن.

٢ ـ التفوق في عبقرية التدريب الحديث في كل مجالات الدفاع.

بمناورة الذخيرة الحية.

التبصر في عواقب الأمور قبل الاقدام والإحْجام أي لا قَسْر في سلوك طريقٍ قبلَ أن تعرفَ نهايتَه وسهلَه ووعَرهُ ومداخلَه ومخارجَهَ.

٣ ـ الحذرُ البالغُ من دسائس الدساسين، ومن مؤامراتِ المتآمرين، والبحثُ عنهم في مخابئِهم هو نقطةُ ارتكازِ الرأي السديد.

الاهتداء إلى الحقيقة من ظلها. وإلى الجيفة من نتنها، وإلى الشمس من نورها وإلى الوَرْدَةِ مِنْ أريجها.

٤ ـ غربلةُ الأنباءِ، ومعرفةُ صدقها من كَذِبَها وحقها من باطلها، وضارها من نافعها وكم من أنباء يقصد بها الإساءة إلى الأبرار والإحسان إلىوالأشرار وإيقاع الأمناء وانجاء الخائنين.

وهؤلاء الصهاينة فإنهم لا يحاربون شعوبَ العالم وهمْ يعايشونَهم في عُقْرِ دارهم بالشجاعة والشوكةِ والعتاد، بل بالرأي المدبر السابق والتخطيطِ الشرير الداهية، بكل طروقه ومناسباته وعيوبه وارصاده وبكل انتباه وحذر، وبكل كِتْمانٍ وحَقْدِ.

إذن فلا بُدَّ للدول العربية أن تسند الشجاعة بنصح الرأي وسداده، وعمق التفكر وصحة التدبير، وإعداد أسباب النجاح. ومتى تم ذلك واجتمع الرأي والشجاعة في سلك واحد فخذ ما شئتَ حينئذ من انتصار ونجاح وتوفيق ونجاة من قبضة المؤامرات ومدبريها.

وحينئذ تنكشف مخابئهم، وتعرفهم مِنْ لحنِ القول، وبذر الشقاق والنفاق، وذرع الأحقاد، واتصالاتهم المريبة من قريب أو من بعيد.

والعنصرية والإلحاد والنفاق والطمعُ أبو المخزيات. والخوف كل الخوف أن يندس العنصريون الراصدون بين أفراد الأمة، ويَنْضمُّوا إليها ظاهراً وينطووا على دهاء وكيد، باطناً.

والحذرُ واجبٌ، والحيطةُ مفروضةٌ، والذكاءُ نافعٌ، والوعيُ مفيدٌ، والبحث والتحقيق عن خفايا كل شخصية مريبة واجبٌ عن أعمالها، وعن حقائقها من ألزم اللوازم، ومن أوجب الواجبات.

وأقول الحق، والحق أقول، إن مؤامرة واحدة لن تتم بنجاح مع التزام ما أمرنا الله به في محكم القرآن عن قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ [٤ / ٧١].

والإهمال في مثل هذه الأمور سيل عارم من الأخطاء والاخطار جارف جارف. بل صخور من النار هاوية من قمم جبال بركانية تجتاح كل شيء، ولا تبقى على شيء، وهنا التفت الشيخ إلى المحتشدين، أحب أن أُلفت أنظارَكم إلى قَدْرِ الرأي وعظمته. وقدر ما يصيب الناس من آذى إذا أهمل الرأي ولم يأخذ به ولم ينفذ.

والسبب أن المزاعم التي يذيعها العنصريون الحاقدون مرعبة، وخطرة جداً. وأذاها في العالمين العربي والإسلامي بلْ في العالم كلِّه كبيرٌ جداً. وبالغ جداً.

لأن هدفها المنشود من تجديد اللغة الشعبية ومن إحياء الأدب الشعبي وتدريسه محل الأدب العربي الأصيل. وإحياء اللهجات الشعبية في كل وطن عربي وجعلها مكان اللغة العربية الفصحى. هو هدم معالم القرآن المجيد، وإبعاد الناس عن فهمه حين يُتْلىٰ

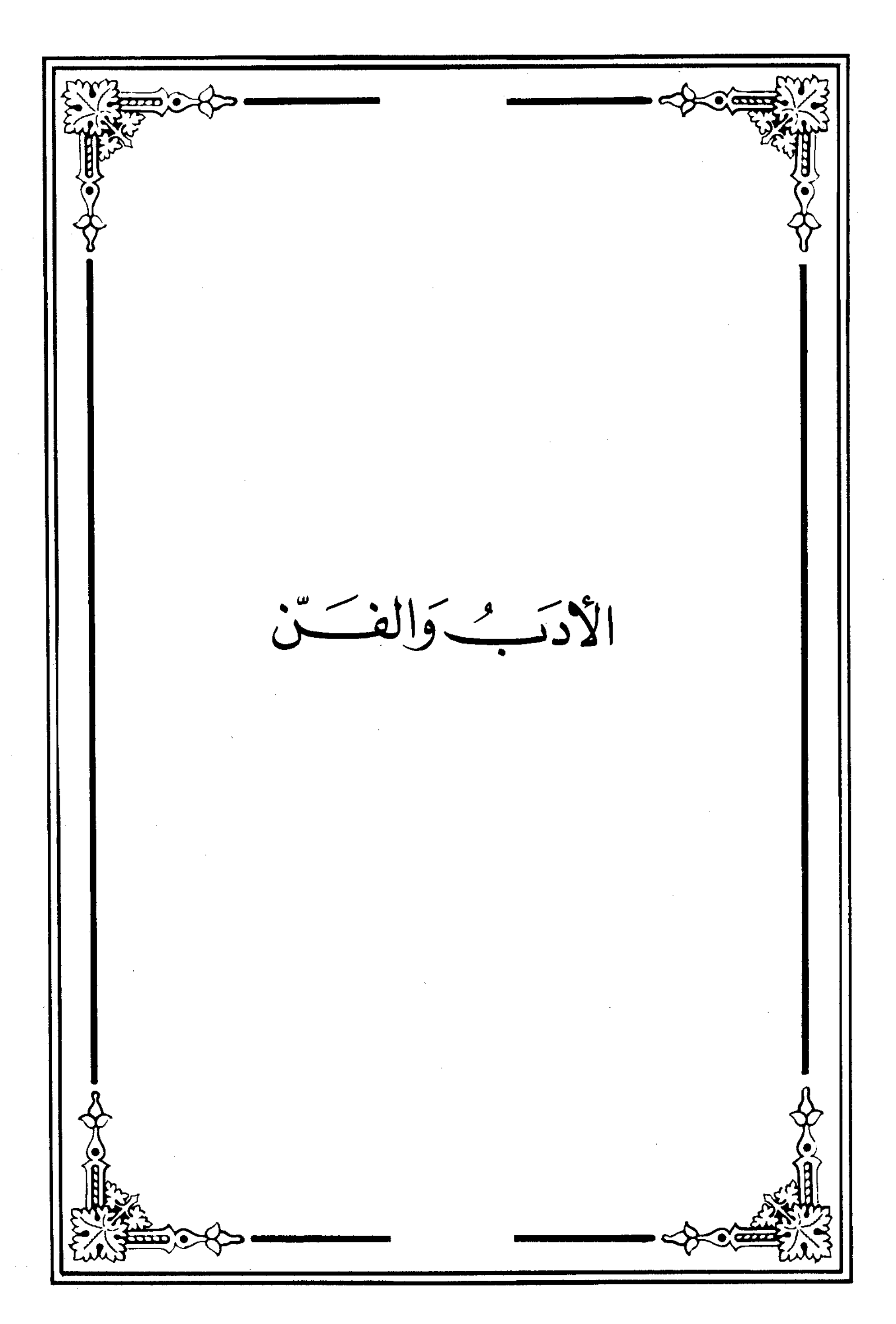
أي إن الهدف المنشود هو هدم معالم القرآن المجيد في ألسنة العرب

وضَيَاعِهَ منها، واستقصائه عَنْهَا وفي كل ذلك أمانة لروح الإسلام والإيمان في النفوس.

لذلك أحببت في هذا الحشد أن أقصر حديثي على الحث الأكيد في الأخذ بالرأى السديد قبلَ فوات الأوان، كما حَصلَ في فلسطين. ومتى جهل العرب لغة القرآن وهجروها وحاربوها وانصرفوا إلى اللهجات العامية المستعملة في شتى أوطانهم وفي كل أعمالهم الكتابية وسواها فأي شيء يبقى للغة القرآن المجيد لغة المعجزات المتحديات لا شيء لا شيء بل لا يبقى أحد يفهمها ومتى فقد من يفهمها ويتحدث بها ويجيدها ضاع الإسلام والمسلمون وتمزق العرب إلى أمم شتى. لذلك أَثْرتُ هنا هذا الموضوع وفي الحشد الآتي أُتِمُّ لكم بقيةَ المزاعم والله ولي التوفيق وهنا أذن المؤذن فأمسك عن الحديث وانصرفنا إلى الصلاة.

وبقية حشود قصة صياغة الكلمة ستُنْشرُ إن شاء الله في مجموع بلابل تغـــرد....





الأدَبُ والفَنّ



فصل الأدب والفنّ

الكلمـــات

١ ـ الحكمة وفن البيان العالي.

٢ ـ البيان العربي العالي.

٣ ـ كتبة السخافات.

٤ ـ انطباع كلمة البيان الخالدة.

٥ ـ نظرة في مؤلف فيلسوف.

٦ ـ الفن مظهر الإعجاز.

٧ ـ التمثيل فن حياة العصر.

٨ ـ هل يمثل رسول ﷺ.؟

الحكمةَ وفَنُّ الْبيـان العالي

البيانُ العالي فَنٌّ، والفنُّ فيه كلُّ ألوانِ الحياة.

١ ــ فيه الإِيمانُ والكفرُ.

٢ ــ والخيــرُ والشر.

٣ ــ والإِنسانيةُ والعنصرية.

٤ ــ والإِحسانُ والإِساءة.

٥ ــ والرحمة والْقوة.

ورَبُّ البيانِ الفَنِيِّ الملتزمِ بالإِيمان والخَيْرِ والإِنسانيةِ والإِحْسان والرحمةِ هو الحكيم.

وحكماءُ البيانِ في كلِّ أمة قلائِل..

ولا شَيءَ أَنفعُ إبانَ النهضة الحضارية الانتقالية من حكماء البيان فهم الذين يُسَدِّدونَ خَطَأَ السائرين ويُشدُّونَ أزرهم وَيَجنبوهم الشُّذوذ ويصلحونَ فَسادَ أَمْرِهِمْ ويُقوِّمونَ إعْوجاجهم.

وحكمةُ الْبيانِ العربيِّ قائمةٌ على رِسالةِ الإِسلام والدعوةِ إليه. وحكماءُ البيانِ العربي فِي هذه النهضةِ السعوديةِ الحديثةِ هم أمثالُ صاحب المعالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وكنتُ تحدثتُ عنه

بكلمة يومَ انعقد المؤتمرُ الأدبي ونشرتْ مرتين.

أولاً ـ في مجلة المنهل.

وثانياً ـ في كتاب هواتف ص ٢٣.

وكتابُهُ خواطرُ جريئةٍ عَبَقٌ من طيبِ الحكمة التي تَحفلُ بها نفسُه وترنُّ مخايُلها على مُحياهُ وحقيقةَ ذلك تطالعُكَ منذ اللمسةِ الأولى والنظرةِ الأولى.

أَلَا تُشاهدُ الوزراءَ يحلون مؤلفاتهم بأَوسمةِ الألقابِ وإذَا صَادفَ أنهم كانُوا من الطرازِ العالي سجلُوا ألقابَهم في صَفْحةِ الغِلافِ.

وأنتَ إن كنتَ سُعوديًا تَدْري أنَّ وزيرَ التعليمِ الْعَالي على وَفْرةِ القابهِ يُعتبرُ فرداً مِنْ أفرادِ الأسرةِ المالكة وجدُّهُ الأعلى إمام الدعوةِ السلفيةِ في جزيرة العرب. ومع ذلك فإليْكَ صَفْحةَ المُغَلِّفِ أنظرْ هذا كلُّ مَا فِيها.

حسن عبد الله آل الشيخ خواطر جريئة الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

أَلَا تَجدُ حكمةَ الإنسانيةِ الخالدةِ هِيَ أولُ مَا تَأخذُكَ نَبضَاتُها الشفافةُ فِي هَذا المؤلف الخالي مِنْ زُخْرفِ الألقابِ.

ومهما كَبرتِ الأَلْقابُ فهيَ عَرضٌ زائِلٌ تطيرُ بِهَا أعاصيرُ الأزمنة الْهوجاء. وكم تَجِدُ في هذا العهدِ العربي السعودي مِنْ مُؤلفاتِ البيانِ التي تصدُر فيه. ولكنْ مؤلفاتُ حكمةِ البيان الفنيِّ العالِي هي القليلةُ القليلةُ.

وحكمةُ البيان الفنيِّ العالِي هِي التِّي حَدَتْهُ إلى أَنْ يَخلَع كلَّ ألقابه ويقبلُ على الجماهير ويُصَافِحهُم بذاتِه لا بألقابه وَمَنْ يكبرهُ لِألْقابه فَهوَ صغيرٌ في عيْنهِ لأنَّه هو أكبرُ منها. وَمَا فِي الدنيا شيءٌ أكبرُ من الحكمةِ والإِيمانِ والعلمِ والبيان.

وأُسْلوبُ بيانِه الحكيمِ مُتميِّز بِشَخْصيَّتِهِ فَتَجدُهُ هُو هُوَ إذَا تحدثْتَ إليه

وَجْهاً لوجهٍ أو قرأتَهَ في صحيفةٍ وَمَا أغزَرَ الحكمةَ فِي مُؤَلِفِه خَواطر جريئة إنَها تنْصبُّ إنْصبَابَ الشَّلالِ المتَفجّرِ مِنَ الجبلِ الأشم.

ووقتُه ليسَ في يَديْهِ لأنه رائدٌ مِنَ الرُّوادِ المُعْتَمدِين ولو كان وقته فِي يَدَيه لرأيتَ في نَوادي الأدب مِنْ حكمةِ بَيَانه العجبَ..!!

ومحالٌ أَنَّ كلمةَ واحدةً تَسْتوعِبُ كلَّ حِكَمِ أُسْلوبِ بيانِهِ السهلِ الممتنعِ فَلاَ بُدَّ مِنْ ثانيةٍ وثالثةٍ وعَسَايَ أن أُوفَّقَ لذلك..

وإذَا أحببتَ أنْ تَتَبينَ لِمَاذا لَا تَسْتوْعبُ كلمةٌ واحدةٌ تفسيرَ كلِّ ما في كتابهِ مِنَ الحِكم فاسْتمعْ إليه في قوله:

«هذه الخواطر تُهمُّني كثيراً لأنَّها ليَسْتْ كَلاماً عَابِراً لِيُقالَ كَتَبَ كذَا وكذَا. ولكِنَّني أريدُ بها إسْهاماً عَمَليًّا متواضِعاً في موكبِ الإصلاح الذي يَسْتدْعِي كلَّ قلمٍ وصْوتٍ ودَم. ونكونُ الجناةَ لو تركْنَا كلَّ مَا نستطيعُ بذله في سبيلِ بلوغ المستوى الأفضل».

وما أكثرَ الكلماتِ العابرةِ في الصُّحفِ والمجلات التي يُقْصدُ منها الإقْدامُ عَلَى أخذِ المادةِ.. والْإحْجَامِ عن إعْطاءِ الحكمةِ الخالدةِ تَفادِياً مِنْ تَحمّل أعباءِ مَسيرةِ مَوْكبِ الإصلاح الأعباء المرهقة.

وإذا بكى البيانُ العربي الأصيل سُقوطَهُ جريحاً في صُحِفَ مصرَ ومجلاتِهَا أمسِ. وَمنْ كُتابِها المنفلوطي والرَّافعي والمُويلحي والسِّباعي والمازني والعقاد وطه حسين ولطفي السيد ولطفي جمعة وسلامة موسى وشيخ العروبة وصروف وزيدان ووجدي وتيمور والحكيم.. ومن النساءِ باحثة البادية ومي ومن شعرائها شوقي وحافظ ومطران وعائشة وتيمور.

ناهيك بأَبْطالِ البيانِ في غيرِ مصْرَ ومع كلِّ ذلك يرَى حافظ إبراهيم لغةَ

العروبةِ ما تزالُ جَرِيحَةً ولم تستوفِ كل سَلامتِها في الصحف والمجلاتِ فيقول بلسانها الحزين الشاكي:

أرى كلَّ يومٍ بالْجرائِدِ مَزْلَقاً مِنْ القبرِ يُدْنِيني بِغَيْرِ اناةِ

وأنتَ الآن مُتْحمِّسٌ لتلمس حكمةَ فَنِّ البيانِ الْعالِي فِي مولَّف خَواطر جريئة وقد آثرتُ أن يكونَ الحديثُ عن ذلكَ فِي الكلمةِ التَّاليةِ إيثاراً لاسْتجامك.

البيـــان العربي العالي

الكلمة الثانية

أجد حكمةَ البيانِ العربي العالي في كتاب خواطر جريئة مقتبسةً من حكمةِ البيان العربي المنزل من السماءِ لاصلاحِ مجموعة نَفْسِ الإنسانِ، وتَوْجيهِ حَضَارتِهِ إلى المُثُلِ العليا. والصعود بها إلى حقائِق الإيمانِ الناطقة في تكوين الكائناتِ الماديّةِ والطاقيةِ معاً. وهي الكاشفة لأسرار العالمين عالِم الدنيا وعالِمِ الآخرة وأوضاع البشر في العالمين.

والبيانُ العربي المنزل من السماءِ بيِّناته بأسرِهَا معجزاتٌ متحدِّياتٌ لأنها مِنَ الرُّوحِ الكائنةِ بأمر اللهِ وفي صَميمِ آياتِهِ سِرٌّ لا يَعْدِلُهُ سِرٌّ وكيـفَ يَعْدِله وهو قِوامُ المثلِ الأعْلَى الْمُوحَى مِنْ رَبِّ العالمين ولِلهِ المثل الأعلى.

يكفي إنه بيانٌ كله الزام بالعَدْلِ ونصرةِ الحقِّ وسُمُوِّ التشريع وصدقِ المودةِ وإنسانيةِ الإنْسانيةِ ومتابعةِ الدعوةِ العامَّة إلىٰ حَقائِق الإيمـانِ وإلى مكارِمِ الأخلاق وإلى شَرَف المروءات وإلى حُسْنِ معاملةِ الأفرادِ والجماعاتِ بعضهم لبعض.

وحكمةُ هذا البيانِ العربي المعجز المتحدي هي أرفع حكمةِ عرفَتْها لغاتُ البشرِ في هذه الكرة الأرضية.

وكم هي إنسانيةٌ راقيةٌ حضارتُها وكم هي كريمةٌ ماجدةٌ إصلاحاتها، وكم هي جديدةٌ صاعدةٌ معارفَها، وكم هي عامةٌ وشاملةٌ لكل مَا فِي الْوجُودِ

الماديِّ والطاقِّي المشاهدين وغيرِ المشاهـدين وكم هي عجائب التكـوينِ ومدهشاتِه التي أشارت إليها آياتُ البيان المنزل.

أجل هو بيانٌ عربيٌّ مبينٌ مُشْتَملٌ على روحٍ كبيرٍ من أمرِ اللهِ جل جلاله أنزل على خَاتِم رسلِ الله صلواتُ الله وسلامه عليهم ليخرجَ بِهِ البشرَ من ظلمات الإلحادِ والوثنيةِ والشركِ والتحاقِد إلى نور الإيمان العلمي اليقيني الحق. وإلى هُدَى المودة الإنسانية العالية.

وحسبُ بيانِ وَحْيِ الله إعجازاً وتحديًّا إنه سَيَحْملُ أمانَةِ السماءِ لأهلِ الأرض على مدَى الدُّهورِ وتداولِ الحقب..

ويكفِي أهل جزيرة العرب فخاراً أَنَّ اللهَ اختارهم ليكونُوا هم مبلغِي دعوةَ وَحْيِ اللهِ إلى الشعوب كافة.

مِنْ أَوَّلِ يومٍ أضَاءَ الأرض إلى آخرِ يَوْمٍ يُضيئُها. أجلَ بَلَّغَ أهلُ جزيرةِ العرب دعوةَ وَحْي اللهِ قديماً وهم أنفسُهمْ يُبلِّغُونها حَديثاً يُبلغونَهُ صافياً صافياً مشرقاً وضَّاءاً كما نَزَلَ مِنَ السماءِ وأيّما شعبٍ الْتزمَ تطبيقَه كانَ لهم سببُ صعودٍ حَضَاريٍّ عالٍ عالٍ جدًّا جداً.

أيْ نجدُ قَبَساً مِنْ حقيقةِ كلِّ ذلك ماثلاً في كتابِ خواطِرِ جريئة هذا ما يتبينُهُ مطالعُ الكتاب ولعلَّ بعضَ الذين يفقـدون نورَ بصيـرةِ الإيمانِ في قلوبهمْ ونورَ حقائق العلمِ في عقـولهم ونورُ حكمـة البيان في أقـلامِهم يَحْسَبونَ أني أتصنَّع الزلفى لدى مؤلفِ كتاب خواطر جريئة لما يَروْن مِن اهْتمامِي بكشفِ حَقيقةِ مَا فِي نفسِه وكتابِه وتَجْسيدي لحكمةِ بَيَانِه العربي المقتبسةِ مِن هُدَى وَحْيِ اللهِ.

وهلْ في ذلك مِنْ يأس على أنَّ القربَ منه يكسبُ يقظةَ الفراسةِ لصيانةِ

حقائِق الإِسلامِ وشَمائِل العروبةِ والجُهْدِ والسهر والتضحيةِ مِنْ أجلِ وحْدةِ الأمة الحضاريَّة المشيدة على الإيمان والعلمِ وحكمةِ الكلمةِ البيانيةِ وسائر المكاسب التي أتمها اللهُ على يَدِ صَقْرِ الجزيرةِ العربية.

وفي كلِّ ذلك عِزةٌ وكرامةٌ ولكنَّ واقعَ الأمر أَنّ صَدِيق الطرفين مُسْتشَار المجلةِ العربية الشاعر الكبير السيد محمد حسن فقي أسلمني كتاب خواطر جريئة ومؤلفه هُوَ المشرفُ العام للمجلة العربية وطلبَ إليَّ أن أكتبَ عن كنوزِ أهدافه القيمة وقد لَمَسَها لَدَى مطالعتِهِ إيَّاه.. وقد كتب عنها كلمة رائعة نشرت؟ وأنا منذ حداثتي أهوىَ تواضعَ الكبير والصدْقَ في الإِيمان والصبرِ على المشَاقّ في سبيل حكمة المعرفة وترجمة تطبيقها والقول البليغ ورفيعِ البيانِ الحضاري وقد لمسْتُ حقائقَ كلِّ ذلك ماثلةً فيه فأخذتُ أكتب ما يكشفُه الله لي من كلِّ ذلك فهل في ذلك مِنْ بأس..

وقد كتبتُ عنه وأَنَا مُغْتربٌ مِنْ زمنٍ بَعيدٍ في مَجلّةِ المنهل لكلِّ هذه الاعتبارات. وما هو بحاجةٍ إلى كتابَتِي أو كتابَةِ سِوايَ فحسبُه أنَّ جِيلنا العربي السُّعودي المثقف يَعْلمُ مَنْ هو صَاحبُ خَواطر جريئة وكذلك الأجيالُ القادمة سَوفَ تعلمُ أكثر فأكثر. تعلمُ يقينَ العلمِ المصفَّى مِنْ كلِّ أوضارِ الأنفس. وخبائث النزعات الدخيلة.

لأن حقائقَ البشرَ لاَ تظْهرُ صَريحةً خاليةً مِن الزِّيادةِ والنُّقصانِ الهَدّامِيْنِ ومِنْ خَسَاسَةِ أَطْماعِ المادة وخبائثها وسيئاتِ مَظَالِمها ودسائس مفترياتها إلا بَعْد الإنخلاعِ مِنْ بواعِثها الماديَّةِ الخدَّاعةِ القذرةِ.

ومؤلف خواطر جريئة نَص على كلِّ ذلك في حِكَمِهِ الاصلاحيةِ أَمَّا هو فحسبُهُ أنه لدَى رجالِ الحَلِّ والعقدِ محرابُ قَدْسٍ عالٍ عالٍ. ولماذا لا يكونُ كذلك وجدُّهُ الأعلى إمام الدعوةِ الإِسْلامية السلفِيَّةِ القاضي الشيخ

محمد بن عبد الوهاب وقد عرف فضلَه وعلمَهَ ومطالبَ نهضتِهِ الاصلاحيةِ الإمام محمد بن سعود الذي كان يملكُ السلطانَ في عهده.

ومعلومٌ أن كل دعوةٍ لا تُؤَيدُ بالسلطانِ تُهاجَمُ بالزوالِ والانهيارِ من قِبَلِ الآخرين فما بالك والدعوةُ دعوةُ الإسلام في الصحيح الصحيح.

وهكذا يظلُّ هَذَا الاسم الكريمُ محمدٌ صلواتُ الله وسلامه عليه مطلعَ الخير والعزة والوحدةِ والكرامةِ وصدقِ الإيمانِ والتضحيةِ في جزيرة العرب بل في الدنيا كلها على مَرِّ الأزمان.

اسْمع ما يقولُه المؤلفُ عن الإمامين اللذين كان محمدٌ اسمَ كلٍّ واحدٍ منهما وكانَا سببَ النهضةِ الإسلاميةِ الحديثةِ في جزيرة العرب. انظر في صفحةِ ثلاثين من كتابه خَطَرات جريئة إذ يقولُ:

«رحم الله الإمامين العظيمين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، فلقد كان عهدهما الذي أبرماه ساعةَ لِقائِهمَا التاريخي في الدرعيةِ بَعدَ أن حَلَّ بِهَا الإمامُ محمد بن عبد الوهابَ يلْتَمِسُ الطريقَ ليُعْلنَ ما اعتزمَه مِنَ الدعوةِ إلى الله وإعلاء كلمته فاحتضنَهَ الإمامُ محمد بن سعود وسعَى بنفسِه إلى حيث يقطنُ الإمام المجدد، وَلِيُرَحبَ بهِ ويَدْعوه للاقامةِ معه. كان ذلك العهد هو الساعة الفاصلة التي لم يَسْتطِعُ التاريخُ رغم كلِّ صفحاته وأضوائه أن يعطيهَا ما تستحقُّ من العِنايةِ والقدْرِ تلك التي تعاهدَ فيها المحمدان على نصرةِ دين اللهِ وإعلاء شرعِهِ، ثم تحوَّل وجهُ التاريخ ليحكي بكلِّ الدنيا مولدَ الدعوةِ المخلصةِ التي شاءَ اللهُ أن تجد من الأُسْرَةِ السَّعودية العريقة المؤمنة التأييد والعونَ ثم استَقبلت تلك (الدولةُ الوليدةُ) مَتاعبَ الاسْتقلالِ ومشاكلِ الحركة الطبيعيةِ لنشر الدعوةِ والدفاع عنها فما وهن القائمونَ على أمرِها ولا اسْتكانُوا لأنهم كانُوا يحمونَ شَرْعَ اللهِ ويذُودُونَ عن حِياض التوحيد وقد

علموا عَنْ يقينٍ رَاسخٍ أَنَّ النصرَ قرينُ الاستشهاد وأن الابتلاءَ لِلمؤمِن هو سَبيلُ الاطمئنان لمدى صدقه وقوةِ إيمانِهِ ومضتِ القافلةُ ولقيَ (المحمدان) وجهَ ربهِما بعدَ أن خلَّفا لكل الأجيالِ المعاصرةِ والمُقْبِلةِ الأمثلةَ الرائعةَ والمُذْهِلةِ لالتحامِ العقيدةِ والفِداءِ الصادق في سبيلها».

كتبة السخافات

قلت لصديق عزيزٍ من كَتبةِ السَّخافاتِ سأريك كيف تكتبون. .؟!!

قال . هات هيــا.

قلت: حَجَرُ بَيْتِنَا يتحركُ والببَّغاءُ تعقلُ وكلُّ حقـائِق التاريخ التراب والماء سلائل وهو يغني ويرقص ويتكلم وَيَحْيَـا ويموتُ.

ومع ذلك إذا أنت أنعمت نظرك في هذه العبارات فهي تحمل معاني ذات قيمة:

١ ـ أي كل ما في بيتنا يتحرك إلى العلم والنظر والدرس. . والمقصود ليس في بيتنا من هو جامد كالحجر لا يتحرك. وبالحري نحن في عصر تحرك فيه كل شيء حتى الحجر أما قال أمير الشعراء:

تحـرك أبا الهـول هـذا الـزمـان   تحــرك ما فيـه حتى الحجــر

٢ ـ وبما أن الببغاء لا تعقل ما تردده وبما أن هذا الزمان ليس بينهم مَنْ يتكلم مردداً ما يسمعه دون تعقل. إذن فالببغاء تعقل أي من كان كالببغاء أصبح يعقل.

٣ ـ وأما كل حقيقة التاريخ التراب. هو مقتبس من قوله تعالى:

﴿إنا جعلنا مـا على الأرض زينة لهـا لنبلوهم أيهم أحسن عمـلاً﴾ [١٨ - ٧].

﴿**وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً**﴾ [١٨ ـ ٨].

أي كل ما على التراب وإن فتنتك زينته وجماله وكانت هذه الزينة وذلك الجمال إلا لأجل الاختبار لمدى طاعة الإنسان لربه أو كفره.

والخلاصة أن كل الأحياء يخرجون من التراب ويعودون إلى التراب إذن فحقاً أن حقائق التاريخ فهي مَـآلُها التـراب.

٤ ـ وأما الماء سلائل وهو يغني ويرقص ويتكلم ويموت. هو حقيقة ماثلة في الأحياء وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾. [٢١ - ٣٠].

وهؤلاء الأحياء سلائل متعانقة وأصلها جميعاً الماء وهل اغرودة الطائر واغنية الحادي ورقص الطروب وخطبة الخطيب إلا من هذا التراب ونهايته إليها ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حي عن بينة﴾ [٨ ـ ٤٢].

أجل إنهم جميعاً انبثقوا من الماء ألا ترى يا صاحبي انها كلمـات وكلمات كلها سحر. وإنما كانت تنطوي على المعاني التي كشفتها انطواء حقيقياً لا عيب فيه ولا افتئات لأني لم اعتد أن أهرف بما لا أعرف.

وقلتُ لَـهُ:

إني سمعت كثيراً ينقدون عباراتك المهووسة المستهرة في الصحف والمجلات وعبارات أمثالك فلم أقم لها وزناً، لأني لا أحب أن أسمع السخافات. وإني أحذر على بياني من الالتواء والعجمة والأخطاء من سماع أمثال هذه العبارات.

وإني أعلم أنك تحسن صياغة الكلمة العربية الأصيلة.. فلماذا تؤثر عليها الانحراف والغمغمة عن عمد.

ـ ضحك وقال:

ـ دعهم يرزقون هناك من يحثهم على إنشاء مثل هذه السخافات بأجر سخي يكلف سواه باغداق الثناء عليها وتفصيلها على العبارات العربية الأصيلة التي نزلت في كتاب الوحي وجاءت بها السنة الشريفة يفعلون ذلك قصداً منهم أن يهدموا الكتاب ويبيدوا السنّة.

وهذا لا يتم إلا إذا هدموا لغة العرب الأصيلة وقوضوا أركانها وزلزلوا دعائمها وحطوا من شأن أساطين البلاغة العربية وقادتها ومن شعرائها وكتابها وخطبائها وقصاصيها البارعين والممثلين الفصحاء.

قلت إن أمجاد اللغة العربية حرمة أمة فلا ينبغي أن تهتك أستارها.

سخر مني وقال ضاحكاً:

كم كم هي الحرمات التي هتكت استارها والناس لا يبالون، الناس اليوم مشغولون بأموالهم وأولادهم. ولذاتهم.

أما ما وراء ذلك فيقولون الدولة هي المكلفة برعايته وحفظه والذود عنه.

قلت : ولماذا لا يكون الشعب يداً للدولة وعيناً وفكراً وقلباً. ما دامت الدولة هي فئة من أفراد الشعب.

قال : هذا لا يكون إلا لدى الأمم الراقية.

قلت : لعلك تحسبنا أمة بدائية.

قال : إن لم تكونوا بدائيين فصنيعكم كصنيعهم إن فيكم من يقدس لغة الأجانب على لغته كما يفعل بعض الشعوب البدائية في أفريقيا. ولئن كان لأولئك البدائيين من عذر إذ ليس لهم لغة ذات تاريخ حضاري راق حتى يْحزنوا لموتها ودفنها بأيديهم دون ما رحمة ولا اهتمام.

فإن لكم اللغة التي وسعت كل حضارات الأمم الراقية وتجاوزتها إلى السماء ولها امتداد قُدْسِيٌّ إلى عوالم الآخرة.

وهنا انصرفت عن مناقشته لأني عرفت أنه اريب غيور على لغته العربية الأم بل واكبرته وعلمت أن هاتيك الكلمات المبهمات لم تكن عن قصد الحط من قدر اللغة وإنما ليكشف أن ثمة أعداء متآمرين ضدها هم يكلفون بمثل ذلك صغارَ الأحلام نعم اطرقت مفكراً في حقائق ما يقول ونظرت خلسة وأنا أتحدث معه فإذا القمر الذي كان متألقاً كان يكسو الكرة الأرضية بأضوائه الفضية تقترب منه السحب الدكناء قليلاً قليلاً وبالخسف والمسخ.

وأغمار الشعب البلهاء يرقصون ويتغنون وينفخون مزاميرهم حواليه يخالونه عروساً يزفونها وما دروا إنهم يحملون نعشاً إلى رمسه.

وكان قوس قزح يتلاعب بهم يمتد بألوانه الزاهية السبعة ليحجب عنهم ما وراءهم من الغمائم الدكناء التي تزحف عاتية لتحجب آخر أضوائه عن الناس.

وقوف الأعداء الراصدون خلف قوس قزح يُسَدِّدون سهامهم إلى كبد القمر المتألق ليقضوا عليه وهم يستعدون لينتزعوه من مكانه ويطرحوه أرضاً.

وظل الراقصون يواصلون أفراحهم والظلام يقتربُ منهم ولا يدرون ما يراد بالقمر وبالتالي بهم. وغبتُ في أسداف غيبوبة ملياً وما ردني إلى نفسي إلا صرخة الصديق في وجهي افتح عينيك جيداً وانظر. إلى هاتيك الصوارم الموجهة إلى عنق لغتك التي تفاخر بها وتعتز وتجاهد لها وتناضل أدركها أدركها وأَهِبْ بقومك لكي يتداركوها قبل فوات الفرصة فتكون فلسطين المقدسة هي الأولى وتكون لغة القرآن المجيد لغة القبائل العربية الأصيلة هي الثانية..

أهب بهم ليقيموا في وجه الأعداء السدود ويرسلوا إليهم بالعواصف المدمرة وصواعق الجحيم .

قبل الندامة والندم وصرخات الألم أجل هؤلاء هم أراهم زاحفين من كل حدب وصوب زاحفين بمؤامرات تزيل الجبال وتدك الحصون وتمحق الحرث والنسل.

قلت : لا تخف لا ترعب دع عنك مزاعمهم إنهم خفافيش لا يبصرون إلا في الظلام. فلو أنهم من أهل النور لأبصروا النور الـــذي هـــم يفيدون منه قبل سواهم. لأنه نورُ الله ونورُ الله للجميع.

أجل هذا نور الله المنزل من السماء وليس في مقدور البشر طمس نور الله أجل هم ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾ [٦١ - ٨].

أجل ونحن الآن وإلى يوم القيامة نعيش في نور الله المنزل علينا من رب العالمين وَنَدْعو للإستضاءَةِ به الناسِ جميعاً وكفى بذلك شرفاً ومجداً وأمناً.

انطباع كلمة البيان الخالدة

كان همُّ طلاب العلم العرب يوم كنا ندْرُسُ، في مصرَ منذُ نصفِ قرنٍ تقريباً أنْ يضيفوا إلى العلمِ الذي يتخصصونَ فيه انطباعَ كلمةٍ البيانِ في ألسنتِهِمْ ومن أجلِ ذلك. . .

١ ــ كُنَّا ننتهزُ الفرصَ السانحةَ التي تحتشدُ لَها الجماهيرُ في الأنديةِ الأدبيةِ والجمعيات الإِسلامية والرداه الكبرى وسُرادِق التأبين، فنرْتادها. .

٢ ــ نرتادُهَا لنسمعَ نوابغَ الْكَلم وعيونَ الشعر من ضيفِ مِصْرَ أو من أُدبائها أنفسهم لدى حفلات التكريم أو الأعيادَ الدارجة وما كان من هَذَا الطراز.

وكنا نحنُ زمرةَ دراسةٍ من أبناءِ قلب الجزيرة العربية الأم السعودية. وكنا نَجِدُّ أوْسعَ الجِدِّ لنصعَد بأدبنا إلى مشارفَ الأدب العالي العالمي.

وكمْ تَقَاسَمْنَا على ذلك وَكَمْ قَسَوْنَا على أنفسَنَا بقِلَّةِ الرَّاحةِ وكمْ عَزَفْنا عن اللّهو وصمَّمْنا تصميماً ليكونَ أدبُ قلب الجزيرةِ العربيةِ الأصيل في رأسِ الأدب العَالَمي أيْ يكون الفكرَ المتقدَ والعينَ البصيرةَ وطيفَ بسمة الأمل الفتان، ولسانَ الحكمة العالية، واستقامةَ التوجيهِ الإِسلامي الكريم: وشددنا أسرنا قلباً بقلب متوادينِ متعاونين ليكونَ أدبُ وطنِنَا العظيم بين آدابِ أوطانِ العرَوبةِ هو الطليعةَ العازفةَ حاملةَ العلمِ إلى يوْمِ التَنادُ.

والسببُ أنا كنَّا نُشَاهِدُ كلَّ أبْناءِ أوْطانِ الْعُروبةِ يُخَلِّدون اسْمَ أوْطَانِهم بأدبِهم العالي، وكان هذا يَفرحُنا لأنَّ أدبَهمْ هو أدبُنَا فنحنَ أبناءُ أمةٍ واحدة ولكنَّ الذي كان يَحزنُنَا أن لا يكونَ الصعودُ بالأدب العربي إلى مَنائِرِ الأدبِ العَالي شركةً بيننا أيّ يكونُ لنا شعراءُ وكتَّابٌ تضارعُ شعراءهم وكتابَهم.

. . . هذا حديثٌ مَضَى عليه خمسونَ عاماً أمَّا نحنُ اليوم فانا مِنْ سُموِّ البيانِ في ناصيةِ الطليعة والذي ضاعفَ حَماستنا أمس أننَّا كنَّا نشاهد المحامي والطَبيبَ والمهندس والتاجر والضابط في الجيش يزاحمون على صدارة البيان والاطلال على الخلود يزاحمون الشاعر الملهم والكاتب الفذ والصحافي البارع والعالم الْعَلمْ..!

ولماذا لا تعدُو بنا الحماسةُ لنحرزَ قصبَ السبق ونحملَ أعلامَ قيادةِ الأدب العربي ونحن شبان يتقدُ بنا العزمُ والحزمُ والإيمانُ والفكرُ.

ومن أجل ذلك كانت كل أحلامنا إيماناً بالله جل جلاله وعزْماً على التنويه بجزيرة العرب وعلى النداء بدعوة خاتم الوحي الإلهي الذي فيه كلُّ سلامِ الإنسانيةِ وهداها وسعادتها: الدعوة التي ركز أعلاَمها في قلب الْجزيرة وجاهد من أجلها صقرُ الجزيرة الفذ الذي وحَدَّ الكلمةَ وأسدلَ ظلالَ الأمنِ والمودةِ والإيمانِ والحقِّ الملك عبد العزيز آل سُعود.

لذلك كان لا بد لنا أن نتنادى لكيَ نُحلِّق للصعود إلى قمم البيانِ الصحيح وأن نزاحمَ كواكب الغرب المتألقة: لَا بُدَّ لَا بُدَّ ليكون إبداعُنا أضواءً من كواكب القرآن المجيدِ المنزل على أرفع منائر جزيرة العرب، ولا أدبَ في الوجود أسمى ولا أشرفَ ولا أرْفعَ من الأدب المقتبس من القرآن المجيد.

ولكيْ تظلَّ صبغةُ كلماتِنا أشعةً من النورِ على مَدَى تداول الأَجْيالِ ساطعةً عاليةً مرجعاً لشُداة الأدب مادة ومعنى . .

وكنا نشاهدُ اختراقَ قوْسِ قُزح للأديب سهلاً سهلاً لأنَّنا نُحِسُّ أنَّ له من الأجْنحةِ الساحرة العجيبة ما يسهلُ له التحليقُ إلى كل قِمَمَ البيانِ. وكلِّ ألوانِ الكلم العبقرية.

أجل كنا نسمع من الأدباء الأعلام العباقرة في أندية القاهرة والإسكندرية أحياناً الخُطبَ الرنانةَ والقصائدَ العَصْماءَ وغرائبَ الملاحم والمحاضرات والمسرحيات والقصصَ باللغة الفصحى. وما كنا نسمعُ أحداً يحاضرُ باللغة العامية، ومن يحاول الدَّسَ لذلك لَا يجدُ مَنْ يحتشدُ له أو يصغى له وكنا نحن أبناءَ قلبِ الجزيرةِ تتابعْنا زمرة إثر زمرة في الوفود إلى مصرَ لتحصيلِ العلمِ : ومَنْ زمرتنا الأزهرية.

عمرُ القاضي وأخوه، ويوسف زواوي وأخوه، ويوسف خاشقجي وأخوه، ومحمد سعيد دفتر دار وأخوه، وعبد القادر الريدي وأخوه، والفرادي، ولي الدين أسعد وأحمد العربي وجمعان وعويضة ومحمد شطا ورشاد طرابزوني.

ووجِدَ في بعثة الرواد الأوائل من الوطن الأم شباب نجيب كالسيد عمر نَصيف وداوُد مسلماني ولحق بهم بعضُ مَنْ كانوا في جامعةِ الأزهر. . وكان شيخ رواق الحرمين الشيخ مصطفى أبو عشرين يفرح أشدَّ الفرحِ بوفودِ طلبةِ العلم الراحلين من الوطنِ الأم قلب الجزيرة العربية ويولم لهم الولائم.

وكان الوافدون إلى مصرَ للدراسة يفيضونَ إلى جانب ما أُرسلُوا للتخصص فيه من العلوم ممارسة إجادةَ الكلمةِ البيانية ويجهدون للإبداعَ فيها كلَّ الاجهادِ وكانوا يتفاوتون في جهد التحليقِ إلى القمةِ. وكان قائدُ القمةِ العملاق السيد أحمد العربي. . فهو خطيب مفوهٌ وشاعرٌ عجبٌ،

ومحاضرٌ ممتازٌ وإداريٌّ بارعٌ وكنا فهمنا من قادة الكلمة البيانية في مصرَ أنَّ تكوينَ مَلَكةِ البيانِ الخالدةِ ليستْ على طَرَفِ الثّمام بل لا بد لها من جهود مضنية عَصِيَّة.

ووجدنا الأدباء الأعلام على طريقين أصيلين لتكوينِ ملكةِ البيانِ ولا ثالثَ لهما.

أحدهمـــا :

تلاوة الكلام البليغ شعراً كان أو نثراً وقمةُ ما يُتلىٰ من البيان البليغ آياتُ وحي الله المعجز وما صح من أحاديث رسول الله ﷺ ورسائله وخطبه ثم الأولَ فالأول من كلام البلغاء، وتلاوةُ الأديبِ للبيانِ العالي بصوتٍ مرتفع أجدى من التلاوةِ الصامتة في تكوين مَلَكةِ البيانِ لاشتراكِ السَّمع مع البصر، وللسمعِ المكانةُ المثلىٰ. وإن كان المسموع صوْتَ نَفسه..

ثانيهمـــا :

سماعُ تلاوةِ البيان العالي الأخاذ النضر منْ ألسنةِ عمالقةِ الأدبَ وفيهِ ألفُ فائدة وفائدة وفيه ألف كفاية وكفاية. ولأجل ذلك أنشأ العربُ أسواقَ البيان.

إذ لا شيءَ أقدرُ على طبع كلمةِ البيان في الألسن واحكامها فيها ودعمها وتمكينها ـ من سماع البلغاء وهم يتكلمون في المعاهد والمجامع والأندية وفي المرافعات وفي خطب المساجد، وفي الأذاعات وفي الهواتِف، وناهيك بالتمثيل الفصيح. وكم لِمُشَاهدةِ تمثيليات أمير الشعراء من تأثير.

وجمهرة الأدباء يقدمون السماع على التلاوة الذاتية وهم يرون مهرة صاغة الكلمة الأدبية العبقرية شعرية كانت أو نثرية هم من ثمرات السماع.

وبرهانهم في تقديم افادة السماع على افادة التلاوة الذاتية هو أن عمالقة البيان العربي الذي أدهشوا الدنيا وتاريخ الأدب سواء كانوا في العصر الجاهلي أم صدر الإسلام هم من تلامذة السماع إلى جانب الاستظهار. حتى الأطفال كانوا قديماً يُحسنونَ الكلامَ الفصيح بالسماع.

أجلْ وبالأمسِ لم تكنِ المؤلفاتُ الأدبية الراقية سهلاً وجودها في أيدي شُداة الأدب مثل اليوم بل كانت مفقودة بالمرة حتى يقال إنهم أفادُوا: ملكة البيان من السماع وحدَهُ.

وأنا لا أنقص من افادة التلاوة في تكوين ملكة البيان ولكن الذي أراه بحكم دراستي أن السماع أجدى وأقدر وأولى ويكفي سماع المدرسين البلغاء مكانة في طبع ملكةِ البيان والآن نستطيعُ أن نقولَ:

:«إن إدراك أعراف البيان، والصعود إلى أعالي منائره يكون بالسماع أكثر مِمَّا يكونُ بالتلاوة الذاتية ويضيفون إلى السماع وَعْيَ الذاكرة والذوق العالي.

ومن أجل ذلك تجد المولى العظيم يحدثنا في كلامه المعجز عن السمع الذي هو أداة إدراك البيان الأولى قبل البصرِ الذي هو أداة البيان التالية:

وبيان السمع تحس له سحراً جذاباً ونكهة روحية غريبة أخَّاذة قد تستهويك وتستحوذ عليك وتهديك إلى أقوم الطرق وبالحري إذا كانت منطلقة من نفس رضية مهذبة لا من نفس خبيثة ملحدة.

وكنا نسمع الأدباء العمالقة ينوهون في مُحَاضراتهم إلينا بأثر أدب السليقة في تمكين البيان في أنفسنا..

إذا نحن أرهفنا أسماعَنَا لنلقفَ أدبَ السليقة فهناك نظفرُ بعزةِ البيان الصحيح الراقي الذي تنطبع ملكته في الأنفس: والسليقةُ والفطرةُ في تكوين الملكات توأمان: وإذا نحن أضفنا إلى أدب السليقة ما جَدَّ على تداول العصور في الأدب المكتسب بالممارسة والصنعة فإن الافادةَ الحتمية تكون أوفى وأتم.

ولكن فلنحذر أن يَفْتِنَنَا الأدبُ المكتسبُ وجمالهُ وزخارفُه وفنونُه وفتونهُ عن الافادةِ من أدب السليقة المتوارث.

وكم في أدب السليقة من طاقات هائلة مؤثرة في تَكْوِينِ صحةِ البيانِ في الألسن. وبدْءُ أدب السليقةِ كان في خيام عكاظ.

ونهايتَه يوم أعلن علماءَ اللغة العربية ونقاد أدبِها في جامعتي البصرة والكوفة انتهاء أخذ قواعد البيان وأوصله من ألسنة أدباء الصَناعة أمثال أبي نواس والبحتري وبشار وأبي تمام وأبي العتاهية وأضرابهم.

والحق أن أدب الصناعة قد يكون نتاجاً لأدب مطبوع في نفس الأديب إذا كان متمكناً من صياغة الكلمة بالسماع زيادة على دراسة أصول الصنعة وقواعدها وتلاوتها.

ومهما يكن فإن سماع كلمات الأدباء الراقية الصحيحة مِنَ ألسنتهم في أي عهد كان يفيد إلى أبعد الحدود وهكذا نجد أدباء السماع أقدر من سواهم على اجادة صنع الكلمة الخالدة وابداعها وَتَنْزِيهها مِنْ الصنعةِ ورطانةِ الحرف لبعدِهَا في لمحات الروح البيانية الحلوة الجذابة الصحيحة.

وإذا حاولنا أن نتمثل الحقيقة صارخة بيننا فلنعدْ إلى الأدب القديم ونشاهد أبا العلاء المعري وهو يُرهف أذنيه مُتلقفاً الكلمةَ البيانيةَ تلوَ الكلمةِ عذبة صافية مشتملة على كل قواعد اللغة وأصولها.

ولنعد إلى الأدب الحديث، ونحن نشاهد طه حسين وهو يُلقَّن القرآن المجيد في كُتَّاب القرية، وفي الأزهر وهو يصغى إلى مشايخه وإلى قرائه وهم يتلون عليه ما لذ وطاب من ألوان الأدب الراقي.

وإننا نجد أمثالهما كثيراً حتى من المصريين الذين أفادوا من سماعهم لكلمات الأدباء بل كان سماعهم سبباً في نبوغهم في إبداع الكلمة.

وهكذا نجد الأذان بمثابة الأجنحة التي يحلق بها عشاق البيان العالي إلى منائر مَجراتِهِ الدفاقةِ بالأنوار.

وكل عدتهم لِعَبِّ تواقيعِ ترانيمهِ الشجية الساحرة تجدها في أرهاف أسماعهم الظامئة العَابَّةَ كلمات البيان من الأفواه وذلك أنفع لهم وإن لم يتيسر ذلك فالأشرطة تؤمن إفادة التلقي عنهم. ولا شيء أَعونُ على انطباع كلمة البيان من البعد عن سماع أخطاء الكلام من ألسنة العامَّة.

ناهيك بسماعِ أشرطةِ آياتِ القرآن مِنْ أعْلامِ القراء والمحاضرات من أعلام العلماء. والملاحم والمسرحيات والمُطَولات والمقطعات والرباعيات والثنائيات من عباقرة الشعراء. والقصص البارعةِ كقصة آلام فر والفضيلة والبؤساء وتس وما أشبهها..

وإن الاعتصام بِعَصمِ البيان وبكلماته الرنانة المدوية على مدى الأجيال دأب الذين يتذوقون لذة كلمة البيان العبقرية ويعتزون، بها ويشيدون لها الأندية، ويقيمون لها المهرجانات ويكرمون مهرة صاغتها كل التكريم بأزهى الحفلات وأطيب الطيبات.

وانظر ما أفادته غادة الجزيرة السمراء ابنة عكاظ من الأمجاد والاعتزاز من عشاقها المعاميد من المهاجرين المثقفين من العرب الكرام إلى أمريكة... وما أفادتْهُ احتشدتْ له الدنيا..!

وكـان تجار العـرب في مهجرهم يفـدون من هنا ومن هنـا لسمـاع المحاضرات التي تلقى في أنديتهم. تكرمة للأدب العربي وقادته بينهم في المهجر..

وإذا شاهدت بلدة يحتشد شبانها المثقفون في أنديتها الأدبية لسماع المحاضراتفإن ذلك من أثر المعلمين وإذا شاهدتهم في أُخْرى لا يبالون ولا يخفون للحضور فاعلم أن ذلك من أثر المعلمين. والمعلمون إذا لم يكونوا مخلصين للغة أمتهم قَتَلوها.

وهكذا لغة كل أمة حياتها أو موتها في يد معلمي أجيالها فلولامعلمو المهاجرين منذ نعومة أظفارهم في أوطانهم وتثقيفهم بحب لغتهم وايثارها والتضحية من أجلها لما كان لهم ذلك الولع الكبير بآدابها والاهتمام بها والعمل الجاد في سبيل حياتها وعزتها وكرامتها وهم في دار هجرة ليس أحد من أهلها يرغب في تعلمها. على تهافتنا على تعلم لُغاتها. واللغةُ هي والأمة، فإذا فقدت فقدت الأمة..!! والأدب هو صورة حياتها وعلى إشراقِ غرته يَجْري التمثيل الصحيح العالي.

وها نحن أولاء نشاهد الاهتمام بغادة الجزيرة الحسناء ابنة عكاظ في كل مدنِ المملكة العربية السعودية وأريافها صارخاً صرخة البعث تؤسس لها الأندية والمعاهد وتقدم لأربابها الحلى والحلل والبدر الألفية ليرعوها حق رعايتها ويسهدُوا لاعزازِهَا ويؤلفوا باسْمِها المؤلفات القيمة وتلقىٰ بين يديها المحاضراتُ ويحتشد لها كلُّ الجيلَ الصاعدِ بتوجيهٍ والزام.

هذه هي أعلامُ الأمجادِ الخالدةِ. أمجادِ اللغة العربية في فنون آدابِها وفي عظمة أشواقِها. وفي سموِّ مجَامعها وجَامعاتها. وفي تأسيسِ أنديتها..

هنا وهناك وهنالـــك..

فهيَّا صعوداً إلى رُبىٰ الخُلدِ وإلى أنديةِ البيان الشَّادِي يَا شبانَ الجيلِ الصاعِدَ هَيَّا!!!

فها هيَ أنديةُ البيانِ العَربي الأصيل فُتحتْ أَبْوابُها.. وها هي جوائز جلالة الملك فهد السَّخيَّة التشجيعية أخذت تقدم للعباقرة من أدبائنا، وعلى نهجه الكريم أخذت تتلاحق جوائز نجله البطل سمو الأمير فيصل أمير الشباب لهذا الأمر العظيم الخالد.

فالأدب العربي الأصيل الفذ مقبل مع عَهْد أصيـــل فذ...

نظرة في مؤلف فيلسوف

كنتُ وأَنا في رحلاتي المتتابعة أسمعُ عن مَعْرِضٍ الأزهار الكبير في باريس الذي يَجمعُ فيه صاحبُه أُضْمامات مِنْ حدائِق الأزهار - الْمُزْدانَةِ بِها ضَواحِيهَا - يَجْمعُ مِنْ كلِّ حَديقةٍ أُضْمامةً هِيَ طَيفُ ابتسامةٍ حَالمةٍ، وإيماءةُ عَيْنينِ سَاحرتينِ إلى ما في حَديقتَها الْمومىٰ إليها مِن ألوانِ الأزهارِ، وسِحْرِ جمالها وبهجةِ نَضْرتِها وفتنةِ فنونها. .

وتشاهدُ كلَّ أُضْمامةٍ في المعرض كإشْراقةِ الفجرِ الأولىٰ هي عُنوانُ لما وراءَهَا مِنْ أضواءٍ مِنْ تَأَلّقِ الماسِ ومنْ أضواءِ مِنَ الفجرِ الساطع وَمْن أضواءٍ الضحى الساطع ومنْ أضواءٍ الظهيرة المتوهجةَ لدى اسْتواءِ شَمْسِهَا. . !

. . . لله هي لله هي ؟؟!! وعشتُ أحلمُ بزيارةِ المعرضِ ولمَّا يكتبْ لي ذلك. . ولكنْ لَمَّا عُدْتُ إلى بلادي رأيتُه فِيها عَيـاناً. . أجـلْ رأيتُ المعرضَ الذي كنتُ أحلمُ به واقعاً تَزْدَانُ به عَاصِمتُنَا الرياض. وكم هيَ المعارضُ التي تزدانُ بها العواصم. . هو معرضُ أزهارٍ ولكنَّها من نوعٍ آخر. .

هو معرضُ باقاتٍ مِنْ أمْجـادِ الْعِلم وعبقريـاتِ الأدبِ وجَمالِ الفنِّ وَرفَّاتِ الخلد. . !!

ورأيتُ صاحبه عربيًّا سُعودياً وكاتباً اجتماعياً مفكـراً هو الأستـاذُ عبد

العزيز الرفاعي. أجل هو معرضٌ حَوَى باقاتٍ رَفَّافةً جذابةً بَلغَ عددُهَا اثنان وثلاثون باقة.. كلُّ باقة بلَونٍ.. وكلُّ باقةٍ تَدلُّ أنَّ وراءها ربيعاً تَعْتزُّ به حديقةٌ غنَّاء مَاتعة.. موسومة باسْمِ مَالكها..

وتجولتُ في هذا المعرضِ الرِّفاعيِّ طَوِيلاٍ وتذوقتُ لذاتِ ثِمارِهِ ونَعْمتُ بها وسلفَ أَنْ تحدثتُ إلى القراءِ عنه..

والآن وقد أَصْدرتِ المكتبةُ الصغيرةُ «مؤلفَ فيلسوف» وازْدانَ به مَعْرِضُهَا للشاعِرِ العبقريِّ الكبير السيد / محمد حسن فقي. هو مؤلفُ زينةُ للشبابِ المثقفِ ثقافةً عالية.. بل هو أُضْمامةُ فِكرٍ وعلمٍ وفَنٍّ وأَدبٍ وفلسفةٍ أي هو مؤلفٌ يُلْمِعُ إلى مَوْضوعاتٍ من كلِّ ذلك، جِدٌّ نافعةٍ وَجِدٌّ ماتعة.. وذات أسلوب عَربي أصيل قيمٍ عالي..

ولو حشدت جميعها في مؤلفٍ لأفادَ منها شبابُ العرب والإسلام استقامةً في السلوكِ وعمقاً في الفكر وفهماً لجلالِ العقيدةِ، وتصحيحاً للآراءِ الخاطئةِ وصحةً للبيانِ: ولعلَّ الله يلهمُ القائمين على مؤسسة تهامة: واجهةَ نَشْرِ الثقافة في المملكةِ العربية السعودية أَنْ تَنْشُرَ سَائرَ مؤلفِ «فيلسوف» الضخم.

وبالحريِّ بعد أن اسْتهْوَتْ شبابَنا طَلِيعةُ رفَّاتِه الأولى في معرض المكتبة الصغيرة، وهي بمثابة الْعُلْوَان.

وما أحسَبُ المؤَلِّفُ يضنُّ على أَصْدقائه الناهضين بمؤسسةِ تَهامة بما هو مكنوزٌ لديه من موضوعات فيلسوف وهم أدرىَ الأدباء بروعةِ أسلوبه في النثر الذي لا يقلُّ عن روْعةِ أُسْلوبِه في الشعر. والشعر قمة.

ناهيك، وأقلامُ فحولِ الأدباءِ تفتحتمنوهَةً برِبَاعِيَّاتهذا الشاعرِ السُّعودي العبقريِّ في غرةِ جُريرةِ المدينة في كلِّ مَطْلَع شَمْسٍ..

الفنُّ مَظْهرُ الإعجاز

إشْراقاتُ النفسِ الإنْسَانيةِ المُرهَفةِ وحقيقةُ الفنِ تلاقيكَ في كلِّ الأَزْمنةِ ماثلةً للعِيَان، وأقدَارُهُ قِسْطَاسُ عَدْلٍ لا تَقبلُ المزايدةَ، والتَّنْويهُ بها لَا يَكونُ إلَّا من النُفوسِ المُثَقفةِ العالية، وغَمْطُهَا لا يكونُ إلا من النفوسِ الجاهلةِ المُنْحطةِ، والْفَنُّ هو رُوحُ الجمالِ الخالد في الأشياء.

ومعانيهِ تَظلُّ دَفْق مواهبَ مُبْدعة من شَلَّالاتِ عَبْقَرِ. وواقعُ الفنِ أسمىٰ مِنْ مَدْحِ الناسِ وقَدْحِهم، ولا ينزلُ بـه إسفافُ ولـو وَزْن هَبَاءةٍ. على تداوِلِ الأجيــال.

وحقيقتهُ أبداً هي هي زاهية في سمائِهَا لا يرفعْهـا المادحـون، ولا يَخْفِضُها الذامون. والذكاءُ نورُ فِكرٍ يكْتشِفُها كَشْفاً والغَباءُ ظُلمةُ بَصيرةٍ يغمُّهَا غَمًّا.

نعمْ يستطيعُ المدحُ والقدحُ أن يؤثرا في السِّيَاسةِ في التجارةِ، في المُعاملاتِ العاديةِ، في أواصرِ المودات بينَ الناسِ. ولكنَّهما لا يَسْتطيعانِ أن يُؤثراَ في ذَاتِ الحقيقةِ الفنيةِ. فيقْلِبَا عاليها سَافلها، وسافلَها عالَيها، فهذا لن يكونَ أبداً. ولَوْ زُوِّدا بكُلِّ دِعَاياتِ الأقلامِ، وبكلِّ قَناطِر الذهب، وبكل مظالم الحاقدين ومفترياتهم وانحطاط أنفُسِهم.

لأنّ جمالَ الحقيقةِ الفنيةِ، فوقَ خَبائِثِ النفس المنحطةِ، وفوقَ صَغَار

اتِّجاهَاتِها وفوق تلون مغالطاتها وفوق مآثِم انتهازاتِ كسبها المشبوه. بل فوق النَّاقدين أيًّا كانَوا.

وكَمْ مِنْ سَطْوةٍ حاسِمَةٍ لذَاتِ العبقريةِ الفنيةِ إلى سَطْوة لِجمالِهَا سَاحرةً جذابةً كالنجوم كالشموسِ كـالأقمارِ سـاحرةً جـذابة على مـدَى الأجيالِ وسَاحِقَةً حَسَدَ الْحَاسدين وصغارَ نفوسِهم وَرجْسها. وهكذا يظلُّ الفنُّ إبدَاعَ إشْراقٍ وَتَظَلُّ نَغماتُهُ مُنْعشةً مُطْربةً، وأطيافُه مغازلةً دُنْيانا بمبتكراتِ الحُبِّ الإنسانِي، وبافتراعِ البيانِ العالي، وتليد الفنيينِ كطريفهم لأنَّ تباينَ الزمن يَنْمحِي في مجالات خلودِ الفنونِ العبقريةِ، فالذكرُ هو الذكرُ والاسمُ هو الاسمُ والإعْجابُ هو الإعجابُ، والافادةُ هِيَ الإفادةُ فمنْ أينَ يأتي التباين، ومن أين يأتي فناء الإعجاب والتقدير.

أمَّا تَباينُ ألْوانِ البيانِ الفَنِّي العبقريِّ فهو طَبيعيٌّ فلكلٍّ زمانٍ لون بَيانِه وإنْ كانتْ مَثاليَّةُ روحِ الكلمةِ، وصحةُ لغتِها واحدةً أيْ عبقرية الفن الحية تظل هي هي.

يا هؤلاءِ ذهبتْ صَبابةُ امْرىءِ القيس وتـوارتْ حِكْمةُ زهيـر بنُ أبي سُلْمى، وأغْمدَ سيفُ عنترة، وابتلعتِ رمالُ منفوحةَ نابغةَ بنِي ذُبْيانِ زياد بنَ مُعاوية، وسكنَ غَضبُ عمرو بن كلثوم وَنُسِيَ ذبحُ طرفةُ بن العبد في غَضَارةِ الشَّبابِ، وَسِعدَ بلقاءِ ربه مسلماً لَبيدُ بنُ ربيعة، ولكن لم تذْهبْ سيادةُ كلماتِهم العبقريةِ الفنيةِ، وأحلامُهَا وصَبَاباتُها ومفاخرُهَا أبداً أبداً.

وكم وكم مِنْ صاغةِ الكلمةِ الفنيةِ الأولينَ أُفْلِتُوا مِنْ ضِيقِ الجاهليـةِ وشَقَائِهَا إلى سَعَةِ الإسْلامِ وَسَعَادتِه، نعمْ مَاتُوا وفَنَوْا وأمْسوا بعضَ أتربةِ الأرض، ولكنْ حقيقةُ كلماتِهم الفنيةِ الخالدة لم تَمُتْ ولم تَفْنَ... لأن الحقيقة الفنيةِ أبديةُ الزمانِ. والزَّمانُ وأبـديتُه، صِنْـوانِ متلازمـانِ ولا يَعْلمُ

نهايتهما إلا اللهُ المتصرفُ فيهما وَحْدهُ.

وكلُّ كلماتِ منتهزي جَمْعِ الحُطَامِ إسْقاطُ تفارقُ الحياةَ ساعةَ اسْتِهْلاَلِهَا ولا تَبْقىٰ شَامِخَةً مِلْءَ أبديةِ الزمان بالجمال والسحر إلا كلماتُ الفنِ العبقريةِ التي تَلِدُ، ومخايلُ خلودها تَظلُّ خلالها ولا عبرة بِعَصْرِ مِيلادِها إن كَانَ في الجاهليةِ أو الإسلامِ سِيَّانِ.

فها هي الْجَاهلية ذهبتْ بكل أسواقِهَا الحاشدةِ وَبكلِّ مَفَاخِرها الصُّبيانيةِ وبكلِّ حروبها القبليةِ وبكلِّ آلهتِهَا الوثنيةَ وبكلِّ أساطِيرَها الخرافيةِ. ولم يَبْقَ منها خالداً ماثلاً للعِيان إلا كلماتُ الفنِّ العبقريةِ. وهل تحدى وحيُ الله المنزل إلا عبقريَّة البيانِ الخالدةِ التي تفاخَرُ بها.

وكلماتُ الفنِّ العبقريةِ لن يَضُرّها حَسَدُ الْحَاسدينَ ولا حِقْدُ الحاقدين وَمُسْتَوىٰ أذيةِ حَسَدِ الحاسدين وَحِقْد الحاقدين لكلماتِ الفن العبقرية دونَ مستوى أذية الأغبياء لمطالع الفلك، وقدْر علومه وإن اسْتهانُوا بها وزعمُوا أنها أَسْخَفُ علوم الأرض.

وأينَ هُمْ وأين علو الفلك وعلْمُه وكم هم الذين خَصَّصوا أنفسَهم لدرْسِهِ وَاسْتِمْتاعِ أنْظارهم بشمُوسه وأقماره وكواكبه من مراقبةِ مَراصِدِه أَلاَ هم العُلماءُ والآخرون هم الجهلاء.

ومع كل ذلك فالفلكُ رغمَ العلمِ به أو الجهلِ هو الفلكُ في كل قيمِهِ وأَقْدارِه وموازينِهِ وأنه أبداً متقدٌ بشموسِه، ومشرقٌ بأَقْمارِه، وهادٍ بأضوائه ومخصبٌ بصيِّبه ومرعبٌ بصواعِقه، وعاصفٌ برياحِهِ، ويدورُ ويجري اعتزازاً بآباده المتطالةِ غيرَ مكترثٍ إلَّا بواقعهِ الذي فَطرهُ اللهُ عليه. وأضفىٰ عليه الجمالَ والإشراقَ والبهجةَ ومدهشاتِ آياتِ التكوين.

هذا هو واقعُ الفلكِ الدائر، وهذا هو واقعُ فلكِ الفن في صِياغةِ كلمته

العبقرية فهي قريبةٌ ومؤثرةٌ وتُعَايُشُنَا ونعايشُها وإن بَعُدَ عهدُ ميلادها ألف عَقْدٍ وعقد.

وَمَا فِي الزَّمنِ قَرِيبٌ أو بَعيدٌ فهوَ مُفْرغٌ في حَلْقةِ وَلُبْثُ الأحْياءِ كافةً في دُنْياهمْ لَا يَزيدُ عَنْ ساعةٍ مِنْ نَهَار..

أنظرْ هؤلاءِ قدماء الإغريق. أينَ هُمْ، وأينَ مَا شَيِّدُوا ، وبنوْا مِنْ بُروجٍ وقُصورٍ مزخرفةٍ وحصونٍ مُدَعَّمة.

ألم يتحولُ كلُّ ذلك إلى دِمَنِ آثارٍ وَخِربِ أطلالٍ ألمْ يَتحـوَّلُوا هم أنفسُهم إلى ترابٍ. أَلَا كلُّ شيءٍ يَفْني، ونشاهدُهُ ونحِسُّه يفنى إلا كلمة الفن العبقرية تستطيل وتستطيل رغم تطاول الأزمانِ وَتُنْشَدُ أناشِيدها فوق أشرعةِ النسيان الصامتة لتظلَّ هي الذكرى وحدها الصارخة في فم الأبد.

وهيّا أيُّها الرفاق سَارعُوا وَخُذُوا مثلاً «هوميروس» أقدم شعراء الإغريق فإنه يعيشُ بينكم في ترانيم «الأُودِسَّة» ومهما يكن فالجمال واسع. وكلمات الفنون العبقرية غير محصاة.

ومهما يكنْ فكلُّ كلمةٍ فنية عبقرية نافعة للناسِ حقيقتُها خالدةٌ. بإرادةِ اللهِ. وما أرادهُ الله لا يملك البشرُ نقضه ولو اجتمعوا له.. ومعجزة معجزات البيان المتحدي هو كلام الله جل وعز. وهي باقية ولن تزول هذا مُحالٌ وألفُ محالٍ: ولَوْ استمر اجتماعُهم إلى قِيام الساعة لأجل زوالها لن تزول لن تزول: ﴿ **إنَّا نحنُ نزلْنا الذكرَ وإنَّا له لحافظون**﴾ [٩ - ١٥].

التمثيل فن حياة العصر

أصبح التمثيل فن مجتمعِنا العربي ذا سلطانٍ حاسم، أي أصبح هو الموجه القوي المهيمن على كل مجموعاتنا النفسية، وعلى كـل بواعث إرادتنا، وبواعث أعمالها، .

وأصبحت كل مقومات التوجيه المفروضة، في المجتمع بيده. كالتربية المنزلية، والتثقيف وارشادات الدين والأخلاق، ونظم الدولة والأمن والخوف أي أصبح كل أولئك لها قياداتها وأحداثها وانطباعاتها وهواتفها في فصول المسرحيات التمثيلية التي تعرض كل ليلة على الجماهير بانتظام في التلفاز بتأثير يفوق كل تَأْثيرٍ.

أجل ان تأثير التمثيل أصبح ذا أعماق وإيحاءاتِ وأخذ وعطاء على الرجال والنساء والأطفال والشيب والشبان أي على القض والقضيض.

أما الأطفال فإنهم فوق كل ذلك... سيمثلون في المسرح الكبير = المجتمع = إذا خرجوا إليه. أدوار هؤلاء الممثلين... في كل ما يعرضونه من روايات في مسرحهم الصغير التلفاز وأشباهه. وانطباع في الطفولة لا إنفاك منه.

أجل غدا سيمثل أطفال اليوم ما عرضوه عليهم أمس... أنفساً وقلوباً وعقولاً واتجاهات وأعمالاً حية. بزيادة عما مثلوه لهم دون نقصان.

أي سيكبـر الأطفـال، ويكـونـون هم الممثلين الكبـار في دنيـا المستقبل... لكل هذه الروايات المباحة والمحرقة التي شاهدوها في التلفاز

أو «الفيدا» بكل ما تحمل من شبهات صارخة، ونزوات شرهة وتوابل أغذية الجنس والدعوة إلى اباحته، والجحود الخفي بيوم الحساب، وفي قوادمه وخوافيه اهمال الفرائض والواجبات والحقوق، واطراح زواجر النذر بيوم الحساب واعلان التمرد العالي على كل هدى والتمادي في الطغيان المتعمد في المباذل والمساخر والسفاسف. وكل آتٍ قريب.

أي أصبح التمثيل فن الحياة في عصرنا، مثلها الثقافي الراقي، والحاكم المطلق على التوجيه المؤثر، والآمر الناهي.

وأصبح الأديب العبقري الدَّاعية المقدم، وسواء أكان شاعراً، أو كاتباً من يستطيع أن يعطي التمثيل أنبغ فنه، واسحر بيانه، وأروع افتنانه، وأحكم حكمه وأمثل أمثاله، وأعمق قصصه، وأجد مسرحياته، وأصدق حدسه، ويكشف للأجيال دروب المستقبل في معطيات السماء.

أي أنَّ الشاعرَ الفنان المجدد... هو الذي يُغْني المسرحَ والتِّلفَاز بالمسرحياتِ الفنية المسيطرة، وأصحها لغة وأدقها أداء، وأروعها تأثيراً. وأوقعها في أنفس الجماهير الحديثة المثقفة وأشهاها لديها وأعمقها وألذها..

أي هو الذي يرى ببصيرته أحداث مستقبل أمته، كما يرى ببصره أحداث حاضرها.

أي هو الشاعر الفنان ذو الحس المرهف الجذاب، وذو البصيرة الكشافة إلى تعيين سمات الجنين الخفي في احشاء الزمن، ولما يلد...

والتمثيل الذي لا تفيد منه الأفراد والجماعات طموحاً في الحياة وسمواً في النزعات وصفاء في الأنفسِ وصحةً في النطقِ وأنسانيةً في الفطرة وعمقاً في الثقافة وتماسكاً في المجتمع ورقة في الطباع فإنه يكون بلاء من البلاء

الخفي وشراً من الشر المستطير يردي ويردي.

إذاً فليسَ كلُّ تمثيلٍ يَصِحُّ أن يُسْمحَ به لكي يُعرضَ على الجماهير خشيةَ أن يتفشى الداءُ ويَعْسرُ الدواء. والآن لا يمكن حجز التمثيل الجنسي العاري المجرم الهدام بحالٍ من الأحوال لأَنَّ مصانع الفيدا تخرجُ آلاف آلاف المناظر التي تعد مناظر مؤلف رجوع الشيخ إلى صباه المجرم هو الالف في أَبْجدية أفلام الفيدا الإباحية الملحدة السرية والعلنيَّة. والبلاء زاحف من كل مكان والتصدي له يجبُ أن يكون من كلِّ مَنْ يريدُنَا أَن نظلَّ أحياء ولا تخسبوا هذا كلام طائر. بل هو حقائق يقينية واقعة..

بسم الله الرحمن الرحيم

هل يمثل رسول الله

إذا استطاعتْ شواطىءُ البحارِ، وضفافُ الأنهار، ومياهُ الغدران والبحيرات، أن تُمثل في أعماقها حقيقةَ البدر المنير، وهو مشرقٌ وضاءٌ في كبد السماءِ. فإن الممثلين يستطيعون أن يمثِّلوا حقيقةَ رسولِ الله ﷺ.

فخاتمُ رُسُلِ الله، ما أرسله الله لتُمثَّلَ حياته للناس ساعةً من زمان، ثم ينقضي الأمر، ويُسدل السِّتار. وتتابع الناسُ بلاياهم.

لا، وألف لا . . لن تُمثل حياةُ رسول الله، كيف تمثل وقد أرسله الله رحمةً للعالمين. . ؟

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [٢١ ـ ١٠٧].

كيف تُمثل، وإنما أُرسل أسوة للإنسانية العالية لكيلا تضل في مَتاهات الإلحاد الظالم. ولعناتِ جحُودِ يومِ الحساب.

﴿لقد كانَ لكم في رسولِ الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [٣٣ ـ ٢١].

أما كان طلابُ العلم يلازمون مشايخهم السنين الطوالَ تعليماً وارشاداً وتهذيباً . .

ولا يأذنون لهم بمباشرةِ إلقاء كلامه ﷺ على الناسِ. حتى يكونُوا قد استعدوا أتمَّ الاستعداد ديناً وعلماً وأدباً وسلوكاً وامتثالاً وخشوعاً وعفافاً وصدقاً وإخلاصاً..؟

وكانوا يتوخوْن أنَ يكونَ ذلك في مكان طاهرٍ مُطيَّبٍ، وعلى أناسٍ يشوقهم سماعُ كلامه، وتأخذهم روعةُ إصلاحاته، ويسمو بهم كمالُ توجيهاتِه، وبلاغةُ كلمه ﷺ، وتنطبعُ انفعالاتُها الماجدة في أعماقِ أنفسهم حتى يتغير مَا بها من نوازِعِ الإثم والكفر.

﴿.. إن الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسِهم..﴾[١٣ - ١١].

١ ــ أين الذين يمثلون رسولَ الله ذاتاً:

أينَ الممثلون الذين يبلغُ بهم طهرُ الإيمان والاستقامة والإنسانية وسمو الأعمال وعلو الهمم مبلغ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، حتى يصلح أن يحل مكانه ويمثله للناس. ولو ساعة من الزمان.

وأين المكانُ الذي يبلغ في القداسة مبلغ الروضة المطهرة في المسجد النبوي، أو في رحاب الكعبة في المسجد الحرام، أو تحت قُبة المسجدِ الأقصى الذي باركه الله، وبارك ما حوله.

حتى يصلح أن تمثل فيه حياة رسول الله.. لعلهم يريدون أن يمثل حياةَ رسول الله ﷺ أي إنسان كانَ، ولو لم يكن مؤمناً برسالته.. وفي المكانِ الذي تمثل فيه رواياتُ الغرام والانحرافاتُ الخلقية والمظالمُ، وكبائرُ المآثم..

والجمهور الذين تمثل لهم حياة النبي ﷺ.

١ ــ إما أن يكونوا مؤمنين صادقين أمناء أجواداً مثقفين.

٢ ــ وإمَّا أن يكونوا ملاحدةً كاذبين خَونةً أشحاءَ جاهلين.

١ ــ فإن كانوا مؤمنين صادقين أمناء أجواداً مثقفين.. فهم لا يجهلون الوسائل التي تكشف لهم أمجادَ حياةِ النبي صلوات الله وسلامه عليه.؟ والتعرف إلى المثل العليا التي أوحاها الله إليه للنهوضِ بالإنسانية إلى السلام والتعارف والمودة الصادقة.

٢ ــ وإما أن يكونوا ملاحدة كاذبين خونة أشحاءَ جاهلين.

فهم لا يرون مما يُمَثَّلُ أمامهم من حياة الداعي الأول صلوات الله وسلامه عليه، ولو كانت قمة أخلاقه المثالية العملية الشامخة أكثرَ من روايةٍ ممَّا يشاهدون كل يوم من تمثيليات تلهب الغرائز لا التفكير.

وما من غرابة في ذلك، لأن أنفسهم غير مهيأةٍ للأخذِ بناصر الاصلاح الإنساني العالي الموحى من رب العالمين للصعود بالبشر كل البشر إلى أمجاد السلام والهدى والخير.

وكل هذا متوقف على نوايا الذين يؤلفون الروايات التمثيلية.. وهل هي نوايا علمية خيرة منصفة، أو هي نوايا شريرة جاهلة متحاملة. كالروايات التي يدونها أعداءُ النبي العنصريون الذين يدسون فيها خبائثَ أنفسِهم، ولعناتِ الحادِهم، وسعير أحقادهم. وتشويه كل المثل العليا التي أوحاها الله إليه. وأين هؤلاء المؤلفون الذين يكتبون لوجهِ العلم اليقيني وحده.

٢ ــ مكانة رسول الله ﷺ

لا يلمس مكانة رسول الله العِمْلاقَةَ الأقزامُ. لا لا... لن يلمسوها ولا يحيطوا بها علماً، إنما يلمُسها ويحيطُ بها علماً مَنْ أجرى الله على يديه من خيرٍ للبشر كافةً. ومن هدايةٍ عليا لتبليغها للناس كافة.

ولا ريب أن الذي يعلم مكانة رسول الله العلَمَ اليقيني الشامل هم قلة. وهؤلاء يرفضون أن يمثلوه للنـاس، لأنهم يرونـه فوق ذلـك سماء سماء..

هذا جبريل عليه السلام لما أراد أن يعلم الناس دينهم وآداب الدخول في مسجد رسول الله، مثل نفسه في صورة الرجل الكامل الوقور النظيف الفاهم والمستفهم والعالم والمتعلم. خشية طغيان الغرور. والغرور قاصم لعمر كل نجاح.

خذ ما رواه الإمام مسلم في صحيحه تفهم الغاية المرادة. والراوي هو مشاهد بصير دقيق هو عمر ابن الخطاب.

قـــال :

«بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي - ﷺ - فاسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه...

فأنتَ ترى في هذه الصورة التمثيلية التي تصور بها جبريل عليه السلام ودخل بها على رسول الله في مسجده الشريف، للجلوس بين يديه وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن يوم القيامة دروساً عملية مشاهدة في كمال الأدب معه ﷺ، عد إلى النفحة الربانية تأليف العلامة الشيخ إسماعيل الأنصاري صفحة ٨ تجد كل تفصيل الحديث الشريف.

وها هي الدولةُ السعوديةُ أقامت نفراً من رجال الشرطة في مسجد رسول الله لارْشَاد الزوار إلى التزام الآداب... وبالحري لدى السلام عليه، وعلى صاحبيه الجليلين أبي بكر وعمر، ومن أجل ذلك رفعت الدولةُ في أعلى

الشبابيك المطلة على الحجرة الشريفة. حيث يحتشدُ الزوار للسلام.

هذه الآيات الكريمة، إشعاراً بوجوب الأدب:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوتِ النبي ولا تجهرُوا له بالقول كجهرِ بعضكم لبعضٍ أَنْ تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [٤٩ - ٢].

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ [٤٩ - ٣].

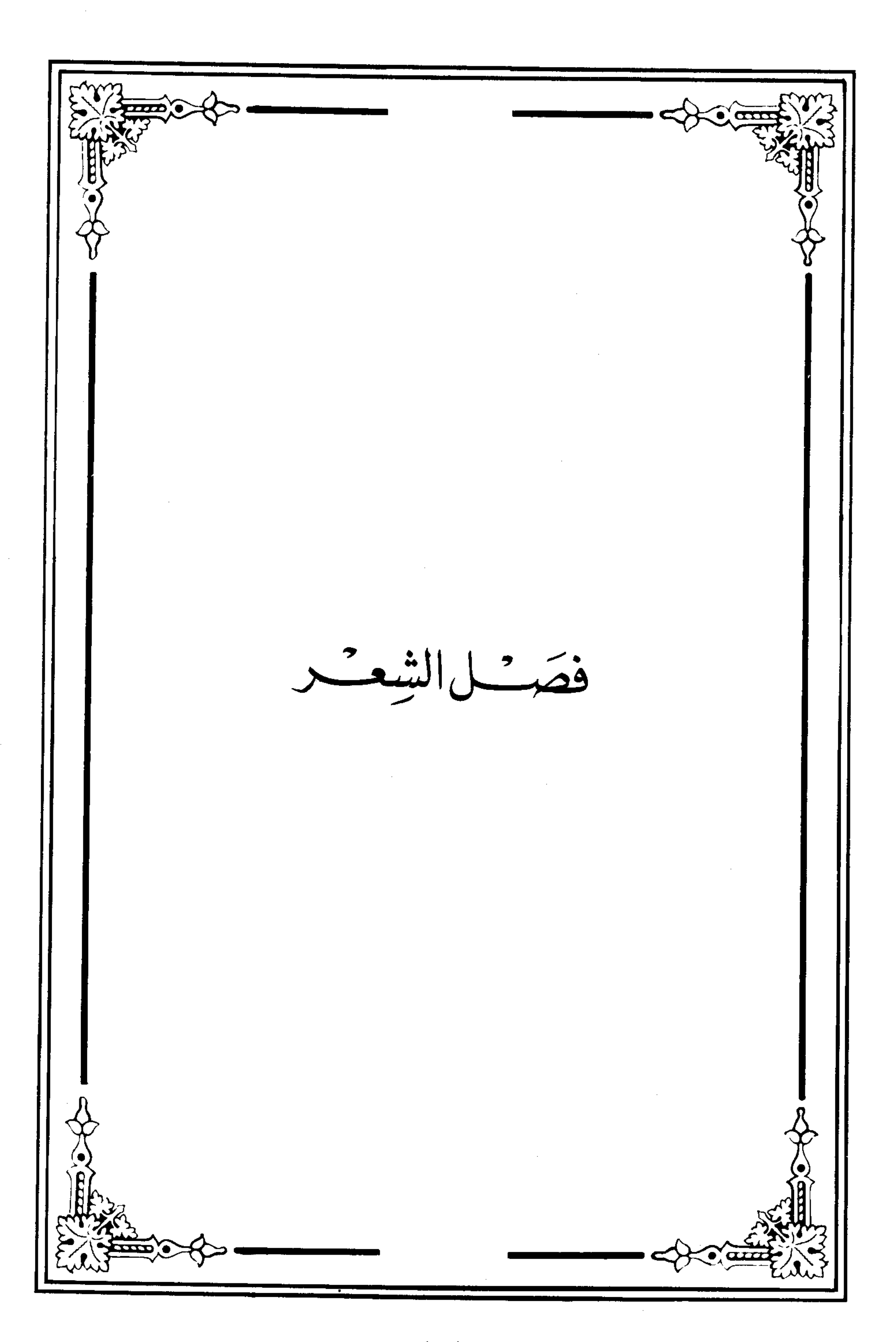
ولن تجد حاكماً يُسْمحُ لأيِّ شخصٍ أن يمثل شخصيةَ رسولَ الله بعدَ ذلك فوالله إن روح القدس جبريل عليه السلام يأبى أن يُقيم نفسَه مقامَ رسول الله ويُمثله للناس. وليلة المعراج آية ذلك.

أحسب الذين يريدُون أن يُمثل رسولُ الله أمامهم لو علمُوا أن أبا بكر حينَ بويع بالخلافة، وصعد منبرهَ ﷺ ليخطبَ خطبةً الخلافة الأولى، أمتنع أن يقوم في عين مكانه بل نزل درجة احتراماً وأدباً.. فأينَ هو الإنسان الذي يفضل أبا بكر بيننا ويصح أن يقوم مقامه ﷺ، ويمثله للناس.

وهذا الصنيع من أبي بكر أعلان أنه سيكافح في سبيل الدعوة إلى مثل وحي الله العليا كلَّ الكفاح. ولكنْ مع حفظ مكانة صاحب الدعوة الأول ﷺ وإنها أبداً محلُّ الإكبار والأسوة الحسنة.

ولن يرضى أيُّ عربي أصيل، أو أي مسلم صادق أن ينزل برسول الله إلى دكة المسرح، ويمثله عليها هذا محال..؟ بل وألف محال..؟





فَصْلُ الشِعْر



فصل الشعر

الكلمات

١ ـ فطرة موسيقى الشاعرية الفنية.

٢ ـ الشعر والبيان.

٣ ـ شعر ورباعيات.

٤ ـ الشعر النبطي.

٥ ـ رسالة مرفوعة.

٦ ـ الرباعيات «البحث الأول».

٧ ـ ذكريات الشاعر السعودي محمود عارف في دولة الإمارات.

٨ ـ من أنا.

٩ ـ شاعر سعودي علم.

١٠ ـ تواضع فحول الشعر.



فطرة موسيقى الشاعرية الفنية

كنتُ أفكرُ في نشأتي الأدبية أنْ أنْظم شعراً موسيقياً فَنيًّاً عالياً فَحُصرْتُ ولم أفلحْ. فخلتُ موهبةَ الفطرةِ المُوسِيقيَّةِ الشَّاعِرة يضُمُّها علمُ العروض وأوزانُه وقَوافيه بينَ دَفَّتيْهِ فسهرتُ الليالي الطويلة وحفظت أوزانَه وتفاعيله وَعِلَله وزَحَافَاتِه وما يجوزُ وما لا يجوزُ فأتممتُه وزهوتُ وخِلْتُنِي أصبحتُ قادراً على التحدي والابتكارِ ومقارعةِ عباقرةِ الشعراء مِنَ العرب والأفرنج..

ودارتْ بِيَ الكـرةُ الأرضيةُ دورتَها فرأيت أضخمُ جَبَلٍ جَبَلَ هَمَلاَيَا ورأيتُ الصقَ قِمَّةٍ بشرفاتِ السماءِ قمةَ «أفرست» فصعدتُ إليها. وأنا مأخوذ بنشوةِ الغرور وقلتُ عَجَز طاغورُ سليلُ هذه القِمم أن يرتقي مِثلي إليها..

.. وهنا صرختُ متطاولاً بمطولاتِي وزهوتُ بها زهوة مُتغنِّياً بها عَلَى رَبَابَتي ولكنِّي لم أجدْ بين الدَّارجينَ في أدراجِ الأرض، ولا بينَ الصاعدينَ والْهابطينَ شعابَ الجبالِ، ولا بين المحلقين بطائراتِهمْ بينَ تكاثفِ الغَمام، واحداً يُصْغـي إلى مطولاتِي أو يتغنَّى بها أو يترنم.

وفكرتُ في ذلك طويلاً ولم يُداخِلْنِي يأسٌ لعلمي أنَّ الله مقتَ اليائسينَ مِنْ تأييدِهِ وأنزلَهمْ منزلةَ الكافرين وهذا حَقٌّ لأنَّ اليائسين لَو آمنُوا بوجودِهِ جلَّ وعزَّ لَمَا كانَ يَئِسُوا وغيوبُ الأقدار في علمِ الله لا فِي علمهم أَمَا قَالَ سَيِّدُنَا يَعْقوبُ لأولاده:

﴿يا بَنيّ اذهبُوا فتحسسُّوا مِن يوسفَ وأخيه ولا تيأسـوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إنه

لا ييأس من رَوْحِ اللهِ إلَّا القومُ الكافرون﴾ [١٢ ـ ٨٧].

ومنْ أجلِ ذلك لم يداخِلْني يأس ونزلتُ من قمتي العُلْيَا بسلطانٍ مِنَ اللهِ ولم تُزايِلْنِي هِمَّةُ الطُّموح أن أكونَ أديباً شاعراً عَبْقريًّا زيادةً على العلومِ التي أتلقاهَّا في الأزهرِ وإن كلفني ذلك جهد النهارِ وضَنَا الليل.

وقلتُ إنْ عجزَ علمُ العروض عن أن يُصَيِّرنِي شَاعراً فنيًّا مُوسِيقياً ولم تنهضْ بي أوزانُه وبيوتُهَا طويلُها وكاملها وَمَجْزوُءُهَا إلى الإِحسانِ.

أجل قلتُ إن عجزَ علمُ العروض أن يُصيِّرني شاعراً عبقرياً فنيًّا مُجَدِّداً فحسبُه أنه مَنحِنِي الاجادةَ في النثر الفني العالي.

ما دامتْ مَوْهبةُ الشِّعْرِ الفَنِية الأصِيلة لا تنالُ بالدَّرسِ والمطالعةِ في دواوينِ فُحولِ الشعراء بل يناله منها فاقُدهَا مَنْ كانَ مثلي النثرَ الفنيَّ العالي الصحيح.

وهذا ما أشار إليه الخليفةُ عمرُ في قوله: «رَوُّوا أَبْناءَكم الشعرَ فإنه يورثُهمُ الفصاحة». وقوله صَحيحٌ للغايةِ ووسيلةٌ للتفوقِ في البيانِ: وفحولُ الأدباء مِنْ شعراء وَنَاثِرين أفادوا منه أسْمى الإِفادة.

وما استقامَ بياني على خصائِص شخصيتي وطرافةِ أسلوبه وتنوعه شَابًّا وكهلاً إلَّا لأني مُغْرمٌ بَجَيّدِ الشعر غَراماً لاَ يَدعُنِي أنامُ الليلَ الطويلَ إلا مُشرداً.

وَهَلْ كنتَ تَجِدُ بَيَانِي في هذه السَّلامةِ والإِشراقِ والصباحةِ لولا أنه ارْتوى من رحيقِ الشعر الجيد المعتق في رفافِ المواكب وأعراسِ الأيام والليالي.

وقال الأدباءُ يومَ أَصْدرتُ رِوَايتي إلى غَرْناطة «عن أُسْلوبي الْبيَانِي إنَّه

لَوْنٌ مِنَ الشِّعر المنثورِ نعم هو شعرٌ في أصْل مُسْتقاهُ ونثرٌ في مُؤَدَّاهُ الفني وفي مَجْرَاهُ على أثلاثِ القلم.

والعجيبُ أنَّ الله أعطَى لكلِّ أمةٍ مُسْتَقاها الفَنيِّ الطَّروب وأحاسِيسُه الشعريةُ وهَواتِفه البيانية وكيان رُوحِهِ الخاصة به.

وليسَ في الإمكانِ أن تَنْتقلَ حاسَّةٌ موسيقيةٌ شعريةً فطريةً في أنفسِ أمةٍ إلى أمةٍ أُخْرى كما حصلَ ذلك للأتْراك بالنسبةِ لحاسَّةِ موسيقَى أوزانِ الشعر العربي الفطري.

هذا نَادِرٌ جداً نعمْ تَنْقِلُ حَاسَّةُ أمةٍ إلى أمةٍ أُخْرَى تتكلمُ باللغةِ نَفْسِهَا كالأمم الأفريقية التي تتكلمُ الأفرنسية أو الإنجليزية. أو الأفراد الذين يتقنونَ لغةً غَيرَ لغتِهِم فيقولون الشعرَ بها أصِيلاً صَحِيحاً.

والخلاصة أَنَّ حاسَّةَ موسيقى الشعرِ الفطريةِ تختلفُ مِنْ أُمَّةٍ إلى أُخْرى لأنَّها مِنْ مواريث الحِقبَ والأَجْيال وهواتف وَحَنَانِ الأفئدةِ الرقيقة الخفاقة وانْطِبَاعَاتِ أوتارها ونغماتِها في مجالي بيئتِها الطبيعية.

وكلُّ الشركةِ في هذا الأمر أَنَّ الغرائزَ الإنسانيـةَ جَمعاء متـأصلةٌ في أعماقها اللهفات إلى الفنون الجميلةِ وإلى الشِّعرْ والغناءِ والرَّسْم والخَطَابةِ. على أنَّ الأتراك وإنْ أخذوا مُوسِيقَى الأَوْزانِ الشعرية العربيةِ إلاَّ أنَّها انطبعتْ بـطابَعِهِمْ.

وبما أنَّ الأتراك أخذوا الكثير عَن العربِ في إبَّان نَهْضتِهِم الأولى فإنَّك تُحِس أُغْنياتِهم لها مجاليها وانطباعاتها فِي أنْفسِ العربِ ويحسون لَـدَى سَماعِهَا كَما يَسْمعُ أحدُنا صوتاً مِنْ وَراءِ الحُجُبِ كصوتِ قريبٍ له يعرفهُ جَيِّداً.

ولو أمتَّدتِ الصَّلات بينَ اللغَّةِ العربيةِ واللغة التركيةِ كأيام السَّلاطين العثمانيين لأتَّسعَ مجالُ الأعمالِ النفسية والأدبيةِ واللغويةِ إلى أبعدِ الممكناتِ ولكنَّ العنصريةَ المجرمةَ فَتَاكةٌ وممزقةٌ ومَحْرِقةٌ وأهوالُها فادحةٌ وانعزالياتها حَقودَةٌ كنودة فكانت القاطعة ولكن الأمر أصبح فوق الإرادةِ الإنسانيةِ وفوقَ انقباض العنصرية والذي فر منه العنصريون الذين عاشوا في تركيا سقطوا فيه بصورة أفدح بالنسبة للاضطراب والقلق والأخذ عن الغير.

ومهما يكن الأمر فإن انطبـاع اللغة العربية وآثارها ليس في قدرةِ البشر نزعه، لأنه أصبح مجاله في نوازع النفسيات وغيوب الإلهامات الإلّهية في كلِ أفراد الشعب التركي، بَلْ وفي كل شعبٍ مسلم.

وعلى كل حال فالتقدم الإنساني الحضاري العام ووجدانُهُ ومِثاليـاته وبواعثُه ومعانيه وأمانيه آخذة في صياغة الإنسانية صياغة واحدة.

فلن تجد ما بين الأمم المتحضرة الراقية والآخذة في سبيل ذلك من الفوارق والانقسامات والأحقاد والمخاوف ما كان قديماً وما تُحِّسُّه أحياناً هو مصنوعُ مدسوسٌ بيد العنصريين الملاحدة الذين هم في جسمِ الإنسانية وسلامِها وتَعارِفها وتَفاهِمها. كالمرض المزمن..

وما دامت الفنونُ والآداب العالميةُ وهواتف الشعراء تسير إلى الوحدةِ والتفاهم والتقارب كالعلومِ فإنَّ اليوم الذي يقضى فيه على العنصريةِ الملحدة المجرمة الممزقة يُوشك أن يكون قريباً. وحينئذ يتحقق إعجازُ خاتِمْ وَحْي الله القرآن المجيد:

﴿يا أيها الناسُ إنَّا خلقناكمْ من ذكرٍ وأُنْثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لِتَعارفُوا إنَّ أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم إنَّ الله عليمٌ خبير﴾ [٤٩ - ١٣].

وصدق من قال:

«الإنسان أخو الإنسان أحبَّ أم كره».

وما أحسن ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه:

الناس من جهة التمثال أكْفاءُ . . . أبوهم آدمٌ والْأُمُ حَواءُ.

فإن يكنْ لهمُ في أصلهم شرفٌ يفاخرون به فالطِّينُ والمـــاءُ.

الشعـر والبيان

بالأمْسِ كان يقولُ الناسُ إنَّ عجائبَ الدنيا سَبْعاً، ويَعُدون مِنْها أَهْرام مصر، واليوم أصبحت عجائبُ الدنيا: كأمواج البحار بَعْضُها يلاحقُ بَعْضاً، ولَكنْ كلُّ هذه العجائبِ يأْتي عليها يومُ تُصْبِحُ فيه رَمادَ أَطْيافٍ، وأنقاض أسمار، وصدى ذكريات.

أجل كانتْ دنيا الأممِ البائدةِ تذخرُ بعجائِب العُمْران، وفنونِهِ وتهاويلهِ وزخـارِفِهِ. وزينـاتِهِ. فـاندثـرتْ وأصبحتْ أطلالَ أنْقـاض، وخَرائبَ دُورٍ وقصور...

وها هِي بَقَايَا هياكلها عاديات في المتاحِفِ الأثريةِ، كوشوم الحسناءِ الدَّفينَةِ فِهيَ تُحْزِنُ أكثرَ ممّا تفرحُ، وتُلْمِحُ إلى رَبيعٍ أخضر صوحَتْهُ عَادِياتُ الزمنِ ولكنْ هُناك عجيبة العجائب التي لَا تَزُولُ وَلَا تَحولُ.. ولا تَجِفُ نضرةُ مفاتِنِهَا ولا يُصَوَّحُ، صِباهَا على كرِّ الدهور والعصورِ لَا بلْ يزدادُ زينةً ورفًّا وسِحْراً وجاذبيةً ومناعةً وخلوداً..

هاتيكَ العجيبةُ هو الشعرُ وموسيقاهُ الأبديـةُ التي تُوقعُهـا الأفلاكُ في دَورَانِهَا والآبادُ في تَدَاوِلِهَا، والشلالاتُ في دَفَقاتِها، والأشْجارُ في نَضْرتِهَا، والأفْنانُ في تَعَطُّفِهَا والنَّسائم في هَبَّاتها والإطْيارُ في أغارِيدها، والأنهارُ في إطِّرادِهَا وإذا أحببتَ أن تُصَوِّرَ الشعرَ بصورةٍ خَالدةٍ في عَالِمِ الفنونِ فلن تَجِدَ أروعَ من صورةِ مَلِكٍ عظيم ارْتفع كرسيُّهُ وارْتفعَ حتى أطلَّ على ربوةٍ

الخلدِ، وأزدهى تاجُه المتوهجُ المُشِعُّ على خلجانِه، وقد تخطَّرت بينَ يديه الحسانُ السواحر وتعطفتْ عليه أفنانُ الخمايلِ التي تجاذبتْها النسائمُ العليلة عن يَمِين وَشِمالٍ، ورفَّت عليها الغمائمُ الماطرةُ بالبروق تلو البروقِ الصافيةِ الزهراء...

وَمَا البدرُ، وهو مُزْدهٍ بِهَالاَتِهِ، وروائعُ جَمالِهِ وأنوارِهِ بأفتنَ ولا أبهجَ ولا أَزْهى من الملكِ العظيمِ، وهو مُمْسِكٌ بصولجانِهِ آمراً نَاهِياً.. وما بين يديه سوى السمعِ والطاعةِ.. هذا هو الشعرُ، فالشعرُ ملِكٌ عظيم، الحَقِيقةُ صارخةٌ في صَوْلجانِهِ والحكمةُ، ملتفةٌ عليه..

وما ثارتْ أمةٌ على التخلفِ والتمزقِ، تَنْهبُ الدهرَ صُعوداً إلىٰ الوحدةِ والأَمْجادِ إلَّا بقسماتِ هُداه..

وهذه جَوْقاتُ الموسيقىٰ تعزفُ للجنود البواسل عَزَفاتِها البطوليةَ، وَلكنْ لا شيء أبْعثَ على حَماسةِ التضحياتِ وأوقعَ في أفئدةِ الشجعان أو الجبناء من موسيقى الشعرِ الحماسي.

أجل هذا هو الشعرُ كما صوره أميرُ الشَّعْر في سَطْوةِ سلطانِهِ وَعِزةِ ملكِهِ وخلودِ أيامِهِ ونفاذِ أَحْكامِهِ وَجَمَالِ أطيافِهِ وَرَوَائع حِكمِهِ ومهما يكنْ فالشعرُ أفتنُ من الربيع وأزهىٰ مِنْ رياحِينه وجمالُ رياحينه خالدٌ يمكنُكَ أن تَنْسَمْه في كلِّ أعمارِ الدهر وعلى مفارقِ الأيام فحسنُهُ سَرْمد وهو في كلِّ عَصْرٍ ومصر إذَا عدتَ إليه ألفيته في إبّانِه كأنه الآن جادتْ به قريحةُ الشاعريةِ العبقريةِ.. إسْمعِ الوصفَ..

أين نور الربيع من زَهَرِ الشعْـ	ـرِ إذَا مَا إسْتوٰى على أفْنانهْ
سَرْمَدُ الحسنِ والبَشَاشةِ مَهْما	تَلْتمِسْـهُ تجِـدْهُ في إبِّـانِـهْ
حَسنُ في أوانِـه كـلُّ شَيْءٍ	وَجَمـالُ القـريضِ بعـدَ أوانِـه

ملكٌ ظِلَّهُ على رَبْوةِ الخلْـ ـدِ وكُرسِيُّهُ على خُلْجَانِهْ
أَمَرَ الله بالحقيقة والحكمةِ فَالْتَقَتا عَلَى صَوْلَجانِه
لم تَثُر أمةُ إلَى الْحَقِّ إلا بهدَى الشِّعْرِ أو خُطا شَيْطانِه
لَيْسَ عزفُ النُّحاسِ أوقَعَ منه من شجاعِ الفؤادِ أو في جبانه

وحسْبُك أَنْ تعلم أن الشعرَ هو الجمالُ الذي لَهُ دوافعُهُ وأحاسيسُهُ المطبوعةُ في النفسِ الإنسانيةِ الخالدةِ والنفسُ الصَّلْدةُ التي تفقد جمالَ البيانِ ومعجزاتِهِ وتحدياتِهِ وأمجادِهِ وسِحْرهِ هي التي تفقدُ الأَحَاسِيسَ المرهفةَ بموسيقى الشعرِ. .

ولو أن الشعرَ بغيضٌ لمانصَب رسولُ الله منبراً في مسجدِهِ لسيدنا حسان واتَّخذَهُ شاعراً له وزوَّجه سيرين أختَ السيدة مارية القِبْطِية، ولولاَ تأثيرُ الشعر، لما كانَ أَحَبَّ رسولُ الله ﷺ شِعرَ الخنساء وقال: لها إيه يا خُناس مستزيداً مِنْ أشْعارها نَعمْ الشعر الْبَغِيضُ الحقود هو المنبعثُ عن الْنفْسُ الخَبِيثة الْفاجِرةِ الكافرةِ الناضِحةِ ببلايَا الإلحادِ والفجورِ والخبثِ وهذا شأن النثر تماماً.

فليس الحسنُ أو القبحِ في ذاتِ الشَّعْر أو في ذاتِ النَّثْر. وإنَّما فِي مَطالعِ الخيرِ والشر. فما كانَ حَاملاً دعوةَ الخيرِ فهو خَيْرٌ وما كَانَ حَامِلاً دعوةَ الشرِ فهو شَرٌّ.

وكان الخليفةُ الثاني سيدنا عمر يأمرُ بتحفيظ الشعر للأولادِ ويقول: «رووا أبناءَكم الشعر فإنه يورثهم البلاغـةَ ويفتقُ ألسنتهم بعذب القولِ وأحْسَنِ» وأمَّا قَولُ الإمام الشافعي رضي الله عنه «أعذبُ الشعرِ أكذبُهُ» فهو صَحِيحٌ لأنَّ الشعرَ فَنٌّ يقوم على الْخيالاتِ والكنايات والمجازات فيعطِي الحياةَ للجماداتِ والنباتات ويسلبُ مِنْ الحياةِ معنى الحياة وهذا افتنانٌ في الكذب الحلال العذب كما هو افتنان في السِّحرِ الحلال. وقد ذكروا أن

رجلاً فَجّا صَلْداً ضيقَ التفكر انتقد أبا تمام في قوله . .

(لا تَسْقِني مَـاءَ الملام فـإنّني صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي)

انتقدهُ بقوله اسْقنى كأساً من ماءِ الملام يا أبا تمام . فما كان من أبي تَمام ٍ إلاَّ أن صَفعَهُ بقوله «إن لماءِ الملام ِ ثمناً وثمنُه ريشتانِ من جَناح ِ الرحمة» يشير إلى قوله تعالى : ﴿**واخفض لهما جناحَ الذلِّ من الرحمة**﴾ فهو بهذا الردِ أظهر جهلَ الناقد بالعبارةِ العربية الأصيلة وبسر بلاغة القول . في صميم وحي الله المثل الأعلى في البلاغة .

ومهما يكنْ فالشعرُ فَنٌّ من الفنون الجميلةِ ورأسُ مال الفنون الجميلة وقوامها الخيال ولا شيءَ يعدلُ الخيال الرائع والنَّاطق في البيان العالي سواء أكـان البيانُ العالي شعراً أو نثراً . وإن كان البيانُ العالي المجلل بالخيال تجده في الشعر أوفرَ منه في النثر .

ومن أجل ذلك تجد الشعر أشدَّ افتناناً للذين يهيمون في الخيـال ، ويعشقـون الأطياف ويقصـدونَ مَسَارح الفنـون الجميلة ويتوخـون السكينـةَ والهدوء ويفرون ما اسْتطاعُوا مِنْ ضوضاءِ الحياة وضجيجها والخلاصة أنَّ الشعرَ منهلٌ صافٍ عذبٌ من مناهلِ التعبير البياني المتَفجِّر في الأحلام الفتانة اللعوب .

والشعراء يقولون ما لا يفعلون وهو حق لمن تتبع أفعالهم . إلا ماندر .

ولا ريب أن الكاتب أو الرسام أو النحات إذا كان يعشق الشعر ويهيم به ويتذوقه يكونُ أحسنَ عبارةً ، وأدقَّ فناً وأبهجَ أسْلُوباً وأغزرَ بياناً مِمَّنْ لاَ يُحِبُّ الشعرَ ولا يَهيمُ بِهِ .

وقل مثل ذلك في الرسام والنحات وهذه ظاهرة ماثلة في كتابة الكتاب ورسم الرسامين ونحت النحاتينِ وانظرْ تلمسْ ذلك بنفسِك .

ولا شيءَ يَعْدِلُ مَجْدَ الْبحثِ والتَّحقُّقِ والتعرفِ إلى الواقعِ اليقيني في الأشْياءَ . .

شعـر ورباعيـات

١ ـ شعـر ورباعيـات:

شعرُ شاعِر الجزيرة العربية كنوزُ لآلىء في أعماقِ بُحَيْراتٍ مِنَ الفنِّ والعبقريةِ والإبداعِ وأنتَ إذَا كنتَ مِنْ عُشَّاقِ البيانِ العالي السليم وكنوز شعره الفني ومعنياً باستقصائِه وجَمْعِ لآلئه الفنيةِ وادِّخارِهَا والاستمتاعِ بها والافادةِ منها، فما عليكَ إلا أن تأوي إلى غواصةٍ مِنَ البلورِ الصَّافي الشَّفافِ وتَتَعمَّقَ بها أَعْماقَ بحيراتِ شِعْرِهِ رَائداً مُكْتشِفاً. . . !!

وقبل ذلكَ تأَهَّبْ بِعُدَّةِ الغَوَّاصِ الْمَاهِرِ الْعَلِيم، مِنْ مراقبَ وَأجْنحةٍ مَطَّاطٍ وأيد قادرةٍ عَلَى الإلْتقاطِ إلى فِكْرٍ وَقَّادٍ وَنَظَرٍ ثَاقبٍ حسَّاس وصَبْرٍ على التنْقيب والبحثِ وحقائبَ واعية لحفْظِهـا وإلى مَلكةٍ مِنَ البيـانِ السَّليم شغوفة بتعمق الدِّراسات وإعْدادِ التِّلْفازِ وامتلاكٍ للزَّمَنِ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً لتعرضَ فيهِ مَا جمعتَ من النفائس.

وهذه كلها جهودٌ وأيُّ جُهودٍ وقديماً أشارَ إليها شعراءُ عكاظ:

الشعـرُ صَعْبٌ وطـويــلٌ سُلَّمُـهْ   إذَا ارْتقىٰ إليْهِ الذي لا يَعْلمُـه
زلتْ به إلى الحضيضِ قدمُـهْ   يــريــدُ أن يعــرَبــهُ فيعجمُـهْ

والسببُ أَنَّ مجالاَتِ الأدبِ سواءٌ أكانَتْ مُجْتمعةً لأديبٍ بِعَيْنِهِ أَوْ متفرقَةً لجملةٍ مِنَ الأدباءِ فإنَّ رُبَاها متشعبةٌ عالية ودروبَها شَتَّى وفسيحـة والتي تَعْنيني ربوةٌ مِنْ جُملةِ الربى هي رَبْوةُ الرُّباعيات. .

وكلمتي كيفما قدرتهَا فهي كلمةُ دَرْسٍ ونظَرٍ وشرحٍ وإشارةٍ إلى الكثير الكثير.. وعلى كل حال فكلمةُ كلِّ كاتبٍ تطْرَحُ في موازين مَعارفِ الأجيالِ وهاتيك مَوازينُ حَقٍّ لَا تَخِيسُ بِقِسْطاسِ العدلِ وَهْيَ بعيدةٌ عن كلِّ مساومةٍ وكلِّ محاباةٍ وخداعٍ وَغش.

وليس لها من غايةٍ سوى تحريرِ المعرفةِ وكشف وَاقِعهَا اليقينيِّ الذي ينفعُ الناسَ ويمكُثُ في الأرضِ.

أجل هي موازين حق تطرحُ خساسات مرضى الأقلام المغرضة وأَدْهانَهم وأصباغَهم وأطماعَهم وأَهْوَاءَهُمْ وصغارَ أنْفسِهمْ، وكلَّ أباطِيلِهمْ، في أجْداثِ الإهْمال والإعْراضِ.. أجلْ إنَّها موازينُ صِدْقٍ حَسَّاسةٍ تُقَوِّمُ الأشياءَ كما هِيَ في عينِ واقعها العلمي دونَ أيِّ تأثير خَارِجيٍّ لأنها منبثقةٌ مِنْ موازينِ وَحْيِ اللهِ القائمة على القِسْطاسِ: **﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤاد كل أولئك كان عنهُ مَسْؤُولاً﴾[١٧ ـ ٣٦]**.

وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ كلَّ قَلمٍ يُقدّمُ للتاريخِ وللأجيالِ نَفْحَ مِدادِهِ الذي يَملكُه مِنْ دِراَسَاتٍ ومواهب ومعارفَ وآدابٍ قد تكونُ جيدةً خليقةً بالخلودِ وقد تكونُ تافهةً لا تَعِيشُ أكثرَ من يومِ مِيلادِها وفق صِحةِ البيانِ ومرضِهِ..

وَهَا أَنا ذَا أكْتب وأضعُ ما اكتب فِي ذِمّةِ التاريخِ. والحكمُ بعدَ ذَلِكَ للإجْيالِ الصَّاعدِةِ الآتية وحكمُها لا يخيس.. وَلَعلَّ الذي أثارني إلى الكتابةِ عن رباعيتِهِ وحداني إلى التغني بها والإشادة. هو إقبالُ الكاتبين إلى الدراسةِ عن هذا الشاعرِ الْعَظيم ابنِ الجزيرةِ البِكْرِ في دُنْيا أدبِنَا السعوديِّ الحديث وقرأتُ تمنياتِ فحولِ أُدَبائِنَا ودعوتهمْ أن يكونَ السيدُ أميراً للشعراء.. وذلك عَنْ إرادةٍ منهم ولهفةٍ بأنْ يعيدُوا إمارةَ الشعر العربي إلى جزيرتهم بعد أنْ طارتْ بها الأيامُ وشرَّقت وغرَّبت أي بعد امرىء القيس وَمن كان في مُسْتواهُ

ومهما يكنْ فإنَّ المُواطِنَ يَزدهي فخراً إنْ كان وطنُه هو الذي يضمُّ أميرَ الشعراء: وقديماً كانت القبيلةُ العربيةُ الأصيلة تقيمُ الحَفَلات إذَا نبغَ فيها الشاعرُ العظيم على أنَّ إمارةَ الشعرِ هي ثمرةُ تأييدِ الأقلامِ العبقريةِ إلى جانبِ عبقريةِ الشاعر وجهودِهِ الجبارةِ: وهٰذَان أمرانِ لا بدَّ منهمَا ومهما يكنْ فإمارةُ الشعرِ أمْجادُها خالدةٌ ودلائِلُها قائمةٌ فيها وشواهدُها...!!

أجل إن إمارةَ الشعرِ هي نتيجةُ قناعاتٍ راسخةٍ في أنفسِ جمهرةِ أدباءِ الأمة: والشذوذُ لا بدَّ منه إما حَسَداً أو حقداً أوْ غباوةَ ذَوْقٍ أو منافسةً منحطةً أو رعونةَ ظُهورٍ.. والأمراضُ كثيرةٌ والعافيةُ واحدةٌ.

أَجَلْ الأمراضُ كثيرةٌ والمرضىٰ أكثر.. وأَنَا الآن أثرت هذا الموضوعَ لوفرةِ الأقلامِ السعوديةِ وسواها التي تُنادِي بذلك، وما أنا إلا وَاحدٌ منهمْ..

وها نحن أولاءِ نَصْطَبحُ بغرةِ فواحةٍ عطرةٍ تزينُ غُرةَ جريدةِ المدينة كلَّ يومٍ وانَّك تحسُّ أبعدَها أقْربَها وتحسُّها.. غزيرةَ المعانِي: واستقصاؤُهَا لَا يكونُ إلا في مَوْسوعةٍ. وعرضُ جزءٍ منها فيه لِشَبيبتِنَا الشادية نفعٌ وحافزٌ إلى تتبعها في مَحَاراتِها في الأعماقِ...!!

وكنتُ وأنا أحرِّرُ هذه الكلمةَ على شُرْفةٍ من الخلد مُطِلَّةٍ على عَوالمِ زاهيةٍ وكنتُ أُحِسَّ كأنَّ سِحابةً شاعلةً بالأضواءِ الملونةِ تُغطِّي شرفةَ الخلد ورأيتُ عملاقاً يمتطي صهوةَ قاعدتِها يَسْتجلي خَفَايَا أنفسِ البشرِ وظواهرَها وينحني متواضعاً على شُموخِهِ لِذوي المواهب ويقدرهم ويكبرُهم ويثني عليهم الثناء الطيب الكريم ويرى مواهبَهم وما بنْوا لأمتِهم وللغتِهم أرفعَ وأخلدَ وأنفعَ مِمَّا بنى هو بل تراهُ أحياناً يتمنى لَو أنَّ مواهبَهم تكونُ له ويُصرِّح أنها لو كانت لَهُ لاكتفىٰ بِهَا.

أجلْ يتمنَّى ذَلكَ وهو عِمْلاقُ الشعرِ العربيِّ الحديثِ ولكنَّه يَتواضَعُ. وَتَواضُعُ العُظَماءِ سِمَةُ النُّبلِ، وطيبُ المَحْتِدِ وَعُمْقُ الخُبْرةِ، وَسَعةُ المعرفةِ، واتِّقادُ الذكاءِ.

يتواضعُ، وكلُّ المتصلين بِهِ عن كَثَبٍ شَاهدُوا دواوينَهُ الجَدَيدةَ التي بلغتْ حتَّى نهايةِ هذا العام السابع عشر وأمَّا رُباعيَّاته فكأنَّها خزَّاناتِ مِيَاه جِبال الألب وَهملايَا شلالات غزيرة غير منقطعة وانصبابها في جريدة المدينة يَوْميًّا.

وَمَع كلِّ هذه الثَّرْوةِ الضَّخْمةِ ومع كلِّ هذِهِ الشَّلالاتِ الدَّافِقَةِ يُشِيدُ بمواهبِ أَصْدقائِه ويطريهَا بكلِّ حَماسةٍ وصدقٍ، وهو غيرُ مفتقرٍ إليهمْ في شيءٍ مَا.. بل تراهُ يكرم الموهبةَ الفذَة البيانيةَ ويعتزُّ بهَا ولم يَعْتَسِفْ ولمْ يَطْغَ عليه الغرورُ أو هَوى النفسِ أو سُوءُ النيةِ فيتكلمُ بما لم يَعْلَمْ.

أجل اسمعه كيف يُشِيدُ بموهبةِ الآخرينَ، وكيفَ يتمنَّى لو يحوزُ مِثْلَهَا وكيفَ يعلنُ أنَّه لَوْ حازَ مثلَها لاكتفى بها ويقول:

مَـوْهبــةٌ رائعــةٌ يَسْتـوِي	فـي عَـيْنِهَـا الـظاهـرُ والمُـخْتـفِي
يـقــدِّرُهَـا الـنـاسُ ولـكـنَّـهـا	بـذلـكَ التقـديـرِ مـا تَحْتفِي
تسعىٰ إلى الـدنيا.. وكمْ زَائفٍ	في هــذه الـدنيـا وكم مُتْـلِفِ
لَــوْ أنَّ لـي مــوهـبــةٌ مثـلهـا	لكنتُ مِن دَهْـرِي بهَـا أكْتـفِي

وأنا لم أعْجَبْ لِشاعرنا الكبيرِ هذا المَتَواضِعِ الإنساني السَّامي في مثلِ هذه الأمنيةِ لأنَّ خُبرتَهُ بالحياةِ، وَفَواجِعَ مَصَايرِهَا بالأحياءِ وَعَبرِ أيَّامَها ولياليها تَسَخ من قلبهِ الغفلةَ وبَخْسَ حَقَائِقِ الأشياء وتَجْعلُه ينظر إلى الأشياءِ نظرةً عاريةً مِنْ كلِّ خُدَعِ النفس الأمَّارةِ وتَلَوُّنِّها والبعدِ عن نَفَثاتِ سُمومِ خُبْث إبليسِ ولعنةِ غروره وكبريائه في أنفس صغار البشر.

الشعر النبطي

تحدث الأستاذ الأديب المفكر الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الخويطر. عن الشعر النبطي في كتابه «حاطب ليل» ص ١٥٥ فقال:

- «انتشر الجهل في نجد قبل الدعوة الخيرة التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب... وتبع الجهل بأمور اللغة وآدابها.. وضعف الشعر الفصيح..»..

والآن وقد رفع أبطال النهضة الحديثة أعلام المعرفة مرفرفة خفاقة بالأمجاد في كل مكان وانزاح الجهل بظلماته وتخلفاته، وفي موكبها الشّادي انتهى انزواء الشعر الفصيح. وأخذ يبدو للجماهير مشرقاً صافياً كسماء البادية. ويعيدُ إلى شباب البادية المثقفين صحة الأعراب إلى جانب صحة كلماتهم وما أسهل ذلك على ألسنتهم.. بخلاف ألسنتهم.. بخلاف ألسنة سواهم، والسبب أن صحة الألفاظ العربية وافرة في ألسنتهم كشأنها أمس.

ولم تفارقها على مدى الأجيال صحيح هي قوية قوتها وكل الذي ينقصها قوامةُ الأعراب ودرست أعواماً طويلة في الغربة وكنت ألاقي أشد العنت في تقويم السنة الطلاب على صحة النطق بالألفاظ العربية.

وكان شقيقي الشيخ محمد سعيد دفتر دار إبان كان معتمداً للمعارف في منطقة المدينة المنورة. يقول لي: «ان ابن البادية أشد ذكاء من ابن

الحاضرة وان انسياق الكلمات العربية الفصيحة فطرة في لسانه ولا ينقصه سوى الأعراب».

ومتى تمَّتْ معرفة ابن البادية للإعراب بوساطة التثقيف فهناك تسمع الشعر الذي كنت تسمعه من امريء القيس وزهير وطرفة ولبيد والنابغة وعنترة وسواهم خلق كثير، شعر أبناء هذه البادية شعراً يعم الدنيا بأسرها ولا يقتصر على مكان ميلاده. أجل إنَّ سُرادقَ العلمِ أخذ يمتد إلى البادية من أقصاها إلى أقصاها.

وأحاسيس شعراء البادية تظل مرهفة وأشعارهم صافية ومجاليه مترامية وفذة وجذابة وأهل البادية هم أهل الوفاء والصدق والاستمساك بالإسلام ويمتازون بالبطولة النادرة والتضحية والكرم. ويمتازون بقبسة الفراسة ولقطة النادرة، ولمحة الفكرة وصراحة اللهجة، وصرامة العزيمة وجلادة النصب وطهارة الذمة.

وفي ذلك يقول أحمد شوقي:

فما البيد إلا ديار الكرام ومنزلةُ الذمم الوافية
لها قبلةُ الشمسِ عند البزوغ وللحضر القبلةُ الثانية

أجل مضارب البيد مضارب البطولات وأبناؤها بناة الأمجاد. وأهلها أهل اليقين والصدق وإن سماءَها صحو، وأنجمها ساطعة وقمرها دفق أنوار. وأرضها تاريخ أمجاد ما مثلها الأمجاد، وإنسانها بدعَ سموٍ وبيانه خلد أبدية.

فلماذا ألا يكون أدب البادية له حق الأصالة في الأدب العربي، وقد أنزل اللهُ بمقتضى قواعده وأحكام عبارته.. وإعرابها وحيه المعجز المتحدي الذي ملأ الدنيا استقامةَ لسانٍ وروحَ بيانٍ وينابيع معرفة وعدل حكم ورخاء

سلم وسعة علم، وسمو إنسانية.

وأقبل عليه تاليا خاشعاً متدبراً متبصراً لأن الأسرار كل الأسرار تجدها مكنوزة في الروح ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ [٤٢ - ٥٢].

ويجب أن لا تنسى أن هذا القرآن هو ﴿**كتاب فصِّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون**﴾ [٤١ - ٣]. ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ [١٢ - ٢].

﴿**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرَّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدثُ لهم ذكراً**﴾ [٢٠ - ١١٣].

وإني كلما قرأت هذه الآيات وأشباهها في القرآن كثير. تهزني رجفة الإعجاز وجلال البيان أجل علمت أن بيان الله المنزل على خاتم رسله محمد ﷺ وهو روح من أمره تعالى، والروح خالد.. دون أي بيان آخر لأية أمة وفي هذه الآيات يتجلى الإعجاز الصارخ وتحديه الهائل إذ مرت في هذه الكرة الأرضية بيانات لأمم كثيرة وحين تعاقبت عليها القرون والأجيال تغيرت وتبدلت وذهبت أدراج الرياح.

وظل البيان العربي خالداً كيوم نزل به الروح الأمين من السماء على خير الأنام يتفجر بالأنوار كنطف اللؤلؤ والمرجان طريفاً معجباً يروعك هول جلاله وتملك عليك كل مشاعرك جاذبية جماله ويظل خالداً بسر الروح إلى آخر يوم في الدنيا.

وحسب عكاظ فخاراً وخلوداً ان الله أجرى بيانه على مناهجه وهذا الذي جعلني أحب عكاظاً وأدباء عكاظ وأدب عكاظ. منذ نشأتي الأولى في طيبة المباركة وبالحري حين سمعت علماءنا الأعلام يذكرون أن رسول الله

ﷺ ذهب إلى عكاظ وسمع نسق بيان ابْنِ ساعدةِ الإيداي وهو يلقي خطبته المشهورة على جمل أورق رمادي.

«أيها النـاس اسمعوا وعـوا.. مـن عاش مات ومن مات فات. وكل ما هو آت آت.. ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر وبحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وانهار مُجْراةٌ إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يـــذهبون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا».

يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أَرْضىٰ لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه. وامتد بي حُـب عُكاظ وشعرائه والأعلام إلى حُب شعراء البادية في عصرنا.

لذلك تجدني أبداً أفكر فيهم وفي أدب الحياة الـذي يحمل طـابع بطولات النهضة الحديثة وذكريات قادتها الميامين.

أفكر في الوسائل التي تعود بالأدب النبطي إلى روح أدب عكاظ الذي أنزل الله على منواله وحيه المقدس ليخلد بخلوده ويعم به النفع وينتفع به العلم وتعودُ للجزيرة عزةُ لغتِهَا وسلطان بيانِهَا.

لأني أخاف أشد الخوف أن يظل أدبُنَا بعيداً عن أدب عكاظ الذي هو فخر الجزيرة العربية بعيداً عن قواعد إعرابه في حركاته وسكناته.

ولولا أدباء البادية قديماً من شعراء وخطباء وسمار وقصصيون ونسابون ولغويون ما استطاع علماء اللغة العربية أن يؤلفوا هذه المؤلفات العظيمة والموسوعات الضخمة وما استطاعوا أن يجمعوا كلَّ هذه الدواوين من شعر البادية قبل الإسلام وبعده التي تزدحم بها المكاتب العامة والخاصة في كل الدنيا.

وأذكر أني كنت في مجلس أدب لدى سمو الأمير عبد الله الفيصل، ومكانُ سموهِ في أدب النهضة السعودية الحديثة في واجهة الناصية وكنت في صحبة الشاعر الكبير السيد محمد حسن فقي. والسيد بينه وبين سمو الأمير الحب الكريم المتبادل.

وكان سموه يتحدث عن شعراء البادية النبطيين. فأسمعنا قطعة شعرية عبقرية اهتزت لها مشاعرنا.

ويشهد الله كم أسفت وتوجعت أن لا تكون تلك المعاني العجيبة في شعر البادية العربي الأصيل الذي نَزِلَ حَسْبَ أصُوله القرآنُ وهو لا يزول ولا يبيد ولا تنتهي جدته ولو انتهت الكرة الأرضية وتطايرت هباء لأنه كتابٌ خالد في مجالات الألسنة المباركة في العالم كله ولن ينتهي أبداً ولن ولن..

وقلت لسموه إني منذ أعوام خلت كتبت في المنهل عن شعر بن حريول وتمنيت لو حوّل إلى الفصيح ولو نثراً لما يشتمل عليه من تاريخ الدعوة السلفية فقال سموه:

«شعر بن حريول لا بأس به ولكن هذا شعر عبقري يزخر بالمدهشات من ابكار المعاني».

أجل تمنيت أن تذكر ابكار هذه المعاني ويعلم بها دارسو الأدب العربي الحديث في كل جامعات الدنيا وتخلد بخلود وحي الله في الأرض واذكر أني كنت مع زمرة من الأصدقاء في منزل معالي الصديق الكريم الشيخ محمد المرشد الزغبي سفير المملكة العربية السعودية في مصر سابقاً. وتناولت أصابع الأحاديث صفحة الشعر النبطي الحديث وما تلقى فيه أحياناً من طريف المعاني الهائلة.

فقلت لمعاليه:

«ها هي النهضة الأدبية تواكب النهضة العلمية في صعودها إلى القمم وبالحري بعد إنشاء النوادي الأدبية الناهضة بالكلمة العربية الصحيحة إلى مستواها الشامخ في تراث هذه البلاد فلو كلفت هاتيك النوادي أن تحول معاني هذا الأدب النبطي إلى أدب التراث الأصيل في هذا الوطن المقدس لكان ذلك صيانة لكنوز معانيه من التلاشي في زحمة النهضة الحضارية الحديثة التي أنشئت لها المعاهد والجامعات والمجامع اللغوية والنوادي الأدبية في كل وطن عربي والقصد حفظ الكلمة العربية المنزلة في وحي الله جل وعز من عبث الأقلام الخائنة الآثمة والصعود بالعلم إلى أعلى قممه المقدرة أن يبلغها إنسان هذا الكوكب الأرضي».

فسر معاليه لهذا الاقتراح كل السرور وعسى أن يلهم الله أولي الأمر أن ينفذوه ولا يحجموا عن تنفيذ كل ما فيه التمكين للدولة والأمة والثقافة والعلم والأدب.

وبالحري نحن الآن تموج بنا مؤامراتٌ تهدف لهدم كيان هذا المجتمع العربي بأيدي أناس أندسوا فيه ليسوا من أهله يقومون بدعايات انفصالية مشبوهة باسم حفظ التراث والشخصية القومية وتراهم يحوكون المؤامرات الهدامة الكافرة، يا ويلهم انهم يقولون يجب على كل وطن عربي أن يحفظ تراثه الأصيل ويقصدون بتراثه الأصيل مقومات الإنفصال والتمزق وهدم لغة القرآن.

بل أدت الجرأة ببعض المجرمين أن طلب أنْ يدرس أهل كل إقليم بلغتهم العامية. لكي تُطوى ظلال اللغة العربية الجامعة بالمرة.

وحجتهم أن اللغة العربية عاجزة عن أن تستوعب ما جدَّ ويجد كل يوم من آلاف الألفاظ يا ناس.. إن لم تخافوا الله جل جلاله خافوا تاريخ اللغة

العربية وحقائقها العلمية وعلماءها وحكامها ومستشرقيها الأمناء وجامعاتها وأدباءها أن يفضحوكم ويكشفوا مؤامراتكم.

ويل لكم ألف ويل إذا كانت هيئة الأمم اقترحت أن تسجل اضباراتها بلغة العرب الفصحىٰ لأنها لا تزول ولا تتغير على مدى العصور لأنها لغة القرآن، والقرآن روح سعادة البشر أجمعين.

وأحسبُ شَياطينَ الإنسِ زَيَّنُوا لكم أن ذلك هو التجدد والحرية الشخصية والابتكار والتقدم الصاعد احذروا هؤلاء المجرمين وكونوا أيقاظاً حراساً أمناء على تراثكم الأصيل الماثل في وحي الله المنزل بلسان عربي مبين لا عوج فيه احذروهم قبل أن يزرعوا الخلف بينكمُ ويفتنوكم بكيدهم وبسحرهم وإنا نعوذ بالله من سحرهم وكيدهم وإن كان سحر يخلب النفوس الساذجة وكيدهم تتداعى له الجبال الراسية.

وليس في شبابنا السذج المهابيل وليس في جبالنا إلا الصلدة الجبارة التي تقاوم أعاصير الدهور والأجيال.

رسالة مرفوعـة

إلى سعادة الأستاذ

أحمد محمد محمود الموقر

تحية طيبة وبعد . .

فإنَّ مواطنينا المُثقفين مُعْجبونَ بالصُّعودِ الصَّحافِي فِي بِلادِنَا، إلى أعلىٰ القِمم . . وفي طَليعةِ الصَّاعدينَ صحيفةُ المدينة المنورة . .

وإنَّ أشدَّ مَا همْ مُعْجبونَ بهِ، هو حرصُ أَرْبابِ الأَقْلام أَن يَصْعدُوا بالكلمةِ الْعربيةِ إلى أَعْلى مُسْتوياتِ الفَنِّ بَياناً صَحيحاً، وحكمةً بـالغةً، وأسْلوباً بَكراً وتجديداً مبدعاً . .

وَإنَّ أعلىٰ التزاماتِها المُوفقة هو اتّباعهم لأسلُوبِ البيانِ العربي الأعلى .

١ ــ معجزاتِ وحْي اللهِ المتحدية .

٢ ــ وَسُموِّ الحكمةِ البالغةِ في كَلماتِ رسولِ اللهِ ﷺ مُضِيفين إليها مَا جدَّ ويجدُّ من أناقةِ إخراج وزينةِ فنونٍ : وجَاذبيةِ موضوعاتٍ تَصْعدَ بالصُّحفِ إلى سِحْرِ توقيعِ السيموفونيات سَـاعةَ الاْسْتجمـامِ مِنْ مُعَانَـاةِ نَصَبِ الأعمال . .

ولمَّا كانَ الشعرُ العربيُّ الأصيلُ يحملُ طَبيعةَ جزيرةِ الضَّادِ . وعراقةَ خَصَائِصَهَا . . كانَ مَحلَّ الدِّراسَاتِ العُلْيَا في المَجَامـع والْجَامِعَـات لدى

الدول العربية وَسِوَاهَا: في كليات الآداب.

وكنتمْ أنتمْ أولَ مَنْ زينْتُم نَاصيةَ صحيفتِكم عندَ مَطْلعِ كلِّ فجرِ. بِنَجْمةِ الفجر «رباعيةِ شَاعرِ جزيرة الضَّاد العَلَـم السيد / محمد حَسَنْ فقي..

وكان صَنيعُكمْ هذا إئْتِساءً بِرسـولِ اللهِ ﷺ. حَيْثُ كان يَنْصبُ فِي مَسْجدِهِ بطيبةَ المباركةِ منبراً لشَاعِرهِ العظيم حَسَّان بن ثابت. لكيْ يُنافحَ عنه وعن الدَّعوةِ الإِسْلامية وعن آياتِ اللهِ التي أُرْسلَ لتبليغها لِلنَّاس.

ولماذَا لاَ يُنافحُ سيدُنَا حسان عن رسـولِ الله ﷺ. وهو يَـدْرِي أنَّه الجامعُ لِشَتاتِ الأمة الممزقة والمنقذِ لهَا مِنَ الرَّدَى فِي هُوَّةِ العَدَم. ولماذا لا يُنافحُ عَنْ الآياتِ المنزلةِ عليه. وهيَ الدستورُ الناهضِ بِبَدَائِيَّةِ البدائينِ مِنْ بشرِ الغابِ المنتشرين في سَائِرِ الأَوْطانِ إلى إنسانيةِ الإنسانِ، وسيدُنا حسان شاعرُ النهضةِ الإسلامية في فجرِها الأول والشاعرُ بطبيعتِهِ حَسَّاسٌ بالجمالِ ولا جمالَ أجمل من مِثَاليَّاتِ وحي الله..

والشعرُ أياً يكنُ موطنهُ فإنَّه يحملُ خصائصَ بيئتِهِ وَمَحاسِنَ شَمـائِلَها وأعْلامَ أَمْجادِهَا.

وهذا ما كانَ مِنْ شعر سيدنا حسان فإنَّه شاعرٌ عربيٌّ أصيـلٌ يحملُ خَصَائِص جزيرةِ الضَّاد ومثالياتِ لُغتِهَا ومعاليها..

والشعرُ العَالِي مرآةٌ صافيةٌ تُرينَا فتنةَ أطْيافِ الأمَاني وتجسَّدِهَا في أَنْفُسِنَا وفي أنفس الشبيبة الشادية يُرينَا إيَّاهـا...!!

١ ـ في وَقْدِ نَفسِ الشَّاعِرِ الحسَّاس.

٢ ـ وفي ريشةِ فَنِّه الحَالمِ بزيناتٍ مِنَ الجمالِ لا يشعرُ بِهَا إلَّا مَنْ كانَ مثلَه.

٣ ـ وفي أغرودةِ البُلْبلِ العَاشِقِ الولهان.

٤ ـ وفي هَتْفةِ الطَّامِحِ الظَّامىءِ الرَّيَان.

٥ ـ وفي أَضْواءِ أقواسِ النَّصْرِ في مَوكبِ الإصلاح.

٦ ـ وفي هَيُولَى الخلودِ الأبدي الذي أرادَهُ الله لِبيانِ هذه الأمة الكريمة. وحبه الصارخ بالاعجاز المتحدي...

وفي جزيرةِ الضَّادِ مَجالِي شِعْرِها: إرمُ ذَاتُ العِماد، مدينةُ عبقر، سِدْرةُ المنتهى. سد مأرب، الحدائق الغناء الموصولة بالأرض التي باركها الله.

وَهُنالِك في أبعَادِ أنْفسِ الشعراءِ عوالمُ بعيدةٌ مِنَ الْجمالِ والسنَا والسَّنَاءِ ومثاليَّاتِ الْبيَانِ الطروبِ الشَّادِي.

وفي دُنْيا الجمال والفنَ والسِّحر تبدُو مَسَارحُ الشعرِ، والشعرُ شعورٌ والشُّعورُ مؤثر أبداً وَجَذَّابٌ أبداً وهؤلاءِ هم شعراءُ عكاظ يَهِيبُونَ بأغانِيهم بِرَبابَاتِهم بِسَلائِلَهم الشعراءِ الذين نزلُوا مَنَازلهم هنا.. يهيبون قائلين..

يا سادةْ.. يا سادة..

أنتمُ اليومَ شعراءُ الضَّاد في جزيرةِ الضَّادِ كما كنَّا نحنُ بالأمسِ وأنتمْ لَنْ تكونُوا أحياءَ مثلنَا في ضَمائر أجيالِكمْ اللاَّحقةِ إلاَّ بِصدْقِ وَفَائِكمْ للنهوضِ بلغتِكمْ وبإهْلالكمْ حَيالَ مَشَاعِرِهَا المقدَّسةِ بطرائفِ بَيانكمُ العالي.

اجْعلُوهَا هَواتفَ نَهْضةٍ في محرابهِ السَّاكِن الصّارخ، وفي لياليهِ القمراء.

هيا نَاجُوا قبائلها بهدَى الإيمانِ لدى مناسكها.

ولن يخلدَ بَيانكم إلاَّ بنفحةِ الروحِ الخالدِ التي نَفَخَها الله بياناً عربياً مُعْجزاً مُتَحدِّياً فِي لُغَتِكمْ هذه التي بَاركَها وحفِظَها وهل تُحْفظُ لغةٌ الاَّ بأَهْلِهَا.

أجل لولا نفخةُ رُوحِ الْبَيانِ المُعْجزِ المتحدِّي بإبْداعِ فنونها السّليمة لَمَا رَفَّ رفيفَها في كلماتِها بالنِّدِ والريحانِ مَبْنىً ومَعْنَى.

ولولاهَا لما رَاعتْ روعتَها الهَائلةَ بعراقةِ قواعِدهَا وَطِيبِ أطايبها وَجِدَّةِ مَناهِجها.

بل لولاَ روحُ البيانِ المعجزِ المتحدِّي لتمزقتمْ وتمزقَ أدبكم شَعاعاً في رَمادِ المَجاهِلِ وظُلُماتِ رموسِ النِّسْيان.

وَلِمَ لا والشعرُ العربيُّ توطَّد في سَمْكِ مَبانيه وأنماطِ أساليبه وأصولِ قواعِده على أيدي شعراءِ عكاظ ولكنه تَوطَّد أبدياً وتَدَّعَّمَ سَرمديًّا بسرِّ الرُّوحِ التي نَفَخَهَا اللهُ في لُغَتِهِ مِن أمره في كتابِه المعجزِ المتحدي.

وذلك يوم نادَى ملاكُ الوحي جبريلُ خاتمَ رسلِ اللهِ سَيِّدَنا مُحمداً ﷺ وهو مُسْتَغْرِقٌ فِي تحنّثه في غَارِ حِـراء.

﴿إقْرأ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقْ..﴾.. [٩٦ - ١].

وقرأَ العربُ مِنْ ذلك اليوم العَظِيمِ وَمَنْ وَالاهُمْ باسْمِ اللهِ العظيم.

وما زالوا يقرأون باسْمِ اللهِ ولن يقرأوا بغيرِ اسْمِ الله أبداً..

أجلْ قرأ العربُ باسْمِ اللهِ قديماً وقرأ العربُ باسْمِ اللهِ حَديثاً.

وصاغُوا مِنْ أفانينِ البيانِ وألوانِ الْكلِم مَا صَاغُوا. وكان كلّ ذلكَ باسْمِ اللهِ. وما تنكرَ لاسم الله إلا ملحدٌ عنصري دخيل.

وكان كلُّ ذلكَ بمقتضى مَا أنزلَ اللهُ جلَّ جلالهُ في فرقانه وصاغَ رسولُ اللهِ ﷺ بيَانَهُ.

وكان كل ذلك إعْلاناً:

.. أنْ لا بيانَ عربياً صَحِيحاً إلاّ لَمنْ التزَمَ هذه الملتزمات المباركة

المقدسةَ التي وردتْ في كَلاَمِ اللهِ. وكلامِ رسولِهِ الكريم.. وكلامِ بلغاءِ العربِ الأشاوس..

وهذه الملتزماتُ البيانيةُ المقوِّمةُ لِصحَّةِ اللغةِ العربية لها طَريقان.

الأول: طريقَ السَّماعِ السَّلِيقي الذي يطبعُ البيانَ في نَفْسِ السامع طَبْعاً مُحْكماً في غَفَلاتِ الطفولةِ دُونَ انْفِكاكٍ مِنْهُ، وانطباعاتُ الطفولةِ عجائبُ مِنَ الأمرِ.. في إحْكامِ الأخذِ الفِطْرِي التقليدِي التلقِيني.

هو فِطْرةُ تكْوينِ الإنسان في طفولتِهِ.

وهذا التَّلْقينُ السَّماعِي اللُّغوي هو فِطْرةٌ مركزةٌ مَتْوارثةٌ في طَبيعةِ العَرَبِ العرباء.

وكان شُعراءُ عكاظ في غايةِ الذوْدِ عنها والسموِّ بها وحراسَتِها بالتضحياتِ وبذْلِ الأموالِ وإقامةِ الأسْواق وتأييدِ البلغاء.

حتى كفاهم اللهُ ذلك بما أَنزلَ بها مِن كتابِ وتكفلِ الله بحفظها ورعايتها.«وأراحهم من مقارعةِ الأيام والليالي».

وهذا التَّلقينُ السَّليقيُّ اللغويُّ هو حتَّى السَّاعة تلمسُه في صحةِ كلماتِ أبناءِ القبائِلِ العربية الكرام ولا ينقصهم سوى الإعراب.

والإعرابُ آتٍ. لأن الدولةَ خصصتِ المُعَلمِينَ لأبْناء الْقبائِلِ أَنَّىٰ سَارُوا وفي أيِّ مَكانٍ نَزلُوا..

الثاني : طريقُ التعليمِ الدِّراسِي شأن العرب المتعربين المُحْدِثين.

وهذا التعليمُ الدراسي لاجادةِ البيَانِ العربيِّ سيظلُّ حتى تَشيدَ الدُّولُ العربيةُ حَدَائقَ أطفالٍ حديثةٍ لأَجْلِ التلقينِ السَّليقِي للبيانِ العربي الصحيح في انطباعات التقليد الطفولي..

وما دامتِ الدولُ العربيةُ لم تشيِّدْ حدائقَ أطفالٍ لتلقين الانطباع اللغوي الصَّحيح حتى اليوم. .

فإنَّهَا سَتَظلُّ تمارسُ طَبعَ البيانِ التدْريبي بِطَريقِ التعليم، والتعليمُ يطبعُ علىَ صِحَّةِ البيانِ مع الزَّلل والإضطراب وفيه مَشَقَّةٌ مُضْنِيَةٌ وهو يَسْتغرقُ سنوات طويلة لأجْلِ إحْسَانِـهِ والتفوقِ فِيـه ومعَ ذلك لا يُضارع التَّلْقي الطفولي بالإيحاء والتلقين.

وإني أرَى في مُحَاوراتِ التَّمثيلِ العربيِّ الحديثِ الملتزم بأصُولِ اللُّغةِ العربية الأصيلة معارِجَ عليها يَعْرجُ البيانُ العربيُّ الصحيحُ إلى عَرْشِ الإجادةِ المنزلةِ في كتابِ اللهِ. ناهيك بمسرحيات الشعر العالي.

ولوْ مِنْ قَريبٍ رغم أنفِ الأعْداءِ المتآمرين على لغة العرب.

ومهما يكنْ فاللهُ جَلَّ جلاَلهُ هو الحافظُ للغةِ كتابِهِ المنزلِ والهادِي إلى وسائلِ العلمِ بهَا في كلٍّ أَمْر جَلَّ جلالُه .

﴿الرحمان، عَلَّمَ القرآن، خَلَقَ الإنسانَ، عَلَّمهُ البيانَ﴾ [٥٥ ـ ١ و ٢ و ٣ و ٤].

ولكلِّ أمةٍ بيانُهَا الذي تفاخرُ به وتزهُو وأدبُها العَالِمي الـذِّي يتصدُّر النَّوادِي.

وحسْبُنا نَحْن العربَ مِنْ أمجادٍ خَالَدةٍ ومَفَاخرَ لِبَيانِنَا هُوَ الْبيانُ المعجزُ المتَحدِّي المنزلُ في خَاتِم وَحْيِ اللهِ القرآنِ المجيد.

يَكْفي أنه الينبوعُ السَّرْمديُّ الدَّفَّاقُ الذِّي هو المُسْتقىٰ لكلِّ أدباءِ العربِ عَلَى مَدَى الأعصارِ والأجيال.

وها أنتَ تُشاهدُ أدباءَنا يَتناجَوْنَ بِه فِي خلواتِ الفكرِ ومَجَالاَتِ الأقلام.

وهمْ يُناجُونَ أنجمَ السَّماءِ وأقمارَهـا وشموسَهـا والمجراتِ ومـا وراء المجراتِ بأشواقِ قُلوبِهمْ وعبقرياتِ آدابهم وافْتنانِ أساليبها.

وهذا طبيعةُ الْبيانِ في كلِّ عصْرٍ ومِصْرٍ وما بالُكَ إذَاكانتْ جزيرة الضاد هي ينبوعُ تفجرِهِ. وجزيرةُ الضادِ صفاءٌ في صَفاءٍ. ولا ضبابَ ولا شبه ضباب..!!

ومن أجلِ ذلكَ كان بَيانُها في شِعْر شعرائِها فيضَ حَياةٍ نابضةٍ بالْجَمالِ والرَّشَاقةِ والظَّرْفِ والرَّوْعةِ والسُّمو..

وغردَتْ أغاريدُ شُعراءِ جزيرةِ الضَّاد المحدثين بأَفَانين الأساليب وأغْزرِ البيانِ وأسلسِله وأعذبِهِ..

فمنهم مَنْ قَضى نَحْبه ومنهم مَنْ ينتظرُ. وما بدَّلُوا تَبْدِيلاً في لغةِ الضَّادِ المقدسةِ كِيَاناً.

وعَرَفْناهُمْ وعرفْنَا ألوانَ أغاريدِهِمْ وأفانينَ أغـانِيهم في أَشْعارهم وفي جَلائلِ موضُوعَاتِهم الْمبتكرة الفذة.

واستظهرْنَا مِنْهَا ما اسْتظْهَرْنَا واقَتبسْنَا مِنْهَا ما اقتَبسْنا.

أجل شاهدْناهمْ ـ وهم يَتعمَّقونَ أعماقَ الفضاء.

ويتوشحونَ النجومَ إزْدهاءً وَيَحْدُونَها بأهازيج قَصائِدهم الْخالدة الرَّاوِية لِظَمىءِ الظِّماء.

وكان على قَدَر مِنْ عبقرياتِ الكِلم وعلى قِمةٍ رفافةٍ عُلْيا مُوطدةٍ على أمْنِ قَواعِد عُكاظِ شاعِر جزيرة الضَّادِ السيد محمد حسن فقي...!!

إنَّهُ البلبلُ الْغرِّيدَ الذي ظَلَّ يُغردُ بأَجْملِ أفانينِ القريضِ وأَسْمى نَغماتِهِ حَتَّى..

أجْهـدتْهُ الأعوامُ الطِّوالُ وأضْناهُ قَرْضُ القريضِ تِبَاعاً والناسُ لَا يَدْرونَ مَا يُعَانِي لِأَنَّهم مُنْتشُونَ. وَمَنْ كَانُوا غرقى في أحْلامِ النَّشوةِ والـطَّربِ ولذَّةِ الْبيانِ قَلَّما يُحِسُّونَ بأَوْجاعِ الآخرين، وكم مِنْ مُطْربٍ على أَوْتارِه الرَّنانَةِ يذُوبُ قلبُهُ حَسَراتٍ من الألَمِ ذَوَباناً والناسُ عنهُ لَاهونَ بِلَذاتِهم طَـرِبين بتوقيعاتِه.

هَذا حَالُ شاعِرِ جَزيرةِ الضَّاد السيد / محمد حسن فَقِي إنَّه يترنمُ في مَطْلع كلْ فَجْرِ بأُغْرودتِهِ الحَافلةِ بالحكمةِ والْبَيَانِ والهدَى والسِّهْرِ. والناسُ عنهُ بها لاهونَ. لا يَدْرونَ ما به مِنْ آلام.

والآن وقدْ أعْلنَ أنه يُحاولُ الكفَّ عَنِ التَّحليق في دَوْحةِ الْبيَانِ والامتناع عن التَّغريدِ ولكنْ هَلْ يَسْمحُ لَه أَحبابه وعُشَّاقُهُ بذلِـكَ هذا مـا سَيكْشفُهُ الْمُسْتقبلُ وإنَّ الْعهدَ فِي هذهِ الأمةِ الكريمةِ الاحْتِشاد بالتَّقدِيرِ لرجالِ البَيانِ مِنْ قَديمِ الزَّمانِ

نَغْبِطُ الـطَّيـرَ وَمَـا نَعْلَمُ مَـا   هِيَ فيـهِ مِـنْ عَـذَابِ بَئِسٍ

الرباعيـــات

رباعيات شاعر الجزيرة
السيد محمد حسن فقي

أَطَلَّ الشاعرُ مِنْ أعماقِ الفكـرِ والحِسِّ والفنِّ وَحُلُم ِ الأمنيةِ: وَأَنْعَمَ بِبَصيرتِه الْيَقَظةِ الْمُحلِّقةِ.

١ ــ في الحياةِ وفي ظلالِها العبقريةِ الفتَّانةِ وفي ألوانِ سِحْرِهَا الزاهيةِ الجذَّابةِ وهي تومىءُ إليه بكـلِّ ما تملكُ من إشـراقِ الجمال ِ والإغراءِ من وراءِ سَحابةٍ مسحورةٍ وشيكةِ الزوال خطَّافةٍ خطَّافةٍ. . ها هي تهتف هَلُمَّ يَا حَبِيبي أنا هُنَا. . . !!

٢ ــ أنا المالُ إن كنتَ ما تتوخاهُ المال. . !!

٣ ــ أنا القصرُ والحـديقةُ والنهـر، إن كنتَ ما تهـدفُ إليه القصـر والحديقة والنهر.

٤ ــ أنا الغادةُ الحسناء والغزلُ والطيبُ والوتر. . إنْ كانتْ مسرةُ لهفتِكَ وفتنةُ أَشْواقِك: الغادةُ والغزلُ والطيبُ والوتــر. .

وهنا يَحِنُّ الشاعرُ العبقريُّ حَتَّى يَسْتوي على القمةِ الْعُلْيا ويتعمَّقُ في كلِّ مَا سَمِعَ مِنْ مُغْرِياتِ الحياةِ سَمِعَ بكلِّ ما لديه من ينابيع ِ الفكر والحس والفنِ وحلم الأمنية وكانَ جَـوابُه: قَلَمـاً عِمْلاقـاً بَسَطَ جَناحَيْـه على كلِّ الصَّواري وَظَلَّ يُجَلْجِلُ صَارخاً في صَمْتِ الحي الحسَّاس.

١ ـ المالُ أنا لا أخْلَّدُ بالْمالِ، وهَلْ خُلِقَ المالُ لِيُخلِّدَ صَاحِبَهُ حتَّى أَخْلدَ به أنا. . ؟!!

ها هو قارونُ الذي جمعَ مالاً وَعَدَّدَهُ كان «يحسبُ أَنَّ مالَه أَخْلده». . وذَهَبَ قارونُ وذهبَ مَالُهُ معه ولمْ يُخْلِدْه. ولَوْ أنَّه أنفقهُ في رُوحِ البِرِّ الخالدِ لَخَلُدَ بهِ. ونشاهدُ الناسَ لَا ينفكونَ عن حياتِهم ولَا عَنْ أموالهم ومهما يكنْ فالمالُ ظِلٌّ زَائِلٌ. وَمَا سِمِّي مالاً إلا لأنَّه يميلُ من مُحْتِضِنٍ هائِمٍ جَموعٍ إلى غيرِ مُكْترثٍ به ينثرهُ يَميناً وَشِمالاً. لماذا وفي ماذا أنتَ تَذْري؟!!

٢ ـ والقصرُ والحديقةُ والنهرُ صَرخَ الشاعرُ لا لا. صرخةً كَهَزيمِ الرَّعْد. . !!

وَيْ أيتُها القصورُ المشيدةُ أنَّ لكِ في سَطْوةِ الدَّهْرِ نهايةَ أكيدةوَكَمْ سَخِرَ لُبَدُ مِنْ سَطْوةِ الدَّهْرِ وكمْ هَزِىءَ وكم أخرج لسانَهُ، وعلى الرغمِ مِنْ كلِّ ذلك ذهبتِ القصورُ المشيدةُ والمدنُ التي ازْدَانَتْ بها، سَحَقتْها سطوةُ الدهرِ، وهنا يَهْتِفُ الشاعرُ أَنَا الدهرُ مَا دَامَ بَيَانِي حِلْيَةٌ في جيدِهِ وتراءتْ لَهُ صروحُ الإِغريقِ والبابليينَ والأكاسرةِ والقياصرةِ: والْبُومُ والغِرْبانُ والخفافيشُ تنعقُ في خرائِبِهَا فأعرضَ عنها وأَقْبلَ على فَنِّه وشعرِهِ وأنْشدَ:

تَتخلَّفُ الآثارُ عن أَصْحابِهَا حِيناً ويدرِكُهَا الْفَناءُ فَتَتْبَعُ

هَا أَنا ذَا أُشَدُّ قَصْرِي الْفَنِّي لبنةً لبنةً ولو زالتِ القصُور الفنيةُ التي شَيَّدها الشعراءُ قَبْلي سَوْفَ يذهبُ وَيَتَدَاعىٰ قَصْري. لا ذهابَ ولا تَداعِيَ ما دامَ مَا يُشَيِّدُهُ الْفنُّ لِلبقاءِ لَا لِلزَّوالِ بريشة عبقرية يا هَزارَ عدن.

٣ ـ الغادةُ الحسناءُ والطِّيبُ والْعَزَلُ والْوَترُ. تلكِ شُعْلَةُ الْغَرِيزةِ، وفتنةُ الحِسِّ، وَسِنةُ سحرِ الجمالِ، وغرورُ طيش الشبيبةِ. . . !!

وأنتَ تشاهدُ الشاعرَ العبقريَّ تَهْوِي به أَحْياناً شعلةُ غَريزتِه وَجَاذِبيَّةُ مُغْرِياتِها وألحانُ أَغَانِيها وسحرُ جَمالِها. . !

على الرغمِ مِنْ وقدةِ الفكرِ وَرَوْعَةِ الفَنِّ وَعَبْقَريةِ الشِّعْرِ يَهْوِي ولكنَّ صَدَاهُنّ يَظَلُّ يُدَوِّي في أَعْمقِ أَعْماقِ مجموعته النفسية ويغني أغانيهُ رَنَّاتٍ مُطْرباتٍ سَواحِرَ تَلذُّ لَهَا أوتارُ الخلود.

ألا تَرَى أنَّ للفكرِ والْفَنِّ والشِّعْرِ شُرفَاتَهُ الْعُلْيَا التي لَا تُطاوِلُهَا الغرائزُ بِعَواصِفِها وأَمْواجِهَا الصَّاخَيةِ ولا تَجْتاحُها أعاصيرُها ولَا تُلِمُّ بِهَا. . .

ونسماتُ حَياةِ الفَنِّ العَبْقريِّ في نَفْسِ الشَّاعِرِ تُحَلِّقُ به في خَفْقَةِ البرقِ وَعُنْفوانِهِ إلى صَهْوةِ الفكرِ والفنِّ والشعرِ والحكمةِ لأنه تَلْفحُهُ فجيعةُ الرَّدَى عَنْ أن تنالَ سُمُوَّ طَموحِهِ، وكبرياءَ فَنِّهِ وخلودَ شِعْره أجل تفجعُهُ بوكزةِ الحيةِ الرقطاءِ لأنه يشاهدُ حشرةً تُطاردُ حَشَرةً مُطاردةً جِنْسيةً، وذئباً يُداعِبُ ذِئْبَةً دُعابةَ نَزْوةٍ، وَخنازِيرَ يَتَواثَبْنَ نَشَاوَى في ذَنَبِ خِنزيرةٍ. إنه مُسْتوَى الحشراتِ: ومثلُه يرفضُ المكثَ فِي مُسْتَوى الحشراتِ، ونفسُه تَغْثَى غثيانَ التقززِ مِنْ صَدِيدٍ يَسيلُ عَفِناً. .

وهكذا يُحلِّقُ به إحْسَاسُ الفكرِ العالي والخلُودِ الفنِي وسُمُوُّ الطموحِ إلى مُسْتواهُ قبلَ أَنْ يَقْضِيَ عليه التردي في مُسْتَوى الحشراتِ إلى أسفلَ فأسفل.

وهناك في ملتقى الأماني الخوالد والفنونِ الجميلة وَأَطْياف الخُلْدِ في أَعْلىٰ سَمواتِهَا يعودُ إلى أغانيهِ وأناشيدِهِ وأغاريدِهِ وأَحاسِيسةِ الْعُلْيَا وحكمِهِ وأَمْثالِهِ تحدوهُ أسرارُ العوالمِ يَعودُ إلى كُلِّ ذلك في قصائِدهِ الأسْبُوعيةِ وفي رباعياته اليومية.

شاعـر الجزيرة:

أسمٌ كبير أسبغه عليه أَصْدقائُه فحولُ أدباءِ الجـزيرة العـربية ونـوابغُ الكتّاب السعوديين رفاقُ الدروبِ.. وما أَكثرَ المعجبين بشاعِرِ الجزيرةِ العربية من أدباء العرب كافة.

فالصحفُ تطالعُكَ به كلَّ يوم بإعجابٍ بتقديرٍ بكلمةٍ رائعةٍ بتحليلٍ عجيبٍ. هَا هِيَ ذي تترنم بأَشْعارِهِ العبقرية بلابل رباها المفردة وإني في الكلماتِ الآتية سَأُديرُ الحديث حولَ رباعياته أمَّا قصائده وموشحاته وقصصهُ فهذا مَجالٌ كبيرٌ جِدًّا. عَلَى أَنَّ الحديثَ عن رباعياتِه لَيْسَ سَهْلاً في رَأْيي على كل حال.

ندوة شعرية عقدت في مدينة المساجد

القسم الأول

كنت في غـرَّة ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ في مدينة المساجد أبي ظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة، وكنت أقصد حديقة المطار من يوم إلى يوم لكي استجم من متاعب الحياة وتبعاتها وكنت قد اتخذتُ لنفسي مكاناً شعرياً تظلله الخمائل الفينانة وَتُغَشِّيهِ، وتأذنُ للنسائم العبقة المنعشة ولا تأذن لأشعة الشمسِ، ولا تسمعُ وأنت فيه إلا هَمْسَ انسكابِ مياه النافورات.

وهذه الحديقة المُنْتَشِيةِ بظلالِها الوارفةِ وشجيرات ورودها الملونة وطيورها المغردة ونسائمها العبقة.

لا يقصدُها في غضون الأسْبوع ضحوةً إلّا أفرادٌ قلائلُ يَنْشدون الراحةَ والنزهةَ والاسْتِمْتاع بالجمال الضائع، وقضيت يومي فيها. وفي اليوم الثاني وفي الضحوة شاهدتُ فئة من شبان الجامعة وفدوا إلى مكان معشب ظليل قرب النافورة وفي أيديهم محافظهم، فخلتهم وفدوا للمذاكرة لقرب الاختبارات ولكن شاهدتهم جلسوا في المكان الذي بجواري وفهمت أنهم وفدوا لكي يعقدوا ندوة شعرية وقد التفوا حول أحدِهم وكان يمسك بيده ديواناً من الشعر.

وأفرحني ذلك لأني أحب الشعر، وأحب أن أسمع من شباننا تَحاورهُم

فيه، ونبذةً مِنْ آرائهم، وبالحري في مِثل هذه الندوةِ وكانوا دونَ العشرة.

أجل سمعت الذي كان يمسك بالديوان الشعري يتحدث إليهم. هذا ديوان الروافد للشاعر السعودي الخليجي الفَنِّـي الأستاذ محمود عارف ومثله لا يحتاج إلى تعريف لأنه معرفة لدى كل حملة الأقلام. ولـه سعة في الاطلاع على الأدب العربي الحديث والقديم.

أجل يا سادتي هذا ديوان الروافد، وقد قدم له الكاتب السعودي المفكر السيد عبد الله جفري وهو أديب سعودي نابغة مشهور اسمعوا ما يقول عن صاحب ديوان الروافد.

... إنَّ صاحبَ هذا الديوانِ له نسقٌ في صوره الشعرية، وله اتجاهُ يَغِذُّ إليه، ويرتكز عليه.. فالأرض عنده نبض، والقوم عنده أهل، والتاريخ عنده عزة وشرف. والعقيدة هي اليقين هي القرار، هي القدرة الفاعلة في نفسية الإنسان العربي المسلم.

فهذا الشاعر الْفَنِّـي هو الذي يقول لك اليوم ليست هناك عاطفة أنبل من نداء الأرض، هو كفاح لاستعادة الحق لإنسانها... تلك أعمق عاطفة تشتعل في عقل هذا الجيل المحارب لأَجْلِ الأنتصـار.. وإليكم هو اسمعـوه إذْ يقولُ:

الحقُّ يبقى رغم طـولِ المـدى	والأرضُ بـالتاريـخ للمفتـدي
سيـادةُ العـرب لهـا حـاصـل	وتَـنْتهـي إلـى الـسيـد
ومـطلبُ الـقـدس لتخليصـه	ضج به المحرابُ في المسجد

وحقيقة الأمْر إن حُبه للأرض تلمسْهُ بِحَاسَّة الصدقِ المرْهَفةِ وبعروةِ الإيمان العارم، وبالبيان الشعري السلس الصافي اسمعوه يا سادتي.

بلادي مسار المجد في كل بقعة | وفوق الثرى والهضب يكمن قسور
رسـالتُهـا روحيـة مستـمـرة | الـدين والمعبـود يهـدي وينصـر
ومكة تبدو مهبط الوحي والسنى | ومنها مشى للفتح صيـد وعسكر
وطيبـة لـلإيـمـان مـارز ثـورة | وفيها سما لـلإسلام فهـو محـور
محمد نور الله في الأرض والسما | ودستـور الفرقـان فيمـا يقـرر
سلام على أرضِ الجزيرةِ موطني | فجـازان مني والـريـاض المؤزر
ومكـة من تحت السـراة وجـدة | وحـائـل والـدمـام يتلوه خيبـر
بـلادي حبـاهـا الله خيـراً وعـزة | عليهـا أفـاء الله مـا ليس ينكـر
حضـارتهـا بين الشعـوب أصيلة | يجددها الإسـلام والدين مصـدر

وما أجمل القصيدة التي قالها بمناسبة عودة جلالة الملك المفدى من الاستشفاء:

أهـلاً بخـالـدنـا العـظيم | ملكِ البـلاد الـمستـقيم
آنست شعبـك والحشـودُ | أتت لتـفـرح بـالقـدوم
ومن الرياض إلى الحجاز | إلـى تهـامـة والـقصـيم
أشـواقُـنـا مَـشْـبُـوبـةٌ | كالنَّارِ تَـرْعىٰ في الهشيم
أنْـتَ الـذي علمْـتَـنَـا | صبرَ المصابِ على الهموم
فـانهضْ بشعْبِـكَ لِلْعُـلاَ | تَلقـاهُ خلفكَ لَا يَـرِيم
يمشي على سنن الرشاد | وأنـتَ أنـت لـه زعيـم
تبني لـه صرحَ التـطور | بـالـثـقـافـة والـعـلـوم
تـحي الـحيـاة بـصحـة | والله نـسـأل أن تـدوم

ألا ترْونَ معي يا سادتي أن ديوان الروافد كلَّه نمطٌ عالٍ من أمجاد العروبةِ والإسلام وحضارة الجزيرة الحديثة وقادتِها الأبطال المخلصين. ألا

ترونه تفسيراً لكل ما ذكرت. واحسب أن مطالعة الديوان تريكم ما تحدثت به إليكم وأكثر. وقليل الذين يحسون أمجاد وحدة بلادهم في أنفسهم أكبر مما يعتزون به من مظاهرها في الخارج لأن ما في الخارج لا يبقى إلا ببقاء ما في النفس. وهذا حق فالله جل وعز لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. إذن فيجب أن تكون وحدة بلادهم في أنفسهم هي حياتهم هي بقاؤهم هي سعادتهم هي أمنهم هي كل شيء وإنك تلمس أقدار هذه الوحدة العظيمة في شعر شاعرنا تجيش روحاً صَارخة حية وقادة بالشعور والإكبار أليس هو الذي يقول:

أدبُ القلب في التآخي أساس	وهو لبُّ الشعور في نفثاتي
فاسكبوه في مسمع الدهر ذوبا	من دمي من عصيرِ كرم حياتي
والذي يحتويه ديوانُ عمري	أمل في مواكب النهضات
نهضة العلم والثقافة والفن	حماها وعيُ الشباب المؤاتي
كل هذا أريده لبلادي	في مَضَاءٍ وهمة وثبات
والبقايا من المطالب ارجو	أن تؤدى بأصدق العزمات
ليس يُعلي البلاد والشعب إلا	أدبٌ نابع من المهجات

والنهاية أن ديوانَ الروافد مُتَّسعٌ وليس في طاقة ندوة ساعة كهذه أن تلم بكل أطرافه ولن أحسب ما ذكرته يعطينا صورة واضحة كاشفة لما فيه من أمجاد البيان والإيمان والوطنية والحق.

ونحن أبناء الخليج أحْوجُ ما نكونُ إلى أدباء مِنْ هذا النمط المفكر يُدْعمون نهضتَنا ووحدتنا وَإخاءَنا الاجتماعي الكبير العالي. وإني قبل أن أجيء إلى هذه الندوة قضيت أياماً وأنا أراجع قصائد ديوان الروافد. والذي أتوخاه من أندادي شباب الجامعات في دول خليجنا أن يضعوه نصب

أفئدتهم ودراساتهم.

وأخيراً سمعت كلَّ شبان الندوة يهتفون بحياة شاعرنا الفنيِّ السيد محمود عارف. وهتَفْتُ معهم بكل قلبي وفكري واعتزازي ثم تواعدوا أن يقصدوا الندوة في اليوم الثاني وأن يكون الحديث حول ديوان أرج ووهج.

ديوان أرج ووهج

القسم الثاني

في اليوم الثاني من ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ سبقت أعضاء الندوة إلى حديقة المطار، وجلست في مكاني وكان أقرب ما يكون إلى مكان انعقاد الندوة الأدبية. وما كادت الحديقة تصحو صحوة الضحوة حتى وفد أعضاء الندوة. كافة واتّخذ كلُّ عضوٍ مكانهُ. وبعد فترة راحة قصيرة نهض إلى المنصة العضو الذي وكل إليه الحديث عن ديوان أرج ووهج. وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «إني تبينت أن شاعرنا الخالد كما هو قادر على النظم قادر على النثر، وقد فتنتني أطياف الشعر وهي تطالعني في نثره بكل أشواقها وهتافاتها ومفاتنها أي افتنان. .

وإن كان شعره أعلى في سلاسة أسلوبه وفي طرافة اتساقه وفي صباحة تراكيبه، وفي ابتداع معانيه وتألقهابالأرج والوهج معاً. اسمعوه إذ يقول نثراً عن الشعر والشعور:

«الشعر في أساسه نبع من الشعور وانفعالاته بين النفس والقلب والعقل والعاطفة. ومن هذه الانفعالات الشعورية يتولد الدفق الشعوري في مختلف مستوياته الفنية، وعلى درجات متفاوتة من الأصالة والتجديد في الأنماط والأساليب والنماذج والاتجاهات ومن هنا يتضح المفهوم الشعوري في دلالته الفنية حين يأتي الشاعر به في صورة ملهمة من المنابع الرفيعة والمشاهد

الساحرة والطبيعة الزاخرة بالصور الجمالية الرائعة».

اسمعوا هذه القصيدة الرائعة التي افتتح الشاعر بها ديوانه الرائع أرج ووهج إذ يقول:

بين عام مضى وعامٍ جديد وقف الناسُ وقفة التذكار
شعَّ بالحق والهدى وتحدى باطلَ الزائغين والكفار

وفي هذه القصيدة يخاطب الشاعر فلسطين التي هي الشغل الشاغل لقادة العرب والمسلمين كافة اننا عائدون من غير شك لحمانا للحقل للأشجار للمغاني كانت مطارح لهو ومسار للحب للسمار.

وفي هذه القصيدة يبثك الشاعر آلامه وأوجاعه تجاه الأحداث الأليمة التي تتفاقم يوماً فيوماً حول القضية الفلسطينية:

كلما أسدل الستارُ ظلاماً رحت أشكو بثي إلى المزمار
رب ليلٍ خلوت فيه بنفسي كنت أحنو فيه إلى الأوتار
أتغنى مردداً في لهاتي نفثاتٍ مَشْبُوبَة بالأُوَار
خلجاتي مبثوثةٌ في فؤادي وَحَماسِي يَجيشُ بالأشعَار

سادتي ألا تحسون معي في هذه الأبيات اصطلاء أنفاس الشاعر مجرَّحة مكظومة شاعلة ألا يلفحكم وأنتم تصغون إليها احتراقُ كبده بلهيب الجحيم الذي تعيش فيه فلسطين. يا ليت كان ذلك استعمارا ولم يكن إبادة وجلاء. فكل استعمار له نهاية مشرقة حرة أكيدة ولكن من هلك فكيف يعود؟ ومن أجل ذلك يحافظ زعماء العرب على الابقاء على أبناء شعب فلسطين بكل إمكانياتهم.

هذه طائفة من أحاسيس الشاعر التي تتحدث إلى الذين يطالعون ديوانه

هذا أرج ووهج وهي احاسيس إنسان حي حساس تفدحه الأوجاع، وتهيجه الآلام. وهو يصبر صبر الأبْطال لا جزع فيه ولا هلع ولكن إعداد وتصبر وانتظار لِسَاعةِ النِّداء.

أجل لم يقنط الشاعر من نفحة العدل الإلّهي ورحمته. مهما امتد الزمان وطال وهو على كل الأحوال يمقت الصبر الجازع واسمعوه من قصيدته من المنطلق الأول من النور.

انـا لفي ساعـة عسراء فـادَّرعـوا	بالصبر في الضيق إن الله فـراج
الحـجُ منطلق التـوحيـد يجمعنـا	على الهـدى وكتـابُ الله منهـاجُ
الثـأرُ للقدس بـاق في مشاعـرنا	في الدم في الروح اقتباسٌ وأوْهاجُ
لا بـد من عـودة الحق منتصراً	ووعـد الله لا يـنـفيـه هَـرَّاجُ
الأرض للعـرب الأحـرار راجعـة	الـحق أبـلج لا يـغشـاه ادلاج
نحن الأباة فلا نرضى مساومـة	مهمـا تـواطـأ حيـاكٌ ونسـاج

وشاعرنا عربي صريح ومسلم صادق ووطني غيور وإنسان إنسان قبل كل شيء. ومن أجل ذلك يرفض المخاتلة والدس العنصري كما يفعل الصهاينة وكذلك يرفض البكاء، ويرى الجدوى في وحـدة الرأي وتـوحيد الصف اسمعوه إذ يقول:

لم البكـاء هل يجـدي لعـودتنـا	هـذا البكـاء ومـاذا كـان يحتـاج
انا لفي حاجـة قصوى لـوحدتنـا	في الصف في الرأي والإسلام ادماج

وهنا تذكرت وأنا اسمع محاورة شبان هذه النـدوة حول ديـوان أرج ووهج. وافتتانهم بأسلوبه الأدبي المشرق الساحر تذكرت قصيدته التي حلق بها إلى سدرة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج، وخاطب فيها خاتم رسل الله

ﷺ. بهذا الأسلوب الأخاذ.

شَقَّ بالنور أفقَ ليلٍ بهيم ... واعتلى مُزْرياً بنور الشهاب
إنَّ هذا المعراجَ مكَّن للصاعِدِ ... دَرْبَ المثولِ والاقتراب
سدرةُ المنتهى رفعتَ إليها ... للمناجاةِ في السَّنَا المنجاب
والنُّبيون حولَ ركْبك حَشْدُ ... بُوركَ الحَشْدُ مِن خيار الصحاب
جمع الله شملهم في سماء ... رحبت بالحبيب والأتراب
وهنا انزلت «صلاة» فكانت ... خير ما جاء من منى ورغاب
هي أصل الإسلام والدين نور ... منه إشراقة الهدى والصواب

وفي هذه اللحظة وقف شاب من أعضاء الندوة كان يصغي أكثر مما يتحدث وهو يقول يكفي شاعرنا أنه الشاعر البطل الذي يوقظ في أنفسنا روح العزيمة والوعي لمصاير الأيام ومُحْتَملاتِ الأحداث ويفهمنا أننا لسنا رعاعاً مهملين نركن إلى الغرور وطيب العيش ركون المواشي التي تنعم ما تنعم في الحظير لِتَسْمن ثُمَّ تساق إلى المسلخ. . . لا لا بل هو الذي يقول لنا بحماسة الإيمان وعزيمة الوعي، والعروبة الإسلام:

حسبنا أننا بناةُ فخار ... قبل عهد الإغريق والرُّومان
مجدنا طيب الأرومة باق ... يعتلي مستوى على الأقران
عرى القسمات قد رجمته ... سمة المسلمين في الميزان

وهنا ختم الندوة رئيسها، وهو يقول أود قبل أن تنصرفوا أن لا تنسوا قول شاعرنا البطل:

لا تقولوا انتهى مجالُ النزاع ... بل قولوا قد حان بدءُ الصراع

وعلى إثر ذلك انصرف الجميع وهم يقولون «يا له من شاعر عظيم بناء داعية إلى البطولة والجهاد والحرية والإيمان والحق».

ديوان أيام من العمر

القسم الثالث:

في ٣ ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ :

لكل صباح جماله الخاص به، ومكانه وزمانه وبـواعثُ أَحاسِيـهِ في النَّفْسِ . ولكل إنسانٍ صبـاحُهُ التقليـدي المتكرر، وهـو الأكثر وصبـاحُهُ الطريفُ المتألق وهو الأقل.

وكان صباحي في هذا اليوم في أبي ظبي مشرقاً كل الاشراق وطريفاً مؤنساً. حيث وفدت إلى مكان نزهتي واسْتجمامي في حديقة المطار.

وإذا أنا أشاهد الندوة الأدبية الشاعرة منعقدة. وأشاهد كل عضو، قد استقر في مقعده حسب النسق المعتاد.

وكان العضو الموكول إليه الحديث عن ديوان أيام من العمر يلـوح به مزدهياً وهو يقول «هذا هو ديوان أيامٍ من العمر، وكلّ شيء في هذا الوجود له أيام من العمر».

ولكن ما أكثر ما تنسى أيام الاعمار، وتبتلعها غيابات الجب، ولا تظفر بمن يستخرجها ويتحدث عنها. بل تظل أكثر أيام الاعمار في قماقم ظلمات الأبد. . ولا يفلت منها سوى أيام أعمار الأقلام، لأن منطلق أحاديثها ملء ألسنة الآباد وأمواج أفواههم ولأنها رفارف صواري تعلو شوامخ قمم أطواد الخلود. .

وهذا ما تبينته في قلم ديوان أيام من العمر وأنا معجب به وشاكر لكم حيث فوضتم إلى الحديث عنه في ندوتنا هذه.

وها أنتم أولاء ترونَه في يدي يموجُ مُتَرنِّحاً طروباً بنغماتِ تسبقِ نضرة الشعر وسطوع البيان وجمال الفن.

ويسعدني أن أرفع لكم الستار لتحلق بكم نشوات أشعاره إليه. فاسمعوه يُناجي قلوبكم ومرهفات آذانكم:

يا شراعا في زورق الأشواق	يتهادى في نشوة واصطفاق
أترى أنت عاشق للدراري	حين تبدو لمَّاحة الائتلاق
لم هذا الهوى وأنت خفوق	مثل قلبي المولّه الخفاق
حائر في العباب أنت ولكن	حالم بالكنوزِ والاعلاقِ
هل رأيت المجداف كيف يغني	ويناجي الأمواج كالمشتاق
يتحدى التيَّارَ في كل وقت	بضمائر وعزمة وانطلاق

وتأملوا في هذا العنوان «الشعر بين الطين والماس» ألا تحسون أن الطين يشير به إلى الشعر التقليدي المسيخ المظلم، وأن الماس إشارة إلى الشعر البكر المتألق.. واسمعوه يتحدَّثُ إليكم في كل ذلك:

دع المحاكاة فالتقليد مثلبة	شتان في الشعر بين الطين والماس
أما المقلد فالاسفاف مطلبه	والذيل في الوضع لا يرقى إلى الرأس

أما تحسون أن هذا الشِّعْرَ منطلق مِنْ أبعادِ أحاسِيس النفسِ منطلقٌ مِنْ مجالات النور والظلام واليقين والخرافة، والرجاء واليأس، والواقع والخيال، والعطاء والمنع.

لم يبق إلا الوهم والمخدو	ع في دنيا الشجون

صبح الرجاء أحاطه ليل تغلف بالأنين
ويل لمن عبثت به ريح التندر والفنون
ويل لمن جرفته عدوى الحالمين التائهين
قد ضاع معيار الطموح وجف شلال الحنين
والخوف يكمن في الأواذي والعبورُ هو اليقين

وهنا سأله أحد أعضاء الندوة. أما لشاعرنا السعودي المبدع ذكريات عن أمجاد لغتنا العربية وقد كانت في عصورها الذهبية سماء لكل لغات العالم امطرتها من فنونها وآدابها ومُصْطلحاتها وأنماط اشتقاقها وطاقات حياتها ما أمطرتها ونفخت فيها مِنْ امْتدادِ خلودهَا تَهاوِيلَ الْعجائِب وصبغتها بصبغتها الفتانة. حتى أصبح كل أديب عبقري من هاتيك يجتهد لكي يصبح من أدبائها ويشرف بالانتساب إليها.

وكم في هذه المكانةِ للغتنا وآدابها ومعارفها من عزة. لذلك كانت هي اللغة الوحيدة ذات قدرات الحياة الخالدة وذات التطورات العبقرية الصاعدة.. ولم يكن كل ذلك للغة سواها وحسبها انها كانت هي اللغة التي نفخت السماءُ فيها مِنْ روحها الوحيَ البيانيَّ المعجزالمعجزَ المتحدي أبد الآبدين،القرآن المجيد.

وهذا هو سر امتيازها وتفوقها على كل اللغات على مدى الأعصار. أجل أجل أن مثل شاعرنا في طموحاته وتطلعاته وأبعاد بيانه لم يفته ذلك أبداً أبداً. أنَّى يفوتُه وهو رائد من رواد النهضة الحديثة في جزيرة العرب وهو عماد من عمدتها التي يعتز بها وهو مفكر وفيّ كريم وقد تحدث عن أدباء عكاظ الذين رفعوا لغة العرب إلى القمة الشاهقة التي جعلتها صالحة لأن ينزل رب العالمين بها وحيه المعجز على مناهجهم ومصطلحات بيانهم

وقواعدهم التي تواطئوا عليها في أساليب بلاغاتِهم العالية اسمعوه إذ يقول:

قــادة الفكــر في بــلادي هـزوا ... منبــر الشــرق بعـد طـول غيـاب
فــأَعِيــدوا ذكــرى عكــاظ وردوا ... لــوم شــوقي في غمـزة والعتـاب
منبـر الشـرق ههنــا في بـلادي ... مـلتقـى العـلم منتــدى الآداب
فـزهــيــرٌ وطــرفــةُ ولــبــيــدُ ... وامــرؤ القيس رائــدُ الأتْــرابِ
قـد حملنـا تـاريخهم في تـراث ... عــربي مخـلد فــي الـكـتــاب
واحتفـظنا بـه على الدهـر معنى ... فيـه ذكـرى أمجـادنـا والـرغـاب

والأمجاد التي لا تصونهـا لغة خـالدة حيـة تمتطي صهـوات الأزمان والأجيال.. ما هي بأمجاد. فكم من أمجاد أمست بعض تراب الأرض وبعض ظلماته. لأنها فقدت أصول اللغة الخالدة التي تجري على الألسنة باعتزاز من أهلها بقوة من بُناتها بتضحية من أبنائها.

أجل ان الأمجاد التي تفقد اللغة التي تتغنى بها وتهتف بمعالمها على مدى الدهور فاقرأ على جدتها السلام. وها هي لغتنا تحيا حياة الأبد فهي منبثقة من الأزل في وحي رب العالمين ومجراها إلى الأبد فليس لها نهاية في الدنيا لأن لها العزة الأبدية في العالم الثاني.

حسبها أن الله مجدها تمجيداً وتعهَّدَ بحفظِها في وحيه المنزل فهي خالدة فوق الخلود وباقية فوق البقاء وحية فوق كل حياة.

والخلاصة أن شاعرنا لم يفته التنويه لكل ذلك اسمعوه وهو ينشد بين أيدينا بروحه العالية المشكورة.

لغـةُ العـربِ في الأَصَـالـة مَبْنَـا ... هــا تُــرى عــزيــزة الإنجــاب
حفلتْ بـالنفـائس الغـر أعـلاقَ ... فــنــونٍ تــروق لــلألــبــاب

واحتفت بالشموسِ من كل علم وازدهت بالوضوح والاعراب
ما وجدنا لها نظائر في الكون وشتان بين زاه وكابي
أدب رائع يرف ائتلاقاً رَاشداً ثابتاً بغير اضطراب
صادق النبع قادر أن يؤدي ما عليه في حكمة وصواب

واسمعوه يتحدث عن الأديب الذي حبس نفسه مجاهداً لِحَيَاةِ أمته ولغتِها وآدابها يصفهُ ببراعةٍ مِنَ البيانِ الْمفجرِ باللّذَّةِ المسكرة والإِبْداع الزاهي من السماء.

يشرب العطر من ثغور الأقاحي ويناغي الأطياف فوق الروابي
بلبل يملأُ السماءَ غِناءً فيهز القلوب بالاطراب
كلما شده إلى الحسن شوق عاد مستروحاً عبير التصابي
هذه متعة الأديب من الفن ولا شيء عنده في الوطاب

وكم يشجيك أسلوب النشيد الوطني الحمي والروح الخالد بالأمجاد التي تحوطه أنه فن من أسلوب الشعر الحديث العالي إنه أغنية إنه سحر إنه جمال إنه أغرودة من سِحْرِ البيانِ أجل اسْمعْه إذ يقول.

يا بلادي يا مسار الخالدين
بالتراث الفذ والمجد المكين
مهبط الإسلام والحسن المبين
بعطاياك على مَرِّ السنين

نهض الإسلام بين الأمم

من ربى أرض الرياض الطارف
من حمى الكعبة مسرى الطائف

من ذرى أبها الخصيب الوارف

دعوة الحق كرمز هادف

لم تزل فيك شعار المسلم

ألا تحس أن هذا النشيد وقد من روح الأمل الخصيب في شعر الشاعر وشعلة من الأضواء التي تمدنا بالنور وتمنح العطاء وتحمس الشباب وتدفع الأمجاد وتعطي بناة حضارتنا الحديثة حقهم من الحمد على نضالهم على سهرهم على نشاطهم على حسن تخطيطهم للأجيال الوطنية القادمة..

أجل هذا هو الواقع الذي يحسه المطالع في هذا النشيد وتوجيه اللازم التي ختم بها النشيد.

خالدٌ والفهْـدِ في خَيْرِ طريق

رسما للشعـب نهجاً للسُّمــوق

وإذا الشعب على النعمى بضيق

وجد النعمى رجاء وحقوق

هكذا كان وفاء المنعم

وكنت أحاول المزيد من بسط ما يحويه ديوان أيام من العمر. لأنه كله نفحات تنعش كله نسق من الشعر العالي وكله سحر من أطيـاف البيان المطلق في همسات أضواء الأقمار والنجوم والسحر. وكنت أود أن أتلو عليكم بعض ما يحويه ديوان أيام من العمر مثل:

نفحة الطائف.

وحبيب العمر.

والأحلام البيض.

وذوب النفس .

والفتنة الملهمة .

ونفثة الحسد .

ونجوى النبع .

وذكر اليوم الوطني .

وتحية المنهل .

أجل كنت أستطيع أن أتلو عليكم في ختام هذه الندوة الشعرية جانباً مما هو من قصائد أيام من العمر ولكن خفت الاطالة .

فتركت الأمر إلى انعقاد ندوة شعرية أخرى حول شاعرنا العربي السعودي الفذ الأستاذ محمود عارف فشعره يفتقر إلى كثير من هذه الندوات . . .

والرجاء من المولى الكريم أن يتيح لنا هذه الفرصة في أيام آتية .

مــــن أنـــا

كنت في إحدى رحالتي الصيفية ما شاء الله أقرأ من شعر شاعـرنا السعودي العلم الصديق السيد حسن فقي. فقد صحبت ديوانه.. «قدر ورجل».

وكم كنت معجباً بالدراسة التحليلية التي قدمها الصديق الأستاذ عبد العزيز الربيع مدير التعليم في المدينة المنورة... ولم أشأ أن أبحث في القصائد التي بحثها لأن ما قاله فيه الكفاية..

ومن أجل ذلك تحدثت عن قيمة الخيال في الشعر، وما أوتيه شاعرنا منه تمهيداً للحديث عن قصيدته (من أنـــا).

لأن الأستاذ بدأ تحليله من قصيدة «نفس تبحث عن نورها» وهو بدء موفق لأن من لا نور له لا إيمان له بشيء، ولن تكون الرؤ ية صحيحة إلا بالنور. ومن أجل هذا النور قال كرلايل في حق خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه: «كان مولده مبعثاً للنور من الظلمات».

لذلك رأيت من المنّاسب بالنسبة لي، أن أقدم للقراء بحثاً عن قصيدته «من أنــا» لأني لمست الحيـاة فيها شعلة صـارخة تنشـدهم أحـاسيسهـا وشعاراتها وتطوراتها على مدى الأحقاب، وبما أنه يتكلم بلسان الحياة. فطبعي يجهل بدء وجوده، ونهاية وجوده..

اسمعه إذ يقول:

«أنا لا أدري متى كان بدء وجودي، ولا متى ينتهي.. لا يعلم ذلك بالثواني والدقائق.. إلا الذي بداه أول مرة. ولكن الذي أدريه أن هذا الوجود كان من الزمان البعيد البعيد، حديقة غناء أنيقة جداً.. أرضها زخرفت ببدائع سحر السماء نجومها وأقمارها وأضوائها الملونة التي شربتها أزهارها من نميرها الصافي اللماع فتألقت في الأعين فتنة على فتنة. وكنت أنا طير أرفرف من فنن ميّاس مزدهر إلى فنن أروع ميساناً وأزدهاراً.

وهل أنا إلا ذرة في غياهب هذا الوجود، وكم ابتلع هذا الوجود من إحياء ميقاتهم يوم الجمع.

وهل أنا إلا صدى من أصداء أولئك الذين ابتلعهم الوجود... انظر ما يقول..:

منذ عهد من الزمان بعيد	لست أدري عن بدئه وانتهائه
كنت طيرا مرفرفاً فوق غصن	مائس باخضراره.. وروائه
كان هذا الوجود روضاً أنيقاً	طرزت أرضه أكف سمائه
وأنا فيه ذرة في مغانيه	صدى ـ ما يذوب ـ من أصدائه

وتزاحمت حولي، وأنا فوق غصني الأخضر الصغير الصاعد الهابط ألوان وألوان من مفاتن الورود الضاحكةِ المتألقة، في رباها المترامية الملوحة، وأوديتها المتوارية، فأخذني سحر المناظر، وانتشيت من طيوبها العابقة حتى أحسست أني تحولت وردة مفترة بريئة من وخز الشوك وأذاه، ورعتني الأعين التي فتنها جمالي ولمستني الأكف التي شاقها سحري الحلال لمسات الحنان، وأنا مستغرق في أحلامي، فعمرت طويلاً بنضرتي وطيوبي..

وحوالي ألف لون من الحسن	تناثرن في البساط الرحيب
فتحولت وردة.. وتبرأت من	الشوك.. في الربيع الخصيب

لمستني الأكفُّ لمس حنان ورعتني العيونُ رعي حبيب
لم ترعني يد القطاف.. فعمرت طويلاً.. بنضرتي وطيوبي

ومرت الحقب في سرعة خاطفة، ورأيتني تحولت غدير ماء صاف عذب، على شواطئه الأعشاب النضيرة الريانة، ومن خلال خمائله الفتانة تنساب نغمات الطيور الملونة المتباينة في أذني حلوة شجية مطربة.. وأبحت مائي الصافي الغدق لكل الواردين من إنسان وطير ووحش..

وما زلت أرشف ماء الغمام، وهو يهزج لي وما زلت أصفو وأصفو، حتى غدوت رذاذ وندا.

ومضى الدهرُ راكضاً. فتَحَوَّلْتُ غديراً.. عذب النمير.. رويا
يترامى العشبُ النضير حوالي ويشدوا الغناء حلواً شجياً
ما منعت الورود طيراً ولا وحشاً.. ولا صادياً آدميا
ورشفت الغمامَ يهزج حتى عدت مثل الغمام قطراً نديا

وتقلبت في الحياة ورعتني ، فأصبحت بقلب صحرائها المحرقة سرحة فينانة خضراء وارفة الظلال الندية، أحول هجيرها الملتهب نسمات عليلة باردة يستروحها كل من يعتصم بها.

وكان رأسي يغلي كالمرجل من التهاب الشمس ولكن قلبي كان خميلة ظليلة سابغة وماا كترِثْتُ لما أنا فيه لأني كنت سعيداً بشقائي في سبيل إسعاد الآخرين.

ورعتني الحياة حيناً فأصبحت بقلب الصحراء دوحاً ظليلا
يشتكي السائرُ الهجير ويَسْتَرْوِحُ - إن لاذ بي - النسيم العليلا
كان رأسي يدور من وقدة الشمس.. ويغلي.. وكان قلبي خميلا

غير أني سعدتُ أن كنتُ للخلق - على شقوتي - المكانَ الجميلا

وفي القطعة الخامسة تمثل وجوده صخرةً، متكئة على قمة جبل منّوار بين جبال شاهقات نائية تهيم فيها الوحوش على وجهها، وتقطن كهوفها. والصخرةُ تشتعل اشتعالاً من شدة التهاب الشمس، والشمسُ بين هاتيك الجبال العالية النائية يراها الرائي شموساً لقربها منه.

وهذا تصوير للحقب السحيقة التي كان فيها الإشعاع البنفسجي من ألوان الطيف الوقيد الاشتعال أكثر منه اليوم، وهو آية شدة اتِّقادها..

ولم يلطف إحساسه كصخرة ملتهبة انسكابُ الغمام، ولا عصف الرياح التي تُفتِّتُ الصخور، وتنثرها رمالاً ناعمة على سطح الغبراء.

وما كان له في وحدته من أنس وجه بشوش، وأنى يكون له ذلك وهو صخرة منكمشة على نفسها متجهمة ساخطة فوق جبل آبد تهوى إليه الوحوش بين جبال شاهقات نائيات.

ثم أمسيت صخرة في جبال شاهقات.. تهيم فيها الوحوش
أتلظى ومن وقدة الشمس والشمسُ هنا في الجبال هذي شموس
والسحاب الذي يسح وعصف الريح يفري عناصري.. وينوش
ليس حولي بعد البشاشة والانس وبعد الهناء.. وجه بشوش

ومَثَّلَ شر الحياة وقسوتها بما هو أَعْتا مَن الصخرةِ وأقسى ألفَ ألفَ مرة. صورها عقاباً كاسراً، يستبيح الحرماتِ، ويحلِّلُ الحرامَ وينغمسُ في المآثم، ولا يُبالي. ولئن بدت الحياة كصخرةٍ قاسية موحشة، إلا أنها في صورةِ العُقاب أشد قسوةً وإيحاشاً إلى جانب أضرارها المبيدة البالغة.

ونقم على وَضْعِ الحياة الممثلةِ في صورة العقاب، وتنكَّر لها، وهو

إنسان مهذب يمقتُ إزهاقَ الأرواح في سبيل رخاءِ عيشِهِ، وتأمين مرافقه. وهو عمل إجراميٌّ محْضٌ... تبعتُه لا تموتُ وقصاصهُ مرصودٌ ولا تَهْربَ منه.

يــا لهــا فتــرةً.. ولكنَّ أنـكى	ألفَ ضعفٍ منها.. وأقْسىٰ جراحا
إنـني عــدتُ رغـمَ أنفـي فمــا	اختـرت عُقاباً إذا أراد استباحـاً
ما يرى في الوجود شيئاً حرامـا	بل يرى في الوجود شيئاً مباحـاً
أيُّ روح هذي التي تنشد العيش	رخــيــاً فــتــزْهِــقُ الأرواحــا

وفي القطعةِ السابعة تحس أنه ضاق بأطوار الحياة، بعد أن مرّ بها في سوارح الفكر. وتخيل أنه يطلب إليها أن تعيده بشراً بعد أن طوف ما طوف في غير عالمٍ الإنسان. فردته الحياة بشراً يجهلُ أكثر أوضاع البشرِ، ويخافُ نهايته بينَهم، لأنه أمسى غريباً عن أخلاقهم الشاذة المنحرفة المخيفة.

وهو من جراء ذلكَ في سعير يذيبُه، ولا يدري هل سواهُ من البشر لهم سعيرهم الذي يذيبهم ـ لا يخلو الأمر ـ..

وتــوسلتُ للحيــاة.. فــردَّتْني	لــدنيـاي بعــدَ طــول المسيـر
بشـراً فـاستـويتُ في النـاس مـا	أعرف عنهم ـ ويلاه ـ غيرَ اليسير
فغــدوتُ الغــريـبَ فيـهم ومــا	أنكـر أني أخاف فيهم مَصيـري
يـا سعيري الـذي يُذيب.. أَفِي	النـاسِ سعيرٌ يـذيبهمْ كسعيـري

وفي هذه القطعةِ تراه يعيشُ بين الناسِ ألواناً من النعيمِ والعذابِ، شأنُ الأَحيّاء كافة.

وبما أنه واعٍ مدرك انه يعيش كطيف أو ضيف لا بد من الرحيل، فما استطاب لذة الحياة الغافلة اللامبالية. وهذا شأن عمالقة الفكر الذين يعيشون في حقائق الأشياء.. لا في أوهامها ولا أحلامها.

وبما أن العيش كلَّه ـ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، يعود بكل يقين أمس، وبما أن الأمس الدابر هو الحي حتى في غضون حياته، لأن مصيره عائد إليه حتماً فآثر أن يرحل بين السّدم في عوالم الفضاء، ليكون بعيداً عن أحاسيس مدار الأزمان، وأحس بهذه الرحلة أن ألوان الزمن بهت في نفسه، وعاد يحس نفسه كخربة مهجورة بعد أن كانت صرحاً ممرداً من قوارير، تغشاه وفود السواح:

أنـا أحيـا بينـهـم بعـد أن	عشتُ شكُولاً.. في جنةٍ وجحيم
كيف استمرىء الحياةَ بأرض	لم أكن بين أهلها بالمقيم
أَفَأَمْسِي قد كان مني وَإلا...	لَمْ يَكُنْ. فهو رحلة في السديم
قد تولى فلم يعد غير حس	باهتٍ.. باهت.. ككل قديم

يحلم الوجود، وأطياف أحلامه شتى، وما شاعرنا الحبيب إلا طيف سطع في أحلام الوجود، فقد طرح عنه أفواف النوم وعلاته وتهافته واسترخاءه. وصحا صحو الظهيرة، ولكن عنفوان الصحو أضاعه، لما يحمل للناس من نور وهاج. وشدة الظهور خفاء. والعادة أن النور إذا زاد بهر، حتى لا تكاد ترى الأبصار سواه. والأحياء أجمعون في قيود مختلفة، قيد الأعمار وقيد جاذبية الأرض، وقيد إفتقار إلى الطعام والشراب وقيد اللون والطول أو القصر، وفي النهاية يُنْسى كأن لم يكن.

إذن فهو ككل إنسان حي هباء في هباء، لأنه لزام أن عمره، كأعمار البشر حياتُه تنقضي، وهي مشدودة إلى قيودها، وموثوقة باغلالها. وجهل الحقيقة ضياع للعمر. والإنسان في هذه الحياة أنّى نظر فإنه لا يبصر إلا سدوداً وراء سدود وراءَهَا مَا يدهشُ ويحيّرُ ويروعُ ويفتن.

إنها مدهشات من تهاويل الأسرار والعجائب، ولا ينطلقُ الإنسانُ إليها،

إلَّا إذا انطلق من جسدِهِ فأنت بالروح لا بالجسم إنسان. واجتماعُ الروح بالجسدِ محتوم بين يدي ربِ العالمين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن شاعرنا عربي صميم ومسلم عالم. لا صلة له بالتقمص الهندي والحلُول الروحي الوثني الساذج، وحاشاه أن تدركه أوهامه وأساطيره، وأن حسب ذلك بعضهم، وإنما هي صور ناطقة متحركة حساسة انطلق بها بيانه من مجالات التخيل والتصوير الفني... يا لله ما أحسنها وأفتنها..

من أنــا هــل أنــا غيــرُ طيف	شـاهـدتـه أحـلامُ هـذَا الـوجـود
شفَّ عنه الكرى وضيعه الصحْوُ	واخـفــاه عن عـيــون الشـهــود
أنا مثلُ الألوف في هذه الأرض	رَسيفٌ مــا بـينَ شَـتَّى الـقيــود
أيهــذي الســدود هــل نصــرم	العمرَ هباءً ونحنُ خَلَفَ السـدود

والعادة أن الإنسان يتصور لنفسه أشياء مختلفة، وفق اختلاف تداول الأحاسيس التي تعتريه، وتهيمن عليه، وتمثـل في نفسه شعـراً حساسـاً صارخاً، وتفيض على قلمه فيضان السحب فإذا أحس أنه يقدم للناس ثمار روحه في شعره الخالد، ينهض بهم إلى صيحة الحقِّ، وصدق الإيمان، وانطلاق الفكر، وسمو الخلق، وَيُقدِّمُ بعض ما يقدم،وقَد صـور نفسه كغدير ماء غَمْرٍ صاف ينفع الناس، ولا ينفعونه..

وإذا رأى أنه الشاعر المغرد، والحكيم المفكر، والمجدد العَبْقريُّ وأنه يعلم للناس القصائد الرنانة، وينفحهم بطيوب البيان الخالد، وهم يطربون من افتنانه في موضوعاته التي لم تخطر خواطرها على بال كثير من أنداده الأدباء، أحس أنه طائر غَرِدٌ، وأنه زهر مفتر نسيج وحده.. وحين يتبين شاعرنا، أن جِدَّةَ أفكاره في قريضه ثابتة وهي في زيادة تخيل نفسه صخرة

شامخة يتفجر الشعرُ من جوانبها تفجيراً.

وإذا أحس أن غرائزه تهيج بالنزوات العارمة وسلطان إرادته منحسر عنها، وأنه يستبيح ما يهوى من حرام.. أو أحس في أنفس الناس ميولاً إلى الشر، ولا يروْن شيئاً في إزهاق الأرواح، أوجعه تخلفهم وانحطاطُهم. وندد بنفسه وبهم. لأنه شاعر حساس يرى أعمالَ الناس أعماله، فيحمل على نفسه ويزْجُرُهَا بعنف من باب إياك أعني واسمعي يا جارة..

ومن أجل ذلك كله صور شاعرُنا نفسه عُقاباً كاسراً.

وأنا اليوم كالغريب فقد كنت	غديراً وكنت طيراً وزهرا
وعْقاباً يخافه الطيرُ في الجو	رهيباً وكنتُ في القَفْرِ صخرا
أي عمر هذا؟ وهل كان خَيْراً	يَشْتهيه الأنامُ أم كان شراً
وأنا مَن رأى الحياة أفانينَ	وحيداً؟ أم الخلائقُ طرا

والشاعر العبقري الحساس يرى نفسَه فوقَ البشر لغُرْبته عنهم، توقُّدَ شُعورٍ وَسُمُوٍّ. وانفتاحَ فكر وعاطفة، ودفق بيانٍ وفن.. ويحس أنه يستطيع أن يروضَ نفسَه، ويملك زمام إرادته لدى اهتياجها ليبدعَ في مقالِه لأفراد أمته. حين يعالج النهوض بهم إلى مثاليات الأخلاق والوعي والمجد والذكاء ولا يكتفي بطربهم لشعره، وحماستهم له، واكبارهم لموضوعاته ورفع مكانه بينهم، لأن عملهم بما يقول، أحب إليه من كل ذلك.

يأسَفُ أشدَّ الأسف حين يَرى نفسه عَاجِزاً عن رياضتهم جميعاً وتوجيههم إلى كل ما يرجوه لنهضتِهم الحديثة من التوفيق، فلا بدَّ من مساعدة الدولة. وهو أحد رجالها.. وهذا حاصل تماماً. ثم هو لا يدري هل هو وحده الذي رأى غرائبَ الحياة أم كلُّ الناس.

يا غريباً عن الديارِ عن الناس عـن الخـلق كلهـم أجمـعيـنـا
يا وحيداً طَـوَى السنين فراضتْـه وَمَـا اسْتطاع أن يـروضَ السنينـا
خـل ذكـراك ليس في الأرض ذكرى مثل ذكراك تستثير الشجونا
إنهـا أنتَ حين كان بـك الغيبُ ضَنِينـاً وكنـتَ فيـه جـنيـنـا

ومع ذلك فهو يبذلُ للشباب مَودَّةَ نفسِه لكي يَتبارُوا في سبيلِ النهضة، ويتغنَّى بتهذيبها وثقافتِها لكي يتهذبوا ويتثقفوا، ويمجدُ الأخلاصَ لكي يخلصوا، ويحدثُهم بِصحيح البيان لكي يصح بيانُهم من أسقام العجمة الدخيلة فلا تموت كلمة الجزيرة الأصيلة التي رفعها وحي الله المعجز وهو يجد لجمع كلمة الشباب كل الشباب حول كلمة الإسلام العليا. التي بها يحيوْن موحدين متوادين صادقين مخلصين أبد الآبدين لا بدونها.

لذلك تجده في عُبابِ بَيانه يباركُ النهضةَ الإسلامية الحديثةَ المباركة في وطنه بقلبِهِ ولسانه وهو الذي يفخر بهداه إذ يقول والقول صِدْقُهُ في العمل:

منح الهدى لنكـون حين تمزقت أوصـالـه بجحـوده وضـلالـه
فـإذا الـذين يـزيغهم بهتـانُهم يجـدون نـورَ الحق طيَّ مقـالـه

وما أكثر الذين ألحدوا وارتدوا في غير هذا الوطن الكريم، وأهوالُ الإلحاد في الأمة ممزقةٌ مهلكة مُبيدة. فحذارِ حَذَار.. والسعيدُ مَنْ وُعظ بغيره.

وهو حين يذكر الأيام التي مرتْ به متجهمةً أعرض عنها، وأحس أنها تستثير شجونه وبالحري في دنيا البشر. وهو ذو ذكريات عبقرية يضن الزمانُ أن يجودَ بأمثالها وهو بعد في طواياه جنيناً. أي هو يحس أنه:

نـمطُ كَـان لـلزمـانِ فـريـدُ ثم شَـاءَ الـزمـانُ أن لا يكونا.

(الكلمة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الشَّاعِرُ السُّعودي العَلَم

لَا رَيبَ أَنَّ الْعَلَم السيد محمد حسن فقي.. نَفْحةٌ من نَفحاتِ الشعر العبقري، وباقةٌ من رياضِ الخلد، وحكمةٌ مِنْ حِكَم الدَّهْرِ. وَنَغمةُ مطربةُ من نَغَمات الفنِّ العالي، ولوحةٌ زاهيةٌ مُمْتِعةٌ من لوحاتِ الشعر الحديث.

الخيال والفن في إبداعِ شعره

وأخـلق إذا كـنـتَ ذا قُـدْرةٍ رُبَّ خَيـالٍ يَخْلقُ المستحيـل

لا غروَ أنَّ الشاعرَ الموهوبَ يستطيعُ أَنْ يبدعَ بيـانُهُ صُـوَراً. أفتنَ وأدْهشَ وأعجبَ من الصـور المتحركـة في المرنـاء.. الصور المستحيلة التحقيق، أي يستطيعُ الشاعرُ الموهوب:

١ ــ أن يجعلَ نفسهَ الشمس، ويتحدث بلسانهـا عن أطوار الكائنات، وتقلباتها على مدى الأحقـاب.

٢ ــ ويمكن أن يجعـلَ نفسَه الغـابـةَ الكثيفـةَ الأدواح النـائيـة عن العمران.. المخيفة، أو أن يجعل نفسه الحديقة الغنـاء ذاتَ

الخمائل الوارفة الظلال، وذات الأنهار الجارية، والمفاتن الساحرة، والطيور المغردة.

٣ ـ وقد يتصور نفسَه الصخرةَ الصامدةَ التي تتلقّى الأعاصيرَ، وضرباتِ غوارِبِ البحر العاصفة، وهي شَامخةٌ ثابةٌ غيرُ مباليـــة.

والشاعرُ العَبْقريُّ الموهوب.. يغرد تغريدَ البلابل ويتدفقُ تدفقَ الينبوع، وينفحُ نفحَ الطيب، بل ويستطيعُ أنْ يُنْطقَ كلَّ شَيْءٍ، ويمنحهُ سِحْرَ البيان، وسِرَّ الجاذبية وما كلُّ ذي بيانٍ بساحرٍ ولا جذاب..

تذكر أيها القارىء العزيز، أن أجدادك الفصحاء، أنطقُوا الحيوان والنبات والجماد في بيانهم، وأجرْوا على ألسنتهم الأمثال والقصص، وهم منطوون على أنفسهم في جزيرتهم قبل الإسلام..

تذوقْ سحرَ هذه الأمثال التي أجروها على لسان الضب، والضبُّ في عَالم الحيوان بمثابةِ القاضي والحَكم، وفق التقاليد المتوارثة..

ذكروا أن أرنباً التقطت تمرة لتأكلها فشاهدها ثعلب فاختطفها منها، وأكلها. فشكتْهُ إلى الضب، والضب يمثل الْحَكَم القاضي بين الحيوانات..

فقالت الأرنب: يا أبا الحسل..

قال الضب : سميعاً دعوتِ.

قالت : جئناك لنختصم إليك ونحتكم..

قال : عادلاً حكمتما.

قال : فاخرج إلينـــا.

قَالَ: في بيته يؤتى الحكم.

قالت: إني وجدتُ تمرة.

قال : حلوة فكليها.

قالت : فاختطفها الثعلبُ.

قال : لنفسه بغى الخير..

قالت : فلطمته.

قال : بحقك أخذتِ.

قالت : فلطمني.

قال : حرٌ انْتصر.

قالت : فاقضِ بيننا.

قال : قد قضيتَ..

ولو نظرتَ إلى المجتمع العربي في الجاهلية لألفيتَ واقعَ حياتِهِ يمورُ في هذه الأمثال..

ولو تتبع باحثٌ ما هو من هذا القبيل، في الأدب العربي، لتوفر بين يديه مؤلفٌ ضَخْم نفيس يفوق كتاب الأمثال للميداني وفي هـذا العصر الحديث جَعَلَ شاعرُ النيل حافظ إبراهيم نفسَه اللغةَ العربية فندبَتْ حظهًّا بلسانه في عصر الحضارة الحديثة، وبكت واستبكت وتـوعدتْ وأنـذرت بالشتات والضياع إنْ أضاعَها أهلُها...

ونوهت بفضل أبناءِ الجزيرة العرب الأُصَلاء وفاخرتْ بهم فَخْرَ الخلود، وتخوفت من لغة الجرائد وأعلنت أنها مزالق تسرع بها إلى الفناء لوفرة الأخطاء والانحرافات المتعمدة، وما فاخرتْ بجيلٍ من المتكلمين بهَا فخرَهَا

بأبْنَاءِ الجزيرة العَرَبِ الأقحاح الذين نزل فيهم القرآن المجٌيد. أما رفعوها على قِممِ كلٍّ قطْر منائرَ وهاجةً تضيءُ كلَّ نواحيه وتسمو على الشمسِ ويا أخي ستنطفىء الشمسُ وتظلُّ لغةُ القرآن لغةُ العرب الفصحاء تضيءُ وتضيءُ غرفاتِ عالمِ الفردوس إلى أبد الآبدين أجل إنها لسانُ الحق الذي يهدي هدايةَ الإيمانِ والإنسانية والسلام. وما للسانِ الحقِّ من نهايةٍ يا بشر..

وهذا الكاتبُ العباسيُّ عبدُ الله بن المقفع. أَما ترونه أنْطقَ الحيوانات بالسهل الممتنع في كتابه «كليلة ودمنة».. إنه فنان مَاهِرٌ إذن فلنتعال جميعاً هاتفين بالخيالِ.. اسم يا خيالُ بالشعر فإنَّ مَنْ لا خيالَ له من الشعراء فإنه نظَّامٌ وليس بشاعر. والحق أن الشاعر الذي لا خيالَ له لا يَلدُ شِعْراً بتاتاً، لأن حيويات إيلاد الشعر لا تنبض إلا بالخيال. وإنما يلدُ نظماً ميتاً لا يتحركُ. يسميه العامة شعراً سخرية قدر.

وشاعرنا العبقري العلم يملك غمراً من فنون الخيال لا تملكُهُ المرناء بل هو أزهى وأمتع وأخلد..

ولئن كان أشباه العامة تملكهم فنونُ المرناء التي تعرض عليهم، ويقضون حولها مستمعين فترةَ عرضها ولكن في النهاية يختفي كل شيء...

فإن نوابغ المفكرين يقضون الليل والنهار حول روائع ثمار العبقريات.. من علمية وأدبية وفنية.. يملكهم متاعها، ولا ينتهي بل يمتد بهم وبسلائلهم من أبد إلى أبد، وهو زاه زهوهُ يوم أبدع دون نقصان..

حسنٌ في أَوَانِه كلُّ شيءٍ   وجمالُ الْعَريضِ بَعْدَ أَوَانِهْ

عالـم المثـال

وعالم المثال الذي تراه في كتب الصحاح عن رسول الله ﷺ هو وحي

حقيقة وليس من أمثلة الخيال. والذين أضافوه إلى التخيل هم الملاحدة لعنهم الله ـ وهذا شأنُ الأحاديثِ القُدْسية.

ومن الكفر الصُّراحُ أن يزعمَ إنسانٌ هو دونَ الذرة بالنسبة لحقيقة العوالم الهائلة أنه هو الله خالقها والمهيمن عليها والمتصرف فيها، ويتكلم بلسانِهِ كما يفعلُ بعضُ كُهَّان الهند وشعرائهم.. وقرأتُ لطاغور بعضَ القصائد في هذا المجال.

أما ما جاء على لسان شاعرنا السيد حسن الفقي.. فهو محض تخيل.. إذ جعل نفسه هو الحياة في شتى مظاهرها حتى ظهورها في الجماد، ولا حرجَ أن يتخيلَ الشاعر نفسه كذلك ما دام عالماً أنه خيالٌ في خيال..

وإني أعرض في الكلمة التاليةِ قصيدةَ مِنْ شعره الخيالي، عرضاً أدبياً فنيًّا.

وكل رجائي أن أكونَ قد أديتُ حقًّاً من حقوق شاعرنا الساهر على نهضة الشعر العربي الحديث، في جزيرة العرب، والسمو به ليكون في طليعة شعرائنا العباقرة وهو والفضل لله ما يزال ملحقاً في فتوة الشعر، وما يزال ناشِطاً في تجديده ورفع مستواه إلى عُلْيا سماواتِهِ.

تواضعُ فُحولِ الشعراء

مرتْ بكَ في كلمةٍ سابقةٍ تواضعُ السيد محمد حسن فقي في رُبَاعِيَّتِهِ التي يَتمنَّى فِيها أَنْ تكون له موهبةُ أديبٍ بعينِهِ ويعلنُ أنها لو توفرتْ فيهِ لاكتفَّى بها وأرَى هذا من قبيل تواضع عظماءِ الأدباءِ بكلٍّ تأكيد..

وقد ذكرني تواضعُ شَاعِرنا العظيم هذا بتواضعِ أميرِ الشعـراء أَحْمد شَوْقي لمَّا توافدَ فحولُ أدباءِ العرب على مصرَ للمشاركةِ في تكريمِهِ ومبياعتهِ بإمارةِ الشِّعْرِ فهو في هذا الموقفِ الذي يتعالىٰ فيه عادةً صغـارُ النفوس تواضعَ إذ يقولُ:

لَسْتُ أَنْسَى يـداً لإِخْوَانِ صِـدْقٍ	مَنَحـونِي جَـزاءَ مَـا لَمْ أُعانِـهْ
رُبَّ سَـامِي البيـانِ نبــه شَـأني	أَنَــا أسمُـو إلى نَبَـاهَـةِ شَـانـهْ
كــانَ بــالسبقِ والميــادينِ أَوْلىٰ	لَوْ جَرَى الحَظُّ في سـواءِ عِنَانـهْ
إنمــا أظهـرُوا يــدَ اللهِ عنــدي	وَأَذَاعُــوا الجميـلَ مِنْ إحْسـانِـهْ

فأنتَ تَرَى أنَّ أميرَ الشعراءِ يَرْىَ بينَ الوافدين الذين تَحَدَّثُوا في بعضِ حفلاتِ المبايعةِ التي اسْتمرَّتْ أَسْبوعاً وزيادة مَنْ هُو أَسْمى منه بَيَاناً وأغزرَ شعراً وأفتنَ سحراً وأزهى فتوناً. وكان الأولى منه بالتكريم.

ولكنَّ الحظَ الذي حالَفهُ ورفعَهُ إلى إمَارة الشِّعْر وحَمَّسَ أقلامَ الكاتبينِ للتنويهِ به ومبايعتِهِ بالإمارةِ عَنْ طواعيةٍ ورضاً.. لَمْ يُحالِفْهُ..

والحقُّ الذي لا مراءَ فيه أنَّ أميرَ الشعراء أحمدَ شوقي هو أشعرُ شُعراءِ عَصْرِه وأَنَّ قولَه حَقٌّ.

لِي دولةُ الشعرِ دونَ العصرِ وائلةٌ   مَفاخِري حِكَمِي فيها وأَمْثالي.

وهو أغرزُ بياناً من جميعِهِمْ، وأطرفُ أسلوباً وأَنْضرُ تركيباً وأفتنُ أداءً ولم يحظَ شاعرٌ بمثلِ ذلك تماماً مِنْ كلِّ النواحي ولو وُجدَ مُساوِيهِ في كلِّ ذلك لنازَعه الإِمارةَ والتفَّ حولَه الأنصارُ والمؤيدون.

وأما مُنَافَسةُ بعضِ صِغار المتأدبينَ الخاسرة في عَصْرِهِ فهيَ لم تكن للمنافسةِ بمعناها الأدبي البياني الصحيح وإنما هِيَ مِنْ منافساتِ تَصِّيدِ الشهرة.. أَجلْ كان كلُّ القصدِ منها الاعلانُ عن النفسِ، لا المنافسة المتحدية التي تلفتُ الأنظارَ أَنَّى تكونُ المنافسةُ المثلية التي تلفتُ الأنظارَ من أطفالٍ ما زالوا يتعلمون الحرفَ على شَاطِىء البيانِ بالمطاط والقِربِ المَنفوخةِ بالهواء...!

نعم جاءَ مالفتَ أنظارَ المتطفلينِ والأغبياءِ الذين لا يميزونَ بينَ عُقودِ الوَدَعِ وعقودِ اللؤلؤ والمرجان ولا بينَ جُبْنِ باقلٍ وانحطاطِ بَيانِهِ ولا بينَ حَماسةِ عنترةِ وسموِّ بيانه..

أما فحولُ الشعراءِ الذين صعدوا إلى قمة الأدَبِ العربي ويمكنُ أنْ تأتّى منهمُ المنافسةُ.

فإنهم اعترفوا أَنَّ شوقي أشعرُ من جميعهم وأقدرُ وأعمقُ وأنصعُ أسلوباً وأغزرُ بياناً وأروعُ دِيباجةً وأسحرُ ألفاظاً وأَجدُّ تركيباً وأفتنُ...!

هذا شاعرُ النيل حافظ إبراهيم يقولُ صراحةً يَوم رَثى الفيلسوفَ تُولستوي بعدَ رِثاءِ شوقي له ورثاء كبير كتاب العصر المحدثين الناثرين السيد مصطفى المنفلوطي..

رَثَاكَ أميرُ الشعرِ في الشرقِ وانْبرى   لمدحكَ مِن كُتَّاب مصر كبير
ولستُ أبالي حينَ أرثيكَ بعدَهُ   إذَا قيلَ عِنّي قَدْ رَثَاهُ صغيرُ

وحاشا أن يكونَ شاعرُ النيل صغيراً.. وإنما الذي حداهُ إلى قوْله ذلك سخريتُهُ ممن حطوا مِنْ قَدْرِ عبقريةِ شوقي لِصَيْدِ الشهرة ولو في المواطنِ المحرمةِ فيها الصيد.. نعم حافظ لم يكنْ ذا لسانين يقدحُ بلسانٍ ويمدحُ بآخرَ شأن المنافقين كما أراد أَنْ يُصَوِّرهُ بعضُ المهووسين المفتونين بحثالاتهم وإنما كانَ صريحاً كلَّ الصراحةِ.. هاهُوَ ذا يقولُ يوم إجماعِ شعراء العرب على مُبَايَعَتِهِ بإمارةِ الشعر:

أميرَ القوافي قد أتيتُ مُبايعاً   وهذي وفودُ الشرقِ قد بايعتْ مَعي
ألم يعلمُوا أَنَّا بذخرى نباغةٍ   نفاخرُ أهلَ الشرقِ في أيِّ مجتمع
فقل للذي يَبْغِي مَداهُ منافساً   طَمِعتَ لعمرُ اللهِ في غير مطمع

ومن هو الذي يستطيع منافسته هَبْ أنك شاهدتَ هِرةً تنافسُ أسداً بانتفاخِهَا وتقليص أشداقِها وزمجراتها زمجرة ذبابة في الكأس فإنَّ الهرةَ تَظلُّ هرةً والأسدَ يظلُّ أسداً ولو فَضَلَّ الهرة على الأسد ألفُ ألفُ كاتبٍ وشاعر.

وهذا شاعرُ القطرين خليل مُطْران الذي تحدث بجدةِ أُسْلوبه الركبان يقولُ عن أمير الشعراء:

وعرفتُ في نادِي البيانِ مكانه   ومكانُه الأسْنى بغير مراء
في كلِّ فَنٍّ من فنونِ قريضة   ما زَالَ فوقَ مطامعِ النظراء

ومهما يكنْ فَحِلْيَةُ العظماءِ البيانيةِ تظَلُّ رفيعةً ساميةً عِطَرةً وضاءةً فَوقَ فوقَ.. ولو أَنَّ صَاحِبَهَا تواضعَ بل إن التواضعَ هو ظاهرتُها التي تمتازُ بها.

وأنتَ لا ترى الكبرياءَ إلَّا مِنَ الحقراء مِنَ الصِّغار الذيـن هم.. تحتَ تحتَ...!!

وكما أَنَّ التواضعَ ميــزةُ العظمـاءِ فـإنَّ الكبرياءَ ميزةُ الحُقَراءِ وصَدَقَ الذي قال:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظـرٍ   على صَفحـاتِ الماءِ وهـو رفيعُ
ولا تـك كالدُّخـانِ يَعْلوُ بِنَفْسِـه   إلى طبقـاتِ الجـوِّ وهـو وضيـعُ

ولا يعزب عن البالِ أَنَّ التغني بِجدَّةِ البيانِ وسحرِهِ الحلال والفخر به سوىَ فخر صِغَار المحدودين والتغني بِهوَسِ كبريائهم الممقوت المضحك.

أجلْ شتان شَتَّان ما بينهما..

نعم فخرتِ الأجيالُ ببيان القرآن ومعجزاته وتحديه على مدى الآباد والآزال وكان ذلك حقاً.

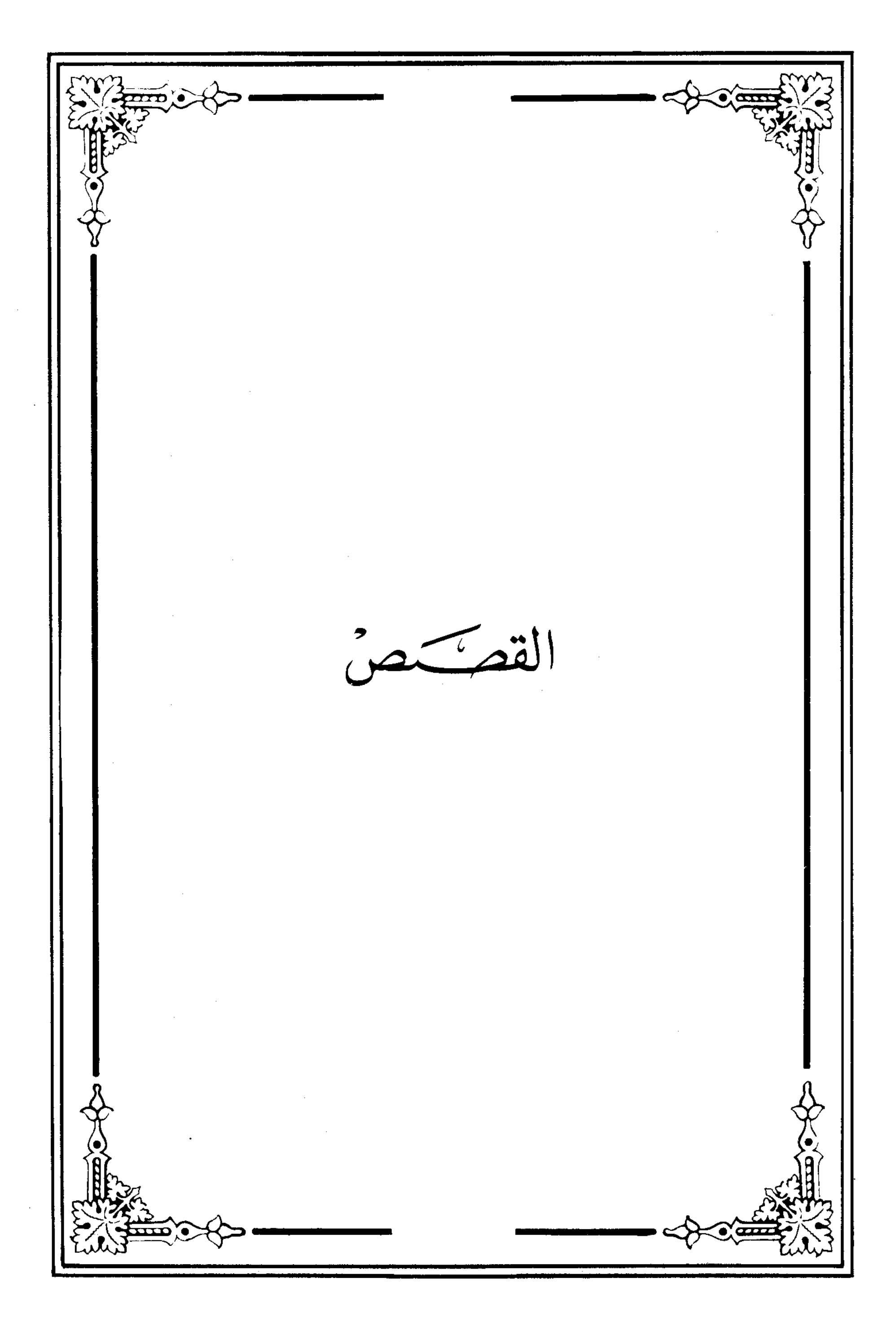
وبالتالي فخرت ببيان رسولِ الله ﷺ وكان هو حقاً أفصح من نطق بالضاد إذنْ فالْفَخْر بالبيان بينْ عباقرة البيـان هو حقيقـة ماثلة أبـداً أبداً ومقصودة.

ولماذا لا يفخرون والله جل جلاله أنزل على خاتم رسله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحمن (١) علَّم القرآنَ (٢) خلق الإنسانَ (٣) علَّمه البيان﴾ [٥٥] فالبيان هو لسان الدين والعلم والحق والحضارة والانتصـار اللهـم زد زد.





القصص

فن القصص

الكلمـــات

١ ــ اليد السفلى.

٢ ــ قصة واقعية.

٣ ــ أي بلد هذا.

٤ ــ عالمنا والقصة.

٥ ــ رسالة في قصـة.

٦ ــ قصة رجل حرباء.

٧ ــ رسالة مرسلة إلى الأستاذ عبد الكريم.

٨ ــ نبأ تكريم الكتاب في نادي مكة المكرمة.

٩ ــ قصة رفيف الأطيـاف.

١٠ ــ أريد زوجـــاً إنســـانـــاً.

١١ ــ منطـــق القصص.



(مدخــل)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً حمداً يا أرحمَ الراحمين، وخالقَ الخلقِ أجمعين وصلاة وسلاماً عليك يَا أشرفَ المرسلين وخاتمَ رسلِ الله أجمعين. . وبعد. .

١ ـ فَمـا أَوْسعَ النعم التي أغـدقَها اللهُ على أهـلِ هذه الجـزيرةِ العربيةِ. . هَا هِيَ ذِي تَتْرى وَافرةً رفَّافةً إلىٰ الأبـد. .

٢ ـ أنظرْ التاريخ تَجِدْهُ يَشْهَدُهَا خُصُوبةً في الْخُلِق، وسحـراً في الْبيانِ، وسمواً في الْفِكْـر، وَنُزوعـاً إلى الرُّشـد، وسَدَاداً في الرأي، وصعوداً إلى القمم

٣ ـ وَعَرَفهَا فيهمْ صَحْوَ سَماءٍ وَحَاسَّة شِعْرٍ، وإشْراقَ إيمانٍ وَصِدْقاً في الْقولِ والْعَملِ هٰؤلاءِ هُمْ أبداً على أُهْبةِ الاحْتِشادِ للتضحيةِ ساعة تَجِبُ التضحية. . .

وساعةَ يُنادي الْمُنَادي للحفـاظ علىٰ حِقٍّ وحيِ الله، وللحفاظِ على سلَامة السلوكِ وطُهْرِهِ.

ألَا تَزْدَهيــك مِنهمْ جلجلةُ أسلحةِ الحقِّ للذوْدِ عن الحقِّ، مِنْ كُلِّ طوارىءِ الوثنيةِ والشركِ. ومِنْ كلِّ مثيرِي الفتنِ والحروب.

ولنَ يَتمَّ الانتصارُ من اللهِ بتَأَكُدٍ إلَّا إذَا كانَ خالصاً لوجهِ اللهِ بتأكدٍ. في يقين أَعماقِ المجموعةِ النفسية.

سبحانَكَ يا قُدوسُ يا رَبَّ الملائكةِ والروحِ ، هذا البيانُ عَطَاؤُكَ وفي قصةِ اليدِ السُّفْلى تفصيلٌ عنه وعن الإيمانِ الصِّرف، وَسُمْوِّ إنسانِ الجزيرةِ، وعزةِ العفةِ. .

يَا إلٰهي أدينُ لك وَحْدكَ بيقينِ الإيمانِ، ولا أدينُ به لسواكَ. . فأنتَ وَاهب البيانِ لِمَنْ تشاء مِنْ عِبَادِكَ. .

التقليــد الفنــي

هذه الجزيرةُ مَهْبِطُ وحيِ اللهِ الخالد، ومنطلقُ مُثُلِه العليا، وهي يَنْبوعُ الهاماتِ السَّماءِ: والهاماتُ السماءِ تَظَلُّ بكراً بكراً، تُخْصِبُ الأنفسَ الْمَاحِلَةَ مِنْ حَقَائِقِ الروحِ ، بِحَقَائِق الروح.

ولكَ الفخارُ يا جزيرةَ الْعربِ، فأبْنَاؤُكِ الأصلاءُ لا يُقلدُّونَ الشرقَ، ولا يُقلدونَ الغربَ في بَيانِهِمْ لِماذَا لِماذَا يُقلدون، ومعجزةُ البيانِ المتحدي البكرِ ماثلةٌ في آدابِهِمْ في علومِهِمْ في أسمارهم في أقاصيصهم.

وبواكرُها سُحُبٌ مواطرُ بالجدةِ والإبداعِ ، فانىٰ يكونُ التقليدُ ولماذَا وَعَلامَ وَجمودُ التقليدِ لَا يكونُ إلَّا لدى بليدِ الطبعِ مرتابِ الأحاسِيس مُنْتكسِ الأخلاقيات المادية المُجَافِيةِ لطَبيعةِ هذه البلادِ المقدسة.

الــروايـــة

الرِّوايةُ تُلْمِسُكَ سَلاَسِلَ الْبيَانِ الْعَالِي وأقاصيصَ الْفَنِّ الرفيع.

يحسُّ المثقفونَ المطالعون إبداعَهَا يتفجَّرُ في أعماقِ نفوسِهم تفجيراً.

بكلِّ أحاسيسِ سُلوكِهِمْ خُذْ مثلاً عَفْـويةِ العفـافِ الحيةِ في دِمـائهم في نزعاتهم في تصرفاتهم.

هذا بركانُ الجِنْسِ الذي يَجْتاحُ البلادَ بالويلاتِ وَتَجدُهمْ مُدْركينَ أنه وسيلةٌ لا غاية، وطعمةٌ لاسْتقامةِ الخلقِ، لا نَهْمةً لِاعْوِجَاجِه.

والروايةُ بكلِّ اتِّجاهَاتِهَا رَوعـةُ الإفتنان في أَدَبِ القِصَّـة وكانَ شـاعرَ الْمملكةِ العبقريَّ المبدعِ السيد محمد حَسَنَ فقي، فِي يومٍ هَتَفَ بي - وَأَنا في مَكْتبِ الْمجلَةِ العربيةِ - وأخرجَ من حَفِيظتِهِ روايةَ اليدِ السفلى. وقال:

خذْهَا فهيَ روايةٌ مِنْ عَبْقريَاتِ الْبلادِ وهَي تَحْملُ صبغَتَهَا وَتقصُّ على النَّاسِ طَبيعتَها وتَرْوي لهم شَمائلها الساميةَ، ووراثاتِهَا الممتازةَ وإني أرغبُ إلى أديب مِنْ أبنائها أن يتعمقَها نظراً ويزيحَ السِّتـارَ عن جَوانِبَهـا الفنيةِ للمطالعين. لأنَّ سواهُ لَا يحسُّ أحَاسِيسَها بِفِطْرةِ وراثتِهِ وثَقافَتِهِ حتَّى يَسْتطيعَ ذلك. فأحببْتُ أن تكونَ أنت..

وفكرتُ في الأمرِ، وحَمدَتُ ثقتَهُ الغاليةَ وَتَناولتُ الروايةَ وكلِّي بَصَائِرُ وَفِكْرٌ وأَمانِي أن أوفَّقَ إلى السبحِ في المجرات..

واستعنتُ بالله أن أغوص وأغوص حتى أتمكَّنَ أن استخرجَ اللآلِيءَ من مَحَاراتها، وإنْ لم أتمكنْ فأيسر صُنْعي أن أهْتِفَ بشبيبتِنَا الشَّاديةِ، وأن أدلَّهم على اللئالِيءِ وأوْماتُ وأوْماتُ.. لكي يَنفَكُوا من انحطاطِ توافهِ القصص وَنفايَاتِها وخَبائثها. أجل لكي يَنفكوا ألا تراهم ظِماءً إلى الفن المثالي الرفيع وإلى البيانِ العربي العربق ابنِ الجزيرة البكر..

أي هم ظماءٌ إلى الرواياتِ المبتكرةِ الصارخةِ بسحرِ الفنِّ وجمالِهِ، ظماءٌ إلى القصصِ التمثيليةِ الخالدة..!!

أكْبرُ أمنياتِهم أن تكونَ هنا وهناك مباراتٌ دوريةٌ للقصةِ المثاليةِ الفنيةِ تَعْضدُهَا البدرُ المليونية. .

والأخلق أن تكون المباراة حيث يكون عكاظُ في عِزٍّ عنفوانِهِ، وحيثُ تكونُ آياتُ الكتابِ قبسة فَجْرٍ ورَّنةَ مِحْرابٍ وشوكةَ انتصاراتٍ وَتَحَدَّياتٍ. ومعجزةَ بَيَانٍ حيثُ البيانُ يُحْتذَى فَهيًّا إلى قِصةِ اليذِ السُّفلىٰ هَيًّا فإنها ذاتُ بَيانٍ يُحْتذَى. .

متعة فنية في قصة

ما أشْبه جلوسي إلى قصة فنية صحيحة البيان من الطراز العالي.

كقصة مجنون ليلى «أو مصرع كليوباترا» أو آلام فرتر أو رفائيل، أو سيد قريش أو تحت ظلال الزيزفون، أو البؤساء أو تِس أو فوست أو أهل الكهف أو الفضيلة أو فتح الأندلس أو على هامش السيرة ما أشبهه بجلوسي..

١ ـ على ضفاف شنيل تحت خمائل الغوطة في غرناطة..

٢ ـ أو على ضفاف البردوني في وَادي العرائش في زحلة..

٣ ـ أو على ضفاف بردى في ربوة دمشق.

٤ ـ أو في منتزة القناطر الخيْرية على ضفاف النيل في القاهرة.

هذا شأن ما يحسه ويتذوقه وينعمُ به كلُّ مَن كان يحمل نزعةً فَنَيَّةً أَوْ حِساً مُرهفاً، أو فكراً صحواً، أو فؤاداً وقادا يهفو إلى البيانِ وإلى مَطالع أنجمه، وخفقات جماله، ونفثات سحره.

وهذه النزعةُ المتَّيمةُ إلى البيان وإلى مطالع أنجمه سعدت بها، وتذوقت مفاتنها، منذ شرخ شبابي، وعنفوان شوكتي، ولهفات أشواقي تجاه كل أثرٍ فَنيٍّ عبقري رائع مدهش.

وهذه النزعةَ ذاتُها أحسستُها لما عكفتُ على مطالعة قصة اليد السفلى، مرة فمرة لمعالي الدكتور عبده يماني.

أحسستها، وأنا أتلَّمظ أحاسيسها الفنيَّة، البصيرة الحية بكل مواريث بلادنا واستجلي روعة أسلوبها وبراعة حوارها القصصي..

وكم استهامت أعين حواسي بمسارح صباي وهي مأخوذة بمفاتن جمالها، ولذات نشواتها، ونغمات بلابلها، وطيوب نَسَماتها وإشراق أطيافها ويفتنني وأنا أنساب شراعاً خَفاقاً في اضطراد أمواجها المتلاحقة وأعب على ظماءٍ سلسبيلَ بيانِها الصريح السليم مسحوراً مسحوراً.

وأنت أيها القارىء العزيز..

إن كنتَ سعودياً، أو من أبناء الجزيرة العربية، فلا بد أن تهزك مواهب بيئتك التي تطل عليك أطيافها من كل أنحائها، وتبهرك وتهيمن عليك، وتلذك طموحاتُ شبيبتِها الصَّاعدة من السفح إلى أعلى فأعلى.

والقصةُ في كل أنماطها مشاهدُ حيَّةٍ في رحبِ بلادِكَ، لها إيحَاءَاتها، ولها مواريثُها العريقة في مجموعتك النفسية.

ولا تنسَ - يا قارئي العزيز - أنها ثمرةُ اليراعة النَّابغة، وهوايةُ الفن الرفيع، ودفقُ البيانِ السهل الممتع، والواسطةُ في عِقْدِهِ.

إنها قصتُك وقصتي بل وقصةَ كلِّ الشبيبة الطامحة ألَا تجدُها صورةً حيةً وَجِدَّ صَادقةٍ، عن حَياتِك وحياتي، وحياةِ الإخْوةِ المواطنين في المدينة والقرية والبادية.

ولفتة فكرٍ واحدةٌ منكَ في وطنِكَ العزيز تجدُ الآلاف من الشبان الطامحين أمثال أبطال هذه القصةِ أحمد ووالدهُ والشيخُ باقيس، والشيخُ الإنسان الشَّهْم الشيخ عبد الحميد.

وأجدني لدى تحليلي لموضوعاتِ القصةِ مطبوعاً بقانون مسيرِ النَّمِلِ. لا

إنحرافَ لا انحرافَ..!! والانحرافُ في فلكٍ وأنا في تحليلِي لِلقصةِ في فَلَكٍ، وبين الفلكين بُعْدَ ما بين مغربِ الشمسِ ومشرقها..

وما تجدُه في تحليلي مِنْ نبضاتِ حيَّةٍ صارخةٍ في القصةِ هِيَ وَقَائِعُها من البداية إلى النهاية..

وكم في ذلك مِن كفايةٍ للمطالع... وإليكَ الشواهدَ: بَدأَ الكاتبُ القصةَ هكذا.

الفصل الأول:

تهزُّك فيه، فِطْرَةَ الإيمانِ المهيمنة، أُنظر معي البداية..

ـ «لقد أوشكنا على الوُصولِ إلى مكةَ.. لم يبق أمامنا إلَّا القليل..

ـ قال لِي أبِي ذلكَ، وقد بدَا عليه التعبُ والأعياءُ وكأنه كان يشجعني على مواصلةِ السير، بعد أن قطعنا تلك المسافةَ الطويلة سائرين على أقدامنا..

لم نركب خلالَها سوى شَطْرٍ من الطريق بقدر النقودِ القليلة التي كان بوسع أبي أن يدفعها. فقد كان يرحمه اللهُ فقيراً معدماً. غادرتُ معه قريتَنَا الصغيرة «بني فهم» ووجهتُنَا مكة المكرمة»..

هذا هو نسقُ الأسلوب الفني صاغة الكاتبُ متتابِعاً في هذه القصة، وهو أشبه ما يكون بالأَحْجار الكريمةِ في سلسلةِ العقد.

لكل حَجَرٍ لونُه... وصفاؤُه، وتألقُ جَماله، وجاذبيةُ سِحْرِهِ، وصياغةُ أسلوبه ونبضةُ حاستِهِ الفنية المحركَةِ في القصة..

خذْ مثلاً أسلوب عرضِ الشعائر الإسلامية في هذه البلاد المقدسة. أَلَا

تُحِسُّ أنها تلقاكَ طلقةً في سلوكِ أفراد الشعب السعودي شعيرةً شعيرةً، وتتقد في عزائمه اتقاد التزام واعتزامٍ في سُلوكِ فتيانه وفتياته، وشيبِهِ وشَبانه ومثقفيه وعامته.

أنظر إلى بطل قصتنا الصبي أحمد الذي لم يناهزِ العاشرةَ من عمره.

وإلى ما كان من أمره حين استوقفه والدُه وهما على هضبةٍ من الهضابِ المطلةِ على المسجد الحرام وأراهُ إيَّاهُ لأولِ مرة، وهو يقول له..

.... هذا بيتُ الله الحرام.

ولا يكادُ أحمد يشاهدُ البيتَ الحرام حتى يتوثَّبَ قلبُه في صدره ويخفق لجلال البيت، وروعةِ شهوده، ويَأخذُهُ عن نفسِهِ أيّما أخْذٍ. ويقول...

١ ـ نسيت نفسي. بل نسيت كل شيء.

٢ ـ نسيتُ الأهل الذين فارقتُهم، ونسيتُ إخوتي وأصدقائي الذِّينَ خلفتهم في «بني فهم».

٣ ـ نسيت حياتي. القصيرة كلها وترددي ما بَينَ المزارع وبيتنا المتواضع هناك.

٤ ـ نسيتُ ذلك كله، وما عاد في خاطري سوى مكةَ المكرمة التي كنت أراها أمامي والمسجد الحرام المبارك بمآذنه العالية، وعماراته الشامخة. وبيت الله العتيق ـ وسطه ـ في مَهابته وروعته.

وشعرتُ بروحي تَشِقَّ وتشفَّ حتى كأنها تحولتْ إلى طائرٍ سَبقني إلى ذلك المكان المقدس، يرفرفُ حولَه وسَيْطرَ عليّ خشوعٌ عميقٌ ترفرفت له الدموع في عيني وأحسستُ بأني قد الفتُ المكانَ، وهو على مَرْمىٰ النظرِ مني، وأنا لمَّا أَخْطُ إليه بعد...

وهكذا كلما تابعتَ مطالعةَ القصةَ تَتجلَّى لك فطرةُ الإيمـان العميق الماثل في صميم بيئتِنَا. بأزهى صـورة التي تميزُهُ عَن سِـواه في سائـر البيئات.

واسمع قول أحمد وهو إلى جانبي والده حول الكعبة.

«وطُفْنا بالبيتِ سَبعاً، وكنتُ في كلِّ شَوْط من أشواطِ الطواف أقبل الركن اليَماني، والثمُ الحجرَ الأسودَ، وكانتِ الفرحةُ تُطلُّ مِن وجْه أبي، وهو ينظر إلي. ويبتسم ابتسامَته العطوفَ التي لا أنساها أبداً، وهو يرانِي أفلتُ من يده متدفقاً نحوَ الركن لا قبله، ثم أعودُ إلى أبي مسرعاً، لأُمسك بيـده من جديد..»

الكلمة الأولى

مكانة قصة اليد السفلى في الأدب السعودي

هِيَ قصةُ الأدبِ السُّعودي الحديث الخالد، هي القصةُ التي تظهرُكَ على البـواعث الوِرَاثِيةِ المُلْهِمةِ في توجيهِ الأعْمالِ وَتَحْكّمِهَا بالتزامٍ. وَمَا كلُّ قِصةٍ هيَ نِتَاجُ عَبْقريةٍ فنيةٍ ملهمةٍ كما أَنه ليس كلُّ منظوم هو شعرُ شاعر..

نعمْ في الكلمةِ الأولىٰ أزحْت الستار عن النزعة الدينية ذات الأعماق البصيرة في أنفس أفراد شعبنا وجماعاته.

وفي هذه الكلمةِ تلاقَيك طَبيعةُ الأخْلاقياتِ في وطنِنَا في سَطْوةِ نزعَاتِها وفي فِتْنةِ رفَّاتِها، وفي عبقرياتِها وفي نَفـاذِ إراداتها تُـلَاقِيكَ في أعمـالِ المواطنين كتألق الْماسِ. لذى استخـراجِه صافياً آخَّاذاً أخّاذاً، هَائِلاً هَائِلاً.

وكمْ تسؤُوكَ مـا انحَطَّ من القصصِ وتنتقدُهَـا سَاخِـطاً وتذودُ عَنْهـا المطالعين إشفاقاً على أَلْسِنَتِهِمْ من الأخطاءِ، وعلى أخـلاقهم من الإِنْهيارِ.

أجلْ هي قصةُ اليد السفلى التي بلغتِ القِمةَ في الأدبِ السُّعـودي الخالدِ. أنظرْ هذا بَطَلُ القصةِ أحمد العظيم قَدْ جاءَ به والدُهُ مِنْ قريةِ «بني فَهْمٍ» إلى مكةَ وهو في حدودِ العاشرةِ، لكي يُعينه على قَسْوةِ الحياة بعمله صبيًّا في أحدِ مَنازلها.

ودرجَ أهلُ بلادِنَا على استخدامِ الصبيانِ، والقصةُ تعرضُ عليك ذلكَ عرضاً فَنِيًّا بَارعاً تَشُدُّ إليها المطالعَ شَدًّا بحرارةٍ...!!

انظـــــر . . .

هذَا والدُ أحمد يأخذُهُ إلىٰ دُكانِ الشيخ «بَاقيس» صديقِهِ في مكة. ليُدبِّرَ لَهُ عملاً في أَحَدِ منازِلِهَا. شأن الصبيان أمثالِه الذين يُؤتىٰ بهم إلى مُدُنِ المملكةِ مِنْ هُنَا ومِنْ هناك. . .!!

ورحَّبَ الشيخُ باقيس بوالدِ أحمد، وسأله عنهُ فأجابَهُ:

ــ هو ولدي جئتُ به، وأريدُ أن تهيءَ لَهُ عملاً لدَى إحدى الأُسر.

ــ جئتَ به في الوقتِ المناسبِ، إنَّ الشيخَ صلاحَ يبحثُ عن صبيٍّ في منزِلِه، وهو يريدُه صَغِيراً فِي مِثْلِ سِنِّ ولدِك. .

** . . ** . . **

وهنا الكاتبُ يعرضُ عليك ثلاثةَ منازل، أُسْتخدم فيها أحمد.

ويلمِسُك في المنازل الثلاثة، طبائعَ سلوكِ الأهلين عُلُواً وإسْفافاً كما هي في عين واقعها.

١ ــ منزل الشيخ صلاح.

وهو منزلٌ مُتَجهِّمٌ مستكبرٌ عنيد، لم يُطقْ أحمد المكثَ فيه أكثرَ من ثلاثةِ أيام. وعرضُ ذلك في القصةِ عَجَبٌ مِنَ الفنِّ، وبالحري لدى لقائه به لأولِ مرةٍ لدىٰ بابِ بيته اسْمعْ ما يقصُّه أحمد عنه. . .

: «ونظر إليَّ الشيخُ صلاحُ نظرةً مُتفحِّصةً، وكأنه يختبرُ مدى قدرتي على العمل، أو لعله اعتاد أن يلقيَ مثل هذه النظرة عندما يتحفصُ خروفاً يريدُ أنْ يشتريَهُ.

كانت نظرتُه. . . لا أدري ماذا أقولُ عَنْهَا ولا كيف أصفها. . ولكِنَّها في جميع الأحوال لم تعجبني، ولم تقعْ في نفسِي موقعاً حَسَناً، لأنها كانت

نظرةَ مُشترٍ يتفحصُ البِضَاعةَ المعروضة عليه.

وأخيـــــراً. . .

ـ مدَّ الشيخ صلاح يَدَهُ إلى ذِراعي وضغط عليه بقوةٍ، وهو يجذُبُني إلى الداخل قائلاً باقْتِضابْ.

ـ أُدخل . . . !!

ـ وشعرتُ بالألمِ الشديد في ذراعي، ولكنَّنِي تمالكتُ نفسي واسْتطعتُ أن أكتمَ الصرخةَ القوية التي كـادت أن تنطلقَ مِنِّي على الـرغمِ عنِّي، ودخلتُ إلى البيتِ وقد تَرسَّختْ في أعماقي تلك الكراهيةُ الشديدةُ لهذا الرجل. .

وقضيتُ في بيته ثلاثةَ أيامٍ. . . ثلاثةَ أيامٍ ليس غير. . كانَ يُعاملني خلالَها على أنني صبي لا أكثر ولا أقل. فما حاول أن يقومَ بلفتةٍ ما تشعرُني بأنه ينظر إليَّ، كإنسانٍ دخلَ الحياة من بابِها التعس.

ومع أن العملَ في بيته لم يكنْ مرهقاً إلا أنَّنِي كنتُ أشعرُ بغيظٍ شديد، كلما نَادانِي أحدُ أفراد عائلته بتلك الكلمة. . يا صبي.

وقلما كانُوا يُنادونني بـاسْمي. بل كـانوا في أحيـانٍ أخرى ينـادونني قائلين. . أنتَ يا. . . !!!

وأحمد لم يستطع أن يحتمل مثل هذَا السلوك المنحط، فَمَا وَسِعَه إلاَّ أن يَفرَّ بنفسه فراراً بتمردٍ وهو يقول.

ولم اتخذْ وجهتي شطرَ قريتي، فلقد كان الخلاصُ مِنْ منزل الشيخ صلاح هو الأهم وبعدَ ذلك قلتُ لنفسي كلُّ شيء يهون.

المنزل الثانـــي

في هذا المنزلِ نجدُ السلوكَ الحسنَ مُهَيْمِناً على كلِّ مُناسَباتِه وعلى كلِّ مواردِهِ ومصَادِره بصورةٍ عاديةٍ رتيبة.

أجل وَجَدَ أحمدُ نفسَه فيه بينَ أبوينِ رَحِيمِيْنِ يَرْعيانِه بالْحُسْنىٰ.. وينظرن إليه كإنْسانٍ مواطِنٍ عضَّ الدهرُ أهلَه بَنابِه..

فما سَمِع كلمةَ استطالةٍ ورعونةٍ وطَيْشٍ وغرورٍ لأنَّ سكانَه كانُوا بَشَراً.. وألفىٰ نفسَهُ حِيَالَ عَملٍ غيرِ مُرْهَقٍ، فرضيَ بِهِ وتدرَّبَ عليه وسكنَ إليه واطمأنَّ على هَوانِهِ للضرورةِ وللضرورةِ أحكامُها ولكنْ تلك الطمأنينةَ وذلكَ الرِّضَا لَمْ يَطُلْ.

لأنَّ الزوجةَ العليلَةَ لقيْتْ حتفَهَا، بعدَ ثلاثةِ أشهرٍ. وَلِذلكَ اضطرَّ الزوجُ الشيخُ أن يَنْتقلَ إلى دارِ ابنتِهِ في طَيبةَ المباركةِ واضْطُر أحمد أن ينتقلَ إلى منزلٍ آخر...

المنـزل الثالث

هو منزلُ الفئة المثالية النادرة من الأمة. هو منزلُ قَبَسٌ من منازلِ سلفِنَا الصالح الذين يقول الله فيهم ﴿**والسابقون السابقون، أولئـك المقربـون**﴾ [٥٦ ـ ١٠ و ١١] هذا المنزلُ عرف أحمدُ صِدْقَ الأسوةِ العملية بسلوكِ عَيْنِ إنسانِ النبوَّة ونورها الوهاج خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وفي هذا المنزل السلفي الصالح أحَسَّ أحمدُ أن العناية الإلٓهية سمتْ به سموَّها إلى مِثْلِ المنزل الأثير الذي تدلَّل فيه وتهذب أنسُ بن مالك أي منزل النبوة.

أجل طابت له الحياة في مَنْزل الشيخ عبد الحميد، ولَذَّ له العملُ، وزاوله بنشاطٍ وفرحٍ ولذة وأمانةٍ وإخلاص. وكان باعثه أمران.

١ ـ ما لقي من عنايةِ البر، ورعايةِ الخلق الكريم، والمودةِ ذاتِ المعاني السامية التي أشْعرتْه أنه واحدٌ من أهل البيت، لَا صبي خادم لديهم..

أيْ وجدَهُ مثلاً من النَّمطِ العَّالِي، وأنَّ شمائلَ أهلِه مِنْ فِطْرةِ بيئتِه السَّليمةِ، ومِنْ صحْوِ جَوِّهِ الصَّافِي في جَزِيرةِ العرب: وما قُلْتُه: أنَا هو اعترافُ أحمد نفسه.إسْمعْه إذ يقول ص ٤٨: ..إنَّ أهلَ بيتِ الشيخ الصالح عبد الحميد لم يُعَاملُونِي كصَبِيٍّ أبداً.. بَلْ كانوا جَمِيعاً.. السيد والسيدة وابنتهما يُعاملونَنِي كأيِّ فردٍ آخر في البيتِ، الأمر الذي كان يَدْفعُنِي لأَنْ أبذلَ كلَّ جُهدي لأرضائِهم، ولأُثْبتَ لهم أنهمْ قد وضعُوا ثقتَهم ومودتَهم في مَوْضِعها الصحيح..

وَغَابَ عني شعورُ الوحشةِ والوحدةِ والضياع. فوجدتُ نفسي كما أنا.. طِفْلاً ينعمُ في بَحْبُوحَةِ العيش، ناعمَ البالِ، مطمئنَ الخاطرِ. بل لعلي أعترفُ مع شيءٍ مِنَ الخجل بأنني كِدتُ أنْسيَ أهْلي وقريتِي وكلَّ ما ألفتُه في سابقِ أيامي مِمَّا كنتُ أعتبرهُ دُنيايَ التي لا أرضى سِواها..

وكنتُ ادَّخر الأجر الذي أحصلُ عليه كاملاً، فما كنتُ بحاجةٍ لشيءٍ، لدرجةِ رَجْوتُ الشيخ عبدَ الحميد معها وهو يسلمُني أجْري مرةً أن لا يَفْعَلَ، لأنَّ مُعاملَتَهُ لِي كانتْ تَجْعلُ أخذي للأجْر انْتِقاصاً مِنْ عرفاني لجميلِهِ، ولكنَّ الشيخ عبد الحميد أصرَّ وقال وهو يسلمُني ثلاثينَ ريالاً:

ـ إنني أعرف الظروفَ القاسيةَ التي دفعتْكَ للعملِ.. لقدْ حدَّثني

الشيخ باقيس بكلِّ شيء. وأنا لا أعتبرُ هذا المبلغَ أجراً وانَّما هو مجردُ هديةٍ مِنِي لولَدي. . .

وبكيتُ يومَها تأثراً وقلتُ له وأنا أتناولُ المَالَ منه.

ــ أطال اللهُ عَمركَ يا عَمِّي، ولا أَحُرِمْنَا مِنك أبداً. .

هكذا صارتْ حياتي في هذا البيتِ ستةَ أشْهر كاملةٍ لم يحدثْ فيها ما يُنغصُ على عَيْشي بشيءٍ وكثيراً ما كنتُ أفكر متسائلاً كيف يختلفُ الناسَ بعضُهم عن بعضِهم في الأخلاقِ والطباع وإن هم تشابهوا في الأشكال والتكوين.

كم كان الفارق جَسِيماً ما بينَ الشيخ عبد الحميد والشيخ صلاح مثلاً. . فالأولُ قد وهبَ نفسَه وروحَهَ للخير ومدِّ يدِ العَوْنِ للناسِ، فطاب ذكرهُ وسارتْ سيرتُهُ بينَ عَارفيهِ مقرونةً بمباراتِ المحبةِ والثناءِ والاحترامِ، والثَّاني عاشَ لنفسِه دونَ أَنْ يخطرَ ببالِهِ أنَّ هذا «الصبي» الذّي يؤذيهِ إنَّما هو إنسانٌ يُحِسُّ ويشعرُ ويأملُ ويحلمُ ويسعدُ ويتألمُ مثله.

صدق صَدقَ الذين قالُوا. . «الرجلُ العظيمُ يعملُ ليجعلَ أفرادَ أمتِهِ عظماء، والرجلُ الحقيرِ يعملُ ليجعلَ أفراد أمتِهِ حُقراء». أي وفَقْ أحاسيس كلِّ واحدٍ منهما والشيخ عبد الحميد عظيمٌ، بل وعظيمٌ جداً أَمَا بذل كلَّ جُهدِهِ ليكونَ أحمد خادمه عظيماً، أمـا مهَّد له سبيلَ العلمِ حتَّى بلغَ الغـاية. وإن عاودَتْ نفسَه حاسةُ الشعورِ بالنقص ـ إنَّه اليد السُّفْلىٰ ـ . . فمأتَاهَا من طبيعةِ وَضْعه في المنزل. وإلاَّ فهو رَافِهٌ فيه رفاهَةَ أهلِهِ المهذبين بمُثلِ الإنسانيةِ العليا التي أوحاها اللهُ أي رفاهة أعمالٍ حيةٍ غَاديةٍ رائحةٍ في طموحٍ، لا رفاهيةَ أقوالِ ميتةٍ تُطالعُكَ بخديعةِ السرابِ في الألسنةِ. . !!

والشيخ عبد الحميد لو لم يكنْ شُعْلةَ قبسٍ مِنْ هُدى النبوةِ وبصيرةً وروحاً إنسانياً عالياً ونبلَ برٍّ وبركة لأحمد فحسبْ بَلْ كان لكلٍّ الناس ومن أجل ذلك فقد أَعد لأحمد.

١ ــ الدراسةَ الابتدائيةَ ليلاً.

٢ ــ والدراسةَ الثانوية نهاراً وأتىٰ بدادة جمعة إلى المنـزل، لتتولَّى العمل فيه نيابةً عنه..

٣ ــ وبعد نيلِ الشهادة الثانوية هيّأ له الجامعةَ في القاهرةِ لِدِراسةِ الطب.

أمَّا كيف تَمَّ ذلك وما كانَ من أمرهِ وأمر عزيزة سَيُزفّ إليكَ في أثوابه الفتنةِ الرائعة في الكلمةِ التالية.

الكلمة الثانية

الأسلوب في قصةِ اليدِ السفلى

الأسلوب الفني القصصي العالي

الأسلوبُ الفنيُّ القصصيُّ العالي هو لَمساتُ أحاسِيسِ الفنِّ، ونشواتُ هُواتِهِ وَرَنَّاتُ مزاهِرِه ومفاتنُ جَمالِه، وهواتفُ بَيَانِهِ.

١ ــ بلغةِ الزهورِ.

٢ ــ بلغةِ الطيور.

٣ ــ بلغةِ الأحْلام.

٤ ــ بلغةِ السحر الحلال.

الأسلوبُ الفنيُّ القصصيُّ العالي رَفَّاتُ أَنْجمِ البيانِ، وَطُيوبُ أنْفاسِهم، وَسُموُّ عواطِفهم وطموحُ أمانيهم.

وقصتُنَا هذِهِ تطالعُكَ بواقع مواطنينَ أحياءَ، تَلْمَسُهُمْ في سُمُو تَحاوِرِهِمْ لَمْساً، وتتذوقُهم في رِقةِ شَمائِلهم، وطيبِ نزعاتِهم، وَعُذُوبةِ بَيانِهم السَّليمِ: وبيانُهُمْ متفجرٌ مِنْ ينابيعِ عَبْقر، وناهيك بالبيانِ المتفجرِ في يَنابيع عبقر إنهُ نَشَواتُ صَبَابـةٍ وسحرٍ، وحسبه سُمُواً أنَّ عليه سماتِ كاتبِهِ، مِنْ دَعَةٍ ووداعةٍ وحِشْمةٍ وعفافٍ وإباءٍ وطموحٍ وجاذبيةٍ، ونبالةِ خُلقٍ وسطوةِ حَقٍّ.

وتلك هِيَ سماتُ بيئتِهِ العربيةِ العرباء. ولكي يتأكدَ المـطالعون مِنْ

بينَاتِ فَجْرِها الصَّادقِ أُزْجِي لهم بعضَ الشَّواهِدِ مِنَ القصةِ: مثلَ قولِه في المقدمةِ عَنْ شُغْلِ الفنانِ بفكْرةِ كَلِمةٍ، وصياغتها صياغةً عبقرية:

ص ٤ ... ففكرةُ الكلمةِ... المرادُ قولُهَا... تظلُّ تلحُّ على صاحبِهَا وترافقهُ في يقظتِهِ ومنامِهِ، وتكونُ شُغلُه الشاغل في واقعِهِ، وفي أحلامِهِ، وتطرقُ بابَ ذهنِهِ بقوةٍ وإلْحَاحٍ، لا يصدُّهَا تجاهلٌ ولا نسيانٌ وهَذا وضعُ صياغتها.

بل إنَّ الفكرةَ قَدْ تُعايشُ صاحبَها سنواتٍ تلحُّ عليه، وتطرقُ بابَ عقلِه، وتقلقُ عليه منامَهَ وراحتَهَ، فتسْعِدُهُ بقدرِ مَا تُشْقيهِ، وتمتعُهُ بقدرِ ما تعذبُه، فما يجدُ وسيلةٍ ـ بعدَ ذلك كلِّهِ للخلاصِ من ذلك المزيج مِنَ المتعةِ والعذابِ إلَّا أنْ يخرجَ بفكرتِهِ إلى النور...

قصيدةً كانتْ، أو لوحةً أو لحناً أو جُمْلةً..

ص ٤ و ٥ وأَنَّا لَنَعْلمُ أنَّ النتاجَ الفنيَّ الذي هُو بينَ أيدي أبناءِ البشريةِ جمعاء، لَيْسَ كلُّه مِنْ قبلِ مُنْتجين مُحْترفينَ، لأن الإحْترافَ ـ في الأساسِ ـ ظاهرةٌ جديدة في دنيانَا وما زالت مقتصرة ـ من حيثُ مَرْدُودُهَا كموردٍ للحياةِ ـ على مُجْتمعاتٍ قليلةٍ معيَّنةٍ في بعضِ البلاد.

١ ـ هناك أطباء أنتجُوا روائعَ من القصص..

٢ ـ وهناك مهندسون وعلماء أعطوا روائعَ من الإنتاج الفكري.

٣ ـ وهناك عسكريون وضعوا تحفاً من النتاج القصصي والشعر والموسيقى فالكلمةُ التي يريد صَاحِبُها أن يقولَها شيءٌ وسمْتُهُ في الحَيَاة شيءٌ آخرُ تماماً.

أمثلة في القصةِ من الأسلوبِ الفني العالي

تجدُ في الفصلِ الأول من القصةِ والدُ أحمد يتحدثُ إليه عن العَنَتِ

الذي يُلاقيـهِ مِنْ أجلِ تغذيةِ أفرادِ العائلةِ، وقد كثرُوا وكانَ ذلك في فَجْرِ اليوم الثّانِي. وهَمَا في مكةَ المكرمة.

ص ١٨ .. إسْمعْ يَا ولدي... هٰذَا فجرُ يوْمٍ جَديدٍ. لكنَّه يومٌ لَا ككلِّ الأيامِ بالنِّسبةِ لَكَ أو لِي.. إنه أولُ أيامِكِ في مكةَ ولقدْ جِئْتُ بكَ إلى هنا لكيْ تَعْملَ وتُساعدُني بالأجرِ الذي سَتُحصِّلُ عليه، فأنتَ تعلمُ، يـا وَلدِي، كم تُرهقُني تكاليفُ الحياةِ كي أنفقَ على أهْلِكَ وإخواتك هُناكَ..

ـ ولم أُجِبْ بشيءٍ.. أطرقت برأسِي وَرُحْتُ... أتمعَّنُ فيما قَالهُ أبِي، وانْتقلتُ بأفكارِي إلى هناكَ... حيثُ الأهلُ والإخْوةُ والْعائلةِ...

ورحتُ استعرضُ في خَيالي أيَّامِي السـالفةِ في قـرْيتي حيثُ قضيتُ السنواتِ القليلةَ التِّي عشتُها في لَعِبٍ ومَرحٍ دونَ أنْ يخطرَ لِي بِبَالٍ - ولا خطرَ لأحدٍ مِنْ إخْوتي - كيفَ كانَ والدُنا يُؤِّمنُ لنا أسبابَ الحياةِ وتكاليفها ومتطلباتِهَا..

وفهم أحمدُ مغزىٰ حديثِ والدِهِ واستغرقَ يُفكِّر فيه.

ص ١٨ و٢٠ .. ويبدُو أنَّ اسْتغراقِي في أفكاري قَدْ طالَ أكثرَ مِمَّا كانَ أبي يُقدِّرُ، فَحَسِبَهُ تَردُّداً أو رفضاً. إذ قال لي بلهجةٍ لم أسْمعْها مِنه قَبْلاً..

ـ إنَّكَ أكبرْ إخوتك يَا أحمدُ... وأكثرُهم فَهْماً ووعياً... وأحسَبُ أن حالنَا لا تَخْفاكَ أبداً ولا أجدُ معها دَاعِياً لأنْ أشرحَهَا لكَ وأزيدَكَ عنها إيضاحاً.

وآلمْتنِي لهجةُ أبي التي كانتْ أقرب إلى رنةِ الاعتذارِ أو التبرير. فرفعتُ رأسي إليه وكان جوابي على كلامِهِ ابتسامةً عريضةً تُغْنِي عَنْ كلِّ كلام..

وفهم أبي مغزى ابْتسَامَتي فبـادَلَني بمثلِهَا، وضمَّنِي إليـه يقبلُني في حَنانٍ، وقال لي بتأثُّرٍ.

ـ بَاركَ اللهُ فِيكَ. . . باركَ اللهُ فِيكَ يَا بُنيَّ. . .

فقلتُ وابتسامَتي تزدادُ اتِّساعاً.

ـ وهلْ يخطرُ لكَ، أبقاكَ اللهُ يا أبي. أَنْ أعْصي لَكَ أمراً أو أنكصَ عن تنفيذِ رَغْبتك . .

ـ هٰذَا هُوَ أَملِي فيكَ يَا وَلدِي. . .

الوالدُ يُودِّعُ ولدَهُ

ص ٣٣ . . وجلستُ وقلبي يتوثَّبُ بينَ أَضْلُعِي. . هلْ أرى أَبِي مرةً أخرىٰ. . . هلْ يَعودُ إلَيَّ الاطمئنانُ الذي فقدتُهُ منذُ ثَلاثةِ أيام. . هَلْ يُزايلُني هذا الشعورُ بالخوفِ والضَّياعِ والْوَحْشَةِ الذّي سَيْطر عَلَي مِنذُ أن تركتُ أبي قبلَ ثَلاثةِ أيامٍ. . .

يَذْكرُ أحمدُ الرجلَ الذي عَمِلَ في منزِلِه، وكيفَ أحتفي به بَاقيس.

ص ٣٥ و٣٦ . . ورحَّب به الشيخُ باقيس. وأفسحَ لَه مكاناً بجانِبه، وأقبلَ عليهِ يُبَاسِطُهُ في الحدِيثِ بصورةٍ تدلُّ على أنهُ يُكِنُّ له مَودةً خاصَّةً. وصاحَ بي طالباً أن أقدم الشاهي للشيخ. وراحَ الحديثُ بينهما يتشعَّبُ في مِخْتلفِ الْمواضيع. . عن الصحةِ. . عن الأحوالِ. . عن الدنيا. . . عن الأهلِ عن الأصدقاءِ والمعارفِ. . عن فـلانٍ مِنَ الناسِ. . وعن فـلانٍ آخرَ. . من أصدقائهما المشتركين. . وبينما كنتُ أُقدم لهم الشاهي قـال الرجلُ. .

ـ على فكرة يا باقيس.. هَلْ تعرفُ لنا صَبِياً.. في الحقيقةِ نحنُ في حاجةٍ إلى صَبيٍّ يعملُ عندَنَا في المنزل...

ولشد ما كانَتْ دَهْشتِي عندمَا سَمِعْتُ باقيس يقولُ للرجلِ بِبَسَاطةٍ..!!

ـ هذا هو أمامَكَ.. تَسْتطيعُ أن تُجرِّبَهُ..

ونظر إليَّ الرجلُ نظرةً فَاحِصَةً مِنْ وراءِ زُجاجِ نَظَّارَتِهِ السميكةِ ثم قال:

ـ يبدُو لي أنه لَا بأسَ بِه.. مَا اسْمه..

ـ اسمه أحمد.. أحمد بن عيضة.. جاءَ بِهِ والدُهُ. وهْوَ صَدِيقِي. وفيهِ الخير إنْ شاءَ الله.

ـ اعتقدُ أنه يصلحْ.

وإليك حواراً جرىَ بين الشيخ باقيس وأحمد بعد تركه لبيْتِ الرجل الطيب.

ص ٤١ .. لم يكد الشيخ باقيس يَراني حتى حَيَّاني بحرارةٍ تختلفُ عن طريقتِهِ السابقة مَعي.

وعزوتُ هذه التحيةَ إلى رَضَاه عنِّي بعد أن كفيتُه أمري طوالَ المدةِ التي قضيتُها في منزل ذلك الرجل الطيب. وطلب لي الشيخ باقيس الشاهي. وأجلسنِي قربَه وأَوْلانِي كلَّ اهْتمامِهِ وهو يقول:

ـ ما شاءَ الله.. لقد كبرتَ يا بنيَّ خلالَ هذه المدةِ..

وأطرقتُ في خَجلٍ. فأسرع الشيخُ إلى القول..

ـ أعرفُ لِمَ جئتَ.. حدَّثني الرجلُ عنك.. لقد أثني عليك ثناءً عَاطِراً ليس بعدُه ثناءَ..

وهزَّ باقيسُ رأسَهُ بَاسِماً وأردفَ..

ـ يرحم اللهُ زوجتَهَ.. لقد كانتْ سيدةً فاضلةً بكلِّ معنى الكلمةِ.. هذا أمرُ اللهُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ..

أحمد يصفُ اهتمامَه بمنزل الشيخ عبد الحميد وفرحه به.

ص ٤٣ .. أجل لقد كان ذلك اليوم هو البدايةُ الحقيقية للتَّحولِ الْعظِيم الذي وقعَ في حَيَاتي والذي حوَّل مسارَها ـ بعد ذلك ـ تحويلاً أسَاسِيًّا، كان بدايةَ صفحة جديدةٍ تختلفُ كلَّ الاختلافِ عِن كلِّ مَا مَرَّ بِي، وعما كنتُ أتصورُهُ أو يتصورهُ لي أبي والشيخُ باقيس في العملِ كصبيٍّ يخدمُ في المنازل..

أحمدُ يصفُ منزل الشيخ عبد الحميد..

ص ٤٣ .. كان بيتاً كبيراً، أو هو قصرٌ صغيرٌ يَنِمُّ عن الرخاءِ واليسر، قد بُنِيَ على ذلك الطراز التقليدي المحبب الذي نراه بكثرةٍ في مكةَ المكرمة وجدة..

وكان الأثاثُ جميلاً، فَاخِراً مِنْ غَيْرِ تَرفٍ، وكلُّ شيْءٍ في المنزلِ يُوحي بالارتياح والاطْمِئْنَان.

اسمعْ أحمدَ يصفُ لك الطريقةَ البارعةَ التي عرضَها الشيخُ عبد الحميد لكيْ يُعلِّم أحمد وَيحثُّه ليكونَ إنساناً محترماً.

ص ٥٣ و٥٤ و٥٥

قـــال :

ـ اسمع يا أحمدُ. أنت تعلم أنني اعتبرُكَ كأحدِ أبنائي.

ـ وإنني لفخورٌ بذلك يا عَمي..

ـ ولهذا استدْعَيْكَ الآنَ.. لأنني أريدُ منكَ أَن تُوجِّهَ حَياتَك وجهةً صحيحةً..

ـ إنَّني لَا أشكُــو مِنْ شيءٍ.. وأعتقــدُ أنني أسيــرُ في الــطريقِ الصَّحيحِ.. بفضلِ اللهِ تعالى ثم بفضلِ عطفكَ ورعايتكَ..

ـ اسمعْ إليَّ با بنيَ ولا تُقَاطِعُنِي.. فأنا لم أُنادك الآنَ كيْ نتبادلَ عباراتِ المجاملة..

فالتزمتُ الصمتَ وقد عجزتُ تماماً عن اسْتِكْناهِ الغايةَ التي استدعانِي الشيخُ من أجْلِهَا.. وقلتُ في نفسِي إنَّه لو أرادَ أَنْ يطردَنِي من العملِ، أو أن يُزْجِي إليَّ بأي نبأ شيءٍ.. لَمَا خَاطَبنِي بهذهِ اللهجةِ الوديةِ الحَانية.

ثُمَّ.. ما تكون تِلْكَ الوجهةُ التِّي يُريدُني أَنّ أوجَّه حَيَاتِي إليها.. إنني - هُنا ـ على أفضلِ ما يُرامُ.

وقطع الشيخُ عبدُ الحميد على أفكاري حينَ تناولَ مِنْ جَانبِهِ ورقـةً مطويةً، دفعَ بها إليَّ وهو يقولُ لي بِهُدوءٍ تَام.

ـ اقرأْ لي هذه الورقةَ.. إذَا سَمَحتَ..

فتناولتُ الورقةَ بيدٍ مُرْتَجِفَةٍ ورحتُ أجيلُ بَصري الزَّائغَ بينَ سُطورَهَا مُتَسَائِلاً عَنِ الْغايةِ التي يَرْمي إليها الشيخُ وهو يعلمُ تمام العلمِ أنني لا أعرفُ القراءةَ ولَا الْكتابَة.. أَفتُراهُ كانَ يَسْخرُ مني حينَ أعطاني هذه الورقة وطلبَ إليَّ أن أقرأَهَا..

ورحتُ أحدِّقُ في الورقةِ وقد غَمرني خَجلٌ شَدِيدٌ، إذْ لم تَكُنْ بالنسبةِ لِي أكثرَ مِنْ خطوطٍ وأَشْكالٍ ونقاطٍ لَا أكادُ أعرفُ مِنهَا شَيْئاً..

ووضعتُ الورقةَ في حجري وأطرقتُ في خَجَل قائلاً...!!

ـ إنني .. إنني لَا أعرفُ القراءةَ.. ولكنّني أستطيع قراءة جانبٍ مِنَ القرآنِ الكريم..

ـ إنك تعرفُ أن تقرأَ بعضَ آياتِهِ.. وأنا واثقٌ مِنْ أنك تعتمدُ في ذلك على ذاكرتِكَ أكثرَ مِمَّا تعتمدُ على ما تعرفُ مِنَ الحروفِ.. هَلْ هذا صحيحٌ أم لا..

وهمستُ والخجلُ يكادُ يقتلني.

ـ أجلْ يا عَميِّ..

ـ إذنْ.. فاعلم يا بُنيَّ إنني اسْتدعيتُكَ كي أطلبَ إليكَ أن تَبْدأَ مرحلةً جديدةً مِنْ حَيَاتِكَ..

فتتلقَى العلمَ أسوةً بمنْ همْ في مِثْلِ سِنِّكَ..

ـ أتلقى العلمَ.. كيف السبيلُ إلى ذلِكَ.. إنني كما تعلمُ يا عمي.

وقَاطعَني الشيخُ بسرعةٍ قائلاً:

ـ أعرفُ أنكَ مشغولٌ بعَملِكَ في النَّهارِ ولكن هُناكَ مَدارسُ ليليةٍ تَسْتطيعُ الإلْتحاقَ بإحْداهَا..

وهيَ إنَّما أُفْتُتِحَتْ مِنْ أجلِ أمْثَالِكَ مِمَّنْ لَا يَسْتَطِيعونَ الدِّراسةَ فِي النَّهار..

وركضَ قلبي بين ضُلوعِي فَرحاً.. فالشيخُ ـ جَزاه اللهُ كلَّ خيرٍ ـ قد درسَ مُشْكلتِي ووجَدَ لها حَلاًّ.

ورحتُ أواصلُ الإصغاءَ إليه.

ـ سوف أساعدك على الالتحاقِ بإحْدَى المدارسِ الليليةِ القريبةِ لأنني أُريدك أن تتزوَّدَ بسلاحِ العلمِ فليس معقولاً أن تَظَلَّ طولَ حَيَاتِك خادماً في المنازلِ.. وإنَّني لأُصارِحُك بأنني أعتبرُ أنَّ مِنَ العارِ عليَّ، أنا شخصياً. أنْ يُوجدَ في داري إنسانٌ جاهلٌ وأنا رجلُ عِلْمٍ.. فكيف أقومُ للتدريس في المسجدِ الحرام وبجَانِبي إنسانٌ يَهُمنِي أمرهُ لم يدخلْ إلى قلبِهِ، بعدُ. نورُ العلمِ... هذا لا يجوزُ..

ـ صدقتَ يا سيدي..

وما أروع وصف أحمد القَصصي الْفَنِّي في سَمَاعةِ نبأ نَجاحِهِ في الشهادةِ الثانويةِ إنه غايةٌ في الإبداع الفني الرائع وذلك بعدَ نهايةِ الدراسةِ في المرحلة الثانويةِ. وإنك تُحِسُّ أنَّ أحمد يعيشُ في أَسرةِ عاليةِ الأخلاقِ جدًّا جداً وأنه بين أهلهِ وذويهِ..

ص ٦٤ و ٦٦ و٦٧ و٦٨

وانتهيتُ من المرحلةِ الثانوية:

ويومَها جئتُ فَرِحاً إلى المنزلِ، أزفُّ البشرىٰ إلى عَمِّي الشيخ عبد الحميد وأبلغه بأنني قد أنهيت من الامتحانات وإنني آمل في النجاح بإذن الله.

وكعادتنا كلَّ صيفٍ كُنَّا، في نفسِ الفترةِ نَسْتعدُّ للإنْتقالِ إلىٰ الطَّائفِ لِقَضَاءِ هذا الْفَصْلِ فيهَا وبعدَ أن اسْتكملْنا استعداداتِنَا، وَضَعْتُ الحقاءِبَ في السيارةِ، وتولّى الشيخ عبدُ الحميد القيادةَ بينَما جَلَسَتِ السيدةُ وَسَطَ المقعدِ الخلفي وجلستُ أنا على يَسارِهَا، وجلست عزيزةُ إلى يَمينهَا وراحتِ السيارةُ تقطعُ الطريقَ بنا مِنْ مكةَ إلى الطائفِ وقد سَادَ الصمتُ وَخَلاَ كلٌّ مِنَّا

إلى أفكارِهِ الخاصةِ بينما كانَ راديوُ السيارة مفتوحاً دونَ أن يلقي أحدٌ إليه بالاً . .

وفجأة أعلنَ المُذِيعُ بأن نتائجَ الثانوية العامة سوفَ تعلنُ بعدَ قليلٍ ، فانتبهْنَا جميعاً على الفورِ وتصلَّبَ جِسْمي في اهتمامٍ زائدٍ بدَا على وَجْهي الذي اكتسىٰ شحوباً مُفاجئاً وتبادلْنا جميعاً نظراتٍ تدلُّ على مـا أحدثت كلماتُ المذيع في نفوسِنَا من تَوَتُّرٍ وقَلَقٍ . .

وقال الشيخُ عبدُ الحميد دون أن يدير وجهَهَ وهو يركز انتباهَه على الطريقِ مستديراً عندَ أحدِ المنعطفات .

ــ هِه يا عم أحمد . . سنرَى الآن النتيجة .

وتمتمتِ السيدُةُ بحرارةٍ مُؤثرَّة .

ــ ناجحٌ بإذنِ اللهِ . . ناجحٌ . .

أما عزيزة فقد القتْ عليَّ نظرةً باسمةً ، فلاحـظتْ شحوبي ، وقَلقِي وقالتْ في هدوءٍ .

ــ اطمئِنْ يَا خَوَّافَ . . مَا دُمْت قَدْ درستَ جَيِّداً كما رأيناكَ ، وأديتَ الامْتحانَ بشكْلٍ مُناسبٍ فَلِماذَا يبدو عليك القلق . .

ولم أجِبْ بل بلعتُ ريقي بصوتٍ مسموعٍ دَلَّ على ما كنتُ أشعرُ به من جزعٍ وقلقٍ وراحَ المذيعُ يقرأُ الأسماءَ . وكلُنَا آذانٌ صاغيةٌ . . .

وكلما ذكر المذيعُ اسمَ «أحمدَ» تنبهْنَا جميعاً ، وَقَفز قلْبي إلى حَلْقِي ، ثُمَّ نَسْترخِي عندَما يَتبينُ أنه ليس اسْمِي . .

وصمتَ المذيعُ . . وَطَالَ صَمْتُهُ كَما خُيِّلَ إليَّ ، فشعُرْتُ بيأسٍ قَاتِلٍ يَجْتاحُنِي مِنْ قِمَّةِ رأسي إلى أخمص قدميَّ ، وعدْنَا نتبادلُ النظراتِ ، وبدتْ

عزيزةُ وكأنها تُشاركني يأسِي، إذ بات مؤكداً أنني لم أنجحْ، وإنَّ الآمالَ العراضَ التي كانتْ تملأ عَليَّ نفسِي قد ضاعتْ وتلاشتْ. .

ولم يتكلمْ أحدٌ مِنا، ولكنْ صمتُنا الأَسِيف كَانَ أبلغَ من كلِّ كلام.

وقبلَ أن استرسلَ كعادَتِي في أفكاري سمعْنا صوتَ مُذيعٍ آخر يتكلمُ.

نستأنفُ الآن إذاعةَ بقيةِ نتائج امتحاناتِ الثانوية العامة. .

فتنهَّد عَمي بارتياحٍ وقال ضَاحكاً وهو يوجه كلامَهُ إلى المذيع:

روح يا شيخ. . الله يسامِحُكَ نَشَفتَ دَمنَا. .

وهزتِ السيدةُ رأسها وقالتْ:

أي والله. . نشَّفَ دمَنَا. . حسبْتُ أن تلك الأسماء هي كل ما لديهم من الناجحين. .

وقالتْ عزيزةُ ضاحكة. . :

ـ هل نسيتُمْ أنَّ المذيعين يتعاقبونَ على قراءةِ الموادِ الطويلة.

وقال الشيخُ ولهجتُهُ كلُّها أملٌ وَرَجاء. .

ـ على اللهِ. . على الله يا ابْنِي. .

ولم أُعلق أنا، بحرفٍ واحدٍ. . فقد كانتِ الهزةُ التي انْتابتْنِي بسببِ عَدَمِ إذاعةِ اسْمي قد جعلتْنِي في حالةٍ من اليأسِ لم أعدْ أهتم معها بمتابعةِ الاسْتمَاعِ إلى بقيةِ الأسماءِ. .

وراح المذيع يقرأ الأسماءَ. . عشرات الأسماء وليس بينها جميعاً اسم أحمد بن عيضة «الذي هو أَنَا وتمنيت أَنْ أصرخَ وأن أرجو الشيخ عبد الحميد أَنْ يقفلَ الراديو فما عادتْ لديَّ أعصابٌ تحتملُ أن أسْمعَ اسمَ

«أحمدَ» متبوعاً باسمِ عيرِ اسم أبي فلقد بتُّ علي يقينٍ مِنْ أنني قد خسرتُ الجولةَ وَخُيِّبتْ الآمال..

ـ أحمد بن عيضة..

هكذا قال المذيع ببساطةٍ وهو يتابعُ قراءة الأسماء.. غيرَ عالمٍ بالدوي الذِّي أحدثتْهُ كلماتُهُ في سيّارتِنَا التي كانتْ تُواصلُ سيرَهَا في طَرِقِهَا إلى الطائف..

ـ هيــه ..

صرختُ أنا دونَ وَعْيٍ وأردفتُ بحماسةٍ وفرحٍ شَدَيدين..

الله أكبرُ .. هذا اسْمي .. هذا اسْمي..

وضحك الجميعُ، وحلَّتْ السَّعادةُ الشَّاملةُ محلَّ اليأسِ القاتل الذي خيَّم على الوجوهُ الشامل الذي ساد السَّيارة.

وتطايرت عباراتُ التهنئةِ داخلَ السيارة.

ـ مبروك يا أحمد.

ـ مبروك يا ولدي..

ـ مبروك يا أحمد .. ألفَ مبروك.

كانتْ عزيزةُ هيَ التِّي نَطَقتْ بالْجُمْلةِ الأخيرةِ وفرحةٌ صادقةٌ تُطِلُّ من عينيْهَا الجميلتين، وبدونِ شُعورٍ أمْسكْتُ رأسَ الشيخ عبد الحميد وهو يَقودُ السيارةَ ورحتُ أقبلُهُ وَضمَّتْنِي عَمتِّي إلى صَدْرَهَا تقبلُ رأسِي بِحنانِ الأم الرؤوم. ثم تَناوَلت يَدَيْ عزيـزة بيديَّ وضغـطتُ عليْهما فِي حَـرارةٍ ثم انتَبَهْتُ لموقِعِي فَسَحْبتُ يديَّ في الحالِ وأنا أشعرُ بالخجـلِ الشَّديـدِ، وأؤَنِبُ نَفْسي على المَدى الذي ذهبتُ إليهِ في التعبيرِ عَنْ فرحتِي وحمدْتُ

الله على أن المسألةَ وقفتْ عندَ هذا الحد.

وكان وجهُ عزيزة قد تضرَّجَ بحمرةٍ شديدةٍ فأطرقتُ في خَجلٍ. إذ لم يَحْدثْ قبلاً أن أمسكتُهَا مِنْ يَديْهَا بتلك الطريقةِ وشعرتُ بالخورِ يدبُّ في جِسْمِي كلِّه. والخجلُ يلفُني من قِمة رأسي إلى أخمص قدميَّ.

أما السيدة التي رأتْ مـا حدَث فلم تُعلقْ بشيءٍ.. ورحتُ أحـاول استشفافَ رأيها أو موقفها من ذلك ولكنَّها على ما بدَا لِي قد أخذتِ الأمرَ مأخذاً عَادِيًّا..

ولاحظتْ عزيزة ما اعترانِي من ارْتباكٍ شديدٍ فمدتْ يدَها عبرَ والدتَها وتناولتْ يدي الباردةَ بيدها وضغطتْ عليها بعطفٍ وهي تهمس.

ـ مبروك يا أحمد .. مرة أخرى ألفَ مبروك.

وحاولتُ أن أردَّ. ولكن الكلمات اختنقت في حلقي، وبقيت صامتاً طوال ما تَبقَّى من الطريق...

الكلمة الثالثة

ميزةُ العفاف في قصةِ اليدِ السفلى

ميزةُ العفافِ تلقاكَ وأنتَ تُطالعُ قِصَّةَ اليدِ السُّفْلىٰ صَارخةً في انْطباعاتِ بيئيةِ هذهِ البلادِ، وفِي وِرَاثاتِ سَلائِلهَا.

وإذَا أعلنتَ أنَّهـا مَنْطِقُ المَجْمـوعَـاتِ النَّفسيـةِ في أَعْمـالِ الأحْيـاءِ وأَحْداثِهِمَ ومُلابساتِهم بل في مُبَاحَاتِهم وَمَمْنوعَاتِهِمْ.

فإنَّكَ لا تكونُ بَعيداً عَنْ وَاقعِ الْقِصةِ والْبيئةِ مَعاً. وميزةُ الْعَفَافِ بينَ الجنسين هي أرسخُ ما تكونُ في بَاديةِ هذِهِ البلاد، وفي حَاضِرتِهَا.. بكلِّ مُلابساتِها وأحداثِها الظاهرةِ والخفيةِ.

وغايةُ القصةِ في كلِّ وقائِعِهَا هي تَشْخيصُ مَثَّاليةِ العَفافِ ضاحيةً بكلِّ مَا للشمسِ من حَرارةٍ وظهورٍ. وهذَا مَا تُحسُّه وأنتَ تطالعُ القصة..

بل تُحِسُّ أنكَ بِمَعزلٍ عن البيئاتِ الأُخْرى التي لا تُبالِي بـطهارةِ العفافِ حتى حيالِ أقربِ القريبات، فما بالك بالبعيدات..!!

١ ـ والقصدُ لَديْهَا سِيَّانِ اسْتقَامَ أو أعْوجَّ.

٢ ـ والسيرةُ عَلَى حَدٍّ سَواء حَسُنتْ أو قَبُحتْ.

لَا لَا.. فأنتَ تُحِسُّ أنِّي اتَّجهتَ في فُصولِ القِصَّةِ أو في بيئةِ القِصةِ ـ

أَنَّك تَسِيرُ بينَ عَـرَبٍ كِرَامٍ طَـاهِري الأعـراقِ كَرِيمِي الأخـلاقِ ظَاهِـري الْعِفَافِ . .

هذا بطلُ القصةِ أحمد الصبي الأجير يقول للمرة الأولى في الفصل الخامس ص ٤٤ عن عزيزة ابنة مخدومـه الشيخ عبد الحميد.

«وكانَ من أسْبابِ ارْتياحِي، أكثر فأكثرْ، أنه كانت في البيتِ طفلةٌ فِي مِثْلِ سِني، أو أصغر قليلاً، الأمر الذي أستطيعُ معه أني أُحَادِثُهَا وتحادِثَنِي، وألَّا أشعرَ بالوحدةِ والغربةِ كما حدثَ معي من قبلُ، إذ لا ريبَ في أنه كانت لوحدتي آثارُها الكبيرة فيما لاحظه علي الشيـخُ باقيس من جـدية وَرُجُولةٍ مبكرةٍ، فقد كانَ مِنْ غيرِ الممكنِ أن أطلقَ لصبيانيتي العَنان، أو أن العبَ وألهوَ كما يَلْعبُ ويلهو الصبيان الذين هم في مِثْلِ سني، ما دُمْتُ لا أجدُ . . . !! . . مَنْ ألعبُ معَهُ وألهو . . . !!

ويقول في نفس الفصل ص ٤٦ . .

ومنذُ اليومِ الأولِ لوصولِي، وبينما أنا أُقدِّمُ نفسِي للشيخ عبد الحميد الذي اسْتقبلِني بالترحاب، اندفعتْ عزيزةُ نحوي وهي تُحْدثُ جلبةً طفوليةً محببَّةً وقالتْ لي بدونِ مقدماتِ وكأنَّها تعرفُني مِن قبل . .

ـ تعال نلعب . . .

ولم أردْ بطبيعةِ الحال، ولكن الشيخ عبد الحميد قال لابْنَتِهِ وهو يُقَهْقهُ :

ـ هذا أحمدُ . . الصبي الجديد . . لقد جاءَ هُنا ليعملَ . . لا ليلعبَ . .

ويقول في ص ٤٧ :

: «ثم إنني كنتُ ألعبُ في القريةِ مَع زملائي كأَنْدادٍ لا تختلفُ ظروفُ بعضهم عَنْ بَعْضٍ في شيءٍ أمَّا مع عَزيزةَ فالأمر مختلفُ فهيَ ابنةُ «عَمِّي»

سَيّدِ البيتِ الذي أعملُ فيه.. وأنَا.. أنا الصبيُّ الجديدُ الذي جاءَ ليخدمَ عزيزةَ وأهلَها وَمَنْ فِي بَيْتِهِمْ، والذِّي يُعْتبرُ لَعِبُهُ، هذَا، مع عزيزة نوعاً مِنَ الْعملِ، لأنَّه إنَّما يَتمُّ بأمرٍ مِنْ مَخْدُومِي...

وإذَا أنتَ أنْعمْتَ نَظَركَ في الْفصْلِ التَّاسع مِنَ الْقصةِ تجد مِثَاليَّةَ العَفَافِ تكبرُ كلما كَبر أحمدُ وعزيزةُ هذه عزيزةُ وهيَ فِي عُرامِ عَطْفِهَا على أحمد، وأشدِّ اهتمامِهَا بنجَاحِهِ، تقفُ فِي حُدودِ الْعِفَّةِ التي هِيَ طبيعةُ مواريثِ البيئةِ العربيةِ بَيْنَ الجنسين...!!

أنظرْ هذَا أحمد فإنَّه لا يتحدثُ إلى نَفْسِهِ إلاَّ في حدودِ هذه العفةِ حولَ عزيزةَ.. أُنْظرْ هذه ص ٦٢ و٨٣ حِيَالَكَ فاسْمعْ مَا يَتَحدَّثُ بهِ أحمدُ إلى نفسه...!!

«عـــزيـــزة...

وَمَنْ أكـونُ أنَا حَتَّى أتـطلعُ إلىٰ عزيـزةَ.. عَمَّتِي الصغيرةِ.. وابنـةُ سَيِّدِي..

الحقُّ أنَّ العزيمةَ التِّي بثَّتْهَا فيَّ عَاطِفَتِي الْغَامِضَةُ نَحْو عزيزةَ، لم تكنْ تصلُ إلى حَدِّ أَنْ أتخيلَ - أَوْ أجرؤ على التَّخيلِ - بأنَّ مِنَ الممكنِ أَنْ تكونَ مِنْ نَصيبي يَوْماً مِنَ الأيَّام..

كنتُ أشعرُ بأنَ عَلَيَّ أن أكونَ شَيْئاً مَا، لكنْ ليسَ إلىٰ دَرجةِ أَنْ أصبحَ زَوْجاً لِعَزيزة أوْ أن تصبحَ عزيزةَ زوجةً لي، فما أنا - أولاً وآخـراً - إلاَّ صبي.. خادم..

إنني اليدُ السُّفلْى في هذا المنزل..

اليد التي تتلقى العَطَاءَ من اليدِ التي هي يَدُ عمي الشيخ عبد الحميد،

وعمتي الكبيرةُ، وعمتي الصغيرة عزيزة. . .!!

ومع أنَّ عاطفتِي نحوَ عزيزةَ، كانت عاطفةً بريئةً وطاهرةً، فإنني حدثتُ نَفْسي بأَنَّ مجردَ تفكري بها يُعتبرُ خَطَأً كبيراً في حقِّ الناسِ الذين آووني، وعلمُّونِي، وأكرموني، وأنَّ علي أن أحرصَ على كرامةِ هذه العائلةِ فلا أمَسَّها، ولا أجعلُ أحداً منهم يشعرُ، أو يكشفُ بأنني أفكرُ في عزيزةِ بصورةٍ تختلف عَنْ تفكيرِ ذي اليدِ السُّفْلىٰ أمام «عمتِهِ» ذَاتِ اليد العليا. صحيحٌ قلت لنفسي وأنا استرسلُ في أفكارِي، أن القوم جميعاً في هذا المنزلِ قد حَرِصُوا على مُعـامَلتِي معاملةَ النِّدِ للندِ، وَإشْعاري بأنني واحدٌ مِنهمْ. فالناسُ لم تعتدَّ على تناولِ الطَّعامِ مَع خَدَمِهَا، أما عمي وعمتي فما كانَا يَبْدآن في تناولِ الطَّعامِ إذَا لم أحضرْ وأتناولـه معهم، ولقد كان هذا شأنهم معي منذ أول يومٍ حضرتُ فيه إلى المنزل. . .

صحيحٌ أنَّ الشيخَ عبد الحميد وزوجتَه كانَا يَنْظرانِ لِي كمَا يَنْظرانِ إلى عَزيزةَ تماماً، وأنهما لم يُفرِّقَا في الْمُعامَلَةِ بيني وبينها. .

كل هذا، قلتُ لنفسي، صحيحٌ. . ولكنَّه لا يَعْني أَنْ أتجاوزَ حُدودَ يَدي السُّفْلىٰ وأن أرقى بمشاعِري إلى حدٍّ يرتفعُ عن تِلكَ الحدودِ ليَصِلَ إلى مستوىَ الأملِ في الزواجِ من عزيزة.

وعلى كلِّ حالٍ فهـذه القصةُ تكشفُ للقـارئ العربي سَـطْوةَ العفةِ الحاسمةِ بيدِ الكبتِ الغريزي الْورَاثِي، وبيدِ الوازِعِ الديني الصَّادق. . . وبيدِ التربيةِ العاليةِ، وبيدِ تقاليد البيئةِ الكريمة.

هذا أحمد يَصِف فرحةَ عزيزةَ على أثرِ إعلانِ نَجـاحه في الثـانويـةِ بالسيارةِ ومصافحتها له وكيف تجاوزَ به الفرحُ حدودَ كبتِ العفة فضغَتَ على يديْهَا في ثورةِ الفرح. .

انظر ص ٦٩ و ٧٠ إذ يقول أحمد:

كان تفكيري كله يدورُ حولَ عزيزةَ، وحولَ مَا حَدَثَ اليومَ في السَّيارةِ، وكيفَ جَرُؤْتُ على أن أمسكَ يَديْهَا بكلتا يديَّ وأن أضغطَ عليهما، وأَنْ أنسى الفوارقَ الجسيمةَ التي بيننا..

هَلْ جُننتُ حتَّى فَعَلْتُ ذلكَ.

هلْ فقدتُ عقْلِي حَتَّى تَصرفْتُ بتلك الطريقةِ في غَمْرةِ تَبَادلِ التهاني.

كيف تجاسَرْتُ على ذلكَ.. كيف..؟!!

وهذه أم عمرو زوجة العم تحسين جيران منزل الشيخ عبد الحميد تتحدث إلى أحمد بعد عودتِه من مِصَرَ وتصفُ له ما آلت إليه عزيزة بعدَ وفاتِ والديْهَا وكيفَ رفضتْ الخطابَ الذين تقدموا لطلب يدهَا وكيف ذَوتْ كالريحانة العطشانة والمتْ بها الأدواءُ حتى أضطروا أن ينقلوها إلى المستشفى.

ومَعَ كلِّ هذا الحديثِ لمَ يَفْطَنْ أحمدُ أَنَّ عزيزةَ تُحبُّه كحبهِ لَهَا، وأشد، ولولا لِجَامُ التربيةِ الْعَاليةِ والعفةِ الفطريةِ لَصرَّحتْ لهُ مِنْ زَمَان..

وهو لم يَفْطَنْ لَمَا قالتْه أمُّ عمرو عن حُبِّ عزيزة له تلميحاً لَا تصريحاً. لإعتقادِهِ أنها ترفضُ الاقترانَ به لكونِهِ كانَ خَادِماً في المنزلِ. وَنَسِيَ أَنَّ الحبَ فوقَ الفوارقِ، وَنَسِيَ أن العِلْم فوقَ الفوارقِ أيضاً...

أجلْ هذَا أحمد يَقولُ لدى اجتماعِهِ بأُمِّ عمرٍو بعدَ عودتِه من مصر ص ٩٥.

«وأَسْرعتُ إليهَا، فقبلتُ يدَهَا، وربَتَتْ على كَتِفي وهيَ تدعو لِي ثم جَلْستُ على مَقْربةِ منها بينما جَلَسَ العمُّ تَحْسين على مَقْعدِهِ المعتاد..

وراحتِ السيدة تسترجعُ الذكرياتِ بكثيرٍ مِنَ الأسىٰ والحسرةِ وحكتْ لي

عَمَّا جرَى بعدَ سَفري وأخذتْ تصفُ لي وفاةَ أمِ عزيزةِ بتفاصيلها تَماماً تماماً. .

روت لي كيف أن العِلَّةُ قد اشْتدتْ على أمِّ عزيزة حتى أصيبتْ بِشَلَلٍ نِصْفيٍّ جعلها عاجزةً عن الحركةِ والكلام، وكيفَ كان الجميع يتأثرون لِحَالِهَا وهي تصارعُ المرضَ فيغلبُهَا، حتَّى باتَتْ مَيْؤساً منها وأصبح الجميعُ يعتقدون، والألمُ يعتصرُ قلوبَهم، أنَّ في الموْت راحةً لها مِمَّا هِيَ فيه من مرضٍ وآلامٍ ولفتَ انتباهي أن السيدةَ أم عمر قد اسهبت في وصفِ حالةِ عزيزةَ وما كان من أمْرِهَا وكررتْ خِلاَلَ حَديثها كيف كانتْ ترفضُ الخُطَّابَ الذين تَقَدَّمُوا إليهَا، ولم أنتَبِه - إذ ذاك - إلى أنَّ السيدةَ إنَّما كانتْ تريدُ أن تقولَ لي شيئاً مُعيَّناً بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ، فحسبتُ أن تركيزَهَا على الحديثِ عن هذِهِ الناحيةِ مبعثهُ استغرابُها لموقِف عزيزة ذاك. . !!

وكم كانَ تأثيرُ منظرِ عزيزةَ المُدْنَفَةِ بحبِّ أحمدَ فِي نَفْس أحمد أَيْ منظرها وهي مسجاةٌ على سرير المستشفى مُؤثراً ها هو ذا يقول ص ٩٩:

: «كانتْ عزيزةُ مسجاةً على السريرِ، شاحبةَ الوجهِ، نحيلةَ الجسمِ، وشعرُهَا الطويل الناعم الذِّي طالما اسْتهواني قد تَناثَرَ علىٰ الوسادةِ، ولم يفلحِ المرضُ في النيلِ من جَمالِ عيْنيْهَا رغم أنهما قد بدتَا لِي غائرتين. . !!

ولم أصدقْ ما تراهُ عينايَ ووقفتُ أُحدِّقُ بذهولٍ رغماً عني، وأنا أتساءلُ في نفسي أهذه هي عزيزةُ. . ؟!!

وهذا الجَسدُ النحيل هو جسدُهَا. . أين عزيزة التي أعرفُها. . . عزيزة التِّي كان وجْهُهَا يتفجرُّ بدماء الصحةِ، وأينَ تِلك الحمرةُ المحببةُ التي كانت تصبغُ وجنَتَيْها بصورةٍ طبيعية. .

كانت دادةُ جمعة جالسةً بجوار السرير تُغَالبُ النومَ، وَقَدْ ألقتّ يديْهَا في حِجرِهَا وبينَ أصابِعها سبحتُها التي لم تكنْ تُفارقُها وكانَ واضحاً أنَّ دادة جُمعة قَدْ سهِرَتْ كثيراً إلى جَانبِ المريضة العزيزة حتى بات ليلُهَا نهاراً ونهارُهَا ليلاً فلا تكادُ تغفُو إلاَّ لَحظاتٍ. . .

طبيعة العفة في البيئة السعودية

لن ترى في دُنيا الحبِّ بين الجنسينِ صَرخةً عاصِفةً في نَفْسٍ سَاكنةٍ محترقةٍ بالُهيَامِ ما تَراهُ في نفسِ الْفتاةِ السعودية.

هذه عزيزةُ ابنةُ الشيخ عبد الحميد تحرقُها جذوةُ الحبِ الشاعلةُ بين جَنْبيْهَا، وهيَ طريحةُ الفراشِ في غيبوبة موجعة. .

وتستيقظ فتشاهدُ الفتى الذي تيَّمها وأَدْوَاهَا قريباً منها قُرْبَ غِطَائِها، ولم تجدْ في نَفْسِهَا الشَّجَاعةَ الكافيةَ لِتُصَارِحهُ بما نَزَلَ بهَا من جِرَّاءِ غِيابه. . .

بل كان كلُّ أمرِهَا معه لما أمْسك بيدها أَن ضغطتْ على يدِهِ وهي تقول. ص ١٠٠ ـ و١٠١ :

أحمد . . الحمدُ الله على السلامة. . !! ويقول أحمد:

واحتويتُ يدَهَا بيدي وضغطتُ عليها في مودةِ ثم جلستُ والعمُ تحسين إلى جانب السَّرير وكنتُ أحاولُ أنْ أجدَ كلماتٍ أعبر بها عن شعوري، أو أرد التحيَّة على الأقل، ولكنَّ الكلماتِ احتبست في حَلقي فَرُحتُ انظرُ إلى عزيزةِ صامتاً وعينايَ تنطلقان بألف مَقالٍ وَمقالٍ. .

ولم يتكلمْ أحدٌ بِدَورِهِ، وأكْتفتْ عزيزةُ بأن رفعتْ يدَها إلى عينيْها تريدُ أن تحبسَ الدموعَ التي انثالتْ على خَدَّيْها لتستقرَّ على الوسادةِ. . . وَحَاوَلْتُ مرةً أُخْرىٰ أن أتكلم وأن أهيبَ بها أن تحبسَ دُمُوعَها الْغاليةَ التي كانتْ

تَتَساقطُ على قَلْبي كالجمْرِ المتقد.

حاولتُ أَنْ أواسِيَهَا، وأَنْ أُعزِيَها، وأن أُبديَ لها تَمنّياتي لها بالشفاءِ.. ولكنَّ كلمةً واحدةً لم تخرجْ من بينِ شفتيَّ فقد كنتُ مرتبكاً خائفاً متألماً تَعِساً وفي نفس الوقتِ كنتُ سعيداً فَهَا هِيَ عزيزةُ أمامِي وها أنَا أراهَا وليسَ بيني وبينها من مَسَافةٍ سوَى أقل مِنْ ذراعٍ أو بعض ذراع.

وتمالكت نفسي أخيراً واستطعت أن أجد كلماتٍ أقولها:

همستُ لَهَا وأنا أمْسِكُ يدَها الْهَزيلةَ بين يديَّ:

أسألُ الله لَكِ الشفاءَ لقد جِئْتُ فورَ سَماعِي بوفَاةِ المرحوم، جئتُ لأقفَ إلى جَانِبِكِ ولأفعلَ كل ما بوسعي لخدْمَتِكِ.

وجائني الرد مِنْ دادة جمعة التي قالتْ وهي تنشجُ نشيجاً مكتوماً...!!

فيك الخيرُ يا سيدي أحمد فيك الخير والبركة يا ولدي جئتَ في الوقتِ المناسب..

ورأى الطبيبُ إخراجَ عزيزةَ من المستشفى ووافق أحمدُ واستشار العم تحسين فوافق وفي ذلك يقول أحمد ص ١١٢ :

واستشرتُ العمَّ تحسينَ في الموضوع فوافقَ عليه وأيَّدهُ وخطر لي في آخرِ لحظةٍ أنه قد يكونُ من المستحسنِ أن نذهَبَ بعزيزةَ إلى الطائفِ فلقدْ بدأ فصلُ الصيف ولعلَّ جوَ الطائفِ وَنسِيمَها العليل يفلحانِ في تغييرِ حَالتِهَا صِحيًّا ونفسيًّا إلى الأحسن..

وعرضنَا على عزيزةَ ما ارْتأيناهُ فوافقتْ دونَ تَرَدُّدٍ وهكذا انتقلنا إلى الطائفِ لقضاءِ بعضِ الوقت فيها، وكانتْ تلك أول مرةٍ أزورُ فيها هذه المدينة منذ ذلك الصيف الذي حَصَّلْتُ فيهِ على الشهادةِ الثانويةِ التي غيّرتْ بعدَ

ذلك من مَجْرىٰ حَيَاتي.

وفي الطَّائفِ استطاعَ أحمدَ أن يعيدَ لعزيزةَ نشاطَ ذكرياتِهَا بها إذ يقولُ ص ١١٣ و١١٤ :

لقد حرصتُ خلالَ الفترةِ التي قَضَيْنَاهَا في الطائفِ على تَهْيئةِ الأجواءِ لعزيزةَ كما كانتْ تَعيشُهَا قبلَ أن أفترقَ عَنِ الْعَائِلةِ في البعثة..

وفي بَادِىء الأمرِ ظلَّتْ عزيزةٌ على حَاليهَا من الكآبةِ والْوُجوم وظلَّت مُعْرضةً عن تَناوِلِ الطَّعامِ فلا تَتبلغُ منه إلا بِلقيماتٍ بعدَ رجاءٍ وتوسلٍ وتحايلٍ من قبلِ الدادة جمعة..

ورحنا نتجولُ في أرجاء الطائفِ نستعيدُ ذكرياتنا مع المرحوم الشيخ عبد الحميد والمرحومة زوجته أم عزيزة فنجتمع مرةً في «ليـه» ومرةً في «المثناة» وثالثة في «الهدا» ونَسْتجلِي جمالَ هذه المناطِقِ الساحرة ونقضي فيها أوقاتاً مُمْتِعةً.

وبدأْتُ ألاَحِظُ تغييراً واضحاً على عَزِيزةٍ وإذ أصْبَحَتْ تُقْبِلُ على الطعامِ بشهيةٍ أكثر ولكنَّها ظَلَّتْ قليلةَ الكلامِ، وإن أصبحتْ أكثرَ استجابةً لدعاباتِي ونكاتي التي كنتُ انتهز كلَّ فرصـةٍ لإلقائِهَـا، ترفيهـاً عنها وترويحاً عن نَفْسِها..!!

ومع كثيرٍ من السعادةِ والإرْتياح كنتُ ودادة جمعة نُراقبُ التقدمَ المستمرَّ في صحةِ المريضةِ الغالية، وانفتاح شهيتِهـا للطعام أكثـر فأكثـرَ، وميلها للمرحِ، الأمر الذي جعلنا نستبشرُ خيراً والذي سُرَّ له العم تحسين الذي كان يترددُ علينا في الطائفِ بينَ الحينِ والآخر وكانَ يصطحبُ معه أحياناً زوجتَه أم عمر..

وكُنتُ دائمَ الإتصالِ بالطبيبِ الذي كان يُعَالِجُها لأطلعَهُ على حالتِهَا

أولاً بأول فكان يبدي سُرُورَهُ وَأَنا أُخَاطِبُهُ. . . عَلَى الْهَاتِفِ لِمَا أُبلغُه مِنْها بِحُكْمِ خُبْرتي كَطَالِب طِبٍّ. .

وأخيراً عُدْنَا إلى مكةَ وقد عُوفِيتْ عزيزةُ تماماً. ولكنَّ الحلقةَ المفقودةَ التِّي أشارَ إليهَا الطَّبيبُ ظلَّتْ مفقودةً حتَّى تِلْكَ اللحظةِ. . . !!

فمِنْ جهتي حرصتْ علىٰ معاملةِ عزيزةَ نفس مُعَامَلتِي السابقةِ لَهَا من حيثُ التزامُ حُدودي وعدمُ تَجاوزِهَا في المداعبةِ والمزاح، والقيامِ على شُؤونِهَا كأخٍ . .

وكان سرورُهَا بالغاً عندمَا قدمتُ لها الهدَايا التي كنتُ قد جئتُهَا بِهَا لها ولوالدتها إذْ لم أكنْ أعلمُ بوفاةِ الوالدةِ. ودادة جمعة. .

وَأَيَّ عفافٍ أوثقُ في أيةِ بيئةٍ مِنْ عَفَافِ شَبَابِ البيئةِ العربيةِ الصَّافية. . إنَّه عفافٌ مِنَ الطرازِ الْعَالِي هذا أحمدُ لا يَسْتطيعُ أن يَطْلبَ يَدَ عزيزةَ بنفسِه من شِدَّةِ الحياءِ ومَنْ زَعْمه إنه يدٌ سفلى ويتولى الأمرَ عنه العمُّ تحسين وهذه عزيزة كذلك تسمُو بنفسِهَا عن مثلِ هذا العرضِ فتدعُهُ لِدَادَة جمعة اسمعْ دادة جمعة تتحدثُ إلى أحمد ص ١٢٢، ١٢٣ :

عـزيزة إذَا كُنتَ تـرغبُ فيهـا فتـوكـلْ على اللهِ. . تـوكـلْ على اللهِ وصارحهَا. . وإذَا أردتَ صارحتُهَا أَنَا بلْ إنني لا أُخْفي عليكَ يا ولدي أنها تفكرُ فيكَ مثلما تُفكِّرُ فيها وكـان هذَا نبأً جديداً عليَّ. .

فحدقتُ في دادة جمعة بذهولٍ وصحتُ بفرحٍ طَاغٍ. .

صحيح . . صحيح يا دادة. . . ؟!!

أجلْ صحيحٌ يَا بُنَيَّ لَقدْ كَانَتْ تَتحدَّثُ عنك كَثيراً بَلْ لَمْ يَغبْ ذكرُكَ عَنْ لِسَانِهَا ولم يغبْ شخْصُك عن بَالِها أبداً. .

إِذَنْ لماذَا لَمْ تُصارِحْنِي؟!! لِمَاذَا لَمْ تُلْمِحْ إلي بذلك علىٰ الأقلَّ..؟!!!

هناكَ أسبابٌ كثرةٌ لا تخفاكَ مِنْها تربيتها الرفيعة التي تعرفها.. ومنها أنها كانتْ تتوقع أن تكونَ قد ارتبطتَ بإنسانةٍ أُخْرىٰ في الخارجِ.. بعد أن سَافرتَ وعشتَ هناك تِلك السنوات..

وهتفتُ بلوعةٍ وأَلَمٍ مُعَلِّقاً على كلامها...

ارتبطتُ بإنسانةِ أخرى.. كيف يكونُ ذلكَ أَنَا الذِّي لم تُفارقْ صورتُهَا خَيالي منذ أن عرفتُهَا إنَّ حبَّها وأقول هذا لأولِ مرةٍ.. بصوتٍ مسموعٍ قد مَلَك عليَّ كلَّ مَشَاعِري وأَحاسِيسِي إنَّنِي أعرفُ ذلكَ يا بُنيَّ ولكنَّهَا قالتْ لي مرةً بصورةٍ غيرِ مُبَاشرةٍ شيْئاً من ذلك أنت تعرفُ كبرياء المرأةِ ولقدْ صارحتُها أنا أكثر من مرةٍ بأنني عرفتُ سِرَّهَا وعرفتُ ما تكنه لك من محبةٍ وإعجاب بل اقترحتُ عليها أن تُصارحَكَ بذلك فأبت.

وتنهدتْ الدادةُ قبلَ أن تستطردَ:

إيهِ إنَّني أرى نَفْسِي أمامَ شابٍ وشابةٍ قد ملك الحبُ عليْهمَا نَفْسَيهمَا وهُمَا مع ذلك يأبيانِ المصارحةَ يفضلانِ عليها عَذابَ الكتمانِ والحرمان..

وهكذا تَنْتهي من القصةِ وأنتَ تُحس أنَّ الأديبَ الفنان قد اسْتطاعَ أن ينقلَ إليكَ البيئةَ السعوديَّة الأصيلةَ بكلِّ معالِي أخلاقياتِهَا، وبكلِّ شمائِلهَا الوراثيةِ العريقةِ أو ينقلكَ إليها..

سيانِ الغايةُ أنْ تمتلئَ نفسُكَ بِحَقَائِقَ: جُلُّ أهْلِ الزمانِ في البيئاتِ الأجنبيةِ ضَعفُوا عَن حَمْلِ أماناتِهَا وكمالِ وراثاتِهَا وشرفِ نَوازِعَهَا..

أما تتولاكَ الدهشةُ كيف اسْتطاعَ هٰذَانِ الشابانِ علىٰ كتمانِ هذا الوجدِ الْعَرِمِ الوقيدِ كيف استطاع قلباهما أن يكتماهُ، وهما خَافِقَانِ في حضورهما وفي غيابهما..

ومع هذا تُحِسَّ إذَا اجتمعا أنهما يَعِيشَان كأخوينِ شقيقينِ لا كمحبينَ مُسْتَهَامَيْن مشتعلان اشتعالاً . .

هذا هو المثلُ الأعلىٰ الإنساني الذي كانت من أجْله تَسْمُو الغريزةِ الجنسيةِ عنْ لَهْفةِ اللذةِ الحيوانيةِ والتَّهتك والفجورِ والعصيانِ والخروجِ على الآداب والعرف والمروءةِ والشهامة .

في هذه البيئةِ العريقةِ الصافيةِ كان إذَا عجز أحدُ المحبين المستهامين عن رَصْدِ قلبهِ بوازعٍ من الأخلاقِ والسمو، تطردُه البيئةُ وشرفُ أهلِهَا ولا تحتملُه أبداً أبداً . .

ولا كفرانَ له إلا بالحرمانِ الأبدي . . .

هذاهُو خُلقُ الْبيئةِ الْعربيةِ الأصيلةِ بيئةِ جزيرةِ الْعرب منذُ أبعدِ الأزمان .

وَيَشْهَدُ الله لولا دخولُ أوشابِ البشرِ وأخْلاط الأممِ بينَ قبائلِ هذه الجزيرة العربيةِ الأصيلة لما انحطتِ الأَخْلاقُ إلى هذا الدركِ الذي نشاهدُهُ في الإذاعةِ والتمثيل ونقرأه في القَصَصِ الرخيصِ المُنْحطِ بمثلِ هذا الْعُري الفاحِش وبمثلِ هذه الصَّراحةِ المجرمةِ حتى تَحسَّ أنَّ هَؤلاء الكاتبين لا قوامةَ لهم من نَسَبٍ أو حَسَبٍ أو عصمةٍ مِنَ شَريعةٍ أو تَبعةٍ من فضيلة .

هذا ما تبينتُهُ لَدَى دِراسَتِي لهذه الرِّوايةِ ـ اليد السفلى ـ فللهِ كاتبُها الفنَّانُ العربيُّ الأصيلُ والمسلمُ الصَّادِقُ، والمفكرُ بَعيدُ النظر حتى إذَا قُلْتُ هِيَ قصةٌ بل هِي قلبُ عينِ الإِنْسانِ العربي العريق فلا أكونُ مُتجاوزاً وَاقِعَهَا .

ولعلَّ الذي لم يكتبْ له دراسَتَهَا بدقةٍ وأمانةٍ وإنعامِ نَظَر يَحْسَبُهَا مِنَ الرِّواياتِ الْعَادِيَّة .

ومن أجلِ ذَلك أَطلبُ إلىٰ وزيرِ الْجَامِعَاتِ الأديب الفذ الشيخ حَسَن آل

الشيخ في طَبْعِهَا لشبانِ المملكةِ كافةً ليأخذُوا مِنها درساً عملياً صالحاً عَنْ بيئتِهـم التي هِيَ سيدةِ البيئات بأخلاقها وآدابِهَا ووعيْهَا وشَرَفِها الذي اسْتطاع المؤلفُ أنْ يُلْمِسَنَا إياهُ في سُلوكِ أحمد وعزيزة وفي تربية الشيخ عبـد الحميد!!!...

إنَّمـا الأممُ الأَخْـلاقُ مَـا بَقَيتْ فإنْ هُمْ ذهبت أخـلاقُهم ذهبوا.

اللغة في قصة اليد السفلى

... الأدبُ نَافِذةُ واقع حَياةِ الأُمةِ. والقصةُ فِي الادَبِ نَافِذَة النَّافِذَة واللُّغةُ الصَّحِيحَةُ في الْقصةِ آيةُ صِحةِ الْحَياةِ وَسُمُوِّهَا، والنُّهوض بالمُطَالِعِينَ إلى أَمْرينِ.

١ ــ إلى صحةِ النطقِ المُهَذَّبِ السَّلْسَلِ المُعتمد.

٢ ــ وَإِلىٰ مِثَالِيَّةِ الْخُلقِ الذِّي يَمْنحُ السُّلوكَ الآمِنَ. والْوَعْيَ النَّافِعَ للأفرادِ والْجماعَاتِ وهما هدفُ كلِّ قصةٍ راقيةٍ. وليسَ الهدفُ أبداً.. السلوانَ ونحرَ الحياة المثمرة الخالدة.

والْحَقُّ أَنَّ اعتبارَ صِحَّةِ النطقِ المهَذَّب المعتمد. ومِثاليةِ الْخُلُقِ الكريمِ فوقَ كلِّ اعتبارٍ. وَمهمَا يكنْ فَزِينةُ موضوعاتِ القِصَّةِ وسِحْرُ جمالِها وروعة افتنانِهَا تَبدُو في زِينَةِ اللُّغةِ وَسياقِهَا الْفِنِّي الجذابِ.

وَتَزيدُ الْقِصَّةُ الرَّاقيةُ أنهَا تُزيحُ عَن الشبيبةِ النَّاشئَةِ مَسَاوِىءَ الإنْحرافاتِ والإِنْحِطَاطِ وموتِ الضَّمير وإراقةِ ماءِ الحياةِ على مَذْبَحِ الهوَى.

ولو أنَّنا نحرْنَا الكتبةَ المجرمينَ دُعاةَ الشَّبيبةِ إلى المزاولةِ والْمُمارَسةِ... دونَ أَمْجادِ الطُّموحِ.. لكانَ ذلك كَسْباً لِمَصيرِ الأمةِ المأمون..

وَمَا أَضَلَّهمْ حينَ يزعمونَ أنَّ كشفَ النقائص للحصانةِ خَيْرٌ، وَصَلاحٌ، وَمَا مِنْ حَصَانة سِوى الْهَوَسِ والشَّرِ. وَيُخْفونَ ثَائرةَ التجارةِ الفاجرةِ والكسْبِ

الآثِم الذَّيْنِ هُمَا هَوَسُ الْهَوَسِ وَشَرَّ الشَّرِّ...!!..

وأينَ الشُّبَانُ الذَّينَ يَسْتطيعونَ أَنْ يَحْبِسُوا نوازعهم حَصَانَةً لدَى احْتِدامِهَا. واستطاعةُ واحدٍ واثنينِ ليْسَ بذِي بالٍ في الْحِسَابِ. ولَا تَصِحُّ أن تكونَ برهاناً على قدرةِ الجميعِ على الحصانة..

وَمَهْمَا يَكُنْ فَقِصَّةُ الْيدِ السُّفْلىٰ كَرْمٌ طَهورٌ عَصِيرُهُ لا غَوْلَ فِيهِ. وَلَا تَأْثيمَ هو كرم خَالٍ من المآثِم والشرور..

وهذا اللونُ القيمُ من القَصَصِ هو الذي أَسْتَطيبُهُ، وأَفْتَنُ بِهِ، وأَحِنُّ إليْهِ وأصْبُوا منذُ نعومةِ أظْفاري. وهذا شَأْنِي حَتَّى فِي شَيْخُوخَتِي...

ولوْ شَاهَدتْني في الأَسْحَارِ، وأَنَا مُنْسَجِمٌ مَعَ قِصةِ اليدِ السُّفْلى تَمامَ الإِنْسِجامِ وكيفَ أَحْلَمُ وأحلمُ والسعادةُ مُحْتشدةٌ حواليَّ وأنا أكتبُ عنهَا وأُحَلِّلُهَا التَّحليلَ الْفنيَّ الشَّامِلَ.

لَقُلْتَ إنَّ أَبَا هِشَامٍ لَا يَزالُ يَنْعمُ بالأَحْلامِ كأنَّه فِي عِزِّ صِباهُ. أجلْ أنعمُ بالْهُدَى بالْخَيْرِ بالطُّهْرِ بالْبيانِ بالْفَنِ بالْأَمْنِ بِسَعادةِ الْحياةِ. وهذَا شيءٌ حَبِيبٌ إلىٰ كلِّ نَفْسٍ.

لغــةُ القصــة

وهكذا تُوَافِيكَ القصةُ بأنماطٍ ثَلاثَةٍ:

١ ـ اللُّغةُ الفُصْحى. وَنَشَاهِدُهَا غادةً حسناءَ تختالُ في أزينِ حُلاَهَا، وأبهجِ زِيناتِهَا، وأَشَفِّ غَلائِلها وأرفِّ ضَفائِرَهَا وأطهرِ دُرُوبِهَا. تجتمعُ إليها فلا تَملَّها ولا تملُّكَ وقدْ مرَّت بكَ شَواهدُ هذه اللغةِ الصحيحةِ الأسْلوب النابض في الكلمة الثانية..

٢ و ٣ اللغةُ الدارجةُ الصحيحةُ واللغةُ العاميةُ الصرفة..

تَمُرُّ بكَ اللغةُ الصحيحةُ الدارجةُ بالقصةِ مرورَ السَّحابةِ الذَّهبيةِ الرَّفافةِ التي تَسْكُبُ التِّبْر رَذَاذاً نَاعِماً يُنْعِشُ النَّفسَ، ويُخْصِبُ القلبَ بنضرةِ البيانِ فِي رِقَّةِ مُحَاوَرَاتِهَا وعذوبةِ مُسَامراتِهَا.. هي لغةٌ جذابةٌ فتَّانةٌ ذاتُ أبعـادو ظِـلَالٍ مُمْتعة مُنْعِشةٍ وارفةٍ رقيقةٍ..!!

بلْ هَيَ لُغَةٌ تُحلِّقُ بِكَ في آفَاقٍ مِنَ الْبِلْورِ الصَّافي المُذَابِ الشَّفَّافِ السَّاحر، يَتدَفَّقُ مِنْ هُنا وهُنَا وهُنَا أَنْهاراً، وَيسِيلُ جَداولَ..

وتعلو أَمْواجُه، وتَهْـوي أمواجُـهُ وأبْطالُ القِصَّـةِ يَظْهَـرُونَ من خِلَالِـه كالأَسْماكِ الملونةِ التي تُشاهد في حَوْضِ البلور في حدائقَ الأسْماكِ مَجْلوةً وَشك لَمْسةٍ من الحوَّاسِّ ولا لَبْسَ...!!

... وَأَنَّى يكون اللبسُ في مثلِ هذه الآفاقِ المشرقةِ على قِممِ الجبالِ المطلةِ على شواطيء البحَارِ هي فَنٌّ رَفِيعٌ جذابٌ ناطقٌ في كلِّ فصولِ القِصةِ وإليك بعضَ شَواهِدِه..

وَإِنَّكَ تَجِدُهَا لدَى المُحَاوَرَاتِ الفنيةِ والْمُسَاجَلَاتِ والعِتَابِ والعرْضِ والطَّلبِ والأَخْذِ والرَّدِ والسَّمرِ وَحَديثِ النفسِ في الْخلواتِ ص ٣٥ و ٣٦.

هذا أحمدُ يَعرضُ حَدِيثاً باللغةِ الدَّارجةِ الصَّحِيحَةِ الجيِّدةِ جَرَى بينَ بَاقيسٍ وصديقٍ لَهُ جاءَ لزيارتِهِ في دُكَّانِهِ.

ـ ذاتَ يوْمٍ كُنَّا في الدُّكَانِ عَمِّي الشيخ بَاقَيْس وأنا فَمرَّ رجلٌ تبدو عليه معالم المهابة والوقار يحملُ في يَدِهِ زنبيلاً وعلى عينيْهِ نظَّارةٌ سَمِيكة.

رحَّب به الشيخُ بَا قَيْس وأفسح له مكاناً بجانبه، وأقبل عليه يُبَاسطُه في الحديثِ بِصُورةٍ تَدلُّ على أنه يكنُ له مودةً خاصةً، وصاحَ بِي طالباً أن أقدم

الشَّاهِي للشيخ، وراح الحديثَ بَيْنهمَا يتشعَّبُ في مُخْتلفِ المَوْضُوعَاتِ. عَنِ الصِّحـةِ... عَنِ الأحوالِ.. عَنِ الـدُّنيَا.. عن الأَهْـلِ عَنِ الأصْـدقَـاءِ والْمَعَارِفِ.. عَنْ فُلانٍ مِنَ النَّاسِ.. وعَنْ فُلاَنٍ آخر.. مِنْ أصدقـائِهمَا المشتركين وبينما كُنْتُ أقدمُ لهمُ الشَّاهِيَ قَال الرجلُ..:

عَلَى فِكْرةٍ يَا بَا قَيْس.. هَلْ تعرفُ لنَا صَبِيًّا.. فِي الْحَقِيقةِ نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إلى صَبِيٍّ يَعْملُ عِنْدَنا في الْمَنْزلِ...

وَلَشَدَّ ما كانَتْ دَهْشتِي عنْدَمَا سَمِعْتُ باقيس يقولُ للرجلِ ببساطةٍ:

هذا هو أمامكَ.. تَسْتطيعُ أَنْ تُجْربَّهُ..

ونظرَ إليَّ الرجلُ نظرةً فَاحِصَةً مِنْ وراءِ زُجَاجِ نَظَّارتِهِ السَّميكةِ ثم قال:

ــ: يبدُو لِي أنه لاَ بأسَ به.. ما اسْمه..

اسْمُهُ أحمد.. أحمدُ بن عيضة.. جاءَ بِهِ والِدُهُ وهْوَ صَدِيقي، وفيه الخيرُ إنْ شَاءَ الله اعتقد أنه يَصْلحُ.....

.... وإنكَ تجدُ أحمد في القصة كيفَ يقدمُ المالَ الذِّي جَمَعَهُ لأبيهِ عَوْناً لَهُ بحديثٍ جَرَى بينَهُ وبينَ أبيهِ عَذْبٍ صافٍ يَفْهمُهُ كلُّ نَاطِقٍ بالضَّادِ في أَقْصىٰ المغربِ أو المشرقِ ص ٥١.

خُـذْ يَا أبـي...

ــ هَذَا كلُّ ما جَنَيْتُهُ مِنْ مَالٍ منذُ أَنْ بَدأتُ عملي إلى هذه اللَّحظةِ.. أعتقدُ أنه يزيدُ عن الألفِ وخمسمـائة.. إنَّ الشيـخَ عبدَ الحميـد رَجلٌ كريمٌ.. وَزَوْجَتُهُ لا تَقلُّ كَرماً عنه، إنَّهمَا لاَ يَكْتفيانِ بالأَجْرِ الشَّهْري الذِّي يَدْفعانِهِ لِي.. بَلْ هُمَا يَنْتهزانِ كلَّ فُرْصَةٍ لإكْرامِي بشيءٍ..

ــ بَاركَ الله فيهما.. ولكنْ هذا.. كثيرٌ..

بل تأخذُهُ كلَّه يَا أبي. . فأنَا لَسْتُ بحَاجَةٍ إلى شَيْءٍ هُنَا. . ولَسَوْفَ أَجْنِي أكْثَرَ مِنه إنْ شَاء اللهُ.

ـ سآخذُ قِسْماً وأدعُ لَكَ قِسْماً. . فقدْ تَحْتاجُ إلىٰ شَيْءٍ. .

ـ لا أظنُّ أنَّنِي سَأَحْتاجُ لِشيءٍ. . وليسَ لِي مَطَالِبُ. . فأكْلِي وَمَنَامِتي ومَلْبسِي كلَّها مُؤَمَّنَةٌ هُنا بارك اللهُ فيكَ يَا وَلدي. . بارك اللهُ فِيكَ. . إنَّك بهذِهِ تَنْشلُنِي من مأزقٍ صَعْبٍ بارك اللهُ فيك يا أحمد. .

ودَسَّ أبي المالَ في جَيْبِهِ، وأقبلَ يُعانِقُني وقَدْ أخذ منه التأثرُ كلَّ مأخذٍ. .

لقدْ أصبحتَ يَا بُنيَّ رجلاً يَكْسِبُ الْمالَ بعرقِ جَبِينِهِ. .

وفي الفصلِ السابع من القصةِ أجرى المؤلفُ باللغةِ الفنيةِ الدارجةِ الصَّحيحةِ الطريقةَ البارعةَ التي عَرَضها على أحمد لكي ينهضَ به إلى تَلَقِّي العلمَ.

يقول أحمدُ نادانِي الشيخ عبد الحميد في يومٍ وقالَ لي (ص ٥٣ و٥٤ و٥٥).

قـال:

ـ إسْمعْ يا أحمدُ. . أنتَ تَعْلمُ أنني أعتبرُكَ كَأَحَدِ أبنائِي.

ـ وَإِنَّنِي لَفخورٌ بذلكَ يا عَميّ. .

ولهذا استدعيكَ الآنَ. . لأنَّني أريدُ منك أَنْ تُوجِّهَ حياتَكَ وجهةً صحيحةً. .

ـ إنني لا أشكو من شيءٍ. . وأعتقدُ أنني أسيرُ في الطريقِ

الصحيحِ . . بفضلِ اللهِ تعالى ثم بفضلِ عطفكَ وَرِعَايتِك . . .

ـ اسْتمعْ إليَّ يا بُنيَّ ولا تقاطِعْنِي . . فأنا لَمْ أنادِكَ الآن كيْ نَتَبَادَلَ عِبارَاتِ المُجَامَلَةِ فالتزمتُ الصَّمْتَ وقد عجزتُ تماماً عِنَ اسْتكناهِ الغايَةَ التي استدعاني الشيخ مِنْ أجْلها . . وَقُلْتُ فِي نَفْسي إنَّهُ لو أرادَ أَنْ يَطْردَنِي مِنَ الْعَمَلِ أَوْ يُزْجي إليَّ بأيِّ نَبَأٍ سيِّءٍ لَمَا خاطَبنِي بهذه الوُدِّيةِ الْحَانية ثم . . ما تكونُ تلك الوجهة التِّي يُريدُني أن أوجِّه حَياتي إليهَا . . إنني هُنَـا عَلَى أفضلِ مَا يُـرام . . .

وقطع الشيخ عبد الحميد عليَّ أفكاري حِينَ تناولَ مِنْ جانبه ورقةً مطويةً دفعَ بِهَا إليَّ وهو يقول لي بهدوء تام :

إقرأ لي هذه الورقةَ . . إذَا سَمَحْتَ :

فتناولتُ الورقةَ بِيَدٍ مُرْتَجِفَةٍ ، وَرُحْتُ أُجِيلُ بَصَري الزَّائغ بينَ سُطورِهَ مُتَسَائِلاً عَنِ الْغَايةِ التي يَرْمي إليها الشيخُ وهو يَعْلَمُ تَمَامَ العِلْمِ أنَّني لا أعرفُ الْقَراءَة ولاَ الْكتابةَ . . أفتراهُ كَانَ يَسْخرُ مِني حينَ أعْطاني هذه الورقةَ وطلبَ إليَّ أن أقرأهَا .

ورحتُ أحدِّقُ في الورقةِ وقد غَمَرني خَجَلٌ شَدِيدٌ إذْ لم تكنْ بالنسبةِ لِي أكثرَ مِنْ خُطوطٍ أشْكالٍ ونقاطٍ لا أكادُ أعرفُ مِنهَا شَيْئاً . .

ووضعتُ الورقةَ في حِجْري وأطرقتُ في خَجل قائلاً :

إنَّني لا أعـرفُ القراءةَ . . ولكنَّني أسْتَطِيعُ قـراءةَ جَانبٍ مِنَ القـرآنِ الكريم .

إنَّك تعرفُ أن تقرأَ بعضَ آياته وأنا وَاثِقٌ مِنْ أَنَّك تعتمدُ على ذَاكرتِكَ أكثرَ مِمَّا تعتمدُ على ما تعرفُ مِنَ الحروفِ . . هَلْ هذا صَحِيحٌ أم لا . .

ـ وهمستُ والخجلُ يكادَ يَقْتلُني . .

ـ نَعَمْ صحيحٌ . .

إذنْ فأعلمْ يا بنيَّ إنَّني اسْتدْعيتك كيْ أطلبَ إليكَ أَنْ تبدأ مرحلةً جديدةً مِنْ حَيَاتِكَ فتتلقىٰ العلمَ أُسْوةَ بِمَنْ همْ في مِثْلِ سِنَّكِ . .

أتلقي العلم . . كيف السبيلُ إلى ذلك . . إنني كما تعلم يَا عَميٍّ .

وقَاطعني الشيخُ بسرعةِ قائلاً :

أعـرف . . أعرف . . أنـك مَشْغولٌ بعمَلِكَ في النَّهـار . . ولكنْ هُنَاكَ مدارسُ ليلية تَسْتطيعُ الإلْتحاقَ بإحْدَاها . وهي إنَّما إفْتُتُحَتْ مِنْ أَجْل أَمْثالِك مِمَّنْ لا يستطيعونَ الدراسةَ فِي النَّهار .

وركضَ قلبي بيْنَ ضُلوعي فرحاً ، فالشيخُ جزاهُ اللهُ كلَّ خيْرٍ ـ قدْ درسَ مُشْكِلتِي ووجدَ لها حلاً ورحتُ أواصلُ الأَصْغَاءَ إليه .

سوفَ أساعِدُكَ على الإلْتحاقِ بإحْدى المدارس الليلية القـريبة لأنني أريدُكَ أن تتزوَّدَ بسلاحِ الْعِلْم فليسَ معقولاً أن تَظَلَّ طُولَ حَيَاتِكَ خادماً فِي الْمنَازلِ . . وإنَّني لأُصَارِحُكَ بأنَّني أعتبرُ أنَّ مِنَ الْعَارِ عليَّ أنا شَخْصِيًّا ، أَنْ يوجدَ في دَارِي إنسانٌ جَاهِلٌ وأنا رجلُ عِلْمٍ . . كيفَ أقومُ بالتدريسِ في المسجدِ الحرامِ وبجانِبِي إنسانٌ يهمنُي أمرُهُ لم يدخلْ إلى قَلْبِهِ بعدُ نورُ العِلمُ . . هَذَا لاَ يَجوزُ . .

. . . وَإنكَ تجدُ السُّمـوَّ الخُلُقِي عَاليـاً جداً في نَفْسِ الشيـخ عبدِ الحميد .

انظرْ إلى الصورةِ العجيبةِ التي دَبَّرها للنهوضِ بأحمد لكي يتابعَ دَرَاسَتَه الثانوية بعد نيلِ الشهادةِ الابْتدَائِيَّةِ . .

إنَّها صُورةٌ تَفيضُ إنسانيةً ومروءةً، هَذَا أَحْمد يَتَحَدَّثُ بِهَا إلينَا ص **٥٩** و٦٠.

وقبلَ أَنْ أفكرَ فِي المَرْحَلَةِ التَّاليةِ كانَ الشيخُ عبدُ الحميد ـ كالْعَادة ـ أسْبقَ مِنِّي إلى التَّفكيرِ.

فقدِ اسْتدعاني بعدَ أيامٍ مِنْ إعْلانِ النَّتيجةِ وقال لي:

ـ اسمعْ يا أحمدُ.. لقد اختلفَ وَضْعُكَ الآنَ كثيراً عَمَّا كان عليه قَبْلاً.. واظُنُّكَ تدركُ ذلك.

ـ فقلت بسذاجة وأَنَا لَا أعلمُ ما كانَ يَعْنِي بكلامِهِ.

طبعاً يا عَمِّي.. فأنَا الآنَ صِرْتُ قَادِراً على القراءةِ والكتابةِ والحساب.

وابتسم الشيخُ في عطفٍ وهو يقول:

ـ: ليسَ هذا ما عَنَيْتُهُ يا بني.. وإنَّما أتكلمْ عن المرحلةِ التاليةِ.

ـ: المرحلة التالية.

ـ: أجل المرحلة الثَّانوية.

ـ: المرحلة الثانوية تساءلت بدهشة..

ـ: أجلْ أم لعلك لا تَنْوي مواصلةَ الدراسةِ.

ـ: كيفَ يا عمي.. طَبْعاً أنا أتمنى أَنْ أواصلَ الدِّرَاسةَ.. أتمنَّى ذلكَ مِنْ صَميمِ قَلْبِي.. ولكنْ المُشْكِلة أنَّ الدراسةَ الثانويةَ تحتاجُ إلى...

ـ: تحتاجُ إلى تفرغَ أكثر.. أليسَ هذا ما تُريدُ أَنْ تقولَه.

ـ: نعـــم..

ـ: وهذا ما أردتُ أن أحادِثُكَ فيه..

ـ : أطال اللهُ عُمرُكَ يا سَيدي . . فلقدْ غمرتَنِي بفضلِكَ وعطفكِ . .

ـ : استغفر الله . . هذا واجبٌ آمُلُ لَه الجزاء عِندَ الله .

وصمت الشيخ هنيهة ثم استطرد بنفسِ اللهجةِ الحانية .

ـ : منذ الآن سوفَ تدرسُ في النهارِ وتعملُ في الليل :

ـ : فقلتُ بدهشةٍ .

وكيف أستطيعُ ذلك يَا عَمِّي . . إن عَمَتِي تحتاجُ إليَّ في النهارِ فأنتَ تذهبُ إلىٰ عَمَلكَ . . وعمتَي عزيزة إلى مدرسَتِهَا . . و . .

فقاطعني باسماً :

ـ : لا عليك من عمتكِ . . لقد تدبرتُ الأمرَ . . منذ الآنَ سوف تأتي «دادة جمعة» لتعملَ عندَنا في النهار وتبقى في البيت صَباحاً بينما تَذْهَبُ أنتَ إلى مَدْرَسَتِكَ» .

اللغةُ العامية . . . :

أما اللغةُ العامية فهي نادِرةٌ في الرِّوايةِ لأنَّ المقصودَ مِنَ الروايةِ هِيَ أَنْ تنهضَ بألْسَنَةِ المُطالعين إلى السُّموِ لَا . . إلى الانحطاطِ، وبالحري في بِلادِ ميلادِ اللغةِ الفُصْحىٰ بَينَ أهْلِها . .

على أنها مختارةٌ وقريبةٌ مِنَ اللغةِ الدارجة الصحيحة. وأَنَا حين أعرضُ بعضَ كلماتها إنما أعرضُها تماماً لتحليلِ الروايةِ، وليسَ قصدي أن أوثر بها على التواءِ الألسنةِ وعجمتِهَا. على أنك تجدُ المؤلفَ رعاهُ اللهُ حريصاً أن تكونَ الرواية بعيدة عن اللغةِ العاميةِ الْعَرْجاء من أجل ذلك حتى الجمل العامية القليلة في الرواية تجدُهَا ممزوجةً بعباراتِ صحيحةٍ جَيِّدة قصدَ السموِ باللغةِ العامية إلى اللغةِ الدارجةِ الصحيحة، ومنها إنْ شاءَ اللهُ إلى لغةِ

البلادِ الأصيلةِ التي كانتْ القبائلُ العربيةُ تتكلمُ بها وأنزل بهـا الله وَحْيهُ المعجزَ المتحدِّيَ.

يقولُ الشيخُ صلاح وهو يطردُ أحمد من منزله ص ٣٠.

ـ : زين مَا يُخالف . . . تقدر تنقلع . . وَمَا تُوريني وَجْهَكَ . .

وهذا الشيخ باقيس يقول لأحمد بعدَ تركهِ بيتَ الشيخ صلاح وجاءَ إليهِ ص ٣٣ و٣٤.

ـ : والآن ما العمل.

فقلتُ له بذلةٍ وخضوع . .

ـ : اللي تشوفُه . . يَا عَمِّي . .

ـ : اللي أشوفه . .لِيشْ أنت راضي تسمع كلامي . . ؟؟! اللي أشوفه أنا هو أنك ترجع لعملك عندَ الشيخ صلاح وبلاشي من المشـاكل وشغـل العيال . . الله يرضى عليك:

ـ : إلا هذي يا عمي . . أبوس يدَكَ.

ومضيت أرقبُ معـالمَ وَجهِهِ في لهفـةٍ لأرىٰ أثر كـلامِي في نَفْسِه، وتركزت عيناي على شفتيه انتظر ما سَوْفَ ينطق به . .

وهزَّ الرجلُ رأسه في أسفٍ وهو يقول:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله . . والله ما أدري إيش أقـول ولا إيش أَسَوِّي . . القصدُ . . تِبات الليلة عندي في البيت . . وبكرة يحلها الحلال إن شاء الله.

وشعرت بأن جبلاً قد انزاحَ عن كَتفي وأنا أسمع كلماتِهِ فقد وافق أخِيراً

على انفكاكِي عن الشيخ صلاح وبيت الشيخ صلاح وكان هذا هو أهم ما يشغلني.

ولم أتمالكْ نفسِي.. فأقبلتُ على يدهِ أقبلها وأنا أقول له:

ـ كثر خيرك يا عمي.. كثر خيرك يا عمي..

وسحب الرجلُ يدَهُ بسرعةٍ وهو يقول:

ـ : استغفر الله.. استغفرُ الله.. ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله..

وبدَا لي أن الرجلَ قَدْ تقبَّل ما حَدَث كأمرٍ واقع، ووافَق على عدمِ عَوْدتي إلى بيتِ الشيخ صلاح وأنه يُخفي وراءَ مظهرِه الصَّارم، وأسلوبِهِ الجاد، قلباً رقيقاً، يحبُ الخيرَ، ويسعىٰ في غَوْثِ المحتاج.

وَهَذِهِ جملُ عامية تجري على لسان الشيخ عبد الحميد وهو يخاطبُ أحمد ويطلبُ أن يلعبَ مع ابنته الصغيرةِ عزيزة وهي أصغرُ من أحمد وطلبتْ بإلحاحٍ إلى أحمد أن يذهب ويلعب معها.. ص ٤٦.

هٰذي عزيزة دَائماً كِدة.. رأسها ناشفة.. لمَّا تبغى حاجة لازم تحصلْ عليها.. روحْ يا ابني.. العب معاها شوية وأمرك إلى الله.. واعتبر أنك استلمتَ شُغلكَ من دحين..

وما دام المقصودُ مِنَ الأدب والصحافة والتعليم هو النهوض بِشَعْبِنَا إلى لغتهِ العربيةِ الأَصَيلةِ. كان الأخلق تركها..

وأنا أعتقد لو جاء ذلك على اللغةِ الدارجةِ الصحيحة فإن عامة القراء يفهمون المقصود لأن الذي يستطيع أن يقرأ هو يفهم اللغة العربية الصحيحة. ولماذَا نذهبُ بَعيداً فهؤلاءِ العامة يحضرون خُطبَ الجمعِ وهْيَ تلقىٰ باللغةِ العربيةِ الصحيحةِ، وكلُّ المصلين يَفْهمونَ ما يَسْمعون ولله الحمد.

قِصَّةٌ وَاقعيَّة

في الصفحاتِ الآتية تجدُ قصةً واقعيةً قصَّها مديرُ الشرطة الأسبق المرحوم السيد إبراهيم برزنجي وكنَّا جماعةً في سهرةٍ عندَه في مكتبه في شَارع الملك عبد العزيز. وكانتِ القصةُ جواباً لِسُؤَالٍ طرحَهَ بعضُ الحاضرين.. هل تعالج دائرةُ الشرطةِ إصْلاحَ الأحداث المنحفرين.

القصـــة:

قال السيد إبراهيم برزنجي.

... كنتُ مرةً في مركزي في دَائرةِ الشُّرطة، أُراجعُ بعضَ اللوائح. وإِذْ يَدْخلُ عليَّ شيخٌ يحملُ أوقاراً من متاعبِ السنين وأوجاعاً من وخزاتِ الفكرِ المرهق. وأخذَ يشكو بمرارةٍ وَضْعَ ولدِه الشَّاذ في المنزلِ وكلما التقى بالأَهْل.

... فهوَ سَاخطٌ مُتجهّمٌ لا يَأنَسُ بأحدٍ مِنْ أهلِه، ولا يدعهمْ يَأنسون به. هو نارٌ شاعلةٌ في يومٍ قَائظٍ تأكلُ نفسَها اتِّقاداً ولا يَتْرك أحداً يستطيعُ القربَ منه وهو في المنزل يُعَذِّبُ والدته وإخوته وأخواتِه وقلما يكترثُ بمدرستِهِ ودروسِه، ولا يَلَذُّ له أن يصحبَ من الزملاءِ إلا البلداءَ المستهترين الذين يَمقتونَ جهودَ الحياة الماجدةِ البناءة ويؤثرونَها لَذَّاتٍ قبلَ الأوان.

.. والطيورُ على أشكالها تقعُ..

وما رأيته يوماً محتفياً بكتابٍ ذي قيمةٍ ثقافيةٍ أو عاكفاً على مُطَالعةٍ كريمةٍ أبداً. كلُّ الذي رأيتُه منه الاهتمام بالروايات الخليعة والمجلات الخفيفةِ العاريةِ والتمْثِيليَّاتِ المُسَمَّمةِ الهدامةِ وناهيكَ بأفْلامِ «الفِيدَا» المحرمة.

وما أنكر أني ـ لما كنتُ طالباً في جامعةِ «السربون» في لندرةَ شاهدتُ طُلَّاباً مستهترين سلوكاً، ولكنهم لم يكونُوا مُهملين دروسَهم أبداً بمثابةِ ولدي ولم تكنْ لهم مِثْلُ شَراستِه في سوءِ الخلق ولا في إعراضِه عن حقائِق المعرفة وازدرائه لها..

بل كنتُ أشاهدُهُمْ يَزْدحِمُونَ على مكتبةِ الجامعةِ وَيَلْتهُمونَ المعرفةَ بِشَرهٍ لأنهم كانوا يَأْبَوْنَ على أنْفسِهم أن يكونُوا دونَ زملائِهم ثقافةً ونجاحاً ومكانةً «... أباة أباة...».

وكانوا يتسابَقونَ على المؤلفاتِ الحديثةِ ذاتِ الأساليب الصحيحة التي يُصْدرُهَا علماؤُهُم وأُدباؤُهم ودعاةُ سَاسَتِهم.

ومن أجْلِ ذلك مَا صَدَرَ مؤلفٌ جَديدٌ ذُو قِيمةٍ عِلْميةٍ أو أدبيةٍ أو اجتماعيةٍ أو سِياسِيَةٍ إلَّا وبَادَرُوا في اقْتنائه وكنتُ أجدُ المؤلفاتِ القيمةَ تطبعُ مراراً وبكميَّاتٍ هائلةٍ.

وكم أتمنّى أن يكونَ مثلُ هذَا الاهتمامِ الرائع مُهَيْمناً على نفسياتِ شُبَّانِنَا. وكان الشيخ يتحدثُ عن وَلدِه وهو يَرجفُ كالطرفةِ في مَهَبِّ الرياح. وكان الجميعُ يصغون إليه بإشْفَاقٍ.

ووَدَّ كلُّ واحدٍ مِنَ الحاضرينَ لو كانَ الأمرُ بيدهِ لأَمَرَ بإحضارِ ولده وجلْدَهُ على أعينِ الناس لولا أنَّ الشيخَ بادر وأوصلَ الحديث فقال:

هذا يَا سِيَادة المدير حَالُ وَلدِي ويشهدُ الله لم آسَ لولدِي وحْدَهُ بل

لكلِّ الشبان أمثالِه،ومثلكُ وأنتَ على رئاسةِ الشرطةِ لن يَخْفىٰ عليك ذلك. .

وكلُّ رجائِي إليكَ أن تنظرَ في شأنِ ولدي نظرة إصلاح وتقويمٍ لأني أنا عاجِزٌ عَنْ إصْلاحِهِ. وتقويمه. وأنتَ بِمَا لك مِنْ سَعةِ السلطةِ النافِذة، وَحُبٍّ لإصْلاحِ الجيلِ الصاعد لَنْ يُعْجِزَكَ إصلاحه وتقويمه بل لن يُعْجزك إصلاح أمثاله من الشُّبَّانِ المنحرفين في الوطنِ أجمع. قال رئيس الشرطة. . «كانَ الوالد يتحدثُ إليَّ وهو يَائِسٌ من إصْلَاحِ وَلَدِهِ وإمكانِ نَجاحِهِ في يوْمٍ من الأيام.ولمَسْتُ أَنَّه يحْمـلُ أسىً بالغاً ويأساً سَاحِقاً».فقلتُ له مشفقاً. «عُدْ إلى منزِلك واسْترحْ وقلْ لولدك إنَّ رئيسَ الشرطةِ يريدُك غداً في الساعةِ العاشرةِ في مَقرِّه ولا تكلفْ نفسَك بالحضور معه».

وجاءَ الغدُ وأعلنتْ دَقَّاتُ الساعة العاشرة ولم يحْضرِ الْوَلدُ بل حَضَرَ الوالدُ وحْدَه وهو يرجفُ كالْقصَبةِ لدى اشتدادِ الريح. وهو يَقولُ امْتنعَ يا سيدي المدير عن الحضور وظلَّ يَصْرخُ في المنزلِ لا شأنَ لي مع مدير الشرطة ولا شأن له معي أنا حُرٌّ أنا حُرٌّ والتفتَ إلى والدتِه منفعلاً. وكانتْ واقفةً إلى جانبه تخفيفاً لِلْوطئةِ، والرعب ينفجر من عينيها.

قولي. . لأبي ذلك. لا أريد أحداً أن يتدخلَ في شؤونِي بتاتاً. وغادرَ المنزلَ ساخطاً وها أنا جئتُ إليك وحدي. . !!

. . رَثيتُ لحالِ الوالد الحزين وقلتُ بحزم دَعِ الأمرَ إليَّ. أنا الآن أحضرهُ وقرعتُ الجرسَ وطلبتُ إحضاره حالاً، وما هي إلا ساعة حتى كان الولدُ بين يديَّ. وتفرستُ في محياه فلم ألمحْ في تقاطيعِهِ دلائل خُبْثٍ وإصرارٍ وإنَّما طيشُ عنفوانِ شَرْخِ الشَّباب وَفِتْنةُ المعاشرةِ المـوبوءةِ بينَ بعضِ الشبان فقلتُ له:

ـ يا ولدي أنتَ لا تزالُ في طليعةِ شبابك وأنتَ الآن تملكُ ثروتَيْنِ عَظِيمتَيْنِ:

١ ـ ثروةِ الصحـةِ.

٢ ـ وثروة فراغ الوقتِ.

هما ثروتانِ عظيمتانِ ونعمتانِ كبيرتانِ هُمَا جَناحانِ حَدِيديَّانِ تستطيعُ أن تُحَلِقَّ بهما إلى قِمَمِ الأمجادِ وبدونهما تظلُّ طريح هَواك ومهالِكه من حيثُ تدري أو لا تدري وها هِيَ قِمَمُ الأمجادِ الشامخةِ ترفُ أعلامُها هاتفة بك.

هلمَّ هلمَّ شَمِّرْ عن سَاعديْك وحلِّقْ فما دونك مِنْ حَاجِزٍ. وأحْذرْ وَهْنَ إرادتِكَ وانحطاط أصدقائك أجلْ أرىَ أن أصـدقاءَك منحطيـن خالينَ من الطُّموحِ الحافِز. وانْصحُكَ أنْ لا تعاشرَ مِنَ الأصدقاءِ إلَّا الطامحينَ الأبطال الذين يُوصلونَ الليلَ بالنهارِ لنيْل مراتِبِ الخلودِ وقلْ مَعِي بكـلِّ عزيمـةٍ وإيمانٍ.

شَـبــابٌ قُنَّــعٌ لَا خـيْــرَ فيـهـمْ   وَبُـوركَ في الشَّـبـابِ الـطَّامِحِينَـا

والشابُ الفارغ كالقربةِ المنفوخةِ بالهواء والشبابُ المملوء بالطموحِ كالقربة المملوءة بالشهد..

والذي أتبينُهُ فِيك أنك ذَكِيٌّ ومدركٌ.وأنتَ في عَهْد التأسيس وَتَمْلكُ الإرادةَ العاصمةَ والوعيَ المتَّقد والمواهبَ الماجدةَ فلا تُخَيِّب أملي فيك واحفظْ نفسَك وإلا نَقِمْتُ عليك وحَذَارِ مِنْ نِقْمتي..

والآن خذْ وَالدك وبيِّنْ له مِنْ نَفْسِك أنك عندَ حُسْنِ ظَنِّي بك. ومهما يكنْ الأمرُ فالحياةُ حَياتُك إنْ عملتَ على إسْعادِهَا فأنت الذي تعيشُ سعيداً وإن عملتَ على إشقائِهَا فأنتَ الذي تعيشُ شَقيًّا.

والذي أراهُ منك أنك ستكونُ مِنْ سُعداءِ الحياةِ هذا ظَنِّي بك هذا ظَنِّي بك. والحياةُ نعمةٌ إن أنتَ حفظتَها حَفظتْك وإن أنتْ أهملتَها طرحتكَ. أرضاً.. وها هي أسباب حفظها طوعُ يديك وأنتَ وحْدَكَ الذي تَنْسجُ وتحكمُ أمرَها.

وهَا هِيَ الدولةُ تقدمُ إليك نفقاتِ العلم، مَهْما كانَتْ باهظةً ولكنْ يجبُ أن تَفْهمَ أنَّ الدَّوْلَة غيرُ مستعدةٍ أَن تقدِّمَ لَكَ نَفَقاتِها لِنزواتِ الشَّباب وجنونِهِ ويكْفِي أَنْ تعلمَ أنَّ مَنْ تَعِبَ شَابًّا فِي العمارِ استراح كبيراً فِيَ مَا عَمَّرَ وشيَّد.

وأخيراً قلتُ لَه:

أنا لا أدري كيفَ يَجْهلُ الشَّابُ أنَّ الحياةَ كسِنَةِ حُلُمٍ طَائِرٍ وخِلْسةِ غَفْوةٍ عَابِرَةٍ وبَسْمةِ أُمْنِيَةٍ خَادِعَةٍ..

والدُّنْيَا بأَسْرِهَا لاَ تزيدُ في عُمْرِ الزَّمنِ عَنْ سَاعةٍ مِنْ نَهَارٍ فكنْ فيهَا إنْساناً قبلَ أنْ تدركك الشيخوخةُ وترمي بك في هُوَّتِهَا. وإياك وإياك أن تبلغَ الشَّيخوخة الواهية وأنتَ معدمٌ مِن ثراءِ العلم أو المالِ واذكر أنَّ:

مَنْ فاتَهُ العلمُ وأخْطَاه الغِنَى فَذَاكَ والكلبُ عَلَى حَدٍّ سَوَى

قال المديرُ وسكتَ ولم يجبْ عَلَى حَديثي معه وتَدَفَّقَ دَمْعُهُ النادمُ وانْحنَى ليصافحِنِي ويشكرَ نُصْحِي لَه قلتُ لاَ حَاجَةَ إلى الشكرِ ولكن شكرك لي هو التزامك النصح وانصرف معاهداً.

وسررتُ بذلك جدًّا وأنا متوجعٌ على الشبابِ أمْثاله الذِّين لم يبلغُوا رُشْدَ الوعي.. الشباب المفتون بغرور جِدَتِه وشَبابه وفراغِه، وودعني وأنا أنشد قول أبي العتاهية:

إنَّ الشبابَ والفراغ والْجِدَةْ مفسدةٌ للمرءِ أي مفسدة

وارتحتُ إلى مَا تم. . ولكن قبلَ اكتمالِ مرورِ الأسبوع عادَ إليَّ والدهُ متداعياً وَهْناً كأنه خارجٌ مِنْ رَمْس وهو يستغيــث وَيَسْتنجدُ قائلاً:

«كأنك يا سيادةَ المدير أعطيتَه دَانَميتاً من التَّمردِ والعُقُوق وبارُوداً مِنَ الشراسةِ والنَّزقِ وعاصفةً من الحنقِ على والدتِه وَمَـارِجـاً من السخطِ وبدَا كأنَّه معتوة أو جملٌ هَائجٌ غَضوب.

وأمَّا إهْمالُه لِلدَّرْسِ فقدْ زادَ إلى غيْرِ حُدودِ والأدهْىٰ والأمرَ أَخَذَ يقولُ ما فَائِدةُ العلم وكم رأينا من علماءِ شوامـخ لا يجدون مـا يأكلونـه هم وأهلوهم. وبكلِّ صراحةٍ أمقتُ العلمَ وأكرهُهُ وأَنَا حُرٌّ فيما أُحِبُّ وأكْرهُ وكلُّ رجائي إليكم أن تَفْعلوا مَا أنتمْ مستطيعونَ فِعْلَه هَيَا هَيَّا. .

واختنق صوتُ الشيخ ولم يعدْ قادراً على مُتابَعةِ الْحديثِ ولكنْ تتابعتْ مدامعُ عينيه واشفقتُ عليه وقلتُ لَه:

ــ أينَ ولدك الآن أجاب:

ــ تركتُه في المنزل.

ــ وبعثتُ أفراداً من الشرطة لإِحْضارِه.

وما هي إلا بعضُ الساعةِ حتى كانَ الشَّابُّ بين يديَّ واقبلَ ليسلِّم عليَّ فلقيتُه متجهماً مُكْفَهِرَّ الوَجْهِ غَاضِباً. . وصرختُ فِي وَجْهِهِ صرخاتِ العُقابِ فَقَد أفراخَهَ وقلت:

ــ لرجالي اطرحوهُ أرضاً بعنف واجْلدوهُ خمسينَ صَوْتاً فارتاعَ والدهُ لهذا العدد فغمزته وفطنَ إلى ما أريدُ أمَّا الشابُ فإنه فَقَد وعْيَهُ وأخذَ يصرخُ أتوبُ أتوبُ واللهِ أتوبُ ولن أعودَ أبداً أبداً.

ــ ولكننِّي رفَضْتُ كلَّ توسلاتِهِ وأشرتُ إليهم أن يُباشرُوا جلدَهُ. ولكنه

ما كادَ يذوقُ جلدةً واحدةً حَتَّى كادَ يُغْمىٰ عليه وحينَ رفع الجلادُ يدَه لِيُثْنِّي وقف والدُهُ بإشارةٍ مني وهو يقول:

ــ : أنا أكفلُه أَنْ لا يعودَ أبداً يا سيادةَ المدير لفعلِ ما يُكــرهُ.

ــ قلتُ وأنا أتظاهرُ بالغضبِ لولا أنك والده، ولولا أنك تعهدتَ أنه لا يعودُ إلى ما كان عليه من قبل لأذقَته ألواناً من العـذابِ فوقَ الخمسين جلدة. . .

وهنا قلتُ قسماً باللهِ العظيم لو عَادَ إلى ما سلفَ فلنَ أقبلَ شفاعةَ أحدٍ والْتفتُ إلى والِدهُ أَنت المسؤول دونَ الناس جَميعاً خذه وانْصرف.

وبعدَ شهرٍ تقريباً أقبل والدهُ يشكرني أرأيتَ السمن والعَسَلَ في الحلاوةِ والطيب هو الآن كذلك وصدق من قال لولا المُربي لما عرفتُ ربي.

وأنا أذكر لكم هذه القصة الواقعية تأكيداً لذلك والشابُ اليوم من رجالِ الأعمالِ المحترمين وهو صديقي المحب وهو يشكرني كلما رآني وقد صدقَ رسولُ الله ﷺ في قولِه «إنَّ اللهَ ليزعُ بالسلطانِ مَا لَا يزعُ بالقرآنِ».

أَيُّ بَلدٍ هــذا؟!!

هُوَ عَالمٌ هنديٌّ داعيةٌ للإسلام كان يفِدُ إلىٰ المدينةِ المنورةِ كلَّ عامٍ وَيَقْضِي أربعة أشهر رمضان وشوال وذا القعدة وذا الحجة ولكنْ كان في غُرةِ ذي الحجة يُغادِرُ المدينة المنورة إلى مكة المكرمة للقيام بركن الحج ثم من جُدة يعودُ إلى بلاده.

وكان يقصدُ بطُول الإقامةِ في المدينـةِ المنورة التَّـطهرَ في رَوضَتِهـا الشريفةِ التي هِيَ مِنْ رياض الجنة بكل تأكيد، وباعتبار أن تَطَهر الإنسانيةِ مِنْ الشرك والوثنية والإلحادِ كانَ منطلقه أول مرةٍ من هنا وكان ثَريًّا يغدقُ العَطَايَا والمعونات لأَهْلِ الحاجة بها وكانَ يصحبُه في ظلام الليالي الحاج شريف العيتاني الذي كان يديرُ مكنات إضاءة المسجد النبوي، والشيـخ حمزة بن محمد شَيرة.

وكان أَهالي المدينة يسمونَه رجـلَ الخير وكـانُوا يَـوَدونَهِ مِنْ صميم أفئدتِهم لأنَّهم لم يَروْهُ إلاَّ تالياً للقرآن الْمَجِيدِ في الروضةِ المطهرةِ أو مُشمِراً لِلصلاةِ أَوْ وَاعظاً أَوْ مُسْتمعاً لِوَعْظ .

وإذا كان خارج المسجدِ فإنَهُ يتفقَّدُ ذوي الخَصَاصةِ بمرافِق العيش أو ببعض الكسىٰ أو الأقمشةِ التي كانَ يَصْحبُها معه. .

قلتُ : وكُنَّا زمرةً من الخلانِ دُونَ اليَفَاع نُرافقُ الحُجَّاج إلى المساجدِ لأرْشادِهم «وفي يوم كنَّا نُصلِّي العصرَ في الْمَسْجِدِ الأول في الإِسْلام مَسْجدِ

قُبـاءَ برفقـةِ الحُجَّاج وكـان مزدَحمـاً بهم وببعضِ الأهالي كـالعادةِ أيـام المواسم..

وبعدَ أداءِ الصلاةَ وتلاوةِ التَّسابيحِ الواردةِ في السنةِ الصحيحة تحلَّق الأهالي والحجاجُ حَلقاتٍ حَلقاتٍ متتابعةٍ حولَ الداعيةِ رجلِ الخيرِ، ورجلُ الخيرِ هو اللَّقبُ الذي كان يُعرفُ به..

وكانَ الأهالي يَعْرفونَ منه غزارةَ المعرفةِ وعمقَها وحقائقَ معجزاتِ القرآنِ العلمية. وكانُوا يَجْتمعونَ حولَه لسَماعِ أحاديثِه وهو يُحْسِنُ اللغةَ العربيةَ إحْسانَه للغةِ الأوردية والإنجليزيةِ.

وكـانت أحاديثُـه تجذبُهم إليـه لأنها قبسٌ مِنْ أَحْسنِ قَصصِ القُـرآنِ المجيد. ومِنْ مُدْهشاتِ مُعْجزاتِه الفذةِ المُتحدِّية.

كما كانت تجذبُهمْ عَجائبُ أسْفَارِهِ وما كَان يلاقيهِ من التأييداتِ لدى مُقَارنَتِه عقائدَ خَاتِمَ الوحي الإلّهي القرآن المجيد بمعتقدات الْبَشَر الخرافية السائدة التي تُجافي يقينَ العلم وواقع الوجود كما أنَّها الحافِلةُ بالترهاتِ والمهازلِ، وبالقسوةِ العاصفةِ المبيدةِ التي يَسْتحيلُ أنْ تكون من وحي رب العالمين. وكان أكثرَ وعْظِهِ بالقرآن المجيد وكشفِ مُعْجزاتِه العلمية وكانَ يقولُ الناسُ أمتان أمة الإجابةِ وهي نحن الذين أجْبنَا دَعْوةَ اللهِ ووعيْنَا أنَّها يَقينَ واقعِ الوجرِدِ، وسرُّ حَقَائِقِ العلم.

وأُمةُ الدعوةِ وهمُ الجماعات والأفرادِ الذين لَم يَعْلَمُوا حَقَـائقَ خَاتِم الْـوَحْيِ الإلّهي القرآن المجيد كماعلمناهُ ووعيْنَـاهُ. بطريق التـواتـر العلمي الجماعي، وَبحقائق العلم اليقيني.

وهؤلاءِ فريقان فريقٌ يَجحدونَه على علمٍ أنَه كلامُ ربِّ الْعالمين وخالقِ الخلقِ أجمعين وهؤلاءِ هم المغضوب عليهم لأنَّهم عُنْصريونَ ملاحِدةٌ لا

رَجَاءَ في إيمانِهم ولو أُسْقطتْ عليهمُ السماءُ كِسَفا.

وفريقٌ تائهٌ في تَقَاليدِه وترهَاتِهِ لا يَـدْري ما هـو الصحيحُ، ومـا هو الفاسدُ، وما هو العلمُ وما هو الجهلُ وما هو الإيمانُ الإنسانيُّ العالي وما هو المنخفض المنحطّ..؟!!

وكانَ هو قَدْ عانَى في سبيلِ الدعـوةِ إلىٰ حقائقِ الإيمـان الصَّحيح المنزل مِنْ ربِّ العالمين في خَاتِمِ الكتبِ السَّماويةِ مَا عانىٰ، وكَانَ يقولُ أكثرُ دُعاةِ الإسلامِ مِنَ التُّجارِ المُخْلصين وأولُ التجار المخلصين أبو بكر الصديق ولا نهايةَ لآخِرهم.

وكانَ يَعْشقُ الدعوةَ إلى الله لأَنَّها حِرْفةُ رسلِ اللهِ صَلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم وأَهْلِ الصدقِ في الإيمانِ بالله الخالق العظيم.

وكان يكرهُ الخُرَافَاتِ والتُّرهاتِ التي دَسَّها العنصريونَ الملاحـدةُ في حَقَائِق العلمِ اليقيني الذي جاءَ به القرآنُ المَجيدُ... لَا لِشَيْءٍ إلَّا لِسَخَافَةِ عُقولِهم وانحطاطِ أنْفسِهمْ وَتفكيرِهم الشاذ المتخلف.

وَبدلاً مِنْ أَن يَدرسوهُ ويدْعُوا لَه أخذُوا يُشوهونَه وهل تَجدُ تَشْويهاً أكبرَ مِنْ إدخالِ النِّحلِ المُؤَلِّهةِ للمخلوقات فِي الإسلام ونسبتَها إليه.. ويبكي لأنها أضرت غير العالمين بمعجزات القرآن المجيد.

وكان يحمدُ اللهَ لسلامةِ النُّصوص الإسْلامية مِنَ الدخيلِ لأنها متـواترة ويبكي لأنه يرى أكثر البشر كالدوابِّ لا يُميزونَ بينَ العلمِ والجهلِ والحقِّ والباطلِ والخرافةِ والدين.

وهُوَ يَراهم يَتَّبعونَ كلَّ ناعقٍ وإنْ كان يَسْوقهم إلى جهنمَ وغضبِ الله سَوْقاً وهم يَحْسبون أنه يسيرُ بهم إلى سَعادةِ العالمِ الثَّاني..

ومن أجل ذلك كانَ يحِبُّ أَتْبَاعَ الإسلامِ الأحْرَارِ المفكرين الدارسين ويمقتُ المقلدينَ المغفَّلين الذِّينَ ينقادونَ إلى جهنم عياناً. كما تقادُ الأبقارُ إلى المسلخ.

وكذلك يُحِبُّ الدعاةَ العلماءَ المفكرين القادرين على كَشفِ الحقائقِ الإسلامية لأهلِ الأديانِ الأخْرَى والملحدين خاصة.

ويكرهُ الجَاهلين المغفلين مَنْ نصبُوا أنفسَهم دعاةً للإسلامِ في أُوربا وأمريكَا وهم جاهلونَ لاَ يعلمون شيئاً عن حقائِق الإسلامِ وهُمْ يَضرونَ الإسلامَ بدعَايتِهم لَه أكثرَ مما ينفعونه وكان يُندِّدُ بِهم وسأل الله أن يصرفَهم عن مَزاولة الدعوةِ لعدمِ جَدْواهم ويتمنَّى لو انصرفوا إلى دراسة أصول الدعوة والإيمان الصَادق من مَنابعه اليقينيِّة.

أجل كان يمقتُهم ويؤثُرُ الصَّادقين مَنَ العلماءِ القادرين المنتجين ويمدهم بعطاياه الوفيرة وكانت عطاياه ذاتْ قَدْر ونَفْع. أجل رأيت في لندن وسواهَا من أهل بلدَنا الهند كثيراً يحبون الدعوة إلى الإيمان العلمي.

وكان يقول أنا ما جمعتُ الأموالَ الكثيرةَ إلاَّ بفضلِ اللهِ وتوفيقِه ولا أقولُ ما قاله قارونُ ﴿أوتيتهُ على عِلْمٍ عندي﴾ لذلك أحب أن انفقه في سبيلِ اللهِ لأجلي أنا والمسلمين.

أجل لَم أجمعْهَا لأتَّخذَهَا رَبًّا أُكَّرِسُ كلَّ حَيَاتِي لِجَمْعِها وادِّخَارِها ثمَّ أدعُها فِي ساعةٍ غافلةٍ عَاسفةٍ نكراء دونَ فكرٍ ووصيَّةٍ وافادةٍ أدعُها إلى غير عودة إليها رغماً عني.

لاَ لاَ بل أنا جمعْتُها لآخذُها معي مثوبةً حسنةً عِندَ ربي وأسوةً خَيَرةً لدى أمثالِي مِنَ التُّجارِ المؤمنين الصَّادقين وَلَسانُ الصدقِ إيمانٌ، ولسانُ الكذبِ كفرٌ. ولا أرضَى أن يضحك عليَّ إبليس اللعين وَجَشَعُ نَفْسِي،

يريني. كلما فكرت في الموت أنها لن تموتَ وإنْ كانَ هُناكَ موتٌ فَبعِيدٌ بَعيدٌ وأنا أدْري أنَّ ذلك وسوسة من وساوسِ الشيطانِ وغرورٌ مِن تَهاويل النفسِ وعبثٌ وهوىً وفتنةٌ وجهالةُ نفس، وعرامُ غريزة، وكم هو مسكينٌ الإنسان بنفسه والشيطان يتجاهل مفاجآت القدر.

أجلْ مسكين ألف ألف مرة أما أنا فلا أريدُ أن أخْدع نَفْسي بِحُجَّةِ أَنَّ موتي بَعيدٌ وَلَنْ يُفاجئني أبداً لذلك إن جاء فلا أندمُ لأنَّ الأموال الطائلة التي أجهدتُ نفسِي وَجَمعْتُها عرفت حق نفسي فيها وحق أولادي.

فأنامُ قريرَ العينِ في قَبْري ولا أندم أني حرمتُ تأييدِ الإسلامِ بأموالي بحجةِ أولادي الباطلة والحمد للهِ فهانــذا.. أقدم حق نفسي احتساباً في سبيل الله جل وعز ليكون ذخراً لي..

ومهما يكن فنهاية الأموالِ المجتمعةِ أن تَتفرَّق ضرورة أن كلَّ تَجمُّع لابُدَّ له أن يتفرق والذين يفرقونه إمَّا أن يُفرقوهُ في سبيلِ الإيمانِ باللهِ والدعوةِ إليه وإذاعةِ المُؤلفات القيمة النافعة التي تكشف حقائقه.

وإمَّا أن يُفَرقوه في سَبيل لذاتِهِم الخَاسِرةِ وشرورِهَا وآثَامِهَا. وهذا الذي شاهدتُه في أسفاري وقليل جداً أولئك الأبرار الذين يفتكرون مورثيهم بشيء من الإحسان لذكراهم هذا الذي لمسته وأنا أتجول دارساً أحوال الأمم في شتى البلاد.

لذلك صممتُ أن أقوم أنا بهذا في حَياتي إذ محال أن يقوم أحد باسمي بعد حياتي وأنا أقول: راوي القصة شَاهدتُ في هذا العصر ذرية الملك فيصل فعلوا أكثر من ذلك في إحياء ذكرى ولدكم العظيم.

وكان يقولُ لماذَا لا أحْسِنُ واللهُ يُحِبُّ المحسنين: والواقـع أنَّ الدنيـا كالفراشةِ الزاهيةِ التي تحملُ ألواناً ساحرةً من الجواهر البراقةِ ظَاهِرُهَا فَتَّانٌ

جذابٌ رائعٌ رائعٌ وبَاطِنُها حشرةٌ قَذِرةٌ منفرةٌ وأنا لم أخدعْ في يومٍ بِظَاهِرِهَا الجذاب الوَشيكَ الأُفول.

وكم خفتُ لمَّا رأيتُ الناسَ يُقبلون عليَّ لأني أملك زينة الدنيا التي يَهْوُونَها أجل خِفتُ وخفت. لِأني رأتنِي أنا نَفْسِي كالفراشة ظاهري جَذَّابٌ مُغْرٍ لِما أملك مِنْ ثراء وباطِني في النهاية قَذِرٌ منفرٌ جداً جداً وأقرب مِنَ خفقةِ الفؤادِ يكون ذلك.

وما أجيء إلى بلدكم المقدس في كل عَامٍ إلَّا لأُطهرَ نَفْسي وأُصَفِّيها مِنْ أقذَارِهَا لكيْ لا أضيفَ إلى قَذارةِ جَسَدِي في قبري قذارة نفسِي وصدق رسول الله ﷺ «القبرُ روْضةٌ من رِياضِ الجنةِ للمؤمنين المطهرين» وحفرةٌ مِنَ حُفَرِ النَّار للقَذِرين المنافقين.. وما أقبحَ الاطْمئنان إلى الدنيا الغرارة وحَسْبانها دائمة دائمة.. وما خلقت الدنيا إلا لبناء الحضارات الإنسانية العالية ذات الإيمان الصحيح.

وكم رأيتُ في هذه الدنْيا الذين يَخْدعُونَ النَّاسَ بظواهِرِ التَّقْوى والعَفَافِ والصِّدقِ والاستقامةِ وتأييد دُعاةِ الإيمان ويبطنون قذرَ الخبائث هذا الذي كنتُ أشاهدُهُ مِنْ أكثر الناس في بلدي. ففررت إلى بلدكم لكي أتَطَّهر، أجلْ رأيتُ ظواهرَ أكثرِ الناس سوى بواطِنهم ورآيت أكثر الناسِ في خلواتِهمْ سِواهمْ في جَلواتهم.

وإني أكبرُ الذين يَجْعلونَ كـلَّ حَياتِهم جهـاداً لِبناءِ الأَمْجـادِ لأُمتهم ودولتِهم وتاريخهِم.

وإليكم هذه القصة أختم بها حدِيثي معكم اليوم.

القصـــة :

قال العَلامة أبو الخير.. رجل الإصلاح الإسلامي.

منذُ وعيتُ أنه لَا بُدَّ مِنَ الكدح والسهر والنَّصبِ لبناءِ الأمْجاد وأنا أَسْعى لجمع الأموال لبناء أمجادٍ . . واليد الخالية من الأموال لا تستطيعُ أن تبني خُناً للدجاج لا أمجاداً لأمةٍ لِذلكَ لمّا توفرتْ لديَّ أموالٌ جمةٌ واسعة أحببتُ الأسفار لاكتشافِ العِبْرة والتفكيرِ في الأمم البائدة والاتعاظ بَمَا حلَّ بهم من المهالك .

أجلْ أحببتُ السيرَ في الأرضِ حبًّا في تَنْفيذ أمْرِ الله **﴿قُلْ سِيروا في الأرضِ فانْظروا كيفَ كان عاقبةُ المجرمين﴾** [٢٧ ـ ٦٩] .

وقوله كذلك : **﴿أولم يَسيرُوا في الأرضِ فينظرُوا كيف كان عاقبةُ الذين كَانوا مِنَ قبلهم كانُوا هم أشدَّ منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذَهم اللهُ بذنوبهم وما كان لهم مِنْ الله مِنْ واق﴾** [٤٠ ـ ٢١] .

أجل أجل أحببتُ السير في الأرض والتقلب في شَتَّى الأوطان لاكتساب العظةِ والاعتبار يشْهدُ الله؟ ما زلتُ أَنْتقلُ مِن بلدٍ إلى بلدٍ حتَّى وفدتُ إلى بلدٍ يتفجَّرُ إنسانيةً وشَوكةً وعزةً وكرامةً وعفةً وَإيماناً ومروءة ونجدةً فأحببتُها وأطلتُ المكث فيه وأخذتُ أكثر من الترددِ إليه في كلِّ عام مرةً أو مرتين .

وإني أحببت أهلَهُ لطيبِ أخلاقهم وصفاءِ أنفسِهم وسَماحةِ شمائِلهم وَلين كلماتهم .

أحببتُهم حُبًّا جماً والذي ضَاعَف حبي لهم هو أني كلما تجولتُ في أسواقِهم وتعاملتُ مع تُجَّارِهِمْ رأيت العجبَ العُجَابَ .

أجلُ رأيتُ شَمائِلَ كريمةً كَأَنَّها حَبَّاتِ اللؤلؤِ والمَرْجان في أَسْلاك الذهبِ . وعجبتُ أني لم أَجدْ مَنْ يتوعَّر في أخلاقِه أو مِنْ يَتغالظُ فِي كلامه

أو من يتهجمُ في أوجه الزبائن.

بلْ كانتْ كلُّ مُعاملاتِهِم تَحُفُّها البشاشةُ والطلاقةُ والرِّضَا والسَّماحةُ فسألتُ صديقاً لي عن سَببِ الإجماعِ على التَّحصنِ بمكارمِ الأخْلاق لأني لم أجدْ شُذُوذاً لِلْقاعدةِ فَمَا شَاهدْتُ شَرساً متخلفاً يَتهجَّمُ في أوجهِ الزبائِنِ الثقلاءِ المُتْعبينَ حَتَّى أخذَتْني حَماسةُ التجربة والدِّراسةِ لبواعثِ مكارم أخلاقِهم فطفتُ في الأَسْواقِ وتعمدت الشراسةَ والتثاقلَ والأخذَ والردَ والعبثَ بتصنيفِ البضائع الذي يُثير غَضَبَ الحليمِ ويخرج العقلَ مِن الرأس.

أجل فعلتُ ذلكَ وأكثرَ من ذلك فَما رأيتُ إلاَّ رِفقاً وتسامحاً وَبَشَاشَةً وتنبيهاً برفْقٍ إلىٰ الأخذِ بالأحْسَنِ في أُسْلوبِ الشراءِ.

أجل سألتُ الصديق مَا الذي جَعَل الناسَ على أكرمِ الأخلاقِ الإسلامية الْماجدةِ وصارحْتُهُ بما فَعلتُ فضحكَ وقال: إنْ رأيتَ حِفَاظاً عَلَى مكارم الأخلاقِ في بلدنا فإنَّ مأتاهُ من تربيتِنَا المتأصلةِ في مَنازِلَنا منذ نُعومةِ أظْفارنَا ونحن إذَا رأيْنا مِنْ يَشذُّ عن مَسْلِكنَا القيِّم قَاطَعْناه ومعنَى ذلك لم يجدْ مَنْ يتعاملُ معه أو يبتاعُ منه كما أَنَّ مودةِ المواطنين لديْنا لا يمنحونها إلاَ مِمَنْ يَلتزمُ بتمامِ مَكارِمِ الأخلاق التي أتمها خَاتمُ رسلِ الله ﷺ ومَنْ حاول أن يحيد عنها فيجعلَ تمامها شَهْداً علىٰ لِسَانِه وَصاياً وعَلْقماً في فِعاله نبذْناهُ نبذَ النواة ولم يرَ مِنْ واحدٍ مِنَّا سِوَى ما يكرهُ ولن نرضى أن يعود إلى جماعته حَتَّى يعلنَ توبتَهُ على الملأِ ويجرب ويراقب مراراً ومراراً..

وذكر أنَّ مِنْ مكارم أخلاقِ هذا البلد أنَّ صاحبَ المتجر إذَا باع هو وجارُهُ لم يبعْ حوَّلَ الزبائنَ إليه وإذا أفلس أحدُ التجار تداركَهُ أهلُ السوقِ وأعانوه، وإذا مرض عَادوهُ وإذَا ماتَ شيعُوا جَنازته..

... وتبينتُ أنَّ أرباحَهم عاديةٌ جداً ومهما ارتفعتْ فإنَّها لا تزيدُ عَنِ العشرةِ في المئة... وإنْ حسابَهم لإخْراج أموال الزكاة أمينٌ جداً ودقيق جِدًّا..

والحمد لله لن تجدَ بيننا من يَحتالُ ويظهرُ شيئاً ويَخْفي شيئاً: لا لا الجميع صرحاء مع أنفسهم ومع الناس والكرم فطرة وراثة معدن الذهب الخالص.

وكم هُمُ الذين يطوفون في الليالي المظلمات يبحثون عن الأرامل والأيتام يُواسونَ وَيُعينونَ من يستحقون العين بكل رفق وبشاشة واحترام حفاظاً على كرامة نفوسهم.

وهنا تهامس الرفاق وقال بعضهم لبعض «أية بلدة هذه التي يقصها علينا: لعلها من بلدان الأقاصيص أو من مُدن الأحلام أو من مدن التاريخ وقد فطن إلى تَهامسنا به مبادر قائلاً:

ها أنتم في رحابها ها أنتم من أهلها هي با أبناء طيبة المباركة أجل هي طيبة التي طيبها رسول الله ﷺ بتمام مكارم الأخلاق. وقال عنها:

«إنَّ الإِيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيةجحرها» أو كما قال صلوات الله وسلامه:

«أقدم هذه الكلمة والقصة إلى مَليكنا رجل الخير والإسلام والتقوى والعزة والكرامة..

أطال الله عمره...».

عالمنـــا والقصص

عَالَمُنَا الذِّي نَعيشُ فيه، يعيشُ أحياؤُهُ في بَحْرٍ لُجيٍّ عميق الأعْماق، وَدُجَاهُ المسدولُ كثيفٌ جِدًّاً، وأَحْياؤُهُ شتَّى شتَّى أشكالاً ولكنَّهمْ مُتَشَابِهُو الغَرائِزِ ضراوةً وشراسةً وعصبية هِيَ غرائزُ أولية مُنْحطة.

تلك هِيَ غرائزُ الغاب في مجموعةِ نَفْسِ الْحيوانِ أَدْنى الحيوانِ وفي نَفْس أعلاه الإنسان دونَ أيِّ امْتيازٍ في نتائجِ أعمالِ الجميع إلَّا ما يقتضيه رَوْنَقُ الحَضَارةِ الظاهرةِ والعلمِ والأدب والفن.

والقصةُ إحْدَى الفنونِ الراقيةِ الموجهةِ، لَوْ أَحْسَنَّا الإفادةَ مِنْها لأفْدنَا وَحْدَةً وإنسانيةً وإيماناً وَخُلُقاً وعلماً وأدباً وفناً.

والقصةُ وإنْ كانتْ أمها الأَرْض إلَّا أَنَّها تُحَلِّقُ فَوْقَ الكواكبِ، وأَلْوانُها في الآداب العالمية مندهشاتٌ، وأوضاعُها ونوازعُها وأحداثُها لَا نِهايةَ لها، والحياةُ كما تقومُ في أكثرِ اتِّجاهاتِهَا على الشبقِالجنسي، وعلىَ التَّحايُلِ لنيل الرغائب وجمع المال وَلَوْ مِنْ طريقِ الخسائِس كذلك القصةُ نَزْعَـةُ وانكشافٌ ونسائمُ طيوب وعواصفُ وزلازلُ وبراكينُ وسيلُ مَعْرفةٍ عَرِمٍ وروعة فن جاذبة.

والحياةُ كذلَكَ مزاجٌ من الطهرِ والفسادِ والإيمانِ والكفـرِ والسَّقـمِ والفكاهةُ والجد والبأساء الضـراء وكذلك القصة.

ومثلُ القصةِ كمثل صُنْدوقِ الْبِلَّوْرِ الصَّافي الشَّفاف الذِّي يُغاصُ به فِي

أَعْماقِ المُحِيطات وَيُريكَ عَجَائبَ المخلوقاتِ وشتَّى عـوالِمَها ومـدهشاتِ تكوينِهَا..

ويريك مختلف أَحْيائِهَا الأليفة والوحشية، والحسنةِ والبشعةِ، والنافعةِ والضارة والصَّغيرة التي لا تَكادُ ترى، والكبيرةَ التي تَفوقُ ضَخامَةَ الأطواد.

وعلى كلِّ حالٍ فالقَصصُ فنونٌ وفنونٌ، فن الحياةِ، وفن اللغةِ وفن الأدبِ وفن البيانِ السليم، وفن الأسْمار وفَنُّ الفن، وهو السرُّ الخفي الذي يُهَيِّجُ الإنفعال ويثيرُ الانجذاب ويشدُّ الانقيادَ بكلِّ حَماسةِ التبتلِ والهيامِ غيرِ الإرادي.

وللقصة في عَالِمنَا المكانةُ التي لَا تُضارِعُ والاحتِفاءُ الذي لَا يُماثلُ، والإعْجابُ البالغُ، وإعجابُ الإعْجابِ المنطلق من مدينتي إرم وعبقر...!!

أَلَا تَرَى للقصةِ في عَالِمنَا الحديثِ الافادةَ والسموَّ الذي هو في موازين الشمس في حسبان عماليقِ الأدب والفنِ ومثل هذه المكانة كان لها في العالم القديم..

والسببُ أنَّ القصـةَ تحملُ أَطْيـافَ الحياةِ الـى عَـالم أشواقِ النفسِ وهواتفها في صميمِ المجموعةِ النفسية.

قلتُ وهذا شَأْنها أمس وشأنها اليوم وشأنها غداً حتى لو وثبتْ الحضارة إلى المريخ لكانتِ القصةُ في الطَّليعة.. ولا تزول ولو زالتِ الحضـارةُ وأقرب مَثَلٍ حضارةُ اليونان زالت وزال أهلها وأقاصِيصُها باقية.

والقصةُ إذَا كانت صحيحةً سليمةً من آفاتِ الإنْحطاطِ كانت النهضةُ المُحلِّقةُ فوق فوق بالآدابِ واللغةِ والفنونِ والأخلاق.

والقصةُ في مَنْطِق الفكرِ هِيَ الفنُّ والأُسْلوبِ والشخصية. وربيعُ البيان

الطلق العبقري الذي يَرْفَعُ الأذْواق المُسِفة إلى مَشَارِقِ الخلود ويُتْرِعُها بالْوعِي إلى قِيَمِ المُعْجزاتِ المُتَحدِّياتِ في خَاتمِ الوحي الإلَهي بِهُيَامٍ بإيمانٍ بِحَمَاسَةٍ باقْتِنَاعٍ.

وكم مِنْ قَارِئٍ قِصةٍ بوَعْيٍ واسْتظهارٍ وَعُمْقٍ كَقصةِ - تحتَ ظِلالِ الزيزفون - لشيخِ كُتَّابِ العصر الحديث مصطفى المنفلوطي - خرج بطاقةٍ ببيانِهِ هائلةٍ هائلة.

وكم مِنْ قَارِئٍ قِصَّةٍ. . . . خرج بِهَوَسِ الجنسِ واشتعالِه وبجمجمةِ اللسانِ والتوائه وبسقمِ الذَّوْقِ ودفنه، وباعوجاج السُّلوك وَحَتْفه. .

هذا إذا لم تثرْ ثائراتُ الانحرافِ والإلْحَادِ والانْفِلاتِ، فَتَتَقَاذَفُه اللَّيَالِي فينحرُ حَيَاتَهُ نَحْراً عَلَىٰ خَطْفةِ رَمْسٍ.

وعلى كلِّ حالٍ فالقصةُ يجبُ الانتباهُ لها، فهيَ أَخْبثُ مِنْ خبائثِ إبليس، وافتكُ بالخُلُقِ والدِّين والحياةِ المُثْمرةِ الناضجة مِنْ كلِّ فاتِك. .

فالقصةُ فيها الحكمةُ والغباوةُ وفيها العفافُ وسلامةُ العِرْض وفيها الإباحةُ وغُرام الجنس وفيها الإنسانيةُ وبذلُ النفس في سبيل الخير، وفيها العنصريةُ وبذلَ النفسِ في سبيل الخيانة والعار. .

وعلى كلِّ حال فالقصةُ أمانةٌ وخَيَانَةٌ وإيمانٌ وإلْحادٌ، وكرمٌ وشَحٌّ وجهالةٌ وعلمٌ وعمقُ فكرٍ وضحالةُ رأيٍ. وإبداعٌ وتجديدٌ وتقليدٌ واسْفاف. . قلْ هي كل الأدب والفن والذوق.

كذلك تجد القصةَ ضارةً ونافعةً وحسنةً وسيئةً ومُسِرَّةً ومُحْزنة، وصريحة وغَامِضة.

وأكبرُ أضرارِ القصةِ أن يكتبَها كاتبٌ يجهلُ الأدبَ ولا يَدْري عن

مجالات البيان العالي من لغةٍ وفنٍ ولا يدري سوَى ما يدريه الحيوانُ عن أنثاهُ. . .

فمثل هذا الكاتب يُصرُّ ويضرُّ، وأي ضرر أكبرَ مِنْ تَقْويض أركانِ البيانِ الصحيحِ السليم وإفْسادِ الألسنةِ، وَهَدْمِ قواعد اللغةِ والقضاءِ عليها وعلى الأخلاقِ معاً.

إذ اللغة هي حياةُ الأمةِ هي جَامعتُها هي الْبيانُ القديمُ. والخلقُ القَوِيم والروحُ الساريةُ في الأمةِ بالإصلاح، والرابطة القوية الأصيلة.

وإذا الخلقُ في أمةٍ فَسَدْ فقلْ كلُّ شيءٍ لَهمْ قَدْ فَسَد

وكونُ جَماهير العامةِ لا يُمَيِّزونَ بينَ الجمرةِ والتَمْرةِ، ولا بينَ العربي الصميم الذي يَتَحدَّثُ باللغة العربية الأصيلة بنت الجزيرة البكر، وبينَ الدَّخيلِ الزنيمِ الذي يفسدُ السنةَ الأمةِ وَتُمزِّقُ كلمتها الجامعةَ إفْساداً. . والذِّي لا يُحْسِنُ النطقَ بلَفْظةٍ صَحيحةٍ واحدةٍ من لغةَ العرب.

• أجلْ إنَّ عدمَ التميزِ هذَا لاَ يَضُرُّ البيانَ العربيَّ ما دام العلمُ قائماً على قَدمٍ وَساق، في كلِّ مدينةٍ وقريةٍ وصحراء. . وفي كلِّ صَرْحٍ ومنزلٍ وكوخ وخيمة. .

أنـــا والقصـــة

وإني ـ والحمدُ لله ـ منذُ فَجْرِ دراستي العُلْيَا في مصرَ قد رعتْني عنايُة اللهِ بأصدقاءَ وأدبـاءَ مُؤْمِنِينَ وَاعِينَ أكبر مِنْ أن يَنْخَدعُوا بدَسِّ العنصريين الملاحدةِ المفسدين أولئك الأصدقاء أمثال السيد أحمد العربي والسيد ولي الدِّين أسعد والشقيقين عبد القادر وعبد الله حامد وكان على رأْسِنَا العلامة السيد محمد العربي والد السيد أحمد. .

وكان رواق الحرمين في الأزهر الذي هو رواقنا عبارةُ عَن مَسْجدٍ. أجل فإنا منذ فجر حياتِي أتاح الله لي أصدقاء بلغاء ومؤمنين الإيمان العلمي البصير الواعي اليقظ.

من أجل ذلك تجدني أقبل على القصة الجيدة والقصيدة البليغةِ لأني أُحِبُّ العـربَ وأحبُّ آدابهم وأحبُّ علومَهم وبيـانَهم وأحبُّ علوَّ بَيـانهم وشمائِلهم. وأحب أن أسمع جَـرْسَ لغتِهم في كلِّ نـادٍ ودائرةٍ وهـاتفٍ وإذاعةٍ، وَمِرْنَاءِ، لِذلكَ تجدني أعرض عن القصةِ أو القصيدةِ التي تهدمُ البيانَ العربيَّ الصحيح السليم أي التي تُسيءُ إلى صِحةِ النطق إساءة بالغة بحكم توجيهِ أصدقائي وأساتذتي في طيبة ومصر ولبنان.

وَمَهْمَا يكنْ فإني أُوثر من أدب القُصَّاصِ القصةَ الجيدَةَ الصحيحـةَ الأسْلوب الجذابة ذات الإبداع الفني العبقري. وهذا دأبي..

منذُ نضارةِ الصِّبَا حتى أشرافِ الشيخوخة وأنا في وقدة هوسِ الهُيام بالقصص التي كتبها فحول أدباء العرب أرباب الكلمة الصحيحة الخالدة. سواء أكانت تلكم الروايات من إيحاءات وطن العروبة الكبير أو كانتْ منْ انتـاج مَـا قَصَّـهُ العـرب ومن حَثِّ أسـاتـذتي في طيبـة وفي مصـر إلى استظهار كليلة ودمنة تأسس حبي للقصص العربي البليغ، والنفور من القصص المسخ الرديء. وكان الذي ترجم كليلة ودمنة. الترجمة العكاظية الرائعة هو الكاتب العربي النابغة عبد الله بن المقفع..

وهذا شاعر النيل الكبير حافظ إبراهيم يقول في رواية (البؤساء) التي وضعها الشاعر العبقري الفرنسي فيكتور هوجو وترجمها هو.. يقولُ: «أرأيتَ أيها الناظرُ في كتاب (كليلة ودمنة) أكان يقومُ في نفسِك وأنت تذوقُ حلوَ تركيبه، وتستمرئُ لذة أسلوبه أن عبد الله بن المقفع قد عرَّبه عن الفارسية

لَو لمْ يصلْ خبرُ ذلك إليك».

فَسُقْياً لتلك الأقلامِ التي عرَّبتْ فأعربت، وسطرَّت فأعجبتْ، وواهاً لهذه اللغةِ التي أصبحتْ بينَ أعجمي يُنادي بوأَدِهَا، وعربي يَعْملُ على كيدها.. وأنا لاَ أُصدِّقُ أَنَّ عربياً ذَا نَسَبِ صريحٍ يَعْملُ لنحرِ لغتِهِ بنتِ الجزيرة البكر التي كانَتْ محلَّ فَخْر آبائه وأجدادِهِ. والتي كرمَّها الله تعالى فأنزل بها وَحْيهُ المعجزَ المتحديَ فكان له بذلك عِزَّ الدهر المخلد.

نعم يصح أن يصدر ذلك مِنْ دَخيلٍ مريب على العروبةِ والإسلام.

والحق أن اسْتظهارَي لكتاب كليلة ودمنة تقريباً كان له سبق الافادة، فقد فتحَ أمامي بابَ اللهفة على مُطالعةِ الرَّوايات ذاتِ الأسلوب العربي الصحيح المفيد.

رســالة في قصــة

موجهة إلى الصديق الماجد السيد محمود حبيب

هنا في جزيرة العرب مدينة مقدسة مباركة السماء أقرب ما تكون إليها، ومطالع أنجمها متألقة في قدس محرابها. ومزايَا أنوارها منطبعةً في مزايا ساكنيها الكرام.

وفيهـا النعم الغزار والخيـرات الحسان وأنـوار القـدس من سبحـات أسحارها وتربتها كريمة ولا ينزلها إلا رجال أطهار ونساء طاهرات والخبث تنفيـه نفي الكير وسخ الجديد.

وترامى إلى مسمعي حديث نبيل من أهلها ذكروا أنه كماء المزن «طاهر في نفسه ومطهر لغيره» ومكانهُ مَرْضي لدى الرعاةِ والرعية ولدى الشيوخ والشبيبة وزيادة أنه أمين ومؤتمن وصادق ومصدق ولا يمارس إلا الأمور ذات البال وبالحري العلمية منها والإسلامية.

وله صورةٌ مشـرقة رسمتهـا أقلام الكـاتبين الأصدقـاء الأوفياء صـورة تحمست أن أرسمها رسالةً في غُلالةٍ قصةٍ شفافة. وأن تكونَ طُرفةً حساسةً ذاتَ سحر وجاذبية، بجانب الرسالات الحسان الفواتن مِنْ رسالاتِ البيان. وزهرة عبقة من زهرات الخَلد في مؤلفات تاريخ الأدب، ووشياً في جدة ربيعه النضر، وطلاقة رباه الضاحكة وأنشودة رنانة سمحة في فم الزمان. ولتدوم متعة أجيال العبقريين الخالدين بالترنيمة الطروب ونَشْقة الطيوب.

وأعلن أني تنورتُ برسالاتٍ متألقاتٍ بأعلى البيان في أعلى قمم الأدب لتكون قصة رسالتي هذه نجمة بين الأنجم الطوالع في سماء سموات الخلود.

وكان في عزم نيتي أن أؤم المدينة المقدسة فلها في نفسي دروب ودروب وأيام وأيام. وذكريات قُدْسٍ طروبٍ لآباء كرام.

وقد أوثق عرى المودة في نفسي قلبٌ أسمى كنوزه الإيمان وزينة كنوزه حسن الخلق وشاقني أن أقص للأجيال عنه أصدق ما رأيت وأحب ما رأيت..

القصـــة

في يوم من أيام الربيع ازدهى بالسعد، وافترت مباسمه بمطلع نيل الأماني.

وانفتحت أكمامها عن إشراق ورودها. التي هي متعة نفسي من سنين وسنين.

وطارت بي طائرةُ الأحلام في عين اليقين. وَشَقَّتِ الأجواء شقاً إلى المدينة المقدسة. وفي رخاء من رياح المروجِ العبقة هَبطتْ. الطائرةُ بسلام. وكان المطارُ فسيحاً وفيه كلُّ أشواق الزينة.

وكنا جماعة... وفككنا حزمَ الطائِرة وتابعنا الهبوط واحداً واحداً ثم تناول كل منا طريقه وأخذت طريقي إلى الرجل الماجد، وكان طريقي يحدثني بالبشاشة والوداعة وحسن اللقاء.

وألفيت الباب مفتوحاً ولا حارس يحجزك بالسين ليفهم قصد الزيارة بالجيم. وأرى حواجز الجيم من باب الوقاية من الوالجين المفترين. وأحسب ذلك عادة متوارثة عن آبائه أن يظل الباب مفتوحاً لكل قادم.

ودخل بعض الوافدين وتبعته واتجه إلى باب مفتوح آخر وتبعته لأني عرفت أنه يريد ما أريد ودخل غرفة الموظفين ودخلت خلفه وسلمت وذكرت اسمي فما كان أكرم لقياهم وأثنوا بما هم أهله وكل اناء بما فيه ينضح.

ورافقني أحدهم إلى الحجرة المقابلة وفيها التقيت بالرجل الذي أحببت وكان سيداً عظيماً عظيماً حقاً عظيماً في لقياه عظيماً في حديثه عظيماً في أخذه وعطائه، عظيماً في كل أعماله ونشاطه وذكائه وخلقه الكريم عظيماً في فهمه لوحي الله، ودلائل أحكامه وأصول شريعته وفروعها.

تبينت كل ذلك في الأيام التي قضيتها بجواره. وما أذكر أني رأيته يوماً خالياً من عمل نافع بناء، وأعماله البناءة جمَّةٌ واحصاؤها في مثلِ هذه القصةِ المختصرةِ لَيسَ سهلاً. ولكن ذكرُ حادثةٍ واحدةٍ تشيرُ إلى أختها وأختها وهلم جرا.

أذكر أني كنت لديه في ضحوة يومٍ مِنْ أيام السموم، وكان يصرِّفُ أعمالَه بدقةٍ ووعيٍ وكان يذهبُ أناسٌ ويأتي سواهم إلى جانبِ من يفدُ إلى المدينةِ المقدسة، مِمَّنْ يعرفهُ أو مِمَّن يرغبُ في التعرف إليه.

وكنت أشاهد كل هؤلاء، وأنا لديه وقبل حلول وقت الظهر دخل عليه ثلاثة رجال مهندس ومقاول من قبل شركة وثالث ما عرفت عمله وتحدثوا إليه في خصوص توسعة حرم المدينة المقدسة، وكان يصغي إليهم بانتباه ووعي، ورأيتهم يحاولون التخلص من إقامة الجدار الذي يلي الحرم الشريف، وأنكروا أن يكون في ضمن التزامهم، وغضب لله، وأكد لهم أنه ضمن التزامهم واستعرض الخرائط وكشف لهم الحقيقة بحزم وعزم.

ولم يكتف بذلك، بل ذهب بهم إلى المكان ودعاني أن أكون في

صحبته ولما دنونا من الحرم وكانت الشمس في وقت الظهيرة، توقيتُ من وَقْدِ لفحها بظل رفرف ولكن السيد انطلق بالرجال في وهج الشمس اللافح، وظل يلمسهم موطن الجدار المطلوب بناءه تجاه الحرم، بحزم دون ما تساهل. وأن يكون الابتداء به.

وظل يتحدث إليهم في شأن العمار حتى تعالى من الحرم أذان الظهيرة. فتركهم وسار بي إلى الحرم لأداء الفريضة.

هذه حادثة واحدة شهدتها ولها أخوات كثيرات كبرى وصغرى واستيعابهن يحول القصة المختصرة إلى قصة مسهبة.

ومرت بي الأيام خاطفة، مرور الأشجار التي ترى من نافذة القطار، ولا يظل عالقاً في ذاكرة الأحياء إلا ما هو عظيم ورائع وينفعهم وما ينفع الناس يمكث في الأرض.

هذه مكتبته القيمة ظلت صورتها عالقة في فؤادي، ما زال فكري يطوف بين رفوفها. وهي في قاعة كبرى تحت المنزل ينزل إليها ببضع دركات. وهي مُنَجَّمةٌ إلى شُعب، كل شعبة تحوي عالماً من المؤلفات منسقاً قائماً بذاته، كعالم التفسير والحديث والفِقهِ والتاريخ والأدب إلى آخره. وراعني تنسيقها إذ جاء على أحدث ما رأيت في المكاتب الرسمية الكبرى وسيظل حديثي عنها منتشيا باللذة والاعجاب فقد شاهدت مؤلفاً كنزاً في علم الفلك يحوي بياناً قيماً أدهش من معارفه في عصرنا وأقول.

«كم يكون لترجمته وعرضه على علماء الفلك المحدثين من عزة وكرامة وتقدير لمعارف الأمة الإسلامية الأمة التي يثير الصهاينة الأحقاد الوحشية حولها لدى كل جماعة، حتى يحذروها ويأمنوهم ويعرضوا عنها، ويقبلوا عليهم.

ونَسُوا انّنا أمة الأخلاق ورسول الله ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمم

مكارم الأخلاق» والمسلمون في الأرض مُثلَ الأخلاق العليا.

لذلك كنت في أثناء مكثي في المدينة المقدسة أتعمق دراسة أخلاق هذا الوجيه الكريم وسرّه اقتباسه من هداية صاحب الهداية الأعظم صلوات الله وسلامه عليه.

واذكر أني لم أر الرجال الذين يكرمون العلم وأهله كثيراً مثله فما انصرفت من منزله وهو وودعني إلا ويطلب إلي أن أتحول إلى ضيافته وأن أدلي إليه برغائبي، وما أنا راجيهِ، فأحس في أعماق قلبي صوتاً يهتف.. «يا له من سيد كريم» وكنت أشكر نبله وأقسم لو أنه اقتضاني شيء من ذلك لما تأبيت.

وإني مما رأيت وسمعت تأكدت سمو مكانته المؤتمنة المرموقة لدى قادة دولتنا العربية السعودية المجيدة.

وبالحري لدى جلالة الملك المعظم وكنت أتأمل وأنا على المقعد.

١ ـ الصورة التاريخية الجليلة التي تعد طرفة فنية.

٢ ـ الصورة التي تمثل مَكانَ قربه من المليك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله.

٣ ـ الصورة التي تدل على تقديره له.. لوفير إيمانه وكبير أخلاصه ووقيد ذكائه ونشاطه وعلى كل ما أكرمه الله به من حب للإسلام والمسلمين والعلم وأهله..

وكانت الأقصوصة اني غادرت المدينة المقدسة ونفسي تنازعني أن أوفي السيد الحبيب بعض حقه لأني مؤمن ولأني عربي.

١ ـ والمؤمن وفيّ بالعهد بحكم عقيدته.

٢ ــ والعربي الأصيل فطرته الوفاء بالعهد.

لذلك ودعته وأنا مصمم على الوفاء. والحمد لله وفيتُ وكانت هـذه الأقصوصة وهنا أصارح المطالعين.

١ ــ المدينة المقدسة هي طيبة الطيبات.

٢ ــ والرجل الكريم هو السيد محمود حبيب.

٣ ــ وإن ما ذكرته في قصةِ رسالتِي هذه هو شيءُ رأيتُهُ.

وإلى فرصـــة أخرى.

(قصة رجل حرباء)

قضيتُ أعواماً طوالاً وأنا أتجوَّلُ في أوطانٍ مختلفة، وكان كلُّ شغلِ قلبي أن أعودَ إلى وطني، وأن يَلمَّ عظامي ترابهُ، وأن أنعم في حياتي فالقبرُ روضةٌ من رياضِ الجنة أو حفرةٌ من حفر النار. ولمَّا تفضل اللهُ بعودتي إلى وطني قلتُ الحمدُ لله الذي لم يأتِني أجلي حتى نَعِمتُ بالعودةِ إلى وطني. وعرفتُ في غربتي كثيراً وكثيراً من الرجالِ، ومن شتى الطبقات، ومرَّتْ لي معهم قصصٌ مثيرة ومفيدةٌ ومدهشة..

وأَدْهَشُ قِصَّةٍ مرتْ بي هي قصةُ الرجلِ الحرْباء القصة التي لَا تَتَّصلُ بكتاب الله جلا جلاله، ولا بِسُنَّةِ رسول الله ﷺ اتصال عَملٍ، وإنما زخرفة قول...

وكم مِن أَهْوالٍ، وكم مِن قساوةٍ وكم من مواربة وكم كزازةٍ تتمثلُ في هذه القصة التي أَسُوقُهَا بحذافيرها إلى المطالعين كما وقعتْ دون زِيادة أو نقصانٍ إلَّا ما يَقْتضيه الأسلوبُ الْبياني التمثيلي.

شَاهدتُ في إحدى القرى التي كنتُ أرتادُهَا في الجنوب اللبناني رجلاً حُوَّلاً قُلَّباً: استطاع أن يقارعَ الليلَ والنهارَ مشمراً عن سَاعِدَيْه لجمعِ الأموالِ وابْتياعِ المزارع والمواشي من هنا ومن هنا، كلما ساعدتْهُ ظروفهُ، وكان ينتظرُ الضائقة أن تنزلَ بالضعفاء فيبادرَ إلى إسعافهم بالمال، ولكنْ بفائدة هو يقدِّرُهَا ويقدِّمُها وهو يزعم أنه يرجو مِن اللهِ المثوبة، وهو يبطنُ

نهماً انتظارَ عجزهم عن السَّدادِ ليستوليَ على قلة ما بأيديهم من ثوابت أو منقولات، وكم وكم هم الفقراء الذين سلبهم دورهم ومزارعهم الصغيرة بهذا الأسلوب غير الإسلامي. وكان يفاخرُ أهلَ القرى المجاورة بكثرة مَا يَمْلكُ في قُراهم من الأموال...

وكان مكاثراً لَا يُطِيقُ أن يبلغَهُ أَنَّ في قريةٍ قريبة أو بعيدةٍ مَنْ يملكُ مـــن المالِ أكثر مِمَّا يملكُ. فإذا بلغه أنَّ ثمةَ واحداً ثارتْ ثائرتُهُ وجُنَّ جنونه وطفق يُضني جسمه ويؤرقُ ليله ويجهدُ نهاره ويشح ويشح حتى يتوفَّر بين يديه من المال ما يُوازيُ مُكاثرهُ أو يربو عليه.

فإذَا بَلغَه وجودُ ثانٍ أو ثالثٍ من الأثرياء الذين يفوقونه، كان منه ما كان مع الأول وهكذا دوالَيْكَ دُونَ توقف والمكاثرة لا تنتهي وهي تورثُ ثلاثةَ أمور.

الأول : الشح الذي لا يُطاقُ حتى علىَ النْفس والأهل والولد..

الثاني : تتابع المشاق التي لا تعد لها مشاق.

الثالث : ينزل المقابرَ وَيصْبحُ عظاماً نخرةَ وَيذوبُ في تُراب الأرض، والمكاثرة تزداد يوماً فيوماً «الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر» أضفْ إلى ذلك غضب الله عليه لتعمدِه منعَ الزكاةِ التي فرضَها الله عز وجل. والزكاة حَقٌّ مَفْروضٌ في القرآن المجيدِ. والحقُّ لا يموتُ وإن أماته الاشحاء في الدنيا، فالتَّبعةُ والمحاسبةُ سَتكون حتماً بين يَدَيْ أحكم الحاكمين في يوم الدينونة الكبرى.

وكان كلُّ أقرانه وكل أَصْدقـائه الـذين يَحْسَبُهم كذلـك يظهـرون له الاحترام ويبطنون الاحتقار، ويتمنوْنَ موتَه أكثر من حياته وهو يقولُ إنَّ الناسَ شَاؤُوا أَمْ أبَوا فإنهم يحترمونني ويقفون لي ويكبرونني ما دام المالُ بين

يدي، ويقول: كَمْ مرة أقبلتُ أنا وأغنىٰ أغنياء العلم والبيان، فأقبلَ الناسُ عليَّ واحتفُوا بي وأعرضوا عن أغنياء العلمِ والبيان. وأنا أعلم أنني لا أعطيهم قطْميراً من أموالي. ولكنْ همْ لا يُحبونَ العلم والبيان كما يُحبونَ المال. حتَّى يُعرضُوا عني ويُقْبلوا عليه. وهم يعظمون الله خالقَهم العظيم، ويحقرون الأموالَ بألسنتِهِم، وفي قلوبِهمُ العكس، ولو كانُوا حقاً يعظمون الله وحدهُ، ما اكْترثَ لي أحدٌ ولا حَفِلَ ما دمتُ لا أعطي أحداً فِلْساً، ولا أخرج حتى ما فرض الله من زكاة.

وما دام الناسُ يحبون المال حُبًّا جَما. فلماذَا لا أَملكَ مَحْبوبَهمْ، لكي أملك حبهم..

وكانت زوجهُ محرومةً كلَّ الحِرْمانِ. وكانتْ لَا تَصِلُ يدُهَا إلى القليل إلاَّ بعُسْرٍ. هي أحسنُ منه حالاً وديناً وإحساناً: وابْتلاهُ الله بأولادٍ فَسقةٍ فجرةٍ. لا يعرفونَ للمالِ قِيمةً، وهم يُنفقونَ كلَّ ما تَصِلُ إليه أيديهم في المخازي، وكَانُوا يَمقتونَ أباهم في سَرائِرهم وَيراقُبونَ ساعَتِهِ الأخيرة بمجهرٍ كـأنَّهم الفلكيون..!! ويدعون له بطول العُمر، ويتوددون إليه في ظواهرهم. وكان يُعْجُبه حَدِيثي ويلتذُّ به ويصيخ إليه. والذي أدهشني حَقًّا. وجعلني أحتارُ، وأبالغُ في الحَيْرة أنه يحبُ الدينَ، ويبالغُ في حُبِّه أقوالاً لا أعمالاً.

فكَمْ مرةٍ كان يجلس إلى جَانبي، لكي أتلوَ عليه بعض آيات الله وأَفِسرُّها له بما أستطيع تفسيرهُ من قريب، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ..!!

والذي كان يدهشني إبان ذلك اصفرار وجهه واطراقُهُ ومدامعُـه التي تسيلُ من عينيه غزيرة منهمرةِ ولا أدري لَعَلَّهـــا دموعُ الظَّالِم التي تنهمرُ في مَجْلسِ القضاء لتكونَ حُجةَ دهاءٍ وافك ضدَّ مظلومـــه...!!

وكان إذَا تَحدَّثَ عن فضيلةِ الوفاء، وعن نَصيبِ العرب منه تَأَنَّقَ في

الحديث وأتاك بالنيِّرات السواطع عجباً عَجيباً. . . !!

وإذا اشْتقتَ أن تَجْلسَ إليه بدَا في إهابِ الثُّعبان ناعماً براقاً، واحتال حتى يضمَّ قليلكَ إلى كثيره جَشعاً جشعاً. والدنيا في واقِعِهَا متلونةٌ خَدَّاعةٌ فتَّاكة نهَّابة: وأمثالُ وجودِ أبي فارس فيها آيةُ واقعها.

ذكرتُ له مرةً قول رسول الله ﷺ: «لو كَان لابن آدم واديان من ذهب لتمنَّى ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابن آدمَ إلا التراب ويتوبُ الله على مَنْ تاب» فإذَا هو يُبادرني بحماسةٍ غريبةٍ قائلًا: صدقَ رسول الله ﷺ، فإني أُحِسُّ اتقادَ ذلكَ في جَوْفي. فَهَا أَناذَا أُحِسُّ اشتعالَ نَهْمة اللهفة لكي تكونَ لي كل أودية الأرض في حِيَازَتِي ذَهَباً، وليس لأحد سواي قَدْرَ حَبَّةِ رمل.

أمَّا قضيةُ الترابِ الذي يملأ جوفَ ابنِ آدم. هو تصويرٌ لِعَيْنِ الواقع الذي ينتهي إليه كلُّ إنسان وآيةُ ذلك انَّ الإنسانَ كلَّ ما اقتربَ من مَلْءِ جوفه بالتُّراب خطوةً كلما اسْتَشْرىٰ فيه الظمأ والكزازةُ.

وَنَسِيَ كل ذلك تَماماً، وَهَا أَنَا ذَا لا أفكر في ملْءِ جوفي بالتُّراب. بَلْ لا أفكرُ في قضية الموت ذاته. وإني كلما اقتربتُ منه كرهتُ مَنْ يُذكرني به. وكل رَجائي أن يأتيني الموتُ وأنا أبعدُ ما أكون تفكيراً فيه خَطْفاً خَطْفاً.

ولَا أَرْغَبُ أَنْ أشعرَ به، ولا أن يَشْعرَ بي. أريدُهُ خَطفةً صاعقةً مِنَ القصرِ إلى القبر. وإني في عصمة من اللهِ بكبير رجائي أن تسعنَي رحمتُهُ فرحمتُهُ وَسِعتْ كلَّ شيء. فلماذا لا تَسعُنِي تفضلًا وهو أرحم الراحمين قلت جهلتَ جَهَالَة إبليس. . .

فكر لمن هي مفروضة ألم تعلم أنها مفروضةٌ للمؤمنين المتقين المزكين وأنت حريصٌ حتى على الْهَباءة الطائرة خشيةَ أن نقلتَ من يدك وأمسكت

ولم تقدم وزنَها من الخير. . فَبادَرني قائلاً بسخريةٍ هل أنت غَبيٌّ إلى هذا الحد، لعلك تخيلت رحمةَ الله سِلعةً في يدِ تاجر. لا يقدُمها إلَّا بثمن. .

بلْ لعلك تصورتَ الجنـةَ معرضـاً من معارض الكسب لا تنـالُ إلَّا بإسْلافِ الثَّمن.

لا يا أخي لا: الجنةُ هِيَ رحمةُ اللهِ التي يرحمُ بها عبادَهُ ولا يدخل فيها منْ يدخلُ بعملِه هذا محالُ إنما يدخلُ برحمتِه تعالَى وإحسانه. .

وما قلتُ هذَا من نفسي ألم يقلْ رسولُ الله صلوات الله وسلامه عليه «لن يدخل أحد الجنة بعمله» ولمَّا سُئِلَ عن نفسِه أجاب. . حتى أنا. . إلا أن يتغمدني الله برحمته. . ».

قلتُ كفى كفى إنك مُواربٍ خداع كأنَّكَ لا تعلمُ أنَّ رسولَ الله لم يَدَعْ لحظةً من حياتِهِ تفلتُ مِنْ يدهِ إلَّا وهي حافلةٌ بروحٍ من التقوى والعبادةِ والضراعةِ والإحسانِ وفعل الْخَيْر. وكان على وفرة الأموال التي وصلتْ إلى يدِهِ انْتَقَلَ إلى رَحْمةِ ربِّه، وبيتُهُ خالٍ من كل زينةٍ مِنْ زيناتِ الدنيا، وكان يمرُّ عليه الشهر والشهران ولا يوقد في بيته نَار.

بل انتقل إلى رحمة ربه ودرعُهُ مرهونةٌ على صاع من شعير. . عند يهودي كما ذكرُوا وإنما قال ﷺ الذي قاله من أنَّه لا يدخلُ الجنة أحد، إلا برحمةِ الله، لأنَّ العملَ الصالح الذي يُدْخِلُ الجنةَ، هو من رحمةِ الله، ومن الأدب أن يذكر ذلك المؤمنون وأن ينوهوا به هذا قصد رسول الله ﷺ. .

وهنا لم يُجبْ ولكنَّه نهضَ من مكانِه، وأنصرف قائلاً سألْقاك غداً عرفتَ؟

هززتُ رأسي.

وبعـداً للقوم الكـافرين والملحـدين والمنـافقين. وبئس كـل أولئـك أَعْمالاً. .

بسم الله الرحمن الرحيم

جواب رسالة مرسلة إلى الكاتب الصديق الأستاذ عبد الكريم نيازي الموقر . .

لك يا عزيزي التحية التي يحملها الربيع الطلق الضاحك ومزايا الخلق الذي هو قبس من أَضْواء الأسوة الأعظم خاتم رسل الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. هي تحيتي لك يا عزيزي.

أنت تعلم أنَّ أُمتنا العربية أعزها الله بالإسلام وشيد لها الأمجادَ بالإسلام ونفخ فيها روحَ المودة والتعاضد والتعاون بالإسلام وشدّ أَسْرها وجعلها قوية بالإسلام.

فالإسلام هو روح أفراد أمتنا وجَمَاعاتها ومحال أن يفرق بيننا مفرق فنحن أبناء حزب واحد هو حزبُ الإسلام هو حزب الله وَحزب الله هو المفلح. وما فرق الأمم ومزقها وجعلها طرائق قدداً إلا الأحزاب الخاسرة الممزقة وتعددها.

يـــا عزيـــزي . .

تَأَلَّق مِدادِكَ في سطورِ مؤلفاتِك إلى مزيد.

يـــا عزيزي . .

ها أنت تكافح دُونَ حقائقِ الإسلام الكفاح المشرف، تكافح بالعلم والنظر السديد والروح الرياضية العالية والمودة الإنسانية السليمَة.

ولا ريب أَنَّ مَن كان كفاحه بهذه المثاليَّةِ فإنَّ التوفيقَ ورضى الله يدركُهُ ويناله.

ورأيتك نائياً عن دَنَس الأحقاد ولعنة الحسد، ورأيتك تجهد لكي تكشفَ كل حَقيقة في مصدرها ورأيتك تضع كل واحد في ميزان العدل وقسطاس العلم وصدق القول ونظرة الحق.

فإيمانُك صافٍ صافٍ مطبوع بطهر السماء وقطرة الهدى والخير وهذا الإيمان الصافي هو الذي جعلك تنصف الرجال الذين يحترقون شموعاً ليضيئوا للجماعات والأفراد طريق السمو الخلقي والتحقيق العلمي وحكمة كلمة البيان وسعادة الإيمان بانصافهم بعملك الأدبي المسطور لا بالأقوال الطائرة وهذا هو مؤلفك «رجال ومواقف» آية على ذلك.

أضف إليه مؤلف مسؤولية الشعوب الإسلامية ومستقبل الأمة ومؤلف أحاديث في أرض النور وسوى هذه المؤلفات.

واجتمعت بك في منزلك في البلد الحرام، فإذا أنت تعتب علي لأن الطلاب الجامعيين يريدون أن يعرفوا عني الكثير الكثير فتستحي لأنك لا تدري ماذا تقول وطلبت إلي أن أكتب لك عن تاريخ أسرتنا آل الدفتر دار في طَيبةَ المباركة وعن أيام دِرَاسَتِي العلميةِ في طيبة وفِي بيروت وفي الأزهر الشريف وعَنْ الأعوام الطوال التي قضيْتُها في التدريس والتأليف وتحبير كلماتي في الصُّحفِ والمجلات وتريد أن تعرف الوسائل التي عانيتُها حتى استطعتُ أَنْ أُجدِّدَ هذا الأسلوبَ العربي الأصيل السليم في كل كتاباتي وقلت: . . . كثيراً كثيراً.

وأيم الله حمدتُ أخلاقك وطيبَ عنصرك وصفاءَ نفسكَ وإنِّي أُفكِّرُ أنْ استجيبَ لطَلبك آجلاً أَوْ عاجِلاً لأن الأمور كلَّها بيدِ الله فهو الذي يُسَيِّرنَا في

البحر والبر وصدق رسول الله حيث يقول: «كلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له».

وإني أسأل الله لِي ولكَ ولكل الناشئة المسلمة أن تكون مسيرتنا كافة في هذه الحياة صدق الإيمان به وبذل الوسع في الدعوة إليه مع جهد الجد وصرامة التصميم وإخلاص النية والعمل الكبير المتواضع.

والذي جعلني ألمس صدق نيتك وسلامتها من الزيغ والافك والمجاملة التجارية الآثمة هو قولك إني إذا رأيت الحسن أقول عنه حسناً وإذا رأيت القبيح لا أقول عنه حسناً أبداً لأني أرى ذلك خيانة لأمانة العلم والإيمان والحق.

وقلت أن الذي جعلك تنوه بمؤلفاتي هو أسلوبها الظريف السليم الذي تتمثل فيه حقائق المعرفة العالمية سافرة سهلة كريمة وقلت إن مؤلفاتي تنال العناية من الأمة والدولة والشباب الجامعي المثقف ثقافة عالية.

وإني أرى كل ذلك بفضل حبي الحماسي لوحي الله المنزل على خير خلقه خاتم رسله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وحماسي للاستمساك بسنته لعلمي أن كل سنته وحي من الله وما يجهل ذلك إلا ملحدٌ آثم وعنصري زنيم متآمر.

ولماذا لا يكون ذلك والله جل جلاله يقول: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ [٥٣ - ٣و ٤]. لذلك أعلن بفخر وقناعة أن كل جمال وصحة في بياني وسمو في الموضوعات التي أتناولها إنما هو قبس من خاتم الوحي الإلهي كتاب وسنّة.

والفضل كل الفضل لله أولاً وآخراً وأنت إذا أخذت تنظر في مؤلفاتي بنظر دقيق ورأي سديد ودراية نقادة واعية أمينة صادقة منذ خمسين عاماً إلى يومنا هذا تجد أن محور بياني يدور حول اعلان حقائق وحي الله وكبير

معجزاته هو الهدف الأول وقصدي من وراء ذلك أن يعلم الناس جميعاً أن وحي الله المنزل لهدايتهم هو يحمل لهم يقين العلم وصدق الإيمان ونور الحق، وطمأنينة السلام وهو في الوقت نفسه منار وجداني ونغمات صرير يراعتي.

ناهيك بحبي لوحدة جزيرتنا العربية المباركة التي حققها صقرها العظيم الملك عبد العزيز انها أخذت مني أحسن ما أكتب بعد ذلك بكل فخر واعتزاز.

وهذا الذي جعل رئيس مجلس الوزراء في عام ٢ / ٨ / ١٣٨٥ رقم ١٦٦٠٤ يقرر أني سعودي ومن أبناء هذه المملكة حرسها الله وأنا لا أزال في بيروت وكان ذلك بسبب هذه الكتابات الإسلامية القيمة والذود عن حقوق بلادنا في كل المواقف بذلك فخرت بالأمس وبذلك أفخر اليوم.

عزيزي..

الآن أرسل لك قصة رفيف الأطياف التي استلهمتها من ليلة الاحتفال بتكريم الكتاب ومن كلمة سمو الأمير ماجد حفظه الله.

أجل كتبت قصة رفيف الأطياف تقديراً لرئيس النادي الأدبي الشيخ إبراهيم فودة ولنائبيه الدكتور عبد الله محمد الزيد والأستاذ عبد الله بوقس وللأعضاء الأجلاء.

١ ـ الدكتور محمد زيني.

٢ ـ والأستاذ محمد بن شاهين.

٣ ـ والأستاذ محمد عبد الله عراقي.

وأنت أيها العضو الكريم همزة الوصل بيني وبين مجلس إدارة النادي

الأدبي وبيني وبين الجمهور.

فلك شكري وإني أفخر لاختياري أحد أعضاء الشرف ولا ريب أن اختياري لذلك جعلني أخجل من نفسي لأني لم أستطع أن أقدم أية خدمة

لذلك أقوم بهذه القصة وكل رجائي أن تنال رضا سمو الأمير المحبوب ورئيس النادي وأعضائه كافة والجمهور هذا رجائي قد حققه الله جل وعز . .

نبأ تكريم الكتاب في نادي مكة المكرمة الأدبي

١ ــ في ليلة الاثنين ١٠ جمادي الثانية عام ١٤٠٢ هـ أقام نادي مكة الأدبي حفلة كبرى لتكريم الكتاب في معرضٍ كـريم تحت رعايـة ولي العهد. وقد أناب عنه في إفتتاح المعرض صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة وألقىٰ الأمير كلمة بيانية رائعة في تكريم الكتاب ونوّه بالرواد المواطنين مؤلفي الكتاب السعودي.

٢ ــ وكانت وافتني برقيةٌ ورسالة من أجل حضور حفلة تكريم الكتاب، وحضرتها في زمالة الصديق الكاتب الأثري البحاثة الشيخ عبـد القدوس الأنصاري.

٣ ــ وفي الساعة الثامنة والنصف ليلاً أقبل مـوكبُ الأمير واسْتقبـلَ إستقبالاً حاشداً وصفقت الوفودُ وبعد أن طافَ الأميرُ بمعرض الكتاب أقبل وصحبُه على شَرَفِ أعد له عن يمينِ المنصفة حيثُ يصعد إليه بدرجاتٍ ثلاث.

٤ ــ وبدأ الإحتفال وتـلاَ تالي الكتـاب ما تَيسَّـر منه وبعـد ترادف الخطباء... جاء دور الأميرُ ماجد ـ والأمير ماجد يعرفه أدباء الأمةِ العربية السعودية مِنْ صاغة الكلمةِ البيانية العالية.

والقىٰ كلمتَه وكانتْ تَنْويهاً بأمجادِ الكِتاب السعودي ونهوضاً به. وتَحْقيقاً لإِسْتقلالِ شخصيته ونزاهةِ أهدافه وسُمُوِّ مكانِه وفي الوقتِ نفسه كانتْ كلمتُه

تكرمةً لِرُوَّادِ الأدب الأوائل، وصاغةِ الكلمة النوابغ الذين في قدرتهم أن يُحققُوا أمجادَ الكتاب العربي السعودي وَيُحلِّقُوا بمعارفهِ إلى أبعـدِ آفاقِ المعرفة العالمية وإلىٰ أَرفع قِمم آدابهَا وإلى عبقريةِ العِلم في تبليغِ علم اللهِ وتبليغِ معجزاتِ وَحْيِهِ في كتابه إلى عبادِه وكم مِنْ إسعادٍ للإنسانيةِ كافة في تبليغِ الدَّعْوة الإِسْلامية كما هي صافية في حُكم آياتِ القرآن المجيد، وفي ما صَحَّ من أحاديثِ رسولهِ الأمين ﷺ وحينئذٍ ترفُّ رفارفُ مؤلفاتِنَا في كلِّ وَطَنٍ وتكونُ كنوزَ إثْراءٍ في كلِّ مكتباتِ الدنيا الكبرى للعقولِ الإنسانية العبقرية الأمينة على حقائِقِ العلم اليقيني التي تَنبُذُ الأساطيـرَ والترهـات المتوارثة المقدَّسة حتى الساعة لدى الأمم البدائية.

وفكرت وَأَنا أَصغِـي بإرهافٍ في إطراءِ سُموِّ الأميرِ لرئيس النادي الأدبي: وإطْراءُ سُموِّ الأمير بمثابةِ نَجْمةٍ متألقةٍ بالإِعْجاب والتقدير عُلِّقتْ على صَدْرِ الأَديب الكبير الشيخ إبراهيم فودة.

والسبب أن الشيخ إبراهيم فُودة لَا يقولُ مَا يقولهُ في خدمةِ الأمةِ والدولةِ إلا بعدَ أن يكونَ قد حَقَّق ما يقولُه عملاً صارخاً ملموساً.

وهذا هو صِدْقُ التزامِ المتكلِمِ بكلامهِ وإعتزازِهِ بتحقيقهِ وهو بطولة الأخلاقِ ومجدُ تَمامِهَا وقدَّاسَة أمانةِ السَّماءِ وأبطالُ الأخلاقِ الأمناءُ قلائلٌ في هذا الزمان.

ومن أجل ذلك أَحَبَّه جلالة الملك المفدَّى ووليُّ عهدِهِ الأمين وسموُّ أمير منطقةِ مكة المكرمة الأمير ماجد... وهذا الذي جعله كبيراً ومُحاباً في أنفسِ عارفيه وبالحري التجار المحسنين والإِسلام قام علَى اكتافِ التجار والتجارُ لا يخافونَ إلَّا مِنَ المحتالين فاذَا عَرفُوا صدق الإخلاص فِي إنْسانٍ أو جماعة قدموا الأموال الجمةَ دون تردد.

وهنا غَمرتني رفةُ أطياف مسحورة في معالم المستقبل وإن كان أكثر ما يكون مآتي المعالم من الماضي ولكنَ وأنا في البلدِ الحرام وافتني من المستقبل وكانتْ بمثابةِ المبشرات وافْتني والحثْ علي وترادفت معالمها حتى خطفتْني عن حِسِّي الى أجيال مقبلةٍ علي هذه الجزيرةِ العربيةِ ماجدةٍ كريمةٍ كلُّها عجبٌ وأمجادٌ وحقائقُ إيمان وإسلام والعجيبُ أنِي أحسستُ بكلٍّ ذلك وأنا لم أبرحْ مكاني في النَّادِي الأدبي بجوار الصديق الأديب البحاثة الشيخ عبد القدوس الأنصاري.

أما قصةُ ما رأيتُ وما سمعتُ في رَفةِ هذه الغَمرةِ أحيلها إلى ساعةٍ مُقْبلةٍ إنْ شاءَ الله تعالى.

قصة رفيف الأطياف

توطئة:

كانَ قَد تحدَّث اليَّ بالهاتِف الكاتبُ النابغةُ الأستاذُ عبد الكريم نِيازي. وكان حديثهُ يدورُ حولَ النادي الأدبي وعن معرضِ الكتاب وتكريمه. وعن وَقع كلمةِ الأمير ماجد وعن تكريمه للنادي ولرئيسهِ وللكتاب ولفحولِ رُوّادِ الأدب في المملكةِ وعَنْ كلمتي في كلِّ ذلك.

وإذَا أنا كتبتُ عن كلِّ ذلك فلاَ عجبَ لأني عضوٌ مختارٌ من أعضاء الشرف ولي بِطاقةٌ خاصة اسلمنيها سيادة الرئيس الشيخ إبراهيم فُودة.

فكان مِنْ وَاجبي أَنْ أُقَدم خِدْمةً للنادي والنادي يُخْدَمُ بالأقلام كما يُخْدمُ بالمالِ. وكان قد سبقَ للصديق الكريم الأُسْتاذ عبد الكريم أن طلب اليَّ أن أتقدم بمحاضرة... وجاءت مناسبةُ الإحْتفالِ بالكتاب. وقد رَافقتُ الأديبَ البحاثَةَ الشيخ عبد القدوس الأنصاري إلى حضـور الإحْتفال. وشـاهدتُ حوادثَ قِصةِ رفيفِ الأطْيـاف وأنا في النـادي وسجلتُها بعـدَ عودتي إلى المنزل..

والقصةُ تدور حَوْلَ النادي الأدبي ورئيسهِ وتكريمِ الكتابِ وعَنْ وَقْعِ كلمةِ سُموِّ الأمير مَاجد وعن تأييدِهِ الماجد العظيم وإليك هي:

مَجالي القصـة:

تَمثَّلَتْ لي أطيافُ هذه القصةِ ووقاعِها مِنْ عَالم الْمُسْتقبلِ عَام الألفين

مِنَ الهجرةِ المباركة وفي ليلةِ مَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ليلة الاثنين من إثْنيْ عشرةَ من ربيع الأول.

رَأَيْتُني وأنـا في مكـاني فـي نـادي مكـة الأدبـي بعـدَ إنْتـهـاءِ كلمةِ الأمير المشرقة بالتأييد الكريم للنادي والكتاب والرئيس والرواد..

رأيتُني كَأَنَّني فِي نادي مكةً الأدبي بالذَّاتِ ولكنَّ النَّادي الذي رأيتُه في عَالمِ أطيافِ المستقبلِ عام الألفين مِنَ الهجرة... رَأَيْتُهُ.

صرحاً فخماً ممرداً مِنْ قوارير صَرْحاً مَا حَلَمتْ بِه من قبلُ أحْلامُ قَوْسِ قُزح ولاَ تَهاويلُ ألوانِه وأي صَرْح هذا الذي تزهى به زيناتُ الجمالِ يَا شعراءُ هذا مجالكم إنه صرح كلُّه سحر وزينةٌ ورفيفُ أضواءِوهو فيشُموخ جَبَل حِرَاء..

أنظرْ هذه الأَنْهارُ تَجْري تحتَهُ مِنْ مدينةِ عَبقرُ وهذه الحدائق الخضراء تُظلّلُهُ أفنانها الوريقة وتنْفحُه نفحاتُ ورُودِهَا.

وَكَأَنَّ النادي يَهِلُّ في مهرجان كبيرٍ لتكريم الكتاب وقلتُ في نَفْسِي ليسَ بالْمُسْتغرب أن يكرم نادي مكة الأدبي أَنْ يكِّرمَ الكتـابَ في رأس عامِ الألفين مِن الهجرةِ وقد سبقَ وكرَّمه في عـامِ الألفِ والِأربعمائـة وإثنين ١٤٠٢ هـ من الهجــرة.

ولكن الكتاب المكرم في هذه الليلةِ ليلةِ الثاني من شهرِ ربيع الأول عام الألفين هو خاتم الكتب السَّماوية القرآن المجيد ومُحَالٌ وألف محَالٍ أن تظفر الإنسانيةُ بكتـابٍ يَحْملُ أمجـادَ الْخلودِ ومعجزاتِ التحـدي الأبدي يُضارِعهُ حتى يَسْتحقَّ أن يكرمَ مثلَ هذا التكريم الكبير مِنْ عباقرةِ علماءِ الأوطان كافة شهراً كاملاً..

وفي هذه الليلةِ المكرمةِ وعلى قِممِ هذا الجبل الأشمِ حِرَاء وفي هذه

المغارة الفيحاء كانَ بدءُ نزولِ القرآنِ المجيدِ خاتِمِ كتب السماء.

وعلماءُ البلدِ الحرام وشعراؤُه وقادةُ ناديهِ الأدبي.. بل.. كل علماءِ الأوطان وكلُّ القيادات الأدبية العبقرية البحاثة في العالِم لن تجد كتاباً أجدَر بالتكريم وأخلقَ بالإهْتمامِ وأحفلَ بالأمجاد وأحقَّ بالتنويه وأنفعَ مِنْ كتابِ اللهِ جلَّ وعز القرآنِ المجيدِ..

وإذا كانَ الكتابُ هو الذكرى الخالدة لعلماء كلِّ أمةٍ وأدبَائِها في أَيةِ لغةِ سُطِّر بها وإذا كان الكتابُ هو تاجُ الماسِ المتألق على مَفرق كل حضارة.. والبصيرة النافذة التي بها تُطل الأجيال الآتية على الأجيَال الماضية على سُموها أو انحطاطها على إنسانيتِها أو وَحْشيَّتها على مَعارفها أو على جهالاتها على رفعةِ آدابها أو على انْحِطاط آدابها.

وإذا كان الكتابُ في كل أمة هو المرآةُ التي تُريكَ شخصيةَ كلِّ أمةٍ ماثلةً للعيانِ دون حِجاب وزد على ذلك وقلْ إنَّ المدنَ تَتَداعىٰ وإن الأسْوار تتهدمُ وإنَّ الحصون تُرْدمُ. وإنَّ الحياةَ تتغيَّرُ مَعالِمُها والكتاب يَظلُّ هو هو تتفجَّر الحياةُ في صفحاتِه وتَنْتشِي النسماتُ في سُطورِهِ وتتألق الشموسُ في مَوْضوعاته وَيَسْحرُ البيانُ فِي أُسْلوبِه دون تخلُّفِ على تداولِ الحقب.

وهكذا يظلُّ الكتابُ صاحبَ الذكر المرفوعِ إلى يوم القيامـةِ ولماذَا تذهبُ بَعيداً فهذا الكتابُ اليوناني والكتابُ الرومـاني والكتابُ المصـري القديم والهندي والسرياني وسواه كثير كثير. يُعاطِينا الحياة ونْعَاطِيه الحياةَ ويبادلُنَا المسراتِ والفَخارِ ونبادلُه المسراتِ والفخارَ ويزهُو بِنَا ونزهُو بِه وقد تَساقَطُ الآبادُ بينَ يَدَيْهِ مُتهَافتةً حَسَرْى والأجيال ومدنها وقصورها وحدائق تَطويها الرموس وتغدو أطلالاً دوارس وخرائب عفراء مرعبةً سِوَى الكتاب فهو يزدادُ جمالاً واهتماماً وإقبَالاً كلما تأيَّد وشاخ من حوله الدهر وتداولتْه

الأَجْيالُ وتُرْجَم إلى كلِّ لُغاتِ البشر.

ولا يَـظنُّ ظـانٌّ أنَّ الخلودَ والمعـرفـةَ وإبتكـارَ الآدابِ والقصصِ والمسرحيات والفنونِ باللغة الحية الخالدة هو عَسِيرٌ وصَعْبٌ لا إنَّ ذاك هَيِّنٌ

يا أبناءَ بلادي أسْموا بالكتابِ: تَسْمُ بكم الأمجاد وتحقق لكم الأماني.

أُنظُروا هذا تلميذُ الخليل بن أحمد الفراهيدي عمرو العبقري.. لمَّا جَمعَ كلَّ قَواعدِ اللغةِ العربية بكل إعتزازٍ وفكرٍ، وأراد أن يطلق عليها إسْماً والعادةُ أنَّ المؤلفين يفكرون في أسْماءِ مؤلفاتِهم أكثرَ مما يفكـرون في أسْماءِ أبنائهم: فكَّر في إسْمٍ خَالدٍ دَالٍ على المقصودِ من صُنْعهِ فلمْ يجدْ أعلىٰ ولا أكرمَ مِن إسْم الكتاب فأسْماه «الكتاب».

وأصبح كتاب سيبويه في أصولِ علمِ النحْوِ وهو المرجعُ مَدَى العصور والأجيالِ. ولماذا نَدَعُ الأفكار تتقاذفُنَا مِنْ هنا ومِنْ هناك ونقـولُ عمرواً وزيداً.

والله جل جلاله أَسْمىٰ وحْيَه المنزل: الكتابَ..!!.

١ ــ ﴿ذلك الكتابُ لا رَيْب فِيه﴾. [٢ - ٢].

٢ ــ ﴿ذلـك بـأن الله نــزَّل الكتـابَ بـالحق﴾. [٢ - ١٧٦].

٣ ــ ﴿ولقدْ آتينا مُوسَى الكتاب﴾. [٢ - ٨٧].

وأي مَجْدٍ أكبرُ ينالُه إطلاق إسْمِ الكتاب من هذا المَجْدِ سبحانك يا إلٰهي كتابك هو الكتابُ الذي يَتَخطَّى الحياةَ الدنيا الفانية وتظل أضواءُهُ لَمَّاعةً مشرقة حتى في عَوالِم الآخرة.

أجلْ تزولُ الحضاراتُ وتَهْلك الأممُ وتنتهِي معالمُ الحياةِ من هذهِ الدنيا ولكنَّ كتابَك يظلُّ معْجزة الحياةِ الدنيا في كشفِ حقائقها ومعجزةَ الآخرة في كشْفِ حقائقها.

إلّهي إنَّ كتابَكَ هو معجزةُ الأبد الْمُتَحَدِّي كلَّ أُممِ الحضارةِ. وهذه آياتُك الخالدات تعرض على الإنسانية حَقَائق عوالم الآخرةِ تعرضُها يومَ البعثِ يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

إذن فكم من أمجادٍ ونعيم ومكارم يقدمُها النَّادي الأدبي في عَام الألفين من الهجرةِ في هذا الإحتفال الكبير الذي يُقيمه لتكريم كِتابِ الوحي الآلهي القرآن المجيد.

وهكذا تَجدُ الصلةَ وثيقةً بين قصةٍ عام الألفين المقامةِ لتكريم كتاب اللهِ القرآنِ المجيد وقصةِ الليلة في تكريم الكتاب السعودي.

وهكذا فَنَادي مكة الأدبي الذي يكرمُ في ليلتنا هذِهِ الكتابَ السعوديَّ هو نادي مكة في عام الألفين مِنَ الهجرة الذي يُكرم كتاب الله المنزل..

وهذا شَرفٌ عظيم لتاريخ الدولةِ السُّعُوديَّةِ القائِم على حقائق الإيمان على مَدَى الأزمان إن شاء الله.

بداية قصة رفيف الأطياف: كيف كانت المجال الأول

فإني منذ كنت طالبا في الأزهر الشريف منذ نصف قرن، وأنا لا أحب العجلة في كتابة الكلمات التي أريد كتابتها كما أني لا أحب أن أكتب إلا ما فيه الهدى والإيمان والحق والصدق وخدمة وحي الله القرآن المجيد والسنة المحررة وإني أبداً استلهمهما فهما النورُ الذي اهتدي به إلى محبة الله ورسوله والإيمان والحق والعلم والبيان والناس أجمعين.

ومن أجل ذلك أنا لا أتقيد بزمن معين من أجل إرسال كلماتي لأني أبداً أتوخى تمكين الإيمان والإخلاص للكتاب والسنة المطهرة، هذه الحقيقة تتجلى لك في كل ما كتبت من نصف قرن، وأنت إذا اطلعت على ما كتبت تلمس ذلك بكل حواسك..

ورأيتُ الكتاب المحترفين عندنا إلا القليل يكتبون بعجلة خاطفة، ويكتبون عن الماضي، وقل الذين يكتبون عن المستقبل مع أن المستقبل وهو الحياة المقبلة عليهم وهو غيب، وصدق من قال: «ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها».. ولكن نفس الساعة التي أنا فيها هي من الماضي لأنها زاحفة إليه ومصايرها غيب بيد الله جل جلاله، وكذلك الإحسان والإستقامة والصدق.. وهي الساعة التي يحس الحي أنه هو فيها بناءُ المستقبل وفيها الحفاظ على الحق وفيها الحفاظ على هدى الأخلاق

وفيها الإيمان العملي الكريم للمستقبل، إذن فسعادة الإنسان الدائمة متوقفة على هذه الساعة التي هو يعيشها. وهي ساعة الأبد، وأنها لا بد أن تنتهي فإذا انتهت بالهدى والإيمان وحب الخير للناس والدعوة إلى الله وكتابه ورسوله إنتهت بالسعادة الأبدية وإن لم يكن الأمر كذلك إنتهت بالشقاء الأبدي..

وهذه الساعة هي الدنيا بأسرها، وفي ذلك يقول الله جل وعز: **﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾** [١٠ - ٤٥].

وقديماً قالوا: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

أي طاعة لله في الأخذ الحماسي العلمي الصادق بما أمر به الله جل وعز وهكذا نجد المستقبل هو الماضي والحاضر أي نفيد من الماضي ونشيد في الحاضر ما نشيد لأجل المستقبل.

وكذلك كتبت هذه القصة، كتبتها من أجل الأماني التي نرجوها أن تكون حقيقة المستقبل وظللت شهراً كاملاً في كتابتها، وهي ذخيرة من العلم والأدب والفن وكذلك أرسلت لك هذه الرسالة بيانا لما عانيت في كتابتها وإن شاء الله ستكون ذكرى في الأدب خالدة وجديدة وَمُثَابَةٌ وهذا حقٌّ مُؤكَّدٌ مِنْ ربِّ العِزة. إقْرأ وتفكر..

﴿... إنَّ اللهَ لا يُضيعُ أَجْرَ المُحْسِنينَ﴾ [٩ - ١٢٠].

: **﴿واصْبرْ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ أَجْرَ المحسِنينَ﴾** [١١ - ١١٥].

أجلْ أجل لَنْ تَضيّعَ الأَعْمالُ الحسنةُ النافعة التي يَرْضَىٰ عنها اللهُ جلَّ وعز.

﴿إن الذين آمنُوا وعَملُوا الصالحاتِ إنَّا لا نضيعُ أجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [١٨ - ٣٠].

المجالُ الثَّاني من قصة رَفيفِ الأطياف

النَّادي-الأدبي في أَطيافِ المستقبل:

رَأَيْتُ في مَجالِ أَطْيافِ المستقبل في عامِ الأَلْفين من الهجرة.. وأنا في النادي الأدبِي بمكة المكرمة في الحفل المقام في عام ١٤٠٢ هجرية ١٠ جمادى الأول لتكريم الكتابِ وعرضه للجماهير، رأيت نادي مكة الأدبي في عمارٍ غيْر هذا، عَمارٍ رائع جداً جداً.. وفي حفل تكريميٍّ كبير لكتاب وحي الله... ـ القرآن المجيد ـ

رأيتهُ مزدهياً بزيناتٍ راقصاتٍ عَجَبٍ زينابٍ كَزيناتِ أعراس إرم ذاتِ العماد مِنَ الماسِ والياقوت والمرجانِ والعسجد واللجين.

١ ـ زيناتٍ في عمائِره الفخمةِ وبدائعِ رُسُومِها العبقرية، وفنونِ خُطوطها المجلوة وإتِّساقِ مَرْمَرِهَا المتألق.

٢ ـ زينات في فسيح قاعَاتِه وضَخامةِ مكتباته ومكاتبه ومقاصيره ورَدَاهاته المدهشاتِ، ومسارحِهِ الفِساح حتى أن كلَّ مَسْرحٍ يَسعُ مِن النَّظارةِ ما يَزيدُ على مئةِ أَلْفٍ ناهيكَ بفسيفساءِ أقواسِه وزخارفِ أبوابه وأسواره.

٣ ـ زيناتٌ في أنهارِهِ الجاريةِ الغزيرةِ وحدائقهِ الخضراء الرَّفافةِ النَّضرةِ وخمائِلها الفينانةِ الزاهية.

وهنا ذكرتُ بُشْرىَ رسول الله ﷺ وقد تحقَّقَتْ في كلٍّ ما أرى (لَا تقومُ

الساعةُ حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً).

وكلامُ رسول الله حقٌّ ولن يتخلفَ وعدُه ووعيدُهُ أَبداً لأنه وَحْيٌ مِن وحي اللهِ تعالى ﴿ومَا ينطقُ عن الهوَى، إنْ هو إلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾ [٥٣ - ٣ و٤].

إذن فلَن ينتهيَ الْعالمُ قبلَ أن تحقَّق بُشْرَى رسولِ اللهِ ﷺ.

ولمّا كان حِراءُ هو المكانُ الذي هَبَطَ فيه الملاكُ جبريل بِوَحْيِ اللهِ تعالى لأوَّلِ مرةٍ أقيم لذكراه مهرجان الإحتفال.

وكان غارُ حِراء لأجل ذلك قد تَشَعْشَع بأضواءِ الكهرباء الملونة حتى بدَا كأنه سَحابةٌ شَفَّافةٌ متألقةٌ بشتى اليواقيت.

وكانتِ الأعلامُ الخضراء أعلامُ «لا إلَه إلا الله محمد رسول الله» قد ركزَتْ على كل نواحِي جَبلِ حراءِ من أعلَى قِمَمهِ إلى أَسْفلِ سُفُوحِهِ..

وكانت آياتُ القرآنِ المجيد تَنْطلقُ مِن فَمِ غَار حِراءِ إلى كلِّ آفاق الدُّنْيا وهي ساطعةٌ سطوع البروق.

وهنا هتفت أماني قلبي الخفاق بحب كتاب الوحي اليقيني القرآن المجيد وكان كل هتافه إعتزاز به وإكبار لحفل تكريمه وحشوده الملبين النداء الذين ـ طرحوا أنانيات عنصرياتهم تحت أقدامهم وأخذوا بحقائق العلم اليقيني الذي انكشف لهم هم علماء فلاسفة وكتبةُ نوابغ وشعراء ملهمون.

أجل ملك عليهم عقولهم ومعارفهم إعجاز خاتم كتب السماء اليقيني الصارخ للذود عنه والتضحية من أجله..

«سبحان الله، هو برهان صارخٌ صفَّى إنسانية الإنسان من خبائث العنصريات

ومن وحشية الأدغال ومن أوحال التربيات ومن تخلف النفسيات، ومن عرام الأنانيات.

وهو برهان عمَّق فيهم وعي دقة النظر وقدر أمانة العلم ومكان إخلاص الإيمان وجلال تبتل الضراعة وسِحْر حكمةِ البيان وسموّ ضراعة الإبتهال.

وهؤلاء علماء الإجتهاد المسلمون المجددون وفدو للمشاركة في تكريم خاتم كتب السماء القرآن المجيد.

وتحس أن هذا الإحتفال الكبير الذي لبّا الملبّون من كل فجاج الكرة الأرضية هو تلبية روحية عميقة لأذان سيدنا إبراهيم الخليل المنوه عنه في وحي الله جل وعز.

﴿وأذِّن في الناس بالحج يأْتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأْتين من كل فج عميق﴾ [٢٢ - ٢٧]. **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكُلُوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾** [٢٢ - ٢٨].

ووفد الوفود من كل أبعاد الدنيا بشتى ما جد من وسائل النقل كما جاء النص على ذلك: **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾** [١٦ - ٨].

وكان الإحتفال الكبير بدا من البرج الكبير في سطح النادي الأدبي المطل على غار حراء حيث نزل بدء القرآن المجيد نزل به الروح الأمين جبريل على خير الخلق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكنا نحن جلوساً نستمع لكلمات البيان الرائعة الحافلة بالعلم والحق والصدق عن معجزات القرآن المتحدية وعن تاريخه وآثاره في معارف الأمم وشرائعها وسلامها وسموها وفي تقدمها الحضاري وفي صعودها العلمي وفي معتقدها الديني..

وكان وفود المثقفين من علماء المملكة العربية السعودية وحدها بلغوا عقدَ آلافٍ وكان أضعافُ عَقْدِ آلافٍ مَنْ وَافُوا لِسَماعِ المحاضرات أو القائِها مِنْ شَتَّى مثقفِي القارات.

وكنتُ أرى البرجَ الكبير يَحْتلُّ سَطْحَ النادِي كأنه سَطْح عرفاتٍ وَسِعَ كلَّ هاتِيكَ الزمرَ وكانَ لَهُ مَنْ كل نَاحيةٍ مائةُ معراج كهربائي يَصْعدْن بهم إليه.

وكان البرجُ الكبير عالياً عالياً حتى تخليتُ السَّماءَ بشموسِهَا بأقمارِهَا بكواكِبَها نزلتْ فيه تشارك الوفود في تكريم كتاب الله رب الأكوان الأعلى..

وكانتْ حشودُ الزمرِ تنتظرُ مقدَم الملكِ المفدَّى مِنَ الرياضِ بالطائرةِ التِي تحطُّ في أَعْلىٰ البرج لأنه هو الذي يتولَّى افتتاحَ مِهْرجانِ الليلةِ الأولى تكريماً لكتابِ الله ولن تجدَ كتاباً في دُنْيا الإنسانِ يستحقُّ ما يستحِقُّ مِثْلَ هذا التكريمِ ولا مِثْلَ هذه الدراسة ولَمَّا وافَتْ طائرةُ الملكِ وكان في انتظارِهَا أميرُ منطقة مكة المكرمة وكبارُ رجالِ الجيش وفحولُ الشعراء والأدباء ومعظم علماء الجامِعاتِ ومعظم طلابها ومعظم الوجهاءِ ومشايخ القبائل..

ولما وافتِ الطائرة رأس البرج بدأت طلقات المدافع تدوي من كل مكان من منطقة مكة المكرمة وأخذ الجميع يستقبلون الملك بكل الحب الصادق والوفاء والرضا وكانت المسافة بالطائرة بين العاصمة الرياض والعاصمة المقدسة مكة المكرمة نصف الساعة.

وما كاد يبلغ مكان الأحْتفال حتَّى دوَّى التصفيقُ وتعالىٰ الهُتافُ من كُلِّ النواحي وتخيلتُ كأَنَّ الرعودَ تقصفُ وتهطلُ بالغيْثِ مُشاركةً منها بفرحةِ اللقاءِ الكريم بالْملِك المفدَّى ولماذَا لا يكونُ ذلك واللهُ جلَّ جلالَهُ شرَّفه بخدمةِ كتابِهِ والسَّهرِ علَى صِيانتِهِ ورِعَايةِ علمائِه مِنْ دعاة ومفسرينَ وقراء

وحفاظ وكاتبين ولماذَا لا يكونُ ذلك واللهُ قد شرَّفهُ بخدمةِ الحرمين الشريفين وكلُّ ذلك ليْسَ بالقليلِ أبداً . .

والعلماءُ والجماهيرُ يكبرونَ جَلالةَ الملكِ ويحبونه لتأييدِه وحبه الإيمانَ العلميَّ اليقيني الذي أوحاهُ اللهُ على خَاتِم رُسُلِه في خَاتِم كتبِه القرآن المَجِيد. والإيمانُ العلميُّ اليقينيُّ براهينُه الحَاسِمةُ صارخة في كتابينِ عظيمين كتابِ الوجود المسطورة معارفُه القَطْعِيَّةُ في أكوانِه الْمَاديَّةِ والرُّوحيةِ وكتابِ خَاتِمَ وَحْيِ السَّماء القرآن المجيد الْمَسْطورة مُعْجزاته وتحدْياتِه في سوره وآياتِه البيناتِ المحكمات التي تكتشفُ على مدَى تطورات الحاضرات . . وتقدُّم العلوم التقنيَّة.

وسألت رئيس النادي الأدبي وكان من أكبر أدباء البلد الحرام وأشعرهم وكان صارفاً كل إهتماماته وأيامه ولياليه وصداقاته وصلاته بالحكام والتجار والوجهاء من أجل أن يكون النادي الأدبي في مكة المكرمة قبلة نوادي الدنيا الأدبية كما أن الكعبة المشرفة قبلة مساجد الدنيا للمصلين اعمال برة ونية حسنة وصدق في القول وتوفيق في تحقيق المساعي وعزيمة في البناء كل ذلك لمسته في شخص رئيس النادي الأدبي.

اجل سألته:

من قرر هذا الإحتفال الكبير بيوم نزول القرآن المجيد لأول مرة في غار حراء؟.

قال:

مليكنا المفدى هو من ذرية الملك عبد العزيز صقر الجزيرة العربية وموحدها ومشيد أمجادها الحديثة وحضارتها الإسلامية التي تستمتع بها.

ولا ريب أن الإحتفال بتكريم بدء نزول القرآن في غار حراء في مكة المكرمة هو من تعظيم شعائر الله **﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾** [٢٢ - ٣٢].

وإذا لم يقم العلماء كافة لدى الأمم كافة حفلات تكريم لكتاب الله الذي أنزله رحمة للعالمين فأي كتاب يكرمون؟ وتكريم كتاب الله يفضي إلى دراسته والإطلاع على معجزاته وتحدياته وكشفِ أَسْرارِه وكلّ ذلك يُفضي بأَهلِ العلمِ الأَحْرارِ الأمناء إلى الإيمان بِهِ والانتصارِ له والدعوةِ إليه والتضحيةِ مَنْ أَجْلِه...

﴿يَا أيها الناسُ قَدْ جاءكمْ برهانٌ مِنْ ربِّكُمْ، وأنزلْنَا إليكمْ نوراً مُبيناً﴾ [٤ - ١٧٤].

المجـال الثالث

من قصة رفيف الأطيـاف

حفلة تكريم كتاب الوحي الأَعْلىٰ

لن تُشاهِدَ الإنسانيةُ من العزة والكرامـةِ والمودةِ الاجتمـاعيةِ والمتعـة النفسية مَا تُشاهِدُهُ وهي تَتَفَيَّءُ ظِلال الْحَفْلِ المُقام في نَادِي مكةَ الأدبيَ في طَليعةِ عام الألفين المقبل إنْ شاءَ الله.

هُوَ ظَلال تزهُو بعزةِ كتابِ الْوحْيِ الأعْلى الذي أنزله الله ليكونَ برهانَ العلمِ اليقيني على مَدَى تَطوُّر الحَضَارات الصَّاعدة.

بلْ أنزله ليكون بُرْهانَ براهينِ العِلْم اليقيني للعقل الإنساني الحَضَاري المثقف الرَّاقي أنزله بإعجاز التَّحدي وأبديةِ التحكيم وَثَباتِ اليقين، وصراحة الصدق وإخلاصِ الإيمانِ وبذلك كان برهان الإنسانية المنزل إليها مِنْ ربها الأعلى.

﴿يا أيها الناسُ قَدْ جاءكمْ برهانٌ من ربكمْ وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [٤ ـ ١٧٤].

أنزله نوراً مِنْ نورهِ وَلاَ نُورَ أَسْطعُ من نورهِ لا في السمواتِ ولا في الأرضِ.

ــ إن قلتَ إنَّه يمدُّ كل شموس الدنيا بِدَفْقِ نورِ الحكمةِ قلْتُ

ـ وزيـــادة . .

ـ وإنّي أقـــول . .

إنَّ منازلَه في أَرْحبِ الْعُقولِ العالمةِ؛ وفي أَرْفعِ مَنَارَاتِهَا.

ـ وإنى أقول:

إنَّ محارَيبه خَاشِعةً فِي تَبتُّلِ القلوب المؤمنة، وفي قُدْسِ أَقْداسها. .

وقد تَنْتَهِي مطالبُ الأَحياءِ من هذا الوجود: وَعَطَايَاهُ لا تَنْتَهِي لأَنَّها مِنْ فيوضاتِ أرْحم الراحميـن ولَها إشراق مِنْ سرِّ الأبد في حَقَائق عِلْمه الأزلي الشامل: وهؤلاءِ العلماء العباقرة يُحِسُّونَ انَّ دِراستَهم لآيات وحي الله أشبه كالْمراقبِ الكشافة لِغُيوب حَقَائِق المعرفة الخفية فيها وفي تكوينِ الأكوان.

ومـا أوثقَ الحضارة الصـاعـدة المشيـدة علىٰ حَقَـائِق العلمِ اليقيني بالإيمان، وما أوثقها. وهؤلاء العباقرة هم دعـاةُ الإيمانِ العلمِيِّ اليقينيِّ المتجلي في آيات خاتم الوحي الإلٓهي.

والحقُّ أن كلَّ دعوةٍ عقائديةٍ لم تَكنْ قَبَساً مِنْ آيات الذكر الحيكم فَمَآلُهَا الخسرانُ.

وَمَجالِيها من أروقة الجامعات فجائع لأنها تكون ظلمة الحـاد ولعنة عنصرية وارجاف أفك وقسوة قلب وموت ضمير ولوثة فكر وخُدْعة تجديد وسْوأَةُ خُلْق وعرامُ نزوةٍ ووعُورةُ طبعِ وخُبْثُ نَفْسِ.

وحسبَ وَحْيِ اللهِ مكانةً أنه يُدلُّ على كشفِ حقيقتين:

١ ـ على حقيقةِ الإيمان العلمي اليقيني بالله الخالق العظيم.

٢ ـ وعلى حقيقةِ العلومِ اليقينيةِ المكتشفة بدراسةِ الأكوان.

والإعراضُ عن العلمِ المؤيد بالتجربةِ والمشاهدةِ يَهْوي بـالبشرِ إلى أسفل سافلين وَيَسْقِيهِمْ سمومَ الأفاعي ويذيقُهم الرَّدى، أَلْوانا.

ولن تجدَ في العوالِم العالمة الْعَاقِلةِ كافة سواء في دنيانَا هذه أو في دُنى الآخرين كتاباً يُعْطي الطمأْنينة ويكرم التعايشَ السِّلمي وَيُدعِّمُ السلامَ ويصون الدماء ويفرضُ العدلَ وينشُرِ الأمن ويَحققُ الحقائقَ ويذود عنها إلَّا خاتَم كتبِ السماء القرآن المجيد. أَلَا تَجِدُهُ يحثُّ على العَفْوِ حَتى عن السيئة مع شرعية الجزاء بالمثل.. يا أخي فكر في رحمة الله وحكمتِهِ المتجلية في آياته من سورة الشورى [٤٢] : ﴿**وَجَزاءُ سَيئةٍ سيئةٌ مثْلُهَا، فمن عَفَا وأصْلَحَ فأَجرُهُ على اللهِ، إنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالمينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بعدَ ظُلمِـهِ، فأولئك ما عليهمْ مِنْ سَبيلٍ (٤١) إنَّمَا السَّبيلُ على الذين يَظْلمُونَ الناسَ ويَبْغونَ في الأرْضِ بغيْرِ الحقِّ أولئكَ لَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبرَ وغَفرَ إنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأمورِ**﴾ [٤٢ ـ ٤٣].

فكر واحْزَنْ على هذا السمو الإنساني الحضاري الراقي المنزل منْ ربِّ الناسِ للسمُوِّ بالناسِ عن انحطاطِ حِقْدِ العُنْصريَّة وانْتقامها وسفاهتها واراقتها الدماء. كيف يَعْرِضُ عنه المجرمُونَ ويحاربون عَوالمَهُ وهو مُشفقٌ عليهم حَناناً وبراً وأخيراً يَدْعُو إلى الصبر الذي هو من عَزْمِ الأمور.

بالله حدّثني هل تجدُ سعادةً أمثلَ مِنْ سَعادةِ الذين يسكنونَ عوالَمه الرَّحْبةَ التي هِيَ عَوالمُ الرحمةِ والْحُسْنِ والإحسانِ وَفيضان الرضوان والرخاءِ والأَمْن ولمَاذَا لَا يكونُ ذلك للمؤمنين الصَّادقين وهم أهلُ عوالِم وَحْيِ الله العملي وما أوثقَ وَحْيِ اللهِ العَمَلي بالعقلِ والقلبِ والوجدانِ واليقين.

وأما المنافقون المشبوهونِ الذينَ يروْنَ آياتِ وَحْيِ الله منْ هَـواتفِ الأَحْلامِ ولم يَمَسُّوهَا بنية الإيمان فإنَّ نِهايَتَهمْ خَاسِرةٌ وإنها لماثِلةٌ في سوءِ مَصيرهم، وهو عِبْرة المعتبرين.

وهم يعيشون شاكين مُرتابين مدلِّسين متآمرين، ويموتـون في حَفائـر غرائزهم النتنة وأكفانِ نزواتهم المحترِقة.

وفهمت أنَّ النادي الأدبي في البلد الحرام أَوْجعه انْحرافُ البشرِ الشَّائن المخيف فأحبُّوا أن يُقيمُوا احتفالاً كبيراً تكريماً لكتابِ الله عزَّ وجل ودَعوْ إليه كل علماءِ الأرض العبقريين وفحول الكاتبين ونوابغ الشعراء ليتكلم كلٌّ واحدٍ منهم عَنْ جانبٍ مِنْ جوانب كتابِ وَحْي الله رجاءَ الإِصلاحِ والتقويم والتَّهذيبِ وجعلُوا الاحتفالَ شَهْراً كاملاً ليأخذَ كلُّ متكلم الزَمَنَ الذِّي يُريدُهُ وأَلفُّوا للنظر في كل كلمة زمرة من خيرةِ العلماءِ المنصفين الأمناء علىَ حَقَائق المعرفةِ لأنهم كانُوا يَحْذَرُونَ مِنَ السَّرقَاتِ والإِنْحِطَاطِ وتوافهِ الأَقْوال. . ومهما يكن فحديثنا عن احتفال النادي الأدبي في البلد الحرام في عَامِ الألفين مِنَ الهجرةِ وَسيكونُ الاحتفال الذي سَوْف يُقام في عام الثلاثة آلاف من الهِجْرة أكبر بكثيرٍ من هذا الاحتفال وسوف يستغرقُ عاماً كاملاً. .

لأنَّ علماء الأرضِ في تَطوّرٍ مُسْتَمِرٍّ وَتَجدُّدٍ في العلوم والمعارف والآداب. وهذا التجدُّدُ المطرد هو الذي يَكشفُ كنوز ينابيع مُعْجزاتِ القرآن المدخرة للمستقبل.

والحمدُ لله المستقبل سيأتي بالعلماءِ العباقرةِ الأَعْلام الذينَ يُعلنون الحقائق العلمية الْيقينيةِ التي سوف يَكْتشِفُونَهَا في القرآن المجيد بِكُلِّ أمانةِ بكلِّ اخلاصٍ وبكلِّ سَعادةٍ بكلِّ رضوانٍ بِكُلِّ تَحْقِيقٍ عِلْميٍّ عَبْقريٍّ مَاجدٍ.

وحينئذ ترى مَجْموعَاتِ الْبَشْرِ النفسيةِ تُخْصِبُ بإنسانيةِ وَحْي الله وَتَعْلُو وتَعْلُو عن صَغَارِ الْمُنْحَطِّينَ مِنَ البشر. .

إذن فهذا الاحْتفال الكبير لكتابِ وَحْي اللهِ سَينال بأقلامِ الْعُلَماءِ العباقرة أَحْسَنَ مَا يَسجِّلونَ وأصدق مَا يُحَرِّرونَ حَوْلَ دراستِهِ وتحقيقِ مَوْضُوعاته وشرحِ أهْدافه في هذا العالم الذي تعيش فيه وفي العالِم الآخر الذي سوف تنتقلُ إليه أمَّا الموضوعات التي سوفَ تبسط تجدُها في المجالِ الرابع من هذه القصةِ البيانيةِ. . .

المجـال الرابع

من قصةِ رفيفِ الأطياف

المحاورةُ حولَ موضوعاتِ الاحْتفال

أنـا لا أدري كيفَ أتحـدثُ عن محـاوراتِ العلمـاءِ الأعـلام حـولَ موضوعاتِ كتابِ اللهِ المُحْتفىٰ به.

أما العلماءُ الذين يـتكلمون في عام الألفين من الهجرة فهمْ مِنْ أعلمِ علماءِ أطيافِ المُسْتقبل وأما الموضوعات فهي جد طريفة ولكنها مقتبسةٌ مما كان مِن العلمِ اليقيني قديماً، ومما جاء منه حديثاً لديهم.

وَأَمَّا المحاوراتُ والموضُوعـاتُ التي يتحدثـونَ عنْهَا سَيمُـرُّ بكَ فهيَ ستكونُ أمْثالاً مِنْ عبقرياتِهم وأسلوباً بكراً من أفانينِ بيانِهم وعجباً مِنَ السّمرِ عَجَب، وستكونُ حكمةُ الإيمانِ المدعمةِ بالعلمِ كلمتهم،وحديث وقد الفكر النَّاضجِ حديثهم ونقاشهم والعلوم البكر المكتشفةُ مرآةُ مَوْضُوعَاتهم.

ولا عجبَ فمعجزاتُ كتابِ اللهِ الذي عكفُوا على دراستِهِ هُوَ صِبغةُ أَقلامِهم. وناهيكَ بهَا مِنْ صبغةٍ إنها هائلةٌ هائلةٌ وكلما تداولتْهَا الحضاراتُ الراقيةُ واحتكتْ بها عقولُ العباقرةِ الأعلام أولو الاختصاصِ وتعمقتْهَا دقةُ أنظارهم بمراقبِ مَعارفهم الكشافةِ تَفجّر في قَلْبِكَ ظاهرُ العلمِ وخفيهُ فِي معجزاتِ وحيهِ العلمِّي اليقينّي الجديد الجديد..

ولا أرى مِثالاً لما أودعَ اللهُ في كتابه من خفِّي المعجزاتِ إلاَّ ما هُو مدخرٌ مِمَّا أَخْفاهُ اللهُ للمؤمنين مِنْ عِبادِهِ مِنْ قُرةِ أعينٍ فِي العالمِ الثَّانِي وَفْقَ أعمالِهم الصالحةِ وفيه يقولُ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنة ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر».

وهذا عينُ المنصوصِ عليه في كتابِ اللهِ: ﴿**فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفيَ لهمْ مِنْ قرةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون**﴾ [٣٢ - ١٧].

أجل هذا حالُ الأسْرار والمعجزات التي ادَّخرها اللهُ في كتابه فهي أبداً جديدةً وبكراً في كلِّ عَصْرٍ مِنَ عصور الحضارة..

اذهب إلى دور المكتبات العامة في عواصم الحضارة وانْظُر ما كتبتهُ الأجيالُ حول القرآن المجيدِ فإنكَ تجدُ ألوفَ الألوف من المجلدات الضخام. وتجد أرباب الأقلام من الكتبةِ العباقرة يُحِسُّونَ أنفسَهمْ - كلما جَدُّوا في دراسةِ وَحْي اللهِ - أنهمْ على شاطىءِ المعرفةِ بالنسبةِ لما هو مَخْفيٌّ في لجج كتابِ اللهِ من عجائبِ المعارفِ المدخرة للمستقبل.

وكم فكرتُ وأفكرُ فيما أَوْدَعَ اللهُ مِنَ المعجزاتِ التي كُشِفت في عَصْرنَا من كتابِ الله بأَسْبابٍ من البحثِ والحق والصدق وبأَسْبابٍ مِنْ عُلومٍ يَقينيَّةٍ اكتشفَها.

التقدم الحضاري المادي وبأسبابٍ من عِصْمةِ الأمنِ على حقائقِ العلمِ كيْلا تزوغَ بِهَا لعناتُ العنصرياتِ في فَيافي شَواردِ الشُّبهاتِ الْمَصْنوعَةِ ضِدَّ يقينِ العلمِ.

وفي عصرنا هَذَا بدأتْ معارفُ حَضَارتِهِ المادية تتعمَّقُ في دراسةِ غُيوبِ الفضَاءِ وفي غيوبِ عَوالم الطَّاقاتِ ومن غيوبِ طلاسم عَوالِم المعتقدات وبذلك يتحققُ الإيمانُ العلميُّ اليقينيُّ وَتَنْفَتِح الأغلاقُ التي لم تَنْفَتحْ مِنْ قبلُ عَنْ كلِّ ذلك..

ولا ريبَ أنَّ التعمقَ فِي دِرَاسةِ كلِّ ذلـك سوفَ يَكْشِفُ الكثيـر من المعجزاتِ الخفيةِ في آيات كتابِ اللهِ جلَّ وعزَّ وسوْفَ يَنْفتِحُ الْعَصيُّ مِنَ الأغْلاقِ والطلاسم والألغازِ التي دَسَّها الإنسانُ العنصريُّ الغريزيُ المتخلف قديماً فكانتِ السببَ في وجودِ النِّحلِ المتحرفةِ عن العلمِ والعقلِ والوَحْيِ اليقيني الصحيح النِّحل التي ألقتْ غيـوماً كسيفـةً سوداءَ تحجب حقـائقَ معجـزاتِ وَحْيِ اللهِ وحقـائقَ معـارفِ التكـوينِ عمـداً وظلمـاً وجهـالـة وعُنصرية . .

وكم وكم هي الحقائقُ الخفيةُ المحجوبةُ بطلاسِم النفوس الغبية ، والأملُ في أولي الأمانة من علماء الحضارة الحديثة أَنْ يُفكرُوا ويفكُوا الطَّلاسمَ ويَكتشِفُوا الحجبَ وهذا يكونُ غداً وما أقرب اليومَ مِنْ الغد .

أجل سَتُفكُّ الطلاسمُ ويُكتشفُ الكثيرُ من معجزات القرآن المجيد في هذا الاحتفال الكبير الذي أقامه نادي مكة في عام الألفين كَمَا تَجلَّى لِي في عَالمِ الأطياف والأماني الحسان .

وَإني أجـدُ في هذا الاحتفـالِ الذي أنـا مُتابعُـه بكلِّ عقلي وقلبي ووجداني ورُوحِي مُتابِعُه وأنا أَرفرف بِشْراً وأزهُو عَجَباً بعالمِ الأطيافِ الذي يموجُ بين عينيَّ موجاً بكلِّ ما أتمنى أن يكون لهذا النادي الأدبي من الأمجادِ والاهتمامِ بعلومِ كتابِ وَحْيِ اللهِ والاهتمام بكشفِ معجزاتِهِ المتحدِّيات معارف الحضارات الإنسانية العليا إلى أبد الآبدين دونَ انقطاع.

ولو لم يكنْ لِكتابِ خَاتم الوَحْيِ الإلَهي إلَّا أنه رفع البشرَ من الوحشيةِ والبدائيةِ وَسَفْكِ الدماء وصغار الأَحْقاد ولعنةِ الأنانياتِ وتحاقد الأطماعِ وانتهاز النَّزواتِ وانحطاط الهِمم وظلماتِ الجهل ودس النحلِ السوداء بكلِّ شِركهَا ووثنيتِها والحادِهَا لكفاهُ إعجازاً ألفَ ألفَ كفاه . .

محاورة بيني وبين رئيس النادي الأدبي في عالم الأطياف

أَنَــا ــ تصورت أني سألت النَّادِي الأدبي المكي في عالم الأطياف.

: مَن قرَّر الدعوةَ العامة لكل علماء الدنيا من أجل إقامة هذا الاحتفال الكبير لكتاب الله جل وعز.

هــو ــ نحن قررْنَا ذَلك وعرضناه على أمير منطقة مكة المكرمة وهو بدوره عرضه على الملك المفدى فنالَ التأييدَ المقترن بالمعونـةِ الكبرَى والرِّضا كلَّ الرِّضا لأنَّ القرآنَ الكريمَ هو الدستورُ الأساسي للمملكةِ وفي سوَى المملكةِ من شتَّى الدولِ الإسلامية والحمد لله.

وتابع رئيسُ النادي حديثَه: «والملكُ المفدى لم يتخلف عن نصرة الإيمـان وحقَائق العلمِ مُتـأكدٌ مِنْ صِـدْقِ القائمين بـأي أمر من الأمـور الإسلامية الهامة ومنْ إخلاصهم لذلك فهو يُساعدُهم كلَّ المساعدة شأنه في ذلك شأن جده الأعلى الملك عبد العزيز وشأن آبائه الأبطال الكرام. والملك عبد العزيز جدُّهُ السَّابع.

أنــا ــ أرى أنَّ نادي مكةَ الأدبيَ لا يُضارعه نادٍ آخر في فَن بنائِه وشموخِهِ لاتَّساقِه وزخارفِه الرائعة وجمالِ حقائقِه وأنهاره وأدواحِه. إلا نادي عاصمةِ الإسلام الأولى المدينة المنورة، ونادي عاصمتنا الرياض.

وكم تغنَّى به الشعراء ونوابغُ الكاتبينَ والمؤلفين لدَى كلِّ أُمةٍ وكم شَاهد السُّمَارُ في تلافِذهم مَنَاظِرَهُ الرائعَةَ الأخَّاذة وعجائب عماره ودقائق فنونـه الضاحكة وزيناتها وزخارفها.

وأرى أنَّ تكاليفَ عَمارِ هذه النوادي الثلاثةِ باهظة جداً توشكُ أن تبلغ ميزانيةَ عمارِ الواحدِ منها ميزانية قَصْرِ الحمراء فمن أنفَقَ علىٰ عَمارِهَا؟

هـو ـ أنت تعلمُ أنَّ الأُمَم تُعْنَى بلُغَاتِهَا كـلَّ العنايـةِ وتُشَيِّدُ لهـا الجامعاتِ والمجامعَ والنواديَ الأدبيةَ وتَرْبطُ رخاءَ العيشِ ورغدَه بدراسَتِها وأجازِتها ووظائِفها وتدعُو إلى إتْقانِهَا ووعيِها بأصولها وفُرُوعِهَا..

وهيَ مِن أجلِ ذلك تقيمُ في معاهدنا المسابقاتِ الخطابية والتمثيليات البليغة كما تُقيمُ المُسَابقاتِ لِلْعِنَاية بفنِّ الإِنْشاءِ وَتَشْجيع عبـاقرةِ الأدبـاء المنتجين وإقامة حَفَلات التكريم لَهمْ لكي يَحْـذُو شبانُ الأدبـاءِ الناشئين حذْوَهم، ومِنْ هذا التشجيع الكبيرِ إنشاءُ النَّوادي الأدبيـة في كلِّ مُـدن المملكةِ وتقديم المِنح والمعوناتِ للنهوض بهـا وبالحـرِّي تكريم نـوادي العـواصم لأن مكانَ العـواصم يَقْتضِي ذلك لكثرةِ الذينَ يقـدِمونَ إليهـا ويتلقفونَ أنباءَها أولاً فأوَّلاً، وها هِيَ الدولةُ تنفقُ بِسخَاءٍ تشجيعاً للأدب والأدباءِ ونهوضاً بهم إلى القِممِ الشامخةِ اللائقةِ بهمْ وتمجِّد أمجادَهم وتخلد إنْتاجَهم وتدعوهم للإبْداع في الْكتابةِ في كلِّ المناسبات لكشفِ معجزاتِ القرآن ونشْرِ بَيانِهِ العربي الأصيل لدَى نَاشِئةِ الإسلام في كلِّ أوطانِهمْ...!

ولَا شَيْءَ يرفعُ شأنَ الأعْلامِ في أيَةِ أُمةِ علـى مَـدَى الأَجْيـال كأقلام الكاتبين العباقرة مِنْ شُعُراء وكبارِ أفذاذِ العلماء والكاتبين وهم بينَنَا اليوم كثيرونَ وَتَسُودُ أوساطَهمُ المودةُ والتفـاهمُ والتَّشجيعُ والإحتـرام والاعترافُ بإحسانِ المحسنين: لأَنَّ أربابَ الأقلامِ في الأمة العريقة العالية المتحضرة سواهم في الأمة الهمجية المنحطة البدائية.

فَكِّر ألَا تجدُ إنتاجَ أدباءِ الأمة المتحضرة وَسِبـاقهم للعطاءِ العبقـريِّ كسباقِ الـرياضيين فإنَّهم يَعْتبرون نَجاحَ الواحدِ منهم نجاحٌ للكلِّ فهم مِنْ أجلِ ذلك يؤيدُونَهُ ويرفعونَهُ عَلماً فوقَ أكتافهمْ لأنَّهم يعلمونَ أنه كان السَّببَ المباشرَ في رفع مُسْتواهم ورفع أدبهم أما الانتاج في الشعب المنحطِ فإنه

مثارُ الحَسَدِ والتَّرصدِ والذَّمِ الخاسرِ، وهمْ يَبْخَسُونَ كلَّ فَنٍّ يكونُ سبباً في رَفْعْ شأنِهم والسُّمُو بأدبهم ذلك لأنهم أقزامٌ مُنْحطون مُتَخلفون بعُقـولِهم وَمـرضَى بنفُوسِهمْ النتنـةِ وأفكارهم الـطفيليـة إذَنْ فقـلْ شَتَّـانَ بينَ العُلوِ والاسفاف وبينَ العلمِ والجهلِ وبين الحَسَنِ والقُبْح وبينَ النفوسِ العالية الصحيحةِ وبين النفوسِ السَّافلةِ المرِيضة.

أجل قل ألف ألف شتَّـــان. . .

أنـــا ــ بل أقولُهَا أضعاف أَضْعافَ ذلك.

هــو ــ والآنَ ألا يَسَعُكَ أن نتحدث عن وَصْفِ الاحتفالِ وهو لا يزالُ في بدايتِهِ.

أنــا ــ أجل أجل .

«أُريدُ زَوْجاً إنساناً»

سمعتُ محاضرةً فِي عاصمةِ لبنان مِنْ أزمانٍ خَلتْ.. موضوعها قِصَّتان قصةُ الزوج الإِنسانِ وقصةُ الزوج الوحش وقدَّم المحاضر لكلٍّ من الزوجين قصةً تصورُ الواقعَ تصويراً فنيًّاً عَجباً.

وأذكر أنه عَرضَ جَانِباً من روايةِ قمبيز للزوج الوحش.. والرواية التي مُثّلتْ لأوَّلِ مرةٍ في مِصْرَ في مَسْرحِ رَمْسيس في كانون الأول عام ١٩٣١ م.

ومُثّلتْ في كِثيرٍ مِن البلادِ بألوانٍ مختلفةٍ والرّوايةُ لا تخلو مِنها مكتبةُ، أديب أما أنا فإني أكرهُ الزوجَ الوحشَ لاعتقادي أنَّ المسلمَ الصَّادقَ لن يكونَ زوجاً وَحْشاً أبداً ومن أجْلِ ذلك أعْرضْتُ عن ذكرِهِ هنا واقتصرتُ على ذكر الزوج الإِنسانِ: أَجَلْ المسلمُ الصَّادق لنْ يكونَ زوجاً وَحْشاً أبداً أنى يكونُ والله جلَّ جلاله يقول:

﴿ومن آياتِهِ أنْ خلقَ لكمْ مِنْ أَنْفسكم أزواجاً لتسكنُوا إليها وجعلَ بينكمْ مودةً ورحمةً﴾ [٣٠ - ٢١].

والرحمةُ تظل مُؤَبَّدةً في قَلْب المُؤْمِنِ وَهْيَ مُبيدةٌ لجرثومةِ الوَحْشيَّةِ. والرجلُ والمرأةُ إذَا إقْترنَا عَادَا شَخْصاً واحداً، ولو لم يَعودا شخصاً واحداً لبطل إطْلاقُ زَوْج على كلٍّ واحد منهما.

وهذا صريحٌ في سُمُوِّ وَحْيِ اللهِ الإنساني الحضاري ﴿**وقلنا يا آدمُ اسكنْ أنت وزَوْجُك الجنة**﴾ [٢ - ٣٥].

وَلتمْكينِ هذا السُّموِّ الحضاري الإنساني بين الزوجينِ قال الله كذلك ﴿**هُنّ لِباسٌ لكمْ وأنتم لِبَاسٌ لهنَّ**﴾ [٢ - ١٨٧].

والمرءُ ولباسُهُ لن يكونا شَخْصَيْنْ على أَنَّ كُلَّ ما في اللباسِ مِنَ المَنافعِ يكون لِلمرأةِ مِنَ الرجلِ ويكونُ للرجلِ من المرأة باعْتبَارِهَما يُمَثلان شَخْصاً واحداً مُتَشَابك المنافع والمصالح ولاَ إفرادَ لِأحدِهِمَا دونَ الآخر.

قصة الزوج الإنســـان

هيَ القصةُ التي عُنيتُ بهَا هُنا.. وإليكَ هِيَ... يَلْمسُ المُطالعُ يَقظةَ الفكرِ متقدةً في قَوْل ابنةٍ لرئيس غرفة تجارة لعاصمة كبرىَ من عَواصم الهند.

«أُريدُ زوجاً إنساناً» ووالدها يرى أنَّ ذلك حَقٌ لها وأنَّ هذا الحقَّ عينَهُ يكون للفتى الذي يُنادي أُريدُ زوجةً إنسانة.

فالحضارةُ الراقيةُ لا تتحقَّقُ لأمَّةٍ إلا إذَا كانَ الزوجان إنسَانَيْنِ. وهذه القصةُ مَعْروفةٌ، وَقَدْ وَقعَتْ أيام كان الإنجليز يحكمون الهندَ. وكانَ اسم العروسة الحسناء شَانَا وهي فتنةُ فَتياتِ القِصَص جَمالاً ورشاقةً وَسِحْراً وخفةَ ظِلٍّ وجاذبيةَ دَلالٍ... وكانتْ شاعرةً رقيقةً بليغةً كأنَّها ابنةُ تاغور أو غاندي وكان خُطَّابها مِنْ أبْناءِ الوجهاء يتوافدون بكثرة.

وكانَ والدُها إذا أعجبه واحدٌ مِنهم يحدثُهَا فِي شَأنِهِ ويزيُنّه في عَيْنيها وكانت إذَا حَدَّثها والدُها في هذا الأمْر غَشيْتَهَا سَحابةٌ قاتمةٌ وتولاَّهَا الهلعُ واعتراها الصّمْتُ وارتجفتْ وتساقطتْ حباتُ مِنَ اللؤلؤ الرَّطبِ مِنْ عينيْهَا الساحرتين.

وفي يومٍ أَلَحَّ عليهَا والدُها لأنَّه لم يكنْ لَهُ سِواهَا مِنَ الذرية وعنَّفهَا بعبارةٍ رقيقةٍغاية. . . فيهاعَتْبٌ وفيهاوفيها رجاءٌرِفْقٌ وفيها حزمٌ وتصميمٌ وقال يا ابْنتي أريدُ الذريةَ ولاَ رجاء لِي مِنَ الذريةِ إلاَّ مِنك فارفقِي بي ولا تُخيِّبي رَجَائِي ولو كان لك أخوة لهانَ الأمر. .

وكم أوجعها مَوقف والدِهَا مِنْها هَذا الموقف الضَّارع المتوسِّل وقالتْ:

ـ يا أبت لا تَلُمْني أريد زوجاً إنساناً وأينَ الإنسانُ في هذا الزمانِ الْمقلَّب قال الوالد:

ـ لا تخلُو الدنيا مِنْ إنسانٍ ولو خلتْ لخربت وما أكثر الذين يفدون إليَّ مِن الشبانِ الْوجهاء والحكام من شتى مقاطعاتِ الهند طلباً ليدك وأخشى أن يَشِيع بينهمْ أنك لا تريدين الزواج فيمتنعُوا عن المجيء قالت:

ـ إنْ أبيتَ إلاَّ أن أختارَ واحداً مِنْ بينِ هذا الجَمِّ الغفير مِنَ الخُطَّاب فَعَينْ لهم يوماً يأتونَ جَمِيعاً ويميرونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَحِينئذٍ أنا أَخْتارُ مِن بينهمْ أحدَهم وأرجوا أن يكونَ الزوجَ الإنسانَ الذي أتوخَّاهُ.

ونادى المنادون أَنَّ كبير تُجار الهند يريدُ أَنْ يُزوّج «شَانَا» فمنْ يَرى نفسَه أهلاً للزواجِ منها فَلْيأتِ في يومٍ كذا وقدْ عيَّن اليوم ويمرُّ بينَ يديْها فيه وهي تختار الزوجَ الذِّي ترضاهُ.

وجاء اليومُ الذي عينَّه والدُها لوفودِ الخطابِ وجلستِ الحسناءُ فوق عرش مشرفٍ على الخُطَّابِ الذينَ أَخذُوا يَمرُّونَ بينَ يديْها طالبين يدَها لكي تختارَ أحدَهم.

وكانَ الْخُطَّاب أعدُّوا أنفسَهم إعداداً رَائعـاً وهاجًـاً لكي يلفتُوا نـظرَ الحسناء إليهم فكانَ كلُّ واحدٍ يرتدي من الأثوابِ أفخمَهَا وأشدَّهَا حُليًّا وفتنةً

وإنَّ كلَّ واحدٍ يَسْتكثر من الحَشِم الذين يصحبونَه مِنْ أمامه ومن خَلفِه . .

وكان كلُّ شاب يَمرُّ بينَ يَديْهَا يُحيِّهَا بأدبٍ وذَوْقٍ كأنَّه يُريدُ أن يفهَمَها أنه هو الإِنسان الإِنسان الذي يستطيع أن يملك عليها بجماله ورشاقته وجاذبيته وزينة موكبه ووفرة أتباعه .

ومرت ساعاتٌ وساعاتٌ والخطاب يمرون بين يديها على ما رأيت دون أن تكترث بهم أو يَبْدو أنها أَعْجبتْ بوَاحدٍ منهم .

ولم يرَ والدُها منها أيةَ بادرةٍ إليه تُشيرُ أنها اخْتارتْ وَاحداً منهم حَتَّى كادَ والدُهَا يَضيقُ بأمرها ويصرخُ في وَجْهِهَا مِن الأَلَم وخافَ أَنْ تذهبَ الفرصةُ مِنْ يَدِهَا ويدِه ولكنَّ الله سلم .

إذ جاء شاب ليسَ لهُ مِنَ الحشِم سِوى شَخصيْنِ اثنين أحدُهما عَنْ يمينِهِ والآخرُ عن شِماله وكانَ يحملُ رضيعاً في حِجْره وهو يَرْبتُ عليه بِحُنُوٍّ ويرفهُهُ ويُدَلِّلهُ ويُغَنِّي له ، ويناغي .

وَمَا كادتْ تُشَاهِدُهُ الأميرةُ مِنْ بعيدٍ حتى صرختْ بدونِ وَعْيٍ هذا هو الإِنسانُ هٰذا هو الإِنسان مِنْ بينِ مَنْ رأيتُ هَذَا هو زوجي . .

وفرحَ الوالدُ أنَّها أخيراً اخْتارتْ مَنْ تَرْضاهُ زوجاً وتظاهَرَ كبارُ التجار من أصدقاء وَلدهَا بالسرور حيث اختار من اختارت ، وإن غَاظهم أنها أعرضت عن أبنائهم ، ولم تقمْ لهم وزناً . كأنهم ليسوا من بني الإِنسان .

أجَلْ الجميعُ قد عَجبُوا لِماذا اخْتَارَتْ هذا الشاب دون الذينَ مَرُّوا بينَ يَدَيْها وهمْ أفخم وأعظمُ وأكبرُ في موازين البشر . .

وحتى والدها عجب لذلك والحكايةُ أن الفتاةُ أوْعزتْ لِخَدمَها في القصرِ أَنْ يَضعُوا طِفْلاً رضيعاً على قَارعةِ الطريقِ الذي يمرُّ به خُطَّابُهَا جَميعاً .

وكانت تعلمُ أنَّ الخطيبَ الذي يَحْمِلُ قلبَ إنْسانٍ مُحالٌ أَنَّ قلبَهُ يُطاوِعُهُ أَنْ يَمُرَّ به دونَ أَنْ يأخذَهُ معه. ومرَّ الخطابُ به ورأوهُ ولَمْ يكترثُوا له لأنَّ كلًّ واحدٍ كان غارقاً في غمرةِ الأملِ وَزَهْوةِ الأماني الحسـان أنْ يكونَ هـو الخطيب الأثيـر المراد.

حتى مرَّ الإنسانُ الإنسانُ فأخذَهُ وأخذَ معه قلبَ الحَسْناءَ.

اللهم زدْ وبـــارك..

منطق القصص

كلُّ قصةٍ تحملُ مَنْطِقَ مُؤَلِّفها، وفي الجملةِ تدل على ما يَنْطوي عليه من إيمانٍ أو إلحادٍ من تبذلٍ أو عَفافٍ، من إنسانيةٍ أو عنصريةٍ، من استقامةٍ أو اعوجاج.

ويعرفُ هذا مَنْ يستطيعُ أن يكتشفَ اتّجاهَ الكاتبِ وأشواقه وآمالَهُ وآلامَهُ من قِصَّتِهِ وإذا كانَ مُلماً بِخَصَائِصِ حَيَاةِ الكاتبِ الظاهرةِ والباطنةِ فإنَّ كتابتَه تكونُ عَجَباً، وفي تحليلِ بعضِ نواحي القصةِ كفايةٌ إنْ لم يتمكنِ الكاتبُ من اسْتِيعابِ التحليلِ . وهذا ما فعلتُهُ وأفعلُه في الروايات التي أكتبُ عنها.

روايةُ تِس وتَحْليلِ بعضِ اتِّجاهاتِها

بالأمْسِ كنتُ أُعيدُ النظرَ في روايةِ تِس التي ألفها باللغةِ الانجليزية الشاعرُ الحكيم تُوماس هاردي وترْجَمَها إلى اللغةِ العربية الكاتبُ النابغةُ فخري أبو السعود ـ والْتذُّ بِنَغَبِ سَلْسَلِ بيانِه العربي الأصيل. حتى كدتُ أتصور أنَّ توماسَ هاردي أحدُ رُوَّادِ عُكاظ البلغاء وأنه عربيٌّ صَميم، لما تَشْتَملُ عليه القصةُ مِنْ فَنِّ إبداعِ الأسْلوبِ العربيّ الصحيح. وهذا آيةُ قُدْرةِ تَعْريبِ كاتِبِنَا النابغةِ فخري أبي السعود.

تومـــاس هـــاردي

ها هو يتحدَّث إليكَ في الروايةِ عَنْ نفسِّياتِ المُتحضِّرينَ، ويُصَرِّح بالحقيقةِ المُرَّةِ أَنَّ المتحضرينَ يُبالغونَ في ترفيهِ أجسادِهم وحضارةِ ظَواهِرِهَا

ويُـوغِلونَ إيغالاً في اللذَّات الفـانية ولـم يتـطوَّرُوا قَدْرَ أُنملةٍ في السُّمـوِّ بأعمالِهم، لأن بواعثَ أعمالِهم هِيَ مجموعاتُهمُ النفسيةُ وانفعالاتُهَا وهي انفعالاتُ العَصْر الغابي بكلِّ تَخَلُّفِه. وَبِسَبب ذلك تجدُهَا ظاهرةً في أعمالِ مُتَحضِّرِي عصرِنَـا وَلِذَلِـكَ تجدُهم ينصـرفونَ بجهـدِ طاقـاتهم إلى تُخْمةِ غرائزهم بِنَهمةٍ وشراهةٍ، وإيغالٍ وَأثرةٍ وحقْدٍ على الغير شأن وُحوشِ الغابِ تماماً.

وهكذَا يُلْمِسُكَ توماسُ هاردي في روايتِه، أَنَّ مجموعة نَفْسِ الإنسانِ في عصرِهِ المتَحَضِّر، هي هي في عَصْر الغاب مـا خلا ظـاهرَ أعمـالِ الحضارة. إسمعْه يقول.

«اللهُ رسمَ للدنيا خُطةً صَحيحةً. . ولكنَّ الإنسانَ ـ بِتَخَلُّفِهِ ـ نفَّذهَا تَنْفيذاً خَاطِئاً، وهذا التنفيذُ الخاطىءُ هو الذي جَعَلَ الأخْطاء تتوالى في معاملات البشر. فهذان كلُّ فتىً وفتاةٍ أنهما ساعةَ يُحسَّان فيها بالحاجةِ الملحةِ إلى الحُبِّ قلما تلْتقي الفتاةُ بالفتى الجدير بالحبِّ وهذا شأنُ الفتى، والمرادُ أنَّ الخَطأ الذي يدخل في الزواج بين الشابِ والشابةِ هو من بواعثِ غرائزِهِمَا الغابيةِ لذلك قلَّما يَسْتَمِرَّان على الوِفَاق المراد مِنَ الزوجيةِ الدائمة المُنْجبة ويضيفُ قائلاً:

إنَّ الحياةَ قلما ترشدُ أبناءها المسـاكين الذينَ تَنْحـرفُ بهم البواعثُ المشبوهةُ المُظْلِمَةُ وقلما تُناديهم من هُنَا الطريق، ولذلِكَ تَصْرَعُهمُ الآلامُ والأوجاعُ والأحزانُ ويختلطُ عليهم الأمر ويستطْردُ ويقـول: «وهنا يتساءلُ المفكرون هلْ إذَا بلغتِ الإنسانيةُ أوْجَ رُقيِّهَا يصبحُ للإنسانِ شعورٌ باطنيٌّ يَكونُ ألطفَ حَسَاسِيةً من شعوره الحالي فينقذه، من السُّقوطِ في كلِّ هذه الأخطاءِ والمفارقاتِ الزمنيةِ. والمفارقاتُ الزمنيةُ هي حملُ الإنسان لطبيعةِ عَصْرِ الغابة في عَصْرِ الصعودِ إلى القمر والتحليق بالمكوكِ الفضائي بينَ

الكواكبِ. ويعود متسائلاً.

هلْ يُمكنُ أن يصل الإنسانُ في يومٍ إلى مجتمعٍ أوْثق وشائج من مجتمعِهِ الحالي الذي يتخبطُ فيه بمقتضى المفارقاتِ الزمنيةِ بَيْنَ بَواعث الغاب والتطورات التي دخلت في ظاهر الحياةِ الدنيا. من حضارةٍ مادية رائعة هائلة.. وتراه يجيب على استفهامِهِ هَذَا بالنفِي. إذْ يقول: «وليس السهل أبداً إمْكانُ حصولِ ذلكَ فضلاً عَنِ التَّنبؤِ بِهِ».

ونظريةُ توماس هاردي وسواه من المفكرين هي الظاهرةُ الصارخةُ في سُلوكِ البشرِ. لأن سلوكَ البشرِ مُشاهدٌ للجميعِ وتحتَ التجربةِ، وهو لم يَبْتعدْ عن غرائزِ الغاب، ولو قدرَ أُنملة..

والقرآنُ المجيدُ ألمع إلى اقتصارِ علْمِ غيرِ المؤمنين به، اقتصارُه على ظَاهِرِ الحياةِ الدنيا فقط..

أمّا غرائز الإنسان الباطنة فهي هي. لِذَلكَ تَجدُ غرائزَ الخسرانِ هي المتأصلة فيهم. وهي التي تسوقهُم إلى غيرِ الأعمالِ الصَّالحةِ... والتزامُ الأعمالِ الصالحةِ لا يكُونُ إلَّا بكبتِ الإيمان المنصوص عليه في قوله تعالى: ﴿**والْعَصْرِ إنَّ الإنسان لفي خُسْرٍ، إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.. أمَّا الزعمُ أنَّ الأعْمالَ الصالحة ستكونُ في يَوْمٍ ثمرةَ التطورِ الحضاري. وستكونُ مُؤَصَّلةً في صميمِ المجموعة النفسية دونَ أيَّةِ حاجةِ إلى كبت الإيمانِ فهو مِنْ خيالاتِ الفلاسفة. ما دام كبتُ الإيمانِ يُفْقدُ إذا كان الإيمانُ واهياً لا يتجاوزُ اللسان، وما أكثر المؤمنين من هذا الطراز.

أمَّا زعمُ نيتشة. أن الحضارةَ التي طوَّرتِ البشر كل هذا التطور المادي، ستُطَوِّرُهم نَفْسيّاً حتى يصبح التعايشُ السلمي مِن انطباعِ غرائزِهم ويصبحُ الالتزامُ بالمُثلِ العليا وسلامةُ الموداتِ والْوفاءُ بالعقودِ كذلك فهوَ من

أحلام فروضِ الفلاسفة وأُمنياتِهم. وهل تحققتْ أحلامُ مدينة أفلاطون، أو مدينة الفارابي حتى تَحَقَّق أحلامُ نيتشه. والذي نُشاهِدُهُ أَنَّ بعض البشر كلما تقدَّمَت الحضارةُ إزْدَادوا وحشية.

١ ـ انظـــر أولاً

ظَاهرَ إنسانِ الْحضارةِ الراقية تجدْهُ مُحْتشداً بالعلومِ الماديةِ وفنونِهـا ومفَاتِنها وأهوائِها ولذاتِهَا بسرفٍ وامْعانٍ دونَ وازعٍ هادي.

٢ ـ وانْظر ثَانِيـــاً

وهو على قِمَمِ هذه الحضارةِ المادية يحملُ أَقْذَارَ أسْفلِ مَجْموعةٍ نفسيةِ الغابِ الأُولىٰ بالذاتِ. فغرائزُهُ وعواطفُهُ وتفكيرُه وكلُّ بواعثِ أعمالِهِ هِيَ هِيَ يوم كان يَعِيشُ في الغاب. وَحْشيةٌ في الافْتراسِ، عِراكٌ على الحطامِ، نَهْمَةٌ في الاطْماعِ، أَثَرَةٌ في الحيازةِ، زُهَوٌ في الكبرياءِ. حَـذَرٌ في التَّرصـدِ، مُفَاجأةُ في الإنْقِضَاضِ، إيغَالٌ في التآمر، إنفلاتٌ في الجنس.. وكلُّ الذي أفادتْهُ مَجْموعة نفسيةِ إنسانِ عَصْرِنا الْمُـطِلِّ من أقْمارِهِ الصنـاعيةِ. هـذهِ الأفوافُ الساحرةُ الجذابةُ النَّاعمةُ، وهذه الزينةُ الفاتنةُ التي تستهوي وتروقُ وتروع.

١ ـ خذ مثلاً غريزةَ الميلِ الجنسي، فإنَّك تَجدُ يَدَ الحضارةِ الماديةِ الـظَّاهرةِ امتـدتْ إليها، وزيّنَت دوافعهـا بألـوانٍ مِنَ اللَّعناتِ والعـربداتِ والخبائثِ والفواحشِ ما جعلَ السَّماءَ والأرضَ تَعُوذَانِ باللهِ من ظاهرِ سِحْرِهَا وجاذبِيِّتِهَا مُرْتجفتينِ، وجعلَ أبالسةَ الجحيمِ يَهْلعونَ ويَهْلعون خوفاً على أنفسهم من السُّقوطِ في حَبَائِلها وهم يُرَدِّدُون:

وكَمْ مُتَعَــوِّذٍ بـــاللهِ مِنَّــا تَعَــوذُ الأرضُ منــه والسَّمَــاءُ

٢ ـ وخذ مثلاً غريزةَ التَّملك الغابي فإنها كانتْ قلمَّا تَبْعُدُ بصَاحبَها عَنِ الكفايةِ انظر كيف أَفْضَىٰ طغيانُ التطور المادي المنتكس المنحوس. حتى أصبح صاحبها لو مَلك كل ذهب الأرض لطارتْ به غريزةُ حُبِّ التملك إلى الكواكب السحيقةِ ليجمع سائرَ ذَهبها. هذا إذا لم يتلهفْ حسرةً أن لا تكونَ ذهباً.. ويجيبُك عن سؤالك عن سواهُ مَا يملك ؟! : «الرموس كثيرة، نفسه ذاتُها ولا يملكها أحد فليملكها..؟!!».

أما ما قاله نيتشه عن تطور إنسان الحضارةِ بحكم تَجددِ معارفه وآدابه وفنونه إلى كمالِه المرتقب «السوبرمان» فما أحسبه يكونُ إلا يوم المثولِ بين يَدَيْ أحكم الحاكمين.

وكم مِنْ خطأٍ في زَعْم مَنْ زعَم أن التطور الحضاري السَّامي سوف يَسْتغني به الإنسانُ عن الكبتِ الديني الذي جاء به نصَّ الوحي: ﴿**والعصرِ، إنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ، إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ**﴾ [١٠٣ ـ ١ و ٢ و ٣].

في خُسْر بحُكمْ المجموعةِ النفسية المتخلفة واسْتثنىٰ المؤمنينَ الذين يلتزمون السموَ في الأعمالِ بحكم كبت الإيمانِ ومنْ أجل ذلك كان الحكمُ في مزاولةِ الأعمال، للغرائز الغاب لا للتطور الحضاري، مهما كَبُر وعظَمَ وامتدَّ إلى كل أجرام السماء.

وآخـرُ ما أقولُ في هـذا الموضـوع فَصاحِبُ كبتِ الإيمـان في كل معاملاته مع الله والناس هو المؤمن الصادق. وأمَّا التظاهر باللسان بالإيمان الصادِق دونَ التزامِ الأعمال الصالحةِ فهو نفاقٌ وفي النهايـةِ اتلُ مفكـراً متدبراً:

﴿**إنِ الحكمُ إلا للهِ يَقُصُّ الحقَّ وهو خيرُ الْفَاصِلينِ**﴾ [٦ - ٥٧].





حكـم وأمثـال



فصل الحكم والأمثال

الكلمات

حِكَم وَأمثَال

كلمة واحدة فيها الكفاية:

يكثر الناس القول في اسمارهم

١ ـ فلان نابهٌ وفلان خامل.

٢ ـ فلان ميسور وفلان معدم.

٣ ـ فلان مُجدٌّ ، وفلان كسول.

٤ ـ فلان عالم وفلان جاهل.

٥ ـ فلان مستقيمٌ وفلان مُعْوَجٌّ.

٦ ـ فلان عفيف وفلان فاجر.

تراهم يرددون ذلك في أسمارهم وفي أنفسهم حين يميزون بين الأفراد وصفاتهم ولو أحسنوا لاقتصروا على كلمة واحدة.. وفيها الكفاية..

فلان يملك إرادة العقل الواعية المسيطرة على أعمال مجموعتِهِ النفسية. وفلان يفقدها والسبب أن إرادة العقل المسيطرة هي ميزة الإنسان الإنسان وآية حسن سلوكه الممتاز. وما الإنسان وحده يملك إرادة الغريزة العارمة المالكة لأن الحيوانات كافة يملكونها. وبهـا تواصـل سلائلهـا: في الحياة ووسط بين الإنسانية والحيوانية من يملك إرادة العاطفة المسيطرة.

قصرُ النظر:

١ ـ اكثرُ ما يكون غرور الغافل عن الخطر ساعة دنو الخطر.

٢ ـ وأكثر ما يكون إمساك الشحيح يوم تكثر الأموال التي لن تنفد دون إنتفاعه بها قبل هلاكه.. دع عنك بعد هلاكه. وهو ممكن لو كان مؤمناً.

٣ ـ وأبعد ما يكون العاقل تفكيراً بنزول الموت حين يكون الموتُ وشيكَ النزول، ويكون في ساعة خاطفة صاعقة.

وهكذا الإنسان الغافل يرى القريب بعيدا، والبعيد قريباً والأبيض أسود والأسودَ ابيضَ إلا من شافاه الله.

مقـود الأعمـال:

الإرادةُ مقودُ الأعمال الصحيحة.والتوفيقُ والنجحُ والمعرفة وكل خير في الإنسان فمن لم يمتلك الإرادة لم يمتلك المقود ويعيش مفلتاً بأطياف الأماني الكاذبة. ويموت وهو متعلق بأطياف الأماني الكاذبة..

ولا يلقى في حياته سوى الندم وحسرات اللذات والآلام وعقوقِ أنداده دونه والشقاءَ الباكي.

جرت سنةُ الله في خلقه ولا وتبديلَ لسنة الله،إن لذاتِ النزوات الشاعلة وتصيدَ لهفاتها وأشواقها وأفراحها كلٌّ ذلك إستعجال لآلام الجسد وأوجاعه وأتراحه واحدةً بواحدة وأن آلام المعرفة ومَتَاعبها تستعجل لذات المجد والإسم الكبير والخير الكثير والعُمْرِ الطويل..

كلمات حكيمة

الوطن وأهله:

الوطنُ الذي أهلُه يروْنَه سوقَ تجارةٍ يَحْيَوْنَ فيهِ لِيَرْبحُوا على حِسابِه، يبيعونَه مِنْ أجلِ الربح إذَا اقتضى الأمر.

والوطنُ الذي أهلهُ يَرونَه كلَّ حياتِهم وحياتِ ذَرارِيهِمْ، وأَنَّ ضَيَاعَه موتٌ لهمْ ولذرارِيهم. يَذودُ أهلُه عنه بالأنفس والمرافقِ لصيانةِ حَياتِهم وحياةِ ذراريهمْ،ولا يغيبُ عنك أن أعمالَ كلِّ فردٍ الخاصة تدلُّ إعلاناً على أيٍّ من الفريقينِ ينتسبُ.

هل مِنْ صلةٍ بينَ القلبِ واللسان.

لا صلَة بين القلبِ واللسانِ في المعاملاتِ.فكم مَنْ يحسنُ إليك بلسانِه ويسيئُكَ بقلبه... وكم مَنْ يُحْسِنُ إليك بقلبه ويُسِيئك بلسانه.

ولعلَّ تَوَثُّقَ الصلةِ بينَ القلبِ واللسانِ يكونُ فيمن يراقبُ اللهَ في أعماله بصدقِ الإيمانِ وما أندَر صدقَ الإيمان في هذا الزمانِ إنه الكبريت الأحمر.

الحكمةُ في الأعمال والأقوال

الحكمةُ في الأقوالِ زهرةٌ افرنجيةٌ تَسُرُّ النظرَ ولا رائحةَ لها ولا ثمرةَ والحكمةُ في الأعمالِ زهرةٌ تَنْعقدُ ثمرةً مغذيةً صالحةً.

شرُّ الأسباب أَنَّ صُنْعَ قدرةِ الله فيها خفيٌّ جِداً لا يُرىٰ بالأبصارِ. . ولكنْ بالبصائرِ ولولا ذلك لما استطاع ملحدٌ أن يكفرَ بقدرة الله التي صَنَعتْهَا، ويَنْسُبَها. . إلى الصدفةِ وَجهلَ الغبيُّ أَنَّ الصدفةَ هي برهان قصَر الفكر وعجزه عَنْ اكتشافِ خصائص تَعْيينات تَكْوِينِ ذوات الأكوان، التي هيَ برهانٌ علميٌّ يقينيٌّ يُؤَكِّدُ وجودَ المبدع الحق جلّ وعز. لأنَّ منها تتفجَّرُ علوم الأكوان. . .

حكم وأمثال

١ ـ جزاء الخائن المرتد

إذَا رأيتَ من يدس على أمته ودينِها الدسائسَ التي تُفْضِي إلى تدمير مقوماتِها فاعلمْ أنه مرتدٌ خائِنٌ، وجزاءُ الخائِنِ المرتد أنْ يُدمَّرَ وحْدهُ وهو فردٌ. . . قبلَ أن يُدَمِّر أمتَه وهي جماعة. . .

٢ ـ نقصان الموت

الأمة التي تنتقصُ ثَمرَة الكلمةِ الطيبةِ وتهملُهَا ولا تُقَيِّدُ بها أعمالَها فهي في نقصانِ الموت وإنْ تخيلتْ أنها في زيادةِ الحياةِ. . ولا ريبَ أنَّ شأن النَّاقصينَ في أمتِهم الذين يَعيشون في نقصانِ الموت، يَحْسبونَ أنْفسَهم أنهم يعيشون في زيادةِ الحياة النَّافعة الخالدة. .

من هو قليل الأدب؟!!

إذا رأيتَ مَنْ ينتقصُ قدْرَ الكلمةِ الأدبية العالية النافعة دونَ أَنْ يستطيعَ أن يأتيَ بأحسنَ منها أَوْ مِثلهَا فاعلمْ أنه هو قليلُ الأدب.

٣ ـ من هو الرجل اللَّعنَةَ

الرجل اللعنة هو الذي يُشاكس حَليلتَه العفِيفةَ الساهرةَ على مصالح منزله وصيانته، ويجتويها ويستريحُ إلىٰ الحرام.

٤ ــ الزوجان الثَّعْلُبَان والثعلبانة؟!..

الزوجُ الثُّعْلبان هو الذي ينفثُ سُمه في وجهِ زوجتِهِ إذَا عادَ إلى منزله والزوجةُ الثُّعلبانةُ هيَ التي تنفث سمهَا في وجهِ زوجهـا كلما عادَ إلى منزله...

وهذا هو السم السُّقُطري الفتاك... فاحذره...!!. وابتعدْ عنه.

٥ ــ أخطر الحريقين

لَيْس الحريقُ حريقَ النار فإنَّ قليـلاً من الماءِ يُـطْفئُهَا ولكنَّـه خِصامُ الزوجين الذي لا تُطْفىءُ نارُه ولا يخمد أوارُه وهو أخطر الحريقين. فكم خرَّبَ بيوتـاً عامـرةً وشتَّتَ أطفالاً أبـرياءَ وأرَّثَ بين أفـرادِ الأسرِ أحقـاداً واقتحامات لا تحمدُ عُقْباها...

فحـذار من الخصومـة المتكررة والصلحُ خيـرٌ والتفاهمُ أجـدى وأقرُّ للعينين.

بسم الله الرحمن الرحيم

آفاق من الحكم

المـوت أجــل

وأجله يُستعجل بالنزوات. . .

والأشرار يُزيِّنونها باسم الحب.

والنزوات ضرام نار تشعل الجسد إشعالاً ولن تطفأ حتى تحيله إلى رماد. أو فحمة ميتة فقدت طاقة الإشتعال.

من هو المافون الأهوج

هل هو مَنْ يجهلُ الحكمةَ. ويخالفها بأعماله. . .

أو هو من يعلم الحكمةَ ويعظَ بها الناس، ولكن يخالفها بأعماله. .

وما دام المراد من الحكمة سموُّ المجموعة النفسيـة وتهذيب النفس والعمل بها فلماذا لا يكونُ الحكيمُ هو العامـلُ بالحكمـةِ وإنْ لم يعلمْ الحكمةَ نظرياً.

من هو الناقص في عالم الفنون والآداب

إذا رأيت من ينتقُص ما يعجزُ أن يأتي بمثل ما ينتقصه، أو أرفع منه.

فهو الناقص في عالم الفنون والآداب. وعالمُ الفنون والآداب تجديد في الإنتاج وعبقرية في الإبتكار، وعُمـقٌ في الإعطاء وإطلالٌ من ربى الخلد..

الكمالُ حياةٌ والنقصانُ موت

الأمة التي تنتقصُ كلمَة الحكمة الناهضـة فهي في نقصانِ المـوتِ، وإنْ تخيلّت أنها في كمال الحياةِ وغباءُ الـذين يَعيشونَ نقصـان الموتِ يَحْسبونَ أنهم يعيشونَ كمال الحياةِ والسبب أنهم يجهلون أنَّ النقصانَ موتٌ وأن الكمال حياةٌ...

مَطالع حكمٍ وأَمْثال

مثلُ الدنيا كمثل فراشةٍ طائرة بين ورود الربيع، ظاهرُها مسحورٌ بالألوان الزاهية والنقوش الجذابة، وباطنُها حشرةٌ قذرةٌ منكرة..

قطع الحديث

إذا كنتَ بين الناس فَدَعِ الحديثَ وارهف أُذنيك للإصغاء. إذا كان من يتحدثُ أعلم منكَ، وأوفر تجارب. فإذا لم تفعل خسرتَ الجواهرَ وعرفَ الناسُ فيك قلَة الذوق، وَفُقْدانَ الأدب.

الدنيا لدى الأبرار والفجار وشأنها

الدنيا كلمة طيبة لدى الأبرار، وكلمةٌ خبيثةٌ لدَى الفجار

وشأن الدنيا هَدايةٌ وغوايةٌ، وتَوْفيقٌ وإخفاقٌ، ولذةٌ وألمٌ.

وأوَّلُها شُعْلةٌ، وآخرُها رَماد.

والنهايةُ إلى الله رب العالمين.

من هو الحكيم

١ ـ هل الحكيم من يعلم الحكمة نظرياً، ويعظ بها الجماهير.. ولكنه يخالفها بأعماله.

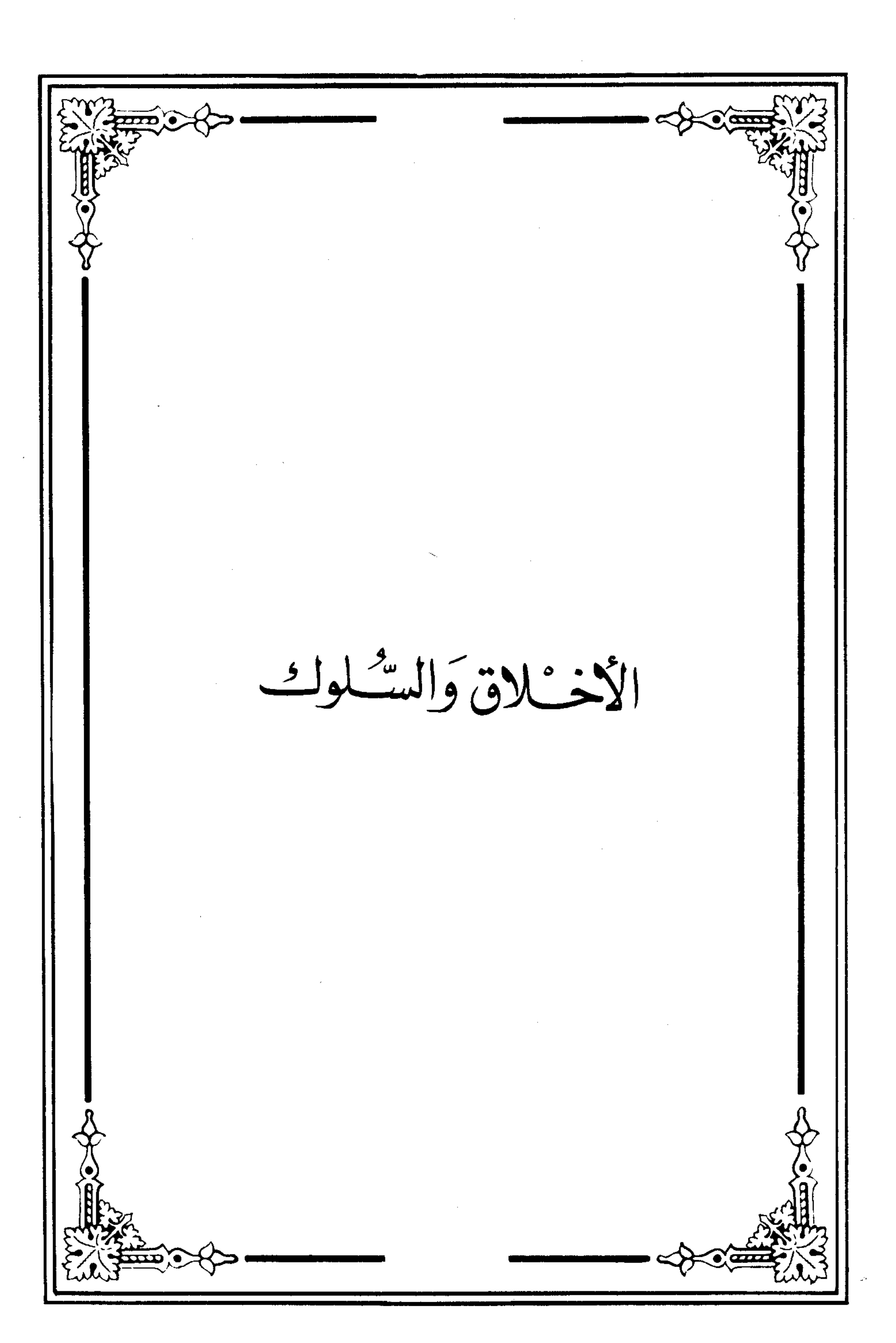
٢ ـ أم من لا يعلم الحكمة نظرياً. ولكنه يتقيد بها عملياً إذا سمعها ممن يعلمها وينادي بها.

وما دام المراد من الحكمة هو سمو المجموعة النفسية، وتهذيب أعمال الإنسان، والنهوض إلى الأمجاد.

فلماذا لا يكون الملتزم بأعمالِ الحكمة هو الحكيم. لا من يتحدث بها نظرياً مثل شريط التسجيل..

صحح وا يا بشر رؤ يا الإيمان.
وكفى هلوسة بأطغاث أحلامِ الإلحاد والإنفلات
وعلامَ ترون القزْمَ عملاقاً
وحاطب الليل مُحققاً
والخائنَ أميناً.





الأخْلاق وَالسُّلوك



النفسُ وسلوكُ السعادةِ والشقاء

الكلمـــات

١ ـ حبك الشيء يعمي ويصم.

٢ ـ أيهما أقوم لذة تعقب نصباً أم نصب يعقب لـــذة.

٣ ـ انحرافات بعض الشبان.

٤ ـ قيادة مجموعة نفس الإنسان.

٥ ـ الجريمـة.

٦ ـ شرطة الصيانـة.

٧ ـ عقيدة كل امرىء شريكة حياته.

٨ ـ إحيـاء الكتاب.

٩ ـ تَحَوُّلْ حقائــق الأشيـــاء إلى أحــلام.

١٠ ـ بماذا يستدل على عظمة العظيم وحقارة الحقير.

١١ ـ معتقدات البشـر.

١٢ ـ مهالك اشتعال النزوات.

١٣ ـ لن تنجح أمة بدون التزام.

١٤ ـ السعادة والشقاوة ومنابعها في عوالم النفـــس.

حبك الشيء يعمي ويصم

ـ ١ ـ

هذا مَثَلٌ مُتَوارثٌ قاله حكماءَ العرب القدماء. فقد لَمَسُـوا أَنَّ حُبَّ الإنْسانِ لشيء بِعَيْنِه، يُعْمِي بصرَهُ وبَصيرتَهُ، عَنْ أيِّ شَيْءٍ سواهُ. سَواءً أكانَ ذلك الشيء أعْلَىٰ مِنْه أو دُونَه ويَصُّم أُذُنَـه عَنْ سَماعِ أيِّ حَدِيثٍ يرادُ مِنْه صرفَه عنهْ أَوْ خَفْضَ وَزْنِ إحْساسِه بِهِ وقدْرِهِ لَدَيْه.

وَهذا الحبُّ يَسَمَّي حُبُّ الالتزامِ،، أي إلْتزام مجموعةِ نَفْسِ الإنسانِ به بكلِّ هَوَاتِفِهَا ولَهفَاتِها وحماسَاتِهَا وَتَضحِياتِهَا أي لأجلِ إيجادِ المحبوبِ المطلوب أيَّ شَيْءٍ كان مَحْبُوبُها المطلوبُ وقرارُ هذا الحبِّ لا عُدولَ عنه، وهو المقصودُ مِنَ الحكمةِ المأثورة، لأجل الإتزان والتعقل.

«سبحانَ من أوْدعَ في كلِّ قلْبٍ مَا أَشْغلَهْ» :

وكثيرةٌ هِيَ الأشياءُ المحبوبةُ التي تَشْغَلُ قُلُوبَ الْبَشَرِ وشتَّى وَشَتَّى: وَحُبُّ الْقَلْبِ بما يُشْغِلُهُ هو مثارُ أَشْوَاقِه وَنَشواتِهِ وأَمَانيهِ وَصِلاته: وصاحبُ هذا الحبِّ إنْ كانَ مؤمناً كانَ حُبُّه لربه الذي أوجده باعثَ ضراعاته وابتهالاتِهِ وصلواتِهِ لنيلِ مَحْبوبِه المَطْلوب..

وإن كان مُنافقاً فهو يُكَيِّفُ أعمالَهَ الظَّاهَرَةَ وفْقَ الأَسْبابِ التِّي تُؤَدِّي به أمانيه ولوْ كانتْ غيْرَ شَـرْعيةٍ.. وهـذا دأبُ المنافقينَ لَا يتحـرَّوْنَ حقيقةَ اتجاهاتِ وَحْيِ اللهِ ولكنَّهمْ يَتَحرَّوْنَ اتِّجاهَات حبهم، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفلِ مِنَ النَّارِ ولن تجدَ لهم نَصِيراً﴾[٤ ـ ١٤٥].

والإيمانُ الصادقُ أنْوارٌ والنِّفاقُ ظُلماتٌ وَلاَ يُزيلَ ظُلمَاتِ النفاقِ إلّاَ أنوارُ الإيمانِ فَهَيَّا إلى أنوارِ الإيمانِ الصَّادقِّ الذي يَمنحُ الحبَّ الصادقَ لله ورُسُلِهِ وللمؤمنِينَ ويقشعُ الظلمات. هيًّا.

اتجاهات هذا الحب

اتجاهاتُ هذا الحبِّ أربعة.

١ ــ قد يكون لنيلِ أمر عظيمٍ.

٢ ــ وقد يكونُ لنيلِ أمرٍ أعظم.

٣ ــ وقد يكونُ لنيلِ أمر حقيرٍ.

٤ ــ وقد يكون لنيل أمر أحقر..

وفي ما يلي من الصفحاتِ أشرح اتجاهات هذا الحب.

١ ــ الحُبُّ المُوَجَّهُ لِنَيلِ أمرٍ عَظِيمٍ

في هـذا الحبِّ يـدخـلُ اكتسـابُ العلوم والآدابِ والفنـونِ الـرفيعـةِ والصناعاتِ العاليةِ والزوْجاتِ والذريةِ والوظائفِ وسـائرِ شـرائفِ الأعمال. والمكاسِبِ الحَلاَلِ..!

٢ ــ الحب الموجه لنيلِ أمرٍ حقيرٍ..!

في هذا الحبِّ يدخلُ الاكتسابُ الـرَّخيصُ غيرُ المشـروع وممارسـةِ مكـاسبِ اللَّممِ واللهفةِ إليهـا. ومن المكـاسبِ الحقيـرةِ الآثمـةِ تِجَـارةُ المُسكِراتِ وتَهْريبِ المخدراتِ ومزاولةِ خدماتِ الدعاراتِ والتعاقدِ الإجرامِي للمؤامراتِ والخيانات، وكلِّ اللعنات التي تنصب على الإنسان.

وقد يكونُ الحبُّ الْعَملي الموجه لِتَحصيلِ أمورٍ حقيرةٍ ولكنَّها حَلالٌ،

كالصناعاتِ التافهـةِ ولكنها تـرفعُ الإنسـانَ عن المسألـةِ أو السرقـةِ وهذِهِ الصِّناعات تُسمَّى الواطية.. وهي تقابلُ الصناعات العالية فشتانَ بينَ من يصنعُ النعل ومن يُسَكِّفه ومن يُنجِّرُ الخزانةَ ومن يحملُها والشريعةُ تحثُّ المؤمنَ أن يطلبَ معاليَ الأمور وأشرافها منذ حداثِتِه فمن لم يطمع إلى ذلك ورضي بالحرف التافهةِ الحقيرةِ. فقد تركَ ما يُحبُّه الله للمؤمِن.

أجل إنَّ اللهَ يحبُّ معالَي الأمورِ وأشرافَها ما دام ذلكَ دَاخِلاً ضِمْنَ الإقتدار واللهُ لا يكلفُ نفساً إلا وسعها..

٣ ـ الحب الموجه لنيل الأمر الأعظم

هوَ حبّ الإيمانِ الْعمليُّ المُضَحِّي لدعوة الإيمان العلمي اليقيني بالله رب العالمين وهذا الحبُّ هو بلَا ريب هو الأعْظمُ من كلِّ حُب. وهو يعلُو بصاحبِه ويعلُو حتى يبلغَ ذرى منارة الخلود.

يكفي في هذا الحبِّ قيمةً ومزايا عالية أَنَّ رَسـولَ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه هو بالذاتِ الأسوةُ الحسنةُ فيه.

ويَدْخلُ محاريبَ هذا الحبِّ الأعظمِ الجهاد في معرفةِ اللهِ، والجهادُ فِي سَبيلِ اللهِ والجهاد في تبليغ دعوةِ الإيمان إلىٰ شعوب أمة الدعوة.

ويدخلُ كذلِكَ في مَحاريبِ هذا الحُبِّ الأَعْـظَم الْإنْفاقُ مَـعَ الإيثَارِ خَالِصاً مُخْلِصاً لوجْهِ اللهِ جل وعز.

ويدخل في هذا الحب الأعظمُ اجتهاداتُ الأئمةِ المجتهدين الأعلامِ الذين اسْتنبطُوا أحكام التشريع وحققوا فِقهَ المسائل الإسلامية العظيمة أمثال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبِي حنيفةَ النعمـان والثوري والأوزاعي والليث بن سعد والطبري وأئمة آلِ البيْتِ الكرام وأضرابهم...

وكـذلك يـدخلُ في محـاريبِ هذا الحُبِّ الأعـظم العلماء والسـاسة والكتّاب والشعراء الذين يُكافحونَ عن حقائِقِ الإسْلامِ ويَبْسُطونَه للنَّاس بالحججِ العلميةِ الدَّامغةِ والبراهينِ اليقينيةِ السَّاطعة ويَبذلونَ فِي سَبيلِه كلَّ إمكانياتِهِمْ حِسْبَةً لوجهِ اللهِ الكريم..

٤ ـ الحب الموجه الأحقـر.

أنا لا أجدُ حُبًّا عَمَليًّا أحْقرَ مِنَ الذي يَجْعلُ نفسَه أجيراً لِبَغيٍّ أو وَصِيفاً في حَانَةٍ أو عُضْواً في عِصَابةٍ شاذَّةٍ خائنة مُرْتكبةٍ، أوْشحَّاذاً في الطرقات، وهو قَادِرٌ على الْعَمَلِ الشريف ولكن يطرحُ نفسَه في أفواهِ سُبُلِ المارةِ، وقد تَلبَّس بالبلايا المصنوعة التي تفتتُ القلوبَ المتحجرة وتُقَذِّذ الأعْين البصيرةِ.

ومن هذا القبيلِ اللَّواتِي يمتنَّعْنَ عن تَأليفِ الأُسْرةِ الكريمة برَعايةِ الزوْج الكريم إيثاراً لتأجير عِرْضِهَا للفَاحِشَةِ أو أنْ تَخُونَ بَيْتَ الزَّوْجيةِ.ناهِيكَ وقديماً قالَ الحكماءُ تَجُوعُ الحرةُ ولا تأكلُ بثديها.

والنهايةُ إنَّ الحُبَ الذي يُعْمِي ويُصِّم أي الذِّي يُهَيْمنُ عَلَى سائِرِ أفرادِ الْمَجْمُوعةِ النفسيةِ وَيَسُوقُهَا بِعَصَاهُ هُوَ نِعْمةٌ ونقمةٌ.

١ ـ نعمةٌ إذَا سلكتَ به مَسَالِكَ الرجالِ الأَبْطالِ الخالدين الذين طَبَعُوا بَصَمَاتِهم النَّيرةَ الهاديةَ على كلِّ ما اتَّصَلُوا به أو اتَّصلَ بِهم.

هُوَ لَكَ عِزَّةٌ وخُلودٌ وثروةٌ وجاهٌ هو للحَقّ هُدًى وَمَنْفَعةٌ وإنسانيةٌ.

٢ ـ ونقمةٌ إذَا هوَى بكَ فِي مَهاوِي الضَّلالِ والإِلْحَاد والكفرِ وأوْصلَكَ بالأَصْدقاءِ الأشْرارِ ذَوِي النَّزَوَاتِ الْعَارِمَة المُهيْمنَةِ الجبارةِ القهَّارةِ الذِّينَ لاَ يُبَالَونَ بِشَيْءٍ وَيَسْخَرونَ بكلِّ شَيْءٍ. بـل كل لهفتهم أن يَعِيشُـوا غاوين سادرين «حذار حَذار منهم».

واعلم أن الحُبّ الذي يُعْمي ويصم يكبر ويَصْغرُ يكبرُ بالإيمان الكبير العظيم بالله الخلاق العليم. ويَصْغرُ بحبِّ الشَّيْطانِ ودُروبِه أعاذك اللهُ منه وحسبنا اللهُ وكفىَ وأنتمْ أيها الناسُ لا تَغْفلُوا عن قولِ الله جلَّ جلاله:

﴿إن الشَّيْطانَ لكم عدوٌّ فاتَّخذوهُ عدُواً إنَّما يَدْعو حزبَه ليكونُوا مِنْ أصحابِ السعير﴾. [٣٥ - ٦]

فهلْ أَحَدٌ في الْوجودِ يُحِبَ عَدُوَّهُ الراصدَ الْغَاوي الهدَّام إنكم تقولونَ وأنتمْ تنظرونَ إلى الْغَدِ لا لا . .

وأقول أنا وأنا نَاظِرٌ إلىٰ الغَدِ مثلكم حذارِ حذارِ.

أيُّهما أَقْومُ لَذَّةٌ تُعْقِبُ نَصباً

أمْ نَصبٌ يعقبُ لذةً

الملحدون فِئَتانِ.

١ ــ فئةٌ يَجْحدونَ وُجُودَ مُوجِدِ الأكْوانِ بإعلانٍ وَجُرْأة.

٢ ــ وفئةٌ يجحدونَه بِستَارٍ وَحَذَرٍ.

وكلا الفئتينَ يَخونونَ ويُمارِسُونَ المجونَ واللّذاتِ المحرمةَ والمباذلَ.

١ ــ أولئك بإعلانٍ وجرأةٍ.

٢ ــ وهؤلاءِ بِستارٍ وَحَذرٍ.

وإنكَ تَسْمعُ مِنْ هؤلاءِ وأولئك نَغَمةً وَاحِدةً«الحياةُ لذةٌ خاطفةٌ فمنْ لم ينتهزْهَا تمرُّ بِهِ كَسِنَةِ الأحلامِ. فمن لم يختلِسْهَا مِن جيوبِ الأيامِ والليالي تَخْتَلِسْهُ هي وتزجُّ به في خشونةِ اللحدِ وَظُلُماتِه».

وهكذا الحياةُ في زعمهم لذةٌ واختلاسٌ ووُثوبٌ وخَطْفٌ وجرأةٌ واقتحامٌ. هم يَتَنَادُوْنَ هَيا هَيًّا قبلَ فوْتِ الحياةِ والمكان والامْكَان والزَّمانَ ويُلْقون بكلِّ طَاقاتِ أنفسِهم وبكلِّ أحاسِيسِ مَجْموعاتِهم النفسية في اصطخابِ أمواجها العارمة وهياج أعاصيرها الهوجاء.

همْ مسوخُ سُلُوكٍ: ونشاوى سفاحٍ عارٍ، وَرَحِيقٌ غَوْلٌ، وأوتارٌ ودفوفٌ ترقصُ

فيها الأبالسةُ. هُمْ مُنْحطونَ ويَحْسبون أنفسَهم مِنْ ذوي الفكرِ الوقّاد والآراءِ الناضجة. . همْ يَسْخرونَ مِنَ الأيامِ والليالي، والأيامُ والليالي تسخرُ منهم.

وها هي لذاتُهم تُعدَّ توابيتَهم وقد أوْهَنهمُ النَّصَبُ وزلزلهمْ زِلزالاً. وما دَرى المساكينُ أنَّ كلَّ لذةٍ تعقبُ نَصَبًا تنوءُ بحمله توابيتُهم لتسوقَهمْ إلى النهايةِ السوداء.

والأقدارُ صاحبةُ السلطان على العبادِ كلِّهمْ الأخيارِ والأشْرارِ. وَمَسْكنُ النهايةِ لهؤلاءِ وأولئك أمرهُ بيد مَنْ له الأمرُ ﴿ **للهِ الأمْرُ مِن قبلُ ومن بعد**﴾. . [٣٠ - ٤].

وأنتمْ يَا سادة فكرُّوا إن شِئْتم في نوازلِ الأحْداثِ واتَّعظوا بها أوْ لا تَتَّعِظُوا بها. ولا تَحْسبُوا أنفسَكم وحدَكم الذين تفهمونَ. فَتُهْمِلونَ التفكيرَ والإتعاظَ إتِّكالاً على زَعْم فَهْمكمْ.

انتهزُوا ما اسْتطعتُم حَياتكم الدُّنيَا وأموالكم وأحْسِبُوا لكلِّ شيءٍ حسابَه إلى النهاية وأدْخُلُوا أعدادَهُ في دائرة الصفر لتَظَلُّوا تَعُـدُونَ وتَعُدون، ولا تنتهون إلى نهاية النّهاية وحينئذٍ تلمسونَ عجزَكم حيالَ أبسطِ الأشياء. فكيف تكون لذاتُ المال الحرام والعرضِ الحرام والشرابِ الحرام دون إحصاءٍ وحسابٍ وها أنتم أدركتم أن اسْتِعابَ الحسابِ أعجزكم في دنياكم، فكيفَ لا يُعْجزكم في آخرتكم. وليس وراءَ أحلامِ هذه اللذَّاتِ سوى النَّصَبِ والحِمامِ والمهالِك فلماذا لَا تُبادِرونَ في إحراز غنيمةِ الإتعاظِ قبلَ فواتِ الزمان. والزمانُ يَمرُّ كسِنةِ الأحلامِ ، ونهايَتُهُ أن يكونَ سنةً مِنَ الأحلام في واقعِ أمرهِ ألَا تُشاهدُ الذين صبغوهُ أحْلاماً هُمْ بعضُ أتربةِ الأرض بيْنَنَا.

فهلمُوا انتهزُوا فرصةَ حَياتِكم قبلَ أن تَسْتحيلُوا أطْيـافاً وبعضَ أتـربةِ الأرض واعْملُوا لتكونُوا من سُعَدَاءِ الْحَياةِ لا مِنْ اشقيَائِهَا. .

وَمَا أسْعَدَ مَنْ يريدُ أن يكونَ مِنْ سُعداءِ الحياةِ وما أَشْقىٰ مَنْ يريدُ أن

يكونَ مِنْ أشْقيائها. وهذه هيَ الخطةُ يرْسمُها رسولُ اللهِ ﷺ إذ يقـولُ: «السَّعيدُ مَنْ يتَّعِظُ بغيرهِ والشقيُّ مَنْ يتعظُ بنفسِه».

ويقولُ المغفلُ الخبيثُ: وهــو مخمورٌ في لَذَّاتِهِ غيرَ واعٍ ولاَ عَالمٍ بسوءِ مَصيرِه «هيهاتَ هيهاتَ أَنْ يكونَ سَعِيداً مَن كفَّ عن التهامِ اللذاتِ بنَهمٍ وشَرهٍ وهي طوعُ خَاطِرِه، وموفورةٌ بينَ يَدَيْه.

لا لا لَنْ يكونَ سعيداً. بل أنَا السعيدُ أنا المفكرُ أنا الْمُدْرِكُ حَقِيقةَ الْحَيَاةِ لِأني أعيشُ كَما أَهوىٰ دونَ مَا رَقيبٍ أَوْ وازعٍ أو تَبعة».

وتمر به الأيامُ تلوَ الأيامُ وإذا اللذَّاتُ تصرعُهُ تَحْت وَطْأَتِهَا. وتطرحُهُ شِلْواً مُمزقاً بالعلَلِ والأَدْواء.. دُوَّارٌ في الرأسِ وهُبُوطٌ في الضغط ومَغْصٌ في الأَمْعــاءِ. وانْسدادٌ في الْقلبِ والكبـد. وبثورٌ في الجلدِ. وَوهنٌ في العظمِ. وهنا يستيقظُ مِنْ شَقاءِ السعادةِ الوَهْميةِ التي كَانَ يعيشُها ويأكد أنه كان شَقِيًّا لأنه كان يشاهدُ مَا نَزلَ به في أمثاله مِنَ الْمُنْفَلتينَ الْمُتْرفين فلم يَتَّعِظْ ولم يكترثْ حتى نَزَلَ بِه ما نَزَلَ بهم: وَأَخذَ يَتَّعِظُ اتِّعاظَ الأشْقياءِ وهلِ اتِّعاظُ الأَشْقياءِ يُفيدُ فَتِيلاً أَوْ يُنْقِذُ مِنْ مَهْلكةٍ لاَ لاَ..

وهنا يَصْرخُ أَنَا الآنَ شَقيٌّ أَنا الآن شَقَيٌّ ويعرضُ عن أموالِه الكثيرةِ وَخَدمِهِ وحشمِهِ وهو يقولُ اللهم إني تائب اللَّهمَّ إنِّي تَائِبٌ ويَسْمعُ جوارحَهَ وأعْضاءَهُ وهي تَسْخَرُ منه: الآنَ وقد عصيْتَ مِنْ قبلُ؟

وَخَرَّ نِضواً متهالكاً على الأرضِ تفوحُ منهُ الروائحُ الكريهةُ، وتتفجَّرُ. مِنْ أطرافِه الأدواءُ والمهلُ والصَّديدُ.. وهكذَا كلُّ هذه الْبلاَيَا تَنْزلُ به وَهْوَ لم يَتَجاوَز الخمسين ويشاهدُ جارَهُ يُدْلجُ الـظُّلَمِ إلى المساجـد وقد تجاوَزَ التِّسعين، وَيَتَجَدَّدُ واعياً مدركاً كأنه دُونَ الخمسين وَيُسابقُ الزَّمَنَ قوةً ونَشاطاً وذَكاءً وفِطْنةً والسببُ في كلِّ ذلك أنه اتَّعظَ وهو في غَضارةِ الشَّباب وشَرْخِهِ

بِمَا نزلَ بالآخرين الذين يُشاهِدُوهم من أصْدقائِه وأترابه. فأمسك نفسَه بكل ما للإرادة من قوة وبكل ما للقوة من علم وبكل ما للعلم مِنْ عَمَلٍ وبكلٍّ ما للعملِ مِنْ إخلاص.

كم كم كان يُشاهد في المستشفياتِ وفي رَدَهَاتِها أعْداداً من المسرفين الهالكين المترفين يَترامَوْنَ على أقدامِ الأطباءِ يتلمسون الشِّفاء. مَسَاكين الداء هم وضعوهُ بأيْديهمْ في أجْسَادِهِمْ وأرواحِهِمْ. فما يصلحُ العطارُ ما أفسدَه الدهرُ. يصرخُ مِن أوجاعِه خُذُوا خُذوا كلَّ أموالي خُذُوا خذوا كلَّ دُوري وَمَنازلي خُذُوا كلَّ شيءٍ لي وأعيدوا إليَّ الصحةَ أعيدُوا إليَّ القدرةَ على الحركة. إني هامدٌ إني هَامِدٌ آه آه قد التوى عليَّ لساني فما أستطيعُ التعبيرَ عما يجولُ في فؤادي وها هو الحِمَام يزحفُ بظلماتِهِ وأهوالِهِ عليَّ زَحَفَ الجيش اللجب.

وهنا يلتفتُ إلى شابٍ من أقربائِه كانَ بجوارِهِ ينظرُ إليه حزيناً ويقولُ له: أمَّا أنتَ أيها الشاب الغُرانق حذارِ حَذارِ أن تفتن:

١ ــ بشبابك.

٢ ــ بصحتك.

٣ ــ بفراغك.

٤ ــ بغناك.

٥ ــ بحياتك.

١ ــ ما دام شبابُكَ يترصدُهُ عدوٌّ لدودٌ لا نَجاةَ لكَ مِنْ بَطْشِه ولا مناصَ وهلْ مِنْ عَدُوٍّ أكبرُ مِنَ الشيخوخةِ التي تترصدك.

٢ ــ وهذه صحتُك حافظْ عليها وأنْفقها في الخيْرِ والهدَى واحفظْهَا بكلِّ

اهتمامِك واحذرْ أن تهْمِلْها في البغيِ والتعطلِ والتَّهاونِ.

أجلْ حافظْ عليها فإنَّها التاجُ المشرقُ الوهَّاج الذي يلبسُ عزةَ السلطان والوجاهة والنعمةَ حافظْ عليها قبلَ أن يدهمك المرضُ بمتاعِبه وأهواله.

٣ ـ وأقبلْ على فراغكَ في مَطْلعِ حَيَاتِكَ ووجِّهْهُ للإسـراءِ فـي الفكرِ والعلمِ والغنى، والجاهِ ولا تنفقه في اللغو والسفه والصِّحاب الذين لا مَجدَ لهم في الحياةِ ولا أمانيَ. لأن الذي لا يَهْتمُّ بفراغهِ هُوَ عَاطِلٌ مِنْ كلِّ زيناتِ الأمجاد أجلْ انتهزْ فرصةَ فراغِكَ قبل أن تَدْهَمَكَ، العِيالُ وقبلَ شُغْلِكَ بهم وقبلَ أَنْ تُهاجِمَكَ الهمومُ والأحزانُ.

٤ ـ وأنتَ أيها الرجلُ الذي أفلحَ وجمعَ ثروةً يستطيعُ أن يُفاخِر بها أَتْرابَه وأهلَه لا تَنْسَ أنَّ المالَ ظِلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مُسْترَدَّة.

وأَنَّ لاقربائِكَ الفقراءِ وأهلِ وَطَنِكَ حقوقاً مفروضةً. فلا تحْجزْهَا وَلَا تَضِننَّ بإخْراجها ومهما يكنْ فإنك مفـارقُ المالِ ولَو تَضخَّم بين يديـك كجبلِ أحد أو التوباد أو هملايا.

وإياك أن تَحْسَب المالَ ينجيك مِنَ الحسابِ الدَّقيقِ الذي يُجْريه الله عَلَيْكَ. وإياكَ أنْ تعتقدَ أن الحسابَ لا يكونُ إذا كنتَ جاحداً لوجودِ الله جل جلاله وجاحداً ببعثِكَ للحساب بينَ يديْهِ. إجحدْ ما شئتَ أن تجحدَ فأنت لا تزيدُ عن حَفْنةٍ من أَتْربةِ الأرضِ نفخَ فيها خَالِقُكَ الرُّوحَ فأصبحتَ بفضلِهِ إنساناً ناطقاً حَسَّاساً سَميعاً بصيراً.

ومن كان كذلكَ فالعذابُ به خليق، وأيم اللهِ لا ينجيك إلا إيمانُك وصدقكُ في إيمانَكَ وحبَّذا لو جعلتَ أعمالَكَ وَفْقَ إيمانِكَ.

يا هذا كنْ مؤمناً ما اسْتطعتَ وابتعدْ عن زُمْرةِ المَلاحِدةِ الفاجـرينَ وأحذرْ أن تُصادقَ مَنْ لا يُنْهِضكَ حالُه، ولاَ يُدلُّكَ عَلَى اللهِ مقالُه.

احذرْ الاصدقاءَ الكاذبين الذي لا يُهمهمْ إلاَّ مصالحَهم فهم كالذُّبابِ لا يَتَهَافَتُ إلاَّ على من يروْنَهَ مُسْتغْنِياً عَنْهم أو يَسْتفيدُونَ مِنه مالاً.

٥ ـ ويا أيها الإِنسان إنَّ حياتَك غاليةٌ غاليةٌ وبالحري حينَ تمرُّ على المقابرِ وترَى أمثالك تُراباً تَدُوسُهُ الأَقْدام..

لا ريبَ أنك تُحِسَّ بجلال الحياةِ ومزاياهَا أَنْ جعلتْكَ وأنتَ بعضُ أتربةِ الأرضِ إنساناً حَيًّا سميعاً بصيراً. انتهزْ فرصةَ الحياةِ واتَّخِذْهَا طريقاً إلى السماءِ وإلى دُروبِ الخيرِ والهـدَى والحق والانتصار للمـظلومين والأخذِ بأيديهم إلى النهوض إلى الأمجاد.

وإياك أن تَنْسىٰ أن نعمةَ الحياةِ لا تعدْلُها نعمةٌ أنتَ حفنةٌ مِنَ الترابِ تقومُ وتقعدُ وتتكلمُ ولها آمالٌ وأمانيُ وأحاسيسُ ومشاعرُ ومصالحُ. كنْ على قَدَمِ رسولِ الله الذي هو الأسوةُ الأعظم والقدوة الأكرمُ..

وإني قبلَ أن أطْو الصحيفةَ المنشورةَ بينَ يَدَيْكَ أريدُ أَنْ أهمسَ في أذنيك اعلم أنَّ ما ذكرتُه لك هو قَبسٌ من أضواءِ رسولِ الله ﷺ قَبستُهُ لك من قوله العظيم الخالد:

اغتنمْ خمساً قبلَ خمسٍ:

١ ـ شَبابَك قبلَ هَرمِكَ.

٢ ـ وصحتَكَ قبلَ سَقمك.

٣ ـ وفراغكَ قبلَ شُغْلِكَ.

٤ ـ وغناك قبلَ فقرك.

٥ ـ وحياتَك قبلَ موتك.

أجل إنَّ رسولَ الله هو مصدر الأضواء والهدايةِ والإرشادِ والله هو الذي

أعدهُ لكل ذلك وصدَقَ البوصيري في قوله يُخاطب رسول الله ﷺ:

أنتَ مصبــاحُ كـلِّ فَضْــلٍ   فَمَا تَصْدرُ إلَّا عَنْ ضوئِكَ الأضواء

سبحان من جعلَه كذلك وأرسله رحمةً للعالمين ﴿**وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين**﴾. [٢١ - ١٠٧].

والحمد لله فهذا نور الله الذي ارسلك به، يَقْبِسُ المُصْلحون من ما يقبسون، والفضل كله لله.

انحرافات بعض الشبـــان

سمعتُ الشكوَى في بعضِ المجالس عن انحرافاتِ بَعْضِ الشبـان الذين عَجَزَ الأهلُ عن إصلاحِهم وسمعتُ مبالغةً في انْحرافاتِ بَعْضِهِمْ ولكن كانَ حَدِيثي يَنْقُضُ أن يكونَ في بِلَادِنَا إثارةً من تلكمُ الانحرافاتِ التي يجرُّ إليهَا الإلْحادُ والمذاهبُ الهدَّامةُ والمعَاشرةُ الفاسدةُ والإباحةُ المُطْلقةُ.

والحقُّ... أنَّ انحرافاتِ شُبَّانِنَا لَا شرَّ فيها ولا قتلَ ولا سطوَ على المصارفِ أو على الأعراض أو على المَارَّةِ ليلاً كما هو الحالُ في شِيكاغُو وبانكُو وَسِواهُمَا مِنَ الْمدنِ الكبرَى التي يزدحمُ فيها السكانُ ويشحُّ فيها الرزقُ ويكثر فيها الإلحادُ والمذاهبُ الهدامةُ والإباحةُ المطلقة.

هاتيكمْ انحرافاتٌ نُشاهدُهَا فِي أشرطةِ الأخبارِ ونقرأُهـا في الصُّحفِ المحليـة وسواها ونسمعُ عنها مِنْ أَلْسنةِ الـرُّحَل العـائدينَ إلينـا.. ولكنْ والحمدُ لله لا أثرَ لها في بلادِنَا بينَ شُبَّانِنَا.

كلُّ ما يشكوُ منه مُراقبُو سُلوكِ شبابِنَا أنه يوجدُ لدى بَعضِهم خشونةٌ في الطبعِ وتَجهُّم وجفاف فى اللسانِ وامْتـداد في السهرات الليليـة وبعض المتاعبِ يَلْقاها الأهل منهم.

وكان في المجلسِ مديرُ شرطةٍ مُتقاعَدٍ قال. لما كنتُ مُديراً للشُّرطَةِ في جُدةَ كنتُ أُلَاحِقُ الشُّبانَ المنحرفين بعزمٍ وحزمٍ على قلتِهم وأسْعى فِي إصْلاحِهم بشتى الوسائل بالعنفِ تارةً وأخرى باللِّينِ.

وكنتُ أخافُ العَدْوَى وَمَا أسْرعَ عَدْوى الشَّرِ إنها تَسْتَطِيرُ فِتْنتها تَجاوباً مِنَ الشرقِ ومن الغربِ. دُونَ الْخيْرِ فإنَّ انتقالَهُ بالنَّاسِ بطَيءٌ جداً وليْسَ سَهْلاً لِقلةِ الْجواذِبِ إليه.

وفي اعْتقادِي أنَّ في إصْلاحِ نَشْئِنَا الْحديث وحَصَانِته مِنْ عَدْوَى الْفَسَادِ الْمُسْتطيرِ في العالم وَأسْبَابِه. إبقاءً لِسَلامةِ أمتِنَا وأمْنِهَا وَوَحْدَتِها وعفَافِها وأمانَتِهَا وإيمانِهَا.

لِذلكَ مَا كنتُ أتَسَاهلُ أبداً أبداً في إصْلاحِ الإنْحرافاتِ مَهْمَا كَانَتْ يسيرةً فِي زَمَانِي وَكُنْتُ أتَفقَّدُهَا ليلاً في كلِّ مَكَانٍ يَصِلُ إليَّ أخْبارُهَا مَهْما قَرُبَ أو بَعُدَ ومهما تلبَّس بأثْوابِ الاسْتقامةِ الكاذبةِ وتلفَّع بجُنْحِ الظَّلامِ. ذلك لأنَّ شَبَابنَا هُمْ أهلُ الْغَدِ وقَادَتُهُ وَجُنودُهُ وعُلَماؤُهُ وسائِرُهُ..

ولَا ريبَ أن الغَدَ يَسْعُدُ بِهِمْ إنْ اسْتقَامُوا ويشْقىٰ بهم إنْ انحرفُوا.. أجل إنْ اسْتقامُوا يسمو الغد بهِمْ ويتوحَّد ويقوىَ ويَعْلمُ وإنِ انْحرفُوا ينحط الغدُ ويتمزقُ وَيَضْعفُ وَيَضْمَحِلُ.

أي سيكون الغدُ هُمْ بكلِّ ما هُمْ عليه إن حياةً وحريةً وأمناً وإيماناً فحياةٌ وحريةٌ وأمْنٌ وإيمانٌ وإنْ موتاً وعبوديةً وخوفاً وإلحاداً فموتٌ وعبوديةٌ وخوفٌ وإلحادٌ وموتٌ وهذَا حَقٌّ فإنَّ الله عزَّ وجل يقولُ **﴿إن الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفسِهمْ﴾** [١٣ ـ ١١].

وأنا أرجو أن يكونَ غَدُنَا خَيْرَ غَدٍ إنسانيٍّ عظيمٍ فمن أجل ذلكَ كنتُ أعالجُ الشبانَ الْمنحرفين بالحكمةِ وحسنِ الْخُلقِ والتوجيه الصَّحيحِ هذا إن أفاد. وإنْ لَمْ يفدْ لَجأْتُ إلى القوةِ والتَّوعُدِ والزجرِ وكنتُ أعـرفُ سلوكَ الْمُنْحرفينِ وأعمالَهم من جِيرانِهم وأقربائهم ومِنْ شرطةِ المراقبةِ الأخلاقية ومن أصدقائِهم. فالأصدقاءُ المختلطون بهم هم الْمُعَرِّفون الأول «قلْ لِي مَنْ

تُصادقْ أقلْ لَكَ مَنْ أنتَ».

عَن المرءِ لا تسلْ وسَلْ عن قرينِهِ فَكـلُّ قرينٍ بِـالْمُقـارِنِ مقتــدي

وقديماً قالُوا الصاحبُ سَاحبٌ. وهو سَاحبٌ إمَّا إلى السَّعادةِ وإمَّا إلى الشقاءِ وقد يعترضُ البعضُ قائلاً لِماذَا لا تترك الجيلَ الجديدَ يُعـالجونَ مَشاكلهم بأنفسِهم بالطريقةِ التي تروقُ لَهُمْ ويطمئنون إليها والتِّي يروْنَهـا تضمنُ لهم المحافظةَ على دينهمْ ووطنِهم بل على مَصِيرِهمْ. وذلك أَضْمنُ لِنَجاحِهِمْ وآكدُ وأقرب للصوابِ فرد عليهمْ السيدُ الرئيسُ بقوله:

: «لَو كانَ في إمكانِ الناشِئة أن يهتدُوا إلى أرفـعِ مَرامي النهضـةِ الطَّليعيَّة في أنفِسهم لَمَا أقامتِ الدولُ في مُدنِهم وفي أريافهم معاهدَ التربيةِ والتثقيف من حديقةِ الأطفال إلى أروقةِ الجامعات بل لكانَ فرضُ العقوباتِ في الشرائعِ السماويةِ والأرضيةِ مِن العَبثِ وكذلك إنشاءُ مدارس الأحداث في السجون. . وقديماً قالوا:

«لولَا المربي لما عَرفْتُ ربي ولولا وأزعُ السلطانِ لَما اسْتقام إنسان». .

وهل يفجرُ الفاجرُ ويسـرقُ السارقُ ويسلبُ السـالبُ، ويقتلُ القـاتلُ ويحسدُ الحاسـدُ ويكذبُ الكـاذبُ وَينمُّ النَّمامُ إلا لمـرضٍ في نفُوسِهمْ وانْحِطاطٍ في أصولِهم وَخُبْثٍ في طِباعِهم وسُوءٍ في تربيتِهمْ، واعوجاجٍ في سلوكِهم وفَسادٍ في ثقافتِهم وإلحادٍ في عقيدتِهم وإهمالٍ في مراقبةِ سُلوكِهمْ وتربيتِهمْ.

ومهْمَا تكنْ مَقالةُ الحكمةِ الْعَاليةِ ذاتَ ثَقافةٍ وتتطلعٍ وعِصْمةٍ فإنَّها لا تَقَوِّم اعْوجَاجَ سلوكِ المريضِ إذَا أزمن مَرَضُهُ وتفاقم.

ولكنْ المُقَوِّم الحقيقيُّ الزاجرُ هو سلطانُ الدولةِ وعقوباتُها الصَّارمةُ وإذَا

فُقدتِ الدولةُ المقومةُ الساهرةُ على فَرْضِ الأصلاحِ وعلى القضاءِ على الإفسادِ والمفسدين فإنها تفقدُ الأمةَ الصالحةَ لاسْتمرار الحياةِ والعاملةِ لبقاءِ الأصلحِ.

والأمةُ كالشجرة النامية فإذَا لم يسهرْ على نَمائِها وحياتِهَا الصَّالحةِ الْبُسْتانِي المشذِّبِ المقوِّم. فإنها تنمُو متناثرةً مُعْوجَّةً غيرَ صالحةِ، والبستاني المشذبُ المقومَ هو خاتمَ الوحي الإلَهي القرآن المجيد.

أجل إنَّ الأمةَ كالشجرةِ فإذَا لم يكنْ لَهَا دَوْلةٌ تُقَوِّمُ أَفْرادَ شَعْبِهَا بالتَّهذيبِ الْمُقْتَرَن بالعزم والحزم وتطبيق العُقُوبات التي أوحاها الله في خاتم القرآن المجيد للإِبْقاءِ على الأمن العام والخاص. فإنها تهب عليها عَواصِفُ فوضى الانتهازية والاجرام والفرقة والشتات والسلب والنهب وإراقة الدماء ظلماً.

أجل أجل يَجبْ أن تفهم الأممُ التي يكثرُ فيها المجرمون الفتاك حين تُلْغي العقوبات التي فَرضَها الله لإعْدَامِهم: هُمْ يُعْدِمُونَها حَتْماً. لأنَّ الله مَا فَرَضَ شيئاً إلَّا وفيه ألفُ ألفُ حِكْمةٍ وخَيْرٍ وهدايةٍ وأمْنٍ وَسَلامٍ.

وَإنَّ مِنَ الكفرِ تَعْريضَ السَّلامةِ الْعَامَّةِ للفتكِ والْبَطْشِ كما هو مُشَاهدٌ لَنا. ولا سببَ له إلَّا الاهمال في تطبيقِ العقوباتِ التي فرضَها اللهُ في خاتم الوحي الإلَهي: والمجرمونَ الفُتاكُ ينتقدون العقوباتِ الإلَهية ويدَّعُونَ أنها وَحْشيَّة لكي يفتكُوا هُمْ بالأممِ حَضارةً ومدينةً. ويل لهم إنَّ ضربَ الآمنينَ العُزل بالقنابل والمدمرات هو الوحشيةُ الغابيةُ المجرمة لا قتلَ القاتل العمد المجرم.

ألا إنَّ قتلَ القاتلِ العَمْدِ هُوَ المدنيةُ والحضارةُ وَهَذَا هو الإنصافُ والحكمةُ والعدل وفي النهاية تفكروا بإنصافٍ وعلمٍ وحَقٍّ وَصدق وإنسانيةٍ في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاصِ حَيَاةٌ يا أولي الألباب﴾.

ـ والحقُّ إنَّ القصاصَ الإنسانيَّ العدْلَ المنزل من السَّماءِ ما دام متيقظاً فإن الشَّرَ والعدوانَ والفتكَ يظلُّ نائماً فأيْقُظوا شرعَ اللهِ ونفـذُّوا عقوبـاتِه المنصوصةِ تنمْ عنكم الشرورُ والاغتيالاتُ والسرقاتُ وقطعُ السابلةِ والنهبُ والسلبُ وقَنْصُ الأَبْريَاءِ.

وما أجملَ أن أختمَ هـذه الكلمةَ بـالحكمةِ العـاليةِ التي تُمثـل هذه السذاجةَ الفكريةَ التشريعية التي تَتَّهمُ التشريعَ الإنساني السماوي العادل بالوحشيةِ والظلمِ. وتحترمُ فتكاتِ الغابِ وتعتبرُها مدنيةً وحضارةً هي حكمة عالية وإليك هي:

«قتلُ امْرىءٍ في غابةٍ مسألة لا تغتفـــر».

«وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألة فيها نظر..».

لعناتُ السماءِ والأرض على هذا الإنسانِ الحَقُودِ المريض في إنسانيتِهِ وتفكيرِهِ وتقاليدِهِ ومواريثِهِ وتَرْبيتِهِ وتَثْقِيفِهِ.

لعناتُ الله عليه تفوقُ عَديدَ النَّمْلِ والقَطْرِ والحصى وما اشتملتْ بَحْرُ عليه وانهارُ.

ويَا بَشَرُ ربُّوا أولادكم وسلائِلكم على احترامِ دِمَاءِ البشر وصيانَتِها من الإراقةِ الظالمةِ الفاجرةِ المُشَاهدَةِ وأعْلمُوا أَنَّ إراقةَ أيَّةِ قَطْرةِ دَمٍ عُدْوَاناً لَنْ تذهبَ هَدَراً. وهذا مُحالٌ. فالْقِصَاصُ الإلَهيُّ العدل لا بدَّ منه في يَوْمٍ قريبٍ قريبٍ جداً جداً. وما أقرب اليوم مِنْ غدٍ. ولا بُدَّ مِنْ عَدْلِ يومٍ يَرْتَدُّ فيه السِّلاحُ.

وإذا كنتمْ تُريدُونَ حكمةَ الحضارةِ والعلمِ والإنسانيةِ فهي في الأَحْكام المنزلةِ من رَبِّ العالمين في خاتِم الكتبِ السماوية القرآنِ المجيد..

وفي النهاية رَبُّوا أولادُكم إنْ لَم تَسْتطِيعُوا أنتم أَنْ تُرَبُّوا أنفسَكم على الإيمان العلميِّ الصادق المنقذ المُلْتَزمْ.

﴿ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقد جعلْنا لوليِّهِ سلطاناً فلا يسرفْ في القتلِ إنه كانَ مَنْصوراً﴾ [١٧ - ٣٣].

والله ولـــي المتقيــن..

قيَادةُ مجموعةِ نَفْسِ الإنسان

الإنسانُ باختصارٍ. هو الروحُ هو الجسَد هو النّفس..

١ ـ الــروحُ

هي الطاقة التي جعلها الله سبباً لحياةِ الجَسدِ وحياة النَّفْس وكنه مَاهِيَّة الرُّوح لَا يَعْلُمهَا إلا الله الذي خَلَقَها ونفخَها في الأحياء. وكلُّ بحثٍ يُرادُ منه كشفُ كنهِ مَاهِيَّةِ الرُّوحِ هو مَخايلُ سَرابٍ وتَهاويلُ أَحْلامٍ.

حَدِّثْني عن كنه مَاهيَّة طاقيةِ الجاذبيةِ أو طاقةِ النورِ أو طاقةِ الظلام أو طاقة الحرارة أو البرودة أُحَدِّثْكَ عن كنِهِ ماهية الروح...

وإذَا كانَ اللهُ الذِّي خَلَقَ الّروحَ يَقولُ لَنَا **﴿وَيَسْأَلونَكَ عن الرُّوحِ قلِ الروحُ مِنْ أَمرِ رَبِّي وما أوتيتمْ مِنَ العلمِ إلاَّ قليلا﴾** [١٧ ـ ٨٥].

فهلْ يريدُ علماءُ البشرِ بوشلِ عِلْمِهم أَنْ يُحيطُوا عِلْماً بكنِه مَاهيَّةِ الرُّوحِ ولَا يَعْلمُ إلاَّ اللهُ: هَلْ يَبلُغ البشرُ العلمَ الكثيرَ الذي يُؤَهِّلُهمْ إلىٰ الإحاطةِ بكنه ماهيةِ الروحِ أم لا... لَا أدري لَا أدري..!!؟

الجسد

هو الانسان الماديّ الذي نُشاهِدُهُ في هَيْكله العظمي وسائِر أَعْضائِه: كالفقارِ الظَّهْري والدماغ والقلب والرئتين والأذنينِ واللسانِ والكبدِ.. وسائر الأعضاء.

النفْسُ

هي مجموعة الوظائفُ الطاقيةُ المتنوعةُ التي خَصَّ الله بها كلَّ عُضوٍ مِنَ الأعْضاءِ الماديَّةِ في جَسدِ الإنسان خُذْ مثلاً غريزةَ الميلِ الجنسي في سائِر أنواع الحيوانات فإنَّك تَجِدُها منطلقةً مِنْ أعضاءِ التَّناسل المادية القائمة فِي الجسد حتى لَوْ عطلْت بسببٍ من الأسْبابِ فإنَّ غَريزةِ الميلِ الجنْسي تُعَطَّل وقلْ مِثْلَ ذَلِكَ في الغرائز كافة والعواطفِ كافة وكذلك الفكر وهكذا كلَّ فردٍ مِنْ أفرادِ المجموعةِ النفسيةِ في الإنسان مرتبطٌ بِعُضوٍ مِنَ أعضائِه الْمَادِيَّةِ.

وقد اختلط الأمْرُ بينَ الروحِ والنفسِ على بَعْضِ الكاتبين: والسَّبَبُ أنَّ الملحدين في أُوربًّا جَحدُوا الروحَ وجَعلُوا النفسَ هي الروح وَجَهلُوا أنَّ الرُّوحَ لَهَا حقيقتُها الخَاصةُ بها، وأنَّ النفْس لها حقيقتُهَا الخاصةُ بها وَهيَ أنْواعٌ وعلمُ الإنسانِ قليلٌ لا يكفي لكشفِ حقيقةِ ماهيَّة الروح.

﴿ويسألُونك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الروحُ مِنْ أَمْرِ ربي ومَا أوتيتمْ مِنَ العِلْمِ إلَّا قَليلا﴾ [١٧ ـ ٨٥].

وسبق أن قلت في كلمةٍ أُذيعَتُ: إنَّ العلماءَ في عَصْرنَا يعملون لِيفْصلُوا علمَ الرُّوح عَنِ الفلسفةِ،كَمَا فَصلُوا عِلْمَ النفس. وليسَ عجزُ العِلْمِ عَنْ مَعْرفةِ كنهِ ذات الطاقةِ كالجاذبيةبمكافحةٍ مَعرفةَ آثارها، ومعرفةُ الآثار. طريق لتكوين العلوم واكتشافها.

١ ـ قيادة مجموعة أعضاء الجسد

تجدُ قيادة أعضاء الجسدِ كافة بيدِ القلب ورسولُ الله ﷺيقول «إنَّ في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب».

فالقلب هو الرئيس بالنسبة لأعضاء الجسد كُلِّه فحياتُه حياةٌ للجسدِ وموتُهُ موتٌ للجسدِ. وللقلب قيادة نفسية معنوية كبرى تَستغرق مؤلفاً.

٢ ـ قيادة المجموعة النفسية

أفرادُ المجموعة النفسية وَافرةٌ جِداً أعلاها العقلُ وأَدْناها الغريزةِ ويليها العاطفةُ: والإِعجابُ والإِحساسُ والخوفُ والدِّفاعُ عن النفس.

والإِرادةُ والوجدان والذاكرةُ والعادة والشَّخصية والأحلام.. الجميعُ مِنْ افراد مجموعة نفسِ الإِنسان، طالع مؤلفات علم النفس تظفر بكل ذلك..

والغَرائزُ هيَ الْمطالبُ الأولى لاجْسَادِ الأحْياءِ ومِنْ أجل ذلكَ كانتْ مَصْدرَ الإِحْساسِ الأول لدى الحيوان وهي الموجهةُ لأَنْواعِهِ بِنِسَبٍ مُتَفَاوتة.

وأظهرُ الغرائِز الْمسيْطرة هِيَ غريزةُ الميلِ الجِنْسِي ويليها غريزةُ التملك وغريزةُ الخوف وغريزةُ الدِّفَاع عَنِ النفس وغريزةُ التدين. ومتى كانتْ إِحْدَى الغرائز هِيَ القائدة رأيت سائر أفراد المجموعة النفسية مقادة حتى العقل فإنه يظلُّ وراءُ وراءُ يسارع في رضا الغريزة وينساق في تيارها وكذلك العاطفة النفسية تكون مقادة وأَحْياناً تكونُ القيادةُ للعاطفةِ وحينئذ يُكبتُ عُرام الغرائِز وكذلك سلطان الفكر وترى الجميعَ في ركاب العاطفة.

وتتجلى العاطفة في حب الشيء باندفاع وحماسة وتضحية والعواطف متنوعة وشتى خذ مثلاً عاطفة القومية فإنك تجد لكل انسانٍ عاطفته القومية الخاصة ومن أجلِ ذلكَ يظلُّ جوانبُ العواطف في الإِنسان فارغةً حتى تملأ بسبب من الأسباب فقد تجدُ في المنزلِ الواحد مختلف العـواطف بين الأخوة الأشقاء فإن مِنَ الأسر الكريمةِ يتجادلونَ بلطفٍ وإنْ كانوا من الأسر المنحطة يتقاتلون بِعُنْفٍ.

والعاطفةُ إذَا إتحدَّت مع الغريـزة كعاطفة الحبِّ الشديدِ للمرأة فهناك الموتُ الحتم والصرعُ والجنون لدَى الحرمانِ والإمتناع.

ولا تَنْسَ أنْ تذكرَ عاطفةَ المذهبِ والصداقةِ والقَرابةِ والحليلةِ والْحُب للشيء إذا اسْتَمرَّ باعتدال وتتابع أو قل إن ممارسة الشيء تحولُه إلى عادة:

وأحياناً تكونُ قيادةُ المجموعة النفسية للفكرِ ومَتى كانتِ القيادةُ للفِكرِ فَهُنَـاكَ الإعتـدال والحكمـةُ والخلقُ والإحسـانُ والإيمـانُ العلميُّ اليقينيُّ بالإسلامِ والسموْ بالحضارة الى مُثِلِهَا الإنسانية العليا.

والخلاصةُ أنَّ الإنسانَ إمَّا أن يَكونَ غريزياً أي تحكمُ مجموعتهُ النفسية الغريزةُ وعلى ذلك جمهرة الدَّهْماء في كلِّ بَلدٍ. وإمَّا أنْ يكونَ عاطفياً أي تحكم مجموعتَه النفسيةَ العاطفةَ والعاطفةُ إن كانت إنسانية كريمةً عاليةً كان الإنسان الكريمُ العالي وقد يكون العكسَ وفْق العاطفةِ الحاكمة.

وإذا كان يحكمُ الفكرُ مجموعتَه النفسية فهناكَ السعـادةُ مثلاً لهؤلاءِ الأصناف الثلاثة خُذْ مثلاً جامع المال: وجامعُ المال..

١ ــ إمَّا أن يكونَ غريزياً أي أَنَّ الغريزةَ هي القائدةُ لكلِّ أفرادِ مجموعتِهِ النفسية.

٢ ــ وإمَّا أن يكونَ عاطفياً أي أنَّ العاطفةَ هي القائدةُ لكلِّ أفرادِ مجموعته النفسية.

٣ ــ وأما أن يكونَ مفكراً أي أنَّ الفكرَ هو القائدُ لكلِّ أفرادِ مجموعتِه النفسية واليك تفصيلَ ذلك.

١ ــ جامع المال الغريزي

هو شخصٌ تكُون غريزةُ جمعِ المالِ هيَ الحاكمةُ لكلِّ أفرادِ مجموعتِهِ

النفسية والموجهةُ لَهَا إلىٰ أعمالِه كافة.

ولذةُ الجامع الغريزي هي الجمعُ فقط ويظلُّ فكرُه في يقظتـه ومنَامِه مُزْدَحماً بالمالِ وجمعِهِ. وغُرامُ الغريزة يَفْتِقُ له الحيل لجمعِ المال وإدِّخارِه ويَحِسُّ أَنَّ حياتَه مرتبطةٌ بإقبالِه وأنَّ موتَه مرتبط بادخاره وكلَّ سهرِهِ ونصبِه لأجل ادِّخارِه.

وتجدَ الغريزيين الذين يَجْمعونَ المالَ لادِّخارِهِ فقط، إنْ كانُوا مؤمنينَ فإيمانُهم يكونُ مَيْتاً لأن حياةَ الإيمانِ هو العملُ بما فرضَه الله على عِبادِهِ فمن طرح العملَ بِمَا فرضَه الله كيف يكونُ إيمانُه حَيّاً.

وإن كان الجامعونَ الغريزيونَ ملحدين أو شبه ملحدين فالأهوالُ أعظم والبلايا أعمُّ وفتنةُ جمعِ المالِ تكون خرساء.

عد إلى تاريخ هذه النهضة السعودية الحديثة فإنك تجدُها قَامتْ على أكتافِ الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله جَزاهم الله عن الإسلامِ والمسلمين أحسَن الجزاء.

٢ ــ جامع المال العاطفي

كلُّ عقيدةٍ مذهبيةٍ لَا بُرْهان لها من العلم اليَقينيِّ والوحي اليقيني تكون من العاطفةِ المنحرفة والعواطفُ المنحرفةُ وغير المنحرفةِ كثيرةٌ ومفصلةٌ في عِلم النفس وفي علم الأخلاق.

١ ــ وجامعُ المال العاطفي لذتُه الحالمةُ هي الإنْقيادُ لعاطفةِ الجمعِ لها، والإنفاق مِنْ أَجْلها وَيَظلُّ عملُه مُرْتَبطاً بِها أيّاً يكنْ لونُ العاطفةِ.

٢ ــ وجامعُ المال العاطفي إنْ كانَ مُؤْمناً صادقاً فإنَّه ينفقُ نفقَاتِه مِنْ أجل إيمانِه. وفي ذلكَ كلُّ الهُدَى وإن كانَ ملحِداً فإنَّ جمعَه للمـالِ،

وإنْفاقَه لَهُ يكونَ مُخيفاً ويظلُّ كارهاً لِهُدَى اللهِ وآيات وَحيِهِ.. وهلْ مِنْ لعنةٍ أكبرُ مِن هذه اللعنةِ...؟!..

٣ ـ جامع المال المفكر

الجامع المفكر هو الذي يقودُ مجموعته النَّفسيةِ المفكِّرة ويظل تصرفها في جمعِ المالِ وإنفاقِه مرتبطاً بالفكر وحده، والغريزة والعاطفة منقادان للفكر.

وجامعُ المال المفكرُ إنْ كانَ مؤمناً رأيتَ العجَبَ في رَفْعِ رايةِ الإيمانِ وفي مساعدةِ ذوي الخَصاصة والمتربة والمَقْربة.

بالإضافةِ إلى تشييدِ الميراث مِنْ دورٍ للأيتامِ ومرتباتٍ للأسرِ الفقيرة ومعاهدَ للعلمِ ومساجدَ للعبادةِ وطبعٍ لمؤلفاتِ الدعوة الى الله وإمدادٍ للعلماءِ والأُدباءِ ونهوض بلغةِ القرآنِ وبناءٍ مُدَعَّمٍ للأَخْلاقِ كل هذَا يكونُ إذا كانَ الجامعُ المفكر مؤمناً أما إذا كَانَ مُلْحِداً أضرَّ اضْراراً بالغة لدينِه وأمتِه ودولتِهِ وشمائلها الماجدةِ وتاريخها العظيم وتراهُ يَهْدم الإنسانيةَ السامية هَدْماً وهو يعتبرُ ذلك تَجْديداً وإبْداعاً وإبتكاراً. وإذا رأيت بعضَ الملحدين يبتكرونَ في العلومِ والآدابِ والفنونِ فكلُّ ذلك إمَّا للكسْبِ وإمَّا لخلودِ الإسمِ أَمّا للهِ فلا. واللهُ لَا يَرْضىٰ عنِ الأعمالِ الخيرةِ إلَّا إذَا كانتْ لوجْههِ الكريمِ وَحْده. والقاعدة في العلم أَنَّ المجموعةَ النفسيةَ لا توصفُ بالمفكِّرة إلَّا إذا كان الفكرُ هو المسيطر الحاكم الموجه لكلِّ أعمال الإنسان... أما إذا كانت العاطفة هي المسيطرة الحاكمة فتوصف بالعاطفية وقل مثل ذلك في المجموعة النفسية إلى تحكمها وتوجهها الغريزة.

(الجريمة)

لا جريمة مع الإسلام أبداً، الإسلامُ والجريمةُ ضدان لا يجتمعان في نفس واحدة. جاء الإسلام وهو يَحْمِلُ في أصولِهِ وفروعِهِ علاج الجريمةِ في داخلِ الأنفس وخارجها.

أجلْ عالجَهَا في داخلِ الأنفس فانْحَسمتْ مِنْهَا. وفي خارجِ الأنفس في المجتمعات فانحسمت مِنْهَا سمُوّاً سُمُوّاً... !!

وسبقَ علاج الإسلام لمصدر الجريمةِ داخلَ الأنفس قبل علاجِه خارجَهَا في المجتمع لأنَّ الجريمَة أول مَا تفرخُ بُوَيْضَتَها تفرخُها في داخلِ النفسِ. فاذا نمتْ وترعرعتْ انطلقتْ إلى الخارج.

فكرْ معي هل يقتلُ القاتلُ وهلْ يسرقُ السارقُ. وهل يسلبُ السالبُ، وهل يخُون الخائِنُ، وهل يقامرُ المقامرُ... في الخارجِ إلَّا إذا فَعَلَ ذلك في أعماقِ نَفْسِه مـراراً ومراراً..

والنفسُ هِيَ نَاصيَةُ الطريقِ إلى الْفَضيلةِ، كما هيَ نَاصيَةُ الطريقِ إلى الرذيلة. أذكر أنه كان لعالم من علماء النفسِ خادمة أمينة، أمسكها رجالُ الشرطة وهي سارقةٌ درهمين زَائفينِ..

وجاؤُا بِهَا إلى سيّدِهَا باعتبارِها خَادِمَةٌ عنده وَسَارقةٌ ولكنَّ سيدَها ما كادَ يراها ويرَى الدرهمينِ الزَّائفينِ حَتَّى طلبَ إليهم إطْلاقَها وَهْوَ يقول «إنَّها أمينةٌ، إنّها لَمْ تَكُنْ في يوم سارقةً.. أَنَا السبب.

والقصةُ قصة الدرهمين الزَّائفينِ ذكر لهم أَنَّه وَجَدَ مِنْذ شَهْرٍ تَقْريباً بيْنَ دراهِمِهِ هٰذينِ الدرهمينِ الزائفينِ فطرحَهُمَا إلى جانبِ مِنْضدِتِه.

شأنَ كلِّ شيءٍ لا حـاجَةَ لـهُ به ولم يكتـرثْ لَهُمَا. ورأتِ الخادمةُ الدرهمينِ مطروحينِ ولم يَدْرِ في خَلدِهَا أنهما زائفان.. وأَنَّ سيدَهَا طرحهما لذلك.

ولم تبالِ بهما للوهلةِ الأولىٰ ولكنَّ تكرارَ نَظرهَا اليهما طبع صورتَهُمَا في قَرارِ نفسِها وظلت الصورة تكبرُ يوماً فيوماً ومُغْريات أخْذِهِمَا يَتفاقمُ وهي تحسبُ أنَّ سيدَها لم يدرِ عنهما شيئاً.

وأخيراً بعد أن مرَّت بِهَا كلُّ دَوَافعِ الأَخْذِ النفسية أَخذتْهما وكان من أَمرِها ما كانَ.

والسببُ هو وجودُ الدِّرهمينِ فِي غَيْرِ حِرْزِهمَا.. فما هِيَ بِسَارقةٍ. وحرْز المثل معتبرٌ في تَحْديدِ السرقة إذن فالجريمةُ قِصةُ صورةٍ بَشِعةٍ منكرةٍ تطبعُ في النفسِ. قبل أَنْ تكونَ قصةَ واقعِ إجْرامٍ غدَّارٍ في الخارجِ ومِنْ أجلِ ذلك كان علاجُ الأنفسِ المرْضىٰ وتزيكتها وتطهيرها مِن انْحطاطِ الوثنيةِ والإشراكِ وكلِّ بواعثِ الإجْرامِ أولَ ما تَوَّجهتْ إليه الدعوةُ الإسلامية **﴿قلْ يا أيُّها الناسُ إنِّي رسولُ الله اليكمْ جميعاً الذي لَهُ ملكُ السمواتِ والأرض لا إله إلَّا هو يُحْيي ويميت فآمِنُوا باللهِ ورسولِه النبيِّ الأُميِّ الذي يُؤْمنُ باللهِ وكلماتِهِ واتَّبِعُوهُ لعلكم تَهْتَدونَ﴾** [٧ - ١٥٨] **﴿هو الذي بَعَثَ في الأميين رَسُولاً مِنْهمْ يَتْلُوا عليهمْ آياته ويزكيهمْ ويعلمهُم الكتابَ والحكمَة وإن كانُوا من قبلُ لفِي ضلالٍ مبينٍ﴾** [٦٢ - ٢].

وسبقُ الأَعْمالِ بالنياتِ ظاهرٌ في قوْلِ رسولِ الله ﷺ «إنَّما الأعمالُ بالنياتِ، وإنَّمَا لكلِّ أمرىءٍ ما نوَى، فمن كانتْ هجرته إلى الله ورسوله

فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وهذا التطهيرُ النفسيُّ مِنْ ظُلُماتِ جَرائم الشِّركِ والوثنيةِ والإلْحادِ وسائِر الجرائم مِنْ قتلٍ وسرقةٍ وخيانةٍ وغيبةٍ ونميمةٍ وحَسَدٍ وظلم نصوصُ الكتاب والسنةِ حافلة به... أدمْ دراستك لها في مصادرها الصحيحة الثابتة تجدْ ذلك.

وكلُّ المسلمين سواء في الدعوةِ إلى التطهير النّفسي وأولُّ الدُّعاةِ إلى التطهير النفسي هُما الأبوانِ والبيئةُ والمدرسة والأمُّ مدرسةٌ وزيادة.

وأما التطهير الخارجي الـذي يقعُ في المجتمـع، بواسـطةِ العقوبـات المشروعة..

فهو من حقوق الدولة، ولكن يَجبُ على الأفراد والجماعاتِ أن يساعدُوا الدولةَ في أداء الشهادات وكشف مخابىء المجرمين والدلالة عليهم نجاة لأنفسهم. من المهالك... وكم بلاد احترقَت بواسطة إخفاء المجرمين. وإخفاؤهم وإيواؤهم جريمة شنيعةٌ في الإسلام، وبما أنَّ الوازِعَ النفسيَّ قد ضَؤُلَ، ومضى الزمنُ الذي كان المجرمُ إذا وقع الإجرامُ منه!! يُداخلُه الخوفُ من عقوبةِ الآخرة فيقدُم إلى الحاكِم نفسه معترفاً ليطبقُ عَليه العقوبةَ الشرعيةَ...

ولم يَبْقَ إلا وازِعُ السلطانِ وهذا الوازِعُ: هو اليوم الحاجز الوحيد بينَ الجريمةِ والمجتمع ،وكم من حكمةٍ عاليةٍ ونظرٍ بعيدٍ سديد في حسمِ الجريمةِ في كلِّ مجتمعٍ تطبقُ الأصولُ الإسـلامية المنـزلة للقضـاءِ على الإجْرام والمجرمين وهذا حَقٌّ. فإني أرى المجتمع الذي ترفعُ منه أصولُ العقوباتِ الإسلاميةِ من محاكمه يَحلُّ محلَها الإجرام.

ورأيت الذي يرفعون العقوبات المنصوص عليهـا في وحي الله عن

المجرمين... هم أولَّ الهالكينَ على أيدي المجرمين. وإني أرى ذلك جزاءً وفاقاً..

وكان أهلُ الجاهلية يقولون (القتـلُ أنفى للقتلُ)، وهـذا حَقُّ إذا تُتُبِّع المجرمُ بالذات في مخابئِه، وطبقتْ عليه العقوبةُ. وفي هذا القصاصُ هو الحياةُ للناس. ولكنْ إذا القي حبلُ حبُّ الإنْتقامِ على غواربِ الفضوى في التراثِ وتبادلت القبائلُ والأسرُ القتل فيما بينهم على كلٍّ من هبَّ ودبَّ. من غيرِ القاتل فإنَّ في ذلكَ الهلاكُ المحتوم للمجتمع. ويكفي لِكَشفِ هذه الحقيقةِ في أعلى مناراتها أن تتلوا بخشوع وتدبر وتفكير قوله تعالى ﴿**ولكم في القصاص حيـــاة يأولي الألباب لعلكم تتقون**﴾ [٢ - ١٧٩].

ولعل في القتل المستطير فى البلاد التى الغت العقوبات التي اوجبها الله أكبر البراهين على جلالة إعجاز آيات القرآن المجيد.

تأمل في قولِ الله جل وعز:

﴿**ولا تقتلوا النفسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ**....﴾ [١٧ - ٣٣].

وسألني سائلٌ لماذا خص الله بني إسرائيلَ بِأَنَّ قتلَ النفس الواحدة بمثابة قتل النَّاسِ جميعاً مع أن القَتلَ مُحرمٌ على كل الناس ذلك في قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذلكَ كَتَبْنَا علىٰ بني إسرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قتلَ نَفْساً بغير نفسٍ أو فَسَادٍ في الأرض فكأنّما قتلَ الناسَ جميعاً. ومَنْ أحْيَاهَا فَكَأَنَّما أَحْيا الناس جَميعاً**...﴾[٥ - ٣٢].

وكان جوابي هو شهرتهم أنهم يقتلون النفسَ بغير الحق.. اللهم ألهم عبادَك على حفظِ دماءِ بعضهم بعضاً وحسِن التعايشِ السِّلمي آمين.

شُرْطَةُ الصِّيَانة

كثُرُ حديثُ القادةِ الافذاذ والكاتبينِ المفكرين، عن الجريمة والمجرمين. وعن الوَسائِل التي يُقْضى بِها عليهم. قبلَ أن يتفاقَم أمرُهمْ ويَسْتعْصي القضاءُ عليهم.

وبما أنَّ الجريمةَ لَا يُمْحى وجودها مِن المجتمع، إلا إذا محي وجودها من الأنفس كان لا بد من تدعيم الإيمان والخوف من الله في الأنفس أولا، ثم تدعيم السلطان ووازعه في المجتمع **﴿لِئِنْ بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتقْتُلْنِي ما أنا بباسط يَديَ إليك لأقتلك إني أَخَافُ الله رب العالمين﴾** ٥ ـ ٢٨.

الجريمة:

هي تصميم عملي لهدم الحياة واستمرار صلاحها وتقويض لشرعية أعمالها وتقويض حياة الآخرين ومُحَاربة الإنسانية والرحمة والحق والعدل ومودة الحياة الإجتماعية بين الأفراد والجماعات يكفي أن تقول الجريمة فوضى وافساد متعمد لكل شيء. **﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾** ٥ ـ ٣٢.

شرطة الصيانة:

عملها أن تصون الأمن من جرائم المجرمين: وهي سوى شرطة إمساك المجرمين للاقتصاص منهم بعد وقوع الجرائم.. فمثل عمل شرطة الصيانة، كعلم الوقاية الطبِّي مؤلف لحماية الأفراد والجماعات من الوقوع في الأمراض. ومثل شرطة ملاحقة المجرمين وامساكهم للاقتصاص منهم كعلم الطب ذاته يعالج المرضى بعد وقوع الأمراض.

ملاحظة:

شرطة الصيانة لا تنافي حرية الفرد والجماعة، بل هي التي تحافظ عليها من العدوان وتدعمها وترد غائلة المجرمين عنها ولا يتهم شرطة الصيانة انها ضد حرية الفرد والجماعة الشخصية إلا المنطوون على صنع الجرائم وهل من الحرية الشخصية أن يندس المفسدون بين المصلحين ويتآمروا على رجال الدولة والأمة ويقضوا على حياتهم ومصالحهم ويمزقوا كلمتهم ويجعلونهم يستبيح بعضهم دماء بعض..

مصدر الجريمة:

من المؤكد أن مصدر الجريمة نفس الفرد الشرير أو أنفس الجماعة الشريرة لأن صنع الفرد المجرم في هدم الأمن وتخريب حياة الآخرين كصنع الجماعة المجرمة... إلا أن الجماعة المجرمة ضررها أهول احداثاً وأفدح نهاية وأكبر طامة لأنهم كثيرون ويَنْدسُون في مراكز الأمم الايجابيَّة.

الإجرام والعلم:

كان سلفنا الصالح يحددون العلم بما قال الله تعالى، وقال رسوله الكريم «صوات الله وسلامه عليه» وما يتصل بهما كعلم الفقه وأصوله وعلم التوحيد وعلوم اللغة العربية. وما هو قريب لتحقق الهدى والإيمان في قلوب الأفراد والجماعات ومازالت حقيقة العلم تتسع وتتسع، وبالحري في العصر الذهبي العباسي حتى أصبحت المكاتب العلمية على شاطىء دجلة والفرات تعلو قبابها كأنها الأعلام البيضاء التي ترفرف فوق شرفاتها حمائم السلام...

اما اليوم فإن إتساع العلوم ووفرة أعدادها والوانها وكذلك الفنون فإنها تربو وتربو من ساعة إلى ساعة.

وتزداد اتساعاً واتساعاً حتى أصبح التثقيف العلمي العالي والسمو الأدبي الرفيع لا ينفع فيه إلا التخصص، وأصبحت الأمة التي تَرْفُضُ أَنْ يتخصص أفرادها في شتى فروع العلوم العالية والفنون والصناعات الحربية وسواها رعيلاً رعيلاً فقد حكمت على نفسها بالإعدام، وينادي بها الزوال والفناء هذا هو الطريق لذلك أَلَا تجد الدول الكبرى والصغرى جادة في استقصاء العلوم وإحصائها وجمعها ودرسها والتوسعة فيها على سواء.

وهذه دولتنا السعودية جادة كل الجد في فتح الجامعات الكبرى والمعاهد الثانوية والمختبرات العلمية في البوادي والقرى.

والمدهش في أعمال عصرنا هذا أنك تجد التثقيف دخل حتى في مخابىء المجرمين لان العنصريين ما داموا ينظرون إلى الأمم كأعداء. وما داموا يدسون ما يدسون في كل مكان المفسدين والمعطلين والمجرمين في الأعماق من وراء وراء. ليذيعوا الفوضى والإضطراب والإفساد باسم الإصلاح والهدى والخير، فإن الإجرام لا ينتهي بل يربو ويربو لذلك تجدهم في كل بلد شرقي أو غربي يفسدون عقائد شبابه الأدبية والأخلاقية بمفاتن حبائل الشيطان ومكايد ثعالبه، وإشعال نزواته وإهراق قدراته على مذبح الرذيلة.. الجنسية واستغلالها لكل ذلك وهذا هو الذي يشاهده الدارسون لان انفاذ الجرائم في أعمالهم الخفية يقوم على ركنين أساسيين.

الأول:

مخاطبة الغرائز وتجنب مخاطبة الفكر والعلم. وأهم الغرائز التي يخاطبون بها الشباب والشابات لتحويلهم إلى مجرمين في حق أنفسهم ودينهم ومصالح أمتهم ودولتهم هما: غريزتا الجنس والتملك وتسليط مغرياتهما عليهم لتسخيرهم إلى مزاولة الجرائم الجنائية والسلوكية غير

المشروعة بباعث هاتين الغريزتين الراغبتين إذا الفت ذمامهما من سلطة الإرادة.. غراماً وطغياناً.

الثاني:

الثاني اتخاذ النزوات والأعمال الجنسية السرية الممنوعة لدى كل الدول مصايد وفخاخاً. لتسخير الشباب والشابات إلى ارتكاب الجرائم وإبتكار الأفلام الخليعة المردية ومناظرها البشعة الشاعلة المثيرة الهدامة للصحة والوعي والإبتكار والخامدة لشعلة التفكير، ووقد الزكاء والمزلزلة ووزن الأمور بموازين مصلحة الإسلام والمُمَزِّقة لِكلٍّ وفاق وتفاهم بين شعوبه ودوله. وَهَلْ مِنْ أعمالٍ إجراميةٍ مريبةٍ أهْولَ وأَفْظعَ وأقتَلْ وأَرْدَى مِنْ ذلك... وها أنت تصْرخ بملء.. صوتِك... لا... لا.... لا...

عقيدة كل امْرىءٍ شريكة حياته

ألَا تَرى كلَّ امْرىءٍ مُثَقَّفٍ حُرٍّ متَى شبَّ ونضج عقلُهُ أخذ يُفكِر في الموضوعاتِ التي تشغلُ البال وتوطِّد النِّعمةَ وتسمو بالحياة سُمُوَّها العالي الكريم ويتأملها بوَعْي الفكرِ وحريةِ النقدِ وأصالةِ الرأيِ وَصِدْقِ الحسِّ لِيُميِّزَ بينَ محاسِنهَا ومساوِئها ولكيْ يتحرَّى بكلِّ ذلك العقيدةَ الأثيرة التي يرضى بها أن تكونَ شريكةَ حياتِه، وباعثَ إلهامِه ومناطَ أمنياتِه وأعمالِه!!..

أجَلْ هذه هيَ اتِّجاهَاتُ كلِّ شابٍّ مفكرٍ حُرٍّ يَدْري كيف يختارَ عقيدتَه التي هيَ شريكة حياته الأبديةُ يختارُها بنورِ العلم وبصيرةِ الفَهْم.

وجملةَ هؤلاءِ الشُّبان هُمْ المثقفونَ ثَقافة جامِعيَّةً ويملكون الْملَكَةَ العلميةَ الحرةَ القادرةَ أَنْ تختارَ الأصْلح والأخلدَ والأنفعَ والأسْمَى مِنَ العقائِد المنتشرةِ في الدنيا. أجلْ تختارَهَا بنورِ العلمِ وبصيرةِ الحكمةِ، وصحةِ الرأي وطولِ الأناةِ والتعمُّقِ في البحثِ النافعِ الناضجِ الحُرِّ.

بَلْ قُلْ بِكلِّ الوعيْ إنَّ الشبانَ المثقفين سوفَ لا يَخْتَارُونَ إلَّا العقيدةَ الصحيحة المرتكزةَ على أصولِ البراهين العلمية اليقينيةِ الصريحةِ التي يَعْتزون بها أن تكون شَرِيكةَ حياتهم الأبديَّة !..

وتوفيقُ كلِّ شابٍّ جَامِعيٍّ مُثَقَّفٍ ثَقَافة حرةً عاليةً إلى كشفِ عقيدتِه الإيمانية التي تَصْلح أن تكونَ شريكةَ حَيَاتِه يُسْكُن إليها وتسكنُ إليه، وتأخذ

في أعماقِ جوانِحه مِنصَّةَ الحكمِ الْعَدْلِ. ليسَ سهلاً أبداً لأنَّ هذا الإختيارِ العالي المجيد لا يكونُ إلّا برعاية اللهِ وتوفيقهِ والقدرةِ على قيادةِ المجموعةِ النفسيةِ بالعقلِ والعلم أي لا يكونُ إلّا بعد جهادٍ طويلٍ وامْتحانٍ دقيقٍ..

ولو لم يكُنِ الأمرُ كذلك لَما كانَ الإلحادُ والإنْحرافُ لـه سوقٌ بينَ الشُّبانِ في أوروبا وأمريكا وسواهما. والقرآنُ المجيدُ سَيِّدُ كلِّ الحضاراتِ العلميةِ اليقينيةِ مَوْجودٌ ويُتْلى بينَهم، ولا يفكرونَ أنْ يدرسُوا معجزاتِه العلميةَ لكيْ يُؤْمنوا إلّا القليل من الفلاسفةِ والمفكرين.

ولا شيءَ في أقدَارِ العِلْمِ وأَمْجادِه، ولاَ أشرفَ ولا أَعْلى مِنَ الْجِهَادِ الموجّه لمَعْرفةِ خالقِ الوجودِ الحَقِّ المعرفةَ العلميةَ اليقينيةَ الهادية إلى صِحَّةِ الإيمـانِ العلمي اليقينيِّ. والسببُ أَنَّه جِهَـادُ الهدايـةِ جِهَادُ النَّـورِ جهـادُ الخيْرِ جِهَاد السَّعادةِ الأبدية. بلْ قُلْ إنَّهُ جِهادُ العلم والفكرِ والحقِ والبحث.

وهذا كما هو مُؤكد في العلمِ الكوني العام مؤكدٌ في صَحيحِ وَحْيِ اللهِ اليقيني فكر جيداً في الآية الكريمة:

﴿والذينَ جاهدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَـا وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين﴾ [٢٩ - ٦٩].

وهذا الجهاد هو عين الاحسان الذي يَنيلُ الإيمانَ الصحيحَ ومعيَةَ الله. وناهيكَ من خطَر العقائِد المنتشرةِ في الدُّنيا، لأنَّ الدنيا تَشْمَلُ على أَلْفِ ألفِ عقيدة مزيفة. وإنَّ كلَّ عقيدة يعرضُها أهلُها بأَفْتَنِ زيناتِ العلمِ الزائفةِ وأرْوعِ مَطالِع الفكرِ اللامعِ وأجْذب مُغريات الإباحةِ.

مِنْ أَجْلِ ذلك كانَ اخْتيارُ العقيدةِ العلميةِ اليقينيةِ الصحيحةِ لا بُدَّ لَهُ مِنَ النَّظَرِ البَعيدِ والتأمل السديدِ والدَّرس الطويلِ، لأن اختراقَ مفاتنِ الغشاوات

لأجْلِ طَرْحِ الزيفِ والْخديعَة والإلتباس لَيْسَ هوَ لَعْقَة عَسلٍ بل جرعةُ مِن الصابِّ والحنظلِ. وإذا كانَ المرءُ يهْتَمُّ كثيراً ويَجْهدُ طويلاً لدَى اختيارِ شريكةِ حياتِهِ مِن الجنسِ الآخر خشْيَة المـزالِقِ والمتاعِب والأهـوال في المستقبل. وقد يستعينُ بأهْلِهِ وأصْحابه لأخْتيارِ الأنسب والأجدى والأصلح والأحق، خشْية أن يسقطَ على جيفةٍ مُغَلَّفةٍ بأفواف الحريرِ ومزدانة بعقودِ الؤلؤ والمرجانِ. وكم يوارى تألق الجمالُ الفتان فتكاتِ الوحش الكاسر.

فَيَـارُبَّ وجـهٍ كصـافِي النّمير   تـشـابَـهَ حَـامِـلُهُ والـنَّـمِـر

ورسولُ الله ﷺ حذرنا مِنْ ظاهِر تهاويلِ الجمالِ في المرأةِ الحسناءِ ذاتِ الأصلِ الرَّديءِ السَّيءِ بقوله «إيَّاكم وخضراءَ الدِّمنِ، المرأة الحسناءِ في المنبتِ السوء».

فاذا كانَ هذا التحذير جاء في اختيارِ شريكةِ الحياةِ مِنَ النِّساءِ التي يُمكنُ مُفَارقَتها بالطلاق دونَ أي ضَررٍ وتبعةٍ إذَا تأكّد ضرَرَهَا فمَا بالـك بالعقيدة الأساسية التي هي شريكةُ حياته الأبديةِ التي لاَ تفارقه تبعاتُهَا، حتى بَعْدَ إنْتِقَالِه إلى رِحَابِ العالم الثاني، وكم مِنْ إهْمالٍ ومصائِبَ تنزلُ بالمرءِ إذا كانتْ عقيدتهُ شِرْكٌ أَو وثْنية تجعلُه يَعبْد غير خالقِه مِنْ روحٍ ونارٍ ونُورٍ وبشرٍ وحَجرٍ. أو تجعله يكفر بوجود خالقه بالمرة أي يُلْحد.

وإذا كانَ الأمرُ كذلك فكمْ هيَ الأهوال والأفداحُ التي تنزل بالمـرءِ وتمزقُه وتجعلُ كلَّ حياته تبعاتٌ مخيفةٌ مِنْ انحرافِ عَقيدتِه.

وإذا رأيتَ ملايين البشر يَزْهوْنَ أَنَّهم اتَّخذُوا شريكاتِ حَيَاتِهم مِنْ عقائِدَ مأْتاها مِنْ كائناتِ هذه الأرض. أو مما حولها من عَوالم النجـوم والأقمار والشـمـوس. فـإن زهـوهـم نـذيـرُ شُؤْمٍ عـليـهـم لأنَّ خـالـقَ الوجودِ الحقِّ هو الله رب العالمين إذنْ فالعقيدةُ الصحيحة مُحالُ أنْ تكونَ

مُتعدِّدة أجلْ لن تكونَ متعددةً فإنَّ ذلك مُحالٌ ومحالٌ، إنْ هِيَ إلَّا عقيدةٌ واحدةٌ أنزلها الله في خاتِمِ الكتب السَّماويةِ القرآن المجيد كما أنزلها على الرُسُلِ جميعاً. ومحالٌ ومحالٌ أَنْ تكونَ هذه الأكوانُ غَيْر المتناهيةِ في علمِ الإنسانِ مِنْ صُنْعِ آلهةِ المللِ والنِّحلِ المتخذةِ مِمَّا ظَهرَ أو خفيَ من أرواح معبودة في أَجسادٍ مختلفة. مزعومة زَعْماً ولَا براهينَ لها من يقين العلم يثبتُها...

ويعتزُّ الشابُ الذي يَدينُ بالعقيدةِ الصحيحة لأنَّ براهينها علميةً يقينيةً قائمةً فيها.

انظر قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَدْعُ مع الله إلَهاً آخرَ لا برْهانَ لهُ بِهِ فإنما حسابه عند ربه﴾ [٢٣ - ١١٧].

﴿ومَنْ يعتَصِمْ باللهِ فقدْ هدي إلى صراط مستقيم﴾. [٣ - ١٠١].

﴿والذينَ جاهدُوا فينَا لَنَهْدينَّهمْ سُبُلَنَا وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين﴾ [٢٩ - ٦٩].

أيها الشَّابُ المثقفُ احْذر أنْ تُهيْمنَ عليكَ مِنْ طَريقِ العاطفةِ أو طريقِ الغريزة عقيدةٌ ظنيةٌ مُنْحرفةٌ تُودي بكَ في دُنياكَ وآخرتكَ واحْذرْ أن تُفْتَنَ بالشبانِ القطعان الذين يَنْسَاقُونَ وراء العقائِد الظنيةِ المنحرفةِ احذرْ وتفكرْ في قوله تعالى:

﴿وما يتَّبعَ اكثرُهم إلاَّ ظَناً إنَّ الظَّن لا يُغْنِي مِنَ الحقِّ شَيْئاً﴾ [١٠ - ٣٦].

والحقُّ لا يُوصَلَ إليه بالظِنونَ والأوهام والأساطير بل بالعِلم والبرهانِ وتأمل في قوله تعالى:

﴿يا أَيُّها الناسُ قد جاءكم برهانٌ مِنْ ربكم وأنزلْنا إليكم نوراً مُبينا﴾ [٤ - ١٧٤].

أجلْ يَا أَيُّها الناسُ أفيدُوا من هذا البرهان المنزل عليكم من ربكم قبلَ فواتِ الأوانِ وقبلَ إفْلاتِ الْفرصة. أفيدوا منه لأنه البرهانُ المُشَيَّدُ على قواعِد العِلمِ اليقينيِّ وعلى نورِ الحقيقةِ الأبدية.

البرهان الذي يُقدم للإنسانيةِ المثقفةِ الرائدةِ عقيدةَ الإيمان اليقينيِّ العلميِّ الّتي هِيَ شريكةُ الحياةِ الأبديةِ الماجدةِ التي تُقدّمُ لمعتنقِيها نورَ العلمِ وجلالِ الحقِّ وسموِّ الإنسانيةِ وثقةِ التفاهم.

وماذا يريدُ الإنسان مِنْ خَيْرٍ وَسَعادةٍ وَوَعْي وفَهمْ اكثرَ مِنْ ذلك.

إحيـــاء الكتـــاب

الكتابُ الجيدُ النافعُ حياةٌ برَّةٌ صالحةٌ وطبعُهُ وإخْراجُهُ للناسِ ليحْيُوا بهِ أَعْمالاً بارةً صالحةً فيها عطاءٌ لَا يُقدَّر، وإيمانٌ عميقٌ، ومنافُع كبرى فَوْق الأثْمان.

وإذا كان اللهُ جلّ جلالُه، جعل إحْياءَ الموتى آيةً على صِدْقِ الرِّسالةِ. فإنه جَعَلَ إحياءَ الكتاب النَّيرِ الدَّالِ علىٰ اللهِ وعلى الأعْمَالِ الصَّالحةِ آيةً على صِدْقِ الإيمانِ وَحبِّ العلم، وإيثارهِ وخلودِه. . . .

والْوُجهاء الأَثْرياء كثيرونَ، ولكنَّ الْوُجَهاءَ الأثرياءَ الذين يَرْصدُونَ فَيْضَ أموالِهِمْ في سَبيلِ إحْياءِ الكتابِ الإسْلامِّي النافعِ المخطوطِ وطبعه وإخْراجه للناس قليلون.

ولا ريبَ أنَّ كلَ شيْءٍ في هذه الدنيا يَفْنىٰ ويَسْتحِيلُ إلىٰ تُرابٍ إلاَّ الكتاب. فإنَّهُ يبقىٰ إلى قِيامَ السَّاعة.. لأنه علمْ والعلمُ لا يَفْنَىٰ..!!

والسببُ أنَّ اللهَ جعلَ المعرفةَ والحياةَ صِنْوين بل وزادَ المعرفةَ حيثُ جعلَها بَصَرَ الحَياةِ وبَصِيرتَها ونورَها الساطعَ الكاشفَ لحَقَائقِ الأشياءِ...

لِذَلكَ أنَّى تَظْفرْ بالمعرفةِ اليقينيةِ الدالةِ على الإيمانِ الصحيحِ تَظْفرْ بالحياةِ الصالحةِ ذاتِ الإيمانِ الصَّحيحِ، والعملِ الخَيِّرِ الناهضِ. والكتابُ في واقِعهِ ظَرفُ المعرفةِ وبريدهَا ومَنَارُهَا الوَّهاجُ الكاسحُ ظُلُماتِ الطريق.

لذلكَ كانَ إحْياءُ كِتابِ الإيمانِ والحقِّ والهدَى ومكارِمِ الأخلاقِ.. إحياءٌ

للإيمانِ والحقِ والْهَدَى ومكارِمِ الأخلاقِ بينَ الأفراد والجماعات.

وما دامَ عَمَلُ كُلِّ إنسانٍ دَالاً على عَيْنِ مَعْدِنِهِ كما قالَ رسولُ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامه عليه: «النّاسُ معادِنٌ فخيارُكمْ في الجاهليةِ خَيارُكُمْ في الإِسلامِ».

وما دامَ عَملُ عَميدِ أُسْرةِ آل طرابزوني السيد أسعد اجْتهاداً في البحثِ عن المخطوطاتِ الإسلاميةِ الكريمةِ النافعةِ الدِّينية في المكتبات، وطبعها وإخْـرَاجِهَا للنـاس، فَعَملُهُ هَذَا دَالٌّ على عَيْنِ مَعْـدِنِهِ العـربي الأصِيل. فالأعمالُ الكريمةُ ثِمارُ المَعَادِنِ الكريمةِ. والْمَثلُ في هذا الشَّأنِ مَثَلُ الأرضِ الطيبةِ والخبيثةِ.. وتدبْر بكلِّ فِكْركَ وَوجْدَانِكَ قولَ اللهِ جلَّ جلالُه:

﴿والبلدُ الطَّيِّبُ يخرجُ نَبَاتُهُ بـإِذْنِ رَبِّه. والـذِّي خَبُثَ لَا يَخْرجُ إلَّا نَكِداً﴾ [٧ - ٥٨].

وَمِنْ هُنَا أخذَ الشاعرُ حكمتَهَ الرائعة:

كُـلُّ شَيْءٍ راجِـعٌ لأَصْلِهِ أَصْغَـرُهُ مُتَصِّـلٌ بـأكْبـره

وأُسْرةُ آل طرابزوني من أُسَر طَيْبَةَ الكريمةِ ذاتِ الأَمْجادِ ويحملُ أفرادُهَا حُبَّ العلمِ وحبَّ أهلِهِ..

وهذَا عميدُهَا السيد أسْعدُ تُشَاهِدُهُ أبداً يَتقلَّبُ بينَ المكتبَاتِ بَاحِثاً مُنَقِّباً عن المخطوطاتِ الإسلاميةِ النَّفِيسَةِ، وطَبْعِهَا وإخراجِها للنّاسِ لكي يَسْتفيدُوا وَيُفيدُوا..

وقليلٌ جداً أنْ تجدَ بينَ وجهاءِ البشرِ مَنْ يَحْملُ مثلَ هذا الوعي النابهِ لِقَضيَّـةِ العلم والأدَبِ ومثلَ هـذا الإهْتمامِ العَمَليِّ الْمُسَارِعِ فِي طَبْـعِ المخطوطاتِ وإِخْراجِهَا للناسَ..

وإليكَ بعضَ المخطوطاتِ التي أحْياها اللهُ على يَدَيْهِ لتكونَ دليلاً على حبه للعلم وأهله، والنفع العام.

١ ـ عمدةُ الأخبار. طبع أولاً في دمشقَ، وعليه مقدمة بقلم أميـر البيان، الأمير شكيب أرسلان، وطُبعَ ثانياً في القاهرةِ وعليه مقدمةٌ بقلمِ محمدِ حسين هيكل باشا.

٢ ـ الأكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي. وقد طبعه مرتين في القاهرة..

وناهيك بمؤلفات الإمام السيوطي.

٣ ـ الأوائل لأبي هِلالَ العسكري.

٤ ـ عبث الوليد. وهو شرح أبي العلاء المعري لديوان البحتري..

٥ ـ السّلْوانيّات في مسامرة الخلفاء والسّادات. وهو لحجـة الدين محمد بن ظفر الصقلي. وهو كتاب له اعتبار من الوجهة الفنية الأدبية.. إذ هو واضع الطريقة الحديثة في تأليفِ عَصْرنَا التي اقتبسها الأفرنجُ عن العربِ وهي وضع الصور والرسوم الدالة على المقصود... والكتابُ مضى عليه تسعةُ قرون. وهو دفين في مكتبة «اسكوريال» في أُسْبانيا حتى أتاح الله له السيد أسعد طرابزوني فَأَخْرجه للنّاسِ. والآن السيد أسعد معني بإخْراج كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة.

وهو مَخْطوطٌ ضخمٌ مكون من ثلاثةِ أجزاء وقدَ تمَّ طبعُ جزئين والعمل جادٌّ في طبعِ الثالث. ولا ريبَ أن إخراج مِثلَ هذا المؤلفِ العظيم بكاملهِ، فيه نفعٌ عظيم.

وهو يقتضِي نفقات باهظة قلما يستطيع أنْ ينهضَ بها رجلٌ واحدٌ، ولكنه بفضْلِ الله قد استطاع.

وقد مَجَّدَ مَعَالِي الشِّيخ أحمد الغزاوي هذا العمل العَظيم الذي عكَفَ عليه السيد أسعد طرابزوني بقوله:

نَشَـرْتَ كنوزاً مِنْ تُـراثٍ مُؤَثَّـلٍ ... بِـهِ كلُّ ذِي لُبٍّ يُشِيـدُ ويُـرْشِـدُ
وَكَمْ لَكَ فينا من جُهودٍ عظيمـةٍ ... يُسَجلُّهـا التـاريـخُ وهيَ تُخلَّدُ
وَحَسْبُـكَ فَخْراً واعتـزازاً وقـربـةً ... سَخَاؤُكَ فِيها وَهْيَ تبْـرُ وعسجدُ
فـطوبَـاكَ حَظٌّ أنتَ فيـه مُبرزٌ ... عَـظيم وفيه أنتَ لا شـكَّ أَوْحدُ
وَمَا مِثْلُ أهْلِ البيتِ نورٌ لِمدلـ ... ـوهُمُ بهمُ وصَّى الرسولُ محمد

ومَنَ أدرىٰ بأسرةِ آل طرابزوني وأعمالِ عَمِيدهَـا الْماجـد مِنْ معالِي شاعِرنَا الكريم الشيخ أحمد الغزاوي.

وعميدُ هذه الأسرةِ الماجدة جَدِيرٌ به هذا الثناء مِنْ فحولِ أدباء العرب. لأنَّهُ أوقفَ نفسَهُ للبحثِ عَنِ المخطوطات الإسلامية القَيمة وإخراجها للناسِ للنفع المؤكد.

لذلك تجدُهُ يَسْتحِقُّ التحيَّة والتقدير وهذا شأن كلِّ عملِ صالحٍ نافعٍ.
وهذه تحية شاعرنا مِنَ البلد الحرام:

أُحَيِّيكَ مِنَ أم القرى يا ابْنَ طيبةَ ... تحيـةَ إخْـلاصٍ بـه أَتَـوَدَّدُ

وإني أرفعُ تحيةَ شاعِرنَا العظيم الشيخ أحمد غزاوي بتحيةِ الإسلامُ السلام عليك يا سيد أسعد وطاب ما قدمتَ لأمتك مِنْ علمٍ ومعرفةٍ وهدًى وتقدمٍ وطبتَ ورحمةُ الله وبركاته.

تحـوّل حقَائق الأشياء إلى أحلام

لعنةُ اللعنات تنصبُّ على الذين يفسدون حقائقَ الأشياءِ ويحولُونَها إلىٰ أَحْلَام طائرةٍ. وهلْ يفسدُ حقائقَ الأشياءِ ويحولُها إلى أحلام طائرة.

١ ــ الاَّ الكتبةُ المستأجَرون لتفجيرِ الفتنِ العمياء في النفوسِ الآمنة المطمئنة السَّاذجة!!

٢ ــ والاَّ الملاحدةُ العنصريون الحَاقدون مـرْضى الأفكارِ المـوبؤةِ المُعْتسفةِ المنحرفة!!!

٣ ــ والاّ مُدبرُوا المؤامراتِ الهدامون الذين لاَ يُؤمنونَ بشيءٍ سوى أنفسِهم.

وهل أنشِئَتِ الجامعاتُ والمعاهدُ العلميةُ والمُخْتبرات إلاَّ لِعَزْلِ الأحلام والأباطيل عَن حَقائِق الأشياءِ؟!.

ومِنْ أجلِ ذلك تَجِد المدرسين الْجامعيِّين في العالم يَحُذّرونَ الشَّبيبَة الشَّاديَةَ المثقفةَ مِنَ الإنغِمَاسِ في أقلامِ الكتبةِ المجرمين الذينَ يَتعمَّدون إفسادَ حَقائِق الأشياء للتضليلِ عن يَقِينِ الواقع العلمي...،

أجلْ يَحْذرونَهم. خشيةَ وقوعِهم في شَرِكِ الإلحادِ والإِسْتِهْتار وجحودِ أمجـاد التاريـخ.. والكتبةُ المجـرمون أغـرار أغرار. رغم خُبثهم وسـوءِ نواياهم...!!

وهم يَروْنَ أَنفسَهم مردَةً قادرينَ أن يبتكرُوا الفجائعَ ويصبوهَا على الأممِ وقادرينَ أن يُحَوُّلوا الجبالَ الشمَّ إلى وِهَادٍ سحيقةٍ والوهادَ السحيقةَ إلى جِبَالٍ شم. . . ! !

وقـادرين أن يُهَيْمِنُوا على مجمـوعاتِ نفسيـأَتِ الشبانِ الكتبـة الشُداة ويربطون تصرفاتِهم، بإرَادَاتهم وَفْقَ دساسِيهم وخبائثهم فهم إنْ شَاؤ وا رفعُوا المخفوضَ ولو كانَ مثلَ أبِي دلامة وإنْ أحبُّوا خَفَضُوا المرفوعَ ولو كان مثلُ أحمد المتنبي.

أي همْ يَعيشونَ في وَقَاحةِ كبريائِهم الخَدَّاع الذي لا يُقيمُ وزناً لِحقائِق العلم اليَقِيني في الأَشْياءِ إلا بمقدارِ ما تقيمُهُ نزواتُهم له، وخُبثُ نزعاتهم، وإنْحطاطُ أسرُهم وَفَسادُ تربيتهم وتعليمهم.

ومأتى وقاحةِ كبريائهم الآثِمْ هو إسْفافُ تفكيرِهم وَصِغَرِ أنفسِهم وزيغِ عقائِدهم وجرأتهم علَى إعلانِ الباطِل. نعم لهم أقلامٌ ولكنْ طَعامُها جيفُ الأفكارِ ونتاجُها الأخبثان. . ! !

وأَنتَ إنْ شئتَ أن تُسَميَ هذَرَهُم الفاسِدَ، ولعنةَ عقائِدهِم الملحـدةِ الزائغةِ بياناً وعلماً وايماناً وأَدباً فأحْرِ بكَ أن تذكرِ كلَّ ذلك الصَّغار الذي يَحيقُ بهِمْ وبأشْخاصِهم بعد أنْ تتلوعليهم قولَ الله عز وجل: **﴿ذُقْ إنكَ أنت العزيزُ الكريم﴾** [٤٤ - ٤٩]. فِذِلَّةُ نهايَتِهم الأبديةِ ليستْ إلا جزاءً لغرورِ كبريائِهم: وهؤلاءِ الكتبةُ المجرمون يكتبون أَحْيَاناً الْحقائِق دُون إيمانٍ بها، وهي لا تَعْدوأنَ تكونَ تمثيلَ أَطْيافٍ ملونةٍ تبدُو وتختفِي وفْقَ نوازعِ أنفسِهم وبواعِثها وخَساسَةِ لهفاتها.

وإذا أردتَ أن ترىَ ما يدورُ في أنفسِهم مِنْ مشاهِد تَهبطُ إليهمْ صُوَرُهَا مِنْ هُنا ومِنْ هُنا فما عليك إلاَّ أن تتصوَّر أنَّ سُكَّانَ وَاحـةٍ من واحاتِ

الصحاري الشَّاسِعَات المُقْفرات شاهُدوا في لَيْلَةٍ من ليالي المحاق المدلهمة.

١ ـ أضواءً ذاتَ الْوانٍ مِنْ الزُّمردِ والياقوتِ والمرْجَانِ تتفجرُ في أرجاءِ الصَّحراءِ بدائعَ بدائعَ.

٢ ـ وصروحاً شامخةً تحفُّ بِها حدائقُ غنَّاءُ ذاتُ بهجة.

٣ ـ وَمَهايعَ فسيحةً أعمدتُها عاليةٌ عالية ومصابيحُها متألقةٌ وقَّادة.

٤ ـ وأنْهراً كبرىٰ تجري حولَ الحدائِق والصَّروحِ وَطُيوراً مختلفةَ الأشكالِ والألوانِ والأغاريد تَتَطَايَرُ مِنْ هنا ومن هنا رفاف رفافَ.

٥ ـ ورأوْا أسرابَ الظباءِ تروحُ وتغدُو آمنةً بيْنَ زُمرِ المُتنزِّهين، والسفنَ الشراعيةَ والزوارقَ البخاريَّةَ تمخرُ في عَرْضِ الأنهارِ وطولها.

أجل تصوْر أنهم شاهدُوا كلَّ ذلك فخَالوهُ حقيقةً مَاثِلةً في صَحْرائِهم. فَتَنادوْا مِنْ أطراف الواحة وتجمَّعُوا وحملُوا أسلحتَهم وتوجهُوا إلى ما يشاهدونَ وهمْ يَحْسبون أنَّ حَدَائقَ مِنْ جنَّاتِ عَدْنٍ هبطتْ فجأَةً إلى صَحْرائِهم لأمرْ يريدُهُ الله.

ولكنْ راعَهم أَنَّ الأنهارَ التي تَجْريْ حواليهم وقد تَغشَّتْهمْ أمواجُها ودَخلت في أجسادِهم أسماكها وخرجتْ وظلتْ تنسابُ من تحتِ أرجلهم، ومِنْ فوقِ رؤوسِهم وما يحسون بشيءٍ يَمَسُّهم أَو يسْمونَهُ سوىَ رؤيةِ الأَطياف وتخيَّلُوا أنهمْ في أحلامِ اليقظة.

وظلَّتْ تَطْغى عليهُم الأمواجُ الصَّاخبةُ كأنَّها الهضَابُ ومَا تُفَرقُهمْ وتمرُّ بينَ أيديهمُ السفنُ الشِّراعيةُ والزوارق البخاريةُ وما يحسون بِهَا رغمَ مُشاهَدتِهم لَهَا عَياناً.

وهم يروْنَ ويسمعونَ زئيرَ الأسودِ وعُواءَ الذئابِ وبغامَ الظِبّاء وخوارَ الأبقار الوحشية ويبصرون صِراعَ الوحوش الكاسرةِ وَنهْشَ اللحوم الْحيةِ مِنَ الأجسادِ وإراقةِ الدماءِ فيخيفهُمُ المنظرُ على رغم أنه لم يَمسْهُمْ حِسُّ جرم أو طيفُ خَيالٍ بأذى.

وبالحري حين يُشاهدونَ الفرسان يَتطَاردونَ ويتبادلونَ إطلاقَ النارِ ويروُنَ مَنْ تُصيبهُم الطَّلاقَاتُ الناريةُ يخرونَ على الأرضِ صَرْعىٰ ويروعهم أَنَّ الرصاصَ يَدْخلُ في أجسادِهم ويخرج منها دونَ أَنْ يمسَّهم أَذىٰ والواقعُ أنهم دُهِشُوا لهذه المَشَاهِد واحْتَارُوا، ولم يجدُوا لهـا تَفْسِيراً وأخـذهُم جُنون السُّكارى وما هم بسكارى ولكن مدهشاتُ هذه المشاهدِ جعلتْهُمْ على حَالٍ شبيهَة بالجنونِ!!.

وهكذا مرَّتْ بهمْ سَاعةٌ في مستغرقةٌ في أَحْلامٍ محسوسةٍ مُشَاهدةٍ تروحُ بهمْ وتجيءُ وهُمْ لا يروُنَ لَها آثاراً ماديَّةً محسوسةً ملموسةً.

هم رَأوْا أنهم يعيشونَ ساعةً في دُنْيا سوَى دُنيا الْواحةِ هي دُنْيَا الأحلام المجسمة. وإنتهَتِ الساعةُ وإختفىٰ كلُّ شيءٍ وعادُوا إلى ما كانوا عليه في صحراءِ تُغَطِّيها ظلماتُ الليل وهتفَ هاتِف إنْ هي إلاَ...

سِنَـــةٌ مِنْ كَـــرًى وطيفُ أمانٍ — وصَحَا القلبُ مِنْ ضَلالٍ وَهجْسِ
فـاذا الأرضُ مَـا بِهَـا مِنْ أنِيسٍ — وإذا الْقَـــومُ مـا لهمْ مِنْ مُحِسِّ

أجل إخْتفىٰ كلُّ شيءٍ ولم يبقَ سِوَى سَفِّ الرمال، وعصْفِ الرياحِ والظلمات المتراكمة فعادوا إلى واحتِهم والخيبة تتعلق بـاذيالهم صـارخةً صرخاتها الداوية في قلوبهم وعجائب المناظر لا تـزال تبدو في أَعْمـاقِ أنفسهم صُورُها أجلْ عادُوا إلى مَنازِلهمْ في حرمانٍ كحرمان الأيْتامَ من مأدبةِ اللئام.

ولكنهم سَمِعُوا مُذِيعِي التلافذة تدوي أَصواتُهم منادية أربابَ المنازلِ.

إنكم بعد اليومِ لا تَحْتاجون شاشةً لتلقي إرسال أَطياف الروايات المسرحية وأْلأخبار ولا صناديقَ التلافذة بل سَتَصِلكم الأطياف على ذراتِ الهواءَ ماثلةً أمامكم دونَ حِجَابِ واستئذانَ. فمثلهم كمثل الذين حملُوا قربَهمُ الفارغة ليملؤوها ليلاً مِنْ آلٍ تراءى لهم أنه ماء زلالٌ يَغْمرُ صَحراءَهمْ، وما هو إلا آلٌ تراءى والحقُ الْعَيانُ لا يكونُ مأتاهُ مِنْ عَالمِ الأطيافِ التي تحمُلها أمواجُ الكهرباء. ولكنْ مأتاهُ مِنْ عالم الأَرواحِ الحق..

بماذا يُسْتَدلُّ على عظمةِ العظيم وحقارة الحقير

يُسْتدلُّ على عظمةِ العظيمِ ، وحقارةِ الحقيرِ بأمورٍ . .

الأمرُ الأولُ:

بأعمالِ المجموعة النفسية المنبعثة عن توجيهاتها المتأصِلة في صميم الفطرة وللفطرة نزعتان في النفس. نزعة إيثارية سامية معدنُها عسجدٌ صافٍ ونزعةُ أثرية منحطةٌ معدنُها خزفٌ خبيث. ورسولُ الله ﷺ يقول «الناس معادنٌ فخيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام» والعكس مفهوم.

الأمر الثاني:

بأقوال الذين يُعاملُهم ويُعَامِلونك عن كثب من صغار الناس. ويقنعون بما يصل إلى بطونهم من القليل الكافي، لا من الكثير الرَّابي الطاغي.

أما أقوال الأشخاص الذين يعاملونك بأطماعهم، ويأكلون الكثير الكثير ولا يشبعون فإن أفواههم تظلّ فاغرة كأفواه البراكين لا تُؤْمَنُ هامدة أو شاعلة، وما تنفثه في كلا الحالين سموم ورجوم ونحاس وحمم.

ومهما يكن فالأولون الصغار يتكلمون وفق أطماعهم لأنَّ الأطماعَ لا تخمد نارها ولا ينطفىء أوارها ولهفاتها.

وشتان شتان ما بين مَنْ تنطقهم أعمالهم البناءَةُ ومن تنطقهم أطماعُهم

الهدامة فالأولون تجدهم يتكلمون بصدق نياتهم وحساسة حواسهم وهواتف تَطَلُّعاتِهم وكفايات مرافقهم وأخلاقيات أمانيهم.

والآخرون تجدهم يتكلون بظواهِر ألسنتهم وشراهة أطماعهم، ومعايير مكاسبهم وأحابيل مصالحهم وشعل نهماتهم إلى حيازة ما يستحاز من حَلالٍ أو حرام.

وهكذا فالأولون تراهم محْتَسِبون ثابتون على رأيهم صنو ما تُمليه لهم حسن الأفعال أو سوؤ ها.

والآخرون تجارٌ مكاسيب متقلبون، وما لديهم من حُسْنٍ أَوْسوء إلا مَا يتصلُ بربحهم أو خسرانهم فما أوفر لهم الربح حسن وما أَخْسره سَيِّء.

ومن صغر العقل وسذاجة الوعي وخمود الفكر، وقلة العلم وظلمة البصر والإعتقاد بأن العظمة الإنسانية وكمال الشخصية لا تنبت ولا تتحقق إلا بوابِل المال الوفير والجاه العريض والسلطان النافذ والكلمة المسموعة.. دون أي التفات بما تكون عليه مجموعة نفس الإنسان من سمو أو انحطاط ومن تواضع أو إستكبار، ومن خير أو شر، ومن إحسان أو إساءة ومن عفو أو انتقام ومن إيمانٍ أو كفرٍ ومن أمانةً أو خيانة.

أجل هذا وهم كبير وظن شاطح لا دخل لعظمة المجموعة النفسية الإنسانية فيه فكم شخص واحد حقق بما أتاه الله من عظمة نفسية الأمجاد لأمته والمعارف والبركات وَأقربُ مَثَلٍ لديْنا صَقر الجزيرة الملك عبد العزيز آل سُعود ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنةَ لهؤلاء الأبطال الأفذاذ.

وكم في قول البوصيري من روعة في هذا الموضوع حين وصف رسول الله ﷺ في عظمة الشخصية الأصيلة بقوله

كأنه وهو فردٌ من جلالته في عسكرٍ حين تلقاه وفي حشمِ

معتقدات البشر

هبْ أَنَّ كلَّ عَالَمٍ مِنْ عوالِمِ الوُجودِ فيه مَنْ يعقلُ ويسمعُ ويرىَ ويتفكَّر ويتأملُ وَيَتَعَمَّقُ ويُقدِّرُ ويستنتجُ حتَّى تنكشفَ له الحقيقةُ في الشيءِ الذي يدرسُه فإذا إنكشفتْ له أعلنَها بإيمانٍ وأمانةٍ وشَجاعةٍ وعزيمةٍ وإخْلاصٍ . .

إذا وُجدَ عَالمٌ من هذا القبيلِ فيكونُ هو العالم الذي به تتقرَّرُ فيه الحقيقةُ وتحقَّق وتسودُ وتقودُ ولا ريبَ أَنَّ العالمَ الــذي من هذا الطرازِ العالي يرفضُ أن يعيشَ احياؤُهُ عيشةَ الحيوان . . أي لاَهمَّ لأحدِهم إلا أن يأكل ويشربَ ويُباشرَ عمليةَ بقاءِ النـوع . .

أجل يرفضُ أن تكونَ حياتُه نزوةَ إنْجابٍ ونَهمةَ طُعمةٍ: وكلُّ حَيٍّ مِنْ هذا الطراز العالي هو الذي يُشَيِّدُ التنمية الحضاريةَ الأصيلـة.

أجل إن الحيَّ المفكرَ البحَّاثة في أيِّ عَالمَ مِنْ عَوالِم الفضاءِ هو الذي يَدْرسهُ ويدرسُ كائناته الملونـة مِنَ المادِّيةِ والطَّاقية دراسة علميةً يقينيةً خشيةَ اخْتلاطِ دراستِه بالظنون والأوهام والفروض والأساطير . .

وإذَا اختلطتِ الدراسةُ بالظنون والأوهامِ أَضرَّتِ النَاشئةَ أبلغَ الأضْرار ورأيْتَ بَيْنَهمُ الأخْتلافَ والأحقادَ والصَّغار. وثمرةُ الدراسةِ القائمةِ على الفكرِ والعلمِ تلمِسُكَ أنَّ الْعوالمَ المتناثرةَ في هذا الفضاءِ الوسيعِ الفسيح قَائِمةٌ على عِلْمٍ شَاملٍ وقدرةٍ فائقة وإرَادةٍ حَاسِمَةٍ تهديك إلى الإيمان الصحيح.

ولماذَا يكونُ ذلك ما دام كلُّ بِنَاءِ العوالِم التكوينيةِ مُدْعمـةٌ بحقَائِق

العِلْم وَصَارخةٌ بِجَلالِ اللهِ الخالقِ العظيم وَقُدْرتِهِ وإرَادتِه المطلقة..

أي كلُّ دَارسٍ عِلميٍّ في أيِّ عَالَمٍ مِنَ العوالِم سْمعُ صرخةَ التكوين في كلِّ كَائِنٍ حادِثٍ تحيطُ به حدودُ الجهاتِ السِّتِ.. وحصرُ الكائِن الحادثِ في حدودِ الجهاتِ الست أمرٌ لا بُدَّ منه سواء كَانَ ماديّاً أو طَاقِيّاً.

أجل كلُّ ذاتٍ مَكَوَّنةٍ من المادة أَوْ كلُّ ذاتٍ مكونةً مِنَ الطاقةِ مهما كبرتْ أو صَغُرتْ فإنَّهَا محدودةٌ بحدودِ الجهاتِ الست ومحصورةٌ فيها.

ولا يخرجُ عن، حَصرِ الجهاتِ السِّتِ الملتفةِ حَوْل كلِّ كائنٍ خلا ذاتِ اللهِ رب العالمين. وهذا الحصرُ المحيطُ بجهات كلِّ كائنٍ مِنَ الأكوان حادثٌ بحدوثِ الأكوان. والله مِنْ ورائِهم محيط فهو وَحْدَهُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ ولا يحيطُ به شيءٌ ﴿أَلاَ إنهم في مِرْيةٍ مِنْ لقاءِ ربِّهِمْ أَلاَ إنَّه بكلِّ شَيءٍ محيط﴾ [٤١ - ٥٤]. أجل والله، لو ماثل الحوادثَ ربَّ العالمين، وخضع لإحاطةِ الجهاتِ السِّت خُضوعها، لكانَ حادثاً مثلها..

تعالى اللهُ رب العالمين
عن ذلك علواً كبيراً..

اتجاهات المعتقدات حَوْلَ حَقائق التكوين

وإتجاهاتُ المعتقداتِ حَوْلَ حَقائق التكوين ثلاثة ولاَ رَابعَ لَها.

الإتجاه الأول:

هو إتجاه المعتقدِ اليقيني العلمي الذي تُواكبُ نصوصُه المعتقدةُ حقائقَ عَوالِم الوجود: ما كُشِفَ مِنْها، وما لَمْ يكشفْ.

فاذا كانتِ النُصوصُ في وَادِ الأساطيرِ والأَوْهامِ والظنونِ، وَحَقَائقُ التكوين الصَّحِيحِ في وادٍ فاعلمْ أَنَّ الإتجاهَ بَاطلٌ وأسطوريٌّ وإفتراءُ وكذبٌ محض...

وَأَمَّا اتجاهُ المعتقد العلمي اليقيني فهو اتّجاهُ العلماءِ المفكرين الأحرار الأمناء أَيْ هو اتجاه المعتقد الذي يدينُ بحقيقةِ الموجدِ الحق للعوالم عامةً الله الذي أبدعها واتقَنَها صُنعا لا إلَهَ إلا هو.

وهذا المعتقد العلمي اليقيني الواقعي هو الذي شُيِّدتْ على قاعدته الحضارات المتطورة الصاعدة، حضارات الإيمان الصحيح بالله الخالق العظيم وحده. من أول الأديان السماوية إلى خاتمها الإسلام.

الاتجاه الثاني:

هو اتجاه المعتقد البُدائي الأسطوري الغريزي أو العاطفي ونظرةُ هذا المعتقد واتّجاهُه تنحصر في أَنَّ بعض أفرادِ الوجودِ هو الآله المتصرف الخالق لعوالم الوجود.

والفرد المعتقد أنه الآله الموجد للأكوان المتصرِّف إما أَنْ يتخذُوهُ مِنْ كائناتِ الْمادةِ كالإنْسانِ أو الحيوانات أو الجماد وإما أن يتخِذوهُ مِن كائناتِ طاقاتِ الروحِ: كالأَرْواح، والملائكةِ والجنِّ والشياطين أو الجاذبيةِ والأثير الظلام والنور..

وهذا المعتقدُ هو اتّجاهُ المشركين والوثنيين، وأصْحابُ هذا المعتقدِ أُسْطوريونَ مُقَلِّدونَ سُذَّجِ مُلَقَّنون مَا يَدينونَ به وليسَ في مَقْدورهم الإنْفكاك عنه. وإنْ كانُوا مِنْ أهلِ العِلم فهمْ ملاحدةٌ نَفْعيَّون إنتهازِيُّـون مُنافِقون والجميعُ لا يُبالونَ إذَا هُمْ رفضُوا حقائقَ العلمِ اليقيني لأن كشفَهُ ليسَ مِنْ هدفِهم بل هدفُهم التعميةُ والضحك على المُعْتقدين والعَبثِ بهم واللعب بالحبالِ على إراداتِهم وتوجيه حَيَاتِهم حسبَ ما يهوون..

وهؤلاءِ لا يبالون إذا رفضوا حقائقَ العلم اليقيني الذي يَكْشِف بطلانَ معتقداتِهم كما لا يبالون بالمعتقدِ العلمي اليقيني المنزل في خَاتِم كتب السَّماء القرآن المجيد. لأنهم أسْطوريون بُدَائِيُّون يروْنَ إيمانَهم بأساطيرهم هـو يقينُ العلمِ ويقينُ الحَقِّ ويقينُ الصدقِ وهؤلاء تحكم مجمـوعاتِهم النفسيةَ الغرائزُ أو العواطفُ ولو كان العقلُ هو الحاكم مَجْموعاتِهم النفسية لآمنُوا.

ولكنَّ عقولَهم لم تكنِ الْحاكمة مِنْ أجلِ ذلك يَظلُّون مُشركينَ ويظلونَ وثنيينَ ولا يُؤمنون إلَّا بأساطِيرهم وترهَّاتِهم ومفترياتِهم وخوارِقهم المزعومةِ المنبعثةِ عن الجنِّ والسِّحر والشياطين.

الاتجاه الثالث:

هو إتجاه معتقدِ الملاحـدة، والملاحـدةُ لا بُدّ أَنْ يكـونوا غـريزيينَ عُنْصريينَ ومأتى هذا الإلحاد: الإفتـراءُ والبهتانُ والغـرورُ والكبريـاءُ وَحُبُّ

المظاهِر والشهرةِ واشتعالِ النزوات ومكايدُ دُهَاةِ الدعاةِ الأبالسةِ القادرين على الإتصالِ بالشبان ذوي العقول السَّاذجة والشَّابات السطحياتِ أو المثقفينَ المُعْدمين المحرومينَ والتأتِي اليهم من ناحيـةِ ضعْفِهم والهيْمنَة عليهم بإنالتِهم مَا يَشْتَهونَ بالدَّسِ والخديعةِ والإحْتيال والاستهواء. أَوْ إعْدادهم للتسخير في المستقبل.

وهؤلاءِ الدعاةُ الملاحدةُ أكثرُ ما يكونون مأجُورين ومُعَـدَّين للدعايـةِ والخبثِ. وهؤلاء الدعاةُ لا يكترثون لحقـائِق العلم اليقيني الصارخ في صميمِ الأكوانِ ولا يحفلون به ما داموا عنصريين غريزيين.

بل كلَّ همِهم هو صرفُ عقولِ الشبان عن الفكرِ السَّليمِ والنظرِ السديد في مجال الواقع العلمي اليقيني فتراهمْ يُزيِّنون لهم النظرةَ الملحدة السطحية الساذجَة ولكن بعـد أَنْ يُلْبِسوهَـا ثَوبَ العلمِ والتحقيقِ والفكـر والحريّـةِ والإنطلاقِ والتَّجددِ ومنْ اجل ذلك يَزْعمون لهمْ أنَّ العوالم هيَ التي أوجدتْ نفسَها بنفسِها وما هي بحاجةِ إلى مُوجـدٍ أبداً، وقضيّـة الاعمار الكـونية المكتشفة وتعيين التكوينات العلميّة يعتبرونها وهماً أَوْمن صُنْع تطورات النواميس.

ويعتبرون التفكر في وجودَ الله الموجدِ للأكْوانِ بلادةً وأُسطورةً وهوسَ نَفْسٍ وَفكْرٍ وضُعفَ إرادةٍ وَجُبْن.. وَيلٌ لهم الف الف ويل..

ومن هذه النظرة المقلوبة الخبيثةِ انبثقتُ جَميـعُ المذاهبِ الإلْحـاديَّة الهدامةِ على تنوعِ بواعثِ إنشائِهَا وإختلافِ أسمائِها وَمُسَمِّياتها.. وأعدادِ الفلسفات لها التي يمكن أن تكونَ مصائدَ للعقول الغضةِ السَّاذجة وأدْهى مَدخَلٍ مُزَيَّن بكلِّ المغريات التي تجعلُ السَّطْحِيينَ يتهافتون إلى إعْتناقِ مَبادِئها الهدَّامةِ المجرمةِ التي تُسيطِرُ على مجموعاتِهم النفسية باسْمِ إنالتهم كل مطالب غرائزهم وناهيك بتأثير إنالة مطالبِ الغرائز انها تجرُّهم على وجوهم جرّاً حتى ولو كان الأمر في أوله مِنْ باب الإفادة ولكن بعد ذلك يَتَحوّلُ بجدٍ وتضحية

ونضالٍ كما هُوَ مُشاهدٌ. وبذلك يُساقون إلى المجازر مِنْ حيثُ لا يعلمونَ وهمْ يَحْسبونَ أنهم أبطالُ مجاهدون عَباقــرة.

ومَهْما يكنْ فهم يُضِيفُونَ إلى نُيْل مَطالبِ الغرائِزِ الوقح العاطفي المتقد باسْم نيلِ الألقاب والزهو بِهَا.

وكم وكم هم الذِّين ألْحدُوا باسْمِ الألقاب كالمفكِر الحُرِّ والفيلسوفِ البحَّاثةِ والمُجَدّد العبقري والنّاقد الجريء وما أشبه ذلك وَمأتى كلّ ذلك طيش مِنَ الطيشِ وزينة ظُلْمانية في أعماق النفس. وتأثير إجْراميٌّ بـاغ مُجْرمٍ هدَّام.

وويلٌ لهؤلاءِ الملاحدةِ أمَا يَسْمعونَ منطقَ حَقيقةِ الوجود الصَّارخةِ إنَّها سِرُّهُ الْمعلن وهتفةُ الروحِ العلمية اليقينية..

فيا هؤلاءِ انْظُروا بِعَيْنِ يقينِ العِلم ثم ارْهِفُوا أَسْماع قلوبكم فـإنكم تَسْمعون صدَى صَرْخةِ منطِقِ الوجود دَاوِية داوية في أعماق مَجْمُوعاتِكم النفسية.

«سبحانك سبحانك يا الهي.. إن هي إلا عوالمك وبعض آيات علمكَ وإرادتك وَصُنْعِ قُدْرتك المطلقةِ ولا يحيطُ بكل علمك وبكل إرادتك وبكل ما لقدرتك من إمكان الصنع سواك فأنت أنت وحدك العليمُ المريدُ القديرُ سبحانك سُبْحانك يا مَنْ لك الخلقُ والأمر من قبلُ ومن بعد.

(مهالك اشْتعالِ النَّزواتِ)

لا شيءَ أهولُ، ولا شيءَ أفْدحُ، ولا شيءَ أقتلُ لحريةِ الفكر. وسموِّ الإرادةِ مِن اشْتعالِ النزواتِ لحاكَ اللهِ يا إشتعالَ النزواتِ إنكِ تُقوِّضين برجَ العبقريةِ، ولوْ أنَّها تظلُّ ظِلالُهُ رُبى الخُلد... لحاكِ الله يا اشتعالَ النزواتِ. إنكِ قاصفةٌ للأعمارِ الغَضَّة والأنْفسِ الرَّطبةِ والأُمنياتِ الحلوة.

لحاكِ الله يا اشْتعال النزواتِ إنك زلْزالٌ مُدَمِّرٌ للحياةَ تَقْتلِعُها اقْتلاعاً باسْمِ اللذة الخادعة... وتسحقُها سَحْقاً حتى تُحوِّلُها رماداً تتخاطفه الأعاصير وتُدِمِّرُه الزلازلُ.

تخيلْ يا صاحبي منظر العِمْلاقِ الجبار الذي ينتزِعُ قرصَ الشمسِ مِنْ أفقِه الأعْلى ويطرحهُ وراءَ ظلماتِ الغروب غيرَ رَاثٍ للدمِ الأحمر الذي يسيلُ سَيْلاً علَى أطرافِ السُّحُبِ ولولا الظُّلماتِ التي تُسَجِّيهِ لظلَّ يَزْحَفُ متهالكاً مِنْ هنا وَمِنْ هنا هذا المَنظرالمتخيل ذاتُه ندٌّ للنزوات الشاعلةِ حينَ تنتزِعُ نضرةَ الشباب وزهْوِهِ وتقذفُه في حَفائِر الهواءِ الأصفر.

وأنتمْ يَا شبانَ المجدِ. احْذرُوا الف مرةٍ طغيانَ زوابِعِ النزواتِ على إرادتكم إنَّها غَدارةٌ مبيدةٌ كافرةٌ إنَّها كالرياح العاصفـة المدمرة.

﴿ما تَذرُ مِنْ شيءٍ أَتتْ عليه إلاَّ جعلتْه كـالرّميم﴾ [٥١ ـ ٤٢]

وإذَا شِئْتم أَنْ تلمسوا الأمثالَ الصَّارخَة لمهالك النزوات الكافرةِ الشاعلةِ. فانْظرُوها في إهلاكِ ثَمودَ وعادٍ.

﴿فأمَّا ثمودُ فأُهْلكُوا بالطَّاغية﴾ ويا هولَ الطاغية إنها صحيةٌ تُصِمُّ الأذانِ وتردي وتردي. [٦٩ - ٥].

﴿وأمَّا عادٌ فأُهْلكوا بريحٍ صَرْصرٍ عَاتية﴾ [٦٩ - ٦]. ولاَ جائحة أعْتى مِنْ إباحةِ النزوات العاتيةِ الفاجرة إذا غَشِيَتْ غَواشِيها وعصفتْ عواصفُها، إنها تُدَمِّرهم أفجعَ التدمير وَلاَ عَاصَم.

ولا يحسبُ المطالعون أنّي أتحدثُ عَنْ عوالِم العفاريتِ إذا قُلتُ: إنَّ مهالكَ النزواتِ العارمةِ الفاجرة أَهْولُ مِنْ مهالِك ثمود وعاد.

وَحذارِ حَذار منها فهابَّاتُها لأول مرةٍ نَاعمة مسكرة طَروب ونهَايتُها - عُذْ بالله - فإنها تقتلعُ الجبال الرواسي بوحشيَّةِ الدناميت وَتطْحنُهَا طَحْناً، فَمَا بالَكَ بالأغصانِ الَّلدنَةِ الرطبةِ فان أيسرَ ما تَسْمَعُه «رحمهم الله رحمهم الله». هذا ما كَسَبْتهُ أيديهم.

وكم هُمُ الشباب الذين يَجْهَلون أَنَّ سموم النّزوات الفاجرة العارمة تُيَبِّس الشَّرايين بنعومة غافية سَكْرَى، ونغماتٍ حَالمةٍ وَلْهىٰ حتى تخطفَهُم خواطفُهَا، وتطرحَهم وراءَ غَاباتِها كأنَّهم أعجاز نخلٍ خَاوية. أو كرماد تطارت به عواصفُ الرياح الى أَسْدافِ الرَّبْع المهجور وما تكون يَا هوْلَ النزواتِ الفاجرة الشَّاعلةِ ما تكونُ أمَا تحجزُكَ أسْوارُ الصروح الشامخةِ عن الشباب.

أما تَصُدُّك المفَاتنُ المتدَاعية عن الشَّبابِ. أما يكفيك الصمم والعمى وكم يَلْقون سَكرات الحمام في سَكرةِ النزوات ويطلعُ الفجرُ بهم أسود حالكاً وحولَهم كالْوردِ الباكي الجاف ومِنْ بَعيد ومَنْ أبعد تترامى صرخاتُ الشُّبانِ غير المؤمنين، النجاةَ النجاةَ مِن المهالك ولا نجاةَ بغير هُدىً مِنَ اللهِ وبالْهدَى يُعرضون عن الكلِل الشفافةِ وما وراءها وأيُّ شيءٍ وراءَها سوى

المهاوي السحيقةِ المدمرةِ مِنْ نَزواتِ الإباحةِ الكافـرةِ ولديْهـا الْثاكـلاتِ يَحْتشدْن ويندبْنَ الفَراهةَ المصوَّحةَ والبهجةَ الكابيةِ والفتنة الذابلـة.

هيا هَيَّا يا فجرَ الشباب فهذه نفحات الخلدِ، وزيناتُه تلاقيك في ظلالِ غَضَارتِه الناعمة الدَّفاقة بالدماءِ الحارة فاحذرِ الإفراط الفاجر فانٍّ فيه نزيفَ الزمهريرِ الذي يرصدُك ويطرحُكَ في مغاور القطبِ جثةً هامدة تحتَ ركام جليدِه. ولا عودة للدماء الحارة بعد امتصاصِ الغوايةِ الشَّرهةِ لا عودةَ أبداً أبداً إلَّا بصدقِ الْتِزامِ الكتاب، وكم في التزامِه من أمجاد وسلامة وبركة.

يا شباب حذار حذار أن تجف دماؤكم فإنَّ جفافَها جفافُ لعزائِمكم وزعزعةٌ لحضارتِكم وبكلٍّ ما للحضارةِ مِنْ علمٍ وأدب وفن وسعادة.

يا دماءَ الشباب احذري أن تنصبي في غير الصُّعود إلى سُدةِ المجد. أصعدي قبلَ أن تَجفِّي فإنّ جفافَك جفافٌ لعزائِمكم وزعزعةٌ لمُستقبلكم وسطحيةٌ للمعرفةِ والأدب والفن وتقويضٌ لأُسُسِ حضارتك يا دماءَ الشباب إحذري الملاحدة العُنْصريين الهدامين الخائنين احذريهم.

وكم وكم صوَّحتْ النزواتُ مِنْ عبقرياتٍ ناشئةٍ عَجَب وأعمت بصائرها وسدّتْ مسامعَها وما تركتها حتى حصدتها حصدَ العصفِ المأكول.

فويل الف ويلٍ للمكذبين إنهم عن مجدِ الإسلام والعروبةِ لمعزولون.

لن تنجح أمة بدون التزام

هذا منطق كل نهضة ناجحة.. وهذا منطق النهضة الإسلامية الحديثة التي قام بها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز آل سعود وجمع بها شمل أهلها الممزق ووحدهم وأزاح عنهم بلايا الإنحطاط والتخلف.

هذا منطق الإلتزام العملي الحاسم ولولا التزام الأكيد، ومنطقها العملي الحاسم لما نجحتْ هذا النجاح الكبير المشرق. والكلمات وحدها لا تقدم ولا تأخر في تحقيق النجاح.

لان الكلمات وحدها بمثابة الجثث الميتة. والأفعال بمثابة الأرواح التي تنفخ فيها الحياة والحركة والإرادة الحرة..

وبلادنا اليوم تتمتع بأعمال النهضة الحديثة ذات الأمجاد لأنها تسبق أفعالُها الأقوال في كل المجالات.

ألا ترى أنه مضى على العرب في كل أوطانهم ما يكاد يبلغ القرن وهم يتنادون لوحدة كلمتهم ويهتفون بأمجادها ويتغنْونَ في النوادي وينظمون لها الأناشيد الدساسون الدساسون.

ومع ذلك لاتزال الوحدة أسراباً من حمائم السلام تلوح في غيوبِ الأقدار من بعيد، وكلما لاحت أخفتها نَزَعات العنصرية اللعينة والنزاع الأقليمي الفاجر الدساسون الدساسون.

وما أكثر الذين يتحدثون عن مزايا الإجتماع وأمجاد وحدة الكلمة ومنافعها

وأمنها ورغد عيشها يتحدثون بلهب البراكين ولكن بدون أدنى عزيمة وتصميم وتضحية وفداء. . لأي أمر جامع.

ولولا الدخلاء المدسوسون في أوطان العروبة لما بلغت مهازل العنصرية الممزقة إلى هذا الحدّ مِنَ الصّغارِ البشع الهدام ألَا تُشاهدهم يُوَحِّدونَ الكلمةَ بألسنتِهم المتحمسة نِفاقاً، ويمزقونَها بأفعالهم الخاسرةَ أيْديَ سَبَاً غيرَ مكترثين.

وأقول. بكل صراحة وبكل حق وبكل صدق إذا لم تقم أعلام الوحدة الجامعة بشوكة الملك الجامع الإمام عبد العزيز ظلت أسراب حمائم بيضاء ترف في سراب محل وتغيب وتغيب. .

نحن لا نرضى أن تكون وحدة أمة جامعة لها وزنها الكبير في التاريخ تتحكَّم في مصائرها العنصريةُ الباغية وتحولها إلى أطياف يَتغَنَّى بها الشعراءُ عزاءً وسلواناً مِنْ فجائع التمزيق ومآسيهِ وزلازله.

وتحولها إلى هتافات وخطب ومحاضرات في الأندية والمجامع ومؤلفات تحتشد في المكاتب يفيد منها العدو الهادم. أكثر مما يفيد منها الولي الباني.

وإذا أصبحت وحدة كلمة الدول العربيةأقوالا تتبع أقوالاً عرمرماً ولا تصميم لها في إنفاذ المواثيق الجامعة، فإنها تكون كمثل الذين يخططون امانيهم الحسان وأحلام أمجاد مستقبلهم على رمال الصحراء لا يلبث من ساعات البقاء سوى هبة ريح تعصف بها عصفاً.

يا سادة إن وحدة النهضة العربية الإسلامية التي بني بنيانها ودعم دعامها وسمكها سَمْكاً في قلب جزيرة الضاد الملك عبد العزيز آل سعود. . لم يقمها بالكلامِ أبداً. بل أقامها على الأفعال والكلام فيها قليل جداً

ومحدود جداً . .

وما جدوى كلام الوحدة التي تَفْقدُ روح الوحدة. ولن تكون حياة بغير روح اجل أقام الملك عبد العزيز الوحدة في قلب بلاده جزيرة الضاد المقدسة بلوازم الدستور الآلهي المقدس فلله هي من وحدة كانت عجباً من الأمر قامت على هدي الله ورسوله والسلف الصالح وهٰذا أبدُها.

وأفهمهم أن الوحدة إذا خلت من لوازم وحي الله فأن مصيرها إلى هباء ولا غناء في تمجيد الوحدة بالكلام ولو كان الكلام الصرف يحي أمة ويمنحها الحرية ويوحد كلمتها لأحي الصين حين كانت مستعمرة انجليزية وكانت ميتة بالكيف من الأفيون وكانت ممزقة وما كان أكثر ما تكلمت بكل ذلك . .

وأنتم يا زُعَماءَ العربِ إنَّ وحدتكم لن تتحقق ولن تتم إلا بالتزام الأعمال التي سلكها صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بالإسلام لا بالفلسفات الجوْفاءِ ولا بكلمات الإجتماع الرنانة ولو جاءت ملء الخافقين وفي عدد نجوم السماء.

أجل لن تتم للأمة العربية في سائر أوطانهم وحدة عملية مشاهدة ماجدة على أيديكم إلا بالتزام قوله تعالى:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكنْ منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيناتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾ [٣ - ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥].

السعادة والشقاوة ومنابعها في عوالم النفس

الكلمة الأولــى

السعادة: سكينةُ المجموعة النفسية ومَسَرَّتُها بما هي فيه، أو بنيلها بما تطمع إليــه.

الشقاوة: قلَقُ المجموعة النفسية وحزنها، مماهي فيه وإخْفاقها في نيْلِ مَآرِبها.

والسعادة والشقاوة مراتب:

١ ـ فأعلى مراتب السعادة مرتبة الإيمان الصادق، وسعادتها أبدية، ولذّاتها ومسراتُها تلازم الإنسان في حياته ولا تحدّ بحدود المادة الزائلة..

وأهونُ ما يضحِّي به صاحبُ سعادة الإيمان هو المادة الزائلة. لأنها لا سلطانَ لها على نفسه...

وأسعدُ سُعداء الإيمان الصادق هم رُسُــلُ الله وأتباعهم المخلصون. صلوات الله وسلامه عليهم..

وسعادةُ الإيمان الصادق، لا تُجَافي متعَ الحياةِ الدنيا الْمَشْروعة، وإنْ كانت زائلة، لأنها داخلةٌ في صميم الإيمـان، وقواعـد السلوك الإنساني السّامِي.

وما كانت سعادةُ الإيمان الصادق أَعْلى مراتب السعادة إلَّا لأنها مشتملة على إيثار حبِّ الله ورسوله والجهادِ في سبيلِه على كل حب...

٢ ـ وأدنى مراتب السّعادة:

هي سعادة الإنسانِ الغريزي بمتَاع غرائزه المشروعة إنْ كانَ من أولي الخير. وما كانت سعادةُ الغرائزِ دُنْيا، إلاَّ لأنها محـدودة موقـوتة وشيكـة الإنقضاء..

والإنهماك بمتاع الغرائز يعجل عُطْلَ الجسد!!.

والإنهماك الفاحش يعجلّ إعدامه الخاطف!!.

والحق أن لذة الغريزة متَاعٌ، وليست سعادة. لأن السعادة تدوم. وفي ذلك جاء نَصُّ الوحـي المعجز.

﴿زُيِّنَ للناس حبّ الشهوات من النساء والبنينَ والْقنَاطِير الْمُقنطرةِ من الذهبِ والفضة والخيلِ المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا والله عندَهُ حُسْنُ المآب﴾ [٣ ـ ١٤].

خذ مثلاً خُطْوةَ غريزة التملك، مهما طال استمتاع صاحبها بثـرائه ـ حسب زعمه ـ فمآله ومآل ثرائه الزَّوال... وهذا شأن متاع غريزة الجنس وسواها.

١ ـ وأعلى مراتب الشقاوة:

هي شقاوة التكذيب بحقائق الإيمان اليقيني الصادق فشقاوتُه العذابُ الْمقيم:

﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ [٩٢ ـ ١٤].

﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ [٩٢ ـ ١٥].

﴿الذي كذّب وتولّى﴾ [٩٢ ـ ١٦].

٢ ـ وأدْنى مراتبِ الشقاوة:

شقاوةُ الحِرْمانِ من مُتع الغرائِز الْمُبَاحة الطَّفيفة.

عَوالمُ النفس:

النفس الإنسانيّة رحبة رحبة، وعوالمُها شتَّى وكثيرة وأَهمُّ عَوالِمها: عالمُ الغرائز، فالعواطفُ فالعقل:

١ ـ الغرائز:

هي الفِطرُ المغروزة في أَعْضاء الذات المادية: وأعمالُها مبنيّةٌ على علم الله مكونها وملهمِهَا وهي ذات نظام دقيق. لا خلل فيه، ولا تخلّف، سواء في عالم الإنسان أو في سواه من عوالم الكائنات الحيوانية: وذلك أشبهُ ما نشاهده في عالم الإنسان الألِكْتروني، وغرائب أعماله.

وميزةُ الإنسان أنه يعلمُ أعمالَ غرائزه، وبواعِثَها في ذاته والذوات الأُخْرىٰ، وعلمُه ناجمٌ عن الْعقلِ، فإذا فُقِدَ العقلُ تساوى الإنسانُ والحيوانُ بعدمِ العلمِ بها وشَاهدنا ذلك في المجانين.

والغرائزُ ينابيعُ دافقةٌ بالسعادة والشقاوة: فنيلُ مطالبها سعادة، وفرح للإنسان، وحرمانُهَا شقاوةٌ وترح له... وكم هم الذين صرعتهُم الآلاَمُ والأحزانُ وانفعالاتُ السخط لحرمانهم مطالب غرائزهم...

تذكَّرْ مطالب غريزةِ الميل الجنسي، أما تراها تصرع صاحبها إذا شَبَّتْ واتقدتْ وهاجتْ وماجت وما كتاب مصارع العشاق عن المطالعين ببعيد.

وفي عصرنا كم من مصارع مهْولةٍ مِنْ فوق الأسطحة، ومن خلف الستائر..

وهذا شأن غريزة التملك، فسعادتها في حيازة الأموال، وشقاوتها في

حرمانها. وحرمانُها إنفعالاتُه مُحَطِّمة ومهلكة لدى الموثق بأغلالها..

وتحدَّث شيخُ كتاب العرب ـ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي: عن رجل كان يملكُ قصوراً عدة، وقد شاهد بعين غريزته أحدها يحترق فجنّ... ولو شاهده بعين عقله، لعلم أن لَوْ احترق الشطر من قصوره لَبقيَ الشطر، وَلأسبغ عليه، وعلى من يعول رغد العيش، ولو عاش وعاشوا ألف عام...

وهذا شأن الإنسان الْبُدائي المحدود، يقذف بحياته في عُرام غرائزه الهوجاء، وفي هياج عواصفها النكراء، حتى تقضَي عليه إنفعالاتُها وهواجِسُهَا وبلابلُها..

ولو اعتصم بيقظة الفكر، إعتصام الإرادة الحيّة الصّارمة بهدفِهَا لأُفْلت من عُقدِ غَرائِزِهِ وحطَّم أغلالَها وعاشَ إنساناً إنساناً...

والواقع أن تفاقم الغرائز ووقد انفعالها، وفتكه القاسي: لا يستبدّ ولا يهيج ولا يثور إلاَّ في أنفس السذج وأوشاب العامة وأغرار المثقفين الشاذين..

وكم وكم قضت الغريزةُ على مواهب شابّة متفتحة نابغة، وما كان أعظم إفادتهم منها لحضارةِ أمتهم، وثقافتها، وأمجادها لو لم تطحنهم رحاهَا طحن هذا المصير الغريزي الفاجـــع..

وحقائق الغرائز وثمراتها واحدة ولا خلف فيها. إنما الخلف في قوتها وضعفها، وفي زيادتها ونقصانها في مَجْموعة نفسيَّات الكائنات الحية...

٢ ــ لعواطف: هي أحاسيس وجدانيّة إرْثيَّة غير غريزية تختلف ما بين إنسان وإنسان، لأنها ناجمة عن إيحاء تربويّ منزليّ، وتثقيفي عام وخاص. وعن توجيه

قومي وعقائِديّ مُركزِ خاص.

والعواطف إذَا إتَّقدتْ، وتطاير شَررُهَا تهيمنُ على المجموعة النفسية بسلطانها شأنها الغرائز وبالحري إذا كانت هي المنفردة بالحكم.

وحينئذ تستطيعُ أن تُسَخِّرَ العقل بالباطل ليساندها إذا انحرفت. ولكنها لا تستطيع أنْ تسخِّرهُ بالحَقِّ من أجل ذلك لأنَّ الحق في مناعة أبدية، بدلائله العلمية اليقينية..

والعواطف كما تكون ينبوع سعادة ومسرّة ويُسرٍ تكون ينبوع شقاوة ومساءة وعسر.

خذ مثلاً عاطفة القومية، أو الحزبية العقائدية أو سواها.

فالإنسان العاطفي: تارة يكون مزدهراً سعيداً، إذا كان مرفوعاً بسبب عاطفته، وتارة يكون ذاوياً شقياً، إذا كان مخفوضاً بسبب عاطفته..

ولا أزالُ أذكر أني كنت أرى بعض زعماء الحزب القومي السوري أبان قوة حزبهم فرحين سعداء، فلما إنقضت عليهم صاعقة النكبة في ساعة غافلة، وحشرتهم في سجن الرمل في ضاحية بيروت، وكنت يومئذ موظفاً من قبل الأوقاف الإسلامية لإلقاء بعض الكلمات الدينية الموجهة إلى الخير والإنسانية والتسامح والمحبة... الفيتهم واجمين ساخطين. وذلك بعد صدور الحكم على بعضهم بالإعدام، وعلى بعضهم بالسجن مدداً متباينة بين الطول والقصر.

هذا وضع العواطف تورث اهلها النشوةَ والسعادة في يوم فراهتها وشوكتها، وفي يوم ذبولها وضعفها تورثهم الانفعالات الساخطة والبلابل المردية وما أَحْرىٰ بالمؤمِن أن يكونَ مع ربّه وبعيداً عن كل ذلك.

٣ ـ الفكر:

هو: أرقى درجات الإحساس المدرك لما هو قائم عليه تكوين الكائنات من علوم ظاهرة وخفية. وهو أقدر مكتشف للخفيِّ منها وأعمق مُسْتوعب لها. وأدق مميز بين اليقينيّ منها والظني والخرافي والمفروض فرضاً.

ومَجالُ الفكر، لا ينفكُّ صَاعداً بينَ أفراح الحياة ونواضرها. أَوْ هابطاً بين أحزانها وذوابلها. .

وما يعيش في نواضرها وأفراحها إلا العلماءُ المستغرقون في دراساتهم، السعداء بما يهتدون إليه من حقائق العلوم اليقينيَّة. .

وهؤلاء لن تَمَسَّهم الغرائزُ الأرْضية وعواطفها بلسعاتها المسمومة، وبلابلها المحمومة، بحكم تحليقهم في آفاق الفكر النيِّر الصافي. . واشتغالهم بالمعارف العُليا، وفرزهم لحقائقها اليقينية من ظنون البشر وأَوْهامِهم وخرافاتهم وأساطيرهم وسوء نواياهم.

مراتبُ الانفكاك من شقاء الانفعال النفسي وأَحْزانه

يجبُ على الشخصِ المنفعل الساخط المتوجع إذا كان من أهل العلم أن يدرس هو مصدرَ انفعاله وسخطه وتوجعه. وإذَا لم يكن هو من أهل العلم فهناك علماءُ نفسيون يقومون بالدرس والمعالجة اللازمة أحسن قيام. .

وحرام أن يهملَ نفسه بينَ يد أفراد مجموعته النفسية تهب عليه من هنا وهنا أهواؤها العاصفة ودواهيها القاصفة لتهوي به في مهاوي الأهوال المتلاحقة المهلكة. والعلاجُ مفروضٌ والإهمالُ إنتحار والإنتحار يأسٌ واليأس كفر. .

(١) فان وجد نفسه بعد متابعة العلاج أو وَجَدَ مَنْ يُعالجها أن مصدر

نَصبه ووصبه وانفعالاته المحطمة هو غريزة من غرائزهَا فما عليه إلا أَنْ ينطلقَ إلى سواها من غرائزه. أو ينطلق الى عاطفة من عواطفه، وفي الإنطلاق نجاة من ضغط حرمان الغريزة أو لذعة تخمتها وما أهول ذلك ولئن كان الحرمان أسى فإن التخمة نار أول ما تحرق صاحبها..

(٢) ـ وإن وجد أن مصدر انفعاله وتصوُّرَاتِهِ عاطفة من عواطفه السائدة والعواطف شتّى وإنفعالاتها وتصورَاتُها شتى خذ مثلاً العواطف الفنية فإن وجد المنفعل المدنف المعذب أن عاطفته الفنية هي سبب إنفعاله ودنفه وعذابه فما عليه إلا أن ينصرف إلى عاطفة أخرى أو غريزة أو فكرة. ويكونُ هذا الإنصراف فيه الدواء الكافي الشافي بالتجربة والممارسة وعوالمُ النفسِ كثيرةٌ فإنْ اخْتنقَ في عالمٍ فَلْيَنْطلق إلى آخر.

فإن ترك المدنفُ الأمر يتفاقم يوماً فيوماً ولم يوطد نفسه على طلب الشفاء والسلوان ذهب ضحيةَ إهماله وما أكثر ضحايا الإهمال..

(٣) ـ وإن وجد المدنف أن تفكيره وما يسهد في بحثه من علم هو سبب دَنفه وغمه كالذي يحصر دراسته في تحويل المعادن!!. لتحويل النحاس إلى ذهب فيخفق ويضوى ويضمحل فما عليه إلا أن يقلع بتفكيره متجولاً في أرجاء نفسه وما أكثر عوالمها وما أفسح ارجاءها وفيها انطوى العالم الأكبر، فإنه لا بدّ أن يظفر بما يوقظه، ويؤنسه ويذهب بوحشة نفسه وانفعالاتها السَّاخطة..

وقديماً قال الخليفة المأمون:

لا يصلحُ النفس إذْ كانت مدبرة   إلا التنقل من حال إلى حال

والإرادةُ الإنسانيةُ المثقفة الواعية النافذة لا يستعصي عليها الإنفكاك من حال من أحوال غَرائِزهَا أو عواطِفها أَوْ تفكيرها إلى غيره.

إذا ظهر أَنَّ ذلك مصدر توجعها وبلبلتها، وكيف يستعصي عليها ذلك. ووعيها الإراديُّ المثقف النافذ في استطاعته أن يهيمن على أي وازعٍ نفسي مهما تمرد وتفاقم وسيطر.

والإنسان الإرادي المثقف يفطن للفخاخ، ولا يصاد. وإن دسها خادعوه المجرمون في منعطفات مجموعته النفسية وجللوها بأفتِنَ جواذب النفس، وأَعْلِقها بلهفاتها وأشواقها. وهو حرب على الظنون والأوهام والأساطير. .

السعادةُ والشقاوة ومنابعها في عَوالم النفس

الكلمة الثــانية

واضحٌ أن منابع السعادة والشقـاوة، هي في صميم عوالِم مجمـوعةِ الإنسان النفسية، وواضحٌ أنَّ الإنسان إذا كان إراديّاً مُثقَّفاً واعياً يستطيعُ أَنْ يسيطرَ على مجموعته النفسية، ولا يدعُ غريزةً من غرائزه أو عاطفة من عواطفه، أو فكرة من أفكاره تستبد به، وتفسدُ عليه التوفيق والسَّداد في كل ما يأخذ به أو يدع. والحق أنَّ الإنسانَ الإراديَّ هو الذي يعرفُ كيف يحقق السعادة لنفسِه وأُسْرتِهِ وأمتِه..

ويعرفُ كيف يحطم الفِخَاخ التي تدس له في طريق حياته لتحطيمه، وهي في واقعه لن تكونَ سوى أشباح فخاخ لا أثر لها. لأنه لا يجهلُ أخلاق الذين يتصلون به من قريب أو بعيد، ويتعمق مَسالك مقاصدهم الأساسية الـداخليـة والخــارجيـة، ومــدَى صـدقهم وكــذبهم، وعفتهم وطمعهم، واستقامتهم، واعوجاجهم، وحسن نيتهم، وسوئها وحبهم للعلم أَوْ كَراهيِّتِهم له..

ولايزال التاريخُ وتاريخُ الأدبِ خاصة يحفلُ بأمجادِ عبد الرحمن الداخل الأُموي، ويتغني بعمق وعْيِه، وصرامةِ إرادته، وحسنِ سياسته، وسموِّ منازعه إذ اسْتطاع أن يخلص إلى الأندلس، بعد أن فَرَّ من دِمشقَ طريداً شريداً، تتعقبه الأرصادُ في كلِّ مكان وفيها إستطاع أن يؤسس الدولة الأُموية الغربية بعد إنهيارِهَا في الشرق...

وأن يكونَ رائدَها الأول وسامكَ قواعدهَا ورافع بنيانها، ولايزالُ أدباؤ نا العباقرة يمجدون البطولَة العربية في شَخْصه، ومضاءَ الإرادة وعبقري نزوعها السامي في بِناءِ أمجادِه العظيمة الخالدة. . .

وقد حاولَ أعداؤُه أن يقذفوه في مَوْقِد غريزةِ الميل الجنسي، فجاءوا إليه بأجملِ نساءِ عصره ليحرقْنَ عزائِمَه الشاعلةَ، ويحوِّلْنَها إلى رماد.

ولكنَّه فطن للمكيدةِ فصرفهُنَّ بإباءٍ ولطفٍ، واستحق بجدارة أن يُلقَّب صقرَ قريش.

وهكذا استطاع الصقرُ العظيمُ أن يشيدَ الملك العظيم الذي أصبح أعجوبة التاريخ العربي، وعكاظَ أدبائِه في عصرنا الحديث. . .

فهذا أميرُ الشعراء نَفَح الأدبَ العربيَّ نفحةً عبقةً خالدةً في موشحه النديّ النَّضْر. . الذي يقولُ في مطلعه المترنم:

مَنْ لنِضْوٍ يتنزَّى أَلَما بَرَّح الشوقُ به في الغلس
حَنَّ للبانِ وناجَ الْعَلَمَا أينَ شرقُ الأرضِ من أندلس

* * * *

بُلْبلٌ علَّمه البينُ البيان باتَ في حَبْل الشُّجونِ ارْتبكَا
في سماءِ الليلِ مخلوع العنان ضاقت الأرضُ عليه شَبكا
كلما استوحش في ظِلِّ الجِنَان جن فاستضحك من حيث بكا
ارتدى برنسَهُ والْتثَمَا وخَطا خطوةَ شَيْخٍ مُرْعِس
ويُرَى ذا حَدَب إنْ جَثَما فإنِ ارْتدَّ بدَا ذَا قَعَسِ

ويَنْتقلُ بعد ذكر نفسِه وغربته في الأندلسُ، إلى إلفات نظر الشباب إلى ذكر الأمير عبد الرحمن الداخل الذي خلد ذكر اسمه بالعجب العجاب من أعماله الماجدة، ليكونَ لطموحهم حافزَ بطولة وأمجاد، وتصميمَ إرادةٍ

وإقْدام، وإعراضَ إبَاءٍ عن اللهو الخاسر الـذي يفقدُ بكـل تأكيـد شرفَ الخلودِ، وتحقيقَ شرائِف الأعمال. . .

فيقـــول:

يا شبابَ الشرق عُنوانَ الشبـاب   ثمـرات الحسب الـزاكي النميـر
حسبكم في الكرم المحْـضِ اللباب   ثمـرات تبقى بقــاءَ ابْنيْ سَميــر
في كتاب الفخر «للداخل» باب   لم يلجْــهُ من بني الملك أميـر
في الشموس الزُّهرْ بالشامِ انتمى   ونمىٰ الأقمــار بــالأنــدلس
عَقَـدَ الشــرق عليهم مــأتمَـا   وأنثنى الغــربُ بهم في عــرس

وكلَّ الذي أقصده في كلمتي هذه هو التنويه في أدبنا الحديث بمواهب الأمير عبد الرحمن الداخل العبقرية، وسمو إرادته الفولاذية «المهيمنة على مجموعته النفسية» لا استقصاءَ سيرته الرائعة. .

وهذا ما فعلتُه في الإشارة الى موشَّح علامة تونس الكبير، وشيخ الأزهر الشريف الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.

أنظرْهُ فإنك تجده من الفه إلى يائه يمجد الإرادة الفولاذية الفذة التي كان يتمتع بها الأمير عبد الرحمن الداخل، والنفس الحرة الصابرة المُقارعة للأهْوال بعزيمة وجلد:

خـل نفسَ الحـرِّ تَصْلىٰ التُّـوبَـا   لا تبالي
ليستِ الأخــطار إلا سببــا   للمعالـي
يــا مكبا بين ظبي أدعجــا   ومهــاة
إنمـا الهمـة في حِجْـر الحجىٰ   كالنبات
أفـلا تـذبـل إذ تقضى الـدجى في سبــات

فــاذابِتَّ تجـاري الـكــوكبـا فـي مـجــال
كنت كــالضـرغــام يَمْشي الْهَيْـدبــا للنــزال

ويضرب علامةُ تونس في موشحه هذا المثل بالداخل للنوابغ الذين يسهدون لتحقيق الأمجاد لأنفسهم وأُمتهم. ذلك لأَنَّ اليأسَ لا منفذَ له إلى نفوسهم ولا مستقر...

خـاطرُ اليـأس لدى بَـاغي العلا غيرُ سَائغ
إنْ تـوخّى عبقـريٌّ أمــلا فهو بالغ
وحيـاة الصَّقْـر أَرْقىٰ مثــلا للنوابــغ
إذ بــدَا في «ديــر حَنَّـا» وشبـا كالـهلال
وليـالي الشـام في عَهْـد الصبـا كاللآلــي

وهكذا استطرد في مَوَشَّحِه هذا مجملَ سيرته وما لحق بأسـرته من الدواهي، وما حققه من استعادة مكانتها..

والحقُّ أَنَّ عبدَ الرحمن الداخل أصبح مثلاً يضرب للذي يستطيعُ أن يُحقِّقَهُ الشاب العربي الطموح من أمجاد، ووفور ما يمكن أن يشيـد من صروح المفاخر إذا أراد.

وآخرُ مؤلف ظهر «كتاب عبد الـرحمن الداخـل صقر قـريش الذي أصدرته دار العلم للملايين».

وكم تحدث شيخ العروبة العلامةُ أحمد زكي والأستاذ الكيلاني وسواهما خلق كثير. عن هذا العربي البطل العبقري العَلم.

ولو أن هذا الصقر العظيم، كان غريزياً أو عاطفيّاً. ولم يكنْ ذَا عقل إراديٍّ وَقّادٍ مُتفجّرٍ بالحكمةِ وبعدِ النظر، ولَوْ لم يكن ذَا تصميم مُحْكم مُبْصِرٍ

قادرٍ على إعادة الملك، مهما كلفه الأمر من تضحيات، لساقه اليأسُ إلى المجزرة الكبرى التي صعقــت أسرته في غفلات مَتاعها بفتنِ الحياة. وقد كان متوقعاً أن يكون أحدَ ضحاياها. لَوْلَا حكمتُه البالغـة.

وهكذا قد استطاع بعقله الإراديّ العبقري وحكمته البالغة، ورأيه السَّديد أن ينجو بنفسه من مفاجآت النوائب التي سحقت أفراد أسـرته سحقـاً، وطوتهم في أعماق العدم..

أجل استطاعَ أن ينجوَ لِيُحققَ أعمال البناءِ والترميم ورأبِ الصدع...

وبمثل هذه الأعمال الإرادية الصارمة تعالج أمراض الغرائز والعواطف إذا أزمنت واستعصت.

والطبيبُ النفساني: قلما يصفُ لأوجاعك النفسية المزمنة، وإنفعالاتك الشاعلة الْغَضْبىٰ العقاقير والأشربة..

وإنما يبذلُ كلَّ جهوده لينقلك بمجموعتِكَ النفسية من الجهة التي أثارت أوجاع نفسك وانفعالاتها إلى جهة أخرى، لا سخط فيها ولا وصب، ولا حقد ولا حسد!!.. جهةٍ سليمةٍ من كل عطَب.

ويسدلُ الحجبَ ويسد الفجوات حتى يجعلك تنسى ما كنتَ فيه، ولا تذكرهُ بتاتاً. ولا تذكر سوى مسرات الجهة التي انتقلت إليها..

فان إسْتَعْصَتْ عليك نفسُكَ وجمدتْ على حالها التي كـانت عليها وعجزتْ عن الإنتقالِ، فإن داءَك يزدادُ سوءاً على سوءٍ ولا بُدَّ أن يفاجئَك على عجل بالأجـل المحتوم.

وقـد تكـونُ المعـالجـة ببعض العقـاقيـر المهدئة لـلأعصــاب مثـل «المندراكس» أو الكردنال، وقد تكون ببعضِ الحقن أو التنويم الطويل.

أجل هذا إذا كان المرضُ النفسيُّ مزمناً مستحكماً، وتستمرُّ حينئذ المعالجة أشهراً وإن لم يكن أزمن ولا استحكم فتنتهي المعالجة ويتم الشِّفَاء في أسابيع، والوقاية خير علاج..

والطبيب النفسانيُّ إذا كانَ على سَعةٍ من العلم بالأمراض العقلية، وعلم النفس وأوضاع المريض التربويةِ والتَّثْقيفيَّةِ والإجتماعيةِ والمنزلية فإنه يكون قادراً على قراءة أفكاره، والإطلاع على أسبابِ دائِه الأساسية، وحينئذٍ تكون معالجته مجدية وناجحة..

وكلُّ مفكر يستطيع أن يتقن قراءة الأفكار، إذا أتقن المعرفة بأمرين، مع التجارب والوعي والذكاء:

١ ــ المعرفة بعوالم المجموعة النفسية، ودوافعها ومؤثراتها، وأسباب قوتها وضعفها، في توجيهِ أعمال الإنسان إبَّان تخمتها، وإبَّان حرمانها..

٢ ــ المعرفة الصحيحة بحياة الشخص المنزلية والخارجية، وصفوة خلطائه الْمُسْتَقيمينَ منهم، والمعوجين الْمتاجرين المنتهزيين، وسلوكه معهم وَسُلوكهم معه، ومدى ارتباطهم بآداب الدين وإرتباطه، وأسلوبهم وأسلوبه في الصراحة والكتمان في المجالس العامة والخاصة، واستخلاص واقع كل الظاهر والخفي، والمتعمق منه وغير المتعمق، من كلمات تتسرّب في فلتات لسانه، وغفالات انتباهه.

والواقع أنّعلاج الأمراض النفسية أعسر وأَمرُّ من علاجِ الأمراض البدنية..

فصاحبُ الأمراضِ البدنية يحمل التماس الشِّفاء حتى في الأمراض التي لا رجاءَ في الشفاء منها كالسرطان والفالج المزمن. ولكن صاحب

الأمْراض النفسية قد تطول مدة معالجته، وقد يتعذرُ ذلك لَدَى الكتمان الشديد وفي شتى أمراض الوهم المتأصل.. والمريض النفسي. قلما يلتمس أسباب الشفاء إذا لم يلتمسها له سواه..

وإنك تجدُ الشّفاء من عَصيِّ الأمراض النفسية لا يتم على وجهه الصحيح الحسن إلا بالأَخذِ بهُدَى قَوْله تعالى:

﴿**إنَّ الله لا يُغيِّرُ ما بقَوْمٍ حَتَّى يغيِّروا مَا بأنْفُسِهم..**﴾ [١٣ - ١١].

ومهما يكنْ فالعلاجُ الشافي لا يتم إلَّا بتغير الانطباعات والعوامل النفْسِيَّة والتفسيرات والتوجيهات والأسْباب والمسَبِّبات والمناسبات.

السعادة والشقاء ومنابعها في عوالم النفس

الكلمة الثالثـــة

لا عسرَ أعسر من إستقصاء عوالم المجموعة النفسية القريبة والبعيدة والظاهرة والخفية والمزدوجة وغير المزدوجة، والإحاطة بكل أعمالها ووظائفها وبواعثها المعروفة وغير المعروفة والأصلية والمتجددة. وإنك تجد علماء النفس حتى الساعة يبحثون ويجدّون في البحث ويسهرون ويلاحظون ويتابعون أنفس البشر، متابعة دقيقة متحرية فاحصة ومع ذلك لم يعلنوا انهم اكتشفوا كل انحاء المجموعة النفسية، وأحاطوا بها علماً. .

ولا أدري لعل الساعةَ تقوم، وعلماءُ النفس لا يزالون يتعمَّقونَ لججَ العوالم النفسية، ويبحثون خفيَّ أعماقها، وشتى أرجائها لمعرفةِ حقائقها وإستقصاء أحوالها، وإنهم يجدون في كلِّ مطلعِ شمسٍ أحوالاً تنبعث من عوالم النفوس وأوضاعاً جديدة لم تكنْ من قبل. وهذا عينُ ما يشاهِدُه الدارسون في معاملات البشر بعضهم لبعض أمُماً وأفراداً أضِف إليه ما يجدونه من ألوان مختلفة في مؤلفات العلماء التي تدور حول علم النفس، وما أكثرهَا اليوم. ولعلَّ علماء الغد القريب يفتح اللهُ عليهم من موضوعات هذا العلم أنواعاً جديدةً لا تكادُ تحصى، ولعلها لم تخطرْ على بال علمائِنا اليـــوم. . .

وإنك تجدُ إعْجازَ الوحي الآلهي في خَاتِم الكتبِ السَّماوية بيِّناً في

كشفِ إختلافِ أحوال النفوس التي تؤدي إلى إختلاف الشرائع ومناهجها ما بينَ رسول ورسول ومجتمع ومجتمع . .

﴿وأنزلنا اليك الكتابَ بالحقِّ مُصدقاً لما بينَ يديهِ من الْكتابِ ومُهَيْمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل اللهُ ولا تتبعْ أهواءَهم عمَّا جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً ولو شاء اللهُ لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [٥ ـ ٤٨].

ألا ترى اختلافَ الشرائع تعودُ أسبابُه إلى إختلافِ عوالم النفوس وَمَا يَجِدُّ فيها، وما ينشأ عنها، وما يجبُ لها من مقتضيات احكام لا بُدَّ من مَعْرفتها والحكم بها بما تقتضيه أسبابها ومناسباتها وآثارها في المجتمع سواء اكانت صالحة أم شريرة. نافعة ام ضارة مؤمنة أم ملحدة. لأن الأحكام تختلف باختلاف أعمال الأشخاص ونتائجها وهذا الذي جعل اعجاز القرآن المجيد لا نِهايَةَ لتحدياتِه التشريعيةِ إلى يوم القيامة، مَهْما كان اختلاف الأحوال والظروف لأنَّ الله عز وجل جعل فيه من أصول التشريع وكلياته التي تسبق الأجيال والقرون بعجائبها وكبير عدلها وقوة بنيانها في كلِّ ما تأمرُ به أو تنهي عنه مَا جَعَلَ.

بَلْ قُلْ إنها مثلٌ عليا خَالدة وكفى.

ولما كان لكل فرد من أفراد عوالم المجموعة النفسية دَرجاتٌ ثلاثٌ قوية، ووسطى ودنيا أنظر الغريزة الواحدة مثلا فإنك تجدها لدى شخص قوية ولدى آخر تجدها وسطى ولدى آخر ضعيفة، ومع ذلك فهي واحدة في حد ذاتها، وكل اختلافها في نتائجها وأعمالها من مصدر القوة أو الضعف أو ما بين القوة والضعف هذه غريزة الحب كانت لدى مجنون ليلى قوية لذلك

هَيْمَنَتْ على كلِّ أفرادِ مجموعتِه النفسيـة فلم يعدْ يـطيبُ له العيش إلا مستغرقاً في الهيام بها، ولـم يعدْ يَرىٰ سواها لذةً مضنية مُهيْنَةَ وإنْ تعدَّدَت المرئياتُ أمامه ولم يسمع غير حديثها وإن تحدث إليه المتحدثون، ويدل هذا أيضاً على أنَّ أفرادَ المجموعةِ النفسية تتشابكُ عوالمها مُتساندةً، إذا تفاقَم سلطانُ فَرْدٍ من أفرادها..

وهذا واقعٌ مُشاهَدٌ، وتجدُهُ في الفكر، وتجده في العاطفة كما، هو في الغريزة. وهذا هو الذي جعل علماء النفس يروْنَ النفس واحدةً ومجموعة عوالمها المتمايزة في أَعْيانِ مَظاهِرِهَا واحدة وإن خالها بعضهم غير ذلك...

ومهما يكن فالإنسان المدبرُ المنقاد بناحية خاصة من نواحي مجموعته النفسية لا يُصْلِحُهُ ولا يُفْلَتُ مِنْ طُغيانِ هَاتيكَ الناحيةِ إلَّا إذا هجَرها بتاتاً، وابْتعدَ، عن بواعثِها في خارج نفسه، وعن إنفعالاتها، من داخلها، وتلبَّس بغيرها، من المشاهد التي تملأ الدنيا، ومن المشاهد التي تزخر بها نفسه فالشخص الذي يُحس من نفسه أنه مشدود منقادٌ الى محافل النساء ومواطن اجتماعهن كشواطىء البحار، وفي المصايف وفي الحانات ومواخير البغاء، وفي الصور المتحركة العارية، فإنه يستطيعُ أن ينجو بنفسه من المهلكة المحتومة!.

وينتقل إلى عالم غريزة أخرى أو عاطفة كالذهاب الى المحافل الدينية والمساجد والاستماع إلى المحاضرات ومطالعة الكتب النافعة، وما كان من هذا القبيل. وهذا ممكن كل الإمكان وسهل على من شَحذَ إرادته له، وتوجَّه إليه بهمة ونشاط، وما أهونه عليه بعد ذلك..

والذي يبقى مِنْ ذخر علميٍّ بعد مراجعة أحدنا لهذه الكلمات أَنَّ مستقر السعادة والشقاء يلتمس:

أولا: في عوالم المجموعة النفسية من قبل أَنْ يلتمسَ في العوالم الخارجية.

هذا هو الأصلُ في يقين المعرفة، فإن رفضه الملتمسُ وأصرَّ أن يلتمسها في العوالم الخارجية أولاً.

كان مثله كمن أخذ يكتبُ صُحفه بالماءِ القراح ليلهُ ونهارهُ من قبلِ أن يضيفَ إليه لون المداد المطلوب..

فهو ينفق عمره في أعمالٍ، كلُّ جَدْواه منها صفرٌ في صِفْر.. والسَّعادةُ إحسان للفرد نفسه وأمته، والشقاوة إساءة للفرد نفسه وأمته...

ومعرفة حقيقتهما ومستقرها يجبُ أن تكونَ تحتَ أشعةِ عِلْمي النفسِ والأخلاق..

ومعرفة الحقيقة غير معرفة الظن والوهم. والظن والوهمُ لا يُغنيان مِنْ معرفةِ الحقيقة شيئاً...



خاتمة

حفلة تكريم اقيمت في لبنان في دار الافتاء للمؤلف

نقلا عن مجلة الفكر الإسلامي السنة السادسة
٧/٦ جمادى الأولى والثانية لعام ١٣٩٥ هـ
الموافق يوليه ١٩٧٥ م.



دعت اللجنة الثقافية في أزهر لبنان يوم الأربعاء في ١١ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥/٥/٢١م إلى حفلة أقيمت في بهو الإفتاء تكريماً لمربي الجيل فضيلة الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدني في مناسبة اعتزاله التدريس في أزهر لبنان تقدمها حضرة صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية، ومدير عام شؤون الإفتاء الأستاذ حسين القوتلي، وفضيلة الدكتور الشيخ صبحي الصالح، وفضيلة الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان وحشد كبير من الطلاب الأزهريين وبعض الخريجين وجميع العاملين في دار الفتوى والأوقاف والأزهر.

افتتحت الحفلة بعشر من القرآن الكريم تلاه الطالب ابراهيم خالد. ثم قدم عريفها الأستاذ أحمد غية الخطباء بمقدمات تناسب مع المقام وكان أول المتكلمين الطالب صالح معتوق عن طلبة الأزهر تلاه الدكتور رضوان السيد بكلمة الخريجين تحدث فيها في براعة عن معنى التكريم وحقيقته في التاريخ الإسلامي بالنسبة إلى العلماء ودعا إلى تكريس هذه البادرة ودعمها بشتى الوسائل والامكانات بحيث تصبح تقليداً ذا نتائج مضمونة، وأبعاد خيرة..

وعلى الأثر ألقى مدير أزهر لبنان كلمة نوّه فيها بمآثر المحتفى به، وعرض بعض الجهود التي بذلها في ميدانه الشريف في مدى أربعين عاماً ـ

وجميعها يكاد لا يحصى - وبين فضل التنشئة الدينية السليمة في بناء المجتمع، مشيراً إلى أهمية المادة الأم «العربية» - وهي المادة التي كان فضيلة المربي يعنى بتدريسها - في توصيل طالب العلم الشريف إلى تفهم حياته العلمية، والتعرف إلى ثرواته الحضارية في الماضي والحاضر.

الكلمة المسؤولة:

ثم قدم العريف صاحب السماحة فوقف سماحته وألقى كلمة توجيهية رائعة هذا نصها:

أبنائي.. يسعدني في هذه اللحظة التي اعتبرها لحظة بركة نكسب منها الكثير، ان اقف بينكم كتلميذ سابق كان يجلس على مقاعد الدرس التي تجلسون عليها اليوم، وكان يلعب في رحاب هذه المدرسة التي تلعبون في رحابها اليوم، ويجني من ثمارها الأدبية والروحية والفكرية الشيء الكثير مما كان يفيضه عليه أساتذته الكرام وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ هاشم دفتر دار المحتفى به، ويسعدني أيضاً أن أقف بينكم كخريج من هذا الأزهر العزيز على قلوبنا جميعاً، كما يسرني أن أتحدث إليكم كمسؤول يقوم اليوم بمهمة الإشراف على الأزهر وتطويره والدفع به في عجلة الزمن إلى المكان اللائق به، ويسعدني أكثر أن تكتب لي هذه المناسبة الحبيبة مشاركتكم عواطفكم الكريمة في ما أردتم التعبير عنه بالعمل على تكريم استاذ كبير من أساتذتنا وأساتذتكم ورجل من رجال العلم والأدب والقلم والفكر.

إن تكريمكم الشيخ هاشم دفتر دار المدني ليس تكريم عالم فحسب، ولكنه تكريم يحمل معاني كريمة وابعاداً مشرقة في ميدان العلم، إنكم تكرمون العلم بتكريمه، وتعبرون عن إستعدادكم وحرصكم على هذا العلم لتكونوا يوماً ما حملة مشعله ورايته والمجاهدين في سبيله، وتكريمكم إن هو

إلا تقدير لعلمه وفضله وفكره وأدبه، وإذا وجد لديكم هذا المعنى فهو يدل أيضاً على أنكم والحمد لله بدأتم تتذوقون العلم، وتقدرون ميادينه وأبوابه، وأن الأمل بكم أصبح كبيراً..

وإنَّا في احتفالنا هذا لا نود أن نقتصر عليه، إذ لا يكفي إن كنا نرغب في التكريم أن نحصره في مجرد الإلتقاء والتحدث، ولكن ينبغي أن ننطلق منه إلى لون آخر من الإحتفال بالانتفاع من علمه وأدبِه على الوجه الصحيح، فإذا اندفعنا في ميدان الطلب، وأخذنا نسير في جد فإنما نكون سلكنا أسلوباً جديداً، في تكريم فضيلة الشيخ هاشم دفتر دار المدني، وغيره ممن لهم مَجْدٌ في خدمة العلم والأزهر..

يا أبنائي

إن لبنان والبلاد العربية والعالم الإسلامي جميعها تفتقر إليكم وتستصرخكم وتنتظر اليوم الذي تتخرجون فيه تحملون مشعل النور والهداية أمام الأجيال الطالعة في المستقبل المرتقب، والمستقبل لكم، ونحن بدورنا خدم لكم وإننا إذ نقول هذا فباعتزاز، وافتخار لتهيئتكم علماء مفكرين وقادة موجهين فاذا كنتم كذلك فنعم الخادمون نحن، وإذا لم تكونوا فاننا أدينا قسطنا من واجبنا وحملنا مسؤولياتنا، والمسؤولية بعدها عليكم..

وختم سماحته كلمته بقوله:

أيها الأبنــاء:

أشكر لكم بادرتكم الكريمة في احتفالكم هذا، وتكريمكم أستاذنا العظيم، واعمل معكم على تكريمه وتعظيمه سائلا الله تعالى أن يجزي خيارنا من علمائنا خير الجزاء، وان ينعم عليكم بالفضل العظيم والخير الدائم.

المربـي:

آخر الكلمات ألقاها نيابة عن فضيلة المحتفى به نجله فضيلة الشيخ أيمن دفتر دار المدني وجاء فيها:

صاحب السماحة.

زملائي المدرسين.

أحبائي المتخرجين.

أبنائي الطلبة ـ سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

وبعد،

إن هـذا المعهد الشرعي الكريم، الـذي أسسه مفتي لبنـان الأكبر المرحوم الشيخ محمد توفيق خالد في عام ألف وثلاثمئة واثنين وخمسين هجرية، هو مطلع نجوم زواهر، دافقات بأضواء الوحي وسَنـا فجر الإسلام، هو ينبوع موار صافٍ يتـدفق بحقائق وحي الله، كمـا هي في إشعاعهـا السماوي المتألق، هو معهد القرآن المجيد، والسنة النبوية الطاهرة، والفقه الإسلامي العالي، واللغة العربية الفصحى، هو عِقْدٌ ثمين. يواقيته الوهاجة شبانٌ بررة كرام، حبسوا أنفسهم لخدمة العلم والشرع والصعـود به إلى أعلى القمم، وأرفع المنارات.

ولقد أثر أبناء هذا المعهد المتخرجون تأثيراً عظيماً في نهضتي العرب والإسلام.

وشـاركـوا بـوظـائفهم، بمؤلفـاتهم، بصحفهم، بمجـلاتهم، بغـزارة معـارفهم، بسعة اطـلاعهم، بحسن أخلاقهم، بكبيـر آدابهم، بنشـاطهم العبقري مشاركة فعالة في خدمة الإسلام والعرب واللغة الفصحى، في لبنان

وفي خارج لبنان، فهم أمثال عالية للإسلام والعروبة، أنى حلوا، وفي أي بلد نزلوا. وطلابنا يا رعاهم الله، في كل عام إذا تخرجوا من المعاهد العالية، ورحلوا للقيام بواجب الدعوة الإسلامية العملية، والهداية ونشر الثقافة والعلم والأدب، ألفوا أخوة بررة كراماً لهم سبقوهم لإداء واجبهم وتمثيل معهدهم هذا، أحسنَ التمثيل، وأعلى التمثيل وأكرم التمثيل.

وإنه ليسعدني أن أكون أول من اشترك في ادارة هذا المعهد ومزاولة التثقيف فيه إشتراكاً عملياً مخلصاً منذ تأسيسه إلى عامنا هذا. وكم أنا سعيد بما لاقى هذا المعهد الكريم ويلاقي من إكبارٍ وتأييد وتشجيع ومكانة مرموقة في مراكز الثقافة الإسلامية العالية. ولدى العلماء المتعمقين ورجال الحل والعقد، في كل الدول العربية، وحسب هذا المعهد الشرعي الكريم مجداً وفخراً وخلوداً أن من أبنائه المتخرجين سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الأكبر الشيخ حسن خالد الساهر على رعايته والناهض به ليكون جامعة إن شاء الله، وإني أراه يعد العدة لذلك. وليس هذا بالكثير على لبنان وفيه شتى الجامعات لمختلف الثقافات. فكم بالأولى أن يزدان بجامعة تُعنى بنشر الثقافة الإسلامية العالية وتدعم الحق المثالي العام. بمثله العليا التي أوحاها الله على خاتم رسله الكرام سيدنا محمد في القرآن المجيد، وتشيد صروح السلام في كل مكان.

وإني أعتقد حين ينهض صاحب السماحة لتكريمي على ما بذلت في سبيل العلم وخدمته وأبذل، إنما ينهض لتكريم العلم وأهله ورفع أعلامه، وتشييد صروحه بكل امكاناته وفقه الله إلى ذلك.

وفي الختام أشكره، وأشكر الحاضرين جميعاً وبالحري مدير أزهر لبنان وزملاءه الأساتذة الكرام واللجنة الثقافية الكريمة جَزَاهُمُ الله على ما بذلوا

ويبذلون أحسن الجزاء.

والسلام.

وفي ختام الإحتفال قدمت اللجنة الثقافية في أزهر لبنان إلى فضيلته مصحفاً مزخرفاً من الحجم الكبير هو خير ما يمكن أن يقدم في مثل هذه المناسبة الجليلة.

والجدير ذكره أن فضيلة الشيخ عمر القيمري نظم في هذه المناسبة الجليلة قصيدة رائعة قال فيها:

أبـا هشام، وجئنـا اليوم نحتفـلُ
نـدعـو لتبقى ويبقى حـولـك الأمـلُ
لـقد عـرفـنـاك خِـلاً كـلُّهُ غُـررٌ
بـل كـلهُ دُرَرٌ، بـل كُلُّهُ مُـثـلُ
ربّيتَ جيلاً وهـذا الجيلُ يـذكـركم
فيـه الفضـائـل والأخـلاق تكتمـلُ
الـحـمـد لله إنَّ الـفـضلَ زيّـنـكم
بـالصـالحـات فتمّ القـولُ والعمـل
رافقتَ أزهـرنـا من طـور نشـأتـه
فظلّ يخـطو وفي عـرفـانـه ثَمِـلُ
حتى كسـا روض لبنـان الأبيّ بمـا
يجلي المحاسن منه الـزهر والأسـل
منـه القـضـاةُ وبالمفتين جـنـتـه
تـلألأت فبـدت تـزهـو بهـا المُقَـلُ

أنـظر إلى حسن مفتينا بـه (حَسنٌ)
قـد جـاء أكبـر بـرهـان لمن سـألـوا

وبـالـمـديـر وأعـلامٍ بـه حفلوا
بـالعلم، يحلو فمنـه المَنُّ والعَسَـلُ

* * *

أبـا هشـام، الـذي جئنـا نكـرّمـه
فليس عن دوحـة العليـاء ينفصـل

إلى المـدينـة حـاز الفخـر نسبتـه
وبـالـمـكـارم والأعـراق يـتـصـل

قد جاء حفلُك مثلَ الصدق منتـظماً
لَمَّ المـحبـين، لا زيـفٌ ولا دَخَـلُ

كمـا تُحِبّ تنـادَى المؤمنـون لـه
قـد أقبلوا ودعـاةُ الشُـؤْمِ قد أفلوا

ونحن إذا نكـرم التقـوى وصـاحبَهـا
نكـرّم العلمَ والـدنيـا لمن جـهلوا

* * *

آمنتُ إنـك فـي الإخـوان نعـمتُـهُ
وحبةُ العقد، منـك الصفو كم نهلوا

درب المحبـة إن سـاروا تـرافقهم
وإن نسـوها وسـاروا وحـدهم رحلوا

رمـزُ المحبة والإخـلاص دام لنـا
والفتيـةُ الزُّهـر مـا هلّوا ومـا نسلوا

إذا احتفلنـا بـه في الأرض شـاركنـا
مـلائـكُ اللهِ من عليـائـهم حـفلوا
عـرسُ (لهـاشم) في دنيـاه يجمعنـا
نـدعـو ليسعـدَ عَيْشاً ثم نبتـهـلُ



أسماء الفهارس

فهرس آيات القرآن

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	محل الشاهد	الصفحة
آل عمران	٣	١٨٧	﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾	٢٥٤
آل عمران	٣	٢٠٠	﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾	٢٧١
آل عمران	٣	١٦٩ـ١٧١	﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله﴾	٣١٩
آل عمران	٣	٢٦	﴿قل اللهمَّ مالك الملك﴾	٣٥١
آل عمران	٣	١٤	﴿زيّن للناس حب الشهوات﴾	٧٤٤
النساء	٤	١٧٤	﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾.	١٧٤، ١٨٥، ١٩٦، ٢٣٢، ٣١٢، ٣١٩
النساء	٤	١	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونســـــاء﴾	١٨٨، ٢٠٦ ٣١٦
النساء	٤	١٢٨	﴿والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح﴾	
النساء	٤	٦٩	﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين﴾	٣١٩
النساء	٤	٥٤	﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾	٣٧٠
النساء	٤	٧١	﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾	٤١٦
النساء	٤	١٤٥	﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾	٦٨٣
المائدة	٥	٣٢	﴿ومن أجل ذلك كتبناها على بني إسرائيل﴾	٧١٠
			﴿ان من قتل نفساً بغير نفسٍ ...﴾	٧١١
المائدة	٥	٢٨	﴿لئن بسطت يدك إليَّ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي إليك....﴾	٧١١
المائدة	٥	٥	﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾	٨٨، ٣٣٩
المائدة	٥	٢	﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾	١٤٦، ١٥٤، ١٦٢، ١٨٦، ٢٣٩
المائدة	٥	١٥، ١٦	﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾	١٩١
المائدة	٥	٦٧	﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾	٣١١
الأنعام	٦	١٠٢ـ١٠٦	﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلَّا هو﴾	١٨٩
الأنعام	٦	١١٢	﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين﴾	٢٠٤
الأنعام	٦	٣٤	﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾	٢٤٥

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	محل الشاهد	الصفحة
الأنعام	٦	١٠٤، ١٠٥	﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾	٢٩٢
الأنعام	٦	١٢٢	﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾	٣٤٥
الأنعام	٦	٥٧	﴿إن الحكم إلَّا لله﴾	٦٦٣
الأعراف	٧	١٥٨	﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾	١٩١، ٣١٦، ٧٠٨
الأعراف	٧	٥٨	﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾	٣٩، ٢٦٣، ٧٢١
الأعراف	٧	١٢٨	﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء﴾	٣٥١
الأنفال	٨	٦٠	﴿واعدو لهم ما استطعتم من قوة﴾	٤٤، ٤٦، ٢٨٥، ٧٤٢
الأنفال	٨	١	﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾	١٨٣
الأنفال	٨	٢، ٣، ٤	﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله﴾	٢٢٢
الأنفال	٨	٢٥	﴿واتقوا فتنة لا تصيبن﴾	٢٦٩
التوبة	٩	١٢٠	﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾	٦٣٧
يونس	١٠	٣٦	﴿وما يتبع أكثرهم إلَّا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾	١٨٦، ٧١٨
يونس	١٠	٣٥، ٣٦	﴿قل هل من شركائكم من يهدِّي إلى الحق قل الله﴾	٢٢٤
يونس	١٠	٥	﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر. . .﴾	٢٩٦
يونس	١٠	٤٥	﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا﴾	٦٣٧
يونس	١٠	٦٢، ٦٣	﴿ألا إن أولياء الله. . .﴾	٢٣٨
هود	١١	١١٥	﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾	٦٣٧
هود	١١	٧٢	﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي. . .﴾	٢٣٩
يوسف	١٢	١٠٨	﴿قل هذه سبيلي﴾	١٨٦، ٣١٢
يوسف	١٢	١٠٦	﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾	١٨٦
يوسف	١٢	٧، ٨	﴿يا بني اذهبوا﴾	٤٦٥
الرعد	١٣	١١	﴿إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾	٤٥٦، ٦٩٦، ٧٥٧
الرعد	١٣	٤	﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من. ﴾	٢٩٦
الرعد	١٣	٢٨	﴿ألا بذكر الله. . . .﴾	٢٦٩
إبراهيم	١٤	١	﴿الر. كتاب أنزلناهإليك لتخرج الناس	٣١٧

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	محل الشاهد	الصفحة
			من الظلمات إلى النور بإذن ربهم...﴾	
إبراهيم	١٤	٢	﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد...﴾	٣١٧
إبراهيم	١٤	٤٧	﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام..﴾	١٦٥
إبراهيم	١٤	٤٦	﴿وقد مكروا مكرهم، وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال..﴾	١٦٥
إبراهيم	١٤	٢٤، ٢٥، ٢٦	﴿الم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾	١٨٤
الحجر	١٥	٩	﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾	٣٦٧، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٠، ٤٥١
النحل	١٦	٨٩	﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾	١٩
النحل	١٦	٨	﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾	٥٨
النحل	١٦	١١٨	﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾	١٧٩، ٢٤٣
النحل	١٦	٨	﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾	٤٣٦
الإسراء	١٧	٨٥	﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلا..﴾	٧٠١، ٧٠٢
الإسراء	١٧	٢٥	﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة..﴾	٤٣٧
الإسراء	١٧	١٠٥	﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل...﴾	٢٢٣، ٣٥٠
الإسراء	١٧	٣٦	﴿إن السمع والبصر والفؤاد..﴾	٢٣٣، ٤٧٥
الإسراء	١٧	٨١	﴿وقل جاء الحق..﴾	٢٢٥
الكهف	١٨	٣٠	﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً..﴾	٦٣٧
الكهف	١٨	٢٨	﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾	٣٨٦
الكهف	١٨	٢٨	﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾	٤٣٢
مريم	١٩	٤١، ٤٢	﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾	٢٣
مريم	١٩	٥٤	﴿واذكر في الكتاب إسماعيل..﴾	٢٣
مريم	١٩	٥٦، ٥٧	﴿واذكر في الكتاب إدريس..﴾	٢٣

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	محل الشاهد	الصفحة
مريم	١٩	٨١، ٨٢، ٨٣	﴿واتخذوا من دون الله..﴾	٢٠٤
طه	٢٠	١١٣	﴿وكذلك انزلناه قرآناً عربياً..﴾	٤٨٠
الأنبيـــاء	٢١	١٠٧	﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين..﴾	٢٢٤، ٤٥٥، ٦٩٤
الأنبياء	٢١	٣٠	﴿وجعلنا من الماء..﴾	١٠٨
الأنبيـاء	٢١	٩٢	﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾	١٣٩، ١٤٩
الأنبياء	٢١	٢٤	﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل..﴾	١٩٦، ٢٤٧
الحج	٢٢	٢٨	﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله..﴾	٦٤٠
الحج	٢٢	٣٨	﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾	٤٦
الحج	٢٢	٣٩	﴿أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وأن الله...﴾	٤٦
الحج	٢٢	٤٥	﴿فكأين من قرية..﴾	١٢٠
الحج	٢٢	٤٦	﴿أفلم يسيروا في الأرض...﴾	١٢٠
الحج	٢٢	٢٧، ٢٨	﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾	٦٤٠
الحج	٢٢	٣٢	﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تَقوى القلوب﴾	٦٤٣
الحج	٢٢	٥٤	﴿وليعلم الذين أوتوا العلم الذي أنزل﴾	٣١٣
الحج	٢٢	٤٠	﴿الذين أخرجوا من ديارهم..﴾	٤٦
المؤمنون	٢٣	٩٧، ٩٨	﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾	٢٠٤
المؤمنون	٢٣	١١٧	﴿ومن يدع مع الله إلٰهاً آخر لا برهان له به﴾	٧١٨
النـور	٢٤		﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾	١٤٢
الشعراء	٢٦	٨٤	﴿واجعل لي لسان صدق في..﴾	٢٤
النمل	٢٧	١٤	﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم..﴾	٢٤٥
النمل	٢٧	٦٩	﴿قل سيروا في الأرض..﴾	٦٠٣
القصص	٢٨	٧	﴿وأوحينا إلى أم موسى..﴾	٢٣٨
العنكبوت	٢٩	٦٩	﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا..﴾	٧١٦
			﴿وإن الله لمع المحسنين﴾.	٧١٨
الروم	٣٠	٤٧	﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾	١٥١، ١٦٥

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	محل الشاهد	الصفحة
الروم	٣٠	٢١	﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً..﴾	٦٥٤
الروم	٣٠	٤	﴿لله الأمر من قبل ومن بعد.﴾	٦٨٩
لقمان	٣١	٢٧	﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر.﴾	٢٤٩
لقمان	٣١	١٠، ١١	﴿خلق السموات والأرض بغير عمد ترونها والقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ..فأروني ماذا خلق الذين من دونه.﴾	٢١٨
السَّجدة	٣٢	١٧	﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾	٦٤٩
الأحزاب	٣٣	٢١	﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾	٤٥٥
سبأ	٣٤	١٨	﴿وجعلنا بينهم وبين..﴾	٥٥
سبأ	٣٤	٦	﴿ويرى الذين أوتوا العلم..﴾	٢٢٣، ٣١٣
سبأ	٣٤	٤٩	﴿قل جاء الحق وما يبدىء..﴾	٢٢٤
فاطر	٣٥	٢٨	﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾	١٨٥
فاطر	٣٥	٢٤	﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً..﴾	٢٢٤
فاطر	٣٥	٦	﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾	٦٨٧
ص	٣٨	٤١، ٤٢	﴿واذكر عبدنا أيوب..﴾	٢٤
الزمر	٣٩	٥	﴿خلق السموات والأرض يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل....﴾	٢٢٤
الزمر	٣٩	٢١	﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماءً..﴾	١٠٨
الزمر	٣٩	٥٥	﴿واتبعوا أحسن ما انزل..﴾	٢١
الزمر	٣٩	٩	﴿قل هل يستوي الذين يعلمون..﴾	١٨٥
الزمر	٣٩	٢	﴿انّا انزلنا إليك الكتاب بالحق...﴾	٢٢٣
الزمر	٣٩	٦٧	﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً...﴾	٢٢٥
غافر	٤٠	٣١	﴿أو لم يسيروا في الأرض...﴾	٦٠٣
غافر	٤٠	٥	﴿وجاولوا بالباطل ليدحضوا به الحق..﴾	٢٢٥
فصلت	٤١	٥٤	﴿إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط....﴾	٧٣٢

اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	محل الشاهد	الصفحة
صلت	٤١	٥٣	﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم..﴾	٢٢٣
صلت	٤١	٣	﴿كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً..﴾	٤٨٠
شورى	٤٢	١١	﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..﴾	٢٤٨
شورى	٤٢	٥١	﴿أول الآية..﴾	١٨
شورى	٤٢	٢٤	﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق..﴾	٢٢٥
شورى	٤٢	٥٢، ٥٣	﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا..﴾	٣٣٦، ٤٨٠
شورى	٤٢	٤٠	﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها..﴾	٧٤٦
دخان	٤٤	٤٩	﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم..﴾	٧٢٥
جاثية	٤٥	٣٣	﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا..﴾	٢٤٥
حمد	٤٧	٧	﴿إن تنصروا الله ينصركم..﴾	١١٨
حمد	٤٧	١٩	﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾	١٤٩، ١٩٥
حجرات	٤٩	١٣	﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم..﴾	١٤٦، ٢٠٦، ٤٦٨
حجرات	٤٩	٢، ٣	﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي..﴾	٤٥٩
ذاريات	٥١	٢٢	﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون..﴾	٦٢
ذاريات	٥١	٤٢	﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم..﴾	٢٩٨، ٧٣٧
ذاريات	٥١	٢٠، ٢١	﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾	٢١٨
نجم	٥٣	٣، ٤	﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى..﴾	٦٣٩، ٦٢٥
نجم	٥٣	٣٩	﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾	١١٧
نجم	٥٣	٢٣	﴿إن هي إلا أسماء سميتموها..﴾	١٨٧
نجم	٥٣	٢٨	﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلّا الظن﴾	١٨٧، ٢٢٤
قمر	٥٤	٤٦	﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر.﴾	٢٥٤
رحمن	٥٥	١، ٣	﴿الرحمن.. علّم القرآن. خلق الإنسان..﴾	٤٩٠، ٥٣٩
واقعة	٥٦	١١	﴿والسابقون السابقون..﴾	٥٤٩

مُراجعة الأحاديث النبويّة

اسم الكتاب | رقم الصفحة | رقم الحديث | المتن

مشارق الأنوار: ٥٥ /٧٣/ «لا تقوم الساعة حتى تعود....» رواه مسلم عن أبي هريرة.

مفتاح الخطابة والوعظ : ٦٨/ كتاب الأربعين حديث نووية/ «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه...» رواه مسلم في باب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أبي الدرداء رواه عنه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح.

مشارق الأنوار: ١٥ /١٦٤/«..ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً..». رواه الشيخان عن أبي هريرة.

مشارق الأنوار: ١٠٦ / ٧١ / «قال رسول الله ﷺ «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه، وهنا روايات كثيرة لهذا الحديث، «أنا عند ظن عبدي بي».

البخاري هو الذي روى حديث: ﴿خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام...﴾ ..«والناس معادن جاءت في روايات أخرى وهي معنى الحديث».

فهرس الأعلام حسب حروف الهجاء

فهرس محتويات الكتاب

فصل التراجـم:

فصل اللغة العربية: ٣٥٧

الكتب المؤلفة للمؤلف

١ ـ إصلاح الإسلام الاقتصادي ـ نفد.

٢ ـ نوابغ الكلم.

٣ ـ معجزات قلب القرآن.

٤ ـ تأويل سورة الفاتحة.

٥ ـ رواية إلى غرناطة ـ نفدت

٦ ـ رواية الحرب والسلم ـ نفدت.

٧ ـ ذكريات طيبة.

٨ ـ مجموعة قصصية مخطوطة.

٩ ـ هواتف.

١٠ ـ أطيـــاف.

مؤلفات مع الأصحاب

١ ـ الإسلام والمسيحية في لبنان ـ مع الشيخ محمد علي الزعبي.

٢ ـ دين إبراهيم عليه السلام ـ مع الشيخ محمد علي الزعبي.

٣ ـ الإسلام بين السنة والشيعة ـ مع الشيخ محمد علي الزعبي.

●●●

١ ـ محمد نابليون السماء ـ كتبه بالفرنسية «جَان بَرْوا» وترجمه حَرْفيًّا محمد البنْدَاق وعربه بأُسْلوبه هاشم دفتر دار.